تاريخ الصحافة الإسلامية

أنور الجندي

توزيع
دار الأنصار.
١٨ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣٦٥٨١

أنور الجندي

تاريخ الصحافة الإسلامية

١

المنار - محمد رشيد رضا

١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م
١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

توزيع
دار الأنصار
٨١ شارع البستان خاصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣١٠٨١

موســـــــوعة

تاريخ الصحافة الإسلامية

(خلال القرن الرابع عشر الهجرى)

(١٣٠١ — ١٨٨٤) الى (١٤٠٠ — ١٩٨٠)

١ — مجلة المنار — رشيد رضا

٢ — مجلة الفتح — محب الدين الخطيب

٣ — صحف الاخوان — حســن البنـــا

٤ — مجلة الأزهر (فريد وجدى — محب الدين الخطيب — الزيات)

٥ — الصحف الاسلامية (بعد الحرب الثانية الى نهاية القرن الرابع عشر)
(١٩٤٠ — ١٩٨٠)

تصدر تباعا باذن الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى تاريخ الصحافة الاسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . تباركت ربنا وتعاليت وحمدا على فضلك وعطائك ان هديتنا الى هذا العمل النافع : تاريخ الصحافة الاسلامية منذ نشاتها الى اليوم ونسالك الهداية والتوفيق الى تمام الامر وحسن العرض وكمال الاداء .

المرحلة الاولى : حتى نهاية الحرب العالمية الاولى :

وبعد فالصحافة الاسلامية هى قطاع من الصحافة العربية التى عرفها العالم الاسلامى فى العصر الحديث ، توصف بالاسلامية لتمييزها بدراسة شئون المسلمين وقضاياهم ، وقد صدرت الصحف فى تركيا ومصر ولبنان فى هذه الفترة الباكرة (يومية واسبوعية وشهرية) وابرز الصحف التى عرفت بالاهتمامات الاسلامية هى (ثمرات الفنون) التى عاشت فترة طويلة فى لبنان (١٨٨٥ — ١٩٠٨) عبد القادر قبانى (وهى تحتاج الى دراسة مستفيضة) .

اما فى مصر فان ابرز الصحف اليومية التى عنيت بقضايا العالم الاسلامى فهى المؤيد (على يوسف) التى صدرت ١٨٨٩/١٢/١ ثم اللواء (مصطفى كامل) وصدرت ١٩٠٠/١/٢ وفى هذه الفترة صدرت مجلتان شهريتان اسلاميتان هما :

المنار (محمد رشيد رضا) ١٨٩٨

الحياة (محمد فريد وجدى) ١٨٩٩ .

ولم تلبث (الحياة) ان توقفت بينما استمرت (المنار) حتى توفى صاحبها ١٩٣٥ .

اما ابرز المجلات الشهرية الاسلامية فهى (العروة الوثقى) التى اصدرها الافغانى ومحمد عبده فى باريس ١٨٨٤ (ولم يصدر منها الا ١٦ عددا ثم توقفت) .

ويرى السيد رشيد رضا ان (المؤيد) هى الصحيفة الاسلامية اليومية الأولى ويرتبط بها فى كثير من المواقف والأحوال والواقع ان جريدة اللواء (مصطفى كامل) كانت تعنى بقضايا العالم الاسلامى وتعالج القضية الوطنية من مدخل اسلامى اساسى .

وقد أصدر مصطفى كامل (الحزب الوطنى) فيما بعد مجلة العالم الاسلامى (١٩٠٥ ــ ١٩٠٧) .

ثم اصدر الشيخ عبد العزيز جاويش مجلة (الهداية) .

ولما ان هاجر الى تركيا اصدر مجلة العالم الاسلامى (١٩١٦ ــ ١٩١٧).

وفى هذه المرحلة التى تنتهى بالحرب العالمية الاولى نجد عددا من المجلات العربية والاسلامية خاصة تلك المجلات التى صدرت عن الجمعيات الاسلامية :

مجلة جمعية الملاجىء ١٩٠٦ خليل حمدى حمادة .

مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ)

وكانت قد صدرت (مجلة مكارم الأخلاق) ١٨٨٧ (احمد الشريف)

كما صدرت مجلة الأزهر (حسن رفقى وابراهيم مصطفى) ١٨٨٩ (وهى المجلة التى استاجرها وليم ولكوكس فيما بعد لنشر دعوته الى العامية) .

مجلة الملاجىء العباسية ١٩٠٦ .

وهناك صحف صدرت فى هذه الفترة لها طابع اسلامى ولكنها ليست اسلامية خالصة :

مرآة الشرق ١٨٨٢

مصباح الشرق ١٨٩٨

الموسوعات ١٨٩٨

مجلة المجلات العربية ١٩٠٨

ويربط السيد رشيد رضا مجلته بالعروة الوثقى ويرى انه امتداد لها الا فى مسائل السياسة فقد كانت العروة الوثقى قذيفة نارية على الاستعمار

البريطانى بينما يتجنب الشيخ رشيد رضا معارضة النفوذ البريطانى الذى كان جاثما على البلاد . وبين صدور العروة الوثقى (١٣٠١ — ١٨٨٤) وصدور المنار ١٣١٥ (١٨٩٨) اربعة عشر عاما لم تصدر فيها مجلات اسلامية سوى مجلة (الاسلام) ١٨٩٤ (١٩١٢) احمد على الشاذلى الازهرى وهى مجلة ذات طابع خطابى ونمطى (والأستاذ الشاذلى هو الذى سافر من بعد الى اليابان وادخل الاسلام الى ربوعه) .

والواقع ان مجلة المنار هى التى ادخلت اسلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين الى الصحافة الاسلامية .

مجلة الاسلام (اقدم مجلة اسلامية تحمل اسم الاسلام)

بدات ١٨٩٤ وتوقفت ١٩١٤ ولم يسبقها الا مجلة الأزهر (حسن رفقى وابراهيم مصطفى)

يقول احمد على الشاذلى — الأزهر — فى التعريف بالصحافة الاسلامية :

ان الجرائد لها من فضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم شاعر اذ هى مصباح النهى ، ورائد الأمة ، ومرآة ذوى الأمور ، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون الى حجة الصواب بلا معاناة سفر أو معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت أساسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهى السبب الأكبر الذى نهض بالغربيين الى هذا الحد الذى نراه حين اعتاضوا بحرب الأقلام عن حرب المدافع ، واستغنوا بالطروس عن الديناميت وبالحبر عن التوربين ، لم يزل بين اظهرنا معشر الشرقيين المسلمين من يلتفت لهذا الأمر الجليل (الصحف الاسلامية) بلادهم ملأى بالجرائد الدينية التى تهتز لدعاة الملة وغيرهم سبيل الدعوة منشأ الطفل وقد عرف أباه وامه والمعبود الذى يدين بالتقرب اليه .

وان الشرق مفعم برجال الدين الثقاة وفرسان الكتابة المجيدين الذين عرفوا الأمر معرفة خبير وسبروا الغرب والشرق ان لم اقل بالرؤية فبمطالعة الجرائد وما يلحق شبابنا أبناء المدارس الذين يتربون

فى مدارس الاجانب وينشؤون على غير معرفة بدينهم وقلوبهم خالية من حب الاسلام فاذا صادفتهم شبهة او سمعوا نعرة من آخر طاروا اليها فرحا . وهـذا ما اثار فى قلبى حمية العمـل والاجتهاد فى بث تلك المبـادىء فى قلوب الشباب والعامة من الناس الذين لا يعرفون العلم الا بالآذان ولا يرون الا يغرون بغرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسـلام تسمية لهـا باشرف مبحث تحرير جريدة عربية العبارة اسلامية المشرب مصرية الهداية تكفل لاخواننا المسلمين بيان امور دينهم وتدلهم على طرق النصـح لهم ولاخوانهم الذين يغرون بغرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسـلام تسمة لهـا باشرفم مبحث ينشر فيها » .

وقد حفلت المجلة بابواب مختلفة منها :

ادبيات — امثال وحكم ، آداب الاسلام ، العقائد التوحيدية ، قواعد الاسـلام ، كتاب صحيح البخارى ، صلاة الجماعة ، اجتناب المعاصى ، الخمر ومضارها ، الحشيش ومضاره .. الخ الخ .

هذه هى طلائع الصحافة الاسلامية التى اعطاها اصالتها فريد وجدى ورشـيد رضـا .

مجلة الحياة (١٣١٧ — ١٨٩٩)

يقول الاستاذ فريد وجدى : ان مقصـد (الحيـاة) المجلة — هو الحيلولة بين مكاريث الالحاد واذهان ابناء المشرق ولذلك فهى سـتجعل مطمح نظرها جملة نقط مهمة :

اولاها : اقامة اقوى الأدلة العلمية على ان الديانة الاسـلامية هى روح العمران وقوام سعادة الانسان بطرق لا تجعل للشـكوك مجالا فى الأذهان وستسلك لهذا العرض المسالك العصرية فى تاييد اقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

ثانيا : تثبيت الاحوال الدينية فى العقول الطموحة . كاثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة . وسـتعتمد فى ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا بان نشـاتنا الحديثة احوج الى الخدمة منها الى سواها وايقانا من لدنا بان نقش اصول العقائد

فى اذهاننا بالطرق العصرية انفع لها وللبلاد من تعليمهم الطبيعة والكيمياء وليس يعد المشاهدة حجة لمرتاب .

وليس قصدنا الا خدمة الأقطار العمومية من هذه الوجهة الرئيسية :

التمدن والتدين — تغذية الجنان ببدائع الأكوان — اثبات وجود الله تعالى — ما وراء المادة .

واننا وان كنا لا نود فائدة مادية ، من هـــذه المجلة ، الا اننا لا نود أيضا ان نخسر فيها كثيرا واننا لم نتشجع على تحمل هذه الخسائر المادية الا لمـــا نعلمه من شغف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه (واشار الكاتب الى آثاره السابقة على انشــــاء المجلة وخاصة كتاب الحديقة الفكرية فى اثبات وجود الحضرة الالهيه بالأدلة الطبيعية) .

يقول : وقد اسسنا هذه المجلة ومطمح نظرنا غرضان مهمان :

وهما تثبت أصول الدين الاســـــلامى الحنيف فى عقول أبنائه بنتائج العلم العصرى واقامة الأدلة العلمية والفلسفية على ان هذا الدين الكريم هو منتهى ما يصل اليه الانســــــان من حقيقة الدين وغاية ما تدفعه اليه استعداداته الفطرية المنزوية فى طى مواهبه الطبيعية .

وقد اعتضدنا فى سائر أبحاثنا ببراهين الفلسفة الغربية ، واستخدمنا نتائج افكار قادتها وثمرات كدهم وكدحهم فى تأييد أصولنا الاسلامية ، مراعاة لمطلوب العصر الحاضر ومجاراة للأميال العامة رأينا أن اندفاق مدنيــــة الغرب على الشرق ستجر معها ما يلابسها من سموم قاتلة ومكاريب هائلة فوجدنا أن أجل خدمة تؤدى للاسلام هى وقوف بعض بنيه على مآرب ذلك التيار المندفع بمصفاة من العـــلم لتحجز ما تحمله من قذر وتترك الســـبيل لسلسبيله الصافى ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تحرج . وقد تبين العالم أجمع أن ترك ذلك التيـــار على ما هو عليه من كدر ودجل قد جر بعضا منا الى ما لا يحمد من الخروج عن دائرة الحكمة حتى قال قائلنا اذا كانت هذه نتائج المدنية فاللهم حوالينا ولا علينا » .

وقد مضى فريد وجدى فى منهجه هذا الذى اطلق عليه :

« الشبهات العصرية على الأديان ونفيها عن الاسلام »

وهو مدخل حقيقى لما اطلق عليه من بعد علم مقارنات الاديان . وهذا المنهج الذى سار عليه فريد وجدى حياته كلها يختلف اختلافا واضحا عميقا عن منهج رشيد رضا وان كان هذا المنهج قد بدأ فى طريقة الشيخ محمد عبده ، فان فريد وجدى يعتبر نفسه تلميذا لهذه المدرسة الســـلفية ولكنه ينفرد بالجنوح الى دراسات الفلسفة والعلم الحديث واجراء مقارنات بينها وبين الاســـلام ، وقد مضى فريد وجدى فى مجلة الحياة سنوات لم تطل فقد توقفت المجلة ولكنه ولى عام ١٩٢٥ رئاسة تحرير مجلة الازهر وسار فيها هـــذا الأسلوب الى نهاية حياته ١٩٥٢ تقريبا . وقد وقع فى شأن هـــذا المنهـــج خلاف واسع وعميق بينه من ناحية وبين رشيد رضا ومحب الدين الخطيب من ناحية اخرى كما يظهر فى مساجلات مجلة الفتح (الحلقة الثانية : مجلة الفتح) .

اما منهج المنار فهو يختلف اختلافا واضحا عن هذا الأســـلوب الذى اتخذه فريد وجدى ، اذ انه يعتمد على أسلوب اهل السنة والجماعة وهو أصح المذاهب وهو التطور الطبيعى للأســـلوب الذى بدأه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده (وكانا يسميان المعتزلة الجدد) وصولا الى منهـــج أهل السنة ومفهوم القرآن الأصيل على النحو الذى سار عليه رشيد رضا واتسع بعد وعمق فى كتابات الأستاذ حسن البنا (الحلقة الثالثة : صحف الاخوان).

وفى هذه المرحلة نجد أن هناك عددا من المجلات الاسلامية فى البـــلاد العربية والاسلامية :

المنصف — تونس — محمد الشريف التيجانى — ١٩٠٧

القبلة — مكة المكرمة — محب الدين الخطيب — ١٩١٦ .

ولا ننسى فى هذا المجال أن نذكر ان مجلة الاستاذ لصاحبها (عبد الله نديم) صدرت فى عام ١٨٩٢ ولكنها لم تلبث ان توقفت وهى ليست مجلة اسلامية بقدر ما هى مجلة وطنية اجتماعية .

اما مجلة الهداية التى انشأها الشيخ عبد العزيز جاويش (١٩١٠ — ١٣٢٨) فقد عنيت بتفسير القرآن (أسرار القرآن ، النسخ فى القرآن ، نزول القرآن) .

وقد اولت اهتماما كبيرا لأحوال المسلمين فى العالم فتحدثت عن مسلمى بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وانتشار الاسلام فى افريقيا وبين روسيا وفارس والاسلام فى الهند وعن وفد مسلمى الصين الى السلطان ، كما اولت اهتماما للغة العربية وانشاء نادى دار العلوم للغة العربية واهتمت باحياء التراث الاسلامى ، والكلام عن الشريعة الاسلامية ، وموقف العرب من مذهب دارون وهذه عبارتها :

(تزود عن الدين الحنيف وتزيل الشكوك التى يروجها المشككون وتدحض مزاعم الطاعنين من القساوسة والراهبين وتدعو الى التمسك بتعاليم دينهم وبالأخلاق الكريمة :

يقول الأستاذ عبد العزيز جاويش : كان حقا على كل مسلم نور قلبه الايمان ان يهيب بالمسلمين داعيا اياهم الى السبيل القويم ناصحا لهم ان يعضوا على دينهم بالنواجز مستمسكين منه بالعروة التى لا تنفصم ، مستعصمين منه بالحبوة التى تؤمن كل معتصم مفندا ما ياتى به الطاعنون فيه من الشبه التى تقوى ضعاف اليقين فقد طمى سيلها وسكت عن تفنيدها الذين من اخص خصائصهم أن يفندوها ويدحضوها حتى كثر سواد الطاعنين من القساوسة والرهبان ولم يعذر السفيه الا ان يؤتى دواه وقلما ، رأينا وسمعنا ذلك فعن لنا أن ننشىء مجلة تفرغ بعضها لاذاعة (اسرار القرآن) الذى هو دستور السعادتين .. ولرد تلك الشبه وإدحاض ما يكيلونه جزافا من الأكاذيب وبيان أن الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ونفرغ من بعاضها قسما لانعاش لغة العرب من عثارها مما ناتى به من التحقيقات اللغوية والاشارات الأدبية فقد اصبحت الالسنة ترتضح عجمه لبست الأصيل والدخيل ونودع ما بقى من فراغ المجلة أبحاثا اخرى » .

وقد مضى الشيخ عبد العزيز جاويش وهو تلميذ الشيخ محمد عبده أيضا الى اصدار مجلته ولكنه توقف بعد قليل — وان كانت له مثل فريد وجدى مؤلفات مشهورة — أما الذى صمد فى الحقيقة من تلاميذ الامام الثلاثة فهو رشيد رضا .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية (١٩١٩ — ١٩٣٩)

وهذه هى أدق مراحل العمل الصحفى الاسلامى فقد صدرت فيهـا مجلات اسلامية كثيرة أبرزها :

١ — مجلة الفتح : محب الدين الخطيب ١٩٢٦
٢ — مجلة الأزهر : ١٩٣٠ صدرت تحت اسم نور الاسلام ثم عدلت
٣ — صحف الاخوان المسلمين : [١٩٣٣ أســـبوعية (الاخوان) النذير ١٩٣٨ المنقود ١٩٣٨]
٤ — الشبا نالمسلمون ١٩٢٩ (جماعة الشبان)
٥ — مجلة الشهاب (عبد الحميد بن باديس) قسنطينة ١٩٣١ .
٦ — التمدن الاسلامى : دمشق ١٩٢٥/١٩٥٤ — أحمد مظهر العظمه (وما تزال مستمرة الى اليوم) وهى من أجل المجلات التى يجب دراســـتها
٧ — الاعتصام (احمد عيسى عاشور) ١٩٣٩
٨ — الهداية الاسلامية (محمد الخضر حسين) ١٩٢٨ .
٩ — الهدى النبوى — ١٩٣٧ — محمد حامد الفقى

وفى أنحاء العالم الاسلامى صدر عدد من المجلات الاسلامية منها :

الهدى — ماليزيا — عبد الواحد الجيلانى العلوى ١٩٣١
مرآة المحمدية — جاكارتا — محمد على قدس ١٩٢٧
المرشد — بغداد — محمد الحسنى / صالح الشهرستانى ١٩٢٥
الاصلاح (مكة المكرمة) محمد حامد الفقى ١٩٣٠
الاعتصام (حلب) عبد الله المعتز ، عون الله الاصلاحى ١٩٢٩ .
أم القرى (يوسف ياسين) ١٩٢٥
شمس الاسلام (تونس) محمد الصالح بن مراد — ١٩٣٧

القضايا التى عالجتها الصحافة الاسلامية :

وقد تناولت هذه المجلات مختلف القضايا الاسلامية المثارة فى هـذه المرحلة :

قضية الدعوة الاسلامية : صحف الاخوان
قضية الخلافة (المنار)
قضية التغريب : طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق (المنار والفتح)

قضية الفلسفة : الأزهر (فريد وجدى)

قضية العقائد : مصطفى صبرى — فريد وجـــدى — محب الدين الخطيب (الفتح)

قضية فلسطين : صحف الاخوان والفتح .

قضايا التحرر السياسى الاسلامى ، قضايا المغرب الباكســتان ، فلســطين (الفتح وصحف الاخوان)

قضايا الاقتصاد الوطنى : (صحف الاخوان)

قضايا الشريعة الاسلامية : (صحف الاخوان والفتح)

قضايا بناء المجتمع الاسلامى بالتربية (صحف الاخوان) .

كما تناولت الصحف الاسلامية فى هذه الفترة قضـــايا النفوذ الأجنبى وقضايا الدعوة الاسلامية ، واللغة العربية والتاريخ وتركت تراثا ضخما واسعا فى حاجة الى عرض وتقييم واسعين نرجو أن نتمكن من القيام بجانب منه فى دراستنا للصحف الاسلامية .

[المنار — الفتح — صحف الاخوان — الأزهر]

تتميز هذه المرحلة بالجرأة فى معالجة قضايا التبشير والاســـتشراق والتعريب وبروز عدد كبير من أعلام الفكر الاسلامى

٣ — المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثالثة الى اليوم :

فى هذه المرحلة صدرت صحف اسلامية عديدة أبرزها :

الدعوة — مصر — صالح عشماوى — ١٩٥١ (ثم توقفت ١٩٥٦) وعادت الى الصدور ١٩٧٤

المجتمع — الكويت — جمعية الاصلاح ١٩٧١

جوهر الاســـلام (تونس) .

دعوة الحق (المغرب) .

الأصالة (الجزائر) .

اللواء الاسلامى : أحمـــد حمزة .

البصائر — الجزائر — محمد البشير الابراهيمى ١٩٤٧

الشهاب — مصر — حسن البنا ١٩٤٧

جريدة الاخوان المسلمين (اليومية) ١٩٤٦

المسلمون : سعيد رمضان ١٩٥١

الوعى الاسلامى : الكويت

الرابطة الاسلامية : محمد شاهين حمزة ١٩٤٤

منار الاسلام : ابو ظبى

منبر الاسلام : (وزارة الأوقاف) ١٩٤٨

البريد الاسلامى : محمد توفيق احمد ١٩٤٣

الأمة : قطر

حضارة الاسلام : سوريا (مصطفى السباعى) .

صوت الاسلام : محمد عطية خميس ١٩٥٤

رابطة العالم الاسلامى : محمد سعيد العامودى (رابطة العـــالم الاســلامى) مكة

وواصلت الشبان المسلمين ، الاعتصام ، الأزهر ، الفتح صدورها .

البلاغ : الكويت (عبد الرحمن الولايتى) ...

الدعوة : المملكة السعودية ..

المسلم : محمد زكى ابراهيم ١٩٥١

هذه عجالة لاستعراض رءوس موضوعات واسماء الصحف ، نقدمها بين يدى الدراسة الاولى عن (العروة الوثقى والمنار) على أن نعد فى نهاية المطاف بحثا مستفيضا مفصلا عن نتائج دراسة الصحافة الاسلامية وتحليل لواقعها وآثارها على ان تبدأ من اليوم فنضع هذه الخطوط العامة :

اولا : هناك صحافة دعوة وصحافة فكر :

اما صـــحافة الدعوة فهى التى تتحدث عن التربية والتكوين الخلقى

والاجتماعى للشباب المسلم ولا تقدم له الا الأبحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية ، رغبة فى اعداده اعدادا سليما .

اما صحافة الفكر فهى التى تعنى بالدراسات الفلسفية والمنطقية وغيرها على النحو الذى نراه واضحا فى المرحلة الأولى من مجلة الأزهر خلال تولى فريد وجدى رئاسة تحريرها (١٩٣٥ — ١٩٥٦) حتى وفاته .

اما مجلة الفتح وصحف الاخوان ومجلة الدعوة فهى صحافة دعوة . وهناك صحف جمعت بين الدعوة والفكر .

ثانيا : هناك صحف لمعت فى المراحل التالية لها واخذت وضعا اشد قوة وحيوية مما كانت فى أول امرها ، كما أن هناك صحف توقفت تحت ضغط الظروف السياسية أو وفاة منشئها .

ثالثا : هناك صحافة شعبية وصحافة حكومية :

الصحافة الأولى التى يقوم بها أفراد أو جمعيات اسلامية وهى اكثر حرية واكثر تعمقا فى معالجة المشاكل والقضايا وابراز وجهة نظر الاسلام اكثر من الصحافة الاسلامية الحكومية التى ترتبط بمواقف الحكومات من هذه القضايا أو بمواقف بعض الأقطار بالأقطار الأخرى .

رابعا : ولم تتوقف الكتابات الاسلامية على كتاب الاسلام العرب ولكن ظهرت أسماء كثيرة من الكتاب الاسلاميين من الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وايران وتركيا .

خامسا : غطت الصحافة الاسلامية جميع القضايا الاسلامية المثارة فى العصر والبيئة معا ووصلت بعض الصحف الاسلامية الحرة الى القدرة على الكشف عن وجوه النقص والقصور فى تلك القضايا .

سادسا : أبرز القضايا التى عولجت هى قضية فلسطين ثم قضية فلسطين والقدس وقضايا الربا والتعليم الغربى ومختلف قضايا المجتمع الاسلامى والاقتصاد والسياسة والتربية وقد قدمت فيها دراسات خصبة واوراق عمل نافعة .

صدرت فى السنوات الأخيرة مجلات اسلامية أخرى خاصة فى القاهرة : اللواء الاسلامى والنور والتصوف الاسلامى .

سابعا : غطت الصحافة الاسلامية جميع المؤتمرات الاسلامية التي عقدت لدراســــة مختلف القضايا وخاصة قضايا التضامن الاســـــلامى والملتقيات الاسلامية فى الجزائر والرياض وجاكارتا ومكة المكرمة ، ومؤتمر السنة والسيرة فى اسلام اباد واستانبول والدوحة .

ثامنا : كشف مخططات الاستشراق والتعريب فى عديد من مؤتمراتهم ودراساتهم ، وزيف تلك الشـــبهات وابانت عن وجه الحق كما كشفت زيف الديمقراطية والاشتراكية والوجودية والعلمانية ، وواجهت النحل المنحرفة كالقاديانية والبهائية .

تاسعا : صحافة اسلامية مختلطة : كالاسلاميات فى مجلات الرسالة والهلال والثقافة .

والصفحات الاسلامية السياسية التى كانت تنشر فى الصحف اليومية : البلاغ وكوكب الشرق والجهـــاد .

وفى المرحلة الثالثة تلك الصفحات الاسلامية الاسبوعية فى الأهـــرام والجمهورية واخبار اليوم ، ومدى الدور الذى تقـــوم به (مع ملاحظة ان الجمهورية أصـــــدرت ملحقا دينيا بتوجيه مصطفى بهجت بدوى واشراف صلاح عزام خلال فترة الستينات) ثم توقف ، كذلك فانه يجب دراســــة ظاهرة صدور صحيفة يومية اســـلامية وكان هذا أمل من آمال المصلحين خلال نصف قرن فلما صدرت صحيفة الاخوان اليومية (١٩٤٦ — ١٩٤٨) ثم توقفت لم يتجدد التفكير فى اصدار صحيفة يومية اسلامية مرة اخرى .

كتاب الصحافة الاسـلامية

كشـفت هذه الصحافة الاسـلامية عن عدد كبير من الكتاب الذين اشتغلوا بالصحافة والدعوة الاسلامية فى مقدمتهم :

احمـــد حمزة : لواء الاســلام
احمـــد عارفه الزين : العرفان
احمـــد مظهر العظمة :
التمدن الاسلامى
احمـــد عيسى عاشور : الاعتصام
احمـــد الشانلى الأزهرى :
الاســلام
امين الرافعى : الأخبـــار
امين عبد الرحمن : الاســلام
احمـــد انس الحجاجى :
منزل الوحى
حســـن البنـــا :
(صحف الاخوان) و (الشهاب)
حسن عبد المقصود : الأنصار
سعيد رمضان : المسلمون
صالح عشماوى : الدعوة
على الغاياتى : منبر الشرق
عمر التلمسانى : الدعوة
عبد الحميد الزهراوى : الحضارة
عبد الحميد بن باديس : الشهاب
عبد العزيز جاويش :
العالم الاسلامى والهداية
فريد وجدى : الحيـاة
لبيبة أحمـــد : النهضة النسائية

محب الدين الخطيب :
الزهراء ، الفتح ، القبلة
محمد الهيهاوى :
محمد ابو زيد عثمان : النذير
محمد شاهين حمزة :
الرابطة الاسلامية
محمد البشير الابراهيمى : البصائر
محمد حامد الفقى : الهدى النبوى
محمد الخضر حسين :
الهدى الاسلامى
محمد عطية خميس : صوت الاسلام
محمد زكى ابراهيم : المسلم
محمد رشيد رضا : المنار
محمد محمد علوان :
الاسلام والتصوف
محمود ابو الفيض المنوفى :
العالم الاسلامى ، لواء الاسلام
محمد سعيد العامودى :
الرابطة الاسلامية
محمد توفيق احمد :
البريد الاسلامى
مصطفى السباعى :
حضارة الاسلام

(ولقد افرزت الصحافة الاسـلامية خلال هذه المراحل الثلاث عددا ضخما من كتاب المدرسة الاسلامية هم جديرون بدراسة خاصة مسـتقلة عنهـم) (*)

وبعد فهذا اسـتعراض سريع هو بمثابة اطار للتحرك من داخله فى اصدار هذه الموسوعة عن تاريخ الصحافة الاسلامية ، هذا وبالله التوفيق .

انور الجنـدى

الباب الأول

العـــروة الوثـــقى

الفصل الأول : اثر العروة الوثقى فى منهج الصحافة الاسلامية

الفصل الثانى : من العروة الوثقى الى المنـــار

الفصل الأول

اثر (العروة الوثقى) فى منهج الصحافة الاسلامية
(بين العمق التاريخى والأثر المستقبلى)

صـــدر العروة الوثقى فى باريس (٥ جمادى الأولى ١٣٠١) الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت فى ١٦ اكتوبر ١٨٨٤ (واصدرت ثمانيـــة عشر عددا) فكانت هـــذه الاضمامة بمثابة دستور جامع شامل للعمـــل الصحفى الاسلامى لم يلبث أن نما واتسع بعد خمسة عشر عاما بصدور مجلة المنار عام ١٨٨٩ حيث امتدت ستة وثلاثين عاما ، وقد كانت المنـــار بمثابة منار حقيقى للصحافة الاسلامية التى حملت لواء الفـــكرة السلفية بكل نقائهـــا وايمانها وقد امتدت الى المغرب غربا والى أندونيسيا وارخبيل الملايو شرقا عبر جميع الأقطار الاسـلامية من الجزيرة العربية الى الشـــام الى العراق الى الهند الاسلامية والباكستان وافغانستان .

ولقـــد كانت هناك صحافة سياسية قبـــل العروة الوثقى تتحـــدث عن قضايا العالم الاسلامى من أبرزها مجـــلة الجوائب التى كان يصدرها أحمد فارس الشدياق منذ ١٨٥٠ ميلادية (١٣٠٤ هـ) حتى وفاته ١٢٧٧ هـ (١٨٨٧ م) فعاشت ثلاثة وعشرين عاما ولكنها لم تقـــدم منهجا اسلاميا للصحافة على النحو الذى عرفناه فى العروة الوثقى .

لقد صدرت العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ (وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١) ، وكانت خلفيـــة العروة الوثقى ممثلة فى أمرين :

اولا : كان أمام محمـــد عبـــده وجمال الدين تجربة الامام ابن تيميـــه فى الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجى .

ثانيـــا : حركة التوحيـــد فى الجزيرة العربيـــة بقيـــادة الامام محمـــد بن عبد الوهاب .

وكانت هـــذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عنـــد قضية تحرير الفـــكر الاسلامى من قيد التقليد التى قامت بها حركة التوحيد ، الى العمل لمواجهة الغزو الاستعمارى للعـــالم الاسلامى ، هـــذه القضية التى بدأت باحتـــلال

الجزائر بعد جهاد الامام عبد القادر خلال سبعة عشر عاما ، وهى المعركة التى واجهت الامام محمد بن على السنوسى فطاف البلاد العربية والاسلامية للبحث عن مواجهة الخطر ، وكان جمال الدين الأفغانى قد قدم من أرض أفغانستان وايران والهنـد حيث كان النفوذ الأجنبى (الانجليزى) يتحرك هناك بقوة ، وقد واجه هو شخصيا فى بلاط امبراطور فارس هذه التجربة وحاول التصـدى لاصـدار الدستور الايرانى ، ومن ثم واجهـه النفوذ الاستعمارى بالاضطهاد فقدم الى مصر « قلب العالم الاسلامى » ليواجه هـذه الغزوة الاستعمارية ، وكانت كلمته المعروفة دائما :

هى « تنكيس أعلام بريطانيا فى العالم الاسلامى » .

وكانت بريطانيا قد سيطرت على الهند عام ١٨٥٧ وامتد نفوذها الى ايران وأفغانستان عام ١٨٦٨ .

***

ومن هـذا فقد جاء صدور العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر مضيفا مبدأ جديدا للعمـل الصحفى الاسلامى وهو قضية الوحـدة الاسلامية التى كان يحمـل لواءها السلطان عبد الحميـد حاكما ، والسيد جمال الدين الأفغانى داعيا ، وقضية تحرير الأوطان الاسلامية من النفوذ الأجنبى .

وهكذا أنشأت « العروة الوثقى » ذلك المنهـج الجامـع الصحيح الذى سارت عليه الصحافة الاسلامية منذ ذلك اليوم والى اليوم من خـلال أهداف واضحة محددة أهمها :

أولا : ايقاظ الروح الكامنه فى النفس الشرقية ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف .

ثانيا : التماس منهج القرآن فى بنـاء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيـد للمسلمين .

ثالثا : تنبيه الأمة الى ذاتيتها الأصيلة التى أنشأت الحضـارة الاسلامية الزاهرة وقدمت صفحات التاريخ الوضئى والتذكير بعظمة التراث الاسلامى .

رابعا : محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهـاد الاسـلامى .

خامسا : الدعوة الى امتلاك أسباب القوة والتقـدم والعلم والتمدن

دون التخلى عن الجذور فى دائرة مفهوم الاسلام القائم على العـــدل والرحمة والاخاء البشرى .

سادسا : مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان فى الأممية أو الفـــكر العـــالمى .

* * *

وبذلك دخلت الصحافة الاسلامية الى اطار الاسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تقف عند كتابات حول العقائد والعبادات .

ومن قبل صدور العروة الوثقى ومنذ وصول جمال الدين الى القـــاهرة عام ١٨٧٩ ، فقد كان له دوره الواضح الخطير فى الصحافة المصرية والأداء الصحفى بالتحول عن أسلوب السجع والمحسنات اللفظية والمقدمات المستطردة الى أسلوب جديد اقرب الى الأداء العلمى المبسط ، وهـــذا ما ظهر فى كتابات تلاميذه والصحف التى صدرت فى عهده وفى كتابات محمد عبده وابراهيم اللقانى وسعد زغلول .

* * *

ولقد كان أثر العروة الوثقى واضحا على مستويات متعددة :

فى بيـــان الزعماء والمصلحين وكتابات الكتاب وفى الحركات الاسلاميـــة وفى الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين .

وقد كان أكبر مظاهر هذا الأثر فى مصر عن طريق المنار التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى من حيث أن الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الأول للعروة هو بمثابة المشرف على المنار (مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة) حتى وفاته ١٩٠٥ .

وفى هذه المرحلة صدرت صحيفتى المؤيد (الشيخ على يوسف) اللواء ، والعلم (الحزب الوطنى وابرز محرريها الشيخ عبد العزيز جاويش) ، وذلك حتى اندلاع الحرب العالميـــة الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثم صـــدرت صحف سياسية تقدم صفحة اسلامية تحت عنوان العـــالم الاســـلامى أو العربى ، وذلك فى صحف كوكب الشرق (أحمـــد حافظ عوض) ، البـــلاغ (عبد القادر حمزة) ، والجهاد (توفيق دياب) ، وجريدة الأخبار (أمين الرافعى) .

ثم صدرت بعـــد الحرب مجـــلات : الأزهر (١٩٣٢) تحت اسم « نور

الاسلام » أولا ، ومجـــلة الفتح ١٩٢٧ (محب الدين الخطيب) ، ومجــــلات الجمعيات الاسلامية : الشـــبان المسلمين ، والاخوان ، والهداية الاسلامية وغيرها عشرات المجلات الاسلامية الأخرى التى لم تخرج على هـــذا النسق الذى رسمته العروة الوثقى وطبقه المنار .

وفى أوربا (فى جنيف) صـــدرت مجلة الأمة العربية (شكيب أرســـلان واحسان الجابرى) ، وصدرت منبر الشرق (على الغاياتى) لمعالجـــة قضايا الأقطـــار الاسلامية .

اما فى المشرق الاسلامى فقد صدرت المجلات الاسلامية الآتية :

تونس : شمس الاسلام ١٩٣٧ ، مجلة المعـــارف ١٩٠٧ (محمد صادق المحمودى) .

الحجاز : مجـــلة مكة المكرمة (هاشم يوسف الزواوى) ، الاصـــلاح ، أم القرى ١٩٢٥ ، القبلة .

حلب : الاعتصـــام

دمشق : التمدن الاسلامى .

قسيطينة : الشهاب ١٩٣١ (عبد الحميد بن باديس) .

ماليزيا : الهدى ١٩٣١ (عبد الواحد الجبلانى العلوى) .

الجزائر : البصائر (محمد البشير الابراهيمى) .

وصحف أخرى كثيرة يخطئها الحصر .

أما عشرات الأعلام الذين تعلموا على « العروة الوثقى » والمنـــار ، فهم كثيرون ، فى مقدمتهم عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عاشور فى تونس ، وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعلال الفاسى فى المغرب وفى دمشق ، الشـــيخ حســـين الجسر ، وظاهر الجزائرى ، والكواكبى ، وجمـــال الدين القاسمى ، وعبد الرازق البيطار ، وفى العراق محمود شكرى الألوسى .

***

فهذه المدرسة السلفية التى أنشأتها العروة والمنار امتدت الى كل هذه المناطق ، وكان محمد عبده قد أقام فى بيروت فكون بذرة صالحة هناك لاذاعة مفاهيم التوحيد الخالص ، كما أنه زار تونس والجزائر وترك فيها بذرة العمل السلفى الذى انبثقت منها الحركة الوطنيـــة فى الجزائر والمغـــرب وتونس

فى سبيل مقاومة النفوذ الأجنبى ونشأ على ذلك جيل قاوم هذا النفوذ مقاومة صامدة حتى تحقق له النصر .

وأينما تلفت فى أقطار الاسلام الى المجاهدين فى سبيل تحرير الأوطان تجدهم من تلاميذ العروة الوثقى والمنار ، وقد امتد هذا النفوذ الى أرخبيل الملايو حيث يقول المستشرق ك . ك . برج . (فى كتاب وجهة الاسلام) تأليف هاملتون جب وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى ابو ريدة ما يلى :

« ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب فى بلادهم وخارجها وعلى مسلمى أرخبيل الملايو الذين درسوا فى الجامعة الأزهرية وعلى الأندونيسى المنعزل الذى ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الاسلامى بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعا رأوا الاسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود ورأوه الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل الأعلى لكل زمان مضى ، المثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شباب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد فى التسامح ، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات صغرى فى أندونيسيا بعد أن عادوا اليها » .

وقد أشار مؤلف كتاب « الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا » الى اثر الشيخ محمد عبده والمنار فى الحركة السلفية فى تونس والجزائر والمغرب على أثر زيارته لتونس عام ١٨٨٣ ثم زيارته للجزائر عام ١٩٠٤ ثم كانت المنار التى تصل الى كل مكان فى العالم الاسلامى وقد تأثر بها الدعاة المسلمون هناك وكان خطها واضحا فى مجلة الشهاب التى أصدرها الامام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٠ على نفس النهج ، ولقد حدثنى الأستاذ أحمد توفيق المدنى الذى هو أحد ثمار ما سمى فى الجزائر وتونس جماعة العروة الوثقى أن الجماعة أصدرت عام ١٩١٥ أول صحيفة اسلامية فى الجزائر تحت اسم الفاروق بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائرى وانها تصدت للاستعمار الفرنسى بمقال كتبه المدنى كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن هو ومؤسس مجلة الفاروق من ١٩١٥ الى ١٩١٨ فى زنزانة ضيقة .

وفى الجزيرة العربية كانت العروة ثم المنار موضع تأثير كبير فى مجالس العلم ، ويتحدث الأستاذ مبارك الخاطر فى كتابه عن القاضى الرئيس قاسم ابن مهزع حيث يصور الحركة الفكرية فى البحرين فيقول : ان شباب البحرين الذين درسوا فى الأزهر بمصر وكلية مليكرة فى الهند وعادوا قد اعتنقوا آراء

السيد جمال الدين الأفغـــانى والشيخ محمـــد عبده وعبـــد الرحمن الكواكبى واحزابهم فى مصر والشام والعراق الذين وجدت آراؤهم صـــدى لهـــا هنا بين الشباب اذ ذاك عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين أمثال العروة الوثقى للأفغانى ومحمد عبده ، والمؤيد لعلى يوسف ، والمنـــار لرشيد رضا ، واللواء لمصطفى كامل ، وقد كانت هذه الصحف تحمـــل آراء هؤلاء الى كل أبناء المسلمين فى كل الأرض وكانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل (أخبار الجاويين) اى مسلمى اندونيسيا وجمعيات المسلمين فى الهند ، والمسألة الشرقية ، فقد كتب التمدن الاســـلامى لجرجى زيدان ، الجامعـــة الاسلاميـــة ، المسلمون الروس فى مجلس الدوما السوفيـــاتى ، الاستعمار فى جزيرة العرب ، الغارة على العالم الاسلامى .

وكان من ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية وآخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفـــكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكرى اسلامى لوقف الأخطبوط الماسونى التبشيرى الذى غزا الأمة الاسلامية على حين غرة ممهدين السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التى استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالى ليستمر استعبادها جسديا ، وقد كان .

وكان الشيخ قاسم بن مهزع زعيم الفكر الاسلامى فى البحرين يقرأ مجلة المنار ويقول انها تعبر عن الأقوال الفاصلة بالحق .

* * *

ولقد امتدت المنـــار حتى عام ١٩٣٦ حيث توفى السيد رشـــيد رضـــا ولكن مجلة الفتح التى انشأها السيد محب الدين الخطيب الذى يعتبر خليفة السيد رشيد رضا فى هذا المجال امتدت حتى عام ١٩٤٨ ، كذلك فان السيد فريد وجدى تلميذ الأستاذ الامام قد أشرف على مجلة الأزهر (١٩٣٤ — ١٩٥٢) ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وقد امتدت جماعة العروة والمنـــار من تلاميذ الأستاذ الامام فى مجموعة أخرى ، منها الشيخ سرور الزنكلونى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، ثم فى مجموعة تالية أو طبقة تالية ، منهـــا الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الجليل عيسى .

* * *

وفى الهنـد الاسلامية امتدت هـذه المدرسة فى الشاعر محمد اقبـال والسيدين المودودى وأبو الحسن الندوى ، وفى أفغانستان وايران لا نعـدم الكثيرين من تلاميذ المدرسة السلفية التى كونتها العروة والمنار .

وقد احصى المغفور له الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه (مدرسة الأستاذ الامام وأثرها فى اللغة والادب) عددا كثيرا ممن تأثروا فى أسلوبه ومنهجـه وهم تلاميذ العروة والمنار على الأصح ، سعد زغلول ، حفنى ناصف ، محمد المهدى ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، على يوسف ، رشـيد رضـا ، شكيب ارسلان ، عبد القادر المغربى ، عبد الرحمن البرقوقى ، أحمد لطفى السيد ، مصطفى عبد الرازق ، أحمد تيمور ، محمد مصطفى المراغى ، أحمـد فتحى زغلول ، ابراهيم اللقانى ، عبد الكريم سلمان ، ابراهيم الهلباوى ، عبد العزيز جاويش ، حافظ ابراهيم ، اسماعيل صبرى ، رفيق العظم ، أحمد ابراهيم ، حسن منصور ، عبد الوهاب النجار ، مصطفى العنانى وغيرهم .

أما فى الحاضر فان مدرسة العروة والمنـار فما تزال ذلك اثر واضـح فى الصحافة الاسلامية القائمة الآن التى لم تخرج عن نفس الأصول العـامة التى وضعتها العروة قبل مائة سنة بل ان القضايا التى ظهرت فى سنوات ما بين الحربين وما بعـدها كسقوط الخلافة الاسلامية وانشاء اسرائيـل ، وظهور حركات التبشير والتغريب والغزو الثقـافى فانهـا كلها تدخل تحت تلك الأصول وقد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبى واضحة تماما لصاحبى العروة وكاتبيها رحمهما الله رحمة واسـعة وأجزل مثوبتهم جزاء ما قدما ومكن لكل العاملين على طريق الصحافة الاسلامية الأصيل .

***

مراجع البحث :

تاريخ الأستاذ الامام (الجزء الثالث) : محمد رشيد رضا .

اليقظة الاسلامية فى مواجهة الاستعمار : أنور الجنـدى .

الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا : أنور الجنـدى .

المنـار والأزهر : محمد رشيد رضا .

الشيخ طاهر الجزائرى : الدكتور عدنان الخطيب .

مدرسة الأستاذ الامام وأثرها : الدكتور أحمد الشرباصى .

القاضى الرئيس قاسم بن مهزع : مبارك الخاطر .

وجهـة الاسلام : هاملتون جب وآخرون .

الفصل الثانى

من العروة الوثقى الى المنار

تحدث السيد رشـــيد رضا فى (المنار) عن (العروة الوثقى) وكيف كان لها اثرها فى تكوينه الثقافى والاجتماعى وفى منهج المنـــــار ، فى أكثر من موضع وعلى مر السنوات الطوال . فأشـــار الى الدور الذى قامت به فى توجيه الراى العام الاسلامى ، كما نقل فصولا متعددة من العروة الوثقى فى مناسبات متوالية وأعلن أنه وجريدته امتداد لهذه الحركة التى أطلق عليها « حركة الاصلاح الاسلامى » كما قارن بين العروة الوثقى والمنار فقال : كل ما صــــدر من « العروة الوثقى » (١٨ عددا) هزت القلوب وأيقظت العقول وكان الغرض من انشائها : اثارة العالم الاسلامى وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الأوربى وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى فى ظل حريتها ما يجب من الاصلاح الدينى والدنيوى وكان من رأى السيد جمال الدين أن الثورة أقرب الوســـائل لتجديد الملة بالعلم الصــحيح والعمل المفيد فى ظل الاستقلال والقوة . أما عرض (المنار) فهو اعداد الأمة لهذا التجديد وأول وســـائله بيان أمراض الأمة وأســـبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون فى المعالجة المطلوبة وكان الأســـتاذ الامام أول من ناط أمله به فى الاصلاح المطلوب كله وكان يصرح به فى مجالســـــه لمن يراهم أهلا لفهمه واســـتعداد لطلبه وهو الذى أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، اذ الوصـــية لا تكون الا كلاما مجملا ، لما أنشىء « المنار » لبيانه مفصلا والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما اســــتعدوا لفقهـــه والاعتبار به ولا يكون ذلك الا بالتدريج .

وقد مضى « المنار » لطيته وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته يرتقى فى كل معراج من معارج عمله ، ودون كسبه نظام معيشته فمنشؤه قد نشـــأ وشب وشاب على الزهد فى الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شـــعور القلب الى التقصير فى الكسب ، لكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق الله » متفق عليه ، وروى بزيادة (اعملوا) فى أوله ، وبهـــذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قواه الى الاصلاح والتجديد الاســـــلامى علما وبحثا ودعوة وحجة ودفاعا

واقناعا حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين غير الجغرافيين فى العالم الاسلامى كله فى اصلاحهم كما قال الأستاذ المراغى شيخ الاسلام وخليفة الأستاذ الامام على اصلاح الأزهر لمولوى مشير قدوائى من كبراء مسلمى الهند وقد سأله أن يروى عنه لمسلمى الهند كله فيما يجب عليهم من الاصلاح فقال ما خلاصته : « ان المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذى يفسره به المنار » تلك فائدة زهد منشىء المنار فى دنياه له وللناس وهى علمية خالصة ، أما مضرة هذا الزهد له فهى مالية خالصة به ، ذلك أنها أوصدت أمامه باب طلب الرزق وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضى على المنار الذى كان مفتاح كل خير فانى لم أستطع ان اعنى بنظام ادارته وضبط حساباتها ولا مراقبته بنفسى ، وانما تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق النفقة لأجل أن أوفيهم حقهم وحق الأمة كاملا بقدر استطاعتى.

(٢)

وفى موضع آخر عرض للعروة الوثقى وأثرها فى المنار فقال :

انشأ (الأفغانى ومحمد عبده) جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحفية ، وان يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » أرشدت هذه الجريدة العلماء الى امانة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين فى المذاهب (كأهل السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى فى الدين من أسباب التفرق والانقسام الذى يقضى على الجميع فاهتز لها العالم الاسلامى هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا لو طال الأمد على جريدة « العروة الوثقى » لحدث فى العالم الاسلامى انقلاب مهم ، ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم ، ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين بهذه الجريدة أن حفظها بعضهم عن ظهر قلب . كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونعمة من روحه ، وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ، لم تذكر فيها الشئون الاسلامية العامية فى الجرائد الا ما يجىء فى عرض القول ، حتى أنشأ نابغة الكتاب عبد الله نديم مجلة الأستاذ ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الربانية فى تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم وبسائر الشرقيين فتر بعدها الكلام عن (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنى الله لانشاء المنار لاحياء تعاليم العروة

الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها ، واضانا قمة نبراسها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز فهـذا امر ذهب بذهاب وقته .

قلنا ان (المنـار) وافق (العروة الوثقى) فى تعاليمها الاجتماعيـة وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالطها فى وجهيها السياسـة المصرية . ونقول ايضا : انه زاد عليها البحث فى حرفيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة ونحو ذلك .

ولهذا يقول قراء المنار انه لم توجد قبله جريدة فى موضـوعه وقال صاحب الأهرام ان فى طريق هـذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى عن وجهة الدين (ناقشـه صاحب المؤيد وصاحب المنار) وفى هذه السنة (١) كثرت الكتابة فى شـأن المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقـالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب منهم الفقير منشىء هـذه المجـلة : جريدة زمان التركية فى قبرص ، جريدة محمـدان الهندية ، جريدة معلومات العربية فى الأسـتانة ، ثمرات الفنون ، جريدة الحاضر التونسية ، وفى هذين الاسـبوعين كتب الأهرام بعنوان الجامعة الاسلامية ثم كتب المقطم ، وناقشهما المؤيد وكتب اسماعيل عصبرنسكى فى جريدة ترجمان فى القريم ، الأهرام والمقطم متفقان على أن الدعـوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسـلامية الا باتباع خطوات اوربا كما فعلت اليابان (المسلمون ثلاثمائة مليون) أما المؤيد فقد اقترح عقد مؤتمر اسلامى ودعا الى الأخـذ بالفنون والصـنائع الأوربية ومن الآراء تعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات العلميـة والأدبية وتكثير الجرائد التى ينطق بها المسلمون والعناية بأمر القوة الحربية وتعليم النساء .

واقترح المنار تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها مكة المكرمة ولها شعب فى سائر البلاد وجريدة مخصوصة وتقوم الأصـول على التوحيد فى العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والتربية والتعليم وتلافى البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين .

والنتائج هى اتحاد الحكومات الاسلامية ، ان سـبب النهضة التى

---

(١) المنار مجلد ١٠ — ١٩٠٧ م .

تجمع الأسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وأكبر عقبة في سبيل ذلك هو ندرة الرجال القادرين على التعليم الذى نريده والتربية التى نبتغيها .

(٣)

كذلك فقد نقل السيد رشيد رضا كلمات كثيرة من العروة الوثقى الى المنار فيمناسبات مختلفة مجددا هذه الدعوات الحارة ومن ذلك ما نقله فى المجلد الثانى من فهم صاحبى العروة للاسلام وذلك قوله :

الديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ، فالناظر فى أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية فى العالم وأن يسبقوا جميع الملل الى اختراع آلات المقاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل فى آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلب وطلب كل وسيلة الى ما يسهل لها سبيلها والسعى اليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ ان الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا فى السباق والرماية انكشف له مقدار رغبة الشارع فى معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها . ولكن مع كل ذلك تأخذه الدهشة من أحوال المسلمين المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون فى طلب لوازمها وليست لهم عناية فى فنون القتال ولا فى اختراع الآلات حتى فاقتهم الأمم سواهم فما كان أول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات .

(مقدمة الجزء الثانى من العروة الوثقى)

الباب الثاني

مجلة المنار : محمد رشيد رضا

مدخل : عرض عام لخطة المنار واهدافها .

الفصل الأول : من نشاة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .

الفصل الأول : من نشاة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .

الفصل الثالث : الى سقوط الخلافة الاسلامية .

الفصل الرابع : المنار الى وفاة الشيخ رشـــيد .

مدخـــل

عرض عام لخطة المنار واهدافها

صدرت من ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ الموافق ... ١٨٩٨ م واســتمرت الى ٣٠ محرم ١٩٥٤ الموافق مايو ١٩٣٥ (٣٤ مجلدا) خلال ثلاثة وثلاثين عاما ، اصدرها السيد محمد رشيد رضا في القاهرة وظل يصدرها الى حين وفاته (في نفس العام) وقد نوه على صدر صفحتها الأولى أنها « مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران ») .

وقد كشفت منذ عددها الأول عن هدفها الذى يتمثل فى العنـــاصر الآتيـــة :

— الاصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية .

— اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لمصالح البشر فى كل قطر وكل عصر .

— ابطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعـــزى من الخرافات اليـــــه .

— الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى البدء طبع ألف وخمسمائة نسخة من كل عدد أرسلت الى البـــلاد المصرية والسودانية وكانت لا تلقى رواجا فى أول الأمر ، حتى كانت السنة الخامسة للمنـــار ١٩٠٢/١٣٢٠ مبدأ رواجه وسعة انتشاره ، وقد بدا على هيئة جريدة أسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة كانت تحمل برقيات الأسبوع وبعض الأخبار ثم وضع فى شكله المجلد (الحجم ٧٠ فى مائة المعروف الآن) فى السنة الثانية واعيـــد طبع السنة الأولى وفق هذا الحجم الذى استمرت عليه المجلة الى نهايتها .

يقول : وما زاد المشتركون عن ٢/١ الألف الا قليلا ، وما كان انتقاص عملى منتقصا شيئا من أمالى ولا زهد آلامه فى المنار باعثا على جعله طعاما للنار بل كنت أحرص عليه حاسبا أن الناس ســـيعودون اليه ، وقد عاد الناس فعلا وبدءوا يطلبون مجموعات السنين الماضية ».

قال السيد رشيد رضا فى افتتاحية العدد الأول :

فأنشأت هـذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ومشايعة للساعين فى مداواة العلل ، الذين أرشدتهم تعاليم الدين وهداهم النظر فى الآيات الكونيـة . فتكون الجريدة وصـل بينهم وبين الأمة تبعث بارشادهم روح الهمة فى أفرادها ، وتحيى ميت العبرة فى نفوس أحادهم . ان غرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين والترغيب فى تحصـيل العلوم والفنون واصلاح كتب العلم وطريقة التعلم والتنشيط فى مجاراة الأمم المتمدنة فى الأعمال النافعة ، وشرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة والتى أفسدت الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التى البست الغى بالرشاد والتأويلات الباطلة التى شـبهت الحق بالباطل حتى صـار الجبر توحيدا وانكار الأسباب ايمانا وترك الأعمال المفيدة توكلا ، ومعرفة الحقائق كفرا والحادا .

ويقول : اقتبسنا أسـلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الاذهان بالخطابيات الصادعة عن القرآن الكريم . فافتتاحيات المنار زواخر منبهـة وبينات فى الاصلاح مجملة ترشد المسلمين الى النظر فى سوء حالهم وتنذرهم الخطر المهدد لهم فى اشتغالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين وما أضاعوا من مجد آبائهم الأولين » .

« صاحب المنار »

ولابد لمعرفة آفاق مجلة المنار من التعرف على صاحبها السيد محمد رشيد رضا : ذلك الشاب الذى ولد فى بلدة القلمون (طرابلس الشام) الذى تعرف على الدعوة الاسلامية من خلال المدرسة السلفية المبثوثة فى الشـام من أمثـال الشـيخ حسـين الجسر ، هـذه المدرسـة التى تعرفت الى جمال الدين الأفغانى ومحمـد عبده والى كتاباتهما فى مجلة العروة الوثقى التى كانا يصدرانها فى باريس فى مطالع القرن الثالث عشر الهجرى وقد قرأ رشيد رضا فصول (العروة الوثقى) وتأثر بها وحاول الاتصال بالسـيد جمال الدين الأفغانى خلال اقامته فى استانبول ، فلما سـبق القدر بوفاته اتجه الى الاتصال بالشيخ محمد عبده فى نفس العام ١٣١٥ هـ/١٨٩٧ م فى القاهرة ولم يلبث أن عرض وجهة نظره فى اصدار مجلة اسلامية على الشيخ الامام فأصدرها متوجهة فى العـام الثانى فى شـوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م .

وبذلك ارتبطت الدعوة الاسلامية بين (الشام ومصر) على هدف واحد ، ومن خلال هذه المدرسة ظهر عديد من الدعاة أمثال عبد الرحمن الكواكبى ، والقاسمى ، والرافعى ، و (الزهراوى) صاحب مجلة الحضارة وظاهر الجزائرى .

وقد امتدت حياة الشيخ رشيد رضا مع مجلة المنار الى نهاية المطاف خصبة عامرة بالعمل الاسلامى ، عن طريق الصحافة الاسلامية ونشأت فى خلال هذه المرحلة المجلات الاسلامية التى سارت على نفس الطريق ،

ريادة المنار للصحافة الاسلامية

وكانت المنار رائدة حقا فى رسم الطريق الصحيح للصحافة الاسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة :

أولا : دراسة العقيدة الاسلامية : فى مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى .

ثانيا : دراسة أحوال المسلمين فى العالم الاسلامى كله وخاصة البلاد الاسلامية فى معركتها المواجه للاستعمار .

ثالثا : ظهور حزب الاصلاح الاسلامى الذى قاده الشيخ محمد عبده ومضى فيه رشيد رضا وتلاميذ الامام ، وتبلور مفهوم واضح للاسلام من خلال الفهم المنبعث من المنابع الأصيلة .

رابعا : متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الاسلامية فى مصر وتونس والعالم الاسلامى .

خامسا : دراسة المجتمع الاسلامى وأحوال المرأة واصلاح المحاكم الشرعية ومختلف ما يتصل بالقمار والخمر والزنا والترف والفساد الاجتماعى جملة .

سادسا : التربية الاسلامية واصلاح التعليم والجامع الأزهر وشئونه

سابعا : مواجهة التحديات والأخطار المنبعثة من الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والرد على كتابات الغربيين من خصوم الاسلام .

ثامنا : المؤلفات الاسلامية والتراث المجدد . وقد عنيت المنار بتقديم عرض للمؤلفات الاسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث التى كان للمنار وللشيخ محمد عبده دور كبير فى احيائه .

تاسعا : (الاهتمام باللغة العربية) التعرض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الأدب المختلفة ونشر قصائد الشعر الجيد .

عاشرا : التعرض لوجهة نظر الصحافة الاسلامية من المجلات والصحف اليومية وخاصة ما يتصل بصحف الحزب الوطنى وغيرها .

رسالة المنار

ولم تتوقف المنار عن التعريف برسالتها فأشار محررها الى ما امتازت به جريدة المنار بالتنويه المتواصل [بان الاسلام جاء بتعاليم كافية لعروج الأمم الى سماء السيادة العليا وبلوغها مراتب السعادة القصوى لأنها أبطلت جميع الاعتقادات التى تحول بين الانسان وبين كماله ، ان أمة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كنا ممن يسند الى الاسلام ما ليس فيه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا ، كيف وقد اعترف للاسلام بمزاياه الشريفة جميع الناظرين فى التاريخ والباحثين فى الملل والشرائع بالانصاف من غير المسلمين حتى ان ذلك ليفيض من أنابيب اقلامهم فيما يكتبون] م١/

ويقول : أنشأنا المنار من أجل الاصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل وموافقه لصالح البشر فى كل قطر وابطال ما يورد من الشبهات عليه وتفنيد ما يعزى من الخرافات اليه .

ويقول : « اننى لم أنشىء المنار ابتغاء ثروة أتأثلها ولا رتبة من أمير او سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى بها الأقران بل لأية غرض من الفروض ، يرجى النفع من اقامته وتأثم الأمة كلها بتركه فلم اكن أبالى بشىء الا قول الحق والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكنت اذا اصبت هذا بحسن عملى واجتهادى فسيان رضى الناس أم سخطوا ، قبلوا المنار أم رفضوا » .

الفصل الأول

من نشأة المنــار الى وفاة الأستاذ الامام

المجلد الأول (١٣١٥ هـ — ١٨٩٨ م)

تمثل المنار فى هــذه المرحلة نموذجا من الصحافة الاسلامية المرتبطة بملهج الأستاذ الامام وتحركاته وصداقاته ووجهة نظره فى مختلف القضايا وخاصة بالنسبة للحركة الوطنيــة والقصر والنفــوذ الانجليزى وخطتــه فى العمــل فى سبيل انشــاء حزب الاصــلاح الاسلامى ، وقد أشار السيد رشيد رضا الى أهداف المنار فى العدد الأول على هذا النحو :

١ — الحث على تربية البنــات والبنين .

٢ — الرغبة فى تحصيل العلوم والفنون .

٣ — التنشيط فى مجاراة الأمم المتمدنة فى العلوم النافعة .

٤ — طروق أبواب الكسب والاقتصاد .

٥ — شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة والأخــلاق الرديئــة التى أفسدت كثيرا من عوائدها والتعاليم الخادعة التى ليست الغى بالرشد والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل .

وكان رشيد رضا يكرر دائما عبارته : ان الصحيفة الناجحة لا تكون كذلك الا « اذا جاءت بمشرب جــديد » ، وقد اعترف صاحب هــذا الرأى بأنه جاء ببيان الأمراض الاجتماعية التى طرأت على الأمة الاســـــلامية والشرق كله والبحث فى أسبابها وعلاجها ، والأخطار التى تتهــدد الشرق كله والمسلمين فيه والاعتصام بالدين القويم ، والاعتصام بحبل الخلافة ، وعلم العلماء ، وتأليف الشركات المالية ، وتعميم المدارس للبنين والبنــات وطبع المؤلفات النافعــة وانشاء المنتديات العلمية ، كما أشار الى مضرة مذهب التصوف ، من الافراط فى الزهادة وترك العمــل للدنيا ، وان شدة زهادتهم فى الدنيــا كانت سببا لزهادة المسلمين فى الدنيــا والآخــرة . وكان سببا فى تزايد النزعات الوثنية فى المسلمين بسببهم (م ١ — ١٨٩٨).

المجلد الثانى (١٣١٦ — ١٨٩٩)

وفى العام الثانى تابع الشيخ رشيد رضا دعوته على نفس الأهداف التى رسمها فى العام الأول .

وكان ابرز احداث العام مظالم هولندا فى جاوه والحديث عن الاسلام فى البرازيل واليابان ومستقبل الاسلام فى الصين ومراكش والهند ، ومقدونيا والمسلمون فى روسيا .

وكان من اهم ما أولته اهتمامها ثورة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى اصلاح المحاكم الشرعية ، وتأييد كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ، والحديث عن الجامعة الاسلامية وتاريخها .

وقد اشار صاحب المنار الى اهداف المنار مجددا وعرضها فى أربعة عناصر :

١ — تبين البــدع التى مازجت العقــائد والمفاســد التى عرضت للسجايا والعوائد .

٢ — وتهــدى لعلاج هــذه الأمراض الروحية والأدواء الاجتماعية بكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة وتسهيل سبل التعاليم الناجعة .

٣ — وتختــار من الآثار العلميــة والأدبيــة والنــوادر الفكاهيــة ما ترتاح له النفوس وتنجلى على نزاهة الهموم والبؤوس .

٤ — أما جوانب الأخبــار وحوادث الاقطار والأمصار فنذكر منهــا اهم ما يعين ، سائقين منهج المؤرخ العادل من غير طعن ولا تحامل .

فالخدمة الصحيحة للدولة والأمة انما تكون بتبين الرشــد من الغى وتمييز الخطأ من الصواب والتزييل من النافع والضار .

المجلد الثالث (١٣١٧ — ١٩٠٠)

واصلت المنــار مهمتها بحماس وايمان شديدين ، فى مختلف المجالات وأولت اهتمامها للتربية فأفردت لها بابا واسعا تحــدثت فيــه عن تربية الاستقلال ومضار القهر والالزام ، وتحــدثت عن التربية وعلم الأخــلاق وعن التعليم فى الأزهر وعن الجمعيات الاسلامية التى بدأت تنمو فى مصر وخاصة الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد بدأت المنــار مواجهة الدعوات

الهدامة وخاصة البهائية ، كما جاء رد الشيخ محمد عبـــده على اتهامات هانوتو .

وفى هـــذا العـــام جرى العفو عن محمود سامى البارودى ، وتوفى عثمان باشا الغازى وظهرت الدعوة السنوسية وتحدثت عنها المنار .

وقد وضعت المنار على صدرها رمزا متمثلا فى الحديث الشريف :

« ان للاسلام صدوى ومنارا كمنار الطريق » .

وفى مجال الاصلاح الاسلامى تحدثت المنار عن دعوة الشيخ محمـــد عبـــده ومطالبه بوضـــع تقرير يشخص من أمراض الأمة الاسلامية كلهـــا ويصف دواءه ، وقد وعد الأســـتاذ بتأليف كتاب خاص فى هـــذا الغرض يسميه « الاســـلام والمسلمون » ولم تزل عوائد الزمان وصوارف البيئـــة والمكان تحول دون الشروع فيه ، كما اقترح السيد رشيد رضا عليه تأليف تفسير على الوجه الذى يقراه فى الأزهر يبين فيه أمراض الأمم الروحيـــة والاجتماعية ويرشده الى علاجها .

ومن أبرز معالم هذا العام بدأ نشر تفسير الشيخ محمد عبده الذى كان يقرأه فى الرواق العباسى بالأزهر مع مقدمة تمهيدية له .

وقد كان من أبرز أبحاثها فى هذا المجلد ما كتبه تحت عنوان : اعادة مجد الاسلام : تساءلت فيه كيف يعود للاسلام مجده .

المجلد الرابع (١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م)

فى العام الرابع للمنار واصلت المجلة رسالتها على النحو الذى رسمته منذ اعدادها الأولى وكان الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى هـــذا العام بارز الأثر فى حركة الاصلاح الاسلامى ومضى رشيد رضا على اهتمامه بالدولة العثمانية ونقدها نقدا خفيفا متصلا دون أن يكشـــف خصومته لها أو ولائه للاتحاديين الذين كان لهم فى القـــاهرة تجمع برأسه السيد رفيق العظم ، ومضى فى مهادنته للورد كرومر وفى نشر دروس التفسير التى يلقيها الامام فى الرواق العباسى ، وفى متابعة تامة للبدع والخرافات والتقاليـــد ومهاجمتها وفى العناية بالجماعات الاسلامية ، وقد اهتم المنار بالرد على مشروع التعليم باللغة العاميـــة الى عرضـــه القاضى ويلمور والذى شغل الصحافة طويلا .

وفى هذا العــام بدأت الحديث عن الصهيونية (يناير ١٩٠٢) حيث تكشفت بعض الوثائق عن الجمعية الصهيونية فى أوربا ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وعرف ان هــذه الجمعية بدأت منــذ عام ١٨٩٧ حيث عقد مؤتمر بال ، كما نشرت فى هذا العام فصول الكواكبى التى هاجم فيها السلطان عبد الحميد ، والتى لم تلبث أن توقفت عندما أجرى الخديوى الصلح مع السلطان فى سبتمبر عام ١٩٠١ ، وفى هــذا العــام أيضا توالت مؤلفات محمد طلعت حرب ومحمد فريد وجــدى فى الرد على قاسم أمين ووقف المنار فى صف قاسم أمين وأنشأ الزهراوى كتابه عن الفقه والتصوف ، وفى هذا العام أيضا نشرت رسالة القس اسحق طيلر الضافية عن الاسلام فى انجلترا ، وكان قد كتبها فى انجلترا (ابريل ١٨٨٨) .

وقال السيد رشيد رضا فى ختام العام : قبلة المنار الاصلاح الدينى واقامة القرآن ومذهب السنة وسيرة السلف الصالحين والأئمة المجتهدين وهو خصم الد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التى التصــقت بالدين وفى يقينــه أن الشرق لا يصلح الا بصــلاح المسلمين وان المسلمين لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح فى دينهم من غــير زيادة أو نقصان ومجاراة الأمم الحية فى دنياهم وأخذهم بجميع فنونها وعلومهــا وصنائعها ، فالاصلاح الدينى هو الذى ينفخ منهم روح الاتحاد الاجتماعى .

وركز على « فريضــة الدعوة الى الحق والأمر بالمعــروف والنهى عن المنكر » وأن يوفق أمراءنا وحكامنا للبذل والامداد واصلاح حال البــلاد وعلماءنا للهدى والرشاد وأغنياءنا للبذل والامداد وان يوفق الوالدين لتربية الأولاد وتنفخ فى الجميع روح الاجتماع والاتحاد .

المجلد الخامس (١٣٢٠ هـ — ١٩٠٢ م)

واصلت المنــار رسالتهــا فى عزم وقوة فوالت كتاباتها عن قضية المسلمين الكبرى : قضية ضعف المسلمين وأسبابه ، والاصلاح الاسلامى وعرضت لأمراء المسلمين واهمالهم الدين وأولت اهتمامها بالتربية الاسلامية وكشفت عيوب التعليم العصرى وفساده وحاولت أن تتحــدث عن بديل له تقدمه الجمعية الخيرية الاســلامية ، ولم تتوقف عن الحديث عن اصــلاح التعليم فى الأزهر ، وعارضت أفكار الصوفية وما يتعلق بالجن والخوارق والشــفاعة والقطب والــكرامات ، وهاجمت الفلسفة الالهيــة والمفاهيم

العقلية المنحرفة التى جاء بها الاعتزال والكلام ، ودافعت عن مفهوم السنة الجامعة الصحيحة ، كما عرضت لمقارنات الأديان فى باب متصل عن شبهات المسيحيين وحجج الاســلام ، كما تناولت الرد على الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الاسلام وكشفت فى فصول متعددة فضل المسلمين على الحضارة .

وكان أبرز موضوعاتهــا الرد على الاحتفــال بتذكار مرور مائة سنة على محمد على باشا فنشرت فصلا مطولا (بدون توقيع وان عرف ان كاتبه هو الشيخ محمد عبده) قال : محمد على لم يؤسس دينا ولم يكن امام مذهب فى دين ، وانما أسس ملكا عضــودا بسفك الدماء والقوة والحــروب . ان تأسيس محمد على حكومة فى بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالها اياها . فان محاربة الدولة العثمانية كانت مصدرا لاظهار ضعفها للبرية ، ومحاربة الوهابيين وخضــد شوكتها وابطــال امتداد دعوتهم . كانت دولة محمــد على دولة ظالمــة منذ أسست الى أن تولى الأوربيون السيطرة عليها فكان الظلم مصدرا لزوالها وقد زالت دولة المماليك الظالمة الغاشمة . هذا النظام كان مقدمة وتمهيدا لدخول مدنيـــة أوربا الى أوربا ونشر مدنيتهم والقاء سيطرتهم عليها بالاحتــلال الانجليزى والخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واظهــار ضعفها . والخواص يعلمون أن الوهابيين كانوا قائمين باصلاح اسلامى لو تم لعاد للاسلام مجده الأول والذين وسوسوا لمحمــد على بمحاربتهم هم الأوربيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها ، أما ما شاع فى بلاد الشام والحجاز أن الوهابيين خارجون عن السنة وملحقون بأهــل البدعة فسبب بعض المصنفات التى لفقها العلماء الرســميون المضـــانون للحكام ، وقد كتب أربعة من الأعلام مقالات فى أول العام الهجرى ١٣٢٠ عن مستقبل الاسلام : فريد وجدى ، رشيد رضا ، محمد عبده ، أحمد توفيق البكرى . ودخلت المنار فى هــذا العام فى مساجلات مع صاحب الجامعــة ، مع الكاتب الفرنسى رينـــان ، مع هانوتو .

وفى هذا المجلد تناول صاحب المنار الترجمــة للكواكبى ومحمد على الكبير .

المجلد السادس (١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م)

وفى العام السادس كانت ابرز الأحـداث زيارة الشيخ محمد عبده لأوربا والجزائر وتونس ونصيحته لأهلهـا كما توغلت الأبحـاث فى كشف حلقات التغريب والغزو الثقافى فى ميادين ثلاثة :

أولا : دراسـات عن بولس وتغييره دين المسيحية نقـلا عن كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ، وعن النصرانية وزلزالها فى أوربا .

ثانيا : بحوث فى نقـد التوراة .

ثالثا : بحوث عن البهائية والبابية بفارس .

رابعا : الماسونية واليهود .

كما اتسعت الأبحاث حول صلة العرب بالدولة العثمانية : والعرب والخلافة وسكك حديد الحجاز والخلافة والسلطان والعرب والدولة .

كمابدأ رشيد رضا فى التنبه الى ما فى روايات جرجى زيدان من اخطار ونقد روايتى فتاة غسان وفتح الأندلس .

وقد أشار السيد رشيد رضـا فى افتتاحية العـام الى ما أسماه : انتقال من طور الحذر والسـبات الى طور الحيرة والشـتات . والحيرة والشتات خير من خدر الحواس وفقد الاحساس لأنها من علامات الحياة . فقـد ذهب قوم الى أن وقاية المسلمين من الخطـر انما تكون بالاعتمـاد على الأمراء والسلاطين والاستماتة فى الخضـوع لهم وتقـديس سلطتهم وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التى تطامح بها تلك القوى . وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة بدون مشاورتها قرونا طويلة ، فما كان منهم الا ان اوقعوها فى هـذا الضعف والهوان والفقر والخزلان والجهل بأمر الدنيـا والدين . وواجب على الأمـة مقاومة استبدادهم ، ومقاومة استعبادهم والزامهم المشـاورة فى الأمر وتقييد السلطة فى الحكم (والمعتقد أن هذا الكلام موجه الى الدولة العثمانية) .

يقول وقد أنشىء المنـار لمساعدة العقلاء على السعى فى تكوين الأمة عن طريق التربية الملية والتعليم النافع وقد ركزنا الحث على التربية والتعليم ويجب على العلماء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم الى تكوين الأمة ويجتهدوا

فى ذلك قولا وعملا . لهذا كان الاصلاح الدينى شرطا فى الاصــلاح المدنى أو شرطا منه فى وضــع الاســلام ، ومن مقدمات الاصلاح احياء اللغــة اذ لا أمة بدون لغة حية ومنها ازالة حجب الغرور عن حقــائق الأمور ، ويقول : ان المنار قد جاء بمشرب جديد يستعذبه الأقلون ويمجه الكثيرون ، أولئك هم أسرى التقليد .

المجلد السابع (١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤ م)

والى المنار اهتمامه بأخبار العــالم الاسلامى واتسع بريده فى عرض قضايا المسلمين فى أجزاء كثيرة من العالم فضــلا عن أخبــار بلاد العرب ونجد والسودان والدولة العثمانية ، فان هناك رسائل متصلة عن مراكش وسيراليون وفارس وزنجبار والهند وفارس والعراق والحــرب الروسية اليابانية والقوقاز واليمن .

ووالت اهتمامها بالدعوات الهدامة فقدمت أبحاثا مطولة عن البابيــة فى فارس وكشفت شبهات التبشير فعرضت لكتاب (تنوير الافهام فى مصادر الاســلام) وتحدثت عن الاصــلاح فى فارس . وعن الامتيازات الأجنبية والأسطول الثــانى وعن الدروز وعقيدتهم وعن شريف مكة وعن فرنســا والأزهر حيث نقلت مقالا كتبه أحد الفرنسيين وردت عليه وأولت اهتمامها بالدولة العثمانيــة كما ركزت على الاصــلاح الاسلامى وخاصة فى مصر وفى شأن التعليم والتربية الاسلامية وشئون الأزهر والقضــاء الشرعى . ولم تتوقف عن معارضة مفاهيم الطرق الصــوفية ، ومفاهيم أهل الــكلام فى نفس الوقت فى محاولة لتقديم مفهوم أهل السنة والجماعة صحيحا .

وتحدثت المنار عن علماء العصر ، والدين والسياسة .

وتحدثت عن أحداث نجد وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، واعلان عبد العزيز آل سعود الولاء لدولة السلطان عبد الحميد الثانى ، ودعوته لاقراره على امارة نجد الموروثة له والا تقبل الدولة العلية فى بلاد العرب ما يزعزع ثقتهم فيها واذا وثق بها أهل نجد سهل عليها حل عقــدة اليمن كذا عقدة الكويت ، وقد وضح اهتمام المنــار بانتصار ابن ســعود وتأييده له ودعوة الخليفة لقبول ولايته ، كما أولت اهتمامها بالفتــاوى ، فقدمت الردود التى كتبهــا الشيخ محمــد عبــده عن الأسئلة الباريسية والزنجبارية والهندية ، وكانت الفتوى الترنسفالية فى حل ذبيحة النصارى

في تلك البلاد ، وحل لبس القلنسوة الافرنجية لحاجة أو ضرورة ، وكيف تحل صلاة الشافعي خلف الحنفي ، وعرض لتراجم المتوفين في هذه الفترة والقضايا المثارة حول الشخصيات البارزة أمثال قضية على يوسف ، واستعراض عباس لجيش الاحتلال والى جواره كرومر ، واقتراض سلطان مراكش من فرنسا واقامة جوقة من المطربين والمطربات ، كما أشار الى الوفاق الودى الذى عقد بين بريطانيا وفرنسا وقال ان الوفاق قضى فيه على مصر بسوء سياسة الأمراء الحاكمين الذين استبدوا فى الأمة واذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصى والقومى ثم سلطوا عليها أوربا واعطوها من الامتيازات . وعرض المنار لعديد من الكتب الاسلامية الجديدة وكتب التراث والصحف وكشف أخطاء جرجى زيدان فى كتابه (تاريخ التمدن الاسلامى) وكشف عن اهتمام شاهين مكاريوس بكتابه تاريخ اليهود وتاريخ الماسونية العميلة ، ومما يذكر أن جرجى زيدان لم يلبث أن كتب عن الماسونية ايضا . وتحدثت المنار عن نمو الجمعية الخيرية حيث بلغت ايراداتها ١٣٣١ جنيها بالاضافة الى ١٢٢٣ جنيها من ريع الأطيان (٢٨٠ فدانا) وانفق على التعليم ٢٤٥٩ جنيها ، واعانة الفقراء ٣٧٣ جنيها .

وفى فاتحة المنار أشار السيد رشيد رضا أنه أنشىء لخدمة الأمة والدفاع عن الملة . وقال : انتشر المنار فى جميع الأقطار ولا يزال انتشاره فى نمو مستمر من غير سعى ولا دعوة تذكر وبدا لنا من الناس ما علمنا به علم تجربة واختيار أنه لا ينبغى ان يوثق بكلام أحد فى أمور الجد والأعمال العامة التى لاحظ فيها أهواء الأفراد الا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ما هم . وقال : ان من يريد أن يحترم دين الله وعيال الله أن لا يعتمد فى نجاح عمله الا على تحرى الحق والخير والعلم بحاجة الامة الى خدمته .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لثلاثة : على يوسف ، ومحمد شاكر ، وحسين الجسر .

المجلد الثامن (١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م)

واصل المنار رسالته فى تحرير العقيدة الاسلامية من التحريف وذلك بكشف الفرق المنحرفة أمثال البابية والبهائية ومعارضة البدع التى تقوم بها الطرق الصوفية وخاصة فيما يتعلق بالتأويل والخرافات

وتحدث عن مشايخ الطرق ، وعلماء الرسوم ومذهب السلف ، كما تحدث عن ذم الخوض فى علم الكلام ، كما أولى اهتمامه بالتعـــليم الاســـلامى ، وتعليم اللغـــات .

وكتب عددا من الفصول عن كشف زيف دعاوى التبشـــير المسيحى فى مواجهة مفاهيم الاسلام وتصدى الدكتور محمد توفيق صدقى لمقارنات الأديان فى فصول تحت عنوان (الدين فى نظر العقل الصحيح) وتداول ٤٠ شاهدا من الكتاب المقدس على تناقضه واختلافه (ص ٧٤٣) كما عرض للشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية بمناسبة كتاب على بك أبو الفتوح الذى قال ما أجـــدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعـــة مع اختيار القول الأكبر مناسبة للزمان والمكان وأشــــار الى كتاب الخراج للامام أبى يوسف المتوفى عام ١٨٢ ، ومن أكبر أحداث هـــذا العـــام وفاة الشيخ محمد عبده (مايو ١٩٠٥) وكان هذا الحدث هاما بالنسبة للمنـــار التى قدمت أبحاث متعددة عن الشيخ المفتى الذى كان قد استقال قبـــل وقت قريب من المجلس الأعلى للأزهر بعد (يأسه من الاصـــلاح وادخال العـــلوم الحديثـــة) ، وذكرت الصحف أن النفوذين الفرنسى والانجليزى يعاديان الامام فى الاصلاح ، وكان الشيخ محمـــد عبده قد حاول اصـــلاح التعليم فى الأزهر وقد قرأ فيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز كما قرأ شرح التلخيص للشيخ البرقوقى . وقد أشار المنار الى :

١ — التفسير والأستاذ الامام .

٢ — الامام والثورة العرابيـــة .

٣ — جمعية احياء العلوم العربية التى أنشأها الشيخ محمد عبده .

٤ — الانجليز والشيخ محمد عبده .

واهتم المنار فى هذا العام بانتشار الدعوة الاسلامية فى العالم وخاصة فى الصين واليابان .

واهتم بمذهب السلف ورد على أخطاء الفرق وتحدث عن علم الكلام ، وتحدث عن أعداء الامام فى الأزهر كالشيخ عليش ، وغيرهم ممن أسماهم المنار علماء الرسوم ، كما عرضت لعدد من المؤلفات الجديدة .

ترجم صاحب المنـــار فى هـــذا المجـــلد للشيخ محمد عبـــده ، وعلى أبو الفتوح .

وفى افتتاحية المجلد الثامن يتحدث الشيخ رشيد رضا حيث قال :

انه ما وقع تغيير الا بدعوة ، وان دعاة الخير والاصلاح فى كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة مضطهدين من رؤساء الأمة ، أولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام أبى حنيفة حتى مات فى السجن وجلدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة واضطروا الامام الشافعى الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ووطئوا الامام احمد بالنعال وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى حتى تم لهم بطول الزمان افساد الدين والدنيا .

وقال : ان انتقال الأمم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ولا يأتى باختيار الأمراء والسلاطين ، وانما يكون بتغيير أفراد الأمة ما بأنفسهم من الأفكار والعقائد والأخلاق والسجايا .

فاذا غير المسلمون ما بأنفسهم بالتدريج يغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة وسيادة العدل والفضيلة ولن يغير ما هم الآن فيه الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه وشرطه قلع جرائيم التقليد واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب وأساسه جمع كلمة الأمة وتحقيق معنى الوحدة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن أنس صلح أول هذه الأمة بهدى كتاب الله وسنة نبيه ، وهداهم ذلك الى كل اصلاح صورى ومعنوى .

قطع الآمال من السياسة والسياسيين وترك الاتصال بالرؤساء والحاكمين والانخداع لأنصارهم وأشياعهم لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس الى الهزل بارضاء الحس فانهم طلاب مال وجاه وطلاب رتبة ووسام وأصحاب اوهام .

أدعوكم الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين .

وأشار الى ما كان قبل صدور المنار من حيث كانت الصحف تطعن فى القرآن وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية ترد شبهات الطاعنين وتؤيد العقائد بالحجج وتبين حكم الأحكام وانطباقها على مصالح البشر فى كل زمان ومكان حتى اذا أنشىء المنار نقم منه المتجرون بالدين ونقده المبتدعون وهاج عليه أصحاب المذاهب المبغضون لأنه يقول ان الوهابية السلفية والأشاعرة والماتريدين والشيعة والاباضية كلهم

مسلمون وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه مختلفون
ان الدين من حاجات البشر الطبيعية وقوة من أعظم قواتهم المعنوية .
ان الاعتقاد في الأمة قوة لا تغالب .

وأشار الى ما ذكرته المؤيد عن المنار : أمضى سنوات هذه المجلة مثابرا على الخدمة الملية الصحيحة محاربا البدع المضللة ، يبارز المبتدعين غير هياب ويعتمد في أبحاثه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على أذواق الذين يخلطون الدين بغيره ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله .

الفصل الثانى

المنـــار : الى الحرب العالمية الأولى

بعــد وفاة الأستاذ الامام مضى المنـــار فى طريقه حاملا لواء رسالة الاصلاح كما بداها الشيخ محمد عبده وعلى هدى من الخطة الجامعة بينه وبين جمال الدين الأفغانى ، وقد صمد السيد رشيد فى هذا المجال صمودا قويا وواصل اتمام التفسير والفتوى ومواجهـــة أحداث العـــالم الاسلامى وقضاياه والكشف عن سموم التبشير والتغريب والغزو الثقـــافى على نحو قوى ، وحاول الاستفادة من الدولة العثمانية لتحقيق هدفه فى بناء مدرسة الارشاد وتخريج الدعاة بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام الاتحاديين ولكنه ما لبث أن اكتشف عداء الاتحاديين للاسلام فهاجمهم هجوما عنيفـــا وقصر عمله على مصر وان ظلت أجنحته ممتدة بالدعوة والارشاد من جاوة الى المغرب فى قوة واتصال .

المجلد التاســـع (١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م)

توســـع اهتمام المنار بتصحيح العقيـــدة وبيان مذهب اهـــل السنة والجماعة بمراجعـــات واســـعة مع كل الفرق والآراء ومهاجمـــة الطـــرق وتقاليدها ، والكشف عن الفوارق بين المقـــلدين والمصلحين فى تصحيـــح العقيـــدة ومناقشة الشـــيخ محمـــد بخيت عن نظـــرياته فى الفونغـــراف والسكورتاه .

ومتابعة تاريخ الأستاذ الامام ونشر ما ذكره كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ عن حزب الشيخ محمد عبده والأمل المعقود عليه .

ويواصـــل رسالته فى التربيـــة الاسلامية والعناية باللغـــة العربية ومهاجمة الفكر الوافد والاستشراق والتبشير ، وبدع المتصوفة وفرق البابية والبهائية ويطلق عليها اسم (الباطنية) كما يتعرض للكتب القديمـــة ناقدا اياها . ويتحدث عن الاسلام فى العالم وانتشاره فى اليابان والصين وموقف الغرب من العـــالم الاســـلامى ومن الدولة العثمانية ، وقد عرض لكتاب مرجليوت عن النبى صلى الله عليـــه وسلم وينقد ما جاء فى هـــذا الكتاب ويعنى باتباع حزب الاصـــلاح فيهتم بتولى سعد زغلول وزيرا للمعـــارف

كما نقد ادريس راغب من سروات المصريين الذى اعترض على تعليم الدين فى المدارس ، والمعروف أن ادريس راغب هو رئيس المحفل الماسونى فى القاهرة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : للشيخ محمد بخيت ، سعد زغلول ، احمد خان الهندى .

* * *

وقد تحدثت افتتاحية السنة التاسعة من المنار عن أحوال المسلمين فقال :

ان المسلمين امسوا كالريش فى مهب الحوادث وكالغثاء فى مجرى سيول الكوارث لا رأى لخواصهم فيما يراد منهم ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب فى تصرف حكامنا فى سياستنا ويد فى تصريف اموالنا فى مصلحتهم دون مصلحتنا ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافى آداب ملتنا وتوقع فى العقول عقائد وافكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شىء بقى فى أيدينا من شؤون امتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقى له أذن تسمع وعين تبصر وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل فى هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة وثبات فيما تحاول من كشف الغمة . انه لم تستيقظ أمة من نومها ولم تبعث دولة من موتها الا بصيحة نفر من أولى الألباب وتستعفى العقول والآداب الذين يغير الله ما فى نفوس أقوامهم بما يلقيه من الحكمة فى ذلاقة السنتهم ونفثات أقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام والاتفاق بالشقاق والوحدة بالفرقة ، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة ويعملون بالتعاون فيكونوا أمة : ((**سنة الله التى قد خلت من قبل وخسر هنالك الكافرون**)) وما (المنار) الا صحيفة انشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الاصلاح معها ومن يدعو اليه معها ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة ، ويحيون للأمة ويموتون فى سبيل الأمة ، مهتدين بهدى كتاب الله المتين وسنة خاتم النبيين والمرسلين الذين هما ينبوع الهداية واتباعهما عنوان السعادة .

ويقول : القرآن حجة على شعوب المسلمين فى هذا العصر بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر الذى جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ويأخذ الأمم والدول اياهم اخذا وبيلا ((**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**)) .

نعم : ان المؤمن يبتلى ويفتن ، ولكنه لا يهن ولا يحزن ، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** » .

نعق ناعقون بأنه لا نجاة لكم الا بفناء ارادتكم فى ارادة حكامهم ، ولا يتغير ما فى أنفسكم من أوهام وخرافات ، وصاح خطيب فقيه الوطنية أنه لا حياة لكم بالرابطة الملية لأنها ممقوتة فى نظر أهل المدنية الغربية الذين سادوا بترك العصبية الدينية. انهم لا يغون بدعوةالوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى : أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وأخذنا الأجانب من ناحية سلطتهم أخذا وبيلا فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم مثيلا . لا سبيل اليه الا باتباع هدايته والسير على سنته فى خليفته، عليكم أن تجيبوا داعى الله وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله لاعلاء كلمة الله ومواساة عياله واتقى أسباب الفتن والمحن والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

واستطرد صاحب المنار يقول : هداية القرآن : الذى دعا الى جميع الأصول التى فيها سعادة الانسان فجعل البرهان العقلى أساس العقائد أمام بناء الآداب والأحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشئون البشر الاجتماعية من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، وأثبت أن الدين القيم الذى جاء به الاسلام هو اقامة سنن فطرته التى فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية واصلاح النفوس بالأخلاق المرضية .

أما حزب الشيطان وأنصار الظلم والعدوان فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن هى اجتهاد أقفل بابه فى هذا الزمان والداعى اليها عدو مبين لأهل الايمان . ومن هؤلاء من يلقى تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام على عواتق أهل السلطة المستغلين على الأحكام ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين وأنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين . يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة ملية ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيوا حياة وطنية فلا حياة لهم . واذا لم يعتنقوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم . ولم نر دعوة أنكرها الرؤساء

الرسميون والأمراء المستبدون الا دعوة هـذه الأمة الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار وآزوا الأهل والأنصار .

المجلد العاشر (١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م)

يتميز هذا العام العاشر من عمر مجلة منار الاسـلام بأحداث هامة منها استقالة اللورد كرومر وتوسـع في عرض صفحات مجهولة من تاريخ حزب الاصلاح وخاصة ما يتعلق بتاريخ الجامعة الاسلامية ودور جمال الدين ومحمد عبده فيها وكتاب التاريخ السرى للاحتلال الذى الفه بلنت .

وواضح الاهتمام بأصدقاء الشيخ محمد عبده : حافظ ، وسعد زغلول ، ومعارضة مصطفى كامل واللواء ، والخـلاف بين المنار واللواء والاهتمام باللغـة العربية ونادى دار العـلوم حيث ظهرت دعوة العامية وقاومها الدرعميون والقيت أبحاث هامة لأحمد السكندرى ، والشيخ محمد الخضرى وقصيدة حافظ ابراهيم : رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ، كما تناول قضية التعريب والترجمة ، كما أولى اهتمامه بمقارنات الأديان ، وقد ترجم هـذا العام انجيل برنابا الذى طبعه المنار وقدم له السيد رشيد رضـا وتحدث عن قضايا أهل الكتاب ، وتناول الحديث قضايا اجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، منهـا الربا وودائع البنوك ، وقد توسـع فيها ، والاصلاح الاجتماعى والبغاء ، وقدم المنار كتابا عن البغـاء فى مصر الفـه الدكتور بورفاليس باللغة الفرنسـية وترجمه داود بركات وحديث عن مراقبـة العاهرات وعدد المصابين) . وأولى اهتمامه بالسلطان عبد الحميد والشاه ناصر الدين شاه الفرس ، هذا فى الجانب السياسى ، أما فى جانب العقيدة الاسلامية فقد مضى فى طريقه الى تأصيلها والى الدعوة لمذهب أهل السنة والجماعة فكتب فصولا مطولة عن الامام الغزالى ، والخلاف بين معاوية وعلى ، وتناول مذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية .

وتناول الاصلاح الدينى واصلاح الأزهر وتاريخ أول مصحف طبع ، وتناول التربية الدينيـة فى مصر وزيارة اسماعيل صبرنسكى لمصر ودعوته الى الجامعة الاسلامية وقدم شـهادات لكتاب الغرب عن عظمة الاسـلام منها شهادة مسـيو وامبرى ، وقد احتفل فى هذا العام بمرور عقد (عشر سنوات) على ظهور المنار وما لاقاه رشيد رضا من الصعوبات فى نصرة الحق .

وقد افتتح المجلد العاشر بافتتاحية أشار فيها الى عمل المنار وخطته :

١ — تربية البنات والبنين .

٢ — اصلاح كتب العلم وطريقة التعلم .

٣ — شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الأعمال المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتعلق بالخرافات صلاحا واختبال العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الأعمى علما واتقانا .

٤ — درء الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض مزاعم من زعم انها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية .

٥ — اقناع ارباب النحل المتباينة بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان .

وقد استهل حديثه بهذه العبارات :

ايها الشرقى المستغرق فى منامة قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى العالم الجديد فقد بدلت الأرض غير الأرض واستولى اخوك الغربى المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار واوقدهما البخار واستخرج الكهرباء والنور واخترق الجبال واختبر أعماق البحار . ويقول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضتان فى الدين حافظتان لجميع الفرائض ومرغبتان فى جميع الفضائل وتركهما معصيتان كبيرتان مسهلتان للفسوق والعصيان .

وواضح من خطوات المنار :

١ — خلاف حزب الشيخ محمد عبده والمنار مع الحزب الوطنى ومصطفى كامل .

٢ — مدحه لكرومر وللطفى السيد وسعد زغلول باعتبارهما من مدرسة سعد زغلول .

٣ — متابعة رشيد رضا لنقد الأناجيل ونشر لباب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ونشر فصول من انجيل برنابا .

٤ — اولى اهتماما كبيرا لموقف دار العلوم من اللغة العربية والحرب المشنونة عليها عام ١٩٠٧ وقد تبين بعد إنشاء نادى دار العلوم أن المهمة

الأولى هى خدمة اللغة العربية ، ومراجعة مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية ، هل تعرب تعريبا أم تؤخذ بالترجمة وقد نشر خطابين للشيخ محمد الخضرى (الذى طالب بانشاء مجمع اللغة العربية) وخطاب للأستاذ أحمد السكندرى .

٥ — الانتقاد على فريد وجدى فى كتابه (كنز العلوم واللغة) .

٦ — وجه عناية الى قضايا المجتمع فى ضوء الاسلام وخاصة بالنسبة لعمل المرأة فى التمثيل .

ترجم صاحب المنار فى هذا العدد للشخصيات الآتية :

حسين عبد الرازق ، كرومر ، سعد زغلول ، بلنت .

المجلد الحادى عشر (١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م)

فى هذا العام من المنار بدأ الشيخ رشيد رضا يتألق بقوة ، فقد استطاع أن يتخلص من المواصفات الخاصة التى كانت تحد من صراحته وجرأته واعلان كلمة الحق بعد أن توفى الشيخ محمد عبده وأخرج كرومر وعزل السلطان عبد الحميد ، فقد بدأت أوراق كثيرة كانت مدخورة ، تتكشف عن حقائق كثيرة مرت فى السنوات الماضية ولكنها عرضت فى تحفظ شديد ، وأهم ما فى ذلك موقفه من مفهوم أهل السنة والجماعة الذى حرره بعيدا عن الفلسفة والكلام والاعتزال والمنطق ورجع به الى أصوله الحقيقية التى عرفها الأئمة الغزالى وابن تيميه وابن القيم ومن تابعوا طريقهم .

وقد أولى اهتمامه بخمس قضايا أساسية :

الأولى : الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من كتاب العرب وفى مقدمتهم كانياتى وجرجى زيدان الذى واصلت المنار الرد على أخطائه وتجاوزاته فى مختلف كتبه عن التمدن الاسلامى والأدب العربى .

الثانية : الرد على شبلى شميل ومفاهيم المادية .

الثالثة : عرض أعمال حركة الاتحاديين فى الدولة العثمانية وآماله فى الالتقاء بين العرب والترك واهتمامه بصدور الدستور العثمانى .

الرابعة : الرد على كرومر فى كتابه الذى نشره بعد سفره من مصر تحت اسم مصر الحديثة وقد عاود الشيخ رشيد رضا مراجعة مختلف القضايا

الخاصة بموقف النفوذ البريطانى وكرومر من الاسلام وخاصة فيما سبق النظر فيه على نحو من التحفظ لوجوده فى مصر اذ ذاك ممثلا للسلطة البريطانية التى كانوا يطلقون عليها السلطة الفعلية .

الخامسة : متابعة أبحاثه فى كشف الباطنية (البهائية والبابية) كما يتابع دراسته حول أخطاء الطرق الصوفية (النقشبندية والرفاعية) .

السادسة : اهتمامه باللغة العربية والدراسات المتصلة التى قدمها فتحى زغلوم وحفنى ناصف فى مواجهة الحملة المركزة التى قام بها خصوم الاسلام ، كما تناول فى أبحاث أخرى العربية وانتشارها .

السابعة : عرض ما كتبه بعض علماء الغرب عن الاسلام ، وقد عرض بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر افريقية الشمالية عن الاسلام والمدنية .

الثامنة : عرض قضايا الاسلام المتصلة بالمجتمع والحياة العامة وخاصة ما يتعلق بالربا والقرآن والعلم ، ومبادىء الاقتصاد السياسى والدعوة الى علم تدبير الثروة ، كما عرض الدكتور محمد توفيق صدقى للآيات العلمية فى القرآن (الرياح والجبال والثمرات والليل والنهار) .

التاسعة : واصل دراسة آثار الشيخ محمد عبده وتلاميذه ومواقفه وصلته بجمال الدين الأفغانى .

العاشرة : متابعة نقد الشبهات المثارة حول الكتب القديمة المقدسة ، كما كتب مقدمة لانجيل برنابا الذى اكتشفه وأعاد طبعه بالعربية ، وفى هذا العام تحدث عن المسلمون والقبط بمناسبة مؤتمر الأقباط ومؤتمر المصريين ورد الشبهات التى يرددها الافرنج على بعض آيات القرآن والعلم ، وقد قدم الدكتور محمد توفيق صدقى فصولا متوالية عن قضايا مثارة فى القرآن والكتب المقدسة ، منها : ذو القرنين ، والسامرى والعجل ، وميراث بنى اسرائيل ، وموت سليمان ، ويفسر آيات عدم صلب المسيح ، وهامان وزير فرعون ، وأموال قارون ، والبعث الجسمانى .

ويعد العام الحادى عشر أخطر سنوات المنار فقد برز فيه مفهوم حزب الاصلاح فى مهاجمته السياسة للحزب الوطنى ، وللاتحادين فى تركيا ، ومهاجمة الخرافات والدجاجلة والمقلدون والانطلاق تحت لواء السنة والتنزيل على حد تعبير رشيد رضا :

« لا خوف على الحق الا مع الاستبداد ، بمنع حرية العلم والارشاد »

وقال لا تخاف على دعوة الاصلاح فى هذه البلاد — يقصد مصر .

وقال : ان للاسلام ثلاث مراتب أو مظاهر (١) التقليد : وعليه أكثر المسلمين المعتقدين (٢) البصيرة : وعليها نفر من العلماء المتخصصين (٣) والجنسية : التى تشمل المارقين من المتفرنجين ، ويقول : ان المتفرنجين يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية وشبه العلوم والفنون العصرية ويحلون جنسهم الاسلام بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وقال ان مصارعة الجنسية الوطنية للجنسية الاسلامية : مجهولة العواقب ويقول : لا تغرنكم حوامل المدنية ولا تفتنكم سلطة الأمم الأوربية وان الفساد قد طرأ على جسم هذه الأمة منذ زمن بعيد فهو يحتاج الى تكوين جديد « ومن المبشرات أن نرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا التكوين ولكن اختلفت فيه الآراء وعبثت به الأهواء . الى أن ينهض زعيم من الأمة يدعو المنار الى اقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفتح باب المناظرة التى تعلم كل واحد من المناظرين ما لم يكن يعلم ، وقطع السنة أهل الدعوى والمعتنقين للهوى من غير بينة فيما يقولون ، ودعا الى انتقاد المنار بتحرى الحق والارشاد فى كل ما يكتب ، ويعتقد اننا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد فى تحرى الاصابة ، وغرضنا من الانتقاد تكميل انفسنا ومساعدتنا على ما نتوخاه من الارشاد .

وقد توفى الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى فى هذا العام ونعاه رشيد رضا وحياه بتقدير بالغ بالرغم من خلافهما السياسى والثقافى وأشار الى « أن دعوته كانت موجهة لجعل الوطنية جنسية للمسلمين فأنكرتها فى المنار بالبرهان البين وأكثرت من الكتابة فيها ، وقال كما انتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب أن فى مصر من يسعى لها سعيها وبينت وجه الضرر فكبر ذلك عليه وقطع المبادلة الصحفية » .

وفى خاتمة المنار عرض السيد رشيد رضا الى خطة العمل خلال العام الحادى عشر من المنار فقال . انها خير سنة مرت بنا نعدها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، كيف لا وهى سنة حكومة الشورى والدستور ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ويعلق على الدعوة المثارة الى اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل فيقول : المقلدون للفقهاء وهم السواد الأعظم وفقهاء

المذاهب الأربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل والثانى المتبعون للدليل .: ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثنى الذى يعترف المنتقد بأنه على خط نصب التماثيل ، ويقول : ان كثيرا من الأصنام التى عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها الى الله ، وتطلب منها الحاجات فسد الدين هذا الباب سدا محكما .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، خير الدين التونسى ، فتحى زغلول ، حفنى ناصف ، سليم البشرى ، قاسم أمين .

م ١٢ (١٣٢٧ هـ — ١٩٠٩ م)

فى هذا العام يقع أعظم حدث فى تاريخ المنطقة وهو اسقاط السلطان عبد الحميد ، ويولى المنار الاهتمام البالغ لهذا الأمرويظهر فرحته الشديدة ، ويكشف عن تاريخ طويل كان بداية فى السنوات الماضية حينما كان يتحدث عن الاستبداد وسلطان الملوك والحكام وكان يقصد به السلطان عبد الحميد، وتتابع المنار وقائع الأحداث بتوسع كبير فالمعروف أن السيد رشيد رضا من اقليم الشام الذى كان له خلاف عميق مع الدولة العثمانية لن ينتهى بسقوط عبد الحميد بل ربما يكون قد بدا فى عهد الاتحاديين الذين خدعوا صاحب المنار كما خدعوا كثيرين بمظهرهم فى أول الأمر ، ولذلك فقد سارع السيد رشيد رضا بالسفر الى الأستانة لبحث أمور الدعوة الاسلامية والتعرف على وجهة الاتحاديين وكان هدفه من ذلك التقريب بين العرب والترك وانشاء مدرسة الارشاد الاسلامية العليا لتخريج دعاة اسلاميين ليبشرون فى البلاد الاسلامية وقد جابله الاتحاديون دون ان يحققوا له أى هدف ولم يكشفوا عن أوراقهم ولا أهدافهم التى تكشفها الأيام من بعد .

وفى هذا المجلد دراسات وافرة عن الاتحاد والترقى ، والعرب والترك ، وعن السلطان عبد الحميد ، وعن آل عثمان وملكهم ، والولايات العثمانية واستقلالها والانقلاب العثمانى وصداه فى الصحف الهندية وغيرها، وعشرات الموضوعات حول هذا الشأن وعن السلطان محمد رشاد خليفة المسلمين الجديد وشريف مكة وشيخ الاسلام ، والعرب والعثمانيون واللغة العربية مما ينتفع به أى دارس لهذه المرحلة .

ولم يمنع هذا من استمرار المنار فى أبوابها العامة وموضوعاتها التى سبق أن طرقتها وواصلت دراســــتها وخاصة ما يتعلق بمقارنات الأديان وأهل الكتاب ، وما يتعلق بالباطنية والمتصوفة ، وبالتعصـــب الدينى عند الافرنج وعن أوربا والاسلام وعن الدعوة الى الاصلاح الاسلامى وما يتصل بالقرآن واللغة العربية والتعليم والتربية الاســـلامية وأدب المرأة وكتابات باحثة البادية ، وعرض بعض كتب التراث الاسلامى المجدد وخاصة ما يتعلق بالتوحيد وتحرير المفهوم الاسلامى على النحو الذى يؤمن به أهل الســنة والجماعة ، كما عرض للتبشير ومدارســـه وللمدرســـة الكلية الأمريكية فى بيروت ومدارس النصارى ،

وواصل دراسته للامام الغزالى وكتب عن ابن تيمية والشـــافعى ، وقضية النسخ فى القرآن ، وفتاوى ابن تيمية ، كما عرض لسندات البنوك وموقف الاسلام منها ، وموقف الاسلام عن نظرية دارون وقدم دراســـات عن شخصيات مختلفة منها حسين الجسر بمناسبة وفاته ، والأستاذ الامام وسليم البشرى شيخ الأزهر وشبلى شميل ومحمود شوكت قائد الانقلاب .

وأصبح المنار يولى اهتماما بموقف اليهود من البلاد الاسلامية والقضايا التاريخية وقد كتب عن رحلة القسطنطلية فصولا اضافية اشار فيها الى أن رحلته كانت « من أجل أمرين عظيمين احدهما وهو اجلهما خـــــدمة الدين الاسلامى وتجميع المســـــلمين ، وثانيهما خدمة للدولة العليه من حيث هى حكومة الدستور القائم على العدل والمســـاواة ولعنصرى الأمة العثمانيين الكبيرين : أما الأول فهو انشاء معهد دينى علمى فى العاصمة العثمانية للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامى ومن منافع المعهد الاسلامى تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها منبعـــا للاســـلام وكعبة معنوية لطـــلاب علومه وآدابه وتخريج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحـــو الذى كان يدفع به محمد عبده مثل رنان وهانوتو وتخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للامة . ليس الغرض ان تكون الحـــكومة العثمانية هى التى تنشىء المعهد الاسلامى فان الحكومات تعجز ، وانما الغرض أن يقوم بهذا العمل جمعية من محبى الاصلاح العلماء الصلحاء . عرضت المشروع على رئيس حكومتها الصدر الأعظم حسن حلمى ، ومنهم محمود شوكت وأعضاء

مجلس الأمة واشهر رجال جمعية الاتحاد والترقى فكلهم اظهروا الاعجاب به والاعتراف بفوائده ».

اما الأمر الآخر « فهو ازالة سوء التفاهم بين عنصرى الدولة ، الأكبرين : العـرب والترك . وقد شرحت هـذا فى مقال مطول نشرته جريدة اقـدام فصادف استحسانا والمشهور عندنا عن ساسة الترك أنهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية فى جزيرتهم وأن هـذا الخوف قديم وقد قدمت الادلة على كذب هذا الادعاء ».

« ان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معى على وجوب تدارك ما قوى الان من سوء التفاهم ولما جئت الأستانة رأيت كثيرا من عقـلاء الترك يميلون الى هذا . وبلغ من سوء ظن بعض ساسـة الترك بالعرب ما اشرنا اليه ولاسيما مسالة الشام ، بلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لى أكثر من واحد من اذكيائهم ، وأهل الرأى منهم بمصر والأستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقى لا يقدرون مشروعيك الاصلاحيين حق قدرهما ولا يعرفون فيه اخلاصك لانك عربى » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : رفيق العظم ، حسـين أبجسر ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشرى .

م ١٣ (١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م)

تابع السيد رشيد رضا فى هذا المجلد خطته الاصلاحية فى مجالاتهـا المختلفة فأولى اهتمامه للقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعيه فى الوطن الاسلامى كله وسافر خلال هذا العام الى القسطنطينية ليكتشف الحكومة الاتحادية التى تولت شئون السلطة بعد عزل السلطان عبد الحميد وكان من المؤيدين لها فى حماس شـديد غير انه لم يلبث ان غير رأيه بعد أن اكتشف حقيقة موقفهم من الاسـلام وتابع قضية الدولة العثمانية كقضية أساسية (باعتباره سوريا فى الاصـل) وباعتبار أن الدولة العثمانية هى مفتاح السياسة الاسلامية كلها لوجود دولة الخلافة بهـا ولارتباط البـلاد العربية معها كما عرض لموقف انكلترا من الاسلام .

وتابع انتشار الاسلام فى أفريقية وأمريكا وأوربا وكشف صفحات عن تعصب أوربا عن الاسلام كما عرض لبعض شهادات المنصفين وعن مهدى

السودان ومسلمو جاوه وروسيا والنمسا والهند ، كما عرض لقضية الاصلاح الاسلامى ، وتحدث عن الشريعة الاسلامية والحكومة الاسلامية والاقتصاد ،

كما اولى اللغة العربية اهتماما بالغا وقدم عددا من الأبحاث وما يتصل بالتربية الاسلامية والأزهر ودعاوى اصلاح نظم التعليم فى المدارس الدينية

وتابع مقارنات الاديان بالرد على المبشرين من خلال نشراتهم وكتبهم المهاجمة للاسلام وتعرض لما قدمه علماء الغرب من حقائق جديدة حول الكتب المقدسة (التوراه والانجيل) وما يتصل بأهل الكتاب وما يتصل بجريدة الوطن القبطية وموقفها من العرب ومن التراث الاسلامى وتناول ما يتصل بتحريف التوراه وضياعها .

وتناول الزنادقة امثال جميل الزهاوى فى حملته على الشريعة الاسلامية ودعوته الى سفور المراة كما تناول صلته بشبلى شميل .

كما تناول البابية والبهائية والباطنية وتحدث عن المجوس ونبوءة زرادشت .

ومن ناحية اخرى واجه المتصوفة وأفكارهم وحجج المعتزلة أيضا فى محاولة للكشف عن جوهر مفهوم أهل السنة والجماعة وتناول التأويل ومعناه فى القرآن ، والمذاهب واختلافها ودعا الى توحيد المذاهب الاسلامية.

وعرض لاحوال المجتمع الاسلامى فى مصر وحرية الفتيات والبغاء وتحدث عن المتفرنجون والنساء النواشز .

كما تحدث عن المرأة المصرية وباحثة البادية .

ومن ناحية أخرى فقد قدم عرضا لكل كتب التراث المجددة والمؤلفات الاسلامية التى ازدادت واتسع نطاقها على مدى الأيام ومن هذه الكتب : الاسلام ومستر سكوت والفرق بين الفرق ، والحصون المنيعة ومبادىء الفلسفة القديمة وميزان العمل .

كما قدم محاضرة المستشرق مونتيه عن الاسلام ودراسات عن ابن تيمية وابن حجر الهيثمى وابن خلدون .

وكانت دعوة المنار فى افتتاحية هذا العام الى التعاون على البر والتقوى والاجتماع على توحيد طريق التربية والتعليم ودعا المسلمين الى

الجمع بين علوم الدنيا والدين « قبل أن يغلبكم على الأمة اهل التربية المادية المضطربة والتعاليم التقليدية ، أولئك الذين تحولوا عن التقاليد الاسلامية الى التقاليد الأفرنجية الصورية فهم يدحرجون الأمة من تقليد الى تقليد ويتذفوق بالغيب من مكان بعيد » .

ويقول : « لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا أسنان وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ولكنا لا نترك أمر الأمة فى التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم » .

وينادى : « يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار حجة عليكم . أخبركم الله ان الأرض يرثها عباده الصالحون ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم فى ملككم وأنتم لا ترثون أرضا ، بل لا تحفظون ارثا ومالهم يسلكون كل سبيل للافتيات عليكم وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديكم وأيديهم ، كيف ذهبت عزتكم ، لقد تنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، وها أنتم هؤلاء تستيقظون فان سرتم الهوينا فالناس مجدون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الأمم فى عصركم ، وتدبروا القرآن وما فيه من سنن الله فى نوع الانسان وفقدان الأقران واستدارة الزمان » .

ويقول : كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد فى القسطنطينية ، تارة فى فنادقها وتارة فى المراكب البخارية التى يجول فى رفاقها (البسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه .

وفى هذا المجلد دعوات واضحة :

١ ـ الى مسألة العناية باللغة العربية فى البلاد العثمانية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التى سعى لها سعيا منذ قدم دار السلطة وبعد ان تقرر أن تكون اللغة العربية رسمية فى الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان كما اهتم باصلاح الخط العربى وقدم بحثا لجبر ضومط فى هذا الصدد وبحث فى أطوار اللغة العربية للخضر حسين وقد وضح الاهتمام باللغة العربية فى هذا العام .

٢ ـ السعى لحسن التفاهم بين العرب والترك ، كان أحد القصدين من رحلتنا الى دار السلطنة ، والرد على صاحب جريدة اقدام على ما كتب فى شأن العرب وعرض مقالات عليه فى حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية وقد نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذى فيه بيـــان اسباب سوء التفاهم وطرق تداركها ومنها مسألة تنقيح اللغـــة التركية وحذف الألفاظ العربية منها وقال ان هذه أمور ليس له حق البحث فيها واستمراره فى نشر مقالاته الجنسية بقلمه وقلم اعوانه فى الطعن على العرب ، وقد دفع الحماسة بعض السكان العرب الى اقتحام ادارة جريدة اقدام واهانه صاحبها وتحقيره .

٣ ـ بالنسبة لمشروع دار العلم والارشاد : حدث ما أيأســـنى من مساعده الحكومه العثمانيه بعد وعدها التحلعى او حاد .

٤ ـ تناول الرد على هجوم الجريدة القبطية على مشروع احيـــاء الآداب العربيه ، كما تناول الرد على نسبلى تسميل والمقتطف فى شأن الالحاد ورد على سلامة موسى ودحض آرائه فى كتابه مقدمه السبرمان التى تتلخص فى نظريه نيتشه فى محو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء ، وقد اشار ســلامه موسى الى اراء نيتشة وبليك وشوبنهور من أصحاب الفلسفة الشـــاذة : وقال : المتفرنجون منا يرون تعميم ما يرون لهم فى كل بقعة من بقاع الشرق ناصبين أنفسهم من امتهم منصب المصلحين النافعين ، وانما هم من المقلدين المساكين الذين لم نقو عقولهم على تميز الغث من السمين .

٥ ـ كشف عن تعصب أوربا الدينى بالنسبة لمسلمين النمسا والمجر . وارغامهم على أحكام الزواج والطلاق المسيحيه ، واشار الى عمل الاستعمار فى ايقاظ الفتن وتغرير العرب واغرائهم باخوتهم الترك ، والقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى والنفخ فى روح العصبية الدينية بين الفريقين وعرض لبحث الفرنسى بوجيه فى الهجوم على الاسلام واخطائه وسخافاته فى التعبير بكلمة (جمال مكة) وقد رد عليه الدكتور أحمد الشريف من تونس كما قـــدم بحثا للدكتور كارل كوم الذى يرى أن افريقيا عمـــا قريب ســــتكون قارة اسلامية محضه ما عدا جنوب افريقيا واوغنده والحبشة .

المجلد الرابع عشر (١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م)

اتسع نطاق البحث فى المنـار بالنسبة لقضـايا الاصـلاح الاسلامى وان ظل الشيخ محمد رشيد رضا هو كاتب معظم صفحات المنـار غير أنه فى هذا العام ظهرت كتابات لاسـماء لامعة ، منهـا : شكيب أرسـلان ، عبد العزيز جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، محمود شوكت ، هبة الله الشهرستانى .

وكان أبرز أحداث العـام : (١) المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى . (٢) طلائع الماسونية . (٣) دخول ايطاليا طرابلس الغرب . (٤) احتـلال فرنسا للمغرب . (٥) اتساع نطاق التبشير فى السودان وجاوه . (٦) متابعة الباطنية والبهائية .

هذا وواصل المنار اهتمامه بقضاياه الاسلامية وخاصة : (١) التعليم والتربية والأزهر . (٢) الآداب العربية احيائها وتدريسها . (٣) مقارنات الاديان . (٤) الاستعمار واثره فى العالم الاسلامى وموقف البلاد الاسلامية امثال جاوه وجناية هولندا عليها ، والجزائر وكيف فتحتها فرنسا ، وايران بين انكلترا وروسيا وما يتعلق بروسيا فى التركمان وبخارى ومسلمو بلادها .

كما أولى اهتمامه بالاصـلاح الدينى والاجتماعى فتحدث عن التقليد للافرنج والتفرنج ومضـاره واللغـة العربيـة ، وكان للدولة العثمانيـة وللاتحاديين قدر وافر فى الأبحاث ، فقـد تكشفت حقائق كثيرة عن صلتهم بالماسونيـة وتسليمهم طرابلس الغرب وتورطهم فى أعمـال كثيرة تكشف حقدهم على العرب والاسلام ، والمؤلفات الجديدة وكتب التراث المبتعثة .

***

وقد استهل المجلد الرابع عشر على هذا النحو :

أحمـد اللهم عودا على بدء ، أن وفقتنى لتأييـد المصلحين والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاما يدعو الى ذلك بدليلى النقل والعقـل والأساليب المتنوعة من القـول الفصل وأضرع اليك أن توفقنى على رأس العـام الرابع عشر فى السعى اليه بالفعـل ، وأن تظهر هـذا الدين فى الآخرين كما أظهرته فى الأولين ، فقـد بدأ غريبا وعاد كما بدأ فى غربتـه فأتم اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته وانصر دعاته الصادقين على أعدائه المنافقين ، الذين يلبسون

أباسه ويجهلون حقيقته ، المنكرون له حتى صدق عليهم ما قلته فى المتفرقين قبلهم : « **يخربون بيوتهم بأيديهم** » و « **بأسهم بينهم شـــديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** » كلما داووا جرحا ظهرت جروح ، وكلما رقعوا فتقا ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعاوى بالباطل ، وتطلعت رءوس الفتن واشتعلت نارها فى البانيا فحوران فاليمن ، يلبسون الحق بالباطل ويتصدون من يتبع أهواءهم من ظلوم أو ظالم يؤيدون المفســـدين والمجرمين ويتحرقون على البرءاء الصالحين .

يا أهـــل القرآن : اقيموا القرآن واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قد غلبتم على ما فرطتم فيه من حقكم ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاسقون من قومكم ، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب على أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا فى دينكم ، يريدون اطفـــاء نوره والاطاحة بوليه ونصيره » .

وهكذا نجد السيد رشيد رضا يقظا واعيا لكل التيـــارات التى تهب من حوله غيورا على الدعوة الاسلامية ، يقول كلمة الحق بقدر المستطاع المسموح به فى هذه الظروف التى كان النفوذ الأجنبى مسيطرا على الرقابة الصحفية ، راسما بهذا العمل صورة حقيقية رائعة للعمل الاسلامى الذى يحمى مفهوم السنة والجماعة ويقاوم كلا التيارين : تيـــار الجمود والتقليد والجبرية الصوفيـــة ، وكذلك تيار التبعيـــة والتفرنج والتغريب والغزو الثقافى فى صوره المختلفة : من تبشير واستشراق ودعوات باطنية ومؤامرات الحادية واباحية ، وهو على ضعف المنار الشهرية التى لا توزع الا عددا قليلا يرسل بالبريد لمن يطلبه وليس لها نفوذ فى ســـوق الصحافة اليومية والأسبوعية التى تصدرها جهات أخرى فانه ثابت قوى متشبث بالدعوة غير طامع فى جاه أو مال أو شهرة ، وانما يضحى بكل شىء فى سبيل اثبات هذا الصوت الاسلامى واستمراره فى عناد واصرار .

وفى هذا العام يتفتح الكلام عن الصهيونية حيث تنشر جريدة الكرمل (نجيب الخورى) كتابه عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين ، وما يتصـــل بالمشروع الأصفر (أى تمكين اليهـــود من زراعة أرض فلسطين) كذلك فان فى هذا العدد تنويه واسع بخطط الماسونية فى البلاد العثمانية بعـــد أن تكشف دورها فى مؤازرة الاتحاديين

وفى سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وهو فى نفس الوقت يواصل قضية البهائية ويتحدث عن تطوراتها وخطورة الدور الذى تقوم به وما يتصل بميزرا محمد على الباب وادعائه النبوة ، كما يفضح دور الاتحاد والترقى والذى كان خافيا فى السنوات الأولى للانقلاب العثمانى والملىء بالحقد على العرب والعربية والاسلام والمندفع فى طريق العصبية والعنصرية وراء فكرة العودة الى الطورانية ومحاولة تتريك العرب وسحق لغتهم مع الاشارة الى دور اليهود الخطير .

ويعاود الحديث عن الجمعيات السرية التى لا يجوز للمسلم أن يدخل فيها ويتحالف مع أهلها وكيف أن ذلك مخالف للشرع ، فانه حين ذلك يطيعهم فيما يأمرونه به ، وهو مخالف لدينه ولوجهة امته ، ويقول : لا ينبغى أن تدخل فى جمعية لا تعرف مقصدها ، لأنه ربما كان مقصدا محرما ، ولأنه لا يليق بالمسلم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل فى جمعية على أنه ليس فيها شىء مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه لم يستطع ازالته وجب عليه أن يتركها ويتبرأ منها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : هبة الله الشهرستانى ، شكيب أرسلان ، جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، رياض باشا .

المجلد الخامس عشر (١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م)

تميز المنار بالتوسع الدائم والقدرة على تحديد أبحاثه عاما بعد عام مع تتابع حركة التغريب والغزو الثقافى ، ويرجع ذلك الى قدرة فائقة فى المتابعة فى مجاله ، فان المنار استطاع أن يحصل على عدد وافر من الدوريات التى تصدر فى أجزاء مختلفة فى العالم الاسلامى ، فهو يعلق عليها ويستخرج منها ما يخدم هدفه وليس أدل على ذلك من أنه يتابع أخبار المسلمين من المغرب الأقصى الى جاوه ، بتدقيق وتفصيل لكل الأحداث التى تمر به ، وهناك عدد من القراء المثقفين يراسلونه ويقدمون له القضايا المثارة ، فهو لا يغفل عن أى تطور سياسى أو اجتماعى فى هذه الأقطار على مستوى العالم الاسلامى كله ، هذا فضلا عن أنه يقدم أبواب متعددة يحشد لها قدرا آخر من المادة الاخبارية محولة الى فكر وخاصة باب (فتاوى المنار) التى يقدم فيها ظواهر البدع المثارة ويرد عليها ، وهو دائما مستفيض ، لا يمل تكرير المعانى العامة لمفاهيم الدعوة الاسلامية فى كل

مناسبة ، كما يقدم اهم الكتب وخاصة التراث المبتعث ، واهم الوفيات واهم الأحداث وعينه دائما على الأزهر والتعليم والتربية وعلى مقارنات الأديان وعلى مادة كتب النصارى والتبشير وما يكتبون ضد الاسلام ، ونجده فى هذا المجلد يولى اهتمامه بعدد من القضايا :

اولا : التبشير الغربى فى عالم الاسلام ، وقد أخذ ينشر كتابا من أخطر الكتب التى صدرت فى هذا الصدد وهو كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسلامى نقلا عن المؤيد .

ثانيا : النقد الموجه الى مؤلفات جرجى زيدان وفى مقدمتها كتاب التمدن الاسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية ، وهما لباحثين كبيرين أحدهما شبلى النعمانى والآخر أحمد السكندرى .

ثالثا : بشائر عيسى ومحمد فى التوراة والانجيل وهى مجموعة مقالات هامة تتعلق بمقارنات الأديان يكتبها الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى آمن بالاسلام وأخذ فى مراجعة تراث اهل الكتاب والكشف عنه وتابع هذا بنقد كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) كما تناول قصة بولس والمسيحية وبختنصر وتنكيله باليهود ودعاة النصرانية فى أفريقيا وقصة زويمر كبير المبشرين .

رابعا : متابعة أحداث العالم الاسلامى وفى مقدمتها الحرب الصليبية فى البلقان وأحداث فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر والمسألة الشرقية والمسلمون فى مجلس الدوما الروسى والانجليز فى جنوب ايران والخليج الفارسى والجامعتان الاسلامية والعثمانية ودعوة أحمد الشريف السنوسى لجهاد الايطاليين فى طرابلس الغرب .

خامسا : فى هذا المجلد انتهى ما قدمه الشيخ محمد عبده من حلقاته لتفسير القرآن ، حيث بدأت مقالات السيد رشيد رضا .

سادسا : أولى اهتمام كبيرا لقضية الدولة العثمانية والعرب وجماعة الاتحاد والترقى .

سابعا : تناول قضايا البهائية ، والفحش والفجور فى كتب اليهود ، والفلسفات وابن المقفع ، والتصوف واحصاء المسلمين ودعاة النصرانية ومصطفى كامل والجامعة الاسلامية وطريقة السنوسية وزواياها الممتدة من الاسكندرية الى درنة ، كما تحدث عن المستشرق فامبرى الذى خدع

السلطان عبد الحميد ثم هاجمه بعد عزله ، وتحدث عن رحلة صاحب المنار الى الهند ، كما تحدث عن المستشرق لويس ماسينيون .

ثامنا : تناول بالعرض اغلب الكتب الصادرة والتى تتصل بالدعوة الاسلامية : ميزان الجرح والتعديل للقاسمى ــ الحراب فى صدر البهاء والباب ــ رباعيات الخيام ــ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، شبلى النعمانى ، أحمد الشريف السنوسى . وقد استهل العدد الأول من المجلد الخامس عشر بافتتاحية قال فيها :

قطع المنار هذا الطور الأول من حياته وحده فدرج درجان الطفل غادر مهده الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ولا اعانه وزير ولا امده غنى كبير اللهم الا مصطفى رياض باشا تغمده الله برحمته (اشتراك فى خمسة عشر نسخة) ، ورياض باشا هو الذى اخذ بأيدى الصحف الكبرى أيام وزارته سواء كانوا من نصارى السوريين أو القبط المسلمين فهو صاحب الفضل الأول على الأهرام والمقتطف وجريدتى الوطن فالمؤيد ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذ ارادته المسموعة كلمته .

والسيد رشيد يشكو دائما مطل المشتركين وخاصة من رجال الطبقة العالية كالمدرسين والمؤلفين والقضاه . ويقول : ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الراحلة من أبى بكر يوم الهجرة الا بثمنها . وكان النبى يحتاج الى النفقة على أهله أحيانا فيقترض من اليهود وكان يجزى على الهدايا ولا يقبل الصدقة البتة .

ويقسم الناس الى أقسام ، فمنهم من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . ويقول : ان المصلحين هم الأمة الوسط التى تجمع بين مطالب الروح والجسد وتقيم أمر الدنيا والدين كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب الذى يزداد أهله نموا فى الأرض .

المجلد السادس عشر (١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م)

تميز هذا المجلد بدراسات أساسية :

أولا : دراسة كاملة عن الاتحاديين حكام الدولة العثمانية وتفريطهم في بلاد الاسلام (طرابلس الغرب ، البلقان ، البلاد العربية ، الخليج) ودراسة عن عناصر المملكة (الأرمن والأرناؤوط) وجمعية الاتحاد والترقى وحزب اللامركزية وحديث عن الحرب البلقانية وموقف مسلمى روسيا من السلطان عبد الحميد وتفريط الاتحاديين في حقوق الدولة في خليج فارس والعراق .

ثانيا : الاهتمام بدراسة تاريخ الجهمية والمعتزلة (جمال الدين القاسمى) وحديث مطول عن واصل بن عطاء ، وما يتصل بالجعد بن درهم والمأمون ودعوته الى مذهب الجهمية وخلق القرآن وواصل بن عطاء .

ثالثا : مقارنات الأديان ، والمسيحية وقضاياها ، وبولس والتثليث ، وانجيل برنابا والتوراة والانجيل ، والسيد المسيح وكتب أهل الكتاب والبارقليط المذكور في الكتب القديمة (سيدنا محمد) وقصة صلب المسيح وقيامته ، وعقائد النصرانية .

رابعا : أحاديث كثيرة عن الشيخ محمد عبده ، وعلى يوسف ، ومصطفى كامل ، وأحمد حشمت ، وادريسى عسير ، ومحمود شوكت ، ومحمد فريد ، ومحمد عبده ، وخريستنوس جبارة ، وابن الرشيد ، وأحاديث عن الشيخ عبد العزيز جاويش واصداره المجلة العربية في الآستانة .

خامسا : دراسات عن قضايا العالم الاسلامى مع الاستعمار وحديث عن الاتفاق التركى الانجليزى على خليج شط العرب وفارس وأثره على بلاد العرب واستيلاء ابن سعود على الاحساء ، وقضية الأمة الهندية الشرقية مع الحكومة الهولندية وتحويل الأوقاف في مصر الى نظارة .

سادسا : حديث عن المسألة العربية عند الاتحاديين والمؤتمر الدولى في باريس وسياسة الأمة العربية في حرب اللامركزية وقضية الجنسية واللغة ، والعرب والعربية وتتريك مسلمى العثمانيين .

سابعا : أحاديث عن الكتب وفي مقدمتها كتاب فتحى زغلول : سر تقدم الانجليز والاحتفال بمؤلفه .

● ترجم صاحب المنار لـ : أمير على ، ادريسى عسير ، على يوسف ، مصطفى كامل ، عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، جمال الدين القاسمى ، فتحى زغلول ، محمود شوكت .

وفى فاتحة المنار قال السيد رشيد رضا :

ان صوت الاصـــلاح الدينى قد علا كل صوت فى الأقطار الاسلامية التى بلغتها دعوته وهزتهـا صيحته ، فخفتت دونه أصـوات الحشوية الجامدين والدجاجلة المحترفين وقد خذل الله ببيروت فى العام الماضى أشدهم افكا وتحريفا .

وتحدث عن الاسلام التقليدى ، والاسلام البرهانى فقال : أصحاب الاسلام التقليدى يفتنون بالشبهات المادية التى يبثها فيهم حمـلة قشور العلوم العصرية ومنهم من يشككون فى الاســـلام بمطاعن دعاة النصرانيـة ولا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وقصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام ان جميع العـــلوم الطبيعية باطلة وأن تعليمهـا كفر وبتعلمهـا زندقة . ويزعم هؤلاء الدجالون أن الضلال كل الضلال هو ما يدعو اليـه المعلمون من هدى الكتاب والسنة على النحو الذى كان عليه الصدر الأول من الأمة ونبذ كل ما استحدثه الخلف مخالفا لما كان عليه السلف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » . وتحدث عن ظهور الفئة الباغية الاسلامية فى الظاهر والاتحادية فى الباطن اذ تمدح الاسلام وتنفر من الأعمال التى تحييه وتطعن فى القائمين بهـا وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقى الشقاق بين العاملين لها وتزاحم أهلها المصلحين وهم المفسدين .

وقال ان الأمر يحتاج الى ضروب من الاصـــلاح يمد بعضها بعضـا واصولها خمسة : (الدينى — العلمى — الاجتماعى — السياسى — المالى) وقد تداعت هذه الأصول كلها فى العالم الاسلامى ولا يسهل اقامة بعضها الا باقامة باقيها . وأشار الى أنه ما أن لاحت من الآســتانة بارقة الأمل فى الاصلاح السياسى حتى أردنا أن ننشىء فيها عملا كبيرا من الاصـــلاح الدينى والعلمى الذى هو أكبر عون على غيره ولاسيما الاصلاح الاجتماعى :. ثم أصبح سرابا هذا الانقلاب الذى حسبنا أن وراءه ما نرجو من الاصلاح فكان بسوء تصرف ذويه عن الافساد وقد أنذرنا الأمة سوء عاقبته ، والخطر

الأكبر هو افسادهم السياسى الذى فتح علينا باب المسألة الشرقية حيث فقدت المملكة طرابلس الغرب الافريقيـة وثنت بولايات الدولة الأوربيـة ونخشى أن تفلت الولايات الآسيوية » .

المجلد السابع عشر (١٢٩٢ هـ — ١٩١٣ م)

تابع السيد رشيد رضا قضايا الساعة ، وفى مقدمتها :

١ — قضية الدولة العثمانيـة والاتحـاديين وموقفهم من العـرب وتناول قضية الجنسيات فى المملكة العثمانية والامتيازات الأجنبيـة وكيف دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية .

٢ — قضية الصهيونية والبروجرام الصهيونى السـياسى (بقـلم أوسشكين) وتحدث عن العقبات الحائلة دون امتلاك اليهود للبلاد المقدسة ، ونصوص التوراة فى كون البلاد المقدسة لنسل ابراهيم .

٣ — الرد على المبشرين والمستشرقين : حيث قدم عددا من الأبحاث فى مقدمتها كتاب (الرد المتين على مقدمات المبشرين ، مقـام عيسى عليه السـلام فى النصرانيـة والاسـلام ، وناقش دعاة النصرانية ونشر كتاب كريستان سنوك هونجرج الهولندى (الاسـلام يقاوم نفوذ النصرانيـة) وتحريف التوراة .

٤ — رد على البهائيين ودعاة البهائية ، والباطنية وغلاة الصوفية ، وتقديم فصول من كتاب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية عن التصوف الاسلامى الصحيح .

٥ — تركيز الدعوة الاسلاميـة وتصحيـح العقـائد ، والرد على الجهمية والمعتزلة ، والحلاج والحديث عن دعاة الاسـلام الأبرار أحمـد ابن حنبل وابن تيميه وأبى حنيفة والامام الشافعى ، والغزالى والأشعرى فى ابحاث مستفيضة عن تاريخهم ودورهم .

٧ — الحديث عن لورد كرومر ورأيه فى الشيخ محمد عبده ، ولورد هدلى واسلامه ، وترجمة أحمـد فتحى زغلول بمناسبة وفاته ، كما ترجم لعلى يوسف ومصطفى صادق المنفلوطى وجمال الدين القاسمى ، .

٨ — نقد آراء خصوم الاسلام والرد عليهم : رد على يوسف الخازن ولويس شيخو وسلامة موسى .

٩ — تحدث عن الشريعة الاسلامية وموقفها من الامتيازات الأجنبية ، وتفنيد مزاعم كاتب أمريكى عن الشريعة الاسلامية ، كما تحدث عن المعازف وآلات اللهو ، وعن التمثيل ، وتحرير المراة والتفرنج .

١٠ — قدم عددا من الكتب وخاصة كتب التراث المبتشة منها كتاب الاعتصام للامام الشاطبى ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ، ودين البهائية وأنصاره ، والكشاف والبيضاوى ونقدهما .

١١ — ترجم فى هذا المجلد للشخصيات التالية : عزيز المصرى ، على يوسف ، عبد العزيز جاويش ، فؤاد سليم المصرى ، مصطفى المنفلوطي ، احمد فتحى زغلول ، محمد جمال الدين القاسمي .

وقد افتتح مجلد المنار الأول من العام السابع عشر بافتتاحية جامعة جاء فيها :

نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشر على نحو ما ذكرناهم به فى السنة الخالية من سوء عاقبة الافراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، والافراط فى عبادة الهوى واتباع الشهوات والانهماك فى الفواحش والمنكرات والمحافظة على البدع وسيىء العادات والتفريط فى حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدى الكتاب والسنة ومجاراة الأمم بما يستطاع من حول وقوة ولاسيما قوة الاعتصام والوحدة وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة ، ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به كل عام ، وما تسلب من ملكهم الأمم والاقوام وبيان سنن الله تعالى فى الطاغين والمسرفين . تركت هذه الأمة هداية القرآن ففاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم والوفاق ، والبسطة فى العمران ، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوفيق وذلك الخذلان ، بل التى عليها أحقاب من الزمان لا تشعر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها قبل الشعور بما كان سببا له من فساد أمر دينها وبما خسرت من سلطانها وأملاكها قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها . ولما شعرت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ، شرعت فى شىء من الاصلاح الصورى بدون أن تؤيده بروح الاصلاح المعنوى فعد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزى الرسمى ونظام الجندية والسلطان

عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية والسلطان عبد الحميد مصلحا بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية فى سلك الدول الأوربية ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين الغربية الغريبة ، ومحمد على وأحفاده مصلحين بفرنجة البلاد المصرية ، والأمير عبد الرحمن خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الأفغانية ، ولم تتوجه همة أحد الى اصلاح العادات والأخلاق وازالة البدع والمنكرات وجمع الكلمة التى فرقتها المذاهب واللغات فما زاد الأمر هذا الاصلاح الصورى الا ضروبا من الفساد ولا أفاد الدولة الا اضعاف الاستقلال واضاعة البلاد . ان اكثره كان ضروريا ولم يعد يمكن علاجا لهذه الأمة من طبيب اجتماعي عرف من أمراضها الظاهرى والباطنى فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة ويحفظ البنية ، لذلك رأيناها بعد هذه المصالحات لم تزد الا مرضا ، وكان ما أدخل عليها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب الذى يدخل فى البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب إستعدادها ، وحاجتها ، بل كان تقليدا صوريا أو عارضا وقتيا ، فمنه ما كان ضارا ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية التى قطعت كثيرا من روابط الأمة الملية وأزالت من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والأدبية ، ولم يستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم الاوربية بل صارت عيالا عليهم فى جميع الشؤون ، أما ما كان نافعا فقد كان نفعه موضعيا وعارضا لا دائما فكان عداوة بعض اعراض الظاهرة بما يزيلها مع بقاء العلة فى الباطن ، وكلما داوت جرحا سال جرح . بنى محمد على ركنى الثروة والقوة على اساس العلم ، ولو أتم احفاده ما بدأ ببناء ركنى الأخلاق والآداب على أساس الدين وسنن الاجتماع لتم لهم تكوين الأمة ولاستقام لهم بالأمة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الأمم والشعوب لا عصر الأمراء والملوك ، ولكن جميع اقيال المسلمين كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين . لا صلاح للدولة الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولى الراى والعزم يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد فى الأرض ، زماننا زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية والشركات الزراعية والصناعية والتجارية .

الا وان أمر « التربية والتعليم » هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات ولا يحسن أن يترك الى الأفراد ولا الى الحكومات لأن المدارس للأفراد

دكاكين لكسب المال والحكومات معامل لسبك العمال ، فكل من الفريقين يتوخى من التعليم منفعته الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وشر ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم فى السياسة والدين فأنى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها والأمة تصلح بالتربية ونحن قد أفسدنا المربون — الافرنج المتفرنجون — وترتقى بالعلم ونحن قد ولانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعتز بجميع المدارس لكلمتها ونحن قد اوهننا وشقت عصانا المدارس لأنها اما معاهد سياسية والحاد واما أديار وكنائس قد قطعت روابط الامة الدينية والمدنية وفتنتها بالأهواء والشهوات الحيوانية وسرى سم تقليدها الى المدارس الأميرية والاهلية ، فالمتخرجون منها أقلهم الذين يسلمون ومنهم الملحدون ، وأكثرهم الفاسقون يجرفون ثروة الامة الى الأجانب ويقذفونها بالفجور والنفوذ الأجنبى من كل جانب ويتغلبون فيها على المناصب فينالون منها جميع المآرب يحقرون لها سلفها ويعظمون فى نفسها كل ما هو أجنبى عليها فيقطعون جميع روابطها الملية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التى يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة البلاد لانهم تربية مدارسهم ، بل صنعة معاملهم او الجيش السلمى لتكناتهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه « الفتح السلمى » بدونهم ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المذبذبة وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة فلا هم صاروا بها أوربيين ولا ظلوا مسلمين او شرقيين ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجيه يفسدون على الامة امرها ويزعمون انهم المصلحون لشانها ، ولنذكر ما قالته مجلة العالم الاسلامى الفرنسيه :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى اسسها الأوربيون كان لها تاثير فى حل المسألة الشرقية يرجح على تاثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها (الغارة على العالم الاسلامى) ».

اننا فى أشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما يتوقف عليه من العلوم والفنون العملية والى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب أن تقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه

وبين حفظ مقوماتها ومشخصاتها . وأركانها اللغة والدين والشريعة والآداب (المراد بالشريعة أحكام المعاملات فى السياسة والقضاء والادارة والحرب) ولنا أن نستعين بأهل الفضيلة والاستقلال من رجالهم الذين ليس لهم فينا أهواء دينية ولا مطامع سياسية استعمارية وبهذا نكون مهتدين بما أمرنا (الله) به من السير فى الأرض والاعتبار بأحوال الأمم ونسبة سلفنا » أ . هـ .

ولك أنت أيها القارىء اليوم بعد سبعين عاما أن تجد ما قاله السيد رشيد رضا لا يزال صالحا لنا ونحن مطالبون به وتجد هذا الكلام منطبق على أجيال كثيرة رباها الاستعمار فى عصره ، سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومن بعده طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ثم الأجيال التالية من أتباع الماركسية والشعوبية .

الفصل الثالث

المنار : الى سقوط الخلافة الاسلامية

فى هذه المرحلة واصل المنار عمله وان كانت الحرب العالمية قد أثرت فى حجمه وفى انقطاع موارده المالية ولكن عزم السيد رشيد رضا وتصميمه كان فائقا فانه تحمل ذلك فى قوة ومضى الى أداء رسالته فى عزم شديد وعنى بأحوال المسلمين خلال الحرب وحاول بعد الهدنة معالجة آثارها على مصر وعلى البلاد الاسلامية وأفاد من رفع الحظر على الصحافة وتخفيف الرقابة فعمد الى الكشف عن كثير من الاوضاع الاستعمارية التى لم يكن قادرا على كشفها فى وقتها وقد مضى يواجه الاتحاديين ومن بعدهم الكماليين حتى سقطت الخلافة الاسلامية وقامت بعدها دعوات خطيرة الى التغريب فى البلاد العربية وفى العالم الاسلامى وكان من أكبر ما أهمه قضيتى : البهائية والقاديانية فى هذه المرحلة .

م ١٨ (١٣٣٣ هـ — ١٩١٥ م)

يواصل السيد رشيد رضا نشاطه فى دعم الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامى الدينى والاجتماعى بابتعاث المفهوم الاسلامى الصحيح : مفهوم اهل السنة والجماعة ، وقد توسع فى هذا الاتجاه فقدم أبحاث الشوكانى : وتحقيقه مسالة القياس ، ودرس الظاهرية وأصول الفقه عندهم وابن القيم وتحقيقه مسالة القياس والراى وما امتاز به على استاذه ابن تيمية ، وقدم ابن حزم (مجدد القرن الخامس) فى المحلى ، وابن حجر العسقلانى وخدمته للسنه ، كما قدم الفخر الرازى وضعفه فى الحديث والفصاحة ، وقدم ترجمة أبو هريرة ، كما قدم ترجمة ابو الحسن : منذر بن سعيد البلوطى ، والشاطبى وما حرره فى مسالة المصالح ودراسة الامام الشافعى وتناول ترجمة عمر بن عبد العزيز واجتهاد عمر بن الخطاب وقصة سليمان الحلبى وقصة الامام مالك ، ومذهبه فى التزام النصوص ، كما تناول الاسرائيليات وخرافاتها ، وتناول مفاهيم الاسلام ازاء الربا والفتح الاسلامى وسر أحكامه العسكرية ، ومن ناحية أخرى تناول كتب النصارى وقدم نقدا لهـا وتنزيه عيسى لربه وتنزيهه لنفسه وعرض لأخطاء الفرق وتناول الجهمية وتعطيلها

للصفات ، كما تحدث عن وحدة الوجود وأخطائها واليهود وما نزل بشأنهم في سورة المائدة .

● ومن ناحيـــة اخرى تحـــدث عن رجال العصر : محمد عبده وجملة آراء له في العلم والدين ، ولقائه مع سبنسر وتحاورهما ، كما تحـــدث عن تاريخ علامة الاسلام في الهند الشيخ شبلي النعماني وعرض لآراء أحمـــد كمال بك عن اللغة العربية واسماعيل عاصم وجمال الدين القاســــــمي وعبد الفتاح عباده ومحمد توفيق صدقي ، كما قدم أبحاثا عن القلقشـــندي والجرجاني والفتح بن خاقان . وتعد قضايا اللغة العربية والحروف العربية اهم مواد هذا العام حيث تناول الحديث حروف الهجــــاء العربية والخط الكوفي وخط التعليق الديواني . وعن كون اللغة العربية أقدم اللغــــات وعن الهيلوغريفية العربيـــة الأصـــل . كما تحدث عن المدنيتـــان المصرية والبابلية وكيف أنهما عربيتان . وقدم كتاب على أبو الفتوح عن الشريعـــة الاسلامية والقوانين الوضعية ، كما قدم عرضا لكتاب الخراج لأبي يوسف ونشر صفحات مطولة عن احياء الكتب الاسلامية القديمة ، امثال المحـــلى لابن حزم ومدارج السالكين لابن القيم وصبح الأعشى في كتابه الانشـــــا للقلقشندي والأحكام في اصول الاحكام للآمدي والطراز في أسرار البلاغة ليحيى بن حجي والخصائص لابن جني والاعتصام للشاطبي .

كما تحدث عن المجتمع والمراة وفرضي الآداب بمصر كما عرض فصولا عن رحلته الى الهند لرئاسة مؤتمر ندوة العلماء في لكهنؤ .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـــ : شبلي النعماني ، احمد كمال ، اسماعيل عاصم ، جمال الدين القاسمي ، عبد الفتاح عباده ، محمد توفيق صدقي ، على أبو الفتوح ، محمد عبده وسبنسر .

***

وقد تضمن المنار اشـــارات الى جعل مصر ســــلطنة تحت حماية بريطانيا (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) بعد دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وانضمام عباس حلمي الخديو الى اعداء بريطانيا منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا واعلان الحماية البريطانية على البلاد تحت يد أمير من أمراء العائلة الخديوية (السلطان حسين كامل) وفي افتتاحية المنار قال السيد رشيد :

يا أيها الناس لا خير فى الحضارة المدنية اذا أقيمت على قواعد الاثرة والقوة المادية ولا خير فى العلوم ولا فى العمران اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وانه بعبارة رءوف رحيم وانه أرحم الراحمين

ان الافساد كل الافساد أن تحتكر الشعوب العلم وتجعله ذريعة لبغى بعضها على بعض واستذلال الشعوب الضعيفة فى الأرض وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم .

يا أيها المغررون بالعلم والقوة ، قد عرفتم القوى المادية لا تنسو القوى المعنوية ، ولا تنكروا سنن العدالة الالهية ، أتطالبون ربكم بما وعد المؤمنين ولا تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، انما الخلافة فى الأرض بالصلاح والاصلاح ، انما يعتذر بالقدر من يبرىء نفسه ويتهم ربه .

اننا نحن مسلمى هذا العصر لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ولا خلافة فى شىء من الأرض لا بحسب سنته فى خلقه ولا بمقتضى وعده فى كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقى فتلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وان الله تعالى ليبلو عباده بالحسنات كما يبلوهم بالسيئات ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، فتكون أحسن جزاء وخير أملا » .

وفى كل مرة يعاود السيد رشيد رضا دعوة القراء الى انتقاد المنار ويذكر القراء كل عام بما يحب من الانتقاد الذى هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمساعدة فى الدعوة الى الخير وبث النصيحة ونشر العلم .

كما يدعو الى اعادة الفكر الاسلامى الى الأصالة بالارتباط بمفهوم الكلمات والمصطلحات وفق السنة النبوية وعلى نفس الأساس الذى أقامه الرسول وخذلان المصطلحات الصوفية الضالة والمنحرفة .

المجلد التاسع عشر (١٣٣٤ هـ ــ ١٩١٦ م)

فى هذا المجلد بدأت جولة جديدة لصاحب المنار مع الشريف حسين : الذى تولى امارة مكة ، كما تحدث عن الاتحاديين ، واتفاقهم السرى مع ألمانيا وتعريضهم الدولة للخراب ، وعن استقلالهم عن الدين وتركهم الحروف العربية وعن جامعتهم الطورانية وعن جمال باشا السفاك والجنسية التركية وفصلها عن الاسلام وعن الحركة الطورانية والدستور العثمانى وتقرير كيون هاهون فى الترك . كما عرض عن مرحلة من مراحل الخلاف بين الخديوى عباس والأستاذ الامام وصاحب المنار وسعى خواص الخديوى للتوفيق بينه وبين الامام وعرض موسع لاستقلال الشريف بالحجاز وما يتعلق بالمشانق التى علقها الاتحاديون لأحرار العرب فى سوريا ودراسة عن الزهراوى بمناسبة استشهاده ، وعرض لآراء الخواص فى استقلال الشريف فى الحجاز ومنشور شريف مكة وأميرها والحركة الطورانية الجديدة فى تركيا .

ولم يغفل صاحب المنار قضايا الدعوة الاسلامية فى معارضته للصوفية المنحرفة وكشفه لشبهات المبشرين وما يتصل بشبلى شميل وأهل الكتاب .

كما عرض لمناظرة جمال الدين وحسين الجسر ، وعرض لجوانب من آراء ابن تيميه وابن الجوزى وابن القيم وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وابن جبير الأندلسى والألوسى المفسر .

كما عرض لكتب : تاريخ سينا القديم والحديث ، وتصحيح كتاب الأغانى وتصحيح لسان العرب وكتاب جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، كما عرف بكتابى منازل السائرين ومدارج السائلين لابن القيم والهروى فى الدعوة الى تحرير التصوف .

وعرض للمجمع اللغوى المأمول ، والكتب المعزوة الى غير مصنفيها .

كما اشار الى دعوة مرجليوث المستشرق اليهودى فى لندن بالاشتراك من أحمد زكى أبو شادى الى انشاء جمعية آداب اللغة العربية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : عبد الحميد الزهراوى ، شبلى شميل ، حسين الجسر ، أنور باشا ، على يوسف .

* * *

وكتب السيد رشيد رضا فصلا مطولا عن دور المنار فى حركة الاصلاح الاسلامى فهاجم « الملاحدة المتفرنجون الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذمهم بعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يغترون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق ، فاذا قذف عليه دفعه ، وان بقاء الباطل لالى زوال **(وما كيد الكافرين الا فى ضلال)** .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا أجبن ملاحدة المسلمين واخوفهم من اظهار الكفر على كونهم اجراهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ منهم منذ سنين افراد على التصريح به ، أو ببعض لوازمه فى الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك فى المجالس ومنهم من ألف كتبا أو رسائل فى ذلك ثم بلغنا فى العام الماضى أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس فى الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن فى عقائد الدين واحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوساوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه وان لهم لأنصارا فى القصور والدواوين وفى المدارس وأكثر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق وانهم نيختلبون لباب المختبلين من الشباب والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات **(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا)** الآية . ولهذا فقد وجب على أهل الاصلاح أخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد فان اصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون .

(انا لننصرن رسلنا) و (ولينصرن الله من ينصره) .

ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بالسنتهم ، ثم لا يعدمون هناك اولياء وأنصار لهم لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال .

ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا فى الأزهر ركينا وانهم بذلك

أوشكوا أن يحدثوا فيه حدثا مبينا ، ولكنهم لم يصيبوا منه الا خذلانا وفشـــلا مهيـــنا .

قال أحدهم مفاكها للأســـتاذ الامام وهو فى مرض موته : ان طريقتـــك فى تفسير القرآن قد أضرت الأمة أشد الضرر ، قال الأســـتاذ : لماذا ؟ قال : لأنها أبانت للناس ان الدين موافق للعلم والعلم ركن من أركان المدنية فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى أنه عقبـــة فى سبيل ترقيتنا فى دنيانا ، ومنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ، ومنهم من يبغى التشكيك فيـــه بنشر آراء الماديين من القـــدماء والأوربيين ، ومنهم من يصـــد عن حجتـــه بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهـــلوا من شريعته ، ومنهم من ينفر عما حرمه من آدابه الروحية والاجتماعية .

وبعـــد أن فرحنا بنصر الله لحزب الاصـــلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين توالد من أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين فاذا ترك هؤلاء وشأنهم وسكت لهم أهل الحق عما ينفثون من سموم أباطيلهم تعظم جراثهم وتنتشر دعوتهم وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة .

ان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالغرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الاســـلام ولا فى رؤسائه تلك الأسباب التى حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن فى النصرانية ، فالاســـلام نفسه أرشـــد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون والصناعات المدنية وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية » .

المجـــلد العشرون (١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م)

دخل المنار عامه العشرين داعيـــا الى : الاعتصـــام بحبل الله المتين والاهتداء بنوره المبين والاستمساك بسنة رسوله الأمين والســـير على نهج السلف الصالحين ناهيـــا عن الاحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشـــيع ، مبينا أن الخير كل الخـــير فى اتبـــاع من سلف وان الشر كل الشر فى ابتداع من خلف لأن الله تعالى قد أكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيـــه

كالنقص منه خزى وضلال. ونحى المنار باللائمة على «فقدان الاستقلال فى الفهم والعلم والحكم وتقليد الآباء والأشياخ المتأخرين فى جميع أمور الدنيا والدين ، واشار الى جماعة المقلدين الذين فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع فقد ساروا بحب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهى كون علوم المتأخرين وفنونهم اجدر بالثقة والاعتبار ، مع أن سنة الله فى التدرج والارتقاء على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمى هذه الأمة خير من متأخريها فى جميع العلوم والأعمال وان الخلف لم يسيروا على سنة السلف فى الاجتهاد والاستقلال ولو ساروا عليها لفاقوهم فى كل ما هو من كسب الناس » ويقول « اننا ندعو الى عقيدة السلف ونحن بها مؤمنون ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقها ان شاء الله مستقيمون » .

ومن أبرز أعمال هذا العــام انشاء المجمع اللغوى المصرى من مجموعة من اعلام العصر : سليم البشرى ، محمد بخيت ، احمد لطفى السيد ، محمد الببلاوى ، احمد ابراهيم ، احمد السكندرى ، أحمـــد برادة ، أحمد تيمور ، احمد زكى ، احمـــد سليمان . احمد على ، أحمـــد كمال ، اسماعيل رأفت ، حفنى ناصف ، عبد الحميد فتحى ، عبد الحميد مصطفى ، عبد الرحمن قراعة ، عثمان فهمى ، فارس نمر ، محمد أمين واصف ، محمد رشيد رضا ، محمـــد شريف سليم ، محمـــد عاطف بركات ، مصطفى العنـــانى ، يعقوب صروف . وقد انشأ المجمع عديدا من اللجان ، منها : لجنة الجغرافيا والآثار والتاريخ ، ولجنة الطب والعلوم الطبيعية (عدا النبـــات) ، ولجنـــة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية ، ولجنة الفقه والقانون ، ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة ، ولجنة اصطلاحات الدواوين . وقد أعلن أن المجمع سيعمل على وضـــع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العـــلوم والفنـــون والصناعات يستبدل بالكلمة العامية أو الاعجمية التى لم تعرف من قبـــل ، غيرها من الألفاظ العربيـــة الموضوعة للدلالة على معناها ، فاذا لم يهتـــد ، أقر الكلمة العامية أو عرب الكلمة الأعجمية » .

وقد كان جل اهتمام المنار فى هذا العام بحديث نهاية الحرب العالمية والصلح وقيام الدولة العربية وبروز الصهيونية فى فلسطين .

المجلد الحادى والعشرون (١٣٣٧ هـ — ١٩١٨ م)

حفل المجلد الحادى والعشرين من المنار بأبحاث فى جميع المجالات التى طرقها منذ نشأته واستكتب عددا من الاعلام أمثال : عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم الطبيب ، محمد توفيق صدقى ، أحمد صفوت .

وان ظل القدر الأكبر من انشاء المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، كما عرض لأعلام المسلمين البارزين فى هذا العصر أمثال : السلطان محمد وحيد الدين ، وعبد الحميد الزهراوى ، والشريف حسين أمير مكة ، والأمير فيصل ، وحفنى ناصف .

ومن أبرز أحداث العام : ظهور البلشفية فى روسيا والتقابل بين ابن سعود أمير نجد وشريف مكة وظفر الأول ، وتناول المنار قضايا الدعوة الاسلامية فتحدث عن الجبرية وشبهاتهم وعن الجعد بن درهم أول المبتدعة وجهم بن صفوان ونقل شيئا وافيا عن الأشعرى ومناظرته للجبائى وعن علاقة الأشعرى بالمعتزلة ثم خروجه عليهم ، وتحدث عن علم الكلام وابتداعه وذمه ، وتحدث عن انتشار الاسلام فى مطالعه بسرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

كما تحدث عن قضايا المتفرنجين والاصلاح الاسلامى ، وأبوة آدم للبشر ومذهب دارون ونقل تقرير مشيخة الأزهر عن التعليم الأولى ، وعرض اتفاق عام ١٩١٦ على بلاد العرب ، كما عرض قضايا سوريا الكبرى ، كما تحدث عن مذهب الوهابية وعقيدتهم .

وقد استهل المجلد بمقدمة استعرض فيها أحداث السنوات الأربع الأخيرة مثل عرش قياصرة الروس القاهرين وابعد القيصر وأهل بيته ، وتمزقت كبرى سلطنات امبراطوريات الأرض التى تصنع جمهوريات يسفك بعضها دماء بعض ، مثل عرش السلطة النمسوية وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية وتدهور عن عرش أعز ماهل على وجه هذه الأرض بعد ان كاد يقضى على أكثر امم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والارادة فى أوسع أمم الأرض علما وأدقهم نظاما فكان سقوطه كسلك انقطع فتناثرت الفرائد اذ سقط ملوك الجرمان وأمراؤهم واحد بعد واحد وتقلص ظل الترك من بلاد العرب

والأرمن والأكراد التى سفكت طغاتهم الاتحاديون فيهـا الدماء واكثروا فيها الفســاد .

وقد ردد السيد رشيد رضا مبادىء المنــار وهى :

١ — احيــاء مفاهيم السنة ومراجعة كتابات العلماء السابقة : (علم الكلام والأشعرى وغيره واعادة النظر فيها والاعتزال وغيره على نحو متحرر من التقليد ومفاهيم الصوفيــة المغرقة فى التقليد واعادة مفاهيم الاشــعرى وابن تيميه وابن القيم) .

٢ — الرد على الجبرية والقــدرية بسنن الله وآياته ، والرد على المتكلمين .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : حفنى ناصف ، الزهراوى ، الشريف حسين ، عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم ، الألوسى .

المجلد الثانى والعشرون (١٣٣٩ هـ — ١٩٢١ م)

ما تزال القضية الكبرى التى يعالجها السيد رشيد رضا والتى حقق فيها نتائج واسعة المدى هى قضية مذهب أهل السنة والجماعة وتحرير الفــكر الاســلامى من جمود المتصوفة وانحرافات الباطنيــة مع الحمــلة الكاشفة عن أخطاء التغريبيين والذى يطلق عليهم اسم المتفرنجون .

وفى هذا المجلد حديث واسع عن الباطنية وكيدهم للاسلام والعرب ، والربط بين الباطنية والبراهمة والصوفية ، وانقسام المسلمين الى ٧٣ ملة ، والفرقة الناجية أتباع (السلف) ومنها الامام أحمــد ورده على الزنادقة ، واهل البدع واختلافهم ومطاعنهم ، وحديث عن الامام زيد وأتباعه ، وحديث عن القرآن وبراءته من الألفــاظ الأعجمية ، والحــديث عن الرازى وسعة اطلاعه وكثرة خطاه ، وحديث عن البخارى ومكانة صحيحه ، وتاريخ السنة ومعناه وأدواره ، وحديث عن كتب السنة ، مســلم والترمذى ، وحــديث عن الشيعة وحصر الاســلام فى الامامة منهم ودسائس اليهــود والمجوس ، وحديث عن مأتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه ، وحديث عن عبد الله ابن سبأ والوثنية وانتقالها للعرب واهل الكتاب والمسلمين ، وعمرو بن لحى الخزاعى أول من غير دين اسماعيل ووضــع الأصنام فى الكعبة ، وحــديث عن المجوس وكيدهم للاســلام ، وكيد اليهود فالمجوس فالافرنج للمسلمين ، وحديث عن موقف النصارى من الاســلام ، وحديث عن أن الفينيقيون عرب

والكنعانيون عرب والآراميون من العرب ، وحـديث عن حقيقة التصـوف ومكانته من الشريعة ، هـذا بالاضافة الى أحاديثه عن الأزهر والاصـلاح الاسـلامى .

ومن ناحية أخرى عرض المنار تاريخ هذه الفترة وأمر السياسة والحكم والدولة العثمانية فيها فتحدث عن الاتحاديين حكام تركيا وافسادهم فى الدول وبيعهم البلاد العربية للافرنج واتفـاق عام ١٩١٦ على البـلاد العربيـة ، واستعمار الغرب للشرقيين بعـد الحرب ، وانكلترا واتفاقها مع فرنسـا على اقتسام البـلاد العربية ، واستخدامها شريف مكة وأولاده ، وحـديث عن الدولة العثمانية وغرور المسلمين بها واتكالهم عليها وظهور الحيـاة فيها بعد الاحتضار، وحديث عن شريف مكة واباؤه الاتفاق مع أمراء العربواتفاقه مع انجلترا ودخوله الحرب معها وعداوته للترك . وحديث عن مصطفى كمال باشا منقذ الترك وزعامته لجيش الأناضول .

هناك فصـل مطول عن المسألة العربية وفصـل عن المسألة المصرية وسعد زغلول .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لـ : احمد كمال باشا الأثرى ، طاهر الجزارى ، سعد زغلول ، الشيخ بخيت .

وقد استفتح المجلد الثانى والعشرين فقال :

أنذرنا أكابر السياسة فى مثل هـذه الفاتحة منـذ عامين ان ترك تنفيذ قواعد العدل وحرية الأمم لابد لها من احدى العاقبتين : « ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير وانقـلاب بلشفى شره مستطر أو تعود العرب جذعة بهذه السـياسة الخدعة الخباة الطلعـة (**والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر واتبع المنذرون أهواءهم وكلأمر مستقر فهذه الأرض تضطرم نيران الفتن والفساد والانقلاب البلشفى كل يوم فى ازدياد ، ان الناس لن يكونوا أمة واحدة ولن تخضع الأمم منهم لأمة واحدة ويا أيها الرأسماليون والطامعون ان طلب الزيادة ينتهى بالوقوع فى النقصان وان السواد الأعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبدا خادما لأفراد من الأعيان وان سنة رد الفعل سيكون لها القول الفصل والحكم العدل . وأنت أيتها الأمة الأمية التى عاودها الارتكاس فى عصبية الجاهلية الى متى هـذا التفـرق والانقسام بعد تلك السعادة والوحدة والاعتصام وحتى متى تلدغين من الجحر

الواحد مرارا عديدة وقد حذرت فى المرتين وسمعت النذر بالاذنين ورأيت العبرة بالعينين ان كان لهم منك اى ولى وظهر ورأيت فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فياقوم انى لكم ناصح امين على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ان لا تعبدوا الا الله ولا تيأسوا من روح الله (**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله**) فقاتلوا أولياء الشيطان بما امركم به الرحمن من غير تحريف ولا تصحيف فى القرآن .

وما لا أخصه بالتذكر لقومى وعشيرتى بما يشد أمر الجماعة ويضع عنها امرها ويحكم أواصر الجامعة ويرفع لها ذكرها (**ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم**) ، استدار الزمان ووقع من التطور الاجتماعى ما لم يكن فى الحسبان وسيترك ما بقى من صروح الاستبداد وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد وبفضل التضافر والتظاهر والاتحاد . انما الذل والهوان على أهل النفاق والدهان والمتفرقين فى المذاهب والأديان المخدوعين بكلمة العدل والمدنية والمساواة والحرية ، انما المعاهدات حجة الأقوياء على الضعفاء .

هذا هو الطريق الذى بداه جمال الدين ومحمد عبده

م ٢٣ (١٣٤٠ — ١٩٢٢)

ارهاصات الأحداث واضحة فى المجلد . فهذا كتاب عن الخلافة الاسلامية للعلامة أبو الكلام ازاد ترجمة عبد الرازق المليح أبادى ، وقد جاء على اثر ذلك أن وقع الانقلاب التركى الجديد (نوفمبر ١٩٢٢) باسقاط الدولة العثمانية وتأسيس دولة تركية وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية عملا بقاعدة الديمقراطية الغربية .

وبدا أثر ذلك واضحا فى مصر والبلاد العربية وحديث عن مؤتمر لوزان وفى نفس الوقت أحاديث عن البهائية بعد موت زعيمهم عباس البهاء وعن القاديانية التى اسماها ((المسيحية الهندية)) وحديث عن مجوسية الفرس وعن السياسة وتاريخها باعتبارها الضربة الأولى التى ضرب بها الاسلام وحديث عن مدينة القوانين التى اثارها محمود عزمى والسعى

لالغاء المحاكم الشرعية وما يتصل بذلك من انشاء جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها برئاسة الشيخ على عبد الرازق وأحاديث أخرى عن كوارث سوريا فى سنوات الحرب وما فعله جمال باشا فى سوريا للأمير شكيب أرسلان ، والاحتفال بذكرى الامام محمد عبده وفتوى شيخ الاسلام بأن الكماليين بغايا يجب قتالهم ، كما أورد الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الاسلامية .

وفى افتتاحة المجلد الثالث والعشرين حديث العام : ذهب طور الترف والفسوق المهلك للأمم والمفسد للحكومات والدول وصرنا الى طور الشدائد المجهضة للقلوب المدمرة لمصابيح العقول الموحدة لنار الهمم المظهرة لاستعداد الأمم بازالة الأحقاد وجمع الكلمة على الجهاد . ويقول : جرينا على منهج الامامين الحكيمين فى الدعوة الى الوحدة وجمع كلمة الأمة بالتذكير بآيات الله المنزلة فى القرآن وما هدى اليه من سنة المطردة فى أطوار الانسان .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : سعيد حليم .

الفصل الرابع

المنـــــار : الى وفاة الشـــــيخ رشـــــيد

هذه المرحلة الأخيرة من حياة المنار كانت خصـــبة حافلة ، فقد وقف السيد رشيد ازاء تحركات التغريب والغزو الثقافى الذى قاده على عبـــد الرازق ومحمود عزمى وطـــه حسين موقفا حاســـما وكشـــف زيف هـــذه المخططات ومضى فى طريقه فى الدعوة الى الله ومواجهة مخططات الاستعمار فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، معارضا لجوانب الضعف والانحراف فى الحضارة الغربية داعيا المسلمين والعرب الى منهج اسلامى أصـــيل والى بناء المجتمع الربانى الأمثل .

●●●

م ٢٤ (١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م)

لا ريب ان أضـــخم الأحداث التى اهتم بها المنار فى هذا العـــام هو الخلافة الاسلامية فقد قدمت دراسة واسعة عن حقيقة الخلافة ومفهومهـــا فى الاسلام كما قدمت كتابا صدر فى أنقرة ضد الخلافة لعله هو أحـــد الكتب التى اهتدى بها الشيخ على عبد الرازق فى كتابه كما أشـــــار الى فتاوى مصطفى كمال الدينية .

(ثانيا) أولى اهتماما بالغا لأحداث العالم الاسلامى ،

فأشار الى النهضة الأفغانية ومؤتمر لوزان كما تحدث عن الجامعـــة الاسلامية والجامعة الجنسية ووجوه التعارض بينهما وأشار الى ثورة الهند السياسية وانتصارها للخلافة والدولة العثمانية والخطاب الذى ألقـــاه امام المحكمة الشيخ أبو الكلام ازاد .

كما أشار الى حركة الأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب والاستفتاء مع ملك الحجاز .

(ثالثا) أولى اهتمامه للوهابية وحقيقتها ومنشأ الطعن فيها ، كمـــا كشف زيوف « المسحة الاسلامية القاديانية » الملقبة بالأحمدية ، وتنـــاول بالعرض برنامج تعبير المحمديين وبرنامج كيدهم للاسلام .

(رابعا) عرض للتراث الاسلامى المنبعث وأولى اهتمامه بمجموع الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى ، كما نشر صفحات مشرقة للأمير شكيب ارسلان عن انتداب العرب فى سويسرة فى القرون الوسطى كما تحدث عن مؤلفات ابن تيمة وابن القيم والشوكانى .

(خامسا) قدم عرضا لذكرى رينان فى الجامعة ورد على محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى رينان والأفغانى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الرابع والعشرين بتذكير قراء المنار بعبرة شئون الاجتماع والعمران وتنازع عوامل الصلاح والفساد فى الانسان وما يناسب ذلك من هداية القرآن : حجة الله البالغة بما فيها من آيات العلم والبيان المناسبة لكل زمان ومكان ، ذلك لأن « المنار » انما أنشىء لايقاظ الشرق وتمدن الاسلام باعادة تكوين الأمة وحياة الملة والدولة لفروع الفقه وأصول العلم لا لجدليات المذاهب الدينية ولا تاييد العصبيات الجنسية ولا لنشر ما يتجدد من قضايا العلوم ونظريات الفلسفة أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات ولا لجوانب الحوادث وأخاديع السياسة ، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الأبواب فانما يولى وجهه شطر ذلك المحراب لأن الأمة اذا أحيت ، أحيت من العلوم ما كان ميتا ، وأنشرت من الفنون ما كان رميما ، واذا ماتت أماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروسا مرديا .

واستطرد يقول : ومن آياته الماثلة امام الناظرين فضيحة هذه المدنية المادية التى فتنت اوربا بها المسلمين فقد ظهر لهم ما كان خفيا من فسادها وذهب بهيبتها ما كان من الفظائع فى حربها ومن آياته أن ثل عرش دولها المقهورة وزلزل اركان دولها المنصورة ، وضعضع ثرواتها وأوقع الاضطراب فى معيشتها ، ومن آياته أن أذل جبروت أعظم دولة قاهرة .

ويقول : لقد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما ، جامعة علمية روحية وهى كتاب الله وما فيه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية هى الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متممة للأولى

ومنفذة لها ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ثم تفرقنا فى القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعل الملة الواحدة مللا وتفرقنا فى الامامة بالعصبيات فصارت الأمة أمما والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كلتيهما وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلمتيهما فتجمد بعضنا على ظواهر بعض الكتب التقليدية ومن تعصب بالقوانين والنظم الأوربية وروابط شعوبها الجنسية والوطنية .

يقول انه فى العدد الأول من المنار كتب فى بيان حق الامام على الأمة وحقوق الأمة على الامام فلما قرأتها على الشيخ محمد عبده أشار الى (ترميج) هذه الكلمة منها وقال ان المسلمين لم يبق لهم امام الا القرآن وأن البحث فى الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس ، واشار الى فساد الأمراء وخروج الخلافة عن الأساس الذى اقامه عليها الاسلام فى عهد الراشدين ، وقال : الا أن اقامة الامام هى التى تحيى هذه الأمة ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وأنها لترهق محاولها صعودا ، وتتقحم به كؤودا وتجشمه منالا بعيدا ، وأن أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وأن أطمعهم فيها لأعجزهم عنها وان أقربهم منها لأبعدهم عنها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : احمد كمال باشا ، الأمير عبد الكريم الخطابى .

المجلد ٢٥ (١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م)

تعد القضايا السياسية للعالم الاسلامى هى ابرز الجوانب التى يوليها المنار اهتمامه وهذا المجلد حافل بقضايا سياسية اسلامية كثيرة :

أولا : ملف كامل عن الشريف حسين وموقفه من بريطانيا وفلسطين وزيارة ملك الحجاز لشرق الأردن ، ورسالته الى الأمة البريطانية وفساد حكم الشريف حسين فى مكة المكرمة .

ثانيا : المسألة المصرية بعد تأليف الوفد المصرى ووزارة سعد .

ثالثا : الاتفاق بين الأمير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب على سوريا .

رابعا : تركيا الكمالية والانقلاب الدينى والسياسى فى الجمهورية

التركية والغـاء الخلافة (عبـد العزيز جاويش ـ محمـد شاكر ـ أمين الرافعى) وموقف العالم الاسلامى من الجمهورية التركية .

خامسا : الخلافة ومؤتمر القاهرة ، والمسألة العربيـة فى طور جديد بين ملك الحجاز وسلطان نجد ، وزحف النجديين على الحجاز (الوهابيين) وقضية الأمير الخطابى والريف والمغرب .

ومن ناحية اخرى تجرى الأبحاث والدراسات :

١ ـ التفسير والفتاوى .

٢ ـ دراسات عن التراث (كتاب أساس البلاغة للزمخشرى فى طبعـة جديدة لدار الكتب المصرية) .

٣ ـ قضايا المجتمع الاسلامى :

(أ) تزويج المسلم لغير المسلمة ومسألة تحديد الزواج بقانون وتحديد سن الزواج بتشريع قانونى .

(ب) تحريم المسلمات على غير المسلمين .

٤ ـ الرد على الشبهات وخاصة فيما يتعلق بوحـدة الوجود وابطالها بقلم الامام ابن تيمـه وبحوث عن الامامة والباطنيـة والجمعيـات السرية .

٥ ـ قضايا التبشير والاغراء بين التصدى والمسلمين ، ودعوة المسلمين الى النصرانيه .

٦ ـ الأزهر ماضيه وحاضره ومستقبله .

٧ ـ ترجمة القرآن وتحريف الترجمة والتشكيك فيه فى تركيا .

٨ ـ وفيـات الأعيان : الشيخ محمد المهـدى ـ السيد محمود شـكرى الألوسى ، الشيخ سالم ابو حاجب .

❋ ❋ ❋

ويقول السيد رشيد رضا فى الافتتاحية : ان المنار لم يكن يبلغ سن الشباب (الخامسة والعشرون) الا وكان منشته قد شاخ وشاب ونحمد الله ان كان وقع الشـوائب التى شيبت الراس ولم تشيب العزم والياس ولم تشب الهمـة بشائبـة من اليأس ، فقد ثبت المنـار على دعوته التى وضعناها فى أول نشأته .

ويقول : سننتقض بالرد على الملاحدة ومحاولة هدم الاســـلام باسم الاسلام من البهائية والأحمدية المسيحية القاديانية فقد قويت دعوتهم فى مصر ويؤيدهم بعض الكتاب فى الجرائد والمجلات الشهورة .

المجــلد ٢٦ (١٣٤٣ هـ ــ ١٩٢٥ م)

كانت القضايا الشاغلة للسيد رشيد رضا خلال العام هى كبريات الأحداث فى العالم الاسلامى وأبرز الأحداث ظهور كتاب على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) ينكر فيه كون الاسلام دين تشريع وامامة وحكومة وقضاء ويبيح للمسلمين أن ينتحلوا أى حــكم وقانون ويتبعوا أى حكومة من الحكومات ، وقد قدم تفاصيل وافية عن أهم منكرات الكتاب كما تناول الموضوعات الآتية :

١ ــ ابن السعود واستيلاؤه على جميــع الحجاز والوهابيون والافتراء عليهم .

٢ ــ أوربا والاســـلام والخلافة ومؤتمر الخلافة والاســـلام فى أوربا فهمه وانتشاره .

٣ ــ سوريا وثورتها على فرنسا وموقف نصارى الشرق من المستعمرين .

٤ ــ حرب الريف التى يقودها الأمير عبد الكريم الخطابى .

٥ ــ الدولة التركية فى تطورها التغريبى ، وجمعية الاتحاد والترقى .

٦ ــ الأزهر وقضايا التربية والتعليم بعامه .

٧ ــ حملات التبشير النصرانية على الاسلام وبشارات التوراة والانجيل وعرضها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعرض للمدارس التبشيرية وملاحدة المتفرنجين من العرب .

٨ ــ أسبانيا والعرب فى الأندلس : صفحة عن آخر عهد المسلمين بهــا واكراه الاسبانيين على النصرانيــة وعامة العرب وأواخر العهــد بتسليم غرناطة .

٩ ــ عرض لقضايا التغريب والغزو الثقافى ، عنــد ترجمة القرآن وكيف تجعله أعجميــا ولبس البرنيطة كما تحــدث عن أخطاء الصوفيــه (الرفاعية والبطائحية والشعرانى وخرافاته) كما هاجم ابن عربى وابن الفارض والجعد بن درهم والشيرازى الصوفى والصدر الروبى

وحديث عن كعب الأحبار ووهب بن منبه كما أورد مناظرة ابن تيمه مع البطائحية الرفاعية .

كما أورد المنار عشرات من الأحاديث عن ومع الشخصيات الاسلامية البـــارزة :

الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر وأحمد شوقى والأستاذ الامام والأمير شكيب ارسلان وجمال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورحمة الله الهنـــدى ورفيق العظم وفؤاد سليم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما قدم عـــددا من الكتب الاسلامية الهـــامة التى ظهرت على مدار السنة :

ايقاظ الغرب للاسلام للورد هدلى ، تقرير الدكتور فخرى عن البقاء وحاضر العالم الاسلامى وحواشيه التى كتبها الأمير شكيب أرسلان وخلاصة تاريخ الأندلس وكتاب الخلافة الاسلامية ، كما قدم لكتب التراث : المغنى والمحلى (ابن حزم) واسرار البلاغة (الجرجانى) .

* * *

وقد استهل فاتحة المجلد السادس والعشرين فقال :

ان اهم ما طرأ فى هذا العام اقدام الترك على نشر ترجمـــة للقرآن وتصدى حكومتهم الجمهورية لنشرها لأجل أن تحل محـــل القرآن العربى الذى هو كلام الله تعالى ، فرأيت تحقيق الحق فى هذه المسألة فى نفســـها وبيان الباعث عليهـــا ، مسألة الخلافة فى جميـــع وجوهها (فى المجلدين ٢٣ ، ٢٤) .

وتحدث عن توسع المطبعة وادارتها بقوة الكهرباء .

ويقول : سيكون أكبر همنا فى المجـــلد السابع والعشرين موجهـــا الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا فى هذه الأيام فى تعميم دعوتهم الى هدم العقائد والتجرئة على الفواحش والرزائل وتقطيع الروابط الملية والقومية واعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية وجميع الفتن المادية حتى البلشفية والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التى يبثها أهـــل الطرق التى تسمى صوفية وما ولدته من البدع الحديثـــة كالمسيحية القاديانيـــة ، وكل هذا من قبيل الهدم ثم الى تأييد دعوة الاصلاح وتجديد أمر الإســـلام

بالرجوع في عقائده وعباداته الى القرن الأول والاعتماد فى قوته وعزته على فنون العصر الحاضر وهذا هو البناء المطلوب ولعـله لا يتم الا فى جزيرة العـرب ».

المجلد ٢٧ (١٣٢٤ هـ — ١٩٢٦ م)

الموضوعات الثلاث الكبرى التى ما تزال تشغل المنـار فى مجـال السياسة الاسلامية :

— الدولة التركية وموقفها من العرب والاسلام — حكم آل سعود لجزيرة العرب وموقف الشريف حسين وأولاده — دعاة الالحـاد فى مصر وقضية كتاب الشيخ على عبد الرازق التى لم تنته وظهور قضية الشعر الجاهلى لطه حسين .

كما نشر صفحات مطوية للامام الشيخ محمد عبده ، وتصدى للنحلتين :

١ — البابية والبهائية فى بلاد العرب .

٢ — القاديانية فى البلاد العربية .

٣ — فتنة ملاحدة الترك فى سوريا ومصر ».

مع تحرير مفاهيم الوهابية والكشف عن أخطاء الباحثين بالنسبة لكعب الأحبار ووهب بن فينة ومذهب دارون وبطلانه والتوفيق بين الدين والعلم .

كما أورد بحوثا حول ابن خلدون وعلم الاجتماع ، وأحكام السـفر والاقامة لابن تيمه وفتاوى حول صندوق التوفير فى البريد ، وقضايا المجتمع : المراة والحجاب ومحاربة البغـاء .

كما عرض للمؤلفات الحديثة : كتاب مرآة الحرمين ، ونهاية الأرب ، وكتابى الخضر حسين وبخيت المطيعى فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق ، والموجز فى علم الاجتماع ، ودروس فى التاريخ الاسلامى ، ورجال المعلقات العشر وبلوغ العرب فى أحوال العرب ومن أهم الكتب التى صدرت فى الرد على كتاب طـه حسين كتاب مصطفى صادق الرافعى « اعجاز القرآن » .

* * *

وقد صدر السيد رشيد رضا هذا المجلد بحديث مستفيض عن أحوال المسلمين فقال : بالأمس خسر الاسلام دولة كانت مبدأ الأجيـال الوسطى

فى تاريخه ، واشد دولة بأسا ، وهى دولة آل عثمان ، وخلفتها دويلة تركية هى أشد دول الأرض عداوة له ، واليوم تجدد له دولة جديدة هى أرض دولة لتجديد هدايته واعادة مجده ، اذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها وينصرونها ويفيدونها ويعتدون منها هى الدولة العربية السعودية التى قامت فى مهد الاسلام .

ثم قال : فرض الله الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واكد امره ، ولعن تارك التناهى عن المنكرات التى يفعلها بعضهم فى كتبه وعلى السنة رسله ، لئلا يترك المعروف ويفشو المنكر فيصير كالمعروف فيختل امر الفضائل :

« ومن رأى منكم منكرا فليغيره » (الحديث) .

ترك المسلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وصيروتها لقب تشريف ثم ترك انكاره بالقول لفشوه فى الحكام المستبدين والزعماء الظالمين وضعف الدين فى جماعات المسلمين الا قليلا منهم كانوا يظهرون ضيقا ويخفون أحيانا ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا .

حتى ظهر فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة واول ما بعده الاصلاح الوهابى فى نجد قام به عالم نجدى اسمه (محمد بن عبد الوهاب) يدعو الى التوحيد الخالص : وهو عبادة الله تعالى وحده بما شرعه للناس فى كتابه وعلى لسان رسوله ، وقاومه الناس وآذوه كما آذوا من قبله ومن بعده كل داع الى الحق والخير ويسخر الله من الزعماء الأقوياء من آزره حتى تأيد القول بالفعل وانتشرت دعوته الاصلاحية بقوة سيوف البيت السعودى فى جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز وكادوا يجددون للاسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الأولى كما خرج بذلك كل من عرف كنه حالهم من الشرقيين والغربيين لولا أن تصدت لهم الدولة العثمانية فحاربتهم فى جهة العراق والحجاز ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة مصر الفتاة فحاربهم محمد على حتى اخرجهم من الحجاز ، ولم تكتف الدولة التركية وأعوانها بهذه الحرب بل أثارت عليهم حربا شرا منهـا واشأم ، وهى حرب الدعاية بالطعن فى عقائدهم وأعمالهم وتسمية سنتهم بدعة ، وخيرهم شرا وعزمهم نكرا .

وكتب المنزلقون فى ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من فنون الكذب والبهتان ما لا يخطر الا فى بال الشيطان .

والقى رجال السلطان عبد الحميد الاخير الشقاق والعداوة بين آل سعود وآل الرشيد فى نجد وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح والمال الى ان تمكن من اخراج آل سعود من نجد واستولى على الرياض عاصمة امارتهم حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل المؤيد بنصر الله وتوفيته واستعادته لنجد ثم استيلاؤه على امارة ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدول العثمانية من تلك البلاد ثم على بلاد عسير ثم على المملكة الحجازية برمتها .

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هى الفرصة السانحة لتجديد هديه واعادة مجده ، فهل يضيعها المسلمون كما اضاعوها أول مره .

وتحدث عن تضاعف الشكوى من انكار البدع والمحدثات التى شوهت الاسلام فى القرون الوسطى وتفاقمت وطغى طوفانها فى القرون الأخيرة وتحدث عن بعض كتب التصوف المنحرفة فهاجمها وتحدث كيف تروج فى المسلمين الدعاية الظاهرة البطلان التى راجت منذ قرن ونصف بأكاذيب احمد زينى دحلان وامثاله عن الوهابيين والدعاية التى اذاعها الشريف حسين واولاده فى الطعن فى الوهابية ، واشار الى « ملاحدة الاتراك » الذين يصمون الاسلام لانه عربى ، وقد راى بعضهم أن تكون صورة الذئب الاغبر شعارا لهم لأن اجدادهم عبدوه وقدسوه فى جاهليتهم الأولى ورأينا منهم من يفتخر بجنكيز خان وهولاكو خان أعداء البشر ومخربى العمران .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : الاديسى — شوكت على — محمد على .

المجلد ٢٨ (١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م)

حفل هذا المجلد من المنار بدراسات واسعة فى مختلف المجالات وكان ابرز اهتمامات المنار بروز المملكة العربية السعودية ، ومعاهده جدة بين ملك الحجاز ونجد وبين انجلترا .

كما تحدث عن علاقات العرب والانجليز فتحدث عن سياسة الانجليز فى الشرق وزعماء العرب ونشر محاضرة مستر كراين عن جزيرة العرب

كما أشار الى مشروع بريطانى لينصر جزيرة العرب وأشار الى العلاقات بين اليمن والحجاز .

وكشف عن بيان علاقة المنار بالوهابية والملك عبد العزيز ونشر فصولا من كتاب كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب .

ونشر فصولا فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى ابن عبد الرازق ، كما نشر قرار النيابة فى قضية طه حسين ، كما تحدث فى فصول عن القاديانية الملقبة بالأحمدية وعرض لعدد من قضايا المجتمع مثل قانون الأحوال الشخصية والنهضة النسائية والزى الاسلامى والربا وحقيقته وسبب تحريمه ، وتعرض لمسألة القبور والمشاهد عند الشيعة ونشر خطاب النشاشيبى فى تكريم شوقى .

هذا بالاضافة الى الأبواب الثابتة : تفسير القرآن وفتاوى المنار (تعدد الزوجات ، تعدد زوجات النبى ، البيت الحرام ، سدنته وكسوة الكعبة ، تأويل آيات الصفات) وعرض للقرآن ووجوه الاعجاز والاسرائيليات وتحدث عن النهوض باللغة العربية ، وتحدث عن أتاتورك وحياته وأعماله فى تغريب تركيا ، وهاجم مجلة الحديث الحلبية (سامى الكيالى) فى مواقفه التغريبية وفى هذا المجلد عرض تراجم لابن تيميه فى القديم وأحمد عباس الأزهرى ، وسعد زغلول ، وأمين الرافعى .

وعرض السيد رشيد رضا فى افتتاحية المنار للموقف العام فقال :

لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الأفراد والجماعات كالأحزاب والحكومات ، ولو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير فى اختيار الهزل على الجد وايثار الافساد على الاصلاح ونحمد الله أننا لم نسلك طريقا فى الاصلاح الخاص بالحكام الباذلين والأمراء والملوك والسلاطين والجماعات الدينية والسياسية . تلك سيرتنا فى نقد الحكومة الحميدية ثم فى التشنيع على الجمعية الاتحادية وحليفتها الحكومة الكمالية وفى جهاد الملك حسين بن على وأولاده وفى انكارنا على متبعى المذاهب من الشيوخ الجامدين ورجال الطرق الخرافين . وقد عرضت فى هذه الأيام شبهة تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابية ، والمنار يدعو من أول نشأته الى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح فى عقائده الاسلامية وهدايته

كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق فى سياسته وقوته ، ولم يكن فى ذلك الوقت ملك ولا سلطان يتهم بالطمع فى مساعدته بل لم يكن يومئذ يعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف بل كنا نصدق الدعاية التركية التى ذاعت فى العالم منذ القرن الثالث عشر من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها واول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون ارادوا اعادة هداية الاسلام الى عهدها الأول هو محمد مسعود بك الكاتب المصرى ثم قرأت ما كتبه فى نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الازهرى ثم ما كتبه محمود فهمى المهندس المصرى فى كتابه البحر الزاخر ثم صاحب الاستقصاء فى تاريخ المغرب الأقصى ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخورى مفتى بيروت فى تاريخ الاسلام ، كما أنه أتيح لى الاطلاع فى أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج واطلعت شيخنا الامام على ذلك .

المجلد ٢٩ (١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م)

ما تزال قضايا النفوذ الأجنبى فى العالم الاسلامى وآثار الاستعمار فى عديد من دول الاسلام هى الشغل الشاغل للمنار ، وفى مقدمتها الدولة التركية العلمانية وأعمالها فى القضاء على روح الاسلام فى الأتراك وأثر ذلك فى البلاد الاسلامية الأخرى حيث ظهرت جماعات فيها تدعو بدعوته وما ظهر فى مصر من كتابات وصحف تؤازر هذا الاتجاه التغريبى وخاصة كتابى طه حسين (الشعر الجاهلى) وعلى عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) وكتابات سلامة موسى ومحمود عزمى فى نفس الاتجاه ومجلة الرابطة الشرقية ومقالاتها المسمومة .

وامتداد هذا الأثر الى فارس والأفغان حيث يتحدث السيد رشيد رضا عن الحكومات اللادينية فى الترك وفارس وأفغانستان ، كما يتحدث عن الانجليز وتنصير مسلمى السودان والمؤتمر الاسلامى العام فى القدس من أجل قضية فلسطين وغزو الصهيونية لها وما يسمى الوطن القومى لليهود ، وفتنة اليهود بانتزاع جدار المسجد الأقصى وخطر هجوم الكماليين على الاسلام يتمثل فى استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية وأحاديثه

عن السنة والشيعة ، والوهابية والرافضة ، ورسائل اخوان الصفا ونظرية النصارى فى خطيئة آدم ، والرد على الأحمدية خلفاء القاديانية وترجمة محمد على اللاهورى للقرآن، وفيما يتعلق بالأزهر أورد مذكرة المراغى فى اصلاح الأزهر ، وتحدث عن الاصلاح فيه والتعليم ، ومطاعن البشرية على الاسلام ورد سيف الرحمن اللورد هدلى وأحاديث عن الوهابية والصحفى النمسوى يحيى بك كيف صار مسلما ، وأحاديث عن الماسونية واستحضار الأرواح والمرأة المسلمة ونهضتها الحاضرة ، كما عرض لقضايا مقارنات الأديان والبروتستانت والكاثوليك .

وقد حفل العام بأسماء كثيرة من المعاصرين جاء ذكرها ، منها الامام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود والشيخ المراغى وأحمد ابراهيم وسعد زغلول ومحمود شكرى الألوسى والأمير شكيب ارسلان وسليم البخارى وسيد امير على والشريف حسين وعبد الرحمن الدمرداش وعبد العزيز جاويش وعلى سرور الزنكلونى ، وجاءت ردود على كتابات طه حسين وعارف الزين وهيكل وسلامة موسى .

كما عرض المنار لأفكار عدد من علماء الاسلام : ابن تيمية وابن القيم وأحمد بن حنبل والبخارى وأحاديث عن الصحيحين وأبو هريرة .

* * *

وقد افتتح المجلد التاسع والعشرون بحديث عن مدنية أوربا المادية فقال أنها لا تجد لها منقذا من الهلاك القريب فى التنازع بين عباد المال والشيوعيين وفى الاسراف فى الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا بانقاذها به قبل أن تقضى هى على ما بقى لهم من ملك وثروة وقوة :

ويقول : « ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة فى الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه ويحفظوا له بقية بلاده ويستفيدوا الكثير مما فقد منها بل يمكنهم أن يحلوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعمموا نشره فى بلاد الغرب كلها ، اقول هذا عن علم وخبرة اكتسبها فى بحث استمر زهاء ثلث قرن ولما أجد لها الزعماء الصالحين لتنفيذها ، وكان شيخنا الأستاذ الامام موقنا بهما وصرح به

فى الدرس العام بالجامع الأزهر وكان مثله حكيم الاســلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه ، وما أحبط ســعى هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانية وهى تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام ايضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف .

● ترجم صاحب المنار فى هــذا المجلد لـ : سيد امير على — سليم البخارى — عبد الرحيم الدمرداش .

المجــلد ٢٠ (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

سيطرت ثورة فلسطين على قضايا العــالم الاســلامى ، وجــددت الحديث عن اليهود والانجليز والغرب والماســـونية والجزويت واليهود والكنيسة وملك اليهود وهيكلهم ، وحديث عن الاســلام وآراء بعض علماء الافرنج فيه وانتشاره فى قرن فوق انتشار النصرانية فى عشر قرون وجهــاد أوربا له بالسلاح والعلم والسياسة للادالة منه ، وقد حفل المجلد بكتابات اسماء لامعة منها الأمير شكيب أرسلان عن ما يقال عن الاســلام فى أوربا ووجوب اطلاع المسلمين عليه ، ومحاضرات عجاج نويهض عن النهضــة الاسلامية ، وأحاديث للمستشرق مونتيه الذى ترجم معانى القرآن وكتب عن السنة النبوية ، كما عرض لكتاب درمنجم عن النبى محمد (حياة محمد) وحــديث عن طنطاوى جوهرى وتفسيره ورد الشيخ طنطاوى ومساجلة عاصفة بين رشيد رضــا ومحمود عزمى حــول مساواة المرأة والرجــل فى الحقوق والواجبات .

وقد أولى الشيخ رشيد رضا اهتمامه بالخلافات بين السنة والشيعة بمناسبة الخلاف الجديد الوهابية والرافضة ، كما أورد سيرة شيخ السلام ابن تيميــه ، وعرض تاريخ حــروف الــكتابة ، وعن المدارس والجمــع بين الجنسين وتعليم أبناء المسلمين فى المدارس الأجنبية ، كما تحدث عن نظرية دارون وموقف الاسلام منهــا ، وفى المحاورات الخاصة بمقارنات الاديان تحدث عن الثالوث ، ونصرانية الافرنج ولماذا لا يسلمون وهيمنــة القرآن على التوراة والانجيل ، كما تحدث عن حقيقــة الربا وأحاديث عن اسماعيل باشــا وادخاله القوانين الفرنسية فى مصر ، وعرض لآراء بعض المستشرقين عن الاسلام والرد عليه ، كما عرض رأى تولستوى وعقيدته

فى المسيحية ، والصوفيـــة واخطائهم ، ولم يتوقف عن أحاديث الأزهـــر والتعــليم فيـــه .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـــ : المراغى — أمين سامى .

* * *

وقد افتتح المجلد الثلاثين بقوله : نحمـــد الله أن قدرنا على استمرار اصداره فى تلك السنين النحسات ونرجو من فضـــل الله تعـــالى ان نثبت على هذا التاريخ فى اصداره ما دمنا متمتعين بالصحة بعد أن من علينا بدار صالحة للسكنى والمطبعة ، نذكر القراء فى فاتحة المجلدين الثلاثين ان الحملة على الاسلام قد اشتدت فى هـــذا العهد من خصومة فى الداخل والخارج ، أعنى من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها ومن أعوانهم وانصارهم وتلاميذهم فى البلاد الاسلامية نفســـها ، ولست أعنى بهـــؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريون والأرمن وغـــيرهم بل اعنى من هم أشر منهم وأضر ، من ملاحدة المسلمين من الترك والايرانيين والأفغـــانيين ، ودعاتهم واخوانهم من المصريين وأشـــباههم من السوريين والعراقيين ومن الهنـــود والافريقيين وسائر الشـــعوب الاسلاميـــة الذين ســـممتهم التربية الافرنجية وأفسدتهم الآراء المادية وجنى عليهم الاسراف فى الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الالحاد على كل من يسمى خطـــة هؤلاء الكماليين الى نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم والتمهيد لمحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابتة شعبهم ، بمنع اللغـــة العربيـــة جميع بلادهم وترجمة القرآن لا تؤدى حقائق معانيـــة من لغتهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية للاجهاز على الفاظه وأساليبه المعجزة ، بل كل من يسمى هذه الخطة اصلاحا ويحسنها ويدعو اليهـــا فهو عدو للاســـلام وولى لأعدائه ، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعى الاسلام ويخفى الكفر فافساده أعم ، وأكبر من افساد الكافر الأصلى المرتد لأن الجاهلين بحقائق الاســـلام من المسلمين يغترون بكلامه فيفتنهم عن دينهم .

ويقول : ملاحدة بلدنا طبقات : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين ،

منهم صاحب مجلة ومطبعة فى مصر(١) معروف وفى حلب مجلة حديثة (٢) ومنهم احد محررى الجرائد اليومية المأجورين(٣) الذى كتب مقالات فى تنقيح النص فى الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام وطلب أن تكون حكومة معطلة (لا دينية) مقالات فى سن قانون مدنى للأحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشىء من الأحكام الشرعية . وقد كان من اركان محررى السياسة ، ويقال ان له صلة وعلاقة ببعض جماعات اليهود ، وافراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يمتعضون بالتعطيل ومنهم من يفخر بذلك .. اما الطبقة الثانية فهم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويمتعضون اذا وصفوا بالزيغ والالحاد وهم مع ذلك يضعون فى أصوله ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة ويشككون فى آيات القرآن . (الطبقة الثالثة) الفماليج اللامعون من مرضى القلوب المقادين ، الذين يشايعون المؤمنين كما لو كانوا معهم ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم .

ومما يثبت بالخبر المستفيض ان من افراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر وسعاة للصد عن الاسلام ، ومنهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير بالنصرانية ومنهم يتقاضى مكافاة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ اجره منها ، وكان الشيخ محمد مهدى وكيل مدرسة القضاء الشرعى أول من انبانى انه يوجد فى مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام بالطعن فى شريعة وفى حكومة وفى لغة وفى أئمة الاسلام وفى كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء وكبار العلماء والأدباء ثم ظهرت آثارهم فى بعض الصحف العامة وفيما نشروا من المصنفات الخاصة ، ولقد كادت الوزارة الائتلافية تسقط بانتصار اعظم اركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذى جهر ملفقه بالطعن فى القرآن ترجيعا لأصوات بعض أعوانه من المبشرين بالانجيل (٤) وقد علم الجمهور انه تألف فى مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع من حيث لايدرى كثير ممن انتظم فى سلكه ، وقد

---

(١) سلامة موسى . (٢) سامى الكيالى .
(٣) محمود عزمى . (٤) طه حسين .

نشرت جريدة السياسة الاسبوعية (مارس ١٩٢٨) مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد فى مصر تعصب دينى (اسلامى) ضار وأن جماعة كانوا الفوا حزبا ولما ألفت فى مصر جمعية الشبان المسلمين عارضوها بتأليف جمعية الشبان المصريين ، واختاروا لها من يكبر شأنها ويلقى المحاضرات فى ناديها ، وليس الالحاد فى مصر حديث العهد بل نبت قرنه من التفرنج منذ اكثر من قرن ومازال يرتفع ويقوى حتى طمع اهله باطفاء نور الدين وقد فند الأستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته فى الوقائع الرسمية . واشد خطرا ما فاه به بعض الملاحدة فى مجلس النواب من الطعن فى الشرع وفى نفس القرآن اذ قال فض الله فاه : انه لا يحترم أو قال يحتقر كتابا يبيح تعدد الزوجات . ولكن هذا الماجن الاباحى لا يحتقر قانونا يبيح الزنا للرجل والنسوان وتعدد البغايا والأخدان ، وطلب أحدهم وقف الجلسة بضع دقائق لأداء صلاة المغرب وكان تصريحهم بأن يمنعوا الصلاة مطلقا او فى هذا المجلس.

وقد تألفت الأحزاب وتعاونت الجمعيات على بث الدعوة الى الاباحية والالحاد ونشرت الجرائد والمجلات مقالاتهم المسوخة ونشرت الكتب الملعونة لا فرق بين ملاحدة الترك وملاحدة هذا البلد الا أن اولئك أوتوا قوة عسكرية ، وما فعله ملاحدة الترك والافغان وايران سرت عدواه الى كل قطر وهو الذى اطمع المستعمرين ودعاة النصرانية فى اوربا بالاجهاز على الاسلام وتجديد النصرانية وتعزيزها فى الغرب والشرق :

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانجليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر فى القدس مهد النصرانية للتشاور فى تعميم تنصير المسلمين : وقالت صحيفة فى لندن انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات الا فى جزيرة العرب وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية فى هذه الجزيرة والقضاء عليه فى مهده الأول .

(٢) أعادت الدولة الفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ما كانت صادرته من أموالها وأوقافها تنشيطا لها على نشر النصرانية فى مستعمراتها الافريقية وسوريا .

(٣) ألفت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها فى الطعن فى الاسلام والحث على تنصير المسلمين والعرب بالقهر والاكراه .

(٤) صالحت الدولة الايطالية دولة الفاتيكان الكاثوليكية واعادت

للبابا سلطانه السياسى فى دائرته ومئات الملايين مما كانت أوقفته من أموال دولة الكنيسة الرومانسية بعض ساستها .

(٥) نشطت الجمعيات التى تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية فى الشرق والغرب وسارت فى سعيها خطوات الى الامام

(٦) ان حركة تجديد الدين فى انجلترا تلقى فى العناية حركة ايطالية باقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع فى الكنيسة الرسمية

(٧) مسألة فوضى النساء التى تعبر عن رعايتها بتحرير المرأة وتفضيل تهتكها المعبر عنه بالشعور على حياتها وعقلها المعبر عنه بالحجاب فقد أصبح النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلمات يمشين فى الشوارع بالليل والنهار مخاصرات للرجال ويغشين الملاهى والمنتزهات ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن الى المراقصة وهن أشد من الأجنبيات عريا وتهتكا . ان خصوم الاسلام القاعدين له فى كل مرصد يضحكون سرورا مما أصابه من الخزى بأهله الذين يمهدون لهم السبيل لاستعبادهم والاستعمار لسائر بلادهم » .

المجلد ٣١ (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

تسيطر على المجلد الحادى والثلاثين قضايا عديدة أهمها قضايا العالم الاسلامى فى مواجهة النفوذ الأجنبى وقد كانت مسألة المغرب وفرنسا وصدور الظهير البربرى الذى يحاول أن يعزل جماعة البربر المسلمين عن اخوتهم على أساس أنهم من جنس آخر ولهم مدارسهم ومحاكمهم ولهجتهم وقد أفاض المنار فى الكشف عن زيف هذه المحاولة وقد وجه علماء المسلمين من جمعية الشبان المسلمين نداء الى ملوك الاسلام ورؤسائه شجبا لهذه المحاولة وقع عليه محمد شاكر ، رشيد رضا ، عبد الحميد سعيد ، خليل الخالدى ، أبو بكر يحيى ، جلال الحسينى ، على سرور الزنكلونى ، محمود أبو العيون ، محمود شلتوت ، ميزرا مهدى رفيع مشكى ، محمد عبد اللطيف دراز ، محمود الغمراوى ، عبد المجيد الربيعى ، يحيى أحمد الدرديرى ، محب الدين الخطيب ، صالح جودت المحامى ، طنطاوى جوهرى ، عبد الصمد شرف الهندى ، محمد الهلباوى ، محمود يونس الأندلسى ، الباروقى ، السيد محمد عفيفى .. وأحاديث عن محاولة

فرنسا لنصرهم وموقف ايطاليـا من مسلمى طرابلس الغرب ، وقد حفلت المنار باحاديث وكتابات عن اعلام الاسلام فى العصر :

الأمير شكيب ارسلان يكتب عن « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقــدم غــيرهم » .

الشريف حسين وفاته وتركته ، أحمد تيمور رثائه ومعاملته للبنوك ، امان الله خان ، احمد عرفان المصلح الهندى ، امان الله خان ، أمين الحسيني مفتي فلسطين ، جمال الدين وتجديده للأمة ، الخديو والأسـتاذ الامام ، محمد علي وشـوكت علي ، علي سرور الزنكلوني ودروسه في الأزهر ، المراغي ومجلة الأزهر .

وأحاديث عن القاديانيـة والدعاية لهـا فى سـوريا ، والمسيحية واليهودية ، والمبشرون .

وأحاديث عن الشيعة والسنة ومناظرة فى خلافهما والوهابية عقيدتها ومذهبهـا .

وأحاديث عن الأزهر ، ويوسف الدجوى وفتاويه .

واوراق قديمة لم تنشر عن جمعية العروة الوثقي وسياستها واصول نظامهـا .

وقد شغلت المنار بقضايا التغريب والغزو الثقافى فتحدثت عن مذهب دارون ونقضه ، وعن الزنادقة والملاحدة ، وبدع اهـل الطريق ، وحديث عن التجديد والمجددون ، والرافضة وتحريفهم لآية الغار .

وأحاديث اخرى عن الثورة الهندية التاريخية وأسـبابها ، وجزيرة العرب وروسية البلشفية واضطهادها للمسلمين واحوال مسـلمى الصين والترك وتهديدهم للاسلام .

كما خصصت أحاديث عن الربا ، وعن مسـاواة المرأة والرجـل فى الميراث ، مناظرته مع محمود عزمى ، وأحاديث عن الامام ابن تيميـة عن جمـع كلمة المسلمين تحت قاعدة اهـل السنة والجماعة ، وأحاديث عن الشريعة الاسلامية ونسخ الشريعة المحمدية لما قبلها ، وترجمة الامام

أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر بقلم الأستاذ أبو الحسن الندوى .

* * *

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلة بكلمة جامعة قال فيها :

ان انصار الجمود والبدع المؤفة وحماة التقاليد المألوفة ممن سماهم الأستاذ الامام حملة العمائم وسكنة الأثواب العباعب قد أثار بعضهم فى هذا العهد عصبية مذهبية هى أضر على المسلمين من أثرة القبط عليهم فى مصالح الحكومة ، ومن فريقى المبشرين والملاحدة .

وقد طارت ريح الطيش بلب داعية قبطى كان أول من عاب الاسلام وقال بتفضيل الذكور على الاناث فى الميراث ودعا المسلمين الى نبذ الفرائض المقررة فى نصوص القرآن ، وهناك من عمل على اثارة العصبية الجنسية الفرعونية .

وتحدث عن « مذهب السلف » فقال : أعلى الله مناره وأعز مهاجرته وأنصاره وانشائه دولة وجعل له صولة ، وتعددت جمعياته وصحفه وكثرت وسائله وكتبه ، فتضاءلت امام التأويلات الكلامية والتقاليد الخرافية ولا خوف على طريقة الأستاذ الامام فى الاصلاح بعد ان اتفقت الكلمة على امامته وانكشف بموته الحجب التى كانت مضروبة أمام جلالته من استبداد أمير وحد شيخ كبير وتقليد غير جاهل .

ويقول : يهاجم الاسلام فى هذا العصر جيشان قويان من محافل الكفر اقواهما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة ، وان كانت واحدة (تركيا) واضعفهما جيش المبشرين وان كان لهم دول متعددة ، فيجب على أهل العلم وحملة الأقلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد فى هذا السبيل ، سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالعصبية المذهبية التى كانت آخر علته فى عهد قوته من كل أعدائه من الكفار .

وقال السيد رشيد رضا : ان خدمة الجم العديد من علماء الأزهر وغيرهم من المصنفين فى العلوم الاسلامية المختلفة ، منذ عدة قرون للاسلام لتصغر وتتضاءل فى جانب خدمة هذا الرجل وأستاذه ، فان علومهم ومصنفاتهم كانت فى العهد الذي تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت هدايته

ولم يكن لها أقل تأثير فى العلم والعمل لأنها كلها مباحث لفظية » .

وفى خاتمة المجلد ذكر محرر المنار : « ان سوق الكتب فى كساد الا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها وكتب المدارس وأكثرها محتكرة او كالمحتكرة » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لوفاة : الشريف حسين — أحمد عرفان — شوكت على .

المجلد ٣٢ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

كان ابرز أحداث هذا العام انعقاد المؤتمر الاسلامى العام فى بيت المقدس الذى دعى اليه عدد ضخم من أعلام الفكر الاسلامى وشارك فيه صاحب المنار بدور بارز وتابع صاحب المنار أحاديثه وأبحاثه فى مختلف المجالات الاسلامية سياسية وتربوية واجتماعية وتحدث عن عدة قضايا هامة :

١ — تعلم اولاد المسلمين فى المدارس اللادينية أو مدارس النصرانية .

٢ — ترجمة القرآن وكون العربية لغة الاسلام .

٣ — المناظرة بين أهل السنة والشيعة .

٤ — دراسة عن المرأة تحت اسم « نداء الى الجنس اللطيف » .

٥ — أخطر حادث فى وزارة المعارف وهو اخراج طه حسين وخروج لطفى السيد .

٦ — موضوع البغاء الرسمى .

٧ — الاحتفال بذكرى معركة حطين .

وقد اتسع نطاق الرد على الغزو الفكرى وقضايا التغريب الذى ظهر واضحا فى عديد من الأبحاث منها :

١ — انكار الوحى وراى الماديين واستعراض لراى مونييه ودومنجم .

٢ — الرد على كتاب محمود أبو زيد تحت عنوان « دين جديد من الباطنية والاسلام » .

٣ — تقريظ ونقد شكيب أرسلان لتاريخ الأستاذ الامام وتعليق رشيد رضا .

٤ — الرد على الأستاذ يوسف الدجوى فى جملة قضايا .

٥ ــ تصــحيح موقف الشـــيخ محمــد عبــده مما ورد فى مذكرات بلنت عن الحدوث والعــدم .

كما تناولت الدراسات وفيــات الأعيـــان :
محمد توفيق البكرى ، احمد شـــوقى ، حافظ ابراهيم .

واحاديث اخرى عن كتاب عزى عن الاسلام والمسجد من مبشر اسلم (الانجيل والصليب) وقد اولت المنار اهتمامها بالجماعات الاسلامية فتحدثت عن جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية :

قال السيد رشـــيد : « عندما هاجرت الى مصر فى منتصف ١٣١٥ هـ لم أجد فيها غيرها (اسماعيل عاصم ، زكى الدين ســند خطيب الجمعية والمؤسس لها ، ثم اسسنا جمعية شمس الاسلام ، ونقلت الجمعية الى حى شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيها اذ كثرت جمعياتهم وتصديهم لاغواء عوام المسلمين ومجلتها مكارم الأخلاق الاسلامية كما عرض لجمعية علماء المسلمين فى الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد باديس ومجلتها « الشهاب » واشار الى أعضائها امثال الطيب العقبى وسعيد الزهراوى .

ولم ينس معارضته الشديدة للطرق الصوفية وقد تعرضت للنقــد الطريقتين التيجانية والشاذلية .

* * *

وقد استصرخ السيد رشيد رضا قراء المنار فى افتتاحيته لأداء حقوقه المطولة منهم منقوصا منها خمسها فنصفها لئلا تضطره العسرة والغرامة الى ترك اصدار المنار هذا العام فلم يرسل احــد منهم درهما ولا دينارا يقول : « وانى قد حبست نفسى هذه الثلاثة أشهر على اتمام تاريخ الأستاذ الامام لم اكتب فيها غيره عسى أن اجد من ثمنه ما أنفق منه على اصدار المنار ولا نقبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما ولا نعفو منه شيئا ولا نشكوها الا الى الله عز وجل وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » ..

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لوفاة : حافظ ابراهيم ، احمــد شـــوقى ، محمد توفيق البكرى .

المجلد ٣٣ (١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م)

أحداث المغرب (تونس والجزائر ومراكش) تكاد تكون أبرز الأحداث السياسية فى هذه المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالظهير البربرى الذى يحاول أن يفرض الجنسية الفرنسية على البربر فى المغرب ، وهو ما سبق قيام فرنسا به بالنسبة لتونس ، ويجرى هذا مع اتساع التبشير والتنصير فى مصر ، ويجرى الحديث حول الاسلام ووثنية الهند ، وعن الاستشراق وأخطاره الجديدة ، ومسائل اخرى عن النصرانية والصليب والرد عليها وأحاديث البهائية والقاديانية وموقفهما من الوحى والنبوة والألوهية ، هذا فى الوقت الذى يجرى الحديث فيه عن لبنان بوصفها وطن مسيحى وفى نفس الوقت الذى تستعرض الأوضاع فى المملكة العربية السعودية وقد أولى السيد رشيد رضا القضايا الفكرية اهتماما واسعا .

فنشر فصولا من كتاب لغربى أسلم عن الانجيل والصليب ، ورد على كتاب فريد وجدى (الاسلام دين عام خالد) متقصيا بعض آرائه ونشر مقدمة كتاب (نقض مطاعن القرآن الكريم) للشيخ محمد عرفة الذى رد به على شبهات طه حسين ، وقدم نقدا لوثنية الهند ولزعامة غاندى ، وتحدث عن طه حسين واخطائه ، وقدم عرضا لكتاب حاضر العالم الاسلامى الهندى ترجمة عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان .

وهناك حديث واسع عن تاريخ الدولة الهاشمية بمناسبة وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق ، كما عرض لدائرة المعارف الاسلامية وأخطائها ، وتحدث عن قضية رجال الكنيسة فى المانيا الذين تحدو الحكم النازى وعرض لثورة المرأة الاباحية وخطرها على الأسرة فالأمة .

ولم يغفل حديثه عن أخطاء التصوف الفلسفى والهندى فعرض للشعرانى والتيجانى وقدم عرضا لحياة كل من الشيخ محمد أمين الشنقيطى والسيد أحمد شريف السنوسى بمناسبة وفاتهما .

* * *

واستهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الثالث والثلاثون من المنار ببيان موقف العالم الاسلامى أمام أوربا فى طورها الجديد بعد الحرب الكبرى التى كان الغبن الأكبر فيها على الشعوب الاسلامية العربية ، التى ساعدت

أعداءها من دول أوربا والربح للشعوب الأعجمية التى عادتها وهم الترك والتى التزمت الحياد وهم الأفغانيون والايرانيون .

وقال : ان الترك كونوا من انقاض الدولة العثمانية دولة جمهورية مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية والعمران المادى ولكنها الحادية (لا دينية) ترهق روح الشعب الدينى ولا يحيا شعب بغير دين وروح الاسلام كامنة فى الشعب التركي ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط عند انتهاء حده . أما الافغان فشرعوا فى عهد الملك السابق امان الله خان يقلدون الجمهورية التركية فى الالحاد وفى تقليد الافرنج فى الحضارة المادية فادال الله من الملك نادر خان ، أما الفرس الايرانيون فهم وسط بين الأفغان والترك ، والدول الثلاث استفادت من ضعف دول أوربا وتم لها استقلالها بعد الحرب العظمى والبلاد التركية يهددها من الخطر المعنوى وقوعها بين أوربا الراسمالية والروسية والشيوعية أما شعوب المسلمين الأعجمية التى ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية أقواها فى الهند ومسلموها زهاء ثمانين مليونا ولكن الوثنيين فى جملتهم أكبر عددا وثروة وعلما وأوسطها فى جاوة وما حولها من الجزائر الأندونيسية والمسلمون فيها الأكثرية الساحقة (٦٠ مليونا) وهم اقل حرية من الهند لضغط هولندا عليهم وأدناها فى الصين ومسلموها يزيدون على مسلمى جاوة عددا ولكنهم قليل فى الوثنيين الذين يزيدون على أربعمائة مليون ، أما المسلمون فهم أرومة الإسلام الأولى ، يملكون شطر قارة افريقيا الشمالى كله من مراكش الى مصر وشطر آسيا العربى ما بين المحيط الهندى وخليج فارس والبحر المتوسط ويبلغون زهاء مائة مليون وهم أشد شعوب الأرض خضوعا للدولتين الظالمتين (انكلترا وفرنسا) اللتين احتلتا بلاد العرب الخصبة وأطاحت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، أما غرب البلاد الافريقية الذين بذلوا من أموالهم ورجالهم فى مساعدة انجلترا وفرنسا فقد جزياهم بشدة الضغط والحرمان .

ويقول : الاسلام لا توجد له فى هذا العصر دولة تقيمه وتكفله وتجدد قوته وعدله ولا شعب يهتدى به وينشره ، وينهض بحضارته ولا مدرسة تربي النشء عليه وتعلمه وتناضل عنه ، ولا جمعيات غنية تجدده وتظهره

للأمم الحية وما فيه من العلاج لادواء البشر فى حضـــارتهم ، أما المركز الطبيعى الحقيق بالتجديد الاسلامى فهو المركز الذى أشرق منه نور الاسلام وهو الحجاز وسياحه فى جزيرة العرب .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لوفاة : محمد أمين الشنقيطى ، أحمد الشريف السنوسى .

المجلد ٣٤ (١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م)

فى هذا المجلد الأخير من المنار كانت جزيرة العرب والوحدة العربيـة والسعى الذى قام به رشيد رضا مع بعض قادة الاســلام لعقـد الاتفاق بين الامامين ملك السعودية وامام اليمن ومعاهدة الطائف هو أبرز حديث وهناك أحاديث عن تركيا الكمالية والشريف حسين وأولاده والملك عبد العزيز آل ســعود .

وهناك تذكير دائم بشر الصهيونية (ويل للعرب من شر قد امترب) وحديث عن الشقاق بين العرب وعن قضية فلسطين ، ثم حـديث آخر عن حركة النازى اللادينيـة وشـجاعة الفاتيـكان وغاية مصطفى كمال من مراحله وخطبة الملك عبد العزيز فى وفود الحج ١٣٥٣ وحديث عن ثورة الأزهر وعودة الأسـتاذ المراغى شيخًا للأزهر وخليج العقبـة الحجازى ومطمع الانجليز فيه .

ثم أحاديث عن الاستشراق ، وعن التربيـة الاسلاميـة والتعـليم الاسلامى ونقد كتاب الشيخ أبو زيد وكتاب حيـاة محمـد ومقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ، وكتاب مسائل الامام أحمد ومباحث الربا والأحكام المالية ومتابعة دائرة المعارف الاسلامية ومفاســدها ونقد كتاب جزوينى لكتاب الوحى المحمدى فى مجلة المشرق (اليسوعية) والرد عليه ومراجعة كتاب قواعد الحديث فى مصطلح الحديث للقاسمى ، هـذا بالاضافة الى فتاوى المنار عن أسئلة منثورة من كل مكان : حـول ترجمـة القرآن والأحاديث النبوية والعمل بالقرآن دون الأحاديث وقد وصـل السيد رشـيد رضا فى تفسير القرآن الى سورة هود وسورة يوسف وقدم تفسير سورة الكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين (ومقدمة فى تفسـير الفاتحـة وخواتيم القرآن منقولة من تفسير الشيخ محمد عبده) .

● وقدم تأبين أحمد زكى باشا شيخ العروبة .

وقد افتتح السيد رشيد رضا المجلد الرابع والثلاثون بحديث مطول ذكر فيه حال الشعوب الاسلامية بعد حرب الأمم الكبرى ، راغبـا فى أن يجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسـار وما أصاب بعضـها من الربح والانتعاش وما هى عرضـة له تجاه دول الاسـتعمار واشار الى وطأة دولتى الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربيـة التى نصرتها فى الحرب وجاهدت معهما بأموالها وانفسها وكانت أشد وطأة على الشعوب الأعجمية التى قابلتهما والتى سالمتهما .

يقول : ان انكلترا لا تزال ممثلة فى ارهاق عـرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين ليجدد لهؤلاء ملكا فى قلب البـلاد العربية حاجزا بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وان فرنسا لا تزال جادة فى جعل عرب سوريا مللا متفاوتة فى الدين وشعوبا متفرقة فى الدنيا وقصره على ابقاء الأكثرين من المسلمين محصورين فى سجون المدائن الأربع .

ولم تكن انجلترا فى وقت ولا فى مكان شرا من فرنسا واظلم مما هى الآن فى « فلسطين » ولا تزال انكلترا [illegible] الأمة العربية بروز الفاتح القاهر والمستعمر القاهر تنازعها حقيقتها القومى والدينى فى جزيرتهـا المقدسة بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة . وقد خدعت الامام يحيى حتى غلبته على طبعه فى شدة الحذر من الإجادية فأمضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع (اربعون سنة) وانها لتمكن لنفسـها النفوذ فى منطقة شرق الأردن بحيلة الانتداب وفى العقبـة الحجازية التى سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب . هذه الجرأة من الدولة الأجنبية على عداوة العرب والاسـلام سـتكون من أكبر أسباب زوال سـلطانها فى الشرق الأدنى والشرق الأوسط وان خليج العقبة لهو اكبر هذه الأسباب ثم اشار الى حديث الرسول صلى الله عليـه وسلم بأن لا يبقى فى جزيرة العرب دينان .

وقال : ان التفرق فى البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، واشار الى شعب التركستان الصينى وكيف استقل بعد ثورة حامية الوطيس .

ثم قال : ان القرآن شمل نوره العـالم كله حتى حجبـه المسلمون

عن أنفسهم وعن سائر النــاس ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال ـــ كما قال السيد المسيح عليه السلام ـــ ولكن قد سخر الله المصلحين فى هذا العهد لكشف المكيال عنه وتوجيه أبصار العقلاء الى اقتباس النور منه ، الا وان هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميــع الأمم ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر وان بعض علماء الافرنج المستقلين فى العقــل والرأى ليقولون فى هدايتــه ما يدعون به قولهم اليه ، وان دولة اليــابان الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة فى سيادة الأرض لمن سبق الى الاهتداء به » .

* * *

ولقد توفى السيد رشيد رضا وهو يستعد لاعداد الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من المنار وقد كتب فعلا افتتاحية هذا المجلد التى نشرت فى آخر المجلد الرابع والثلاثين فكانت ختام هــذه الجولة الضخمة المباركة التى قام عليها وتراه فى العدد الأخــير ما زال فى حماسته وايمانه وثقتــه بالدعوة التى يحمل لواءها يقول : ما قصر منشىء المنار فى شىء كما وقف عليه حياته فى خدمة الملة والأمة وأشار الى مقاصدها الجامعة فى فاتحة العــدد الأول بل شمر واســـتبق فكان له من التأييد عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب الاســلام من الوهن والضعف والتفرقــة وما يحتاجون اليــه من الاصـــلاح الذى تتوقف عليــه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد مما لم يسبق له نظير الا فى صيحة العروة الوثقى التى تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين وبلاغة الأستاذ الامام محمد عبده .

وأشار الى أنه فكر فى وقف اصــدار المنــار فى سنته القابلة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة عسى أن أجد له من يقوم بنفقته من الأوفياء منهم ، يقول : رجحت هذا الأمر ثم عظم على وقد ربانى الدين على الثبات واتقاء ابطال عمل أشرع فيه .

(توقفت المنار عن الصدور بالعدد الأخير من المجلد ٣٤) .

الباب الثالث

النهضة الإسلامية (حركة الأصلاح)

كما صورها المنار

مدخـــل

النهضة الاسلامية « حركة الاصلاح » كما صورها المنار

كان الهدف الأول الذي توخت المنار القيام به هو تأصيل النهضة الاسلامية او لما كان يسمى « حركة الاصلاح الاسلامى » وما يتصل بها من ظهور حزب الاصلاح الاسلامي الذى كان يقوده الشيخ محمد عبده وقد اشار الى هذا الحزب صراحة ولأول مرة اللورد كرومر فى تقريره سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الأستاذ الامام ، وكلمة الاصلاح كلمة غربية اساسا فهى تصور هذه النهضة بصورة حركة الاصلاح التى قامت بها جماعة المصلحين فى المسيحية ، وان كانت فى المعنى تختلف اختلافا واضحا ؛ ويتحدث السيد رشيد رضا على مسيرة المنار الطويلة عن الاصلاح الاسلامى ، والاصلاحان الدينى والسياسى وتلازمهما ويقول :

« ان وجهة نظر المنار فى كل ما عرضت له من قضايا كان تمثيلا حقيقيا لمفهوم حزب الاصلاح الاسلامى الذى يقوم على فهم الاسلام فهما صحيحا من منابعه الأولى » .

ومن هنا كانت معارضته الواضحة لمفاهيم مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قضية التصوف والطرق الصوفية من أبرز القضايا التى أولاها السيد رشيد رضا اهتمامه على مدى سنوات المنار بالاضافة الى أمرين آخرين وهما :

١ ـ نحلة البهائية والقاديانية وما تتفرع منهما .

٢ ـ جماعات التبشير والالحاد والاستشراق وما يتصل بمقارنات الأديان وخاصة بالنسبة لأخطاء كتاب المسيحية وعدائهم للاسلام .

ويقرر السيد رشيد رضا : « ان مفهوم حزب الاصلاح الاسلامى فى استرجاع مجد الشرق لا يكون بالاعتماد على الغرب فى الاصلاح وانما يكون بقوة الاسلام وبالعودة الى أصول الاسلام وآدابه وتعاليمه الصحيحة وان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذى سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذى يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم » .

ويقول : « ان أهم ما جاء به الاسلام هو التوجيه فى العقائد الدينية والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الاصلاح الاسلامى : هو جمع المسلمين على عقيدة واحدة واصول ادبية واحـــدة وقانون شرعى واحـــد لا يحكم عليهم غـــيره فى اى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحـــدة ، ويتوقف على هذا تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل بلد اسلامى وهيئة عظمى فى مكة المكرمة واجتماعاتها فى موسم الحج تعمل على توحيد العقائد والآداب والأحكام واللغة » .

كما تناولت المنـــار (النهضة الاسلامية فى مصر) وهى النهضة التى قام بها الشيخ محمد عبده (م ٢ / ٢٤١) فى مجال اصلاح الأزهر والتعليم واللغة كما عرضت فصلا مطولا لنظرية الاصـــلاح الدينى كما يفهمها حزب الاصـــلاح وهو ما اقترحه على مقـــام الخلافة الاسلاميـــة (م ٧٦٤/١) كما ناقشت بتوسع قضية الاصلاح الاسلامى الدينى وتحدثت عن الاصلاحان السياسى والدينى وتلازمهما (م ٧٦٥/١) وفى نفس الوقت اهتمت بمناقشة المعارضة وهم من يسمونه اتباع الطرق الصوفية ســـواء فى داخل الأزهر او فى خارجه ، وتناولت الأبحاث مختلف الأحوال المثـــارة للطرق الصوفية وخاصة ما يتعلق بسلطة مشيخة الطرق الروحية وعقد المتصوفة (م ١) ومحاربة الطرفين والاستغاثة وزيارة القبور وعقدت المنار فصولا متواليـــة عن الطريقة الرفاعية والطريقـــة القادرية ومولد الدمرداش ، كما عرضت لأنصار اتجاه المحافظة فى مصر من أمثال الشيخ عليش وناقشت الصوفية واصـــل تسميتهم كما تعرضت للموالد والبدع كما ناقشت فســـاد خطـــة ابن عربى فى تفسيره وادعاءات الدجاجلة للكرامة ، وتحـــدثت عن نهضة الشيخ محمد عبده ورجاله الذين سلكوا مسلك السلف فى رسالة التوحيـــد كما تناولت المنار فكرة الجامعة الاسلامية وهى من أكبر القضايا التى عالجتها الصحافة (م ٣٣٧/٢) كما تحدثت عن الجنسية والدين وقالت ان الرابطة الأولى للأمة هى رابطة الشريعة العادلة والرابطة الثانية هى رابطة اللغة ، وكانت دعوة المنار الكبرى هى جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة .

وهاجم المنار المقلدين والجامدين : فالمقلدون هم الذين رضوا بانحلال

رابطتهم الملية وعفاء مقوماتهم ومستحقاتهم الموروثة وانتحال جنسية لغوية او وطنية جديدة ، اما الجامدون فهم الخاملون الذين رضوا بهـذه الحالة التى لا نجد لها تفسيراً الا ما يسمونه الموت صبرا ، وهذا هو حزب الجمود والتقليد ، وأشار الى حزب آخر وسط بين ذينك الحزبين وهم حزب الله المعلمون الذين يطلبون المجد الطرف ليكون متحدا بالمجـد التليـد ، هؤلاء الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة لانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صـقل جوهرهم ليظهر خواصه ومزاياه فى أكمل ما يمكن ان يكون عليـه ، هؤلاء هم حزب الوسط شـهداء على الفريقين ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم .

وفى تصور آخر يقول : الأحزاب الثلاثة هم الفقهاء المقلدون الجامدون الماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون ، وفى مراجعة من مراجعـات المنار للحركة الاسلامية فى مصر يقول :

« ان حزب الاصلاح هو وحده محل الرجـــاء لأنه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ويعرف منافعـه ومضاره ويريد أن يكون معقـد الارتباط والاتصال بهما بارجاع كل منهما عن خطاه والسير بالأمة فى طريق تحفظ به مقوماتها ومشـــخصاتها وتعيد الموروث النافع منه الى جـــديد وتتدرج فى استبدال النافع بالضـــار منه وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لأمة قائمة فى هذا العصر بدونه ، وسط بين الجامدين والمتفرنجين ، ولم يكن طـــلاب الاصـــلاح الا افرادا من النابتين فى بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هـــداهم الله تعـــالى باستعداد من فطرتهم وتوفيـــق فى سيرتهم الى معرفة الطريقة المثلى لصلاح امتهم ، وعنـــده أن الجامدون من الشيوخ أشد حسدا وبغضا للمصلح الدينى من غيرهم .

ويشـــير السيد رشـــيد رضـــا الى الاصـــلاح الاسلامى فيقول : ان له طريقين لا ترتقى أمة الا بأحدهما أو كليهما ، اما من قبل الأمة كاوربا واما من ناحية الحكومة كاليابان ، وان المعقبـــات هما رجال الدين ورجال الحكم والسلطان .

يقول : « ويتوقف الاصلاح الاسلامى قبل كل شيء على اقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التى هى محور الثروة والقوة

والعزة ضرورية لامندوحة عنها ، ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لأن تركها للمدارس الأميرية والأجنبية يجعلها خاصة بمن لا دين لهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة ولا للملة ولا يسقط الوجوب بهم . ان الدين لا يمكن حفظه الا بالدنيا فتعين ان يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعيات) وأحكام الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التى يحتاج اليها البشر فى معاشهم واجبة على مجموع الأمة »(١) .

ومن مجمل ما نشره السيد رشيد رضا فى المنار خلال الأعوام الخمسة والثلاثين (١٨٩٨ — ١٩٣٥) تستطيع أن تصل الى نظرية كاملة للاصلاح الاسلامى تقوم على أسس تحرير العقيدة من قيد التقليد وقد أولى السيد رشيد هذه الفكرة اهمية كبرى ويرى :

« ان عادة الناس قد جرت على اتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من ألاسلام باسم الاسلام ، ومن ذلك طوائف الباطنية فمتى انقطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذى أنزله على رسوله وحرموا البصيرة التى هى سبيل الله وابتغوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى : « **وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » ولذلك نهى أئمة الفقه الأربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذى هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة من الكتاب والسنة وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون أنه يعمى الناس عن سبيل الله . اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله كل بقدر استطاعته وطالب الاهتداء من العامة ليستطيع ان يسأل العلماء »(٢) .

ويطالب السيد رشيد رضا (فى نطاق دعوة حركة الاصلاح) الى اتخاذ طريق عرفه المسلمون من قبل وأشار اليه حجة الاسلام الغزالى فى كتاب

---

(١) م ٢ .
(٢) م ١٣/٥٥١ .

(القسطاس المستقيم) من الدعوة الى ازالة الخلاف والأخذ بالمجمع عليه والتخير فى المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على تحريمه وتقبل ما سهل عليه من اجمع على ندبه واستحبابه » .

وقد توسع نطاق البحث الذى كان يرمى فى مجمله الى ابراز مفهوم اهل السنة والجماعة الذى هو عصمة المسلمين وهو منطلق النهضة الاسلامية الحقيقية التى حملتها حركة الاصلاح الذى قام عليها الحكيمان جمال الدين ومحمد عبده وتابعهما السيد رشيد رضا خلال اكثر من ثلاثين سنة وتلاميذهما وكان هداهم واضحا فى كتابات الامامين ابن تيمية وابن القيم وما يتصل بكتابات الامام الغزالى والامام الأشعرى .

وقد عارض الشيخ رشيد رضا فى طريقه لتوسيد مفهوم أهل السنة والجماعة مفهوم علم الكلام والباطنية والجهمية والمعتزلة ، كما تحدث عن المتفرنجين وموقفهم من الاصلاح الاسلامى ، وتناول موقف الصوفية كذلك .

وقد أقام السيد رشيد رضا مفهوم أهل السنة والجماعة على قواعد أساسية قدمها كلها من خلال تفسير القرآن الحكيم الذى بداه الشيخ محمد عبده ومضى فيه كما عرض للشريعة الاسلامية ودعا الى التقريب بين الشيعة والسنة وعالج أمور الأزهر والتربية الاسلامية بعامة، وبالجملة فقد أضاء الطريق تماما فى مجال تقديم نظرية كاملة لكل من جاء بعده فى شأن اليقظة الاسلامية ولا ريب كان للشيخين جمال ومحمد عبده وكذلك رشيد رضا تقدير واضح للحركة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية وان لم يكشف ذلك الا بعد أن تولى آل سعود الحكم فى الحجاز سنة ١٩٢٦ وما بعدها .

الفصل الأول

تفسير القرآن

يعد تفسير القرآن الذى قدمه الشيخ محمد عبده ونشره المنار واتمه السيد رشيد رضا هو بمثابة حجر الرحى فى تثبت مفاهيم النهضة الاسلامية ، ويشير صاحب المنار فى اكثر من موضع الى انه هو الذى اقترح على الأستاذ الامام أن يكتب تفسيرا للقرآن فى رمضان ١٣١٥ أى قبل الشروع فى انشاء المنار وذلك بأن اقترح عليه قراءة درس فى التفسير وقد تردد ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور .

يقول : « زرته فقرأ لى عبارة من كتاب فرنسى يطعن فى القرآن فطفق يرد عليها واحتاج فى الرد على العلوم فى تفسير رب العالمين فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت عليه ذلك ، وانما قلت : لو كتبت تفسيرا على هذا النحو يقتصر فيه على حاجة العصر وترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبيين ما أهملوه ، قال : ان الكتب لا تفيد القلوب العمى، لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوبا عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى الى نشرها ، واذا وصل كتاب الى أيدى هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا شيئا منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم ، كما جروا عليه فى نصوص الكتاب والسنة التى يريد بيان معناها الصحيح وما تفيده . ان الكلام المسموع يؤثر فى النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته فى الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع ان يسأله عما يخفى عليه منه أما اذا كان مكتوبا فمن يسأل .
ثم شرع فى قراءة التفسير بالأزهر فى غرة المحرم ١٣١٧ وكتبت مقالة فى المؤيد بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وان كتب التفسير غير كافية وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس اقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين فى هذا العصر وقد عين مفتيا للديار المصرية فى الشهر الذى شرع فيه بقراءة التفسير .

(م ٨٩٦/٨) واشار السيد رشيد رضا الى طريقة الامام فى قراءة التفسير وطريقته هو فى كتابته ، فقال : اننى لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو فى حكمها وفى تحقيق بعض المفردات او الجمل اللغوية والمسائل الخلافية من العلماء ومن الاكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها بهداية دينهم فى هذا العصر او تقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التى اعيد حلها بما يطمئن اليه القلب وتسكن اليه النفس » .

وقد أشار السيد رشيد رضا (م ٦٤٦/٢٨) الى الحكمة من تقديم تفسير عصرى للقرآن فقال : « شاهدنا ولا نزال نشاهد فى بلادنا أن طلب العلوم والفنون مع اهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استعباد الأجانب لها كما جرى فى دولتى الآستانة والقاهرة وغيرهما ، نرى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية او وزارة فيكون أول همه فيها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة ، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة يستنزفون ثروة الأمة بالرشا والحيل واكل السحت ويكون كل ما فضل من شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها من نصيب الأجانب . (ومن هنا جاء) وجوب فهم القرآن والاهتداء به وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وفروق أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول وهدى السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه . انما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهه وقلبه ما بينه الله تعالى فى موضوع تنزيله وفائدة ترتيله وحكمة تدبيره من علم نور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن فى العالم مضطردة فتلك غاية انذاره وتبشيره ، ويلزمها عقله وفطره لتقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة وكان من سوء حال المسلمين ان اكثر ما كتب فى التفسير تشغل مادته عن هذه المقاصد فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنها بجدل المتكلمين وتخريجات

الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما فرضت من خرافات الاسرائيليات وقد زاد الفخر الرازى صارفا جديدا عن القرآن هو ما يورده فى تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية الحادثة فى الملة على ما كانت عليه فى عهدها كالهيئة اليونانية وغيرها وقلده بعض المعاصرين فى ايراد مثل ذلك فى علوم هذا العصر وفنونه فهو يذكر فى تسمية تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم النبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير وجل ذلك فى قصص الرسل مع أقوامهم وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ومن تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدن ارم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق وفى أمور الغيب من اشراط الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها وجل ذلك خرافات ومقدمات لذلك ، قال الامام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازى وكان الواجب جمع الروايات المفيدة فى كتب مستقلة كبعض كتب الحديث وبيان قيمة اسانيدها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف فى التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول أما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه وقصة البقرة وسفينة نوح والغلام الذى قتله الخضر فهذه الأمور طريقة بها النقل فما كان منها منقولا لا صحيحا عن النبى صلى الله عليه وسلم قبل وما لا صح أمره بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب بن وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

والجهتان اللتان هما مثار الخطأ : احداهما حمل الفاظ القرآن على معانى اعتقدوها لتأييدها به ، أقول لجميع مقلدة الفرق والمذاهب فى الأصول

والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذاهبهم اصولا والقرآن فرعا لها يحمل عليها وهذا شر انواع البدع وتفسير القرآن بالرأى المذموم من الحديث والثانية التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به . ان أكثر ما روى فى التفسير المأثور اكثره حجاب على القرآن وشاغل لنا عن مقاصده العالية المزكية للانفس المنورة للعقول فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمة لها سندا ولا موضوعا . ثم قال : وكانت الحاجة شديدة الى تفسير يتوجه العناية الأولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح ، ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير ومراعاة افهام صنوف القارئين وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

ثم يتحدث السيد رشيد رضا عن العمل الذى قام به فيقول :

كنت قبل اشتغالى بطلب العلم فى طرابلس الشام مشتغلا بالعبادة ميالا الى التصوف ، وكنت أنوى بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ، ولما قرأت دعوة (العروة الوثقى) الى الجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته واسترداد ما ذهب من ممالكه وتحرير ما استعبد الأجانب من سطوته آثرت فى قلبى تأثيرا أدخلت به فى طور جديد من حياتى ، واعجبت جد الاعجاب بمنهج تلك المقالات فى الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز وما تضمنه من تفسيرها مما لم يحوم حوله احد المفسرين ، على اختلاف اساليبهم فى الكتابة ومداركهم فى الفهم وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى فى ذلك ثلاثة امور :

١ — بيان سنن الله تعالى فى الخلق ونظام المجتمع البشرى وأسباب ترقى الأمم وتدليها وقوتها وضعفها .

٢ — بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ومقتضى ذلك أنه دين روحانى اجتماعى ومدنى عسكرى ، وان القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة

العادلة والهداية العامة وعزة الملة لا لأجل الاكراه على الدين بالقوة .

٣ — ان المسلمين ليس لهم جنسية الا دينهم فهم اخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا أمة ولا حكومة .

ويقول: كان الاحتلال الانجليزى لمصر ١٢٩٩هـ ، ونشأت العروة الوثقى فى باريس سنة ١٣٠١ الكاتب للمقالات هو الثانى (محمد عبده) ولكن بانشاء الأول (جمال الدين) وهو استاذه فى هذا المنهج ومربيه عليه ، وقد توجهت نفسى بتأثير العروة الوثقى الى الهجرة الى السيد جمال والتلقى عنه وكان قد جاء الآستانة وبعد أن توفاه الله تعلقت آمالى بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختياره وآرائه فى (الاصلاح الاسلامى) وما زلت أتربص الفرص لذلك حتى سنحت لى فى رجب ١٣١٥ عقب اتمام تحصيلى للعلم فى طرابلس وأخذ الشهادة العالمية واجازة التدريس من شيوخها فهاجرت الى مصر وأنشأت المنار للدعوة الى الاصلاح » .

وردد السيد رشيد رضا ما أوردناه من حديث الشيخ محمد عبده حول مطاعن أحد كتاب الفرنسيين فى الاسلام وفى هذه المرة كانت اجابة الشيخ مختلفة حيث قال : ان هؤلاء الافرنج يأخذون مطاعنهم فى الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام ، وقال : ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثه المسلمون باعراضهم عن كل ما فى القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة فى تفسير قوله تعالى : ((**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**)) وماذا كان ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتدوا اليها . ثم ذكر أن الطاعن ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق الا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم قد أوجب الفتح على اتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ، فأين هذا مما تسميه النصارى خالقهم بالآب الدال على الرأفة والرحمة ، وتحدث عن اسم الرب وما فيه من معانى التربية واللطف والتفرقة بينه وبين معنى الأدب وكون طلبه للولد بمقتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك ، قلت : لو كتبت تفسيرا على هذا النحو ، يقتصر على حاجة العصر ونترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبين ما أهملوه » .

وجملة القول فى هذا كله أن الشيخ محمد عبده بدأ التفسير فى غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه فى منتصف المحرم ١٣٢٣ عند تفسير « **وكان الله بكل شىء محيطا** » (الآية ١٢٥ من سورة النساء) فقرأ زهاء خمسة أجزاء فى ست سنين اذ توفى لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله وأثابه . وكانت طريقته فى قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه فى كتابة التفسير وهو أن يتوسع فيه فيما اغفله او قصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الالفاظ والاعراب ونكت البلاغة وفى الروايات التى تدل عليها ولا يتوقف على فهمها الآيات ويتوكأ فى ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذى هو أوجز التفاسير فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينقد منها ما يراه منتقدا ثم يتكلم فى الآية أو الآيات المنزلة فى معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

يقول السيد رشيد رضا : « وكنت اكتب فى أثناء القاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله ، واحفظ ما اكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما اتذكره فى وقت الفراغ، وما لبثت أن اقترح على بعض الراغبين فى الاطلاع عليه من قراء المنار فى البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر أن أنشره فى المنار فشرعت فى ذلك أول المحرم ١٣١٨ وكنت أولا أطلع الأستاذ الامام على ما أعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه فى المطبعة وقبل طبعه فكان بما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به على انه لم يكن كله نقلا عنه ومعزوا اليه ، بل تفسيرا الكاتب من انشائه اقتبس منه من تلك الدروس الغالية جل ما استفاده منها لذلك كنت اعزو اليه القول المنقول عنه اذا جاء بعد كلام لى فى بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لى بعده قلت فى بدئه : (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملتزما فى أول الأمر بل يكثر فى الجزء الأول ما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنى عبرت عنه بآمالى مقتبسة ، ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ ما أكتبه ، اما قبل طبعه وهو الغالب واما بعده وهو الأقل ، لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه اليه مما فهمته منه وان لم أكن كتبته عنه فى مذكرات الدرس

لأن اقراره اياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو ، وبعد أن توفاه الله صرت ارى من الأمانة أن لا أعزو اليه الا ما كتبته عنه أو حفظته حفظا ، وصرت اكثر أن اقول قال ما معناه ، أو ما مثاله أو ما ملخصه .

وقد بدأت فى حياته بتحرير تفسير الجزء الثانى من المنار وطبعه على حدته وتوفى قبل طبع نصفه فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين ، وقد اشتد شعورى بعد ذلك بأن على وحدى تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعه ايداعه ما تلقيته من هذا العالم الكبير المشرق البصيرة وذى النصيب الوافر من ارث نبى الله داود عليه السلام الذى قال الله تعالى فيه ((**وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**)) وتبعة الأمانة فى النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحرى الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح .

هذا وانى لما استقللت بالعمل ...

(م ٢٨/٦٤٦) .

وقد عرض السيد رشيد رضا للقواعد التى املاها الشيخ محمد عبده فى مقدمة التفسير حيث قال : « القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لا يكتنه كنهها على قلب اكمل الأنبياء وهو يشمل على معارف عالية ومطالب سامية لا يشرف عليها الا اصحاب النفوس الزاكية والعقول الصافية . والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من مباحث التفسير تابع له أو وسيلة لتحصيله . وقال : التفسير له وجوه شتى :

١ — النظر فى اساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشرى وقد الم بشىء من المقاصد الاخرى ونحا نحوه كثيرون .

٢ — الاعـراب .

٣ — تتبع القصص .

٤ — غريب القرآن .

٥ — الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

٦ — اصول العقائد ومقارعة الزائغين .

٧ — المواعظ والرقائق .

٨ — الاشارة واشتباه كلام الباطنية وكلام الصوفية .

وقال : ان الأحكام العملية التى يسمونها فقها هى اقل ما جاء فى القرآن وان فيه من التهذيب ودعوة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعتها من حضيض الجهالة الى أوج المعرفة وارشادها الى طريقة الحياة الاجتماعية مما لا يستغنى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يوجد هذا الارشاد الا فى القرآن وفيما اخذ منه كاحياء العلوم . كما ان كثيرا من حكمه ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا امام ، ثم ان أئمة الدين قالوا ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم القيامة (والقرآن حجة لك أو عليك) .

ثم أشار السيد رشيد رضا الى اتباعه لهذا المنهج ، فقال : اننى اعتقد أن كل ما أنا فيه من نعمة الله تعالى على فى دينى ودنياى وعلمى وعملى ، هو من آثار سلوك الطريق على يد ذلك الأستاذ العارف رحمه الله وجزاه عنى خيرا ، واشار السيد رشيد رضا الى أن كثيرا من الألفاظ التى كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ « التأويل » الذى اشتهر بمعنى التفسير (مطلقا أو على وجه مخصوص) ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى ، ويقول : يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة فكثيرا ما يفسر كلمات القرآن باصطلاحات حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع كل ما ورد فيه من الألفاظ المكررة وينظر فيها فربما استعملت بمعان مختلفة كلفظ (الهداية) .

الفصل الثانى

مفهوم اهـل السنة والجماعة

كان تفسير القرآن الذى بداه الشيخ محمد عبده وسار نبه السيد رشيد رضا شوطا طويلا حتى توقف رحمه الله عند سورة هـود (السورة الحادية عشرة من المصحف) وسورة يوسف ، مدخلا الى تصحيح العقيدة وابراز مفهوم أهل السنة والجماعة المتحرر تماما من مفاهيم الجهمية والمعتزلة والصوفية والباطنية ، وقد عنى السيد رشـيد رضا عناية كبرى بتحرير هذه القضية على نحو واسع شغل من المنار صفحات واسعة ومضى فيه السيد عاما بعد عام لم يتوقف ، عرض فيه لعديد من كتب السلف الكاشفة لهذا المعنى كما عرض لكتب الفرق ناقدا، وداحضا. ويرى أنه من الضرورى تحرى مذهب السنة الصحيحة فى التفسير من وراء المعتزلة والأشـعرية ومن خلال تراث ابن تيمية وابن القيم اللذين يوليهما اهتماما واسعا فيقول : « ان كلا من المعتزلة والأشـعرية أخطأوا من جهـة واصابوا من أخـرى وان مذهب السنة الصحيح وسط بين هدين المذهبين ولمن اخـذ العـلم من كتب طائفة تؤيد مذهبا معينا دون النظر فى كتب اهل المذاهب الأخرى يفك الأخذ من ربقة التقليد ولا يهديه الى طريقـة التمحيص والتجـديد ، وان كتب ابن تيميـة وابن القيم أنفـع كتب الـكلام وان مذين الشيخين هما الجديران بلقب شـيخ الاسـلام فقد أصاب من يعتنى به من العلماء الأعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفعله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل افعاله وحكمه مصلحة للخلق والحكم والمصلحة فى العقـل تسمى فى اللغة علة وجاء ذلك فى القرآن بحرف التعليل فأجمع بين العقـل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضل أحدا من اهمال العلية .

وقد أجرى محاورات واسعة بين المصلح والمقلد ، لكشف حقيقـة مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاربة كلا الفـكر الصوفى والتقليدى وفكر الكلام والفلسفة والمنطق واحياء مفهوم أهل السنة والجماعة بعيدا عن كل

التفسيرات الموجبة لغير ذلك سواء اكانت معتزلة أم صوفية أو فلسفية ، وتدم فى ذلك كتاب شرح عقيدة السفارينى (الدرة المضيئة فى عقد الفرقة المرضية) وقد اهتم بالرد على المعتزلة الاشعرية معـــا كما عرض لكتاب الشيخ حســـين الجسر فى العقائد (الحصون الحميدية لمحافظـــة العقائد الاسلامية) وقال ان هناك جماعات متعددة فى العراق وسوريا من الرافضة والمشبهة التى تحيى ما فعله عبد الله بن سبأ الذى ابتدع لهم الرفض وتحدث عن الأحاديث الموضوعة والوضاعين وأبطـــل مذهب القـــدرية والجبرية ومن ذلك قوله : « ليس القرآن وحده ولكن القرآن والسنة » وأشار الى الارتباط بين السلفية والأشعرية « فهما أهل السنة والجماعة لم يفرطوا تفريط القدرية النفاة ، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجبين بالقـــدر على معاصى الله فمذهب سلف الامة وائمة السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصى والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فأفعـــال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها ومذهب سلف الأمة وائمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعلٌ لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ، ولا ينكرون تاثير الأسباب الطبيعية والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليهـــا هذا القدر ثم ان الأشعرى اثبت للعبـــد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا » .

وقد كشف السيد رشيد رضا كثيرا من شبهات الباطنيـــة والزنادقة ورد عليها ، كما تعرض للمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

وكشف كيف كان الرفض والتشـــــيع والاعتزال من أبواب الزندقة والالحاد . فالصائبة المتفلسفة كانوا مصدرها أخذ منه او زاد عليه القرامطة والنصيرية الاســـماعيلية الحاكمية وهم انما يدخلون الى الزندقة والـــكفر بالكتاب والرسول من باب التشيع والرفض والمعتزلة .

وأفاض فى عرض شرح عقيدة السفارينى ، من رجحان مذهب السلف على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية والعقليـــة وقد اقتبس جـــل تحقيقاته من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه المحقق ابن القيم

وقد قال ذلك فى مواجهة كتب العقائد التى يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان .

وأشار فى اكثر من موضع الى وحدانية الالوهية ووحدانية الربوبية ، فأما وحدانية الألوهية فهى قوله أن لا تعبد الا الله وأكده بقوله ولا تشرك به شيئا والاله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته ، أما وحدانية الربانية فهى قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فالرب هو السيد المربى الذى يطاع فيما يأمر وينهى والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم (م ٢٥٥/١٠) .

ويتحدث عن فكرة التحرر من التقليد وتحامى كتب المتأخرين أينما وجدت ويستشهد بقول الامام الشاطبى : كان لأخذ الفقه من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر فى هذه الكتب المتأخرة كما قرره فى كتاب الموافقات وترد عليه الكتب فى ذلك من بعض أصحابه فيوقع له : « وأما ماذكرتم من عدم اعتمادى على التأليف المتـأخر فليس ذلك منى محض رأى ولكن اعتمـدته بحسب الخبرة عند النظر فى كتب المتقدمين مع المتأخرين ، كابن بشر وابن شاش وابن الحاجب ، ومن بعـدهم ، ولأن بعض من لقن من العلماء أوصـانى بالتجافى عن كتب المتأخرين وأبى بعبـارة خشنة ولكنهـا محض التضحية والتساهل فى النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله » .

ويقول : لقد دخلت بعض البدع على كتب أهل السنة وانها ليست من مذاهب الأئمة فان مذاهبهم متفقة على الأخذ بالكتاب والسنة فمن الحق بالدين شـيئا زعم انه منقول أو مستنبط من كلامهم وهـو يخالف الكتاب والسنة فهـو مردود عليه وهم يراد منه وقال : ان أهـل السنة والجماعة هم أبو الحسن الأشعرى أبو منصور الماتريدى ومن تابعهما فى الاعتقـاد والامام الجنيد ومن تابعه فى التصوف والأئمة الأربعة ومن تابعهم فى الفروع .

المتكلمون وعلم الكلام : وأفاض السـيد رشيد رضا فى عرض أقوال المتكلمين ومفاهيمهم وقال ان امام نظـار المتكلمين والأصـوليين فى عصره امامهم (الرازى) « وكان من أقلهم حظـا فى علم السـنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين بل وصفه (الحافظ الذهبى) بالجهل بالحديث وقال : « التاج السبكى » إنه لم يشتغل بهذا العلم وليس

من أهله . وقال ان « بدعه الكلامية » مخالفــة لنصوص الكتاب والسنة وقال ان تفسير الرازى قد اشتهر فيه بعض العلماء فيه أن فيه كل شىء الا التفسير كما فى كتاب الاتفاق ، وجملة القول : ان مذهب لسلف الصالح وجــوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به فى نفسه فى كتابه وما صــح من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ظاهره من غير تعطيل للمعنى اللغوى يجعله كاللغو وكل محاولة لتشبيه الله بخلقه يعد من النقص ولا تأويل يخرج الظاهر المتبادر عن معنــاه بمحض الراى والخواطر التى تعرض لبعض الناس فيما لا يليق به تعالى لا تنقص من ايمان المؤمن بكتابه وصدق رسوله المتبع لهما . قال ابن مسعود : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقالوا ان احدنا ليجد فى نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة (اى محمة) او يخرج من السماء الى الأرض احب اليــه من أن يعلم به . قال : ذلك محض الايمان وكراهيــة المؤمن لها دليل على ايمانه المحض الخالص .

ويقول السيد رشيد رضا : ان كبار النظار من المتكلمين قــد رجعوا الى مذهب السلف فى الايمان بظاهر النصوص وفى مقدمتهم امام الحرمين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر فى شرحــه للبخارى ومن قبله والده الامام الجوينى ومن بعده ابو حامد الغزالى فى آخر عمره ونقل مثل هذا عن الفخر الرازى ايضــا وقد صرح الغزالى من قبــل رجوعه الى مذهب السلف أن علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيــدة كالحرس للحــاج وانما راجت كتبه لأنها وضــعت للرد عــلى ملاحدتهم ومبتدعيهم ولا تنفع فى الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعيه » .

ويقول السيد رشيد رضا ايضــا عن المعتزلة : « من يطالع مقالات المعتزلة بامعــان يتبين له ان مقاصــدهم التوفيق بين الدين والفلســفة ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين لأن الفلسفة التى طالعوها اكثرها غــير صحيح فلذلك لم تلتئم مع الدين والثانى ان المقصد الأصلى من الدين هو العمــل وهؤلاء افرطوا فى الجدل فشطوا عن مقصــد الدين كما شــط مجادلوهم عن الجبرية الخالصة او الجبرية المتوسطة والمرجئة .

واشار فى موضع آخر الى ذم السلف الخوض فى علم الكلام فقال :

لقد ذم السلف الصالح الخوض فى علم الكلام والنقض والتدقيق فيما زعموا انها قضايا برهانية وحجج يقينية وقد شجبوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتحليلات الكشفية والمباحث القرمطية ، وكان ائمة الدين قبل مالك وسفيان بن المبارك وأبى يوسف والشافعى وأحمد واسحق والفضل ابن عياض وبشر الحافى يبالغون فى ذم (علم الكلام) وفى ذم بشر المريسى حتى أن هارون الرشـــيد خامس الخلفاء لبنى العبـــاس قال يوما بلغنى أن بشر المريسى يقول ان القرآن مخلوق ولله على أن اظفرنى به الله لاقتلنه قتلة ما قتلها أحد فأقام بشر متواريا أيام الرشيد نحوا من عشرين سنة ، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية أن التأويلات التى ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازى فى تأسيس التقديس ويوجـد منها غالت المتكلمـة من الجبـائى وعبد الجبار وأبى الحسن البصرى وغيرهم هى بعينها التأويلات التى ذكرها بشر المريسى ورد عليه الامام الدارمى عثمان بن سعيد احـد مشاهير ائمة السنة من علماء السلف فى زمن البخارى . (م ٦٤٩/٨) .

ويشير السيد رشيد رضا الى السبأية (اتباع عبد الله بن ســبأ) ويقول انهم بمثابة الضربة الأولى التى ضرب بها الاسلام ، كان هذا الرجل يهوديا ثم اسلم ظاهرا واعماله تدل على أنه يحمل حقدا شديدا للمسلمين.

ويفسح السيد رشيد قدرا واسعا من صفحات المنار لنشر كتاب تاريخ الجهمية والمعتزلة الذى الفه جمال الدين القاسمى (م ٧٠٣/١٦ وما بعده) يشار فيه الى توافق الفرقتين المعتزلة والجهمية فى المسائل المعروفة عنهما. وأن أول هذا الأمر عندما فتح باب النظر والتأويلات (تأويل آيات الصفات فى الكتاب المبين) وقد انتشرت مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وظهور دولة الجهمية (المعتزلة) فى عهد المأمون ودعوأه الى مذهبهم وما جرى على ائمة الرواية فى مسألة خلق القرآن واشار الى ما رواه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحهما (باب كتاب التوحيـد والرد على الجهميـة) فى البخـارى وقد اشتهر عن جهم بن صفوان أن القول بالجبر هو اسناد فعل العبـد الى الله تعالى وكان المأمون وأحمد بن داود الذى اقنعه بذلك مقدمة لنشوء الفلسفة والتشيع . ويقول الامام الذهبى فى تذكرة الحفاظ (جـ ٣٠٠/١٠) لما قتـل الأمين واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشـيع وابدى

صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبـوة ولا يوافق توحيد المؤمنين فقد كانت الأمة منه فى عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمـل المأمون المسلمين على القول بخلق القـرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البـلاء أن تعرف ما كنت تنـكر وتنكر ما كنت تعرف ، فتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسـل ويمارى فى القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع فى الحـيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومعضلات الأهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

وفى مجلد (٣٣/٥٦٩) من المنار فصل السيد رشيد رضا هذه القضية باعتبارها دعامة الاصلاح الاسلامى الحقيقية وتحت عنوان (أصل الاسلام) وما طرأ عليه من الفساد عن طريق السياسة والفلسفة والتصوف يعـدد الباحث المسائل التالية :

المسألة الأولى : ان هـذا الدين (الاسلام) وحى الهى الى نبى أمى ظهر فى أمة أمية جاهلة ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها بالعـلم والعـدل والفضيلة . وان الله قد شهد كتابه بأنه اكمل هـذا الدين لعباده فى آخر عمر نبيه ليس لأحد أن يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينيا مطلقا ولا تشريعا مدنيا الا ما أذن به لأولى الأمر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده .

المسألة الثانية : ان ما اجمع عليه أولئك الأميون الأولون أو أكثرهم هو الحق وان كل ما خالف نصوص القطعية من العقـائد والآراء والأفطار البشرية فهو باطل وفيه جميع نظريات المتكلمين العقليـة وكشف فلسفة الصوفية الروحية وان المصلحة للمسلمين وللبشر كافة أن يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة وما بينه من سنن الرسول المتبعة وسيرة خلفائه وجمهور عترته واصحابه قبل نشوء الابتداع والتفرق فى الملة .

المسألة الثالثة : ان البدع التى فرقت الأمة فى أصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعة اتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدي سلفه الصالح بالتأويل من حيث يدعي أن أئمتها أعلم من مخالفيهم

بتأويل الكتاب والحـــديث وان بعضـــهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة فهم احق أن يقلدوا ويتبعوا وانما يعـــلم الا علم بالدليل لا بالتقليـــد وفهم النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل . ولهـــذه البدع المفرقة ثلاث مثارات من أركان حضارة الأمم السياسية هى :

السياســـة والســـــلطان ـــ العلم العقلى والعرفان ، وفلســــــفة الوجدان وما يتبعه من دعوى علم الغيب المســــمى بالكشــــف والكرامات الشاملة لدعوى التصرف فى الكون .

ويفصل ذلك على ثلاث قضايا :

١ ـــ السياســـة الدولية : مثارها الأول ما شـــــجر بين الصحابة ثم كان أشدها افسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة ، وقد زالت الخلافة وضاعت سيادة الأمة فى حين ان آثارها ومفاســـدها لا تزال ماثلة . المنتمون الى مذهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعـــد أن جعلوها عصبية وراثية . غلاة الشيعة نقضوا أركان الاســـلام من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والســـنة .

٢ ـــ النظريات العقلية وتحكمها فى النصوص النقلية : تنازع أئمة الأتبـــاع وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل ودعاة الابتداع من متكلمى نظـــار المعتزلة والجهمية ولولا تدخل سلطان العباسيين فى نصر فريق على فريق لما وصلت الى ذلك الحـــد .

وسيموت ما بقى من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التى بنى على قواعدها ونظرياتها وان بقيت له بقيـــــة تقليدية فى بعض المدارس الاسلامية وسيخلفه علم آخر فى حراسة العقائد من شبهات العلم وفلسفة هذا العصر ، مع ابقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين ومحاولة تحكم كل منهما فى الآخر كما فعـــل نظارنا المتقدمون فجنوا على كل منهى بما اضعف سلطان الدين عن أداء وظيفته وهى تزكية النفس بما يوقفها عنـــد حدود الحق والعدل والفضيلة وعمـــل البر واضعف سلطان العلم فى أداء وظيفته فى اظهار سنن الله فى العـــالم وتسخير قوى الطبيعة لنافع الناس .

٣ — دعوى الكرامات والكشف وتحكمه فى عقائد الدين وعباداته وآدابه وتفسير نصوصه وأحكام المعاملات والحلال والحرام وقد نجمت البدعة من هذه الناحية صغيرة ثم كبرت ، هاجمها علماء المنقول والمعقول ، يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم حتى اذا ما ضعف العلم فصار تقليديا وضعف الحكم فصار ارثا جاهليا وصار علماء الأزهر مثل الشعرانى وسلاطين مصر مثل قايتباى خضعت رقاب المسلمين بولاية من الشيخ محمد الخضرى ؛ هذا الولى الشيلانى الذى خطب فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر (م ٥٧٣/٣٣) .

٤ — بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية الباطنية : النظريات العقلية التى تناول النصوص لأجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التى بنت عليها لعلماء هذا العصر وفلاسفته فقد اجمع هؤلاء على أن جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم ليس فيها شىء يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التى لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان وقد بطلت النظريات العلمية فى المادة والقوة فكيف يجوز اذن تأويل نص دينى قطعى الرواية والدلالة فى خبر عالم الغيب من الوحى الالهى لنظرية ظنية فى عالم الشهادة من الرأى البشرى ، واذا بكل تأويل علماء الكلام المبنى على قواعد النظر العقلى ومراعاة مدلولات اللغة واشتراط عدم المخالفة لأصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية فأجدر بتأويلات الباطنية أن تكون أشد بطلانا لأنها تحكم فى اللغة بما لا تدل عليه مفرداتها ولا قواعد نحوها ولا بنيانها ، وناقضة لأصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر والعمل الذى لا مجال للتأويل ولا التحريف فيه كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين والبهائية والقاديانية اللاحقة ، البهائية الذين يدعون الى الوهية البهاء والقاديانية الذين يدعون الى بنوة ميرزا غلام أحمد » .

هذا ولابد من عرض القضيتين المكملتين للبحث وهما الصوفية والشيعة الغالية .

الفصل الثالث

الصوفية الهندية والفلسفة

كانت مقاومة مفاهيم الصوفية الهندية والفلسفة هى من احجار الأساس فى بناء مفهوم أهل السنة والجماعة القائمة على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى فى مواجهة تلك الجبرية التى تدعى دعاوى باطلة تصرف المسلم عن بذل الجهد ودعوى قرب انتهاء الزمان والتواكل ومن هنا فقد اهتم السيد رشيد رضا بالحديث عن سنن الله فى الكون والتماس هذه السنن فى معرفة مهمة الانسان فى الحياة وان الأمم تمر بمراحل الضعف بعد القوة ثم تعود الى القوة مرة أخرى متى التمست منهج الله ، وان الضعف الذى يمر بالأمة الاسلامية لا يعنى أنه دليل على نهاية الزمان وانما هى مرحلة تعقبها مرحلة أخرى يستيقظ فيها المسلمون .

وقد رد السيد رشيد رضا هذه المشاعر المتشائمة اليائسة التى تدعو الى الانصراف عن الحياة واعتزالها الى مفاهيم التصوف الهندى والفلسفى الوافد على المسلمين ، والذى لم يعرفه المسلمون فى الصدر الأول للاسلام .

وقد عرض السيد رشيد رضا لما تضمنته كتب الصوفية من هذا النوع من المفاهيم الجبرية فأشار الى أن فى بعض الكتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسد فى دين هذه الامة ما لم تبلغ الى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين لأن هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلى ، أما كتب الصوفية فتنظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى اشارة من كتب الفلاسفة ولا شك أن خير صوفية هذه الأمة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون الا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ثم ظهر فيهم الغلاة ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة . حتى قال الامام الشافعى من تصوف أول النهار لا يأتى آخره الا وهو مجنون ، وأنت ترى أن الحارث

المحاسبى من أجل علماء الصوفية وقد روى عنه الجنيد وكان من المتمسكين بالسنة بحيث يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقا واحدا على شــدة فقره وعلل ذلك بأنه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده الا واقفيا أى لا يقول ان القرآن غير مخلوق كما أنه لا يقول هو مخلوق . ألف الحارث فى أصول الديانات والزهد على طريق الصوفية فسئل الامام أبو زرعة عنه وعن كتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات وعليك بالأثر فانك تجد فيــه ما يغنيك عن هــذه الكتب . روى الخطيب بسند صحيح أن الامام احمــد ســـمع كلام المحاسبى وقال لبعض أصحابه ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا أرى لك صحبتهم ، انما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصــوره عن مقامهم فانه مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ويخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقه (م ٣٠/٧٥٤) .

وخاصة هذا الزمان وعوامه أولى بأن لا ينظروا فى كتب من لا يعدون من طبقة الحارث بحيث ان امام السنة الأعظم فى عصره أحمد بن حنبــل لم ينكر شيئا مما ســمع من كلامه بمخالفة الكتاب والسنة وانما أنكره هو لأنه شيء جــديد مبتدع فى أمر الدين يشــغل الناظر عن كتاب الله وسنة رسوله ونهى عن صحبتهم لذلك أو لضيق مسلكهم وكونه لا يفهمه ولا يستفيد منه الا من هو مثلهم فما نقول بما جاء بعد هؤلاء من أصحاب القول بوحــدة الوجود وغير ذلك من البــدع المصادمة للنصــوص كمحيى الدين بن عربى الذى يقول فى خطبه وفتوحاته :

الرب حــق والعبــد حق
يا ليت شعرى من المكلف
ان قلت عبــد فذاك ميت
أو قلت ربى أنى يكلف

ومن شعره فى ديوانه : (وما الكلب والخنزير الا الهنا) .

وذكر الشعرانى وهو أشــهر داعية فى عصره الى خرافات الصوفية أنه سأل شيخه فى التصوف عليا الخواص : لماذا يتأول العلماء ما يشــكل ظاهره من نصوص الكتاب والسنة دون المشكل من كلام العارفين فأجابه بأن سبب ذلك القطع لعصمة القرآن وما صح عن الرسول صلى الله عليه

وسلم فى أمر الدين وعدم عصمة هؤلاء الشيوخ من الخطأ بالمعنى فى كتابه الدرر والجواهر وهذا حق .

ويقول السيد رشيد رضا : ان تحرير علم التصوف شىء لا يستطيعه الا من كان راسخا فى علم الكتاب والسنة اتم الرسوخ وعارفا بالتصوف معرفته علم وذوق وعمل وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين : شيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى الأنصارى ومجدد الاسلام ابن القيم الدمشقى جمع الاول ذلك التصوف جمعا موجزا فى كتابه منازل السائرين وشرحه الثانى فى كتابه مدارج السالكين وقد قدم صاحب المنار فى (المجلد ١٩) تعريف بالكتابين وقال : علماء الاسلام صنفان : علماء الاثر وهم علماء المنقول وعلماء المنقول ومن كل صنف مفسرون وفقهاء ولا يكاد يكون الاثرى متكلما وقد يكون صوفيا فى النادر .

وان علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا بالآخر ، ووجد من كل طائفة علماء اعلام صالحوا المتكلمين بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، وصالحوا الصوفية وخدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة واسرارها وتقرير الأخلاق والآداب ، والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والأحكام المدنية والسياسية ولكن كل هذه الفرق دخلت اليها البدع فتفرق المسلمون الى فرق واحداث كثيرة .

واشار السيد رشيد رضا الى انحراف المتصوفة عن الصراط السوى حتى لم يبق عندهم الا الرسول ، فقد تمسكوا بحبل الأوهام والابهام ، أعدوا الطريق أحيولة للجاه وحيلة للمفاخرة والمباراة وغلبة الأهواء ، وما بقى من علم القوم الاشقشقة اللسان رزخرفة الكلام بالألفاظ لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعرفون مرماها كالسحر والدجل والادلال والسطح والفرق والجمع ، ليس لهم من العمل الا ضرب الدفوف ودق النقارات والصنوج والنفخ بمزمار الشبابة بل والضرب بآلات الأوتار والتغنى بالأشعار الغرامية المهيجة للنفوس ، كأشعار عمر بن الفارض ويسمون كل ذلك عبادة ، وحالة الذكر الذى حققوه كالرقص . (م ٦٢٦/١) .

واشار الى انحراف التصوف بعد أن كان فى القرن الأول زهدا خالصا

لا يصرف عن عجل الدنيا فقال : لما توسع أهل القرن الرابع فى الشرع وتعيين المتكلمين فى العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته فى الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا والبسوا لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا يعرف باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن ، وبعد ان كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحتا وجاء منهم فى القرن الخامس وما بعده غلاة راو مجالا فى جهل اكثر الأمة لأن يجوز بينهم مقاما كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبان والغوثية فوسعوا فلسفة التصوف بأحكام بنوها على زخرف التاويلات والكشف والتحكمات .

وقد عرض السيد رشيد رضا فى مجلدات المنار الأربعة والثلاثين لعشرات من شبهات الصوفية وتحدث عن معظم الفرق الموجودة فى العالم الاسلامى كالرفاعية والنقشبندية والشاذلية وأشار الى انحرافات هذه الطرق واهمها علوم الاعتصام بالمأثور فى الذكر بالأسماء المقررة واستعمال عبارات هو هو آه آه ، واشار الى كتاب الكلم الطيب من أزكار النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال : ان أهم ما انفرد به ابن القيم بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم واحوالهم وذلك فى شرحه لكتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى ، ومن ذلك قوله : الصوفية ثلاث : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وقد ضل بما دخل فى الاسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية من الهية وطبيعية ويرجع ذلك الى جهل شيوخهم بالسنة النبوية ، فمن أصول الضلالة التى دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة وجعل الأمر الكونى القدرى كالأمر الشرعى فى كون كل منهما يجب الرضا به والاذعان والاستسلام له .

ومن مفاسد قولهم : الرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وما ابتدعوه من الأزكار والأوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام

فان عمدتهم فيه انهم ذاقوا ما اثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة فى الآخرة .

ومن اصول تلك الضلالات دعوى أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفا لما يفهم الجمهور منه وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سببا لارتداد كثير من المسلمين فكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية والبهائية وغيرهم ، ومنها اصل الأصول فى غلاتهم وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذى عليه الكتاب المسمى بالانسان الكامل وامثاله ، وهذا الأصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ولنصوص السنة الصحيحة وفيه مفاسد كثيرة جدا .

وقد اقتبست كل فرقة اصيبت بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبهم وآرائهم من آيات الكتاب العزيز وفنون الأحاديث حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة ومنكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق فى التأويل واشدهم اسرافا فيه بعد الباطنية الذين يشبهونه بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون فى التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكناية بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرمز ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والأحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التى تدل عليها فى اللغة ولأجله نرى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل أو تفكير حتى أن المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص . (م ١٩/٥٢) .

وقد حرص السيد رشيد رضا رغبة منه فى تصحيح مفاهيم الصوفية أن يورد ما قاله ائمة الاسلام واعلامه فى مفهوم التصوف الصحيح فأورد نصوصا للحافظ ابن الجوزى والامام ابن تيميه — أما الحافظ ابن الجوزى فقد أشار فى كتابه تلبيس ابليس الى متصوفة الرسوم فقال : كانت النسبة إلى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها .

ظهر الاسم للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه

وأشاروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصـــوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخـــلاق الرزيلة وحمله على الأخـــلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاصلاح والصدق وأول تلبيس للشيطان عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطفأ مصـــباح العلم تخبطوا في الظلمات فمنهم من غلا في ترك الدنيـــا وهي قوام مصالح الخلق ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعرى والفقر الاحتيارى ومنهم من غلبت عليه الخيالات حتى قالوا بالحلول والاتحاد .» (م ٢٢/١٧٣).

كما أورد لشيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن تيميـــه فتوى فى الصوفية والفقراء فأشار الى صوفية الأرزاق الذين يقيمون فى الخوانك ويأكلون منها وصوفية الرسم : الذين همهم تقليدهم فى اللباس والآداب الوضعية .

وقال : ان الصوفية طائفـــة انقطعت الى الزهد فى الدنيا والعمـــل للآخره ورياضة النفس وتربيـــة الارادة بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة فى العبادة وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . وسرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك وضلالاتهم وشعائرهم وشاراتهم ، حتى انهم اخذوا عنهم فلسفة وحـــدة الوجـــود فصارت غاية الطريق عندهم وبث الباطنية فى التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطبيعة الاذعان لكل ما يأمر به السالكين وشيوخهم وان كان منكرا وعدم الانكار عليهم فى شيء ، وكانت الباطنية تقصد بهـــذه التعاليم افساد دين الاسلام وابطاله ، وازالة ملكه بالدسائس التى وضعها عبد الله بن سبأ اليهودى وجماعات المجوس السرية التى بثت فى المسلمين دعوة الغلو فى التشيع لآل البيت والطعن فى اعظم الصحابة لافســـاد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلى لتتمكن تلك الجمعيات بذلك من اعادة ملك المجـــوس وسلطان دينهم اللذين ازالهما العـــرب بالاســـلام ولولا هذا الاضلال (التاويل والطاعة المطلقة) لما راجت الضلالات والبـــدع فى هذه الطائفة لأن أصل طريقهـــا تزكية النفس بالعلم والعمـــل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والأخـــذ بالعزائم ومحاسبة النفس على الخواطر .

وقال الامام ابن تيميه : انه لا سبيل الى تصفية التصوف من البـــدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح منه قبولا وردا بعد بيان

أن الضلالات والبدع المتغلغلة فى كتب التصوف قسمان :

١ — ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه فى التصوف الاسلامى وليس له أصل فى الكتاب ولا فى السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع وما احدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة فى ذاتها وأصلها أو فى صنعتها وطريقة ادائها حتى ان بعض كبار الفقهاء المتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال . ولم يراعوا فيه ما اشترطه المحققون فى هذا من الشروط فترى مثل الغزالى من أكبر ائمة علماء الكلام والفقه يرغب فى بعض العبادات المبتدعة مستدلا عليها بهذه الأحاديث الواهية ، صلاة الرغائب فى رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ، قال النووى : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . والغزالى لم يتوسع فى علم السنة الا فى آخر عمره ، وكذلك أخذوا بالضعيف الواهى : دعاء الوضوء اذ لا اصل له .

وجملة القول فى صوفية المسلمين ان علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم فى الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع فى علم فجاء فيه بما لم يجىء به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب .

فالصوفية اتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وأسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها — وهذا غرض الدين ومقصده — غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل فى كلامهم وأعمالهم من تصوف الأمم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فالمتكلمون أيضا قد دخل فى كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل فى كتبهم مثل ذلك بالرأى والقياس والأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكل من فى هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية هو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

وقال السيد رشيد رضا : ان للتصوف كتبا أكثر ما فيها منصوص

أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له ، وبعضـــها بدع تلصق به الصاقا بشـــبهات وتأويلات باطـــلة . أحسن الكتب فى تصـــوف الحقائق وأسلمها من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب : مدارج السالكين .

ثم تساءل كيف تكون الحاجة الى كتاب مـــع وجود الكتاب والسنة وقال : جوابه ان علمى الكلام والفقه يشاركان التصوف فى هـــذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب فى بيان اصـــول العقائد التى تستند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع واثباتهـــا بالدلالة النظرية الفنية التى كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد ، كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتادب بالآداب المنصوصة فيهما والمستنبطة فيهما .

ذكر ابن القيم فى كتابه اعـــلام الموقعين أمثـــلة كثيرة لما خالف فيـــه المقلدون للمذاهب المشهورة النصـــوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لأقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الأقوال بالأقيسة أو بجعل المتشابه اصـــلا للحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية » .

الفصل الرابع

السنة والشيعة

كان موضوع الاختلاف والاتفاق بين أهل السنة وبين الشيعة من الموضوعات الهامة التى أولاها السيد رشيد رضا وقد كانت دعوته : دعوة حارة ودائمة الى ضرورة اتفاقهما لمقاومة التحديات الخارجة الخطيرة التى تواجه الاسلام ، وقد عرض السيد رشيد رضا لمفهوم الشيعة المعتدل ولفرق الشيعة الغالبة وفند آراءها ووجهتها وخطرها على الاسلام وناقش كثيرا من دعاة الشيعة الاثنى عشر والزيدية وكذلك ناقش غيرهما وراجع كتبهم .

يقول السيد رشيد رضا : اننى شديد الحرص على هذا الاتفاق (بين السنة والشيعة) وقد جاهدت فى سبيله أكثر من ثلث قرن ولا أعرف أحدا من المسلمين أو اظن انه أشد منى رغبة وحرصا على ذلك ، وقد ظهر لى باختيارى الطويل أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الاباء اذ يعتقدون أنه ينافى منافعهم الشخصية من مال وجاه ، وقدتكلمت فى هذا مع كثيرين فى مصر وسورية والهند والعراق ، ومما علمته بالخبر والخبر أن الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لأهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين وقد نشطوا فى هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل فى الطعن على السنة والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار ونشروا الاسلام فى الأقطار والطعن على حفاظ السنة وائمتها وفى الأمة العربية بجملتها . وأشار الى الخلاف مع السيد محسن الأمين العاملى فى موقفه من الوهابية وكتب السيد تقى الدين بن تيميه وما كتبه علماء شيعة ايران فى الرد على كتاب منهاج السنة لابن تيميه وأشار كذلك الى أبحاث مجلة العرفان وقال ان من مزاعم صاحب مجلة العرفان الذى أقسم عليه يمينا مغلظة انه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ولم تقم للاسلام قائمة فى الأرض .

ويدعو السيد رشـــيد رضا الى جواز الحــوار مع الشيعة الامامية لأنهم مسلمون ، لا من البابية أو البهائيـــة المارقين وقاعدة المنـــار الذهبية هى أن نتعاون فيما يتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيـــه فأهل السنة متفقون مـــع الشيعة على أركان الاســـلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية واعلاء شأن الأمة العربية ولغتها واستقلال بلادها وهم يختلفون فى :

١ — مسألة الامامة وقد مضى وانقضى الزمن الذى كان فيه هذا الخـــلاف عمليـــا .

٢ — فى المفاضلة بين الخلفاء الراشدين .

٣ — فى عصمة الأئمة الاثنى عشر .

٤ — فى مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى .

فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليـــه ويعمل بما يقوم عنـــده الدليل على ترجيحه او تصديقه ممن يثق بهم من العلماء فيجب على محبى الاتفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين يعمـــل بمقتضاها . أننا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن فى أحـــد من أئمة آل البيت عليهم السلام كما يطعن هؤلاء الروافض فى الصحابة الكرام ولاسيما أبى بكر وعمر وفى أئمة حفاظ السنة كالبخـــارى ومسلم وكذا الامام أحمد امام أئمة السنة ، وشيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ الذهبى وابن حجر وغـــيرهم فانهم يعدونهم من النواصب لعـــدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الغلو فى مناقب آل البيت وقد أغنـــاهم الله عن اختلاق المناقب لهم لكثرة مناقبهم الصحيحة الثابتة بالنقل الصحيح ، انما النواصب فهم أولئك الخوارج الذين يبرءون من على كرم الله وجهـــه . (م ٢٩٠/٣١) .

٢ — وفى موضع آخر تحدث عن غلاة الشيعة ، فقال : انهم كانوا أشـــد النقم والدواهى التى أصيب بها الاســـلام فهم مبتدعو أكثر البـــدع الفاسدة وهم الذين صدعوا وحدته وأضعفوا شوكته وشوهوا جماله وانتقصـــوا كماله وجعلوا توحيده وثنية وأخوته عـــداوة وبغضـــاء

وبثوا فيه فتنة عبادة اناس لأجل أنسابهم وتقديس اناس لأحسابهم وجعل سعادة الدنيا والدين بوساطتهم عند الله وتأثيرهم في علمه وارادته على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق .

وجميع الفرق التى ارتدت عن الاسلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لباس المسلمين ويظهرون التلبيس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل وكانت طائفة البكداشية المنتشرة في بلاد الترك والارناءوط منهم ودعاوى ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وابطال جميع النظم الاجماعية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من أجاب الدعوة بسرور وارتياح وخرج بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهم وهى هدم تعاليم الاسلام والتفصى من أحكامه وسلطانه .

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لأفظع الكوارث التى هدت قوى الاسلام وضعضعت الخلافة العباسية ودمرت الحضارة العربية التى كانت زينة الأرض وفخار أهلها وهى كارثة التتار كما كانوا أولياء وأنصارا لأعداء المسلمين انهم اشد عداوة لهم وفتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين . وجهت العداوة الشيعية الى أهل السنة خاصة وزال ملك العرب من بلاد الفرس وصار السلطان فيه للترك فاتصل ما كان من عداوتهم للعرب الى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة فى البلاد الايرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بتعصب الترك العثمانيين فهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقابلهم لحماية التشيع وتضطهد السنة ، حتى صارت السنة فى بلاد ايران أضعف من المجوسية وقد ثبت شيعة ايران مذهبهم فى عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البدو لهم يقيمون مأتم الامام الحسين ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان الى ان ظهرت جماعة الوهابية .

وقد أهمل أهل السنة فى القرون الأخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ودعوة المبتدعين الى السنة الى أن حرك دعاة النصرانية بعض مسلمى الهند الى ذلك فحملتهم الغيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسلام وقلما

يغارون من الشيعة فيدعونهم الى السنة كما يدعون هم أهل السنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء .

اما الوهابية فقد شرعوا فى احياء الاسلام على مذهب أهل السنة والجماعة .

ويقول وقد اصبح من الضرورى اليوم مواجهة اللادينيين وملاحدة المتفرنجين الذين يحاربون الدين بالشبهات الفلسفية والآراء العلمية والنظريات القانونية والاجتماعية وما يزعمون من معارضة للاصلاحات العصرية ، فنحن نعالج جمود المتفقهة ، ونكافح بدع أدعياء التصوف ونناضل شبهات الملاحدة .

ويقول : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدروز والنصيرية والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافض ومذهبهما الى بث دعوتهم .

وفى بحث مستفيض عن الفكر الشيعى والرد عليه (م ٢٩/٤٢٤) وهو فى هذا البحث يتناول معظم القضايا التى اثارها الشيعة الغالية ومنها :

١ — مسألة نكاح المتعة .

٢ — وطعنهم فى القرآن بقولهم بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية — أى ولاية على — ويزعمون أن هناك نسخة أخرى خصه النبى بها .

٣ — عصمة الأئمة ولا عصمة عند السنة لأحد من البشر الا للأنبياء وهم يعصمون أئمة أهل البيت .

٤ — مسألة الامامة العظمى ويزعمون بثبوتها بالنص بحديث غدير / خم .

وقد كشف السيد رشيد رضا زيف هذه الادعاءات جميعها وقال ان الشيعة منهم المعتدلون ومنهم الباطنية الملاحدة أعداء الاسلام ودعوة المنار الى الاستقلال فى فهم الدين من الكتاب والسنة وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، وان الاجتهاد الحقيقى هو الاستقلال بأخذ الدين من منابعه ، والسنة المرادة هى أهل السنة والجماعة فى مقابلة أهل البدع كالروافض . قال على لابن عباس حين أرسله لمحاجة الخوارج : احملهم على السنة

فان القرآن ذو وجوه ، يعنى انهم يتبادلونه بغير المراد منه ، أما السنة بمعنى السيرة العملية فلا يمكن تأويلها ، وفى رسائل السنة والشيعة (م ٢٩/٦٧١) يقول :

كان مبتدع أصول التشيع يهودى اسمه عبد الله بن سبأ اظهر الاسلام خداعا للمسلمين ودعا الى الكلام فى على كرم الله وجهه لأجل تفريق هذه الأمة وافساد دينها ودنياها عليها كما فعل أمثاله فى النصرانية قديما وحديثا وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين تفرقة اليهود وبين النبى وكانوا هم المعتدين وقد ابتدع اليهودى بدعة واعانه عليها آخرون من أهل ملتــه .

وسرت بدع التشيع وانتشرت بين المسلمين بالدعاية السرية وكانت اقوى الأسباب فى العداوة السياسة بين كبراء الصحابة بما كان يسمى بسوء التفاهم وحسن النية ومن يراجع واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبئيين لذات البين وحيلولتهم بالمكر والفساد دون ما كان يقع من الصلح وقد طعنوا فى على وهم الدعاة الى القول بالوهيته ، ولولا ان خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين فى ادارة الدعاية بين المسلمين بالتشيع والغلو فى على واولاده واحفاده الطاهرين . احفظ قلوبهم ما قام به الخليفتين وثل عرش كسرى والقضاء على ديانتهم المجوسية وليس لدى العجز من الثأر بالقوة الحربيــة الا المكايد السرية فتولى مهرة من رجال الفرس أمرها ، فمنهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمع لكلمتهم على الفرس وغيرهم ومنهم من تولى السعى للافســاد السياسى بتحويل الخلافــة الى العــلويين ، ثم صاروا يكيدون للعباسيين ما قام به البرامكة من جعل جميع ادارة ملك الرشيد فى أيديهم ، وكان اذكى من فطن لدسائس البرامكة والحاد الشيعة الباطنية ونبه على كثير من دقائقه العلامة القاضى أبو بكر بن العربى الأندلسى كما نوه عنــه فى رحلته وفى كتابه ((العواصم من القواصم)) ويليه حكم المؤرخ ابن خلدون فقد اشار اليه فى مقدمة تاريخية وكان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمة الذين استخدموا اسماءهم وشهرتهم لترويج سياسيهم وبدعة تحريف القرآن والقصص منهم بغربتهم ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدى

وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون أن عليا كتبه بيده بعد وفاة النبى وفتحهم أبواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شىء من قواعد اللغة . وقول بعضهم بألوهية بعض أئمة أهل البيت الموروثة عن الاسماعيلية وغير الموروثة عن غيرهم من الباطنية وكان من بين من أطلق عليهم لقب الشيعة أناس من أهل السنة والجماعة كانوا يرون أن عليا احق بالخلافة ولكن لم يقل أحد من هؤلاء ببطلان خلافة الثلاثة ، فأهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون ان معاوية كان باغيا على الامام الحق أمير المؤمنين وانه قدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ولكن الجمهور تأولوا بانه كان مجتهدا أخطأ فى اجتهاده .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على أركان الاسلام الى (غلاة) اطلق عليهم اسم (الرافضة) والى معتدلين وهم الذين عرفوا باسم الزيدية لاتباعهم للامام زيد بن على الذى أنكر على الغلاة البراءة من أبى وعمر فرفضوه ومن الغريب أن يشتد أمر زنادقة الباطنية على كثير من مسلمى الشيعة حتى أهل العلم بينهم والزكاة ووصف التشيع كان يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة فى حب آل البيت النبوى ومدحهم وذم الظالمين لهم ، والشيعة الامامية قوم معتدلون قريبون من الزيدية ومنهم غلاة قريبون من الباطنية وهم الذين لقحوا ببعض تعاليمهم الالحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغربها فى زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم .

هؤلاء الامامية الاثنى عشرية يلقبون بالجعفرية وينقسم جمهورهم الى اصوليين واخباريين . والاستعداد فى الامامية للغلو وفرت الكثير من بينهم من زندقة الباطنية ، ظهرت فيهم وراجت بينهم ، بدعة البابية والبهائية الذين يقولون بألوهية البهاء ونسخ للدين الاسلامى وابطاله لجميع مذاهبه .

كان من قواعد الاسلام التى وضعها جمال الدين وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يحميها القرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب لهذا التفرق الذى البس بعد ذلك لباس الدين . وقد عنيت بالسعى للتأليف بين السنة والشيعة .

واشار الى أنه لما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى فى ايران نوهنا بعمله فى المجلد السابع والثامن من المنار وفضلناه على سائر ملوك المسلمين اذ بينا أن حكومة الشورى هى حكومة القرآن وقد اظهر الله دولة السنة باستيلاء امامها عبدالعزيز آل سعود على مهد الاسلام وقيامه باحياء السنن وهدم مبانى البدع فأيدناه وسعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة ، والتقارب بين مذهب الزيدية ومذهب السنة لقربه من السنة ؛ واشار الى سوء أمر مؤتمر النجف لشيعة العراق وامارات نشر الالحاد فى ايران .

الفصل الخامس

مواجهــة الأخطار والتحــديات

فى نطاق العمل من أجل توسيد خطط حركة الاصلاح عند حد تصحيح المفاهيم فى مجال تفســير القرآن او احيــاء مفهوم اهــل السنة والجماعة او الالتقاء بين السنة والشيعة مضى المنار الى الغاية فى مواجهة الأخطــار والتحديات فى مختلف مجالاتها فى مختلف ميادينها .

وقد ركز فى هذا البابة على الاســتشراق ودعاة التغريب من أتباعه فى البلاد الاسلامية كما عرض للبهائية والقاديانية وتناول ما قدمه طه حسين ولطفى الســيد وجرجى زيدان وسلامة موسى ومحمود عزمى وكتاب دائرة المعارف الاسلامية .

وفى مصطلحات تلك الفترة كانوا يطلقون على دعاة التغريب عبــارة (الملاحدة المتفرنجون) ولأنهم كانوا يدعون الى التجديد فقــد اطلق عليهم السيد رشيد رضا « جمعيــة تجــديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقة » (م ٣٨٧/٢٧) يقول : تصــدى لزعامة التحديات واحتكار لقب المجــددين أفراد هدامون غير بنائين يدعوى الأمة الى ترك هداية الدين والتجــــرد من لبوس الفضيلة والتشرف بلبس البرنيطة واباحة ملامسة النساء للرجال فى الرقص والســباحة والخلو والســياحة ومعــاقرة الخمر وما يتبع ذلك من ضروب الفسق وينعون على المراة ان يكون جل همها فى الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لأجله حق القيــام وميزها به على الرجل . وهم يغرون الشباب بالالحاد ويزينون لهم اتباع الشهوات ليتخذوا منهم ومن النســاء حقدا وحسبكم من سفه الراى التسليم لهم بأن القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لأنه قديم » .

ولما كانت دعوة التغريبيين هى التجــديد فقد وصفه بأنه « تجــديد الالحاد والاباحة والخــلاعة والدعوة الى الرزيلة برســم الأدب المكشوف والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية وتحرير المراة الشرقية وتقليد الحضارة الغربية وكلها تعابير قديمة لا جديدة كما يعلم المطلعون على تاريخ الثنيسة

ورومية وغــيرها من عواصم الشعوب القديمة وهى التى اضعفت دولهـــا وذهبت باستقلالها :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففســقوا فيها فحق عليهــا القول فدمرناها تدميرا » .

وقد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) زعنفة من الملاحــدة فى هذا البلد العظيم ، ليس لأحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة . وانما كل ما أوتوا أو حملوا من البضاعة فى هــذا السوق ثرثرة فى الكلام وسفسطة فى الجدل وجراة على تلبيس الحق بالباطل وسفاهة فى الطعن على من يخالفهم أو يرد عليهم ولكن بالتهتك الصريح لا بالبرهان الصحيح ، فالصدق لا حرمة له عندهم وباطراء غــلاة الترك الذين نبذوا الاســلام وراءهم جهودهم حتى فى هدم جميع أركان الحرية : هــذا الذى يسطرونه من غلو ملاحدة الترك ليس تجديد منهم بل نجم فى الجيل الماضى منهم ، وكان من تراثه فى هــذا الجيل زوال السلطة العثمانيــة التى كانت أعظم سلطة فى أوربا وآســيا وأفريقيــة وهم يريدون أن يعتــدى بهــا فى الحادها ونبذ هداية الدين ، وهم يقلدون ملاحدة أوربا فى عداوة رجال الدين تقليدا ، فهذا التقليد الأعمى هو الذى يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك فى عقائده والطعن فى احكامه وآدابه والتحقير لرجاله . ودعوى ابطال العلم والفلسفة له واتهام علمائه بانهم عقبة كؤود فى طريق ترقى الأمة ، وبعد ذلك ما تحدث به محمود عزمى فى الجامعــة المصرية عن حقوق المراة وما تحــدث به فخرى فرج ميخائيل فى الجامعة الأمريكية عن وجوب مساواة النساء بالرجال حتى فى الطــلاق والميراث (م ٣١) .

٣ — ويقرر السيد رشيد رضا أن جمعية تجديد الالحاد لم تقنع بصد الشعب المصرى والشعوب العربية عن الدين وتشككها فيه تمهيــدا لاباحة الأعراض وعبادة الشــهوات وتقليد الافرنج مما يســهل التقليد فى مجال الفواحش والمنكرات بل نراهم يعتنون بتحقير آداب اللغة العربية ليجردوا الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لهــا استقلالا خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة بهدم الدين هدما مطلقا لا هدم تجديد كما يدعون ، وهدم الشريعة الإسلامية

لاستبدال التشريع الأوربى به ، ثم أسرفوا فى تحقير آداب اللغة برغم تحديدها بآداب لغات سادتهم الافرنج .

وقد الف طه حسين كتيبا كذب فيسه نقله اللغة العربية ورواتها فيما رووه من شعر العرب في عصر الجاهلية وزعم انهم هم الذين وضعوا المعلقات السبع وامدوها على امرىء القيس وطرفه وغيره واستطرد الى تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رساله فى اسناد بناء بيته الحرام الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفى غير ذلك ، وجعل ذلك من الاساطير التى لا يثبتها العلم ، ولم يقل احد ان وقائع التاريخ يتوقف ثبوتها على عدم نفى العلم لما رواه الرواة عنها ، فخبر بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لبيت الله تعالى تناقلته الامم العربية بالتواتر المؤيد بتقاليد دين عملية ، ثم اثبته الوحى الالهى الثابت بالآيات القطعية ولا يوجد دليل علمى يعارضه فى معنى قوله أن العلم لا يثبته .

ويقول : لقد عمد دعاة الزندقة فى هدم مقومات هذه الأمة ومشخصاتها ووصفها بالقديمة وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه ومن المعلوم أن حسن الأشياء وقيمها الحقيقية فى ذاتها وفائدتها ، لا فى قدمها ولا فى جدتها ، وما من قديم الا وكان جديدا ولا جديدا الا وسيكون قديما ، ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وانما الأمم بتاريخها ، ومن الغريب أننا نراهم يدعون الى انتحال ما هو اقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالأدب الاغريقى والشعر الاغريقى الذى هو دون الأدب والشعر العربى الجاهلى والاسلامى » (م ٣٨٧/٢٧) .

٣ — ويتحدث عن دعاة التغريب هؤلاء فيقول : انما حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذمهم لعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من انفسهم ولكنهم يعتزون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها ، وان المؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق ، فاذا قذف عليه دفعه وان بقاء الباطل لالى زوال : **« وما كيد الكافرين الا فى ضلال »** .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبن ملاحدة المتسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر على كونهم أجرأهم على الجهر بالفسق ثم تجرأ أفراد منهم

منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من الف كتبا أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم الفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوساوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصارا في القصور والدواوين وفي المدارس واكبر معاهد الدين وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم ، من أهل الحق ، وانهم ليجتلبون الباب المتحللين من الشبان والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات : ((**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**)) (م ١٩ المنار ١٩١٦) .

٤ — وفي أكثر من موضع يتحدث عن فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومصر الذين ينوهون بكفر الترك الكماليين ويبثون في كل خطوة من خطواتهم جريدة السياسة ومراسلها عمر رضا الذى يمدها كل أسبوع بمقال ينوه فيها بأعمالهم ويحكى كفرهم وضلالهم (م ٢٢٧/٢٩) . ويقول : يود ملاحدة الكماليين من الترك لو يقتدى بهم مسلمو العرب في العراق وسوريا ومصر ومسلمو العجم في سائر الترك والتتار والأفغان والفرس ميتركون الاسلام مثلهم ، وان ملاحدة الترك هم الذين يبثون الدعوة الى تشويه الدولة العثمانية ويبثون الدعوة الى الالحاد ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الإسلام واحتقار تشريعه وآدابه ولبس قلانس الافرنج واثارة الغيرة القومية والعصبية الجنسية ، ويقول انه قلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح في الشعب التركى الذى صار عريقا في الاسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسى والرومى والبلقانى واليهودى الأصيل وقد سلطوا على افساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة وان السواد الأعظم من الترك يمقتون هؤلاء الكماليين أشد مما كانوا يمقتون اخوانهم الاتحاديين » (م ٧١/٢٧) .

٥ ــ ويكشف السيد رشيد رضا عن موقف المتفرنجين من دعوة الاصلاح الاسلامى فيقول : انهم فريقان : أحدهما من كان تفرنجهم أثر التعليم العصرى والتربية الافرنجية ، التى حبب اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل ان يلتفتوا ما لأمتهم من ذلك ويتربوا عليه . (ثانيهما) : من يتفرنجون تقليدا للفريق الأول من قومهم الحكام والأغنياء تقربا اليهم ، وقد فشى هذا التفرنج فى المسلمين بالمدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التى انشئت لتقليد الافرنج فى تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الأمة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسى والاجتماعى وما بقى منه أمسى مشوبا بما ليس فيه من البدع والدخيل ، وفى أثناء هوى الأمة الاسلامية فى هذه الهاوية من الحال منذ عدة قرون كان الافرنج يصعدون فى مراقى العلم الاستقلالى والتربية الاجتماعية على علم ونظام يهتدون فيه لسنن : الله فى خلق الانسان والأكوان .

وهناك فرق بين المتفرنج المقلد والمصلح المستقل ، فالمصلحون يدعون الى الاعتبار بما أوتى الافرنج من العلوم والفنون ، وما اتقنوا من الأعمال والبحث فى أسباب ذلك وطرقه والوصول الى ما تحتاج اليه أمتهم منه . ومن المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم اخرى مخالفة للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ومنهم من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد ذمتهم وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الاصلاح . ان بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعى امكان الجمع بينه وبين نبذ أصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يقفوا الى الكمال الانسانى الذى ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون . ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء او اتخاذ الأخدان بكل عذراء تجاوزت الأربعة عشر ، جهر بهذا صاحب الخطة أو الرسالة التى ترد عليها فى هذه المقالات (أحمد صفوت) .

٦ ــ ويشير السيد رشيد رضا الى أن اللورد كرومر فى كتابه مصر الحديثة بين من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا

وقد أشار الى مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون فقههم من شئون الحضارة بما قاله فى أحد تقاريره عن مصر عن ذكر وفاة الأستاذ الامام وهو أن الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون فى ذلك المحافظة على أصول الاسلام خلافا لمن لا يبالون فى هذا السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الأمة ، وأشار الى غلاة المتفرنجين المارقين من الذين يحاربون اصوله وفروعه وينفثون سموم الكفر والفسق فى أهله ، وشذوذ الغلاة فى وجهة بعضهم فى انكار ما عليه الامة من العقائد والعادات ، وقال صاحب المنار : ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يعضها حكام كل قطر بآرائهم وان استمدوا أصولها وفروعها من قوانين الأمم الأخرى المخالفين للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شريعتهم التى هى اعظم مقومات امتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من دعاوى الاصلاح (م ١٩١٧/٢٠) .

٧ — ويتناول السيد رشيد رضا هذا الموضوع فى موضع آخر فيتحدث عن دورهم فى الصحافة ويقول انهم ابتدعوا دعاية شرا من دعاية المبشرين وهى دعوة جمهور الأمة الى التعطيل والالحاد وما يترتب عليهما من الزندقة واباحة الأعراض والأصول وانتهاك حرمات الفضائل والآداب وحل جميع الروابط التى تتكون منها الأمة من مقومات ومشخصات ، لا يراعى فى شىء من اقتراف هذه المفاسد الا اتقاء عقاب الحكومة على مخالفة قوانينها . وحجتهم على هذا الافساد كله أن كل ما كانت به الأمة أمة فى الماضى قد صار قديما باليا ضارا يجب أن يستبدل به غيره من الجديد نقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوربية . وقال : اشتد عصف هذه الرياح المتناوحة التى تهب عليهم مما ينشر فى الصحف الضارة من المصنفات المفسدة وقلما توجد فى البلاد جريدة أو مجلة تتجنب ما يضر الجمهور فى عقائدهم وآدابهم وتتحرى ما يعتقد أنه النافع . ويقول : توجد جرائد يومية واسبوعية ومجلات تتوخى وتتحرى وتتعمد الدعاية الى هذا الهدم والتجديد على تفاوت بينها فى التصريح والتعريض أو التفرنج وأشدها جريدة « السياسة » التي يكفلها الحزب الحر الدستورى ومعها فى ذلك بل أشد « مجلة الهلال »

المشاركة لها فى اشهر محرريها التى تدعى انها لسان حال الشبان العصريين ففى كل جزء من اجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقة وقلما تنشر لغيرهم شيئا يخالفه ، وحسبك أن (سلامة موسى) هو الركن الثابت المتين فى تحريرها وهو لا يكتفى بما ينشر له من المقالات فى ذلك ، بل يطبع له فى كل عام كتابا فى تأييد هذه الدعاية الهادمة للأمة المصرية ولكل أمة شرقية تعتز بفلسفة المادية الافسادية .

وقد زاد هذا الرجل على اخوانه بأنه يدعو الى خلع الجنسية والوطنية والانضمام الى دولة أجنبية ، ثم انها تنشر مجلات اسبوعية مصورة (اى دار الهلال) تجرىء قراءها على نبذ كل عفة وصيانة وفضيلة سمعت عنها ، ثم ظهرت منذ سنين مجلة أخرى اشد جراة على هدم الدين والجهر بالطعن فيه بسخافات من النظريات الفلسفية العصرية ظهر غرور صاحبها فى دعوى العلم والفلسفة ، وفى معرفة الدين ايضا ، كما يترجمون بعض الكتب والصحف الافرنجية ويأخذونها قضية مسلمة (لعله يقصد مجلة العصور لاسماعيل مظهر) ، وقد اقتفت أثر هذه الصحف مجلة جديدة أنشئت فى حلب فانكر عليها بعض الناس ما نشرته من حكاية طعن فى الاسلام لأن اكثرهم لا يزال غافلا عما تعنيه بالجديد والحديث والاستغناء عن القديم وان المراد ترك الاسلام من أساسه (مجلة الحديث لصاحبها سامى الكيالى) ولولا جمود مقلدة الفقهاء الذين احتكروا التعليم الدينى فى بلاد الاسلام منذ قرون ولولا بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم وهم الذين كان سلفهم يعنون بالتربية الدينية ليكون الدين وجدانا عند صاحبه لا يقبل البحث والجدل فانقلبت بعدهم الى افساد لا يقبل الاصلاح لولا هؤلاء واولئك لما كان لهؤلاء المفسدين ولا المبشرين أدنى تأثير فى اغواء المسلمين . ويرى السيد رشيد رضا اشراك هؤلاء مع الملاحدة فى هدم الاسلام من حيث لا يشعرون : « فهم يفتنون جميع المتعلمين على الطريقة العصرية الاستقلالية عن الاسلام من جانب ويقطعون الطريق على حكماء الدين الراسخين أن ينشروا حقيقته التى لا يمكن المراء فيها من جانب ثان وان يدحضوا شبهات الماديين والمبشرين عليه من الطرق العلمية التى لا يمكن اقناعهم أو الزامهم الحجج بدونها من جانب ثالث ، وعنده أن رجال الدين قد انقطعوا فى عصورهم المتأخرة عن الكتاب والسنة وعن مهمتها على الوجه الصحيح

وهما بلا شك مصدر الحياة والقوة وعلها مدار السعادة التامة ، ومن ذلك قول الشيخ على سرور الزنكلونى : ان سبب التأخر الحقيقى هو عدم فهم الكتاب والسنة على الوجـــه الصحيح لأن فهمهما كذلك يولد الايمان بهمـــا ايمانا قويا والايمان بهما كذلك لا محالة يولد السعادة والقوة والعمل الصالح رغم الصوارف التى ازدحم بها الوجود فالوجود ملوث بمثل هذه الصوارف منذ بدء الخليقة والصراع قديم بين الخـــير والشر وبين النـــور والظلمة . (م ١١٧/٢٩) .

— ٢ —

وفى ضوء هذه الوجهة مضى السيد رشيد رضا فى نقد الفرق الهدامة والنحل الباطنية وكان الاستشراق فى مقدمة هذه الموسعات وقد بدأ الشيخ محمد عبده هذه الخطة برده على هانوتو ، وتزييف المفاهيم التى قدمهـــا (فرح أنطون) صاحب مجـــلة الجامعـــة وقد انطلقت دعاوى المستشرقين من الخطة التى بداها اللورد كرومر فى تهجمه على الشريعـــة الاسلامية ، ووصفها بأنها صحراوية وقد رد عليه فريد وجدى ومصطفى الغلاينى وتناول جانبا من الرد عليها السيد رشيد رضا بعد صدور كتاب (مصر الحديثة) لكرومر الذى أعاد نشر هذه الشبهات .

وقد مضى هانوتو على نفس المخطط حين قال بأن الدين الاســـلامى يحول دون تقدم المسلمين .

ودخلت جريدة المؤيد وجريدة اللواء الميدان وترجم أحمد فتحى زغلول كتاب (الاسلام خواطر وســـوانح) من تأليف الكونت هنرى دى كاسترى وهو من أحسن الأوربيين رأيا فى الاسلام وأحسنهم دفاعا عنه ، ليكون عبرة فى بيان حقيقة الاسلام وكان رد الشيخ محمد عبده عليه مقحما وقد نشر الرد فى المؤيد وفى المنار بأمضاء رمزى وقد خطأ الذين كتبوا دعوته الى الفصـــل بين السلطة الدينية والسياسية وقال السيد رشيد رضـــا انهـــا من أهم المسائل التى تطلبها أوربا من المسلمين ، وان الجرائد التى تدعو الشرقيين من المسلمين الى مدنية أوربا تجتهد فى اقامة الحجة على أن هـــذا النجاح موقوف على هـــذا الفصل ، وقد كتب المنار فى هـــذا تحت عنوان « الدين والدولة ، والخلافة والسلطة » (م ٣٣٧/٣) وما بعدها و (م ٥٧٧/٥) .

وتابع السيد رشيد رضا كل دعاوى الاستشراق ورد عليها وفى مقدمتها كتاب مرجليوث عن النبى صلى الله عليــه وسلم قال السيد رشيد رضـــا (م ٩/٥٢٣) :

قال فى مقدمته : انه يعد النبى محمدا من أعظم الرجال وانه حل معضلة سياسية هى تكوين دولة عظيمة فى قبائل العرب وليس من غرضه الدفاع عنه ولا ادانته وليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامى على غيره ولا تنقيحه والطعن فيه . يقول : وترى فيما ينتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب فى أكثر غلطه وخطاه فى هــذه السيرة هو التحكم فى الاستنباط والقيـــاس الجرىء ، وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم فى أخــذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة » وقد أورد له مجموعة من الأخطاء ، منها قوله : كيف أتته فكرة النبوة لمحمد ذلك الرجـــل العربى دون سواه ، وقوله : ان النبى كان يعتقد فى نفسه أنه كأحد أنبياء اسرائيل ، يقول ان هذا يتنافى مع ما زعمه فى غير موضع من أنه قام بهـــذا الأمر عن فكر وتدبير وأنه كان يتعلم ويستفيد ، ويدعى أنه ما استفاده من الناس وحى من الله » وكشف السيد رشيد رضا أن مرجليوث فى حقيقته حاقد على الاســـلام حقــد اليهــود الدفين وذلك فى مغالطاته وشبهاته ، كذلك أشـــار الى أخطـــاء لامنس فى دعواه عن عرب الأندلس بأنه لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتــح الأندلس الا القليـــل من العنصر العربى الخالص ، وذلك ليذهب الى القول بأن أكثريتهم من البربر والافريقيين ، يقول : يريد لامنس الشيوعى انكار حقيقـــة العــرب ومدنيتهم الأندلسية والاسلامية ليتخـــذها حجة على عـــدم أهليتهم للتمدين والتثقيف والسبق فى ميدان الحضارة التى تأتى بعكس ما يقرره المتحاملون من أن الاســـلام لم يوفق حتى الآن الى تأسيس مدنية راقية .

وأشار الى المستشرق فامبرى اليهودى الذى خدع المسلمين فقد كان أستاذا خصوصيا للسلطان عبد الحميد وأقام فى قصر النجم (يلدز) زمنـــا طويلا وكان يطرى سياسة السلطان عبـــد الحميـــد فلما عزل السلطان غير رأيه وكتب مقالات فى مجلة القرن التاسع عشر على اثر خلع عبد الحميد بسط فيهـــا آراءه فى ذلك الخلع وفى رجال الدولة العثمانية كافة وتوســـع

فى نقد عادات الأتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم اقبح طعن ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الأخلاق وسوء التربية وكشف عن ما أسماه رياء هذا المستشرف وخداعه الرأى العام وطعنه فى النهضة الآسيوية والحركة الاسلامية وكان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الآسيويين قائلا بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين فما بال يكتب الآن : « اقطعوا البرعم قبل ان يزهر ويثمر » (م ٦٢٧/١٦) .

وفى السنوات الأخيرة للمنار اتسع نطاق البحث فى كتابات المستشرقين فكتب الأمير شكيب ارسلان فى المنار (م ٤٣٥/٣٣) فصلا ضافيا أشار فيه الى هدف المستشرقين الأساسى حيث يقول : انهم ما استشرقوا ولا خطوا خطوة فى هذا السبيل الا لأجل أن يتعقبوا عورات الاسلام ومثالبه ويخوضوا فى أعراض المسلمين ويبحثوا عن زلاتهم ليجسموها ويعرضونها لأنظار الأوربيين بالشكل المستتبع الذى تنفر منه طباعهم وتثور حفائظهم وذلك حتى يزدادوا بغضا للاسلام وبعدا عنه ، هذه الفئة من حيث أن استشراقها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الاسلام بما أمكن لا تقتصر على تجسيم العورات اذا وقعت عليها بل تبلغ بها سوء القصد أن تقلب الحقائق قلبا وأن ترتكب التزوير عمدا وأن تأخذ بالحوادث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد وكل شىء تعمله هذه الفئة على قاعدة أن الغاية تبرر الواسطة فالاسلام بزعمها هو شر محض فينبغى أن تنقذ الناس منه بالحق وبالباطل . ومن جملتها لامانس الشيوعى البلجيكى ومارتن هاريمان الألمانى ومرجليوث الانجليزى وفنسنك الذى ذكر عنه الدكتور حسين الهراوى أنه طعن فى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المستشرقين فئة أخرى غرضهم أيضا أن يخدموا المدنية الأوربية والثقافة المسيحية وأن يبثوها بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبيحون ما تستبيحه الفئة الأولى من الكذب والبهتان وقلب الحقائق واللواذ بكل غرض للتمثيل بالاسلام وأهله، هؤلاء يلتزمون فى مباحثهم الطريقة العلمية ولكنهم لا يتحرجون عند أول فرصة تلوح لهم أن يهملوها ويحملوا على الاسلام باسم العلم بزعمهم وأن يجسموا الهنات وأن يعمموا الجزئيات فى الأحايين وأن يتجاهلوا

من عندهم من الطاقات الكبرى التى لا تقاس اليها معايب الاســــلام فى كثير ولا قليــل .

قال مهندس سويسرى لاحسان الجابرى : لقــد نشأنا من الصــغر على بغض الاســـلام ، وربانا آباؤنا ومعلمونا على مبادىء من العــداوة للاسلام ، نحن الآن نعلم بطلانها لكننا بحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منهــا » (م ٤٣٥/٣٣) .

وكتب العلامة محمد تقى الدين الهــلالى مقالا عن اخطاء المستشرقين وخطاياهم (م ٥٣٥/٣٤) قال : ان لهم اخطـــاء ولهم خطيئـــات أيضـــا ، أما اخطـــاءهم فمنشؤها القصـــور فأكثر المستشرقين صحفيون فى العــلوم الشرقية (الصحفى من يأخــذ العــلوم من الصحف بدون تلق من العلماء ، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء والحفاظ) ولنضرب بذلك مثــلا حول جورج سايل أول من ترجم القرآن الى الانجليزية وحدث فى الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وله ترجمـــة رسائل أبى العـــلاء مشحونة بالأخطـــاء ، أما الخطيئات فيرتكبها ثلاثة اضـــر من المستشرقين (الضرب الاول) : القسيســـون المتعصبون كجورج سايل ومرجليـــوث وزويمر ومن على شاكلتهم الحامل عليها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من اجل الاسلام . (الضرب الثانى) : السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف . (الضرب الثالث) : الأدباء الذين لا يدفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المــال الوافر والشهرة الواسعة واعجاب القـــراء الأوربيين الذين يصدقون كل ما يقرعون عن الشرق والشرقيين ، وهنـــاك قسم رابع من المستشرقين بريئون من تعمد الخطيئات منهم توماس كارليل ، وجيبون ، وكوتى .

— ٣ —

ويواجه السيد رشيد رضا أخطاء كرومر فى كتابه (مصر الحديثـــة) فيقول : انه فضـــل القبط على المسلمين تفضيلا من حيث دينهم وما فيـــه من المرونة التى تساعدهم على مجاراة المدنية مما لا يساعد الاســـلام أهله على زعمه رفع نفســـه الى مستوى الحكم فى الاســـلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعى محكم من الحيثية الأولى له وعليـــه

ومن الحيثية الأولى عليه لا له ، وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على اهله عامة حتى فى مستقبل امرهم ، وهو كتاب كتب بمداد الحقد والحنق وقلم الحفيظة والانتقام من المصريين بما فوقوا اليه من سهام وصوبوا اليه من أسنة اقلامهم فى وقت مفارقته لديارهم ، فهو يريد أن يستل من نفوس احرار قومه فكرة توقيت الاحتلال والخروج من مصر فى يوم من الأيام ويقنعهم ويقنع اوربا معهم بأنه لا ضمان لحفظ مصالح الاوربيين فى مصر بل ولا حفظ مصالح المصريين الا ببقاء الانجليز فى مصر ، لأن المصرى شديد التمسك بدينه الذى لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع المدنية كما يحب الأوربيون ويبغون كانت مدنيته تقليدية لا حقيقية ، وكان ذلك شرا على المسلم المتدين واشد عداوة للأوربى وللمسيحى ولو غير أوربى ».

ويرى أن تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى أملاك انجلترا وما اظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وذر الرماد فى العيون والهاء المصريين بالأمانى والأحلام . (م ١١ ابريل ١٩٠٨).

— ٤ —

ويواجه السيد رشيد رضا كتاب مصر من دعاة التغريب فيكشف زيفهم ، فهو يدحض مزاعم فرح أنطون عن الاسلام التى أوردها فى دراسته عن ابن رشد فيقول : انه الخطأ اعتقاد فلسفة ابن رشد على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رينان أو من الكتب الغربية ، فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الا مبادىء علوم المدارس فى مدرسة كفتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد فى بيان ما يفهم كما علم وتعلم مما ينشره فان دين الاسلام مبنى على العقل كما صرح القرآن الكريم ، وقد زعم صاحب الجامعة أن الامام الغزالى وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أى بخلاف ما يتفق به كتاب الله ، حاش لله » .

ويعارض فكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى محاضرته التى القاها فى احتفال الجامعة المصرية بذكرى « رينان » المفكر الفرنسى الذى هاجم الاسلام يقول السيد رشيد رضا (م ٢٤) : لقد طعن رينان فى الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن فى العرب بأن عقولهم قاصرة بطبعها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وما ذكر فى المحاضرة من تلخيص

كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسـلام شـيئا الا بعض كلام دعاة النصرانية فى الجزائر ورجال السياسة الفرنسية ، وقال انه أخطـأ فى تصوير العقائد المنسوبة الى الاسـلام وانه فضـل البربر على العرب فى العلم والمدنية بدعوى أن أصلهم من برابرة الشمال الأوربيين لا من همج الساميين ، وقال : ان ثناء رينان على جمال الدين وقومه الافغان يرجـع الى أنهم من الأرومة الآرية ذات العقـل الراقى المستعد للفلسفة العليـا التى تستعصى على عقول العرب » .

كذلك فقد عارض دعوى محمود عزمى فيما أسماه : « مدنية القوانين » (مجلد ٤٣٥/٢٣) حين دعا الى وضع قانون مدنى للأحوال الشـخصية يسمح للمسيحى بأن يتزوج بالمسلمة ، وقال السيد رشيد رضا : ساء بعض المتفرنجين أن دين الدولة المصرية الرسمى « الاسـلام » وساءت ملاحدة المتفرنجين المقلدين لأعـداء الأديان من الافرنج فى الدعـوة الى التفصى من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها فقام منهم من يقترح من الاصلاح لمصر فى عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعلها كلها مدنية لوضع قانونى مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغـير ذلك ويعنون بالمدنى ما يقابل الدينى وأصبح المقترح على رأيه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لأنها تبيح للمسـلم أن يتزوج يهودية أو نصرانيـة ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امراة مسلمة » .

وقد رد عليه كثيرون فى جريدة الأهرام (مايو ١٩٢٢) ومن ذلك السعى لالغاء المحاكم الشرعية (م ٤٣٥/٢٣ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥) من سعى المتفرنجين والافرنج لابطال الشريعة ، وقال السيد رشيد : ان النص القطعى فى القرآن انما ورد بالنهى عن نكاح المشركات ونكاح المشركين ويحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم .

كما وقف السيد رشيد رضا وقفـة حاسمة بالنسبة لكتاب الاسـلام وأصول الحـكم للشيخ على عبد الرازق وعرض لفساد رأيه ولحـكم هيئة العلماء عليه وقال انه جعـل الشريعة الاسلامية شريعـة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا وان الدين لا يمنع من أن جهـاد النبى كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعـوة الى العالمين

وان نظـــام الملك فى عصر النبى كان موضـــع غموض وابهـــام واضطراب وكان موجبا للحيرة وأن مهمة النبى صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ وأنكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى أنه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها فى الدين والدنيا وانكار أن القضـــاء وظيفـــة شرعية وأن حكومة ابى بكر والخلفاء الراشدين من بعـــده كانت لا دينيـــة » .

وهاجم ســـلامة موسى فى مطالع حيـــاته وفى أول مؤلفاته (مقدمة السبرمان) مجلد ١٣ ، وقال اننا رأينا المؤلف يتحمس لآراء نيتشى وبليك وشوبنهور وغيرهم من أصحاب الفلسفة الشاردة التى روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والأدبية وتقوية الحياة الحيوانية فهم يجب أن يكونوا متسلطين جبابرة أقوياء بدل أن يكونوا عادلين مهذبين رحماء وكان لمثل هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المذاهب الشاذة ولو أنه رأى لها أثرا قائما بتلك البلاد التى نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم ولا يمنع أن يكون لكل ناعق متبعون فان الشذوذ واختلاف المناحى كان ولا يزال دأب البشر ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم ما يرون لهم فى كل بقعة من بلاد الشرق ناصبين أنفسهم من امتهم منصب المصلحين النافعين وانما هم من المقلدين المســـاكين الذين لم تقو عقولهم على تمييز الغث من السمين (م ١٣) .

وعرض لكتاب اميل درمنخيم (حياة محمد) وترجمة الدكتور محمـــد حســـين هيـــكل له ، وقال ان درمنخيم من أقرب المستشرقين الى الصحة فى الرواية لانه اعتمـــد على المصـــادر الاسلامية وأوسعها عنده ســـيرة ابن هشام وأجدرهم بحسن النية فيما أخطأ فيه فان حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية فى مدح النبى صلى الله عليه وســـلم وتصوير فضائله واشـــار الى خطأ درمنخيم فى القول بالوحى النفسى للنبى صلى الله عليه وسلم « ويعنون به أنه نابع من نفس النبى وصادر من استعداد فيه وهو ما يعبرون عنه فى هذا العهد بالعقل الباطن ونعنى به الروح الغيبى المعبر عنه بقوله تعالى : ((**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا**)) .

ويقول ان ما نقله هيكل عن درمنخيم من الكلام عن بدء الوحى المحمدى ومقدماته قد جمع فيه الشبهات التى يمكن الاحتجاج بهما على ان هذا الوحى « نفسى » .

وقال انه رد عليه فى كتابه (الوحى المحمدى) واثبت ان وحى القرآن من عالم الغيب بما بسطه من كليات مقاصد القرآن العشر واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده واستحالة ان يكون ما دونها من العلم والفهم والعمل مما وقع او يقع مثله لاحد من البشر فى سن الكهولة . ويقول : لما قرات مقدمة (بدء الوحى) عجبت لمؤلفه كيف اقر درمنجم مؤلف الأصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدى لها فى كتاب الوحى المحمدى وقد اطلع عليه وذكره فى الكتب التى استمد من مباحثهنا فى وضعه فان ادرى اغفل عن تفنيدى لشبهاتها العشر واثبات الوحى الالهى بكليات ومقاصد القرآن العشر ام ماذا ، ؟ فهذه المسالة أنكر المنكرات فى اصل الكتاب ولم يفطن لها الجمهور فيه ولا لفروعها المنكرة وهى كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها » .

ونشر السيد رشيد رضا بحثا للأستاذ محمد محمد زهران فى نقد كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل فقال ان الناس استبشروا به عندما بدأ يكتب عن السيرة ، ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من تشويهه للحقائق القطعية والاغراق فى الباس الباطل ثوب الحق وصوغ الخيالات فى قالب الحقائق واقرار ما ليس بثابت عن ائمة الدين وانكار ما هو معلوم للخاصة او جلها الا وهو انكار جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ولو انه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتاولنا وقلنا لعله أراد ان القرآن هو المعجزة العظمى التى تتضاءل فى جنبها سائر المعجزات ولكن قد علل الانكار المذكور بان تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شانه وان تجويز شىء منا مناف لما نطق به القرآن من ان تلك السنن لا تتبدل وزعم ان احاديث المعجزات كلها موضوعة اما لمحاولة ان يجعل له صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى : ((**ولن تجد لسنة الله تبديلا**)) فهذا نص لا يحتمل تاويلا فى انه لا يدين بشى من المعجزات الكونية فانه قرر أن وقوع شىء منها تبديل للسنن الالهية وانه محال ، ويا ليت شعرى ماذا يصنع بالآى القرآنية والعامة من المسلمين . وقال انه هناك امر واحد اساسى لجميع اخطائه المتضمنة المعجزات الانبياء من نحو انقسلاب العصا حية وفلق البحر لموسى

وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام .

واشار الباحث الى ان الدكتور هيكل انكر :

١ — قصة ابراهيم والكعبة .

٢ — أسطورة شق الصــدر .

٣ — بدء الوحى .

٤ — ما نسبه الى السيدة خديجة .

٥ — ما قال فى الاسراء .

٦ — ما عقب به على معجزة الغــار .

٧ — تلبيسه فى قصة سراقة .

٨ — دعواه بأن النبى صلى الله عليه وسلم اقر المنكر .

٩ — عزوه الى عائشة ما لا يليق .

وقال السيد رشيد رضا معلقا على ذلك بقوله : ان أكبر خطأ رأيته تبعــا لأصله الفرنسى من شــبهات الوحى النفسى يخفى على أكثر قرائه أو على من لم تتمكن هذه الشبهات من نفسه من قبل قراءته . فان درمنجم نفسه ينقل رواية رؤية النبى صلى الله عليــه وسلم لملك الوحى والتلقى عنه .

والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا وان اخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتهما باجتهادهما وما اعتمد عليه فى رواياتها الباطلة لقلة اطلاعهما وعدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجــح والمرجوح فيهــا وأن ابن هشام واستاذه ابن اسحق اخذا بالرواية المرسلة فى حديث بدء الوحى وأن قوله أنها رؤيا منامية مخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم » .

ثم هون السيد رشيد رضا من المسائل الأخرى .

كذلك فقد اهتم السيد رشيد رضا بصدور دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (م ٣٤/٣٨٦) فقال ان هــذا المعجم باللغــة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الاغلاط والمطاعن ومخالفــة الحقائق هو أخطر من نشر كتب دعاة النصرانية المبشرين وصحفهم لان هذه قلما تخدع أحدا من عوام المسلمين بما فيها من الباطل أما هذا المعجم فانه يخدع أكثر القارئين له فيه ولعل فيهم من يعلم ان مؤلفى هذه الدائرة ممن يتربصون بهم

الدوائر (عليهم دائرة السوء) وكان الأمير شكيب ارســلان قد علق على هذه الدائرة فأشار فى (م ٤٣٩/٣٣) فقال ان دائرة المعــارف الاسلامية لا تخلو من تحاملات منكرة على الاســلام ، ومن غلطات وخبطات علميــة فى مباحثها التى تولاها بعض الفئة الأولى المتحاملة على الاسلام وعلى لجنة الترجمة العمل لتصحيح تلك الأغلاط ، وتستدرك ايضا على فوات المتن ، والا يكون قد ادخلنــا فى عقول ناشئتنا الجــديدة ضلالات لا تخفى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلى . وقال : ان « دائرة المعارف » اسم خادع كسور له باب ظاهره منه الرحمــة وباطنه من قبله العــذاب وهو معجم لفقه طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة دينهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معاقل الاسلام وخصومه بعد أن عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب الله العزيز ورســوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجماته الباطلة والذين شوهوا تاريخ الاســلام بمفترياتهم ذلك بأن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذى سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله الا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه وان اتقان الافرنج للكذب والافك قد فاق اتقانهم لغيره مما أتقنوه من علم وعمل . هذه الدائرة من عيوبها أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لأجل بيان آرائهم واهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم منها من بحث وطعن فى كتبهم ورسائلهم المتطرفة وقال ان التذييلات والتصحيحات والانتقادات التى تقدمها النسخة العربية غير كافية فى موضوعها وان هناك مواد كثيرة نشرت بغير تعليق .

وعارض السيد رشــيد ترجمــة القرآن وعرض لهــا فى مناسبتين الأولى عام ١٩٠٩ فقال : ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصــل متعذرة كما يعلم والترجمــة المعنوية عبــارة عن فهم المترجم للقرآن فهم من عساه يعتمــد هو على فهمــه من المفسرين وحينئذ لا تكون الترجمــة هى القرآن وانما هى فهم رجل للقرآن يخطىء فى فهم ويصيب ولا يحصل بذلك المقصــود المراد من الترجمة ، ان القرآن هو أساس الدين بل هو الدين كله اذ السنة ليست دينا الا من حيث أنها مبينة له ، فالذين يأخذون

بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لا نفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس انما هو فرع من النص والترجمة ليست نصا من الشارع والاجماع عند الجمهور لابد ان يكون له مستند والترجمة ليست مستندا فعلى هذا لا نسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول الذى ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وان اخطأ فى فهمه اذا بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . ان القرآن ينبوع الهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ولا يفتأ تتحدد اسراره ما لم تظهر لمن قبله تصديقا لعموم حديث « فرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تفيد القارىء بالمعنى الذى صوره المترجم بحسب فهمه ، وقد ذكر الغزالى ان ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة » .

ولما تجدد الكلام عن ترجمة القرآن فى تركيا بعد الانقلاب عرض السيد رشيد لموضوع الترجمة مرة أخرى (م ٢٦/٤٨١ ، ٥٦١ ، ٦٤١) ومما قاله ان ملاحدة الترك ودعاة العصبية الجنسية فيهم قد بثوا فى قومهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى قبل عهد الحرية الدستورية بسنتين وقد أنكرنا عليهم ذلك قولا وكتابة ودحض السيد رشيد رضا قولهم ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء فى دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن المنزل من عند الله آية للعالمين معجزا للبشر على مر السنين بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات . وقال : « ان الترجمة لا يمكن ان يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى ولا يصح التعبد بتلاوتها . ولا يتحقق منها غير ذلك من خصائص القرآن . ولا يهتم الاهتداء بالكتاب والسنة الا بالعناية باللغة العربية ولا شىء أضر على الاسلام فى هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغنى المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بلسان عربى مبين ، فالغاية هى هذه المفسدة واذا وقعت فان الأعاجم من المسلمين يكونون عرضة لترك الدين » .

كذلك فقد واجه سموم طه حسين : ومفتريات طه حسين وتابعه متابعة متصلة منذ صدور كتابه « فى الشعر الجاهلى » وما تبعه من أفكار شعوبية وتغريبية ، وقد طاردت حركة اليقظة هذا الخطر حتى سقط ، ويصور السيد رشيد رضا هذه المحاولة (٢٩٩/٣٢) فيقول لقد كان هدف الاختلاط هو السيطرة على المدارس وتخريج نشء جديد لا هم لهم فى الحياة الا التمتع بالذات الجسدية والزينة فى اللباس والأثاث والرياش والتنافس فى خدمة الحكومة والتوسل الى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتملق للرؤساء المسيطرين من الانجليز . واهم ما عنى به المسيطر على وزارة المعـــارف منهم الا وهـــو القسيس مستر دنلوب أن يطمس كل اثر كان للدين الاســـلامى فى المدارس الأميرية والا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الدينى منفذا يشرف منه على القلوب بنشر الالحاد والاباحة بان ينفثا سمومهما فى افساد الأخلاق وعبادة الشهوات وعدم الخضوع لأى سيطرة اجنبية ان تتمكن من الأذهان وتتغلغل فى اعماق الوجدان والهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية التى تفصـــل بين مسلمى مصر ومسلمى سائر الأقطار ولاسيما العربيـــة . وقد نجح دنلوب فى سياسته أتم النجاح وشغل المدارس بالرياضة الجسدية عن ترويض الأرواح ، وكان ان طبع وزارة المعارف بطابع سياسته ووجهها شطر مقصـــده ، حتى جاء الاستقلال المقيـــد وصار امر التعليم فى ايدى الوطنيين ، كان بعض وزراء المعارف من بعده شرا على التربية والتعليم مما كان فى عهده بل لم ينهض وزير منهم لاصـــلاح التربية الدينية ومقاومة نزعات التفرنج وصد تيار الاباحيـــة والالحاد الذى يقترف بالأمة فى فوضى الأخلاق والفساد . واعجب من هذا اننا لم نر من حزب من احزاب البـــلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة فى اختيار وزير المعـــارف من رجال الاصلاح الملى والأدبى الذين يهمهم حفظ دين الأمة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى . وكان مثار العجب ان جعل الأستاذ احمد لطفى السيد المحامى وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تولى هـــذا المنصب مراد سيد احمد القاضى الأهلى زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين أن الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين فى الأمة بتربية بنيها وبناتها على الالحاد والاباحية المطلقة . لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الأول بتغذيته بمبادىء الالحاد فى نفسه وتجرئته على بنيها بعلمه أولا وفى دروسه

فى الجامعة أخيرا فان الثانى قد ابتدع فى وزارة المعارف من فنون التربيــة على الاباحية والقاء جلاليب الحياء والصيانة من تشجيع التهتك والخلاعة وتصوير الشبات والشواب مجردين ومجردات من الثياب ما يتضاءل أمام ذلك الافساد القولى .

ليس بكثير على مراد سيد أحمد أن يفترض ارتقاءه الى منصب وزارة المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات لتمثيل الاباحى والرقص التوقيعى وتربيتهم على التجرد من الثياب بحجة الترقى فى صناعة التصوير وهو هو الذى كان قاضيا فرفعت اليه قضية رجل يطلب فيها مقاب أستاذ فى المدارس على التصدى لتحبيب امرأته وافسادها عليه بمخاطبته اياها فى الطريق بعبارات التصبى والاستمالة فحكم القــاضى الذى ارتقى من كرسى القضاء الى كرسى الوزارة بأن ما وقع من الأستاذ المعلم المربى هو مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضــائل وأن القــانون يعاقب على الرذائل فحكم ببراءة الفاسق المتصدى لافساد نظام الزوجيــة وكفى به افسادا للأمة . والغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضى المجدد الاباحى وزيرا للمعارف ولقد ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت أمرها على القاء هذا الشعب المتدين فى فوضى الاباحــة المطلقة وقذفه فى نهــور الالحاد والزندقة . وقد أبطــل حلمى عيسى البدعتين الاباحيتين متضمنا أن ابتداعهما كان بسوء رأى الوزير ثم أن هذا الرجل جعل طه حسين عميد كلية الآداب فى الجامعة مفتشا للغة العربية فى الوزارة فأخرجه من الجامعة التى كان يبث فيهــا الالحاد فكان لاخراجه ضجة شــديدة وقدم الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا فى مسألة طه حسين واستنكار بقائه فى وزارة المعارف واستقال أستاذه ومربيه أحمد لطفى السيد .

لقد خدم طه حسين دعاة النصرانية بالصد من الاسلام وبغيه عوجا وقلد بعض فلاسفة الافرنج فى الشك والتشكيك وهو ضرب من السفسطة قديم ، ولعل سبب تأييــد بعض كبار الملاحــدة لهم أنهم رأوه مستولفا مستهترا لا يبــالى فى ســبيل الشــهرة بالالحاد والاباحــة ذما ولا عارا وهم حريصون على نشر هــذه الدعوة فى الجامعة المصرية ليهدموا بمعاول المتخرجين بها كل ما بقى للاسلام فى مصر من هداية دينية وجنسية عربيــة

فهم أرادوا جعل الجامعة حربا على الأزهر والمعاهد الدينية وعلى دار العلوم وخرجوا بأن ثقافة الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الأزهر الدينية فى مصر وكان اظهر الأسباب لعناية اولئك الملاحدة يبث دعايتهم فى الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب ما زال يغلب عليه الدين ».

كذلك فقد كتب (الشيخ رشيد) مقدمة كتاب الشيخ محمد عرفة « نقض مطاعن فى القرآن الكريم» الذى فصل الرد على شبهات طه حسين. فقال السيد رشيد رضا : « حذق فى صناعة الكتابة فكان ذا رشاقة وخلابة وألف كتبا وأنشأ مقالات دس فى بعضها سموم الالحاد وفى بعض آخر مخدرات الاباحة والاغراء بالشهوات فنهد للرد عليه فريق من العلماء والأدباء . سر جميع أهل الغيرة على الدين باخراجه من الجامعة واليوم يسمعون من الأزهر الشريف صوتا جهوريا فى نقض ما اذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، هذه المطاعن التى ألقاها فى دروسه كانت بعد تلك الكتمه التى كانت سببها تحقيق النيابة العامة معه فى مطاعن كتابه فى الشعر الجاهلى . وقال السيد رشيد : ان موقف الأوربيين من الطعن فى الاسلام مقيده باعتبارين : دينى وسياسى ذلك أنهم راوا ان الاسلام قد غلب النصرانية على امرها فى الشرق وكاد يغلبها فى الغرب ايضا بعد اعتزاز دولها واستبحار ثروة كنائسها فلم يجدوا وسيلة لصد تياره عن بلادهم وسلبه لمسلكهم وتغريبه لشعوبهم الى محاربته بالافتراء عليه والطعن فيه ، وقتال اهله بالسلاح ثم بالسياسة فأحكموا نظام الحربين بعد التمهيد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين وتلقينهم فى البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو الأكبر للمسيحية وما هو فى الحقيقة إلا أخو المسيحية وصديقها والمدافع عن حقها والمتمم لاصلاحها والمبرىء لنبيها من طعن المفترين وشطط المغالين ».

وقوم آخرون راوا من معجزات القرآن ما أنزل عليه القرآن فى العلم وهداية البشر واصلاح شئونهم ما يلجئهم الى الايمان والاذعان ان لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلا ينظمونها به الى سمط السنن الكونية فتكلفوا التأويل لها لابطال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية فهذه أسباب طعن الافرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصارى والملاحدة (م ١٩٣/٣٣) ».

وعرض السيد رشيد رضا لآراء الدكتور طه حسين فى مسألة الحروف المفردة فى أوائل السور فقال : ان هذه المسألة ما كان ينبغى لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية فى تشكيك طلاب العلم فى القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلى فى الأدب كما فعل طه حسين وقد فند الأستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه وذكرنا فيما علقنا عليه فى حاشية ما سبقه اليه بعض المستشرقين وقال ان المختار عندنا فى حكم افتتاح هذه السور (الـم ص) وغيرها بأسماء وحروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى لتلك الحروف التى يتركب منها الكلام هو نبذ السامع الى ما يلقى اليه بعد ذلك الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شىء ، وانما خصصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم الى الاسلام واثبات الوحى والنبوة وكلها مكية الا الزهراوين (البقرة وآل عمران) وقد علمت ان الدكتور طه حسين تكلم فى القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا باخلاص فى النقد التحليلى الذى يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والشريعة ، واذا كان القرآن أصل الدين فلا ينبغى لمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ولا علم هدايته وتشريعه الا من خواص العلماء بتفسيره ويجب عليه أن يرجع اليهما فما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأى فيه يخفى عليه .

وقال : ان الأسلوب العصرى فى النقد الذى عرفنا بحسنه فى جملته فهو قديم أيضا وأول واضع لأصوله حكيمنا ابن خلدون وجرى عليه شيخنا الأستاذ الامام فى رده على هانوتو وجرى عليه فى مقالات الاسلام والنصرانية فى العلم والمدنية ، أما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله فى مسائل الأدب اللغوى والتاريخى فمنه الصحيح المقبول ومنه الزائف المردود . (٢٠٧/٣٣) .

كذلك فقد كشف السيد رشيد رضا عن أخطاء جرجى زيدان فى رواياته وفى أبحاثه بما كتبه الأستاذ أحمد السكندرى عن تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه السيد شبلى النعمانى عن تاريخ التمدن الاسلامى ، أما هو فقد كان يعرض لروايات الهلال كلما صدرت حلقة منها .

فيقول فى نقده لروايتى فتاة غسان وفتح الأندلس (م ٣٩١/٦) :

يحتج هؤلاء بأن فى هـــذا القصص اغلاطا تاريخيـــة حتى فى الأمور المشهورة ومثل هذا لا يســـلم منه كتاب منها قوله أن أمير العرب على فتح العراق هو سعد بن مالك وهو اغراب فقد كان يدعى سعد بن أبى وقاص وان كان اسم أبيه مالكا ».

ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه الى نقـــل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الأول قوله ان أبا ســـفيان حيا هرقل بقوله : أبيت اللعن ، وهم ينكرون ذلك محتجين بانها تحية الحميريين للملوك دون المضريين وله أن يحتج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحيـــة الملوك فى الجاهلية .

ومن الثـــانى نص كتاب النبى صلى الله عليـــه وســـلم الى هرقل فانه نقلها من الأغانى فقد أنقص منها قوله : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولا شك أن المؤلف قصر فى اعتماده على كتاب أدبى دون كتب الحديث وكتب السير فى أهم شىء فى موضـــوع قصته . كما ذكر فى آخـــر الكتاب صورة خاتم النبى صلى الله عليه وسلم نقلا عن الواقدى وهى أن لفظ محمد فى السطر الأول ولفظ رسول فى السطر الأوسط ولفظ الجلالة (الله) فى السطر الأدنى والمشهور العكس .

أما ما ذكره المؤلف عن أبى سفيان مع سيرة النبى صلى الله عليـــه وسلم فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنـــه بالرواية وانما جمـــع المؤلف أقوالا من الكتب والفهـــا مع بعض آرائه واسندها الى أبى ســـفيان لأنهم يحبذون ذلك فى القصص لان العبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية وان سمى أهل العربية هـــذه القصص روايات كذبا ومينا ، والمعـــروف فى الصحيح أن أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة اسئلة هرقل ومن المسائل الباطلة التى حكاها المؤلف عن أبى ســـفيان مسألة الغرانيق رآها فى الطبرى فنظمها فى سلك الحكاية والسبب فى ذلك اعتياد القوم على التساهل فى النقـــل ويحسبون هذا التساهل هينا حتما فى الأمور الدينية وهو عند الله عظيم » .

كما نقــد قصة فتح الأندلس فقال : انتقد غيرنا من نبهــاء المسلمين على هذه القصص . انها تصور للقارىء أن انتصار المسلمين فى الفتوحات لم يكن الا لسبب ما ألم بالأمم التى فتحوا بلادها كالرومان والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق وهذا غمط لحقوق المسلمين وعدم اعترافة بشجاعتهم وعناية الله بهم وقد حمل المؤلف عليها التعصب الدينى .

وبالنسبة لرواية الحجاج بن يوسف يقول : وقد رأيت من المسلمين من ينتقد هــذا الوضع من وجهتين : احداهما ان من شأن القصص أن تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارىء الحق بالباطل ، وثانيهما : استثقال نسبة العشق والغــرام الى رجال سلفنا الكرام وقد كان بعض المتقدمين كتب رايه فى جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بأن الحوادث الغرامية لم تسند الى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن الاشتغال بغرام» .

كما عرض لكتاب تاريخ التمدن الاســلامى الذى الفه جرجى زيدان (م ٥١٤/١٤٩/٧) وقد راجعه فى كثير من آرائه التى انحرف فيها كما أنه أشار الى أنه يضـــع أرقام توهم القارىء أن ذلك الأمر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بعضه وهناك أخطاء عن مال الزكاة فى الخيل والصواب أنه لا زكاة فيها ومثل هذا الغلط لا يسلم منه من يأخذ العلم الدينى من الكتب التاريخية من غير تلقى أحكامه من أهله .

وبالنسبة للجزء الثالث من كتاب التمدن الاسلامى أشار جرجى زيدان الى مسألة دينية تحت عنوان (المأمون والاعتزال) وهى مسألة الخــلاف فى القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فانه حرفها بظنه وفسرها برأيه حيث قال بعــد أن نوه بفطنـــة المأمون وميله الى البحث العقلى ما نصه : (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ يناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جملتها القول بخلق القرآن أى أنه غير منزل) فنستلفت نظرك الى قوله : انه غير منزل بل الى الكتاب كله وقوله ان الاســـلام نهضة عربيـــة ولذلك أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ويقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الأجانب له من عهد بعيد فأطلقه والصواب أن المسلمين فى صدر الاســـلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا فى مقابلة المسلمين فيعنون بهم

المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين فى وقت ما على الاطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل فى الاسلام واذا اطلق على العرب خاصة كان تجوزا بصرف القرينة ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهادا منه لهذا بل عملا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فقد اوصى بذلك فى مرض موته .

وكذلك فقد حاول القول بأن القرآن دعا الى سيادة العرب ، قال رشيد رضا : ليس فيه ما يدل على أن العرب يجب أن يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) نعم ان تأثير العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بما ذكره .

ونظرا لظروف اشتراك السوريين النصارى فى العمل الصحفى فقد كان الشيخ رشيد حريصا على مجاملتهم خاصة صاحب الهلال وصاحب الأهرام ، ومن اجل ذلك نشر مقالات النقد لكتاب التمدن الاسلامى التى بعث بها السيد شبلي النعماني واعتذر بأنه كان غائبا فى الهند ابان نشرها وانه لو كان حاضرا لأزال منها بعض العبارات غير انه بعد أن توفى جرجى زيدان كاشف قراءه بحقيقة الرجل فقال :

« ظهر بعد الانقلاب العثمانى نزعة جديدة تتذفها نزعة عبرية احياء لمذهب الشعوبية ذلك بانه — اى جرجى زيدان — زار الاستانة ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقى ثم عاد متشبعا بالنهضة التركية مستنكرا مجاراة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوبا خطة الاتحاديين الأولى فى تتريك العناصر وادغام العرب فى الترك وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج عليه قراءه . وقال ان لجرجى زيدان مطاعن فى العرب واودعها فى تاريخ التمدن الاسلامى فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامى ونشره بالتتابع .

— ٥ —

كذلك فقد واجه السيد رشيد رضا الدعوى الى القاديانية والبهائية وكشف فى فصول متعددة على سنوات متصلة اخطار هاتين النحلتين ولقد اتصل الحديث عن القاديانية منذ المجلد الثالث من المنار حتى المجلد الواحد والثلاثين :

فقد كشف ان غلام احمد القاديانى رجل مضلل ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وان الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى انها معجزة كالقرآن وبكتاب فى تفسير الفاتحة سماه اعجاز أحمدى وأكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الألفاظ بحقيقتها وقد رد عليه علماء الهند وفندوا دعوته وقد مرن اتباعه على المناظرة والجدل وانصرفوا الى دعوة الأسر فى الهند وانكلترا والولايات المتحدة (م ٣) .

وفى فصل آخر مطول تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية) يقول : ظهرت بدعة القاديانية فى مصر بعد أن كانت محصورة فى الهند فصارت كالبهائية ذات دعاة واتباع يبثون تعاليمها فى رسائل يطبعونها ويوزعونها وقد ادعى ميزرا غلام أحمد القادياني فى الهند أنه المسيح المنتظر وان الوحي نزل عليه بذلك وقد رددنا عليه فى عصره . وضل كثير من المسلمين بدعوى البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما فى الهند وايران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها . وقد نسخ وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدعون باستمرار الوحى والنبوة فى اتباعه اى فى زعيم القاديانية بعده ميزا بشر الدين محمود أحمد زعيم الحركة الأحمدية (م ٥٧٨/٤) .

وعاود السيد رشيد رضا الحديث عن القاديانية فأشار فى المجلد ٣٩١/٣١ أنه قد طبع فى سوريا رسائل متعددة فى الدعوة الى نحلتهم فانخدع بها شاب دمشقى عنده هوس اسمه منير الحصنى جاء مصر متمنيا لو يلقانا لنتكلم معه . واشار الى ان أخطر ما يدعو اليه مسيح الهند القاديانى الدجال : نسخ الجهاد وخدمه للانجليز وادعاء النبوة وقد خالف القاديانيون فى ذلك اجماع المسلمين فيما هو قطعى معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك من الملة الاسلامية ، وقال ان أخطرها مسألة نسخ الجهاد

وما فيها من اطراء الانجليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على حماية المسلمين وتحريم جهادهم ومن قوله أن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت غربة الاسلام وضعفه وانتصر أهله على النصارى .

❋ ❋ ❋

وأولى السيد رشيد رضا اهتماما بالغا للبهائية فقد استكشفها فى مطالعها الأولى ١٨٩٩ وتحدث فى السنوات التالية عن البابية فقال انهم قوم ارتدوا عن الاسلام واحدثوا لأنفسهم دينا وضعيا مؤلفا من أمشاج الوثنية والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون من مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك كل أهل دين فى دينهم ولا يزال دينهم سريا ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل دين ولاقناعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم ولا يطلعون أحدا على كتبهم الأساسية (م ٦/٢٣٢) .

وواصل السيد رشيد رضا مواجهة البابية والبهائية بعد ان كشف عن البابية وزيف دعواها فى مقالات متعددة متصلة فى المجلد السابع (٣٣٨/٣٤٤/٣٥٣) فقد أورد أقوالا للباب التى يدعى أنها منزلة ليحكموا حكما صحيحا . ولما كانت البابية هى باب البهائية فقد أخذ يكشف زيف البهائية والاعتقاد بربوبية وألوهية البهاء وانه هو الذى بعث الأنبياء والرسل وقد ظهرت البابية والبهائية فى ايران .

وأشار الى كتاب تاريخ البابية ومفتاح باب الأبواب لمؤلفه ميزا محمد مهدى خان كما عرض تاريخ البابية ومناظرات العلماء للباب (ميرزا على محمد الشيرازى) الى أن قتل ثم ذكر مزاعم البابية وما جرى لأصحابه من بعده من الفتن والتفرق والنفى ، الى ان قام منهم حسن على الملقب بالبهاء واستمال أكثرهم ونقح لهم دين الباب وادعى أنه الأصل .

ثم جدد السيد رشيد رضا دعوته فى المجلد الثالث عشر فقال : ان هؤلاء الباطنية قد قصدوا من وضع تعاليمهم الأولى محو الاسلام وازالة سلطانه من الأرض ، وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وأزالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسى يرى أن الحكومة يجب أن تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبى صلى الله عليه

وســــلم فصاروا يبثون دعوتهم فى هذا الحزب لحمله على الغلو فى بغض عمر بن الخطاب (الذى فتح بلادهم) وأبى بكر وجمهور الصـحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقـد وجد هـذان الحزبان فى الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية أيضا وهم الخوارج كمـا وجد ذلك عند غيرهم . وخلق الغلو طبعى فى البشر ، ولذلك نجح الباطنية فى دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصــحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا أن ذلك يعد طعنا فى أئمة آل البيت الذين يتعصـــبون لهم لأن رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهـر المكتوم على أنه كان يمكن أن يبث ذلك سرا فى أهل بيته وأشار الى أن غرض الباطنية اخراج الشيعة من الاسلام ، ولما ظهر غلاة المتصوفة توســـل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره فى الصوفية أيضا الا من كان من أنصار الباطنية . .

وقال انهم يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بالوهيته وربوبيتـه ولهم شريعة خاصة بهم ، وقد جاء الاســـكندرية ١٩١٠ وهاجم المؤيد الذى تحدث عنه بتقدير كانه مصلح عظيم .

وفى المجلد الرابع عشر واصل السيد رشيد رضا حديثه عن البهائية فقال ان الباطنية هم سلف البهائية وأشار الى عباس أفندى وســعيه الى نشر البهائية فى امريكا وكان سبب دخول الملايين فى هـذا الدين وقال أنه اجرى مع داعيتهم مناظرات متعددة وثبت عندى انهـم من الباطنيـة الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منهم وعلى ملتهم ، هؤلاء البهائية اذا دعوا النصارى فى أمريكا مثلا الى نحلتهم قالوا لهم انا نصـارى مثلهم نؤمن بالوهية المسيح وبمجيئه يوم الدينونة وقد جاء المســيح كما وعد فى ناسوت البهائية وكذلك يقولون للمسلمين انا معكم ونطلب اصلاح حالـكم باتباع المهدى المنتظر والمســـيح الموعود بل يقولون ان دين برهما ودين زردشت حق وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا فى بلاد الشام ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لأحد دفعة واحدة وانما يرتفعون به درجـة بعد أخرى وقد وضع سلفهم هذه الدرجات وجروا عليها وقلدهم الماسون

فيها (اى الدرجات فقط) وقصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من الوانها .

ويقول السيد رشيد رضا : اذا كان عباس افندى مسلما فليكتب لنا مقالة ينص بالنص الصريح على ان سيدنا محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين ولا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وان القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لانبيائه ورسله وان معانيه الصحيحة هى ما دلت عليه مفرداته واساليبه العربية . نكتفى منه بهذا ولا نكلفه أن يتبرأ مما سمعناه من اتباعه فى القول بألوهية والده ونسخ للشريعة الاسلامية كجعل الصلوات اثنين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين وان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فاننا نكتب له أسئلة ونطالبه بالجواب عليها .

وفى معرض الحديث اورد نصا للشهرستانى تحت عنوان الاسماعيلية فى دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس زاعمين انهم مذهب اسلامى وان اهله هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة المموهة ويستدلونهم بما يحملون اليهم من حجج العقل فيستدنؤهم به عن العقل ويسترضونهم بالخضوع الأعمى لكل ما ينقلونه من امامهم وقد هدم سفسطتهم العلماء الاعلام كالغزالى فى كتابه القسطاس المستقيم وغيره .

واشار السيد رشيد فى المجلد الخامس عشر (٢٢٣/٧٣١/٩٠١) الى كتاب جديد صدر بعنوان (الحراب فى صدر البهاء والباب) لمحمد فاضل كتبه بعد مجيء عباس افندى زعيم البهائية الى القطر المصرى كشف فيها عن زيف هذه النحلة وواصل صاحب المنار حملته عاما بعد عام ففى المجلد ٧٠٨/٣٣ اشار الى « هذا الدين الجديد الذى هو طور عصرى لضلال الباطنية القديم » وكان عباس أفندى أوهى مؤسسيه وناشريه حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذى يسمونه (الكتاب الاقدس) لأنه اذا تناولته الأيدى يتعذر نشر الدعوة فى كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهله وعقائدهم ومشاربهم وقد خدع كثير من عقلاء المسلمين واذكيائهم بتشاغتهم ودهاء عباس أفندى الذى كان يدعى أنه من المسلمين المصلحين

فانخدع غيرهم لهم . وأن منهم (احمد صفوت) الذى اقترح على المسلمين هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والأخذ بمقاصد القرآن دون دلالة لفظه فى الأحكام .

* * *

ولم يتوقف السيد رشيد رضا عن مهاجمة كل منحرف فى هذا الطريق ومن هؤلاء الشيخ محمد الوزير الذى الف كتابا جحد فيه معجزات الرسل عليهم السلام وحاول تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ، وأباح مخالفة الرسول بمحض الرأى وتقرير النزعة المادية فى انكار ما وراء المادة المدركة بالحس ، (م ٣١) .

الفصل السادس

شبهات التبشير والتشكيك فى حقائق الاسلام

لقد اقتحم السيد رشيد رضا فى نطاق دعوته الى الاصـــلاح وتحرير العقيدة الاسلامية من زيف الجمود والدعوات الهدامة ، هذا المجال الجديد فى الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث ويمكن القول بأنه من رواد مقارنات الأديان التى بدأها تحت تأثير التحدى الخطير الذى وجهته كتابات المبشرين فى الهجوم على الاسلام ، فكان لابد من تعرض واضح للكتب القديمة والكشف عن أخطائها من خلال كتابات الغربيين أنفسهم عنها ومن أقلام أناس اهتدوا الى الاسلام حديثا وكان لهم الملم بهـــذه الكتب وما تحويه وقد صادف ذلك الوقت الذى بدأت فيه أوربا تهاجم الكتب القديمة وتعرضـــها على المنهـــج العلمى الحديث وتتهمها بأنها بشرية وأنها ليستمنزلة كذلك اتسع نطاق البحث بعـــد ان كشــــفت الكنيســـــة الكاثوليكية عن مخططاتهـــا فى التبشــــير والتبصــــير بين المســــلمين عـــلى طـــول هـــذه المنطقـــة من جاوة الى الجزيرة العربية . كذلك فقد استعلن الحق عندما عثر عـــلى انجيل برنابا الذى كتبه أحـــد حوارى السيد المسيح والذى أنكرته المجامع المقدسة لأنه يكشف حقيقة واضحة هو أن الســـيد المسيح نبى مرســـل وليس الهـــا . كل هـــذا ، عنى السيد رشيد رضا به وتابعــه فى جدارة وبراعة خلال حياته كلها .

ولقد واجه السيد رشيد رضا هذه المعركة بذكاء وحنكة شديدين ، ذلك أنه فى نفس الوقت الذى كانت قوى الاستعمار توجه حملات التبشير الى بلاد المسلمين كان هناك فى أوربا زلزال يواجه النصرانية وتتكشــــف أبحاث علماء اللاهـــوت على حقائق جـــديدة بالنسبة للكتب المقدســـة ، وللتوراة والانجيل ، كما ظهرت فى نفس الوقت آراء لأعلام أمثال تولستوى عن حقيقة الانجيـــل كذلك فقـــد أعلن لكثير من المفكرين الغربيين موقفهم من الاسلام أمثال اللورد هدلى وعبد الكريم جوصو فكان ذلك كله من العناصر التى آزرت الشيخ فى دعوته ورجحت كفته .

تحدث المنار عن التبشير الغربى لأول مرة فى المجلد الثالث (١٩٠٠) وأشار الى مقال نشر فى المؤيد عن انتشار النصرانية فى أفريقيا وما يتصل بمهمة المبعوثين المسيحيين الى مستعمرة السنغال ومستعمرة الكونغو البلجيكية وأوغندة ، (كاثوليك وبروتستانت) ثم توالت الأحداث فنشرت الجمعية الانجليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا اطلقت عليه « تنوير الأفهام فى مصادر الاسلام » .

سلك الكتاب فى الرد على الاسلام المسلك الذى جرى عليه بعض علماء أوربا فى هدم الديانتين اليهودية والنصرانية اذ الفوا كتبا بينوا فيها مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى بالانجيل أو الأناجيل ورسائل الرسل .. وقد بين العلماء مصادر اليهودية والنصرانية وبينوا بالدلائل التاريخية والأثرية واللغوية مصدر عقائد هذه الكتب ومآخذ احكامها من ديانات الأولين وتقاليدهم وأثبتوا أن الأسفار المنسوبة الى موسى قد كتبت من بعده ، كذلك سائر الأسفار قد كتبت بعد من نسبت اليهم .

وأشار الى أن شريعة حمورابى قد ظهر أن معظم التوراة الحاضرة مأخوذة منها ، وقال انهم ارادوا أن يحاربوا الاسلام بالسلاح الذى حوربوا به فقد أخذ مؤلف الكتاب الفاظا وردت فى الكتاب والسنة مما كان مستعملا عند العرب أو غيرهم من الأمم والفاظا اعجمية أخرى ولكن لم يعرف أن العرب نقلوها عنها وجعلوا هذه وتلك دلائل على أن دين الاسلام نفسه مأخوذ عن الأمم التى وجد فى الفكر العربى ما هو معرب عنها أو يشبه أن يكون معربا ، ومن ذلك زعمه أن الاسلام أخذ حكم توحيد الله تعالى عن العرب لأنه ورد اسم « الله » واسم « الاله » فى أسفارهم قبل البعثة ، فقد جهل المؤلف المسكين أن كل الأمم تعتقد بالله تعالى ولكنها تشرك به وتزعم أن له أبناء أولياء يعمل بواسطتهم فهو غير مستقل بارادته تمام الاستقلال ولا يقدر أن يكفر خطيئة آدم مثلا بدون خطيئة صلب المسيح .

وقال السيد رشيد رضا : أن الكلمة التى أهدم بها هذا الكتاب هى أن محمد النبى الأمى بعث ليهدى الناس الى صراط الفطرة السليمة باصلاح ما أفسدوا من دين الأنبياء واقامة الدين على أساس الاستقلال

والعلم دون التقليد للرؤساء . وهــذا الكتاب يثبت للنبى الأمى الاطــلاع على جميع أديان الأمم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها واســـــتخراج قواعد الاسلام واحكامه منها (م ١٠١/٧) .

٢ — وأشار الى ما نشرته صحيفة كبرى لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الاســـلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت فى ذهنه من مطالعة تلك الكتب ، يقول السيد رشيد رضا : ومن الواجب أن نجيب عن هــذه الشبهات لأن المدافعــة عن الدين أهم ما أنشىء له المنار ، ولكن سنتنا التى جرينا عليها من أول يوم هى مسالمة المخالفين لنا فى الدين ولاسيما المسيحيين بل السعى لازالة الأحقاد والاتفاق على ما فيه نجاح البلاد ونود الا يطعن أحــد فى دين الآخر لا قولا ولا عمــلا ولا كتابة ، ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هــذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعقدون الجمعيات للطعن اللسانى فى الاسلام وينشر فى الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى واننــا نصبر على هــذا المعتدى ونكتفى بكشف شبهات السائلين من أهــل ديننا مع مراعاة الأدب فنقول : المطالع لكتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غــير ان يطالع الكتب الاسلامية التى يقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وردت عليها ما لا دافع له ككتاب (اظهار الحق) وكتاب (السيف الصقيل) وغيرها ، على أن يطالع تلك الكتب وبعد مطالعتها يقوم بالموازنة بينها .

وشبهاته تنقسم الى ثلاثة اقسام :

١ — مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامى لما ورد فى كتب اليهود والنصــــارى .

٢ — ورود أشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب .

٣ — ورود أشياء فى الكتاب والسنة مخالفة للواقعــة والتى تثبت فى العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم .

والتوراة التى يشهد لهــا القرآن هى كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الأشوريين والكلدانيين وغيرهم فيتأتى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ما ورد فيــه ما لا يليق نسبته الى الله كقوله : انه تعالى ندم على خلق الانسان ، فالتوراة

حق وهى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بهـا موسى ومن بعـده انبياء بنى اسرائيل عليهم السلام واحبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها ما لم يعلم مؤلفه وكلها كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمن طويل وبهذا تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه فى الخـلاف التاريخى من القرآن وكتاب حزقيال واشـعيا ودانيـال لأن هـذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تقترن بسمة القـدم لجميع كتب العهـد بالتوراة فذلك اصطلاح جرى فى سبيل التغليب بل اننـا نرى من النصـارى كثيرا ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عندما تكون مجتمعة .

أما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعـالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والأحكام والحكم وكان يعظ به ويعلم الناس ، وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها فهو فى نظر المسلمين من التاريخ ان كان خبرا وان حكما أو عقيدة فهو لمن قاله والنصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلا ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة . والقرآن يشـهد على النصارى بأنهم لم يحتفظوا جميـع ما وعظهم به المسيح من الوحى المسمى بالانجيل حيث قال : « **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به** » والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحى لما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه .

(م ١٧٩/٤)

٣ — ولم يلبث السيد رشيد رضا أن كشف عن مواجهات للنصرانية فى أوربا فكتب تحت عنوان زلزال النصرانية فى أوربا (م ٩٤/٦) فقال :

أنس النصارى واليهود بما فى كتبهم من الدلائل على عـدم الثقـة ، بنقل التوراة والانجيـل ، وكابروا انفسـهم والناس بدعوى تواترهما مع أن شرط التواتر أن ينتهى سند الرواة الذى يسجل تواطؤهم على الكذب لكثرتهم الى ما جاء بالكتاب كان ينتهى تواتر التـوراة الى موسى نفسـه لا الى عزرا الذى لا يعلم احد من أين جاء بما جاء به . ولكن القيامة قائمة فى أوربا لاكتشاف شريعة حمورابى (ملكى صادق) وبيان أنها توافق هـذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يرو محلا فى هذا للمكابرة والمواربة . خطب العلامة اللاهوتى الأثرى (دليتش) خطبـة

مطولة فى برلين حضرها قيصر الألمان وقال فى خطبته على رءوس الأشهاد ان شرائع التوراة منقولة عن الشرائع الباهلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لا حاجـة الى دين وراء وجدان الخـير المغروس فى الفطرة . وقد فزع هذا العالم النصرانى بهذه القارعة فى ذلك الملأ العظيم فتزلزلت هى ولم تزلزل مكائد من نفوس القوم ، وقد عجب الناس أن رأوا غليوم الثانى الذى اقام أوربا وأقعدها ثم دعى الى محاربة الصين ، يلاطف عالما لاهوتيا اثريا بعد أن قضى على هذا الدين القضاء المبرم . بعد هـذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب ليضع للنصرانية مذهبا جديدا يستبقى به كونها الهة سياسية تنتفع بها أوربا فى مقاومة الشرق ، ذلك أنه رأى أن يخطو فى هـذا السبيل خطوة بعد خطوة وأن يختص بهـذه الآراء رضفاءه اللاهوتيين ويودعهـا كتبهم . وقال السيد رشيد رضا انه (أى الامبراطور) لا يعتقـد بلاهوت المسـيح ويرى أن ليس فى التوراة شىء من الوحى والنبوة عن يسـوع انه المسيح وقال : ان محمد رسول الله الذى جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى اعمالا لم يسبق ما يقاربها لغيره ولن يلحقه بما يقارنها غيره فشريعته أعدل من شريعة التوراة ولا يمكن أن يوجد اكتشاف يظهر أنهـا مستقاة من شريعة أخرى والوحدة التى كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التى كونها بسمارك وغليوم الأول .

٤ — وتابع السيد رشـيد رضا ما ينشر فى الغرب من دراسـات للاستفادة بها فى دفاعه وفى تأييد ما جاء به القرآن من فساد نسبة التوراة التى فى أيدى النـاس الى الوحى ، ومن ذلك ما ذكر من أن الكلمات التى مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى عليه السلام واستنتج من مباحثه أن هذه الكتب الفت بعد أن سبى البابليون بنى اسرائيل بازمنة مختلفة بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ أخطر من هذا وهو أنه وجد فى الآثار التى اكتشفت الى عهد قريب فى خرائب سوس من بلاد بابل شريعة حمورابى أو ملكى صادق منقوشة على عمود حلم الصفا (الصـوان) .

(م ٦/٩١)

وكان قد تناول هذا فى المجلد الرابع وأضاف الى هذا ما ذكره صاحب كتاب (سلاسة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية) صرح بفقدها

وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين فى مدة ملك منســا وآمون ة وقال الأمر مستحيل أن يلفى نسخ موسى الأصلية فى الوجــود الى الآن ولا يعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنهــا فقــدت مع التابوت لما ضرب بختنصر الهيــكل .

ومن مجموع ما كتب فى هذا الشأن يمكن تقرير النقاط الآتية :

خلاصة ما يقوله علماء أوربا هو أن شريعة حمورابى التى وجد أنهــا توافق التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة ، هذه هى التى نقلهــا ابراهيم عليه السلام من بابل الى فلسطين عند قدومه اليها ، وان موسى قد اقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بنى اسرائيل وبذلك تكون الشريعة التى يفخر اليهود والنصارى بأنها الهية ، مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله (حاشاه حاشاه) .

ويعلق السيد رشيد رضا على هذا فيقول : ان هذه التوراة لا خلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب فى أن التوراة التى لقنها موسى عليه الســلام قد فقدت ثم وجد عندهم غيرها والأخبار فى ذلك معماه ، يستدلون على أن عزرا كتب التوراة بعد فقدها لما اذن لهم ملك بابل ارتجشنا بالعودة الى بلادهم أمر كاهنهم عزرا أن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعته وقد كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة واودعها ما كان لا يزال يحفظــه من وصــايا الرب واضاف اليه ما حفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجا من الشريعتين كما تبين الاكتشافات الجديدة وكتب العهد العتيق الذى يسمون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى قد كتبت بعده بزمن طويل .

٥ ـ كذلك فقد نشر المنار مقدمة كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوى (م ٢٣٦/٦) وقال ان تولستوى الف كتابا أرجع فيه الأناجيل الأربعة الى انجيل واحد حذف منهــا ما لا يوثق به من الأقوال التاريخيــة والخوارق الكونية .

كما أشار الى مناظرة عالم مسلم لدعاة البروتستانت فى بغداد (السيد هبة الدين صاحب مجلة العلم فى النجف) حول قضايا عديدة منهــا تقديس الانجيل والمسيح النبى ، ورجعة المسيح ونزول عيسى .

كما نشرت المنار مذكرة عن اعمال المبشرين فى السودان ومساعدة الحكومة الانجليزية لهم وقد جاء فيها ان المبشرين يعمدون فى حمل الأهالى الى ارسال اولادهم الى مدارسهم الى الآباء والتودد اليهم واعطائهم الطعام والأقمشة ، ويعلم المبشرون فى مدارسهم أصول الدين المسيحى والقراءة والكتابة وبعض العلوم الضرورية .

٦ — فى هذه المرحلة كان الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى دخل فى الاسلام قد بدأ ينشر فى المنار جملة مقالات مستفيضة حول القضايا المثارة وموقف الاسلام منها تحت عنوان [الدين فى نظر العقل الصحيح] (المجلد الثامن) من المنار وقد تناولت هذه الفصول شبهات الماديين وشبهات النصارى وقضايا النبوة ومسائل مختلفة حول السيدة مريم أخت هارون والسامرى ، وآزر أبو ابراهيم وجبل الجودى ..

كذلك فقد بدأ السيد رشيد ينشر فصول انجيل برنابا التى طبعها فى كتاب مستقل بمقدمة قال فيها (م ١١) :

نرى مؤرخى النصرانية قد اجمعوا على أنه كان فى القرون الأولى للمسيح اناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها اربعة اناجيل ومن الاناجيل المرفوضة : انجيل برنابا وبرنابا حوارى من انصار المسيح الذى يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل صحبه بولس زمنا بل كان هو الذى عرف التلاميذ ببولس بعدما اهتدى ورجع الى أورشليم ومقدمة الانجيل قاطعة بأن بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح لكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما فى دائرة المعارف الفرنسية .

.واشار السيد رشيد رضا الى أن تولستوى كان يتطلع الى ظهور انجيل برنابا واشار اليه فى كتابه فقال أنه من تلك الاناجيل الى رفضتها الكنيسة وقد بقى تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء وان هؤلاء الباحثون لا يصدهم شىء عن احياء الآثار القديمة وهم يتوقون الظفر بنسخ من هذا الانجيل لينشروها بين الناس .. »

وقد ظفروا بنسخة باللغة الايطالية كانت قد سرقت من مكتبة الفاتيكان (م ٣٨٥/١٠) .

٧ — ويتابع المنار حملته فى مجال ارساليات التبشير فينشر فصول الكتاب الخطير الذى عثر عليه السيد محب الدين الخطيب وأذاعه فى جريدة المؤيد سنة ١٩١٢ وهو الكتاب الأشهر (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسلامى ، يتحدث عن جهود جمعيات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتية فى مصر والهند والبحرين ، عربتها المؤيد عن مجلة العالم الاسلامى التى تصدرها فى فرنسا (الارسالية العلمية المراكشية) وكانت هذه المجلة قد أنشئت منذ خمس سنين وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسى الانجليزى واعتداء ايطاليا على طرابلس المغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها فى التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية ، ويرأس تحريرها المسيو شاتليه ويكتب فيها لويس ماسنيون المستشرق الذى اقام فى بغداد سنين عديدة وكان فى مصر منذ سنين وقد كان لنشر هذا الكتاب فى المنار بعد المؤيد أثر كبير ولا يزال (م ١٥) .

وفى مواجهة هذا أخذ ينشر الدكتور محمد توفيق صدقى صفحات تحت عنوان بشائر عيسى ومحمد فى المهدين العتيق والجديد بها حديث طويل عن اليهود والسبى البابلى وافساد اليهودية للمسيحية وتحريف كتب النصارى والتثليث . وابطال ما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح فى العهد القديم .

كما نشرت حديث طويل عن الأناجيل وبشارتها بنبينا وعن لغتها ونسخها القديم وغلطها وتحريفها ، كما عرض المنار للرد على كتابات المبشرين والمستشرقين فى قولهم بأن القرآن ليس سوى مجموعة اقوال مقتبسة من التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس بقلم هنرى جونستون ، يدعو قومه الى مقاومة كل تعليم دينى على القرآن لئلا يرتقى المسلمون به فيخرجون من العبودية التى يريدها لهم .

ونشر المنار فصولا أخرى منها دخول عبد الكريم يوسف جومنو الفرنسى فى الاسلام وتأليف كتابه الذى تنزل مقدمته :

« وجدت فى الاسلام دينا سمحا ســـــهل المأخذ بين العقيدة واضح البرهان مجردا من الغموض لا يفتقر اتباعه فى عبادة خالقهم الى واســـطة فارتضيته لنفسى والحمد لله فقد مكثت عشرين سنة أبحث عن الدين الحق لأكون من شيعته (م ١٧/٢٣١) » .

وأورد السيد رشيد رضا عرضا لكتاب سلامة موسى (نشـــوء فكرة الله) عن خلاصة كتاب الجرانت اشار اليه الكاتب الانجليزى فقال : شاب قبطى الجنس مادى الاعتقاد يعنى باقنـــاع الناس بأن الأديان أوضـــاع مخترعة ينبغى لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعى واصول الاشتراكية وهى من آراء غلاة المادية من الافرنج أن يعمل الاقوياء باهلاك الضعفاء ومنعهم من الزواج وقد اثار هذا الكتاب جدلا شديدا وكتبت عنه جريدة مصر القبطية بحثا تم رد عليهم السيد رشيد رضا مطولا (م ١٧/٢٢٣/٤٧٨) .

٩ — وعرض المنار لما أشار اليه الباحثان الأوربيان : جورج سيسل والكربوكراميين والنربينيين فى ترجمة القرآن الشريف وغيرهم من اقدم فرق النصارى الذى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر من تلاميذه يشـــبهه شـــبها تاما ، وفى انجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذى صلب هو يهوذا الاســـخربوطى وهو الذى قالت عنه كتبهم أنه انتحر يوم الصلب لأنهم لم يجدوه والظاهر أنهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث ولذلك اخفيت تفاصيل قصته فى سفر الأعمال .

وتولى الدكتور محمد توفيق صدقى هذا الباب بوصفه كان مسيحيا ثم حسن اسلامه ، واجرى عديدا من البحوث حول عقائد النصرانية وكتب العهد الجديد كما نشر فى تفســــير القرآن فصلا مطولا عن عقيدة التثليث (م ١٦) .

كما نشرت المنار مقالا مطولا فى الرد على ما نشرته مجلة الشرق والغرب من الطعن على السنة وصحتها والشريعة ومقاييسها فقد طعنت فى السنة النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب فى الشريعة وترك العمـــل بها وانها لا قيمة لها فى نفسها (م ١٩/٩٧) .

٩ — واليك نموذج مما كان ينشره صـــــمويل زويمر كبير المبشرين فى البلاد العربية فى الصحف الأمريكية من اكاذيب وأباطيل اســـتدرارا لأموال

الأمريكيين بحجة أنهم سيحصلون على نصر قريب فى بلاد المسلمين وهى خدمة معروفة تقوم بها الارساليات المسيحية فى كل مكان وعصر .

قال : ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين فى الشرق الأدنى وأن دور الأولياء والكهنة قد انقضى فأصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحى وقال ان اللورد رادستوك ألقى فى جمعية الشبان المسيحيين عدة مواعظ وجدت ترحيبا وحفاوة ، فدل ذلك على أن الفرصة سانحة للتبشير بين طبقات كافة المسلمين الذين يمثلون المجموع الأعظم خاصة وان الأبواب التى كان مستعدة أن تفتح ، أصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة وقال أنه مما يشجع على ذلك أننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية وحتى معلمى الجامع الأزهر .

فقد جاء فى مؤلف لأحد علماء الاسلام فى القاهرة فصل عن السيد المسيح يبين فيه جلال المسيح وتأثيره العظيم فى التاريخ ، ان الاسلام لا يعترف رسميا بصلب المسيح ولا آلامه فأصبحت خشبة الصلب هى العثرة فى سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغربها عقل المسلم . لقد غلب الاسلام فى ساحة الحرب فأصبح مخدوعا فى مظاهره مضطربا فى برامجه ، وعليه فانه أصبح ناضجا مستعدا لقبول التعاليم المسيحية ، اذ بات يفهم أن الله لم يعد يحارب لأجل الاسلام كما كان يحارب قبلا وان تلك الخطط التى كانوا يلبسونها ستارا من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نفعا فان اليهودى يرجع الى فلسطين وأصبح المسيحى فى مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلا مهانا . ان الطلاء الأبيض ابتدأ يزول فالمتعلمون من المسلمين يقررون الكتب الافرنسية والانجليزية على الاخص كتابات (لامنس ، كانياتى ، موير ، ملكوليوت) وغيرهم ثم ان خدايجشى من كلكتا ترجم مؤخرا كتاب الدكتور ويل فى تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانجليزية منتقدا الديانة الاسلامية اكثر مما كان ينتقدها فى خطاباته وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث تعاليم المسيحية » يقول السيد رشيد رضا معلقا :

قد يرى المستشرقون فى هذا الجهاد انتصارا لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم ،

وقوله أن الطعن قد قضى عليه بكسر الدولة العثمانية واقتسام البلاد العربية هو خطأ محض ، وان أوربا قد جنت بهذه الحرب الوحشـــية ومعاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الأوربية أقبح جناية (م ٢٢/١٩٢١ م) .

١٠ — وأشار المنار الى ان مجلة المشرق (الجزويتية) بدأت تصرح بالطعن فى الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التى كانت تمنعها من التصريح فتتوارى احيانا وراء ما يحتمل التأويل ، هذا وان دعاة البروتستانية فى مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة فى الطعن فى الاسلام والتنفير منه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها . هذه المطاعن من أشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه .

وأشـــار الى أن مســـألة الوهية المســـيح اصبحت فى بلاد الا نجليز موضوعا لأهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمســـائل الدينية والفلسفية ولاســـيما رجال الاكليروس الانجليكانى ، على ما نشرته جريدة الديلى تلغراف (م ٢٣/٢٦٧) .

وأشـــارت المنار تحت عنوان (بعثة تنصير المحمدين وبرنامج كيدها للاسلام والمسلمين) قال : فى المانيا أرمنى اسمه الدكتور لسيوس ، قـــدم شهادة ضد الاسلام فى رســـائل بعث بها مصدر النشرة المدعوة بالشرق المسيحى ، فقد حصلت على مجموعة كاملة للسنة الأولى من مجلة المشرق المسيحى سنة ١٩٠٠ التى تصدرها البعثة الدينية فى ستة مراكز عمـــل فى بلاد الدولة العثمانية واثنان فى بلاد فارس واثنان فى بلغـــاريا وفى مقال بعنوان (واجبات البعثة المحمدية ومهمتها) وصف قدر الدين الاسلامى وقال ان الاسلام من أشأم ما ظهر فى تاريخ الانســـانية فهو خليط من الصدق والكذب وهو لذلك أشد خطرا من الوثنية وان الدين المســـلط على مائتى مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كأحكم الخطط الحربية وضعا ، لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بأنجح وسائل التنفيذ . مع ضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين ، ولا ننصح بالكف عن العمل لتنصير المسلمين فى البلا دالاسلامية المستقلة ونوصى بالحذر دائما فى

للوسائل لانقاذ من يؤتى بهم الى المسيحية واستخدام الجرائد والنشرات للحملة على الاسلام والترغيب فى المسيحية (م ٢٤/٧٨٥) .

١١ — أشار المنار الى أن القس المحترم الفريد نلسن الدينماركى المقيم فى دمشق وجه أسئلة الى المنار يقول فيها : انه من الواجب على كل متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذى أسس عليه تمدن الغرب ، ويقول : هل الأحسن من يتمسك بدين من الأديان بعد الامتناع ويطبق حياته عليه أم الذى يبقى فى دين آبائه بدون اعتقاد داخلى ؟

قال السيد رشيد رضا : ان المبشرين فى مدارسهم الأمريكية وغيرها يشككون الطلاب المسلمين فى دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون منهم ملحدين أو منافقين فضلا عن خدمة المدارس ومستشفياتها لمطامع السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبرى الوزير الانجليزى المشهور عن مدارس المبشرين انها أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تأثيرها احداث الشقاق فى الأمة التى تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف الافكار والشك فى الاعتقاد فتمكن الأجنبى من ضرب بعضهم ببعض وينتهى ذلك بتمكن المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب ثرواتهم .

وقال : ان بناء تجديد الغرب على المسيحية دعوى ممنوعة على اطلاقها وباطلة بالصفة التى يدعيها المبشرون فى هذه الأيام لاستمالة المفتونين بالمدنية الأوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع الأمم عن شريعة التوراة الا فى القسوة على الضعفاء والمغلوبين ، وآداب أهله أبعد من آداب جميع البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدنية الأمم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالى وعبادة المال والطمع والرياء والاسراف فى الزينة والشهوات فأين هى من أصول آداب الانجيل المبنية على التواضع والزهد .. أما العلوم والفنون وشكل الحكومات المقيدة فلم يكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة فى بلاد الغرب بل كان من آثار العرب والاسلام ، فما انتقل الى أوربا من الأندلس العربية الاسلامية وما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سوريا ومصر الاسلاميتين . ثم قال : ان نشر هذا الكتاب كان نقمة ومصيبة على أهل

البلاد التى نمرفها بما احدث من الشقاق والتعادى بين أهلها ، وفاقا لما قرره اللورد سالسبورى وان جميع أهل العلم والبصيرة من أهلنا فى البلاد السورية يعلمون اليوم حقد القوم وانه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمتهم وحرمهم نعمة الاخوة الوطنية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم (م ٢٥×١٨٨)

ولما كان السيد رشيد رضا ملما ومتابعا لكل ما يظهر فى البلاد العربية الاسلامية فقد كان قادرا على الاحاطة بالتيارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل بالشام ، ذلك أنه ما لبث أن كتب تحت عنوان الاغراء بين النصارى والمسلمين حيث ورد كتاب جديد من بيروت ألفه أحد نصارى لبنان لتأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطنه جمع فيه من كتب التاريخ أحاديث جعلها مما ينقمه النصارى من حكومات المسلمين وخاصة ما يتصل باضطهاد أسبانيا لمسلمى الأندلس ويهودها (م ٧٠٩/٢٥) كما أشار الى أن القس بولس مسعد القى عدة خطب ومحاضرات فى مصر وسوريا وفلسطين لدعوة المسلمين فيها الى النصرانية وجمع ذلك فى نسخة .. وزعم أن القرآن يثبت عقيدة التثليث وانها عين التوحيد الذى يدعو اليه وفند المنار كذب هذه الفرية (م ٧٩٧/٢٥) .

١٢ ـ وكان من أخطر ما اثير فى هذه المرحلة (عام ١٩٢٧ تقريبا) ما أذيع عن مشروع بريطانى جديد لتنصير جزيرة العرب (م ١٤٠/٢٨)

فقد ترجم المنشور الذى أذاعته جمعية تبشيرية فى لندن تحت عنوان (يسوع المسيح لبلاد العرب الآن) .

وهى دعوة الى تنصير بلاد العرب التى فيها من أربع ملايين الى اثنى عشر مليونا ولم يدخلها التنصير بعد ، ولم تبلغهم دعوة الانجيل ، بلاد العرب ، هى مهد الاسلام وفيها مكة التى هى القبلة لزهاء مائتين وعشرين مليونا من المسلمين يتوجهون نحوها) وقال النداء :

من يذهب الى هناك من حجاج المسيح ويهدى أولئك الحجاج الذين لا يحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده . هذه دعوة الى أبناء اسرائيل أن يتقدموا الى الأمام الى بلاد العرب . ان الحاجة شديدة الى مائة مبشر يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد ، هناك نحو مائة قبيلة فى بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم

يمكثون بلادا غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند . « القس باركلين » .

احمل الكتاب المقدس الى العرب . اذهب أنت بنفسك . ارسل غيرك لا تقطع صلاتك لأجل بلاد العرب ، ادع بلاد العرب والعرب الى المسيح .

« الجمعية العالمية الصليبية للتنصير فى العالم وبلاد العرب (لندن) »

وفى نفس الوقت الذى كان السيد رشيد رضا يدحض الدعوة الضالة، يتحدث عن : (تحول الكنيسة الانجليزية عن التقاليد النصرانية) عن جريدة الديلى اكسبريس (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) .. حيث قالت ان القس انج ينكر المعجزات : وان هذه قنبلة مصوبة الى قلب الكنيسة حيث قال القس انج :

« ان مسألة ان المسيح نزل فى جوف الأرض ثم قام من قبره فى اليوم الثالث وصعد الى السماء بجسده ، أليس من اللائق بالكنيسة أن تفكر فى هذه المشكلة التى ظلت نحوا من أربعمائة سنة وهى ترغم الناس على الاعتقاد بها » .

ويشير القس انج فى كتابه تحت اسم (العلم والدين والحقيقة) الى قول اللورد بلفور : ليس بين القراء من يعتقد أن الكتاب المقدس ليس الا كتابا تاريخيا ومرجعا للعلوم الكونية لا يمتاز على غيره الا بأنه موحى به ، والقس انج يسلم بأنه موحى به أما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة ويقول : ان بعض العقائد المسيحية أصبحت لا يمكن التصديق بها علميا فلا يمكن التصديق بها دينيا . ان معرفة أن الأرض ما هى الا كوكب يدور حول الشمس وهى واحدة من ملايين الأجرام السماوية : ذلك الاكتشاف قد مزق النظرية المسيحية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم وأنها كطبق يحدده غطاؤه وقال القس انج : ليس أمام المسيحيين الا أن يعتبروا أن هذه الأساطير الدينية لا تتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن حقائق أزلية ، وأن تعترف بأن كل التقاليد اللاهوتية المؤسسة على النظرية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مع النتائج العلمية الصحيحة .

١٣ — ولا يلبث اللورد هدلى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية أن يدحض مطاعن المبشرين فى صاحب الرسالة الاسلامية ، فقد نشرت المجلة الاسلامية (اسلاميك رفيو) التى يصدرها خوجه كمال الدين مقالا مطولا بقلم اللورد هدلى الذى اعتنق الاسلام منذ عشر سنين ردا على مفتريات المبشرين حيث قال : انى أشعر بالأسف وانا أقرأ كتابات الارساليات المسيحية عندما أجد أن أحد رجال وطنى يضطر الى الأخذ بالرياء والتمويه والتحريض لكى يقرر آراءه نحو الدين وانه ليذهل أن يرى القارىء الى أى مدى تسير العصابات الدينية المسيحية .

وانظر الى وجه الصورة الآخر : ألا تدهشك رؤية مظاهر روح التسامح والحسنى التى يقررها القرآن وذلك الهدوء الذى يلاقى به المجتمع الاسلامى الحملات القوية العديمة القيمة التى تحمل عليه وعلى ديانته باسم عيسى الكريم أحد أنبيائه ، واذا كانت هناك كلمات شديدة يدافع بها المسلمون عن كرامتهم الا أنهم لم يلجأوا الى مثل هذه التهم الملفقة كى يكون فيها أهم أسلحتهم التى يهاجمون بها خصومهم (م ٢٩) .

كذلك فقد نشرت المنار فصلا مطولا عن أزمة الصلاة فى انجلترا وهو فصل كتبه الأمير شكيب ارسلان . عن موقف البرلمان البريطانى برفضه التعديل المقترح فى كتاب الصلاة مراعاة للتطور الاجتماعى والدينى والسياسى فى الأمم النصرانية وتقريبا للبروتستنتينية من الكاثوليكية أيها وقرر ابقاءه كما هو بالرغم من الوف طلاب التجديد وذلك فى مجال الرد على الدعاوى التى كانت تثار فى البلاد الاسلامية عن أن حكومات الغرب منفصلة عن الدين وأن الدين منفصل عن السياسة وأن أوربا لم تبلغ هذا المبلغ من الرقى الا بفصل السياسة عن الدين وان الحكومات الأوربية لا تتدخل فى المسائل الدينية فى بلادها بل تعدها خارجة عن اختصاصها وقال ان الشرقيين المساكين يصدقون هذه الأقاويل لعدم اطلاعهم على الحقائق . وقد انحصر الطعن الجديد فى كتاب اسمه الصلاة العامة ، وهو كتاب قداس وكتاب مزامير وطقوس ويمتاز بأمور كثيرة عن كتب الكنيسة الرومانية وكان المطلوب أن تلغى الاوراد وطلب الشفاعات والاستغاثات بالقديسين وبمريم العذراء (م ٢٠١/٢٩) .

كذلك أشارت المنار الى دعوة الانجليز لاحياء ذكرى غردون فى السودان بتنصير مسلمى السودان فقد وجه نداء بمناسبة ذكرى مقتل غردون للاكتتاب بمبلغ ٦٠ الف جنيه لتخليد اسمه بعمل هو اشادة كنيسة من أكبر الكنائس التى تنشىء فى بور سودان وعطبرة ووادى مدنى تسمى كنيسة غردون التذكارية (م ٧٦٥/٢٩) .

وقد أنشأ السيد رشيد رضا فصلا مطولا فى العام الثالث والثلاثين بعد أن رفعت الرقابة فى مصر عن تاريخ التنصير والتبشير ومساعدة الحكومة له فقال : ليس فى مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام ، كل ما فى المستعمرات الأوربية منها ، ليس منها مسألة كمسألة البربر فى المغرب ، ومسألة العلويين فى سورية . ولا كمسألة التخنيس فى افريقيا الفرنسية كلها ولا كمسألة الجلاء والابادة فى طرابلس الغرب وبرقه اذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهى ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها فى جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها الا مزيد حضانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية . ثم قال : لقد اعتدى على استقلالها الفرنسيين ثم الانجليز ، وقد اعتدى على استقلالها الفريقان وغيرهما بالتعليم الالحادى وبجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعلم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرنجة كل مساعدة مالية وادارية على جميع ذلك وكان نجاحهم فى التعليم الالحادى أتم من غيره فهو الذى جعل نفوذهم السياسى والأدبى والاقتصادى يعلو ولا يعلى ويحطم كل ما تحته من نفوذ الحكومة المصرية ومن حرمة للأمة المصرية واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا الى اليوم فكانت مدارس الأجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال وبهبة المبانى والأراضى وباعفاء ما دبر لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام وغيرها من رسوم المكس (الجمرك) وكان الوزراء والكبراء ثم الأوساط فالفقراء ما زالوا يعلمون أولادهم ذكرانا واناثا فيها ويفضلون تربية القسيسين والرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الأميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقدمون بأولادهم فيها يبالى عاقبة هذا التعلم فى جنايته على الدين والدنيا ، أما الدنيا فلأن زمامها فى أيدى هؤلاء الافرنج فصارت تطلب

بالزلفى عندهم وقال لورد سالسبورى : ان مدارس المبشرين أولى خطوات الاستعمار فان اول عملها احداث الشقاق فى الأمة التى ينشر فيها اما الدين فلأنه لم يعد مما يراد فى مصر من التربية والتعليم اذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجبا من تعليم والعمل به أمرا اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به فصار الدين فى مدارسها كالشىء اللقاء (اللقاء بالفتح ما يلقى ويطرح لعدم الحاجة اليه) وهى تعلم ان امما من الافرنج يجعلونهما من الفرائض القطعية التى لا هوادة فيها يجمعون عليها كل من ابناء دينهم ومن المسلمين . وتعليم الازهر وملحقاته للدين أصبح عقيما فى هذا العصر كما بيناه بالبرهان مرارا واقمنا الحجج اللسانية به على شيخ الأزهر لهذا العهد والخرافات الدينية فاشية فى الأمة من جهة ونزعات الالحاد والتفرنج من جهة ثانية فخلا الجو للمبشرين فى التعليم الدينى بالأساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ومبدأ الدين فطرى فى انفس البشر فان لم توجد من يلقنه من النشء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم اى دين كان قبل الرشد واستقلال العقل . ذلك ولم توجد فى مصر هيئة دينية حكومية ولا اهلية تتولى امر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها فى الأمة والعناية ببث التعليم الدينى السهل والوعظ العام فى طبقات الأهالى ولا سيما تعليم البنات وارشاد الأمهات كالهيئات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ولم يوجد منها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام الا ما تجدد فى السنين الأخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق . وكان اول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم فى مصر المصلحان العظيمان الأفغانى ومحمد عبده فى القرن الماضى وكانت اول حادثة أن طغمة التبشير الأمريكانية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين بكنيستهم فى حى الأزبكية فكبر ذلك على السيد فعهد الى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعه فى مكان خفى ففعلوا وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستتابا الفتى واقنعاه بأن الاسلام هو دين الله وسعيا لتلافى هذا الأمر لدى الحكومة فلم يسمع لهما أحد ، وكان الشيخ محمد عبده أول من فكر فى خطر المدارس الأجنبية فى مصر فاقترح على مجلس المعارف الأعلى الذى ألف فى مصر بسعيه ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م أن تقرر جعل جميع مدارس الأجانب فى القطر المصرى تحت مراقبة الحكومة ، ثم نكبت

البلاد بالإحتلال الانجليزى اثر الثورة العرابية ففقدت حكومتها كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم ، والقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية فى يد قسيس انجليزى (ميشر) جعل سكرتيرا لهـا فمستشارا ثم اعترفت مصر بعد الحرب الأولى بالاستقلال مقيدا بتحفظات لا تمس التعـليم الحكومى ولكن الدين الاسلامى لم يزدد بذلك الا ضعفا فى مدارس الحكومة والأوقاف العامة والخاصة وتعارضه قوة دين النصرانية فى جميع المدارس الأجنبية . وبلغ من مساعدة الاحتلال البريطانى لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة أن أمر اللورد كتشنر وزير الأوقاف بالغـاء المستشفى الذى بنته الوزارة فى مصر القديمة بجوار مستشفى هرمل التبشيرى لأنه يصرف كثيرا من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية .

وجرت محاولة لاغلاق المنار لأنه يتصدى بالرد على أراجيف التبشير النصرانى وحاول اللورد كتشنر اغلاق المنار وقال رشيد رضا انه لن يدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون فى الاسلام ويدعون المسلمين الى دينهم لأن الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا أرى فى البـلاد مجلة أو جريدة تقوم بها فان تركتها كنت آثما كجميع القادرين عليها ، وقالوا أن الدكتور محمد توفيق صدقى شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحـا فى الديانة المسيحية لا بيانا لعقائد الاسلام ولا مناظرة المبشرين .

ويعود السيد رشـيد رضا بالذاكرة الى المجلد السادس من المنـار (١٩٠٤) حيث قدم عرضا لأخطاء التبشير فقال : لدعاة النصرانية المبشرين عدة مدارس ومستشفيات وصحف فى مصر لا غرض لها الا تنصير المسلمين وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على انشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسـم نشر العلم وعمل الخير ثم انهم ينشرون فى كل سـنة عـدة كتب ورسائل فى الطعن فى القرآن والنبى عليه الصلاة والسلام وتنفير المسلمين من الاسلام بالاضافة الى النشرات والأوراق الصـغيرة التى ينشرونها فى المستشفيات والخطب التى يلقونها فيها وفى سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم أن يكون للمسلمين فى هذا القطر الاسلامى كله صحيفة اسلامية واحـدة ترد عليهم وتدافع عن الاسـلام فسـعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر

ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالغاء مجلة المنار وابطال صدورها ومحاكمة صاحبها هو والدكتور محمد توفيق صدقى .

وقد سألنا فقلنا : اننا اقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا فى الطعن فى ديننا أضعاف ما كتبنا وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين اثم الجميع . وكما جرى العمل على تعطيل المنار ففى السودان صودر واحرق واستمر المنع حتى عام ١٣٤٥ .

وقال : حدث هذا كله والأزهر لا يبدى ولا يعيد حتى صار القس زويمر يدخل الأزهر ويزور بعض علمائه فى بيوتهم داعيا الى النصرانية حتى كاد يبطش به صديقنا الشيخ على سرور الزنكلونى فى الأزهر واشتهرت الحادثة .

ومما ذكره السيد رشيد رضا فى الرد على كتاب نقولا عبريل فى الدعوة الى النصرانية والطعن فى الاسلام : ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وان ما يسمى التوراة ليست هى التوراة التى شهد لها القرآن الشريف وانما توراة القرآن هى الأحكام التى جاء بها موسى عليه السلام .

الفصل السابع

ما حققته حركة الاصــلاح من نتائج

— ١ —

توفى الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ وعاش السيد رشيد رضا بعـده حتى عام ١٩٣٥ وصدر المنار خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الاشارة الى حركة الاصلاح التى قام بها الأستاذ الامام ولا عن متابعتها فى جميع ميادينها وتنميتها ودفعها الى الأمام من خلال الأعلام تلاميذ الشيخ المفتى وكان منذ بدأ المنار يشير اليها على أنها « النهضة الاسلامية فى مصر » أو حزب الشيخ المفتى كما وصفها اللورد كرومر — يقول فى المجلد الثانى من المنار :

كان مبدأ هـذه النهضة فى مصر رجل اعجمى الوطن علوى النسب وهبه الله من ذكاء العقل وذكاء الفطرة ما يندر منه فى الأجيال الكثيرة والقرون الطويلة الا وهو الحكيم الاسلامى الشـهير السيد جمال الدين الأفغـانى نور الله مرقده ، قرأ العلوم الاسلامية وأساليبها ومقاصدها وبرع فى الفنون العقلية كالحكمة القديمـة والكلام والأصـول ثم نظر فى الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة أوربا الحديثـة وسلك طريق التصوف سلوكا كاملا وأضاف الى علمه الواسع فى التاريخ الاختيـار بالسياحة ، وعنى أشـد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعـرف أمراض المسلمين الاجتماعية التى أرجعتهم عن مقدمة الأمم الى ما وراءها ووقف نفسه على تنبيـه المسلمين من غفلتهم وارشادهم للقيـام بواجب شئونهم حتى تلحق الأمة الاسلاميـة بالأمم العـزيزة ، ولجأ جمال الدين الى عالم السياسـة وحاول أن يكون الاصلاح من جانب الملوك والأمراء وكان أن سلك فى مصر طريقة الاصـلاح الملى وهو التربية والتعليم فانبرى له علماء السوء الذين وضعوا فى طريقه الأشواك والعوائر وحاربوه بسلاح الدين فى شبهات ثلاثة :

١ — انه كان يعرف الفلسفة ومتوغلا فى العلوم العقلية .

٢ — عدم التقيد بالعادات التى ألفوها ولونوا الكثير منها بلون دينى .

٣ — ان كثيرا من المترددين عليه والملتفين حوله كانوا لا يبالون أمر الدين .

ثم قال : ان أمثل من اتصل بالسيد من الذين تربوا فى مهد الدين علما وعملا العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وهو الرجل المفـرد الذى تشبه نظرته الذكية نظرة السـيد جمال الدين وتماثل تربيته تربيتـه ... الخ .

وفى خلال حياة الشيخ محمد عبده عمدت المنـار الى تسجيل رحلاته وخطواته (رحـلاته الى الجزائر وتونس) ورسائله الى العلماء والكبراء وتقارير اصـلاح التعليم واصـلاح المحاكم الشرعية والرد على الطاعنين والحديث عن هجرته الى أوربا واخراج مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين ورحلته الى سوريا ودروسه ، والرد على فرح أنطون وعمله فى انشـاء الجمعيـة الخـيرية ودراسات عن اتصالاته بفكرة توحيـد الأديان وصلته بالمستشرق بلنت وبكرومر . وأشـار الى أن كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ الذى نشره المنـار (م ١٠) قد أطلق على هذه الحركة عبارة « حزب الشيخ محمد عبده : حزب الاصـلاح الاسلامى » كما أن المنـار كشف فى هـذه السنوات وجهة نظر الشيخ محمد عبـده فى كل أمور السياسة والاجتماع فكان للمنـار موقف مـع مصـطفى كامل وكان له موقف مـع اللـواء بشأن العصبية الجنسية ، ومعارضته للشـيخ محمد بخيت ومعارضـته للمتصوفة وأخبار نازلى فاضل (صاحبة الصالون المعروف) الذى كان يضم (سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده وغيرهم من المتطلعين الى الحكم فى مصر) كما أنه عرض لموقف كرومر من الجامعة الاسلامية (أبريل ١٩٠٧) وكان فى تقرير لكرومر الأخير قبـل استقالته كلام عن الشريعة الاسلامية فحواه أنها لا تصلح لهذا الزمان (وقد رد عليه كثيرون ، منهم فريد وجدى ومصطفى الغلايينى وعلى يوسف) وكلام عن الجامعة الاسلامية وعن دنلوب وموقفه من اللغة العربية واذا كان السيد رشيد رضا لم يعرض لهذه الأمور فى وقتهـا الا أنه بعـد خروج كرومر استفاض فى الكشف عن أخطائهـا (المنـار م ١١) كما نشر كثيرا من تراث الامامين « الأفغـانى وعبـده » ومنها كتابان سياسيان لهما (م ١٠) .

كما عرض لما أورده كرومر فى كتابه مصر الحديثة عن مصر وعن الشيخ محمد عبده (المجلد ١١) .

وقد أشار في (المجلد ٦) بالتفصيل الى رحلة الشيخ محمد عبده الى الجزائر وتونس وكيف أنها كانت من أجل رعاية حركة الاصلاح بهما وقد دعا فيها الى الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريب والجد فى الكسب وعمران البلاد عن الطريق المشروع (الشريعة مع الاقتصاد فى المعيشة) ومسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وقال ان الشيخ محمد عبده القى درسا او خطابا فى تونس على ملا عظيم من العلماء والفضلاء وقال : « قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر فى أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم والاعراب عما فى ضميرى مما أتمناه لاخواننا المسلمين من التقدم فى العلم » .

وفى حياة الشيخ محمد عبده أخذ المنار فى نشر تفسير الشيخ الامام للقرآن بداه فى المجلد الثالث وكانت المنار قدمت فصلا مطولا فى المجلد الأول عن القرآن وارشاده الى علم الاجتماع وعن السنن الكونية فى القرآن وارشاد القرآن الى علم الاجتماع .

كما عرض المجلد الثالث من المنار لقضية جماعة الصوفية واعتبرها جزء من قضية الاصلاح الاسلامى فهاجم البدع والضلالات والأحاديث الموضوعة من التبرك وشفاء الأمراض والرقص والتمايل .

كما أورد ما يتصل بتقرير اللورد كرومر عن الشيخ محمد عبده ١٩٠٥ (م ٩) الذى أشار فيه الى أن الشيخ أفتى المسلمين بما أوجد لهم بابان يحل لهم بهما تثمير اموالهم فى صناديق التوفير من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامى فى شىء . وقال : ان الفئة التى ينتمى الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح فى الاسلام معروفة فى الهند أكثر مما هى معروفة فى مصر ومنها الشيخ الجليل السيد احمد خان الشهير الذى أنشأ كلية عليكره فى الهند منذ ثلاثين عاما والغاية القصوى التى يقصدها رجال هذه الفئة هى اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزوا أركان الدين الاسلامى او يتركوا الشعائر التى لا تخلو من أساس دينى فعملهم شاق لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية فى النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين ، أما مريدو الشيخ محمد عبده فهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة

الجيروندست فى الثورة الفرنسية فالمسلمون المتنطعون المحافظون فى كل قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم ، وان السبيل الذى أرشد اليه الشيخ محمد عبده هو السبيل الذى يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملكهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ محمد عبده حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين .

وقد أشار السيد رشيد رضا من بعد الى موقفه الصريح من هذه الأمور بعد أن أصدر كرومر كتابه « عباس الثانى » قال : وآملت منه ما كشف عما كان منطويا عليه من التعصب الدينى الذى كان يخفيه بالرياء الفرنسى الذى يوصف به البريطانيون واظهر للناس أن من أصول سياستهم ظلم كل مسلم تربى تربية اسلامية وتخلق باخلاق الاسلام بابعاده عن مناصب الحكم فى بلاده وحصر هذه المناصب فى المتفرنجين بالتربية الأوربية الذين رماهم اللورد نفسه فى كتابه « مصر الحديثة » بأقبح النعوت ونبذهم بشر الألقاب حيث قال (١) : « من الواضح أن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم مصر فى هذه الأيام ، ولذلك سيكون المستقبل الوزارى للمصريين المتربين تربية أوربية » ، هذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصار يعرفها كل واحد .

وأشار السيد رشيد رضا فى هذا المجال الى أن سعد زغلول (الذى رباه الاستعمار وكان أول وزير معارف مصرى فى عهد كرومر والذى مدحه كرومر فى خطاب الوداع) يقول رشيد رضا ان سعد زغلول هذا — وهو يراه من أكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده — قد اشتهر بالتساهل الدينى بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذى ادخل تعليم الدين المسيحى فى مدارس الحكومة فى عهد وزارته للمعارف والقبط يعرفون أنه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا فى عهد الاحتلال (المنار ٢٢) وكان الانجليز آمنين من انقلاب سياسى فى البلاد بسعى الذين يتربون على الطريقة الافرنجية

---

(١) أشار اللورد كرومر الى أن تجربة تولى رياض باشا للوزارة قد فشلت لأنه رجل مسلم وقال ان فشل تجربة رياض باشا لقنتنى درسا هو أنه لا فائدة فى محاولة قيادة الراى الاسلامى فى مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا .

ولاسيما الانجليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهمهم غير اهوائهم وشـــهواتهم الشخصية .

واشار رشيد رضا الى أن الشيخ محمد بخيت كان من اقوى انصار الاحتلال فى عهد الحماية وانه حين ولى منصب افتاء الديار حزم الســـلطة المحتلة الى خدمته فقد حذفوا اسم السلطان العثمانى من خطبة الجمعة ، وكان الشيخ بخيت ضـــد اشراك الأزهريين فى الحركة الوطنية وقد اتفق مع السيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق وايدوا سعدا » ا . ه .

هذا وقد تابع السيد رشيد رضا فكرة الاصلاح وعمل على اخراجها الى حيز الوجود فى صيغة جماعة الدعوة والارشاد التى انشاها عام ١٩١١ (م ١٤) وضمت محمود سالم ، حسن والى ، محمود انيس ، احمد زناتى ، عبد الوهاب النجار ، محمد سعودى ، محمد لبيب البتانونى ، محمد توفيق صدقى ، محمد المهدى وأعلن ان مقصد الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم دار الدعوة والارشاد لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم ، وقد اثار هذا المشروع خلافات واسعة بين السيد رشيد وبين المؤيد والحزب الوطنى ، واتهموه بانه عرض مشروعه على المندوب البريطانى فى مصر ، وكان قد حاول تنفيذ هذا المشروع اولا عن طريق الدولة العثمانيـــة فى أول حـــكم الاتحاديين ١٩٠٩ ولكنهم ردوه فى أسلوب لميكشفوا فيه عن خصومتهمللاسلام وكان السيد رشيد قد كشف خصومته للحزب الوطنى (وجريدة اللواء) وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده ونقد ما كتبوه عنه بعد وفاته وكان مما يبدو ان الخلاف مع السيد رشيد متصـــل بجماعة السوريين الذين يصـــدرون الصحف (المقطم والأهـــرام والهـــلال) .

— ٢ —

ويمكن القول بأن حركة الاصلاح حققت هدفها تماما من حيث جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة واحيت مفهوم الاسلام الصحيح ونشرته المنـــار من المغرب الى جاوة وكونت انصـــارا للفـــكرة الاسلامية السلفية لم تتوقف عن الاتصال بالمنـــار وارسال فتاويها واسئلتها والكشف

عن تحديات القوى التغريبية والمضللة وأنها صنعت المسلم الغيور على دينه الراغب فى أن يكون الاسلام هو منهج حياة أمته ، المدافع عنه امام التيارات الوافدة ، وأنها كشفت عن تحديات النفوذ الأجنبى ازاء حقيقة الاســـلام عن طريق التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (البهائية والقديانية) وانها وضعت فى ايدينا جميع خيوط التحديات التى ما زلنا نواجهها حتى اليوم وبعـــد أن توقف المنـــار بأكثر من خمســـين عاما (١٩٨٢ م) (١٤٠٢ هـ) بحيث يمكن القول بأن دراسة هـــذه القضية فى العصر الذى نعيش فيـــه وفى أوائل القرن الخامس عشر لا يمكن أن تنفصل عن جذورها منذ عـــام ١٣١٥ هـ يوم صدور المنـــار وخلال عقوده الثلاث .

٢ — كذلك فقد أحيت المنـــار مفهوم أهل السنة والجماعة بعرض الفكر الأصيل للاسلام وكشفت زيف المفاهيم الفلسفية والباطنية والتصوف الفلسفى وجمع كلمة المسلمين على قاعدة السنة والجماعة وقد أشار السيد رشيد رضا (المجلد ٢٢) الى قواعد بناء الاصلاح الاسلامى فأجملها فى عدة نقـــاط :

١ — الاعتراف باسلام كل مذعن كما اجمع عليه المسلمون فى أمر الدين .

٢ — بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح منها كما اثبته علماء الحديث بالأسانيد المعتمدة وترك ما خالفه من افكار المتكلمين وآراء الفقهـــاء .

٣ — عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعذر كل متبـــع لامام من ائمة السلف المجتهدين فى حكم من الأحكام من أئمة آل البيت كزيد بن على والصادق والباقر وائمة فقهاء الأمصار كأبى حنيفة ومالك والشافعى واحمد وائمة الصوفية كالجنيد وعلماء الصحابة والتابعين بالأولى ولا يكفر مسلما مذعنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل او بشبهة اتباع امام أو تأويل ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين فى ذلك بالدليل الشرعى مع الأدب والاقرار واتقاء الشقاق والتفرق بين المسلمين .

٤ — الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الدينى مع تحصيل العـــلوم والفنون التى ترتقى بهـــا الزراعـــة والصناعة والتجارة .

(م ٢٢) .

ويقول السيد رشـــيد رضا : ان المنار فى جمعه وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامى المبنى على أساس اتباع جمهور السلف الصالح فى أمور الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبته العلم والاختبار فى أمور الدنيـــا .

ومن أهم أعمال المنـــار فى هذه الوجهة احياء كتب ابن تيميه وابن القيم والشوكانى والنقل منهـــا والاستشهاد بها يقول : ان كتب هؤلاء العلماء الأعلام من أفضل ما اطلعت عليه من كتب علماء الاســـلام من حيث أنهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين الاطـــلاع على كتب مذاهب علماء الأمصار الذين يقلدهم الناس وغـــيرهم ولم يلتزموا التعصب لامام معين ولا لأهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان أقوى فكتبهم أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله ، وان خالفت النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة واكثرها خلو من الادلة مطلقا أو ادلة المخالف وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشـــهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجـــة ، ولو خرج أحد الائمة الأربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له لأنها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف أو على قياس وهذا أصل مذهبهم كلهم رضى الله عنهم .

ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخـــذوا أقوالهم وأقوال كبار أصحابهم أصولا فى التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم فى كل ما روى عنهم وان خالف نصوص الشارع أصولهم التى بنوا عليها مذاهبهم وكلهم يبـــدأ من ذلك . ويقول : السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقـــلا أصح من نقـــل المذاهب بالأســـانيد التى وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث وشروحه وهى أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن ، فلماذا لا يكون العمل بها هو المقدم على كتب الفقه التى تكثر فيها أدلة الأقيسة والرأى التى اختلف علماء السلف فى الاحتجاج بها ولا سيما قياس السنة وما فيه من مسالك العلة التى يتعذر اثبات شرعيتها .

وثانيا : انهم قالوا أن اختلاف العلماء رحمة للأمة فلماذا يضيق باب هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد يحرم الاستفادة من غيره بتسميته

تلفيقـــا وتخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمـــه » .

وفى موضع آخر أشـــار الى مؤلفات ابن تيميه وابن القيم فقـــال : « انها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والســـنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين فى مجموع مزاياها ، فانها ألفت بعد نشوء البدع فى الأمة وتعدد العلوم وكثرة التأليف فى المعقول والمنقول . وكان أكثر العلماء مقصرون فى علم السنة وآثار السلف الصالح وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرون فى العلوم العقلية فبعــدت الهـــوة بين الفـــريقين وكثر الخلط والخبط فى علوم الشرح حتى جاء أول هـــذين الشيخين (ابن تيمية) فكان ممن جمع الله لهم من ســـعة العلم والتحقيق فى جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظير فى هذا الجمع ، وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم « ابن القيم » ولا سيما فى العلوم الشرعية فكانت كتبهما كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقـــول واقوى رد على من خالف السنة وسيرة السلف الصالح لا يعرف لها نظير فى ذلك فلو اهتدى المسلمون علما وعملا لأماتوا البدع وأحيوا السنن ولكنهما غير معصومين من الخطأ ، فقد أنكرنا عبارة للأول تابع فيهـــا غيره من غير أن يتنبه الى حاجة الى الاستقلال فى الاستدلال علما وخالفنا الثانى فى مسألة اهداء ثواب الأعمال الى الموتى فى تفسير آخر سورة الأنعام (م ٢٤) .

وعاود السيد رشيد الحديث عن ابن تيمية وهل هو أعلم من الأئمة الأربعة (م ٢٨) فقال : ان لأئمة الفقه الاربعة فضلا على الشيخ احمـــد تقى الدين بن تيمية لأنه لم يصر فقيها الا باطلاعه على فقههم ، كما أن لأئمة الحديث كأحمد والشيخين واصحاب السنن الأربعة وغيرهم فضـــلا عليه فانه لم يكن يتحدث الا بكتبهم ، ولقد كان مثل مالك والشافعى واحمد أصبح فهما للكتاب والسنة فيما أعتقد ، وقد حدث بعد الأئمة الاربعة بدع خلع عليها مبتدعوها ثيـــاب زور غريب عن الدين ، فاتبعهـــا خلق كثير من المسلمين منها ما جاء فى شبهات الفلسفة ومنها ما جاء فى تصوف الهنود ومنها ما كان من وضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية وكان شيخ الاسلام ابن تيمية

من أعلم الناس ان لم يكن اعلمهم بمثارات هـذه البدع وشبهاتها ومنتحلتها ومن اقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامى والاستدلال على بطلانها ولم يكن الائمـة يعرفون ذلك لأنه لم يكن فى زمنهم الا بعضـها ، فالأمـة الاسلامية محتاجة الى شىء من علوم ابن تيمية لا تجـده فى شىء مما روى عن الائمة رضى الله عنهم ، وأهمه بيان حقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ورفض شبهات أهلها وقد نفع الله بعلمهم وهديهم اضعاف من انتفعوا به وهذا أمر عظيم مثاله فى المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده الذين يظهر من كتبهم ان الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفنون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسـلام ولكن جده هو الذى هدى الى العلم الواسـع الدقيق بتوحيـد الله تعالى الذى هو اساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف .

— ٣ —

كذلك كان من أهم ما حققته حركة الاصلاح من ثمار هو : دفع الأزهر الى الأمام فى مجـال التربية والتعليم واخراجـه من الدائرة المغلقـة التى كان يعيش فيهـا فقـد سـعى الشـيخ محمـد عبـده الى اصـلاح الأزهـر وانهاضـه ودعا الى اصـلاح التعـليم وادخـال العلوم والفنون الطبيعية والرياضـية التى تدرس فى مدرسـة القضـاء الشرعى فى الأزهر ، وكان الأستاذ الامام قد وضـع اساس نظام مدرسة القضاء الشرعى بعد اضطراره الى ترك الأزهر ويأسه منه باضطهاد الأمير ومقاومته وجمود شيوخه وبغضهم وعجزهم (م ٢٩) . قال السيد رشيد : ان محاولة الشيخ الامام بجعله عضوا عاملا تشعر الأمة والحكومة بالحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه بل كان يطمـع فيما فوق ذلك ان يجعله عضـوا رئيسيا فى بنية الأمة الاسلامية لا فى بنية الشعب المصرى وحده .

وقد نشأ من حزب الاصلاح من استطاع تحقيق ما طمح اليه الشيخ محمد عبـده عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغى كما يشـير الى ذلك السيد رشيد رضا فيقول : « توجهت همة الشيخ المراغى الى الاصـلاح بقسميه الدينى والدنيوى وقبول خريجى الأزهر أساتذة للتعليم فى مدارسها وغير ذلك من وظائف الحكومة التى كانوا محرومين منهـا ففتح لهم أبواب العمل بالشرف والكرامة ، كما فتح لهم أبواب خدمة الدين بالوعظ والارشاد

والدعوة الى الاسلام ، وقال ان من آثار ذلك ارسال بعثات من عشرين طالبا الى الجامعات الاردية وانشاء مكتب لتعريب الكتب التى لها ارتباط بالتعليم فى الأزهر وانشاء مجلة دينية وجوائز لتاليف كتب فى العلوم التى تدرس فى الأزهر » .

وفى هـذا المجال اشار السيد رشيد رضا الى ما حدث عام ١٩١١ (م ١٤) من الحاق الأزهر بالحكومة ، فاصبح من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها وهذا ما كان يتقيه ويحذره الأستاذ الامام .

— ٤ —

كذلك فقد كشفت حركة الاصلاح عن زيف القانون الوضعى وحملت لواء الدعوة الى احياء الشريعة الاسلامية واعادة تطبيقها ، وقد كان هذا العمل يجرى فى دقة وتسلسل ضعيف نتيجة ظروف النفوذ الأجنبى المسيطرة ، فقد عرض السيد رشيد رضا كتاب على أبو الفتوح « الشريعـة الاسلامية والقـوانين الوضعية » باستفاضة واهتمام كبير (م ٨) : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين انفسهم أن المبادىء المقررة فى الشريعـة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة فى القوانين الحديثـة الوضعية لا تقابل لها فى الأصول الاسلامية وانما هى بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث فى الفقـه الاسـلامى لا يلبث أن يغير هـذا الظن ، ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا الى الرفاهية فى تقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية ، شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتاخرين وكيف تاليفها ، وما هى عليه من التعقيد قد أوصدت الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقـة الشريعة الغراء غـير المتعطشين لدراستها ولذلك اشـير على من يسلك هـذا الطريق أن يقصـد التآليف القديمة لأنها أسهل موردا واغزر مادة مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية ، اذكر ذلك على اثر مطالعتى لكتاب « الخراج للامام أبى يوسف — ١٨٢ هـ » عثرت فيـه على درر كثيرة لا أبخل بنظمها فى هـذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون بالقوانين الافرنجية أن المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ، ولعلهم

ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لأنهما لا ينافيــان العصر الحاضر وما أجــدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينهــا وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراما فى النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من صنعت لهم . وقال : ان مجلة الأحكام العدلية التى ألفها جماعة من المسلمين أحسن من القانون المدنى الفرنسى وقد أمر السلطان العثمانى بالعمل بها وأبطل به الامتيازات الأجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسية ، كلنا يعرف السبب هو طمع اسماعيل باشــا بالاستقلال والانفصــال عن الدولة بمساعدة أوربا التى يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيتها » .

كذلك فقد أشار الى كتاب الشيخ رضوان شافعى المتعافى : الجنايات المتحدة فى القانون والشريعة حيث حاول فيه بيان مقدار المماثلة بين قانون العقوبات الأهلية وشروحه وبين الشريعة الاسلامية وقال المؤلف : قلما يوجد فى قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير فى كتب الفقــه مثله أو خير منــه فلا عذر اذاً لحكومة اسلامية كحكومة مصر أن تســـتمد قانونها من كتب الافرنج دون كتب الفقه الاسلامى وهى تجد كل ما يحتاج اليه لحفظ الأمن وتأديب المعتدين فى كتب الشرع الدينى الذى ينسب اليهــا دولتها وتدين الله به .

وفى هذا الصدد نشرت المنـــار محاضرة الشيخ على سرور الزنكلونى عن نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها (م ٣١) حيث أشار الى حقائق الشريعة الاسلامية وضرورة تطبيقها .

— ٥ —

الكشف عن مفهوم الجامعة الاسلامية التى كان يخشاها اللورد كرومر ويحذر منها ويشير السيد رشيد رضا الى أن تاريخ الجامعة الاسلامية يعود الى انشاء العروة الوثقى ، حيث دعت المسلمين الى الوحــدة الصحيحة وأن يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » وأرشدت العلماء الى اقامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين فى المذهب كأهل السنة والشيعة الى الاتحاد والاتفاق وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى

فى الدين من أسباب التفرق والانقسام . وان العروة الوثقى لهـــا أثر كبير فاهتز لها العالم هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا ولنفر المسلمين الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الأستاذ المفتى محرر الجريدة : حدثنى بعض أهل العلم من بغداد اذ قال : كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى فى مجلس السيد سليمان أفندى نقيب الأشراف فيتفق رأينـــا على أنه لابد أن يظهر فى العالم الاسلامى عمل كبير قبل أن يصدر العدد الذى بعد هذا ، ولو طال الأمد على جريدة العروة الوثقى لحدث فى العالم انقلاب مهم ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجـــد آبائهم وأجدادهم . كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفحة من روحه وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ولم تكن أقدامها قد استقرت فى مصر فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البـــلاد المصرية كما منعتها هى من البلاد الهندية ، وكان هـــذان القطران أهم موارد امدادها . ثم أنشأ نابغة الخطباء والكتاب « عبد الله نديم » المصرى مجلة الأستاذ ١٣١٠ هـ وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة فى تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم ولسائر الشرقيين وتنشيط هممهم لتلافيها ، ولكن أخرج النديم من مصر لأن جريدته تنفـــخ روح التعصب الدينى ، وفتر الـــكلام الذى يرمى الى « الجامعـــة الاسلامية » حتى أنشأ المنـــار لاحياء تعـــاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها وأضـــأنا قمته بنبراســـــها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز أن المنار وافق العروة الوثقى فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها فى وجهة السياسة المصرية وزاد عليها البحث فى جزئيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة.

قال صاحب الأهـــرام : ان فى طريق هـــذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من جهة الدين ، وقد كاشف برأيه هذا بعض أكابر علماء الاســـلام العارفين بالسياسة (يقصد الشيخ محمد عبده) فراجعه العالم القول وكتب يومئذ صورة هذه المذكرة فى اجتماع واطلع عليه كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت فى صحبة الأستاذ صاحب المؤيد ولم نتفق على نتيجة واحدة . وفى هذه السنة كثرت الكتابة فى تنبيه المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب

وكتبت الأهرام والمقطم عن الجامعة الاسلامية وناقشهما المؤيد فيما كتبا .

وانشأ اسماعيل عصبرنسكى فى بلاد روسيا جريدة أسماها «ترجمان» جعل جل مباحثها فى الشئون الاسلامية وأنشأ مدرستين لتربية ابناء المسلمين .

وقال : ان الأهرام والمقطم متفقتان على أن الدعوة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وأنه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان ، وقال المؤيد ان مسلك الكتاب المسلمين فى الدعوة الدينية مفيد كما أن الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية مفيد واقترح عقد مؤتمر اسلامى فى دار الخلافة العظمى : وتعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات وتكثير الجرائد باللغات التى ينطق بها المسلمون ، والعناية بالقوة الحديثة وتعليم النساء بخصوصهن .

وقال صاحب المنار : ان من يدعى « مسلم حر الأقطار » كتب فى المقطم يأسف لبناء الدين الاسلامى وزعم أن الدين والدولة أمران متباينان يجب ان ينفصل احدهما عن الآخر ، وأبلغ قول يشير الى احكم رأى لمحو السلطة الاسلامية من لوح الوجود فقاتل الله قائله ... (المنار ١٨٩٩) .

وعاود السيد رشيد رضا قضية الجامعة الاسلامية مرة أخرى يونية ١٩٠٠ (م ٣) فأشار الى أن جريدة التيمس قالت ان السبب فى هذه الحركة الاسلامية هى شدة تحامل الأوربيين على المسلمين وذكرت من هذه الجزئيات مقالات هانوتو — والرسالة التى نشرها القسيسون فى مصر وسموها : أيهما المسيح أم محمد ، وأشارت جريدة التيمس بوجوب كف الأوربيين عن التعرض للدين الاسلامى وقالت انهم عادوا بعد ذلك للكلام عن الجامعة الاسلامية ومزج السياسة بالدين وقال : وتعلم التيمس كما يعلم جميع ساسة أوربا وعلمائها أن المسلمين لا وطنية ولا جنسية الا فى دينهم. وأن الذين تربوا فى مدارس الأوربيين حاولوا اقناع المسلمين بأن نجاحهم وسعادتهم فى الرابطة الوطنية وشقاءهم فى الرابطة الملية التى يطلقون عليها عند الذم فقط : لفظ التعصب الدينى .

وفى فصل آخر عن (أوربا والاصلاح الاسلامى) قال : يظن الأوربيون

ان الأمة الاسلامية قد قضى عليها فلا يرجى لها حياة اجتماعية فلما رأوا بعض اعضاء هذه الأمم تحركوا ، ذعروا ودهشوا ، انهم يروعهم اسم الاسلام والجامعة الاسلامية والاتحاد الاسلامى ويظنون أن وراءها غارات تشن وحروب تشن وتعصبا يدمى .

* * *

ويصور السيد رشيد رضا خطوات الاصلاح فى المجلد العاشر من المنار فيتحدث عن اجتماع الشيخان فى باريس حيث أصدرا العروة الوثقى حيث كان قطب سياستهما دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر فى أحوال المسلمين العامة وارشادهم الى ما ينهض الى مجاراة الأمم العزيزة ، وكان من رأيهما أن يشتغل بذلك أهل كل قطر فى قطرهم بالتعاون بينهم وأن يكون لهم مجتمع عام فى الحجاز .

يقول : ولما أنشأت المنار اقترحت على مقام الخلافة تأليف جمعية اسلامية فى مكة المكرمة يكون لها شعب فى كل قطر اسلامى ، وما تقوم به هذه الجمعية من الاصلاح فى العقائد والتعاليم الدينية والأحكام القضائية والمدنية ومن تلافى البدع والتعاليم الفاسدة (وان ابراهيم بك نجيب قد أخذ من هذا ما أودعه فى مقالاته التى كان ينشرها فى جريدة اللواء تحت عنوان حماة الاسلام) ثم ان عبد الرحمن الكواكبى قدم الى مصر ١٣١٨ ونشر بها كتاب سجل جمعية أم القرى الذى صور فيه انعقاد تلك الجمعية المقترحة خفية دون علم الحكومة العلية فى مكة فى موسم ١٣١٦ ، كل هذا كان الاصلاح الدينى ممزوجا بالاصلاح السياسى على المنهج الذى جرى عليه المسلمون من اشتمال الدين على كل شىء. وجه الامام ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين فى أوربا دعوته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى اصلاح حال المسلمين باقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين فكتب ثلاثة لوائح (١) احداها لاصلاح المملكة العثمانية عامة قدمها الى شيخ الاسلام بالاستانة ١٣٠٤ ليقدمها للسلطان (٢) والثانية لاصلاح التربية الدينية والتعلم فى مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت احداهما به لعملت ما يعجز عنه كل جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين . وفى السنين الأخيرة استقر

رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء فى عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الاصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ، ومسالمة أهل السلطة سرا وجهرا والرضى منهم بعدم معارضة الاصلاح فى العقائد والأخلاق والآداب وروابط الاجماع الأهلية والقومية ، وكان يرى أن هذا ميسر للمصلحين العقلاء من حكام المسلمين الأوربيين ، وجاء مصر بعد ذلك اسماعيل عصبرنسكى صاحب جريدة ترجمان التركية (بلاد القرم) واقترح تأليف مؤتمر اسلامى ينعقد فى مصر للبحث فى الأسباب التى كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم وشرط ألا يطرق باب السياسة بل تحصر فى الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

(٦)

ويمضى صاحب المنار فى طريقه عاملا على القواعد التى قررها فى هذه المجالات جميعا ، غير أنه لا يلبث بين آن وآخر أن يذكر مريدى الاصلاح بما يجب عليهم لدفع عجلة حركة الاصلاح الى الأمام فيقول فى المجلد ١٣ من المنار : المنار يذكر مريدى الاصلاح بوجوب التعاون فبادروا الى اغتنام فرصة الزمان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وما ذاك الا ان يجتمعوا على حقهم ويوحدوا طريق التربية والتعليم فى الجمع من علوم الدنيا والدين قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعاليم التقليدية المذبذبة التى تحولهم عن التقاليد الاسلامية الى التقاليد الافرنجية فهم يدحرجون الأمة من تقليد الى تقليد . ان الاسلام نائم فى قلوب العامة فيحتاج الى الايقاظ وقد كثرت صيحات الموقظين ، على أننا لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا سنان ، وانما نجالدهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ونحسن اليهم وان أساءوا الينا ولكن لا نترك أمر الأمة فى التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم .

ثم يقول : يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه ان الأرض يرثها عباده الصالحون وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن حقا عليه نصر المؤمنين وأن الله تبارك وتعالى وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض وقال : ولن

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم فى ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضا بل ولا تحفظون ارثا . لقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله مابكم ، فتنبه الوثنيون وأنتم غافلون واجتمع اليهود وأنتم متفرقون وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم وبأحوال الأمم فى عصركم ، وتدبروا القرآن وما يبينه من سنن الله فى نوع الانسان .

ولم يتوقف عن الانذار والكشف عن كل محـــاولات التآمر على حركة الاصلاح ففى (المجلد ١٩) (١٩١٦/١٩١٧) فصل مطول هاجم فيه الملاحدة المتفرغون الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون وقال ان حجتهم على عامة المسلمين ســـوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين . قال : بلغنا أنهم الفوا فى العام الماضى جمعية لأجل التعاون على تشكيك النـــاس فى الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن فى عقائد الدين وآدابه واحكامه ، وانشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (ربما يقصد مجلة السفور) لهذا وجب على أهل الاصلاح اخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشـــــد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصـــــحاب الخرافات عزل وهؤلاء الملاحـــــدة مسلحون . ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاســـلام بالســـنتهم ، بل لا يعدمون هناك أولياء وانصار لهم فتعذر علينا ما كنا نريد هدمه بدعوى أنه عقبة فى سبيل ترقيتنا فى دنيانا (١) لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناســـــب والاتصـــال . قال أحدهم مفاكها الأســـــتاذ الامام وهو فى مرض موته . (٢) ان طريقتك فى تفسير القرآن قد أحدثت أشـــد الضرر قال الأستاذ لماذا قال لانها أبانت للناس ان الدين موافق للعقل والعلم ويقال ان لجمعيــــة الالحاد الجديدة ركنا فى الأزهر ركينا . انهم لا يخافون من الأزهر ولـــكنهم يخافون من رجال الاصــــلاح لأنهم اقدر النـــاس على اظهار عوارهم وتقليم اظفارهم ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الأمة من السعى الى ترقيتها وتحديثها قد سبقهم اليه طلاب الاصلاح الاسلامى مع المحافظة على مقومات الأمة وتمدينها وشخصياتها ، وانما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

وقال ان محاولة الشيخ محمد عبده فى التفســـــير بأن الدين موافق

للعقل والعلم وركن من اركان المدنية ، كانت حائلا بين رجال التغريب وبين القول بأن الاسلام عقبة فى سبيل ترقية دنيانا .

وقال ان هذه الجماعة معروفة (ولتعرفنهم فى لحن القول) فمنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ومنهم من يبتغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن محجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته .

وقال : اننا بعد أن فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب الملاحدة المارقين وأشار الى جهاد المنار فى طريق التصوف والجمود والجبرية ، وقال انه يتوالد افراد من غرار الشبان وكهول المنافقين ، ولو سكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم اباطيلهم لعظمت جراتهم ، وانتشرت دعوتهم وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة ، وان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين ، والتشبه بما ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالعرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الاسلام ولا فى رؤسائه تلك الأسباب التى حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن فى نص النصرانية فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون ، والصناعات المدنية ، واخراج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، ولهذا وجب على أهل الاصلاح اخذ الاهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون (انا لننصر رسلنا) (ولينصرن الله من ينصره) .

(٧)

لفت نظرى أحد الباحثين الى عامل خطير كان وراء حركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا هى أنها من حيث لا تدرى يمكن أن تحقق للنفوذ الأجنبى (انجلترا أساسا) ما يرغب اليه فى تقويض الدولة العثمانية سواء أكان هذا الهدف واضحا أمام العاملين أم خفى عليهم ، ولذلك كان الشيخ محمد

عبده يقول ان الدولة العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله والقرآن .

● كان الشيخ رشيد رضا ينتقد على مصطفى كامل نظريته الوطنية ولكن مصطفى كامل كان يتحرك داخل دائرة المفهوم الاسلامى والدولة العثمانية ، أما سعد زغلول تلميذ مدرسة الاصلاح فانه أول من حطم هذه القاعدة وخرج على المفهوم الاسلامى جملة الى المفهوم العلمانى .

● ان دعوة جمال الدين عن الوحدة الاسلامية كانت تختلف عن دعوة السلطان عبد الحميد ، وكانت الوحدة الاسلامية التى يتحدث عنها السيد رشيد رضا مما يرضى عنها الاستعمار ولكنها كانت معارضة لدعوة السلطان عبد الحميد .

● لقد عرف رشيد رضا بعد لأى ان فرحته بالاتحاديين ونقمته على السلطان عبد الحميد كانت باطلة وان الامور تكشفت عن أشياء خطيرة .

● بدأ جمال الدين يفتح ابواب الفكر بالفلسفة وقراءة ابن سينا ووسع الباب الشيخ محمد عبده بالكلام والمنطق ، ولكن رشيد رضا استطاع أن يحرر الفكر الاسلامى بمفهوم اهل السنة والجماعة .

● نقطة حولت كل الفكر الاسلامى الى مفهوم الأصالة ، تلك هى مقاومة جبرية الصوفية والنظر الى الاسلام نظرة سلفية أصيلة ، كان هذا مفتاح العمل الاسلامى فى هذا العصر وكان هذا توسيدا للخطوات التى جاءت بعد ذلك حين بدأت حركة اليقظة فى الدعوة الى التماس منهج القرآن فى بناء المجتمع .

الباب الرابع

أحوال العالم الاسلامى

اولا : الدولة العثمانية ..

الاتحاديون والغرب

الكماليون والخلافة

ثانيا : الماسونية والصهيونية

ثالثا : حركات الاصلاح ... الوهابية والسنوسية

الفصل الأول

الدولة العثمانيـــــة

يتصل أمر الدولة العثمانية بالمنار منذ نشأته حتى نهايته ، اتصـــالا لا يتوقف وان كان يختلف من مرحلة الى مرحلة ، هذا الاتصال يرجـــع الى أمرين : الأول : أن الدولة العثمانية كبرى دول العالم الاســـلامى ودولة الخلافة الجامعة بين الترك والعرب (والثانى) موقف السيد رشـــيد رضا نفسه باعتباره من القطر الشـــامى الذى كان جزءا من الدولة العثمانية ثم أصبح بعد الحرب الأولى : سوريا وقد كان لأهل الشام موقف واضح من الخلافة والسلطان عبد الحميد متأثر بدعايات الاتحاد والترقى ، وهو موقف مختلف عن موقف مصر من الدولة العثمانيـــة التى كانت قد أصـــبحت بعد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ منفصلة عن دولة الخلافة وان كانت موالية لهـــا فقد كانت الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل والحزب الوطنى تعارض النفوذ الانجليزى وتوالى الدولة العثمانية ، وذلك بخلاف موقف الشـــــام (سورية ولبنان وفلسطين) الذى كان معـــاديا للدولة العثمانية تحت تأثير الدعايات التى كان يحملها مدحت باشا والاتحاديين والتى وصلت الى غايتها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فقد علقوا زعماء العرب عى المشانق وأفســـدوا الرابطة بين العرب والترك بدعوتهم الى الطورانية باعتبارها قومية بديلة للطابع الاســـلامى الذى عرفت به الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة وكان لعمل الاتحاديين فى تتريك العرب أثره فى انفجار مفهوم القوميات المتصارعة : قومية طورانية وقومية عربية ولقد كان السيد رشيد رضا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد منذ نشوء المنـــار ١٨٩٨ الى سقوط السلطان ١٩٠٨ يكتب كتابات حذرة تخفى الكراهيـــة وتظهر شيئا من المحاسنة والتقية ، فلما سقط السلطان انفجرت هذه القناعة عن حملة شديدة عنيفة حملها السيد رشيد على السلطان وفى نفس الوقت كان ترحيبا وتهليلا بالاتحاديين ، غير أن هذا الموقف لم يلبث قليلا حتى تغير الى شيء من الكراهية والنقد والتحذير لمخططات الاتحاديين دون أن يضعف

موقف النقد لأعمال السلطان — هذا النقد الذى قامت به قوى ضخمة منذ اختلف السلطان عبد الحميد مع الصهيونية وقائدها هرتزل على ادخال اليهود الى القدس — ومن ثم بدأت حملتهم عليه وكان شوام مصر متأثرون بها وداخلون فى تجمعات تابعة للاتحاديين قبل أن يحكموا وينكشف أمرهم . فهذه مرحلة أولية حتى سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ لها طابع خاص وهناك مرحلة تالية وهى مرحلة حكم الاتحاديين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهناك المرحلة الثالثة وهى حكم الديكتاتور أتاتورك الذى الغى الخلافة الاسلامية وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية عصر المنار .

المرحلة الأولى : ١٨٩٨ — ١٩٠٨

فى خلال هذه المرحلة كانت أحاديث المنار عن الدولة العثمانية حذرة ولكنها كانت من ناحية أخرى فيها حرص على بقاء الخلافة مع اصلاحها ، ولذلك هاجمت المنار ما أثير حول الخلافة العربية ودور المرجفين بها (م ٢) وفى عام ١٩٠١ (م ٤) أشار الى أن هناك منشورات توزع بمبايعة الخديو عباس بالخلافة واختلافه مع السلطان (ليون فهمى وصالح بدرخان) والمعتقد أن فى ظل ذلك كانت كتابات الكواكبى . كما قدم فصلا استمر فترة طويلة تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا) م ٣ وجرت أحاديث كثيرة عن الترك والعرب كان رائدها دعوة الاتراك الى دعم الأواصر مع العرب وعدم احتقارهم ، كما تحدثت المنار عن مشروع سكة حديد الحجاز الذى قام به السلطان عبد الحميد (م ٦) وأفردت المنار فصولا ضافية عن الدولة العثمانية تحت عنوان (الدولة العلية) تحدثت فيها عن أركان الاصلاح وامتيازات الأجانب والتجارة بينها وبين أوربا واختلاف الأديان كما تحدث عن السلاطين العثمانيين سليم وسليمان القانونى وعبد الحميد (الأول) وعبد المجيد ومحمد الفاتح (م ٢ ، ٣) .

وخطأ المنار الكاتبين فى الحث على الالتجاء لدول أوربا والاعتماد عليها فى التزام الدولة العلية بالاصلاح على الوجه الذى تراه تلك الدول وقال انه غاية هذا الاتجاه هو تسليم البلاد لها وقال : اننا فندنا هذا القول

الفاسد من قبل وهو لمن يسمون أنفسهم بالأتراك الأحرار وقال : ان الأصلاح لا يكون بتقليد أوربا فى جميع الشئون وهو ضلال أى ضلال .

وتحدث السيد رشيد رضا عن (تعضيد أوربا على الدولة العلية) م ١ .

وقال : ان أسوأ مظاهر حبها وطمعها وبغضــها ما كان فى السنين الأخيرة من أرمينيا وكريد ولقد عادت هــذه السياسة السوأى من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى فى بلاد الدولة وتناول المنار أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام ، والوحدة العربية والترك وأفاض فى الحديث عن مدينة العرب ودور العرب فى الحضارة الاسلامية ، ولابد أن هذه المقالات كانت تكتب كرد فعل لما كان يدور فى كواليس من أسماهم الأتراك الأحرار من تحقير للعرب وامتهــان للاسلام ، ومحاولة الانفصــال الفكرى عنهم وهى النزعة التى استطاعت أن تقضى على الدولة العثمانية والخلافة من بعد والتى كانت وراءها قوى الصهيونية والغرب وروسيا من أجل ما أسموه (القضاء على دولة الرجل المريض) .

وقد أشار الى هــذا المعنى فى مقدمة مقالاته (مدنية العرب) فقال : لم نخرج عن التوجيه والتأليف بين العناصر كلهــا وانما أشرنا الى بعض نزعات التعصب الجنسى عنــد الترك ولا شىء يقربنا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة فى نفوسهم الا الاعتقــاد بأننــا شعب يفهم ويشعر غيسر بالكرامة ويتألم من الاهانة ولا نعنى بالوحدة العربية أن ينفصــل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل نعنى بأن كل شعب يمهد فى ترقية نفسه ملاحظا أن فى ترقيته ترقيا لسائر الشعوب التى تتكون منها الأمة .

وقد أوردت فصول مدنية العرب كتابات عن أثر المسلمين فى الحضارة العالمية كالطب والفلك وغيرهما .

وقد عنى السيد رشيد رضا بدعوة الشعب التركى لتجــديد حكومة الخلافة الاسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسان لا لتأسيس عصبة اسلامية تهــدد الدول الغربيــة وذلك بانهاض الشعب التركى من كبوته التى قضت على السلطة العثمانيــة وتوثيق عرى الاخاء

بين الدولتين الأفغانية والايرانية والدعوة الى شد أواصر الاخاء مع الأمة العربية والتعاون معها على احياء المدنية الاسلامية وتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة فى الكتب الكلامية والفقهية (م ٤) .

المرحلة الثانية : (١٩٠٨ — ١٩١٨)

الاتحاديون والجمعيــة الطورانيــة

فى مستهل هذه المرحلة كان حادث عزل السلطان عبد الحميد ، ومن ثم بدأ المنار موقفا جديدا من الدولة العثمانية بدأه على هذا النحو (م ١١) .

[اعظم احداث هذا العام هو اعلان الدستور العثمانى]

وتحفل المنار بفصول ضافية حول هذا المعنى وقد كشف السيد رشيد عن أنه كان مــع الاتحاديين أو من الاتحاديين ومعهم طـوال هــذه الفترة وبدأ الهجوم على السلطان فى صراحة وعنف واعلان الاعجاب بالاتحاديين فى حماسة وكشف كثيرا من الصفحات عن سياسة السلطان مما كان يجمعه ويحققه فى الفترة الماضية حرصا على أن لا يحجب المنار عن أهل الشــام كما سافر الشيخ رشيد الى سوريا بعد أن حيل بينه وبين ذلك أحد عشر عاما ، وكانت له خطب ومحاضرات فى مختلف البــلاد .

وبدأت المنــار تنشر فصــولا عن الانقلاب العثمانى وتركيا الفتــاة (محمد روحى الخالدى) بدأت م ١١ (ج ١٠) ص ٧٤٢ واستمرت وهى جديرة بالبحث والمراجعة فى شأن التاريخ لهذه المرحلة من وجهة نظر شامية من أولياء الاتحاديين .

وكتب رشيد رضا يقول : حدث ١٣٢٦ هـ الانقلاب العثمانى الذى كنا نسعى اليه فى الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذى كان مانعــا بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين وقد سعيت الى تحسين التفاهم بين العنصرين القوميين لهذه الدولة وهم العرب والترك اللذان سميتهما العنصرين المكونين للماء أو الهواء .

وقد أشارت المنــار الى أن السلطان عبد الحميد تولى فى شــعبان ١٢٩٣ هـ وأن الســنة الثالثــة والثلاثين (١٩٠٨) كانت خاتمــة حــكم السلطان نفسه وبقبضه عن زمام السلطة بيده فان اعلان الدستور حول

الحكم ولى الوزارة ومجلس الأمة ، وقد استمر السلطان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم حتى عزل فى مايو ١٩٠٩ حيث صدر المنار .

(٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ — ١٩ مايو ١٩٠٥ م) مجلد ١٢ تحت هذا العنوان : « **احدى الكبر وكبرى العبر** » : خلع عبد الحميد خان ، نفيه من دار السعادة ، وضعه تحت المراقبة العسكرية ، ضبط أمواله وذخائره وعقاره ، اباحة يلدز للأمة ، تولية مولانا السلطان محمد الخامس .

وقد سافر السيد رشيد رضا الى الأستانة للاتصال بحكومة الاتحاديين وأمضى هناك عاما كاملا للسعى فى شأن الوحدة بين العرب والترك وحماية اللغة العربية ولكنه أحس بأنهم يراوغونه وعاد دون أن تحقق مساعيه أى تقدم يذكر ، وكشف فى (المجلد ١٤) عن مفاهيم جمعية الاتحاد والترقى وموقفهم من الاسلام غير أنه ابان الحملة التى شنها السيد رشيد رضا وشنتها صحف المقطم والهلال وغيرها على السلطان بمناسبة عزله كانت هناك كلمة تقال فى جزء آخر من العالم الاسلامى تختلف عن هذه النغمة ، فقد نشرت جريدة وطن التى تصدر فى لاهور (الهند الاسلامية) بقلم مولوى محمد عن الانقلاب العثمانى فصلا ضافيا تحت عنوان (الانقلاب المشئوم فى الدولة العلية) قالت : نبأ عزل السلطان عبد الحميد الثانى عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الأمة اجماعا على عزله . هل انعزل جلالته من عند نفسه أو عزلته جمعية الاتحاد والترقى التى كانت عند أول ظهوره فى بدء احياء الدستور العثمانى أخيرا مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون أعضائها من الناقمين من جلالته أو الخائفين من ذاته على الدستور .

ان الملاينة والانقياد لم تجد جلالته نفعا وصارت الجمعية تلعب وتلهو به كما تلعب الهرة بالفأرة التى تريد افتراسها وقد أخذت الجمعية تمهد لعزله فأبعدت عساكر الآستانة وأرسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التى جاءت بها من سلانيك وغيرها وطلب من جلالة السلطان أن يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايونى تحت امرة نظارة الحربية . ان جمعية الاتحاد والترقى كانت لا تزال تعتمد على الجيش فى حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بابعاد العساكر الموالين للدستور

الى الولايات . وترى المبعوثين او حزب تركيا الفتاة تائهين فى تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والملكة باسراعهم فى عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم فى غوائل الأمور .

ولى عبد الحميد الملك والسلطنة فى أسوأ الحال من الافلاس وعدم قوة الحربية وخلل النظام الداخلى وهجمات الأعداء الخارجية وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم منقسمة على نفسها اى انقسام ، أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها فشمر عن ساق الجد وقوى مركزها بين الدول واصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا فى أسواق أوربا ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات حتى صار الجيش نفسه القلعة بعد أن كان ...

ثم سعى فى انتشار التعليم والعلوم الحديثة فى البلاد واقتلع صدأ الجهل عن مرارة قلوب العباد ، قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجتهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل من أجل رفاة البلاد والسلطة فعمر الطرق وبنى السكك الحديدية واجرى الترع والقنوات واخصب المفاوز والقفار وأوصل الأقطار بالأقطار وحفظ السلطة من الضياع امام الأعداء الأشداء ففاز فى كل المواقع السياسية المشهورة بهمته الشماء غير مضيع نفسه ومضيع مركزه . وكان فى كل زمان عاملا نشيطا وسلطان صارخا لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلل . يعمل ثمان عشر ساعة فى كل يوم ، ويشتغل فى مهام السلطة كادنى خادم للملك والملة .

(اقرأ المقال بكامله فى المنار م ١٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وما بعده) .

● بل ان الصحف الأوربية المعادية للمسلمين لم تعدم أن تتحدث عن شخصية عبد الحميد ، قالت جريدة ابزرور تحت عنوان خلع السلطان عبد الحميد : ان خلعه قد ذهب عن مرسح العالم السياسى بسخط مفرد كان له نفوذ عظيم فى تكييف التاريخ الأوربى منذ ثلاثين سنة وقبض فى راحتيه على مفاتيح الأسرار الدولية فى الغرب ، وكان احساسه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسدهم ويأسهم ، وكان حسن تبصره فى مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انقاذ تركيا من الوقوع فى أيدى جاراتها القوية الطامعة ؟

اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل فى سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربى عليها عائد الى حنكته وحكمه ، فانه لم يسبق لملك سواه من التقدميين أو المعاصرين أن لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتنة المريبة والبلاغات الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلى عنه بثمار تلك الحوادث ظافرا فائزا بفضل حكمه وحنكته وهو الآن قد ترك العرش فى ظروف مخربة .. ان خصومه وأعوانه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وقدرته على افساد مساعى الأعداء الذين احاطوا به من كل جانب وحبه الذى لا ينكر للاسلام وجمع ما له علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات فى شخصه وأعماله يبنى عليه أو يقصى بعد .. الذين دسوا الدسائس لخلعه ، على أن الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ، ووعد أن لا يهجر يلدز ورضى بالخلع المقدر له من أمد ، ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له أن يقضى بقية حياته مع أولاده فى القصر الذى ولد فيه على أنهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجينا فى بلاده ومع ذلك فقد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف الذى يليق أن يفاخر به .

كذلك فقد كتبت جريدة وطن الهندية ردا آخر على المنار (ص ٤٥٠ م ١٢) وكان محمد روحى الخالدى قد نشر فصولا تحت عنوان الانقلاب العثمانى ، كما نشر سليمان البستانى كتاب الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وجميل معلوف عن تركيا الحديثة وكلها تناولت الحملة على السلطان الذى وصفته بأنه تآمر على حكومة مدحت الأولى وتحدثوا عن السجون والاغراق فى لجج البسفور وجواسيس السلطان ، وكلها شبهات تكشفت فى السنوات الأخيرة بعد أن وضحت الحقائق ولم تكن على هذه الصورة العنيفة التى أراد بها النفوذ الأجنبى تبرير خلع السلطان مع اخفاء الغاية الحقيقية وهى تمكين الصهيونية من فلسطين ، والمعروف أن من يسمون الأحرار أتباع مدحت وجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقى كانوا

قد وقعوا تحت تأثير جحافل الماسونية وحملوا لواء الحقـد على السلطان وخفى عنهم الجـوانب القوية فى شخصيته وخاصة موقفـه من المؤامرة الصهيونية التى حاولت اغراءه بالمال ثم انتقمت منه لموقفه الحاسم .

● وقد استرجع السيد رشيد رضا الدور الذى قام به عبد الرحمن الكواكبى حين جاء مصر فى وقت كان الخلاف قائما بين الخديو والسلطان وارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية وكتب هو عن حسن نيـة فى جريدة المؤيد تلك الفصول عن الاستبداد يريد بها السلطان عبد الحميد بدون انعام النظر السياسى وهم عن خبث طوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحها (وهذه عبارة السيد رشيد رضا فى بحثه عن الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية م ١٣) ويقول وقد ألف كتابه (أم القرى) ولو انعم نظره السياسى لراى الضرر الذى يلحق العـالم الاسلامى بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هـذا المسمى ، ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هـذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف المصوبة .. » .

— ٢ —

فى عام ١٩٠٨ — ١٩٠٩ (م ١١ من المنار) لم تكن الأمور قد تكشفت بعد عزل السلطان عبد الحميد ، ولم تسفر جمعية الاتحاد والترقى عن غاياتها الحقيقة ولذلك فان العرب خاصة وخاصة أعلام الشام كانوا مؤيدين لهـا (الشيخ رشيد رضـا ، عبد الرزاق البيطار ، جمال الدين القاسـمى) وفى هذه الفترة كانت وجهة السيد رشـيد رضا هادفة الى الوحدة والوئام بين عنصرى الدولة العثمانية .

فيقول : [ان ابعاد العرب عن الترك مفسدة من آخر المفاسد واننا فى أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لها لأن مصلحتنا ومصلحتهم فى ذلك] .

ويقول : يجب على العـرب أن لا ينسوا فى اتحادهم بالترك أنفسهم ويتكلوا على غيرهم بل يجب عليهم مجاراة اخوانهم فى التربية التى يقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التي عليهـا مدار العمران ليكونوا

يدا واحدة فى احياء الدولة وليقدروا على ترقية شــأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم .

ويقــول : الدعــوة ان تكون كل ولاية من ولايات الدولة مســتقلة عن ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم المركزية لابد من استقلال كل جنس بنفسه ، أن نبنى حاضرنا ومستقبلنا على الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصة لها ، وأن نكون الآن من أشد الأعوان لجمعيــة الاتحاد والترقى على بث روح الدستور فى جميع الطبقــات ورقباء على الحكومة فى ســيرها واعمالها . والدعوة الى الأخذ بالعلوم الرياضية والطبيعية التى هى حياة الأمة فى هذا العصر واصلاح طرق التعليم بانشاء المدارس الأهلية والجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التى تقوى بهــا الأمة وتعتز الدولة . وقد كان العلماء السابقون يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها ويقصدون النظريات اليونانية فى الالهيات التى تخالف أصول الدين » .

هكذا كان يكتب رشيد رضا فى أول أمر الاتحاديين بنية المصلح المخلص المؤمن بأن هؤلاء القوم يريدون اصلاحا يترابط فيه عنصرى الأمة على رفع شأن الاسلام ولكن الأيام كشفت حقيقة الاتحاديين فكان رشــيد رضا أول من حمل عليهم وفضحهم فى العالم الاسلامى كله .

— ٣ —

فهو لا يلبث أن يتحدث عن الاتحاد والترقى (المنار م ١٤ سنة ١٩١١) يقول : اشتهر أن الانقــلاب العثمانى كان بتدبير جمعيــة الاتحاد والترقى فى سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام أن الانقلاب كان من عمل الجيش وبهذا علا مقام كل ضابط عثمانى ورفع اسم (انيازى ، أنور) على كل اسم ولكن خفى اسم (صادق) وهو أجدر بالظهور فهو رب الدســتور وحاميه وقد رفعت الأمم اسم الاتحاد والترقى بعمــل صادق بك الخفى واخلاصه العظيم وكان أنور ونيــازى سيفين من سيوفه (كتاب خاطرات نيازى) ولما وزعت المناصب طلعت للداخليــة وجاويد للمالية واحمــد رضا رئاسة المجلس ؛ وتقدم اليهود فى نظارة الماليــة على غيرهم وأعلو كلمة الماسونية

والاسراف فى نشرها وتقديم المقدمين منها على غيرهم وجعــل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة ونفوذ . وجاهــد صاحب جريدة (طنين) المحامى عن جمعيـــة الاتحاد والترقى بقلمه المسموم حتى سمى (سفيه القــوم) واقمت فى الآستانة سنة كاملة وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبئات صناديق أسرارها ، ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماســـون ويجهرون فى نشرها وقد جعلوا رجال الحكومة من اعضائها كما ينشرونها فى ضباط الجيش وقد يكون هــذا تمهيــدا للفصــل بين الدين والسياسة وتجريد السلطان من صفة (الخلافة الاسلامية) ومن لوازم تشيعهم للماســـون قوة نفوذ اليهود فيهم وفى الدولة وذلك يفضى الى فوز الجمعية الصهيونية فى استعمار بلاد فلسطين التى يراد بها اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الأول والى ابتلاع اصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد .

ويقول : وقد جعل السيادة للشعب التركى والتوســل بقوة الدولة الى اضعاف اللغة العربية واماتتهــا فى المملكة وتتريك العرب من ابقائهم ضعفاء بالجهل والضغط ومنع الالبانيين والأكراد من تدوين لغتهم وجعلهــا لغة علمية وقفت الآستانة على هذا ورأينا اهــل الرأى والعبرة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب ولم احب أن أشرح هــذه الأمور وأبين ما فيهــا من الخطر بل سعيت الى الاصلاح ما استطعت فلم يغن نصحى لهم شيئا ولما عدت الى مصر أشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماســـون فى هذه المملكة الاسلامية » .

وتوالت الكتابة بمزيد من الكشف عن دور الاتحاد والترقى مما ينفع الباحث اليوم بعــد سبعين عاما فى معرفــة ما يدور فى فلسطين وتركيا على السواء . ففى (المجلد ١٧ سنة ١٩١٤) مزيد من الكشف عن موقف الاتحاديين بعــد الحرب البلقانية واشـــارة الى حزب اللامركزية فى مصر والمؤتمر العــربى فى باريس ومحاولة التفاهم تحت اسم العثمانيين ، حيث يجرى الحديث من حقوق العرب فى المملكة العثمانية والدعوة الى نظـــام اللامركزية وإشـــارة الى أن الحكومة الاتحادية أضاعت بحمقها وغرورها وخبث طويتها جميع الممالك العثمانية الأوربية والأفريقية وأشار الى تفريط الاتحاديين بحقوق الدولة فى خليج فارس والعراق والطرف الشرقى من جزيرة

العرب والتزلف بذلك الى انجلترا ، وأشار الى الاتفاق بين تركيا الاتحادية والانجليز حيث تنازلت الدولة العلية عن جميع حقوقها فى جزيرة قطر وفى الكويت وأشارت الى استيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء والقطيف والغفير (عسير) .

ولم تمتنع المنار عن نشر ما سجلته جريدة دين ومعيشت التى تصدر فى روسيا (أورنبورغ) عن موقف البلاد الاسلامية من السلطان عبد الحميد حيث قالت الجريدة :

انهزم العثمانيون لأنهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك انهم خلعوا سلطانهم الذى خدمهم ٣٣ سنة خدمة جليلة وانهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه واسقطوه عن عرشه ومزقوه من تاجه فان الله حرمهم من الأراضى والأودية كلها وتركهم أذلاء فى العالم ، كان فى مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد أنور بك ونيازى بك اللذان هما قدم شؤم أحدهما قدم بلاد الأرناؤوط فذهبت تلك البلاد ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان .

وأشار المنار الى دور الاتحاد والترقى فى انعاش الماسونية وأن الماسونية راجت بسعيهم وانهم اسسوا لها (شرقا عثمانيا) رئيسه طلعت بك ، وقال ان فى رواج الماسونية فى رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ما فيه وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشت) الروسية ما كتبه المنار وزادت عليه أن اركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيون وجعلت الماسونية فى رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية (وهذا ما حدث بالدور الذى قام به مصطفى كمال من بعد) وقال السيد رشيد رضا : أرجو أن يكون رجال الاتحاد والترقى قد اعتقدوا أن دولة عريقة فى الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية وان العناصر العثمانية لا يمكن ادغامها فى العنصر التركى وانما من الملكة هو ائتلافها معه باقامة الدستور (صادق ، طاهر ، رحمى ، ناظم ، طلعت ، جاويد) وجاهد أشدهم عنفا .

وأفرد السيد رشيد بحثـا تحت عنوان اليهود فى المملكة العثمانية ، قال فيه : خبرنا الآسـتانة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهـود فى جمعية الاتحاد والترقى عظيم وان ناظر المالية اسرائيلى النسب وأنه جعل كاتب سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أنه سيكون لليهود شأن فى هذه المملكة وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الماليـة فى المكان بعظم نفوذهم فيه غير مجهولة . وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية.

— ٤ —

الجمعيـة الطورانيـة

وتحدث المنار (المجلد ١٩) عن الجمعيـة الطورانية ثمرة الاتحاد والترقى فقال : بدت طلائع الطورانية الحديثـة فى الآستانة عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتـد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضـة عامة فى جميع أنحاء السلطنة العثمانية وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الأصلى الانفصال عن الاسلام ولها أغراض عديدة :

١ ــ جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام .

٢ ــ ترقية الروح العسكرى فى الأتراك .

٣ ــ انشـاء علاقات تجارية وغـيرها مع مسلمى أزربيجان وروسـيا الآسيوية وروسيا الجنوبية .

٤ ــ تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربى أو فارسى .

٥ ــ محو الجنسية العربية وادماجها فى الجنسيات الأخرى .

ويرمى القائمون بهذه الحركة الى جعل التركى يعتقد أنه تركى قبـل كل شىء ومسلم بعد ذلك وتربية الأجيال الحاضرة والمستقبلة على الروح الطورانى بانشاء مدارس طورانية والتوسع فى تعليم التاريخ باللغة التركية واشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاســلام
واشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاســلام
والأولاد الذين لهم أسـماء عربية يستبدل أسماؤهم بأسماء تركية بحتـة

(مع العودة الى كتاب المسيو ليون كاهون عن تاريخ الترك والمغول منذ اقدم الأزمنة الى ١٤٠٥ للميلاد) وقد توجت الأكاديمية الفرنسوية هذا الكتاب واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى العام قرأ هذا الكتاب فوضع اساسات النهضة الطورانية التى نحن بصددها ، واعتقادهم صحة النظرية التى ابتدعها (فمبرى) وهى أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية فالاتحاديون يقولون : ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك (مسلمين ليفانتين) وحال دون نشوء حضارتهم ، ان هذه الدعوى على عكس الحقيقة تماما فأن الأتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين انتشروا فى مجاهل آسيا حتى ضفاف (الأوكسوس) لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لأنهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم ولم يحاول أحد قواد الأتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان جينكيز خان كان يحلم بنشر سلطانه عليها ولكنه لم يفعل وكل ما لدى الأتراك من حضارة فهى بفضل الاسلام اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم ، ولما كان التركى مشهورا بروح الخضوع العسكرى لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا فى قبضة الاسلام ، ان العنصر الطورانى لم يشتهر بشىء من قوة الابتداع وما تاريخه الا تاريخ تدمير ، ومما يدل على أن العقل التركى ليس عقلا مستنبطا انه لم يأت بمستحدث فى الاسلام بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو ، ومما تسعى اليه النهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حربية واسعة الأرجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لأى دولة أخرى أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها فى الجنسية التركية لذلك تراهم يسعون لتتريك العناصر العربية بحسب الأساليب البروسية ، قال جلال نورى فى كتاب الفه : ان بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التى يجب أن تكون لغة الدين .

وعرض السيد رشيد رضا لموضوع (الاسلام والجامعة الطورانية) وكيف يسعى الاتحاديون للاشاة الحضارة الاسلامية فقال : اقمت فى الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى

فى كل سـنة من الآيات ما يؤيده ويقنعنى بأنى قد اسـتبقت الى ادراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الأجانب ، ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه لأمكننى أن أنال فى الآستانة من الاتحاديين انفسهم ما لا مطمح لعربى من نيل مثله فقد منانى الاتحاديون اعظم الأمانى لانهم كانوا يظنون انى ما دافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالـكفر والالحـاد وافساد هذه الدولة الا لأن اسلامى سياسى يدور مع المنفعة انى دارت .

لقد حملت على الاتحاديين بعد عودتى من الآستانة حمـلات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها من الشدة ، كما تعلمون اننى لم أكتب شيئا ينافى مصلحة الدولة العثمانية نفسها ولا شيئا ينافى الاخاء الدينى بين العـرب والترك فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين ، والذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الالحادية من العرب قليلين جـدا ولعلهم لم يكثروا الا بعـد أن رأى من رأى خواص العرب فى سـوريا مصلوبين فى أعظم مدنها عمرانا وسـمع من سـمع بأخبارهم ثم بما كان من امرهم مع الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة .

واشار الى كتاب للاتحاديين تحت عنوان (قوم جديد) وكتاب اتحاد رسلام فقال : انه وسع الحديث عن الحركة الطورانية الحديثة وكشف عن أن غرضـها هو هدم المدنيـة الاسـلامية واحيـاء العصـبية التركية على انقاضـها والجمـع بين العنـاصر التركيـة التترية والشـعوب المسـملة اليهـا وفيـها الأمة البلغـارية ، والقائمون بهـا قـوم مشـهورون بعدائهم للاسـلام وبغضـهم عليـه وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بحجة ان الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية وتحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال ولهم فى ذلك وجهان : تمجيد الشعوب الطورانية والقضاء على العصبية العربية .

وأورد (المنار) فى مجال الكشف عن الاتحاديين منشور شريف مكة واميرها الذى اعلن فيه الحرب على الدولة العثمانيـــة والانفصال عنهـــا (١٩١٦) حيث أشار المنشور الى فئة الاتحاديين ووصفهم بالباغين وقال انها هى التى جنت على الدين والدولة والأمة فانحرفت عن صراط الشريعة وابطلت بعض أركان الاسلام وغيرت أحكام القرآن وحجزت على السلطان حتى منعته من التصرف لشـــئون خاصته وقصره ، ونكلت بالأمة فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت فى الشام كثيرا من أهل العلم والرأى والفضل واستحلت مصادرة الأموال واخراج النساء المخدرات والأطفال من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الأناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعى ، ثم ذكر تقحمهم بالدولة فى هـــذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وما جنـــوه على البلاد . ثم بين أن بلاد الحجـــاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاســـد العامة التى اجترمها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لأن الاتحاديين يتعمدون افساد هذا الدين ومحو هذه الأمة العربية من لوح الوجود وحسبنا برهانا على ما تكنه صدورهم نحو العـــرب والدين رميهم البيت العتيق بقنبلتين من قنابل مدافعهم أثنـــاء قيـــام البـــلاد بالمطالبة باستقلالها ... » .

وواصل السيد رشـــيد رضا فى المجلد ١٩ تطورات الأمور بالنسبة لحزب الاتحاد والترقى فأشار الى ما ينشره حزب تركيا الفتاة الذين تعتمد عليهم جمعيـــة الاتحاد والترقى فى تحويل الترك عن الاســـلام والتشكيك فى عقائده وشريعته والتشويه لآدابه وفضائله والمحو لعصبيته من القلوب واستبدال صبغة جنسية طورانية بها .

وقال ان الشريف حسين وجريدة القبلة التى يصدرها محب الدين الخطيب فى الحجاز تعتقد أن الاتحاديين ملاحدة ويكيدون للدين الاسلامى على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية ، وانهم أشد الناس عداوة للعرب ، وأشار الى سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمروه للعرب وما فعله

جمال باشا فى سوريا وانهم كانوا يتأولون للاتحاديين ويرجون صلاحهم ولكن تبين لهم أن بغضهم للعرب أشد من بغضهم للروم والأرمن لسببين أحدهما انهم أعظم أركان الاسلام وانصاره ، وثانيهما انهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا وانهم يهدفون الى ابادة الشعب العربى الناصر للاسلام وتتريك بلاده الخصبة واذلال أهل الجزيرة العربية الأشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وان ملاحدة الاتحاديين اسرعوا فى تنفيذ خطتهم باذلال العرب التى هى مقدمة لاذلال الاسلام .

— ٦ —

ويتساءل المنار فى احدى فصوله : هل كانت جماعة الاتحاد والترقى خيرا من أولئك السلاطين العظام ؟ ويجيب : كلا . ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوشاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانيك وشركاتهم فى النمسا والمانيا حيث يوجد أقوى انصارهم ولذلك نرى همهم جمع المال فلا هم على دين هذه الدولة فيغاروا عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من ابناء سلاطينها وأساطينها فاذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى انهم قد فعلوا فى الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها وقد ثبت انهم اخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية بعد ان كسرت ولاية البلغار جيوش الدولة وكادت مدافعها بطلحة تمرق مسامع أهل الآستانة والسبب كله ما عند الجيش العثمانى من المؤونة وقد خسرت الدولة فى عهدهم المشئوم من الممالك ما لم تخسر مثله فى عدة أجيال . خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياها للنمسا وطرابلس الغرب وبرقة ببيعهما اياهما لايطاليا ومكدونية والبانيا وكريت وجزائر الأرخبيل اضاعوا نصف الدولة فى بضع سنين وحملوها فيها من إثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم فى بضعة قرون .

وهكذا أوشك الستار ان يسدل على الاتحاديين بنهاية الحرب العالمية الأولي حيث يستعرض السيد رشيد رضا نتائج تجربته معهم بعد ان امضى عاما كاملا فى الآستانة عمد فيه علي محاورة زعمائهم ومذاكرة علمائهم ، وعاد وهو موقن أن هذه الجمعية (الاتحاد والترقى) ستقضي علي هذه الدولة وان اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية .

واشار الى ملاقة العرب بالدولة العثمانية فى عهد الاتحاديين فقال : « لم يكن لهذه الدولة هذه القيمة الا بكون بلاد العرب التى هى مهد الاسلام وموطن نشأته جزءا طبيعيا فيها ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة ولا دينا ولا حرمة فاضطهدوهم واذلوهم وحاولوا ابطال لغتهم التى هى لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التى جعلوها لغة (حاكميهم الملية) وجعل بلادهم الحصينة كسوريا والعراق وتركيا محصنة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك فى عقاره والسيد فى عبيده وامائه .

واشار الى هزيمتهم فى حرب البلقان حيث انكسرت الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة ان تأخذ القسطنطينية منها وتحدث عن قضائهم على الزهراوى وعبد الكريم الخليل واشار الى احمد جمال باشا الذى عرف بسفك الدماء والذى خادع أهل البلاد وباظهار الميل الى العرب خدعة وانهم هم الذين ايأسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية واضطروها الى اعلان الثورة فى البلاد الحجازية فكانت من اسباب تقليص ظلها عن رءوسهم وزوال سلطانهم من بلادهم .

المرحلة الثالثة (١٩١٩ — الى نهاية المنار)

اتاتورك واسقاط الخلافة

— ١ —

كانت قضية الخلافة الاسلامية بين مرحلة فصلها عن السلطة ومرحلة اسقاطها هى اهم ما عنى به المنار (فى مجلديه ٢٣ ، ٢٤) فقد استهل مصطفى كمال الموقف باسقاط الدولة العثمانية ، وفصل السلطة عن الخلافة وتكشف بعد مؤتمر لوزان ما وصفه السيد رشيد رضا بأن العالم المسيحى تظاهر على تأليف أوطان خاصة للأقليات المسيحية فى الوطن التركى الصغير : الأرمن والروم والاشوريين والكلدانيين كلهم مسيحيون يجب ان تكون لهم أوطان فى قلب البلاد الاسلامية ولا سيما الدولة التركية ، وقد اضطر الترك الى الصلح لأن شعوب أوربا حاربتهم أربع سنوات فأنهكتهم الحرب وأنهت ثرواتهم العظيمة » .

ومنذ اليوم الأول اخذت المنار تنشر فصولا ودراسات منوعة حول الخلافة والأحكام الشرعية الخاصة بها وكان أبرز الاتجاهات فى هذه الفترة :

أولا : اهتمام الأتراك بنشر دراسات عن الخلافة انتفعوا فيها بدراسات المستشرقين وخاصة اليهود منهم التى ترمى الى القول بأن الخلافة ليست من الاسلام ، وأن الاسلام ليس الا دين عبادى ، وذلك على النحو الذى ترجمه على عبد الرازق وأصدره باسمه من كتابات المستشرق اليهودى مرجليوث .

ثانيا : موقف مسلمى الهند وجهادهم فى سبيل الخلافة الاسلامية وتحرير الجزيرة العربية حيث اخذت جمعية الخلافة الاسلامية بزعامة الشيخ سليمان الندوى تحرض المسلمين على النهوض للوقوف فى وجه حركة الكماليين وقد أشار فى رسالة ارسل بها الى المنار (م ٦١٩/٢٤) الى الحركة التى قام بها المسلمون فى الهند والمطالب التى نهضوا بها أمام حكومتهم البريطانية ومساعيهم التى بذلوها فى سبيل الخلافة العثمانية والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية وكشفهم عن موقف الاتحاديين فى استغلال الأمم والخروج من ربقة الدين والانحياز الى الجنسية

والعنصرية لاضعاف كلمة الاسلام وتوهين جامعـة المسلمين ، وقد دعا المسلمون فى الهند الى التناصر والتآخى والدفاع عن حوزة مركز الاسـلام وهى الخلافة العثمانية وكيف سارعت بريطانيا تعلن انها لن تمس عواطفهم أو حياتهم الدينية او البقاع المقدسة الاسلامية التى ستبقى محفوظة خلال الحرب وآمنة من الحملات وأن للمسلمين وحدهم ان يخوضـوا فى شـأن الخلافة » .

ومن ناحية اخرى أعلن عصمت باشا قيـام الدولة التركية بدلا من الامبراطورية العثمانية واستقلال البـلاد العربية وذكر منهـا الحجاز ، وأعلن أن الملك حسين رئيس الأمة العربية وأكبر زعمائهـا وقال المنـار ان فى تنصيب الملك فيصل بن الحسين على العراق والأمير عبد الله على شرق الأردن ما يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقـة كبيرة ، كما قامت الخلافة المستقلة عن السلطة (وحيد الدين) وعبد المجيد بعده مقدمة لالغاء الخلافة عامة .

ولم يتوقف المنار عن مهاجمـة جريدة طنين التركية فى شأن اللغـة العربية بوصفها لغة الاسلام ، وكانت الصحيفة قد تلقت رسالة من مسلمين فى طشقند وافغانستان ومصر والجزائر وبمباى وبكين يحثون فيها المسلمين على ابتعمال لغـة واحدة فى العلاقات بينهم أسـوة بالقاعدة المتبعـة فى استعمال اللغة الفرنسية فى المسائل السياسية وصرح هؤلاء أن اللغـة التركية تتوفر فيها الصفات الضرورية لهذا الأمر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية .

وكشف رشيد رضا أن هذا الاقتراح مصنوع وأن صناعته غير متقنة وان لغة تركيا التى يرى الآن سلخها من اللغة العربية وتطهيرها من لغـة القرآن لا يمكن أن تصلح لهذا الغرض مع وجود اللغة العربية » .

كذلك فقد نشرت المنار كتاب العـلامة أبو الكلام ازاد عن الخلافة الاسلامية (م ٢٣/٤٥) .

— ٢ —

ولم تلبث الأحـداث أن تواصلت ووقع الحادث الجلل . **اسـقاط الخلافة الاسلامية** وعرضه المنـار فى اهتمام بالغ تحت عنوان : الانقلاب الدينى والسياسى فى الجمهورية التركية : طرد الخليفة وعشيرته من البلاد التركية واستصفاء أموالهم والغاء نظارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف والمدارس الدينية وفى فصـل مطول قال السيد رشيد رضا : بدأ بساسة أوربا وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية فى الشـعوب الأوربية المسيحية العثمانية كاليونان والصـرب والرومان والبلغـار حتى نهضوا بهم الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الأوربية على ذلك حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون السم فى أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة وعصبية الجنس واللغة فى شعب الترك خاصة لكراهة السلطنة العثمانية . ومضى الأحرار يسعون لاسقاط الدولة العثمانية ليبنوا على أنقاضها دولة تركية محضة يكرهون جميـع أهلها على قبول الجنسية التركية وقد فتن المتفرنجون من الترك بتقليد الأوربيين فى نظم حكوماتهم وقوانينها . وعلم السلطان أن الجون ترك يكيدون له فلج فى مطاردتهم فى الداخل والخارج وشغلته هذه المسألة عن اصلاح الدولة والاسراف (ولا شك) ان عطف الدولة البريطانية على الجون ترك ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها اياهم فى سياستها من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن رجال جمعية الاتحاد والترقى ، ألفوا الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية الى استبدال الرابطة التورانية بالاسلام ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم ، ولما اتجهوا الى الحلف الجرمانى فقدت الدولة سائر ما لها فى أوربا وافريقيا وآسيا ، ومزقوا هذه الدولة بمعاهدة سيفر شر ممزق ، ومعاهدة لوزان التى تقرر فيها استقلال ما بقى للترك والغاء الامتيازات الأجنبيـة ، وقام مصطفى كمال بالغاء الخلافة الزمنية أولا ثم الغاء الخلافة بعام » .

ثم تواصلت الأحداث التى تمثلت فى مواقف متعددة حيث جرى البحث عن الخلافة الاسلامية بمناسبة سقوطها والمحاولات التى قام بها الشريف حسن والملك فؤاد وظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق وقيـام الدولة السـعودية فى الجزيرة العربية وتصدت المنـار لكل ذلك

بقوة ودحضت شبهات على عبد الرازق وهاجمت محاولة الدولة الكمالية فى ترجمة القرآن ، وفى فصل مطول تحدث السيد رشيد رضا عن موقف الكماليين من الاسلام فقال :

كنا نعلم ان مصطفى كمال باشا يشنأ الاسلام ويمقته من قبل ان يظهر ذلك ونعلم ان ملاحدة الترك الموافقين له فى السعى لتحويل الشعب التركي عن الاسلام بغضا فيه وفى العرب قوم الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرون وكنا نتمنى قبل تاليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهرون الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركى فأبوا الا أن يهدموا كل ما بقى للدولة فيه من مظهر وشعيرة ، وحكم وعمل وعلم ، وقد وضعوا فى قانون الجمهورية ان دين الدولة الرسمى هو الاسلام فلم نشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه فى الأمة. ان هذا اللقب قد وضع تقية ، لئلا تكون لمفاجأة الأمة بترك دينها اسما ومعنى تاثير تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيرا بعد أن صرح مرارا بأن التركى حر فى اختيار الدين الذى يعجبه وثنيا كان أو يهوديا أو نصرانيا ولعمرى أنه ليس حرا فى أن يكون مسلما فانه يجبر اجبارا على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام ، وقال : لقد سمى الغاء الأحكام الشرعية توحيد للمحاكم وسمى منعه للعلوم الاسلامية وابطالها توحيد للتعليم التركى وسمى تفضيله للقوانين الأوربية المسيحية الأساس كقانون سويسرة للأحكام الشخصية ايثاراً للأحكام الحديثة ، وهناك رواية أنه يريد أن ينصر الشعب التركى ولكن يود أن يأخذ ثمنا على ذلك من الدولة البريطانية وان من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا المصرى الأصل المقيم فى الآستانة الذى كان يرسل جريدة الأخبار المصرية الاسلامية قبل ان يصل أمر الحكومة التركية الى هذا الحد ، فلما نزح فى الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك الالحادية بجريدة الأخبار . وقد كتب الأمير شكيب ارسلان مقالات فى اظهار خفايا شنآن الحكومة التركية للاسلام والعرب نشرتها جريدة الأخبار فتولى الرد عليها عمر رضا هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ثم شايعتهم جريدة

السياسة في مصر ولم يرد له أحد حجة ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا أنه ليس له حق فى الدفاع عن الاسلام لأنه من طائفة الدروز ، والأمير شكيب من أنبغ مريدى الأستاذ الامام الذين تلقوا عنه عقائد السنة السامية وحكمها العالية فى بيروت فكان بهذا من أنصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين (م ٢٨) .

وواصل السيد رشيد رضا كشف « حقائق عداوة ملاحدة الترك للاسلام » وعملهم على محو الاسلام من الشعب التركى وتاسيس دولة تركية محضة وجعل الولايات العربية مستعمرات لهذه الدولة وتتريك سائر العناصر العثمانية ومن يقدر على تتريكه من العرب وانهم اتخذوا سياسة المراحل فى القضاء على الاسلام فمهدوا لالغاء الخلافة بتنصيب خليفة روحانى لا عمل له وقال انهم فشلوا فى هذه الخطة لأن الشعب التركى يدين بالاسلام وهو ساخط على الحكومة لشعوره بانها تهدم دينه الذى هو مناط أمله .

وتحدث عن خط هجوم الكماليين على الاسلام باستبدال الأحرف اللاتينية بالحروف العربية ووجوب محاربة هذا الخط على العالم الاسلامى فقال : لقد بات مقاومة هجوم الكماليين فرضا مقدسا على المسلمين ليستطيعوا الاحتفاظ بدينهم هم وذراريهم المستقلة فان أعداء الاسلام فى أنقرة لم يجدوا أمامهم عملا الا استئجار الكتاب من اوربيين وشرقيين بأموالهم وأموال المفسدين لنشر الدعاية ضد الاسلام يدعون الى استبدال الأحرف اللاتينية بالعربية كما فعل ذلك لويس ماسينون فى باريس للقضاء على الأحرف العربية (م ٢٩) .

الفصل الثانى

الماســونية والصــهيونية

كان السيد رشيد رضا من اليقظة والوعى بالتيارات العالمية والمؤامرات التى تجري حول عالم الاسلام فكان من ذلك استشفافه لأخطار الماسونية منذ وقت باكر ففى المجلد السادس (١٩٠٣) تحدث عن هــذه الارهاصات فقال : راى جمال الدين ان نحلة الماسونية تجر هــذه البــلاد الى أوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهى كالخيوط التى يربط بها المشعوذ التماثيل التى يلعب بهــا من وراء ستار ، فيحسب الصبيان انها هى التى تلعب بنفسها . وهكذا كانت مصر الموبة فى أيدى الأوربيين فأراد ان يربى رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همتــه الى استخدام الماسونية فى تعليم تلاميذه ما لا يمكن التصريح به الا فى جمعية سرية فدخــل فى الماسونية ودخل معه تلامذته التابعون فجمــل بهم قوة للمصريين وصار رئيس مجتمعهم ، ولــكنه كان غاليا فى مضادة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم فى مصر وقد صرح بذلك كتابة مقاوموه حتى اضــطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ، ولم يكن للماسونية عمل فى مصر الا فى تلك الفترة ثم ان الماسونية صارت فى مصر آلة لبعض زعمائها فى جلب المنافع ثم كثر فيها الغوغاء حتى قــل احترامها وانطلقت الألسنة بالطعن فيها وليس هذا مما يعنينا الآن .

وفى نفس المجلد تحــدث عن الماسونية واليهــود فقال : الماسونية جمعية سرية تكونت فى أوربا لمقاومة اســتبداد رؤساء الدنيــا من الملوك والأمراء ورؤســاء الدين من البابوات القسيسين الذين كانوا متضــافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهــود والنصــارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها متفرعة من الكتاب المشترك الذى يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناة الهيكل المقدس : هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى ، ثم ان الافرنج لما تغلغلوا فى الشرق ورأوا مزاج الســيادة الاسلامية لا يقبل مشــاركا له فى حكمه

فهو يجيش بانفعال جميع المسلمين لنبذ سلطة من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم فأدخلوا طائفة منهم وبقى أكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزعة من نزعات الكفر أو وسيلة اليه الا ان الشعب المصرى سريع الانقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون فى هذه الجمعية من اهله على ان اهله يتصلون بالأديان ويدعون عدم التعرض لها بحال ... »

ومضى السيد رشيد يوالى أمر الماسونية على صفحات المنار فتحدث (م٨) عن مؤلفات جديدة بدأت تظهر بالعربية منها تاريخ اليهود لشاهين مكاريوس ، والحقائق الأصلية فى تاريخ الماسونية العملية ذكر فيها أعمالها السياسية السرية التى كانت من أعظم أسباب الانقلاب السياسى فى أوربا (وتابعه بعد ذلك جرجى زيدان) ومضت الأحداث المضمرة من أعمال الماسونية فى الدولة العثمانية وفى السيطرة على جماعة الاتحاد والترقى وكانت قد حملت لواء القضاء على السلطان عبد الحميد بالقتل والانقلاب وقد جربت الاثنين ففشلت الأولى ونجحت الثانية ، وبعدها انكشفت أوراق الماسونية التى كانت قد خدعت الكثيرين ممن دخلوا فيها ظنا أنها وسيلة للنهضة أو وسيلة للبر أو مقاومة النفوذ الأجنبى . ففى عام ١٩١١ (م ١٤) اتضح الموقف وكتب السيد رشيد رضا عن الماسونية فى البلاد العثمانية قال : كان السلطان عبد الحميد عدو للجمعية الماسونية لاعتقاده أنها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وازالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها وقد تنفس الزمان للماسونية بعد الانقلاب الذى كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا « شرقيا عثمانيا » أستاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالى بسخط الأمة ولا برضاها فى ادارته التى استعانت فيها المملكة بالسنة ولاياتها الا ولاية سلانيك وكذا أدرنة فيما أظن والسنة مبعوثيها حتى بعض الاتحاديين وسلانيك هى الآن مركز السلطة الحقيقية فى المملكة وانما الآستانة مركزا للتنفيذ .

ثم واصل المنـــار الحديث فى المجلد ١٤ (١٩١٢) ومنهـــا أول كلمة صريحة وأول اعتراف بانصاف السلطان عبد الحميد وقال انهم كان لهم اثرهم فى الثورة الفرنسية وفى الانقـــلاب العثمانى ثم نشر بيـــان الأميرلاى صـــادق بك عن الماسونية والاتحاد والترقى وأشـــار الى مقالة مجـــلة دين دمعيشت الروسية أن جمعية أركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعـــا من الخفير الى السلطان ماسونيين وجعلت الماســـونية مهمة رجال الدولة منصبة الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية .

— ٢ —

وكان هـــذا كله مقدمة للحديث عن الخطر الصهيونى الزاحف الذى لم يغفل عنه السيد رشيد رضا فقد كانت افتتاحية المنـــار (يناير ١٩٠٢) ١٣١٩ هـ عن أخطار الجمعية الصـــهيونية فقال : ان رياض باشـــا اطلع على كتاب لبعض الأوربيين المجاورين لليهـــود عن الجمعيـــة الصهيونية ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيـــل وقال انه يعرف هذه الجمعية منذ خمس سنوات (أى منذ عام ١٨٩٧) وهو تاريخ عقـــد مؤتمر بال وظهور البروتوكولات ، وقال انها جمعية سرية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم ، وجاء ذكر هـــذه الجمعية فى منار السنة الأولى (ص ٤٤/٤٥) وفيه أن حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة فى النمســـا والمانيا وانجلترا وأمريكا . وهى تتظاهر بنقـــل فقراء اليهود المهاجرين والمقيمين الى بلاد فلســـطين فلما وثقت بقومهـــا الآن خرجت من مضيق الكتمان وقد بعثت منـــذ أشـــهر المســـتر اسرائيل زنقويل من لنـــدرة الى الآستانة للمساومة على شراء القـــدس الشريف ويقال أنه لقى من الحضرة الســـلطانية التفاتا وانعطافا وبعد عودته خطب فى الجمعية فقال : ان اليهود سيرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التى لا يمكن أن تغرب شمسها عن سماء أفكارهم وسيبلغ عددهم فيهـــا عام ٢٠٠٠ أى فى آخر القرن العشرين المسيحى مائتى ألف ألف (مليونين) نفس وسيجعلون تلك الأرض جنات عالية قطوفها وينشئون فيهـــا حدائق ذات بهجة ويصلون أطرافها وأرجاءها فيكون شعب اسرائيل منارا على جبل صهيون تهتدى به الأمم ، وقال ان غاية ما يرمى اليه اليهود هو جمع

النقود الكافية لابتياع أرض فلسطين من السلطان وبلغ ما جمع الآن الف الف ريال أمريكانى (مليون) هذا ما نشرته الصحيفة العبرانية الفرنساوية والموضوع بكامله (ص٨٠٦ مجلد ٤ من المنار) ويبدو أن السلطان عبد الحميد لم يكن قد حدد موقفه من الصهيونيين فى هذا الوقت ولذلك فانه لم يعلن موقفه الا بعد أن أتاح لهم الفرصة فى ذكاء السياسى لطرح كل ما عندهم وقد أشار هرتزل فى مذكراته أنه تردد أكثر من مرة على السلطان وان السلطان قد حسم الموقف فى النهاية على النحو الذى أزعجهم وجعلهم يرتبون قتله أو اسقاطه ومن ثم اعلنوا عليه تلك الحملة الضارية التى قادها صحفيو المارون فى مصر وغيرها فى المقطم والهلال وكتابات سركيس وغيره .

وفى المجلد الرابع عشر من المنار سنة ١٩١١ تحدث السيد رشيد رضا عما أطلق عليه المشروع الأصفر فقال : خبرنا الآستانة باقامتنا منها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود فى جماعة الاتحاد والترقى عظيم ، وان ناظر المالية اسرائيلى النسب وانه جعل كاتم سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أن اليهود سيكون لهم شأن أى شأن فى هذه المملكة ، وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الحالية فى المكان تعظم وتعوذهم فيه غير مجهول وأشرنا الى ما يخشى من مغبة ذلك فى أجزاء السنة الماضية ثم جاءت أنباء مجلس الامة العثمانى فى هذه الأيام مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية فى المملكة العثمانية وانكروا على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكرى فى الآستانة لشركة أجنبية بثمن دون المثل بسمسرة بعض اليهود ، كذلك أشارت المنار الى أن جريدة الكرمل نشرت مقالات عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لاعادة ملك بنى اسرائيل .

— ٣ —

وتحدث عن ما نشرته صحف سوريا فى مشروع الأصفر حيث قال ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الأموال الأوربية فيها وزمام هذه الأموال فى أيدى اليهود ، وترى الصحف أن الخطر من الصهيونية ينحصر

فى شىء واحد هو امتلاكهم للأرض المقدسة ، والخطر من استعمال أموال الأجانب اليهــود ينحصر فى غرق الأهالى والحــكومة فى الديون وثانيهما تمليكها لرقبة البلاد بأن يكون اكثر الأرض أو الكثير منها لهم ، وقال لقــد زادت ثروة مصر بأموال الأوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ولولا جراة الفلاح المصرى على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغــير حساب ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العــامة .

وأشار السيد رشــيد رضا الى ان المنــار كان هو السابق لجميع الصحف فى التنبيه الى نفوذ اليهود الصهيونيين فى جمعية الاتحاد والترقى وما فيــه من الخطر على الدولة ، وقد ظهرت الحقيقــة فى مجلس الأمة العثمانية وعلى لسان الصدر الأعظم حقى باشا الذى صرح فى خطــاب له بأن اليهود هم أصحاب المستقبل فى هذه الدولة ، حتى فى أمورها الادارية والعســكرية .

— ٤ —

ويتحدث السيد رشيد رضا فى مقال مطول عن بنى اسرائيل فأشار الى كيد اليهــود فى شــل عرش ذلك السلطان الدينى والدنيوى فى أوربا وانه لولا ذلك لمحت العصبية الصليبية راية الاسلام فى الشرق كما محتها فى اكثر أوربا ولما وجدت هــذه الحضــارة المؤسسة على قواعد العــلوم والفنون والحرية التى نفحها روح الاسلام فى الأندلس والشرق ثم انتقلت الى ايطاليا وفرنســا فسائر بلاد الغــرب ثم يقول : على أن الشــعوب الأوربية الحرية بالطبع الموروث قد كفرت بنعم الله فى العــلم كما كفرت بنعمته فى هداية الدين فهى تستخدمها فى الاستعداد لدك معالم الحضارة والعمران وابادة بعض شــعوبها لبعض ، فاليهود يلتوون لهــذه الدول وشــعوبها فى شرق أوربا وآسيا بالبلشفية وفى غربها بخصمها الراسمالية والغرض من الكيد من ازالة بغى القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربا التى تساعدهم على غرضــهم الأساسى وهو تجــديد ملك يهــودى يكون له النفوذ الأعلى فى العالم ، فهم الذين تلو عرش السلطان البابوى

بقوة العلم والمال لأنه كان يضطهدهم فى كل مكان وهم الذين وضعوا سلطان الحكم العنصرى بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية أخيرا لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى على تقويض سلطان الخلافة التركية تمهيدا لتمكنهم من امتلاك فلسطين لا لاضطهاد الترك لهم وهم الذين قوضوا صرح القوة الألمانيـة فى الحرب الأخيرة بما بعثوه من سموم الثورة فى أسطولها وفى جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم فى حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفاء عليها ثم سعوا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحية ولا قومية ، وما كان هذا الا خدمة لانجلترا وجزاء على عهدها بلسان لورد بلفور فى تأسيس وطن قومى وملك يهودى فى فلسطين فكيدهم لألمانيا ككيدهم للدولة العثمانية لا ككيدهم لدول الاسفن والعنصرية الروسية . الظالم سيف والله ينتقم به ثم ينتقم منه رواه الديلمى فى مسند العروس بلفظ عدل الله (م ٣٣/٣٤٧) .

ثالثــا : الحركات الاصلاحية
(الوهابيــة والسنوسية) وغيرهما

— ١ —

أولت المنار على مدى عمرها الطويل اهتمامها بالحركات الاصلاحية الاسلامية وتابعت حركة اليقظة الاسلامية فى مختلف اجزاء العالم كما أولت اهتماما بالغا بالمؤتمرات الاسلامية التى عقدت فى الهنــد ودمشق وجنيف ومكة المكرمة وبيت المقدس ، بل لقد اهتمت بمؤتمر أم القرى الذى تخيله الكواكبى ١٣٢٠ هـ .

مؤتمر ندوة علماء الهنــد ١٩١٢/١٣٣٠ .

المؤتمر السورى العــــام بدمشق ١٩٢٠/١٣٣٨ (وقد انتخب السيد رشيد رضا رئيسا للمؤتمر) .

المؤتمر السورى الفلسطينى بجنيف ١٣٤١ .

مؤتمر مكة المكرمة الســـعودى ١٣٤٤ .

مؤتمر بيت المقدس ١٣٥٠ (ديسمبر ١٩٣١) .

كما تابعت نهضة الاسلام فى الهند وفى جزر الملايو فتحدثت عن أحمد خان الهندى وأحمد دحلان ومدح المنار أحمد خان الذى أنشأ جامعة عليكرة لأنه كان دائما موضع المقارنة مع الشيخ محمد عبــده فيما نعـــله كلاهما للخروج من دائرة التقليد وبحث الاسلام بحث المجتهد المحقق كما يقول المنار (ص ٣٣ م ٧) ولكن الأبحاث بعد ذلك كشفت عن جوانب أخرى بالنسبة للرجلين .

وفى المنار المجلد ٢ ص ٢١١ كتب السيد رشيد رضا عن السنوسية كما كتبت عنها صحيفة ألمانية (دى كولونى) وأشار الى أهميتها من حيث انتشارها السياسى وانها انشئت ١٨٥٥ بواحـــة جغبوب محمد بن على السنوسى المولد ١٨٩١ على حدود الجزائر المتلخمة لمراكش ، بارج وطنــه

١٨٣٠ مشعلا نار النقمة على الفرنسيين الذين كانوا استولوا على تلك البلاد وقد حط الرحل بعد الرحلة فى واحة جغبوب ١٨٥٥ ، كذلك فقد واصل الحديث عن طريقة السنوسية من الاسكندرية ودرنة (م ١٥) ودعوة السيد أحمد الشريف السنوسى الى جهاد الايطاليين كما تحدث عن ثورة السودان التى قام بها الامام المهدى (م ٢) وتحدث عن النفوذ الانجليزى فى البلاد الاسلامية والامتيازات الأجنبية ، وتحدث عن تعصب غلادستون وسالسبرى ضد الاسلام .

واولت الاستعمار اهتماما كبيرا فتحدثت عن السياسة الهولندية فى جاوة وعن سياسة فرنسا فى مراكش .

كما تحدثت عن انتشار الاسلام فى مجاهل افريقيا نتيجة أسفار المسلمين وتوغلهم بقصد الكسب والاتجار فلما انس الأهالى منهم الوفاء والاستقامة اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا ونما بينهم الاسلام، حتى قال أحد الرحالة الأوربيون أنه لم يكن يأمن على نفسه اثناء رحلته وأثناء تطوافه الا عند المسلمين .

واولى المنار اهتماما كبيرا حول المسلمين فى الهند ونشر نصوصا من محاكمة الزعيم المسلم ابو الكلام ازاد فى الهند وخطابه الذى القاه عند محاكمته أمام المحكمة الانجليزية ووصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (م ٢٤) .

— ٢ —

ولقد كان لأحوال الحجاز والجزيرة العربية موضعا هاما ومتابعة كاملة وقد والت المنار أخبار الثورة العربية التى قام بها الشريف حسين وما اتصل بها من تمزيق البلاد العربية بمعاهدة سايكس باكو وقيام نظام فى سوريا ملكى ثم احتلال فرنسا لها وما يتصل بموقف الشريف حسين من النفوذ الأجنبى ومسألة فلسطين .

ثم توالت الأحداث وزحف النجديون على الحجاز وتم استيلاء الملك ابن السعود على جميع الحجاز ديسمبر ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) واشار الى ما كان بين سلطان نجد والبيت الهاشمى .

وفى مجلد (٢١) تحدث المنار عن الخلاف بين النجديين والحجازيين قال : لفظ الوهابيـــة يطلق على اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العـــالم السنى الشـــهير المجـــدد للنهضة الدينية فى نجد ، فقد اتخذ أمير نجـــد تلك النهضة فى ابان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التى طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمى ولا ادارى .

وقد انبرت حكومة الآستانة لمناهضته واخراجه من الحجاز الذى هو مناط عظمتها وسلطتها الاسلامية واستعانت على ذلك بحكومة محمـــد على باشا التى كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها وارادت أن تشوه تلك الحركة الاصلاحية فأذاعت أنها عبارة عن أحداث مذهب جديد مبتدع فى الاسلام مخالف لمذاهب أهل السنة وأغرت أنصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله وتكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب فى الأصول غير مذهب الســـلف الصالح ويتبعون فى الفروع مذهب الامام أحمد بن حنبل واصحابه .

واشار الى رواية الجبرتى عن الوهابية وعسكر محمـــد على .

ثم قال : ولا يزال مسلمى الحجاز ومصر وسوريا والآستانة يظنون أن لأهل نجد مذهب مخالف لمذاهب أهل السنة لأن بعض الذين كتبوا عنهم قالوا انهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون فى النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ما يعد اهانة وكانت قد صدرت الارادة السنية الى محمـــد على بقتالهم وردع هـــذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم فى البـــلاد الاسلامية فأطفأ سراجهم وبدد شملهم .

ولم يكن فى هذه الفترة من الممكن قول كلمة الحق عن الوهابية لخوف الدولة العثمانية منها ومعارضتها لها ، ثم أشار الى ثورة الشريف حسين على فعلة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بحملتهـــا فى عهـــد الحرب الأوربية وقد أقنع بعض أهل الفترة والأحلاف من العرب باتخاذ ذلك وسعى الى جمع كلمة عرب الجزيرة فى سبيل انقـــاذ عرب ســـوريا والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم . وقد ســـعى بعض الطامعين فى جمع الكلمة بعقـــد اتفـــاق بين شريف مكة والأمـــير ابن ســـعود صاحب

نجــد والامام يحيى صاحب اليمن والادريسى صاحب عســير على قاعدة الاعتراف بكل منهم باستقلاله فى بلاده والتعاون بينهم على دفع العــدوان الأجنبى ورفع شــأن الجنس العربى ، وبدأت حكومة الحجاز فى الطعن فى أهل نجد والدعوة الدينية الى مثالهم ، وقد ارسلت حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال الشريف خالد فى الخرمة . وتضمن منشور ملك الحجاز ١٣٣٦ الاشــارة الى البدع والزيغ الدينى عن منتحلى العقيــدة الوهابية المكفرين لكل العالم الاسلامى

وتحــدث عن موقف حكومة الحجــاز وتكفير الوهابيين والنجــديين والدعوة الى تعاليم باسم الدين وقد أرسل ابن سعود بيانا الى أهل الشام قال فيه : نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله ونقر بترتيب الأصحاب كما جاءوا فى الحكم والاستخلاف ونقلد فى عباداتنا الامام الأعظم أحمــد بن حنبــل ونعترف ان اخوته الأئمة الباقين هم مثله فى العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يغركم ويفسدكم ويفتنكم فتعطوه صبرا ومالا . وقال : هم اخوتكم فى الله يجاهدون فى الله ولم يسبق بيننا وبينكم عــداوة ولا نحن طامعون فى بلادكم فخلوا بيننا وبينه ليزول الاعجل ويقضى الله أمرا كان مفعولا » (م ٢١) .

ثم واصل السيد رشيد رضا كشف حقيقة الوهابية وتجلية منشــأ الطعن فيها فقال : ان سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسى محض ، كان أولا لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخــوف الترك من أن يقيموا دولة عربية ولذلك كان الناس يهجون عليهم تبعا لسخط الدولة الى أن حددها الملك حسين فى الحجاز وولده فيصل فى العراق وولده الأمير عبد الله فى سوريا (فلسطين) لقد اصدر الملك حسين عــدة منشورات فى جريدته ١٣٣٧/١٣٣٦ رماهم فيها بالكفر وتكفير أهــل السنة والطعن فى الرســول الأعظم وانه لابد للسلطان من قتالهم ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له أثر فى بعض الجرائد وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام وجرت مناظرة مع علماء مكة (م ٢٤) .

ثم انتهى الموقف بانتصار السعوديين واستيلائهم على مكة والمدينــة والطائف وجدة واستقر أمرهم وتعرف المسلمون على حقيقة دعوة التوحيد

التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتكشف زيف دعاوى النفوذ الأجنبى فى تشويه الحقائق واستغلال ذلك سياسيا ».

ويتحدث السيد رشيد رضا فى المجلد (٢٧) تحت عنوان « الوهابيون والحجاز » فيقول : مما خص الله به هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وان الله تعالى يبعث فيها مجددين لأمر الدين كما ورد فى الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة تثبت صحة معانيها بالفعل .

ولقد كان من أجلهم فى القرون الوسطى قدرا وانبههم ذكرا شيخ الاسلام احمد تقى الدين بن تيمية رحمه الله فقد أتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر ، وقد تصدى للرد على النصارى واهل البدع والف فى ذلك المصنفات الدالة على سعة علمه وقوة حجته وقد شهد له اكابر المصنفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وايذائه وصده عن نصر السنة واحياء مذهب السلف بعض كبار العلماء الرسميين المقربين الى الملك فاوذى وحبس فى هذا السبيل وظل اولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كثير حتى احياها الله تعالى فى بلاد نجد بظهور المجدد الداعى الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب واولاده واحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد فى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم فى نهضة الاصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الاسلامية فى عهدنا هذا من القرن الرابع عشر وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجددا للاسلام فى بلاد نجد بارجاع اهله عن الشرك والبدع التى فشت فيهم الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادهم أنهم يريدون تأسيس دولة عربيــة قوية تزيل ما لهم من

السلطان فى جزيرة العرب ويتبع ذلك هـدم الخلافة التركية ثم ظهر لهم أن مصلحتها تقتضى بالاتفاق مع آل سعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بين الدولة فيها فعلت ذلك اما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فقد ظلوا فى الطعن على دين الوهابيين وافتراء الأكاذيب عليهم ، وأشار الى دسائس الشريف حسين لآل سعود ، والى زحف السلطان عبد العزيز على الحجاز وانقاذه منه ، وقد نشر السيد رشيد رضا بضع مقالات فى جريدة الأهرام وفى المنار كشف فيها عن ان هؤلاء النجديين الذين يلقبون بالوهابيين سنيون متمسكون بمذهب السلف فى العقائد وبمذهب الامام احمد فى الفروع وانهم أشد شعوب المسلمين فى هـذا العصر اتباعا وابعدهم عن الابتداع ، وان الاستعداد للاصلاح الاسلامى الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقـوى .

الباب الخامس

ميادين العمل الصحفي الاسلامي

الفصل الأول : التعريف بفضل الاسلام

الفصل الثانى : الدفاع عن اللغة العربية

الفصل الثالث : التربية والتعليم

الفصل الرابع : قضايا المراة والمجتمع

الفصل الخامس : احياء التراث

الفصل السادس : اعلام المنار ووفيات الأعيان

الفصل السابع : الصحف والمجلات

الفصل الثامن : الجماعات الاسلامية

الفصل الأول

التعريف بفضل الاسلام

— ١ —

كان صدر السيد رشيد رضا ممتلئا ايمانا بعظمة الاسلام وفضله وامجاد تاريخه على نحو واضح فى كل صفحات المنار ، ومنذ العدد الأول أولى اهتماما كبيرا لابراز عظمة الاسلام « كمنهج اجتماعى وحضارى » كان له أبعد الأثر فى الحضارة الانسانية عامة وفى الحضارة المعاصرة وفى تمدين البشرية ولذلك فقد أولى اهتماما بأدوار عدة :

اولا — عرض ما جاء فى تقدير الحضارة الاسلامية والشريعة الاسلامية فى كتابات الغربيين .

ثانيا — عرض صفحات من التاريخ الاسلامى وتاريخ الأندلس ودور المسلمين فى بناء المنهج التجريبى واقتباس أوربا من الاسلام .

ثالثا — دور العرب فى بناء النهضة الاسلامية العالمية والتحدث عن مدنية الاسلام فى الطب والفلك وغيرها .

رابعا — الاهتمام بالشخصيات ذات الشأن فى التاريخ الحديث التى أولت اهتماما وتقديرا للاسلام .

خامسا — عظمة القرآن وصلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر وكل العصور .

وهكذا مضى المنار لطيته منذ اليوم الأول الى اليوم الأخير فهو يتحدث عن اعادة مجد الاسلام تحت عنوان : كيف يعود للاسلام مجده فيقول : **الجواب من الكتاب (كما بدأكم تعودون) ومن السنة (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) ومن كلام علماء العمران أن التاريخ يعيد نفسه .** ويقول : لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاسلام لأنها وسط بين الأمم ولم يكن لها رؤساء فى الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد ،

بل سلامة الفطرة وغيرة النفس وشدة البأس ، ولم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون منه على وحي سماوي وعلى سلف من الانبياء فيدافع ما جاء به الاسلام او يزاحمه ، واشار الى انه يوجد من المسلمين بعض المتعلمين على الطريقة الأوربيــة وأكثرهم من الأتراك والهنود وعدد قليل من المصريين منحرفون عن صراط الدين غير مصبوغين بآدابه وفضائله ، وهناك سكان البوادي من العرب فانهم لم يصبهم من ظلم الظالمين ما أصاب غيرهم » طائفة يعسر عليها أن تجاري المدنية الحاضرة قال : والمنار يدعو الى الوحدة الاسلامية التى تضمن لسائر الشعوب والملل حقوقها في بلاد الاسلام على اكمل وجه : هذه الوحدة الاسلامية لا يتيسر القيام بتعميمها من مصدر واحد من اختلاف لغات المسلمين ومذاهبهم وحكوماتهم واقطارهم ومذاهبهم وان الخطر الذى يتهدد العرب ابتلاع الأمم المتمدنة لهم ، فاذا كسر باب المسألة الشرقية انحسر الترك لأنهم عنصر مستقل ولكن البلاد العربيــة تذهب فريسة المطامع اذا تقلص عنها ظل الدولة العثمانية ومجد الاسلام انما يحفظ بمجد العرب وانما يعود مجد الاسلام بالأصول والأعمال التى أخذ بها المسلمون عند ظهور الاسلام فكان لهم ذلك المجد العظيم وزال مجدهم باهمالها هي التي يعود المجد بالأخذ بها والأسباب تتصل بمسبباتها ، وعبارة يعود غريبا فى الحديث النبوى اخطأ الذين يفهمون من الحديث أن الاسلام يضمحل ويتلاشى ثم لا يعود الى مجده وعزته، انما هي صريحة في أن الاسلام سيظهر مرة ثانية مثل ظهوره فى المرة الأولى وظهوره في المرة الأولى كان غريبا على العالم ولكن فى غرابته استعقب مجدا كبيرا وعزة كذلك يكون فى الكرة الأخرى ان شاء الله رغم أنوف اليائسين الذين سجلوا على هذه الأمة الشقاء بدينها الى يوم الدين ، على فهمنا هذا فمنا ندعو المسلمين فى (المنار) الى احياء مجد دينهم بالرجوع الى ما كان على سلفهم الصالح ولا بلاء أشد على المسلمين من اليأس والقنوط .»

— ٢ —

واحاديث مطولة فى المنار (منذ المجلد الثـانى) عن مدنيـة العرب وقد انشأ هذا البحث ما كان يكتب فى تركيا عن العرب تعصـبا للجنس وكان رشيد رضا قد تحدث عن تجـديد الروابط بين الترك والعرب على أسلوب جديد وكانوا ينتقضون العرب فى تركيـا ويقولون انهم ليس لهم تاريخ ، وحاول فى ادب رفيع أن يشرح هذا الأمر ثم بدأت هـذه المقالات تروى ما قدمه العرب فى مجالات المدنية المختلفة ، من طب وفلك وعلوم ، يقول مع الاشارة الى نزعات التعصب الجنسى عنـد الترك « حرصـنا بأن لا تعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل تعنى به أن كل شعب يجتهد فى ترقية نفسه ملاحظا أن فى ترقية نفسه ترقيا لسائر الشعوب ، ثم اشار الى الفوارق بين المدنية الاسلامية والمدنية الأوربية واخطاء الأخيرة حيث حرم الاسـلام مقاتلة من لا يقاتلهم كالنساء ورجال الدين والأطفال والشـيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتـك الأعراض .

كذلك تحدث عن اقتباس اوربا من الاسلام ، وعن ثناء منصفى الافرنج عليه كما تحدث عن تبرئته بادانة اهله واورد ما قاله المسيو ريمون الرحالة الشهير من أنه كان لا يأمن على نفسه الا عند المسلمين أثناء تطوافه فى مجاهل افريقيا حيث يجد منهم لطفا وحسن ضيافة وقد كتب رسالة طويلة فى هذا المعنى الى السيد السنوسى مدح فيها اخلاق الاسلام وفضلهم على سائر الأمم والشـعوب .

كما تحـدث السيد رشيد رضا الى سبق الاسـلام الى المبـادىء الجمهـورية والاشتراكية وتحدث عن الفـارق بين اشتراكية الاسـلام واشتراكية المسيحية (م ٩٤٨/١) .

كما تناول التاريخ الاسلامى وتاريخ الأندلس والخلافة الأموية وتحدث عن جزيرة العرب ومكتشفوها من الافرنج ، وأشار الى تعصب اوربا على الدولة العثمانية وتنازعها للممالك الاسلامية وأورد شـهادة التاريخ على بعضـها (م ٤٨٨/١) .

— ٣ —

كما أورد كثيرا مما كتبه اعـــلام الغرب عن الاســـلام وفى المجـــلد الحادى عشر نشر بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر أفريقيـــا الشمالية المنعقد فى باريس عن الاسلام والمدنيـــة الحديثـــة ، كما أفاض فى عرض آراء القس اســـحق طيلر عن الاســـلام التى نشرها فى انجلترا عام ١٨٨٨ (م ٤ المنـــار) وكان قد كتبها بعـــد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ فى مدحهم ومدح دينهم وقد نشرها فى جريدة سنت جمس غازت الانجليزية (١٨ ابريل ١٨٨) قال : انى ذهبت الى مصر احد اقطار الاسلام ومقصدى الوحيد أن أطلع من ذلك المكان على الأعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة وأعلم ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربيـــة وانى اقر وأعترف بأنى تعجبت غاية التعجب لما رايت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا فى موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم ، كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ امره فى السماء والأرض وبرسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصـــلاة وبنقـــاء النفس فى الآخرة ، أما فى الرحمة أو ما فى العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبـــل أمة محمد صلى الله عليه وسلم متقنة جدا وبعض أدعيتهم وصور مناجاتهم حســـنة للغاية حتى انه لا يمكن لأحد من المستحقرين أن يجد فيهـــا كلمة واحـــدة يعترض عليهـــا » .

كذلك فقـــد اشار الى كتاب تاريخ القـــرآن والمصاحف الذى ألفـــه روستو فدونى الروسى وطبعه فى بطرسبرج (م ٩٥٣/٨) .

واولى اهتمامه لاســـلام لورد هدلى (م ٥٥٦/٢٤) وكتابه ايقـــاظ الغرب للاسلام (م ٢٦) قال عن اللورد هدلى انه لم يكن فى حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه فقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحـــد ويعتقدون أن المسيح نبى وهؤلاء شيعة كبيرة فى انجلترا وأمريكا واشار الى قول هـــدلى : كلما قرأت فى المصحف الكريم اكتشفت بنفسى انى مسلم دون أن يبشرنى احد بالاسلام ودون أن يدعونى أحد الى الاسلام ،

وقد وجدت الاســـلام دينا بسيطا ، ومما يذكر أنه أدخـل باسلامه نحو أربعمائة شخص من رجال ونساء وتسمى بسيف الرحمن رحمه الله فاروق . ومن ذلك قوله : يسرنى أن أعرف أنه ليس هناك بغض بين المسلمين ولكن المحبة بأوسع معانيها وهى منتشرة بينهم اكثر مما هى منتشرة بين المسيحيين فى الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على ايتاء الخير ازاء جميع المسلمين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بعضها ازاء بعض واذا عينت لجنة من الانكليز الأكفاء حقيقة لفحص الذى يجب أن يدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامى الذى يشهد له العقل والذى يجيب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصـــال بالخالق سبحانه وتعالى ، ولا أعتقد ولا سبق لى أن اعتقدت قط أنه من الضرورى لخلاصى أن أصدق ألوهية المسيح أو أن أعتقد الثالوث أو العقائد الأخرى التى تدعى الكنيسة أنها ضرورية للخلاص » .

وقد مضى السيد رشيد رضا يتحدث عن حضارة الاسلام مبتدئا بما أورده الشيخ محمد عبده فى كتاب (رسالة التوحيد) حيث اشار الى ما كان من فتوحات النصـــــارى الأوربيين ونشرهم لدينهم بالقهر والتقتيل وابادة المخالفين مدة عشرة قرون كاملة لم يبلغ السيف من كسب عقائد البشر فيها ما بلغه انتشار الاسلام فى أقل من قرن ، ولم يكن المسلمين فى هذه القرون من القوة العددية والالهية ولا من سهولة المواصلات ما يمكنهم من قهر الشعوب التى فتحوا بلادها على ترك دينها ولا على قبول سيادة شـــعب كالشـــعب العربى ، فهم لم يخضعوا للمســـلمين ويدينوا بدينهم ويتعلموا لغتهم الا لما ظهر لهم من أن دينهم هو دين الحق الموصل لسعادة الدنيــــا والآخرة أو من أنهم أفضل الحكام وأعدلهم » .

ومن هنا فان الاسلام قد فرض على المســـلمين ويوافقهم على ذلك جميع شرائع الأمم الافرنج أن لا ضير على أى أمة فقد من وطنها شيء أن تستعد لاستعادته الى أن تظفر به كما فعلت فرنســـا باســـتعادة ولايتى الالزاس واللورين من المانيـــا فى الحرب الأخيرة وكانت قد أخذتهـــا منـــذ نصف قرن ونيف .

وأشـــار السيد رشيد رضا الى أن الاســـلام دين سعادة وسلطان

وشريعة وحكومة شورية يجمعها نظام حربى جامع بين القوة والرحمة والعدل ، وقد جاهد الأوربيون المسيحيين فى أمر الجامعة الاسلامى حتى صرفوا وجوه الشعوب الاسلامية عن الجامعة الاسلامية الى الجامعتين الجنسية والوطنية وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حماتها من الترك أنفسهم ، ودفعوا حكومة هذا الشعب الاسلامى الباسل من حيث لا يدرى الى محاربة الدين الاسلامى نفسه بأشد من محاربتهم له بمدارسهم التبشرية واللادينية وبكتبهم وصحفهم ونفوذهم فاعتقدوا أنه قد تم لهم بهذا فتح العالم الاسلامى وانه لم يبق لهم لاتمام هذا الفتح الا القضاء الأخير على مهده الدينى وعلى شعبه وانصاره .

وقال : ان رأى الفقهاء ان كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الاسلام ونفذت فيه أحكامه واقيمت شعائره قد صار من دار الاسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينيا ، وكانوا آثمين كلهم بتركه وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنه وجوب القتال لاسترداده وان طال الزمان فعلى هذا الرأى يجب على مسلمى الأرض ازالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشىء من الممالك الاسلامية وارجاع كلمة الاسلام الا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطيد أنفسهم عليه واعداد ما يمكن من النظام والعدة له وانتظار الفرص للوثوب والعمل . وقد صرح الامام الشافعى أن ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لها حكم أرضه وبلاده فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم أن يمكن أحدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة أو لغيرها وقد ظهر لمسلمى هذا العصر من حكمة الاسلام فى هذا ما لم يكن يخطر بباله دولهم القوية من قبل التى تساهلت وقصرت فى تنفيذ الوصية المحمدية فسمحت ببقاء بعض أهل الكتاب فى بعض بقاع جزيرة العرب كاليمن ثم بوجود بعضهم فى جدة (م ٣٠ ص ٥٨١)

(٥)

وفيما يتصل بهذا كان دفاع السيد رشيد رضا عن حماية القرآن من مؤامرة ترجمته التى كانت قد أثيرت فى هذه الفترة م ١٨٤/٣٢ قال : ان المسائل القطعية فى هذا الموضوع وما يجب على المسلمين فى هذا العصر

ان اللغة العربية هى لغة دين الاسلام والمسلمين ورابطة الأخوة العـــامة ووسيلة السلام للمؤمن بما يقيد من نزعات الشعوبية وعصبية الجنسيـــة ونزعات الملحدين وتوحيد كلمة العلمـــاء المختلفـــة (١) فقد أجمعت الأمة الاســـلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ فى قلوب الألوف المرسوم فى ألوف الألوف من المصاحف هو كلام الله عز وجل المنزل عـــلى محمد رسول الله بلسان عربى مبين معجز للخلق أجمعين (٢) وقد أجمعت الأمة الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن العربى هو أساس دين الله الذى أكمل به ما أوحاه الى رسله من قبله ، واتم نعمته على العالمين وامر رسوله أن يبلغه كما أنزله بنصـــه العربى المبين فبلغه كما أمره الله وما بينه من سنة الرسول وما استنبطه ائمـــة العلم من عقائده وأحكامه وآدابه (٣) وقد اجمعت الأمة عربها وعجمها على أن الله تعالى قد تعبـــد بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من أجناس البشر تلاوة وتدبرا وادكارا واعتبـــارا وامتثـــالا للأوامر واجتناباً للمناهى وحـــكما بين الناس قال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) على ما فى ذلك من الفروض والواجبات على الأعيان (٤) اجمعت الأمة الاســـــلامية عربهـــا وعجمها على أن ما فرض الله تعالى على افراد أمة محمد صلى الله عليـــه وسلم من قراءة فى الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه العربى المنزل كما أنزل (قرآنا عربيا غير ذى عوج) (٥) أجمعت الأمة الاسلامية على أنه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة اخرى يتعبد بها فى الصـــلاة والتلاوة والتشريع ويطلق عليها اسم كلام الله وكتاب الله . والقرآن الكريم كما سمى الله كتابه العربى ويســـــتغنى بها عن كتابه المنزل ولذلك نرى جميع الشعوب الاسلامية والأعجمية من الترك والفرس والأفغان والهنـــد والجاو والصين يعلمون أولادهم القرآن ويدرســـون فى مدارسهم الدينية تفاسيره وكتب الحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة العربية (٦) وقد علم من هذه الأصـــــول التى أجمعت عليها الأمة اعتقادا وعملا ان اقامة هذا الدين فى عباداتهوتشريعه وحكومته يتوقف على معرفة اللغة العربية وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة واوجب عليهم تعلمها ، صرح بذلك الامام الشافعى فى رسالته والشاطبى فى

مقاصدها فى كتاب الموافقات (٧) ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم الحية وترجمه بعض المسلمين الى تلك اللغات الشرقية وفى كل ترجمة من هذه التراجم اغلاط لكثرة المخالفة لمدلولات عباراته اللغوية والشرعية فتح باب للطعن فيه والصد عن الاسلام كما أنها فتحت بابا آخر لمن اطلع عليها من مستقلى الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيح وأحكامه العادلة وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ورجال الكنيسة المتعصبون ودعاة النصرانية من الكتب والرسائل فى الطعن فى الاسلام بأن ما دونوه منها من المطاعن زور وبهتان فكبر مادحوا الاسلام من علمائهم الاحرار واهتدى كثير منهم به (٨) ما ترتب على ما ذكر من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوبا كفائيا أن يريدوا ما كان من صلاح قوة وتأييدا أن يفندوا ما حدث من الفساد تفنيدا وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، هذه الترجمة فرض كفاية على المسلمين لا تسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها وانما هى خلاصة تفسيرية له تدخل فى باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ومن باب الدعوة اليه من جهة أخرى .

(٦)

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتمامه للشريعة الاسلامية وصلاحيتها لهذا العصر وقد كتب الشيخ على سرور الزنكلونى فى هذا فضلا مستفيضا قال فيه : ان أسس التشريع الاسلامى قد قيدت البشر بقواعد من الحق والرحمة والعدل والفضل وحقوق الروح والجسد الصالح لكل عصر يكفل لهم كمال الانسان وسعادة الحياة ما أقاموها وأباحت لهم التشريع الاجتهادى فيما يتجدد من الاقضية والمصالح التى تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة مع المحافظة عليها وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوى جديد بعدها ، وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والادبية والاجتماعية والثورات الحكومية التى تهدد العالم المدنى بحرب شر من حربها الأخير تدك معالم العمران دكا . ولو أن دول أوربا تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى فى كتابه القرآن من وجوب حفظ العهود والمواثيق واجتناب جعلها دجلا باطنها ينقض ظاهرها لتحاكم ذلك من كل ما بينهم

من التنازع والتخاصـــم فى معاهدة الحرب الكبرى وفروعهـــا ، ولقد نبتت طائفة فى هذا الزمان وكثيرا ما تنبت مثلها فى عصور الانتقال — تنادى بوجوب ســـير الشريعـــة بجانب نظام المجتمع المادى الحاضر ، وهـــذه الطائفة ان لم تكن خبيثة فانها جاهلة بالاسلام ، ان حياة العـــالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة فى طريق الاهواء والشهوات فلو جارى الاســـلام انحدار الأمم فأباح الزنا للأعزب ومن لا كسب له ولجيوش الحروب وأباح الرقص لمتاع النفس وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحيـــاة أو لمزاحمة الأجانب وفى مكنة المسلمين ان يزاحموهم ويقفوا مثـــل وقفتهم بثروتهم الطبيعيـــة والاقتصادية ، لو اتســـع الاســـلام لكل ذلك لكان دين مادة لا دين خلق واصبح من اوضـــاع البشر لا من شرائع الله ومع ذلك ما هو الأســـاس الاسلامى الذى جرب فى الأمم الاسلامية وفشل وتبين خطؤه ، ومن ذا الذى وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اســـلامى ونظيره فى تشريع وضعى ثم امام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الاسلامى وخذلانه ثم ما هو الأمر الجوهرى الذى طعن به اعداء الاســـلام عليه مع تألبهم الشـــديد وعداوتهم المستحكمة من أول امره الى اليـــوم على كثرتهم وقوتهم ووفرة أساليب حروبهم وضعف المسلمين وتخاذلهم ثم أثبت العقـــل فى وضـــوح انهم محقون والاسلام مبطل ، ان العالم المادى لا يزن الاســـلام الا بحالة المسلمين مع أن الاسلام دين وخلق يجب أن يوزن بميزان العلم والعقـــل لا بميزان أهلهـــا المضيعين لهـــا ، ومن العـــدل أن يقال ان أوربا اللاتينية انما تخدم القوتين السبعية والشهوية لأن الانسان سلام واخاء وتعاطف فى الخـــير لا فى جوانب المادة ومناصرة فى الحـــق لا تغلب على الضـــعفة بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسان من الحيوان الشرير .

الفصل الثانى

الدفاع عن اللغـــة العربيـــة

— ١ —

كانت اللغة العربية هدفا أساسيا من أهداف الدفاع عن الاســـلام فى نظر المنار باعتبارها لغة القرآن ، وفى مواجهـــة التحديات التى كانت قد بدأت تتعرض لها فى هذا الوقت الباكر من قوى الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى ومن أجل هذا أولت المنار الاهتمام باللغة العربية والبلاغة والأسلوب العربى المبين وتناولت الأخطــار التى تتصــل بانشاء الصحف العامية ووصفتها بأنها صدمة جديدة على اللغة العربية ، وفى مجال الدفاع عن ضرورة توحيد لغة المسلمين فى اللغـــة العربية وعن العربيـــة ووجوب تعلمها فى الدولة العثمانية .

وفى المنـــار ١٩٠٢ تحـــدث السيد رشيد رضـــا عن مؤامرة التعلم بالعامية المصرية ، وقد بدأت الدعوة ١٩٠١ بكتاب الفه المســـــتر ويلموز المستشـار القضائى باللغة الانجليزية داعيا الى جعل اللهجة العامية المصرية لغة المصريين العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة وحاول اقناع المصريين بأن هذا خير لهم ، وترجع الصيحة الأولى لصوت ولهلم سبيتا بك الألمانى أمين دار الكتب الخديوية المتوفى ١٨٨٣ فانه وضع حروف أفرنجية للعامية المصرية لأجل احيائها والف كتابا فى صرفها وكتابا فى أمثالها وقصصا عامة ونشر ذلك باللغتين الألمانية والفرنسية ليرغب أوربا فى تنفيذ مشروع تعلم العامية بالحروف الافرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض أغنياء الافرنج منذ سنين لذلك وأرصد لهم مالا جما ونشرت يومئذ كراسة فى الحث عليه . وأشارت المنار أن (المؤيد) لم تلبث أن نشرت مقدمة كتاب ويلمور لأجل عرضها على الكتاب للرد عليها وقال الشيخ : ليت المؤيد الأغر لم تنشر مقدمة كتاب ويلمور فقد كان الأولى أن يدحض شبهاته من غير أن ينشرها ويقررها فان من الناس من يلتاث بالشبهات .

وكان الأولى ان يبطل شهادته من غير ان ينشرها واشار الى مناقشة الشيخ عبـــد العزيز جاويش لويلمور ، واشـــاز الى ان جمعية مؤلفـــة من الشبان الذين اتموا دراستهم فى انجلترا دعت المستر ويلمور لحضـــور اجتماعها للناظرة والمناقشة وكان الشيخ عبـــد العزيز جاويش موجودا فساله : هل خطر على بال المستر وبلمور أن يدعو قومه الانجليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا لغة العاصمة لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فانه يعلم التفاوت بين لهجة اهل لندن ولهجات سائر الولايات فقال ويلمور ان هذا غير ممكن لأنه يضيع علينا تاريخ لغتنا فقال الشيخ ان هذه الغائلة التى يحذرنا منها هى بعينهـــا محذورة فى ابطـــال لهجات أرجاء القطـــر المصرى ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبـــائل العرب الفاتحين ضربوا فى كل رجاء من أرجاء القطر وتبوأت طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها . وأبان خطأ ويلمور فى قوله ان لغـــة القطر المصرى لغة مستقلة دون العربية الصحيحة وبين أنها ليست الا لغة عربية دخلها التحريف والدخيل وان اكثر ما يظن انه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قريش الفصـــحى فانه ربما يوافق لغـــة بعض القبائل الاخرى ثم ذكر أيضا شيئا كثيرا من عيوب اللغة الانجليزية كالخـــلاف بين ما ينطق وما يكتب ، وكالحـــروف الأثرية الزائدة ، فى كثير من الكلمات حتى ان متعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها فى الرسم لأن الأول لا يدل على الثـــانى فى العـــرف من الكلمات حتى يصح انه لا قياس فى هذه اللغة . وقال الشيخ اذا نبذنا اللغة الفصحى ظهريا وقبلنا أن يكون التعليم باللغـــة العامية المصرية التى لا كتب فيهـــا ولا قواعد لها سننتقل الى دور آخر فى تعذر الاصـــلاح واستحالة التعلم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذى احتج فيه لورد ماكولى على وجوب تعلم الهنود الانجليزية (م ٤ ص ٨٧٩) .

واولى المنار اهتمامه بالحركة التى قامت على اثر ذلك فى دار العلوم من اجل الترجمـــة والتعريب ونشر كلمات محمـــد الحضرى والاسكندرى (م ١٠ ص ٨٥٥) وكان لدار العلوم موقف حاسم بالنسبة للغة العربية والحرب المشنونة عليها ١٩٠٧ بعد انشاء نادي دار العلوم ، أن تكون المهمة الأولى

فى خدمة اللغة العربية مسألة اسماء الاجناس الاعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية هل تعرب أم تؤخذ بالترجمة والحديث عن جواز التعريب واقتراح بانشاء مجمع اللغة العربية خطاب فتحى زغلول (م ١١/٣٢) وخطاب حفنى ناصف (م ١١ / ١٢١) .

كما اهتم بأمر الخط العربى واصلاحه (م ١٣/١٩٦) و (م ١٨/٤٦١) حيث قدم عبد الفتاح عبادة فصولا عن انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى .

والت المنار هذه الأبحاث فنشرت بحثا للأستاذ محمود بك سالم عن المطاعن الموجهة الى اللغة العربية وغناها بالمسميات العلمية وفضل اللغة العربية على لغات الافرنج وكونها لغة المستقبل (م ١٣) كذلك فقد فصل المشروع الذى تقدم به أحمد زكى باشا « الملقب بشيخ العروبة » (م ٩٣٧/١٣) وكان الكاتب الثانى لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة فى هذا الباب وما يتصل بذلك من اصدار مجلس النظار قرارا قدمه أحمد حشمت باشا وزير المعارف عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاحياء الآداب العربية بالديار المصرية وكان أحمد زكى قد قدم مذكرة منذ عشرين عاما وهو يوالى البحث والتنقيب عن أنواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاختيار باب العمل فى فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربية ، وقد تناولت الابتداء فى احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم نهاية الارب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى وقد ضم المشروع عددا من الكتب الأمهات فى باب الأدب والبلاغة والحديث النبوى وآداب الملوك والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلة وعلم حفظ الصحة وعلوم طبيعية وميكانيكية وعلوم الحيوانات والمعادن والفلك والموسيقى والحرب والديانات القديمة وفنون متنوعة .

وفى المجلد الثالث عشر من المنار أوردت الأسماء العربية للمسميات الأجنبية التى اقترحها نادى دار العلوم وكانوا قد أعلنوا عن وضع أسماء

غربية لبعض المسميات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا أو عربوه والاشتقاق والتعريب ليس جديد فى اللغـة بل هما جائزان وواجب أن يصار لهما عند الحاجة ومن هذه الأسـماء : اضمامة « بلوك نوت » صبغ « بوية » طنف « ترسينة » مرمى « جول » خريطـة « خارطـة » ملف « دوسـيه » بطاقة الزيارة « كارت فيزيت » خيـالة « سينماتوغراف » .

— ٣ —

وافسحت المنار صدرها لدراسات واسعة عن اللغة العربية بوصفها أقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية وخاصة ما يتصل بدراسة احمد كمال فى هذا الشأن الذى أجرى مقارنة بين اللغتين المصرية القديمة واللغة العربية فى عدة فصـول (م ١٨) وفى المجلد الخامس عشر خطاب مطول فى اللغة العربية لجبر ضومط تحت عنوان (بحث تاريخى فلسفى فى مواطن اللغة العربية المصرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) ومما جاء فيه ان العلامة روتشن المؤرخ الأثرى يرجح أن المدنيـة المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءتها من العراق وبلاد العرب وأن الباحثين اتفقوا على أن لغة الأشوريين وقـدماء البابليين واحدة وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من اصل البلاد الأصليين وانما جاءوها من مكان آخر ثم بين أن اللغة العربية هى أم اللغات السامية وسيدتها وأن ارومتها الأولى كانت فى اليمن وحضرموت وعمان وأنه تشعب منها فروع الى بلاد (بابل بالعراق) فعلى ما تقدم يكون كل من مدنية العراق وسوريا ومصر عربى الأصـل ثم تولد من ذلك الأصـل فروع استقلت .

ويعلق السيد رشيد رضا على ذلك فيقول : لكن علامة العـاديات والآثار المصرية وأمام اللغة الهيروغليفية فى عصرنا أحمد كمال (أمين دار الآثار المصرية) أظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية المصرية القديمـة ما لم يكن فى الحسبان فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيـه الوفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقـة للغة العربية المصرية فى الغالب اما موافقـة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب او الابدال المعهود مثله فى اللغتين وكان المشهور عن أحمـد كمال أنه يرى ان العربية أصـل اللغة المصرية

القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفى ومن لوازم هذا ان اصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ثم انه رأى نصا يدل ظاهره على ان العرب انفسهم أو بعضهم من المصريين فاخذ بظاهره حملا له على الصدق وبنى عليه مخاضرته وذلك النص ما وجد منقوشا فى الدير البحرى بالاقصر فى زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ — ١٣٨٠ ق ٠ م) وهى أرقى دول مصر وفيه أن المصريين الأولين اشتهروا باسم الأغنياء وهاجر بعضهم الى القيروان وتونس والجزائر والى أواسط افريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين (م ١٥/١١٦) .

— ٣١ —

ومن ناحية أخرى أولى المنار اهتمامه الى ما جاء فى المقتطف من اشارة الى ان فى القرآن كلمات اعجمية وقد كتب احمد كمال الاثرى المعروف تحت عنوان :

[براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الأعجمية] .

وأورد ١٧ كلمة وأثبت أنها عربية ، قال : اللغة المصرية اى لغة قبائل الأعناء التى سكنت مصر وما جاورها من الأقاليم هى اصل اللغة العربية بلا مراء بنص النقوش المذكورة آنفا . وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصا جرى فى آيات كثيرة . قال المفسرون ان فى القرآن الشريف كلمات غير عربية ولكنها لا تخرجه عن العربية كما أن الكلمة العربية اذا وردت فى القصيدة الفارسية لا تخرجها عن كونها فارسية وانا اخالف هذا كله فقد جمع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله جميع الكلمات الواردة فى القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بأمر نظارة المعارف سنة ١٩٠٢ وها انذا اخالفه فى ذلك مبينا أنها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة .

أكواب وأباريق (سورة الواقعة) أكواب الكلمة مصرية عربية ، أباريق ليست بفارسية ولكنها مصرية وجدت مكتوبة فى حجر نقش بأمر أحد ملوك الحبشة وعثر عليها فى دنقلة فبقيت فى العربية بهذا اللفظ .

أب — وردت فى نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة آبو فهى عربية لا أعجمية ، وفى القاموس : الأب الكلأ أو المرعى .

سرى — اى نهر بالسريانية والقبطية واليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين أنه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشـــتق منـــه سرى اى النهر ... الخ .

وتحدث فى المجلد ١٥ من المنار صفحات (١٨٧/١١٢) جبر ضومط عن اللغـــة العربيـــة ونســـبتها الى اخوتهـــا من اللغـــات السامية ، وعن القحطانيون والعبرانيون .

— ٤ —

واولت المنـــار اهتمامها البالغ بالبلاغة والبيـــان وتحدثت عن كتاب اسرار البلاغة وضع عبد القاهر الجرجانى وقالت : لقد تنبه الناس فى هذا العصر الى احياء فنون اللغة العربية وتحصيل ملكة البلاغة فيها وقد أخذ الشيخ محمد عبده يقرأ هذا الكتاب على طلبة الأزهر وكذلك ألف جبر ضومط كتابا فى البلاغة أطلق عليه اسم (الخواطر الحسان) وكتاب آخر سماه (فلسفة البلاغة) على قاعدة الاقتصاد فى انتباه السامع (م ٣) .

كذلك أولى المنار اهتماما بالغا بالشعر العربى ونشر فى المجلد الثالث للرافعى والكاظمى واحمـــد محرم والبارودى وشـــوقى وحافظ وتحـــدث عن الشوقيات كما تحدث عن الشعر وأوزانه ، ومادته وبناؤه .

— ٥ —

وقد عرض السيد رشـــيد رضا لمشروع التعليم بالعاميـــة المصرية التى يراد بها احكام المؤامرة ضد الفصحى لغة القرآن فقال : واجهت المنار صيحة اســـتبدال اللغـــة العامية السخيفة باللغـــة الصحيحة الشريفة ، استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، هـــذه الصيحة حركت الألسنة

والاقلام الى تعويق سهام الملام واقامة الحجة على الصائح بأنه يقصد منفعة قومه لا منفعة الذين يدعوهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم وآدابهم الذى ضعف بضعفها منهم كل مقوم من مقومات حياتهم وفى محوها من الواح التعليم ومحو امتهم من لوح الوجود الاجتماعى . وأشار الى صدمة جديدة على العربية وهى ظهور جرائد بالعامية : الحمارة واللجام والغزالة والشيطان مع سقوط مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحمارة باللجام واحجلتاه ، الم يكفهم هذا حتى قام جماعة يسعون لتعليم وتعلم اللغة العامية بحروف افرنجية .

وقال السيد رشيد رضا انه فند وجوه الخديعة الخلابة وكشف الغطاء عن ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع ونبه الى تقصيرنا فى احياء اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم القويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى صار بعض الناس يعتقد أن احياءها محال وعلى الخطر الذى يتهددها اذا تمادينا فى اهمالنا واغفالنا .

الفصل الثالث

التربية والتعليم

- ١ -

اذا قلنا ان لب لبـــاب دعوة حركة الاصلاح الاسلامى هى التربيــة والتعليم ما عدونا الحقيقة فقد كانت الفكرة الاسلامية للاصلاح هى احياء التربية الاسلامية وتغيير مناهج التعليم بحيث تدخل اليها العلوم الحديثـــة واصلاح مناهج الجامع الأزهر وبناء المدارس الأهلية لاســـتنقاذ عدد كبير من المسلمين من مدارس التبشير والارساليات ولوضــــع مناهج اسلامية أساسية فى مواجهة التحديات التى كانت تتمثل فى مناهج وزارة المعـــارف التى وضعها دنلوب والتى فرغها من المفاهيم الاسلامية والتاريخ والأدب العربى والتراث بعد أن قضى على المناهج الدراسية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وتحدث طويلا السيد رشيد رضا ، حتى ليمكن القول دون مبالغة انه لم يخل عام من الأعوام من متابعة الحديث عن ترشيد التربية والتعليم العام والأزهرى ، ومن أجل ذلك تحدث عن المدارس الوطنيـــة فى الديار المصرية والتعليم عنـــد القبط وسبب سبقهم للمسلمين وصـــبغ التعـــليم بالصبغة الأجنبية ووثبة المصريين لانشاء المدارس الأهلية ، كما تحـــدث المنار عن تربية البنات تربية خاصة مختلفة عن تربية البنين وكذلك تحدث عن تربية الأطفال والتربية النفسية وتعليم النســـاء تدبير المنزل وتربيـــة الطفل وتعليم الأمهات الأصول العامة لطباع الأطفال وغرائزهم، يقول فى نقد التعليم الرسمى وتعليم البنات (م ١٩٣/٥) لم يرد فى قانون التعليم ما يدل على أن البنات يتعلمن ما يختص بالنســـاء من الأحكام والآداب الدينيـــة ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئا من ذلك ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف أن النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية فى المدرسة بمقياس أهل التعليم الدينى وحضور مجالسهم وسماع الخطب فمثـــل ذلك لا يتأتى للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن عالمات بأمور الدين ثم ان البنات

أحوج من الصبيان الى الدين عقائده وأعماله وآدابه لسبب آخـر هو أن وضعهن في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنسـاء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج » .

واشار الى تعليم البنات في المدرسة السنية وما تشوبه من قصـور وشبهات حتى أن مس جريفس الناظرة الأولى للمدرسـة السنية كتبت في تقريرها : ان تعليمنا بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغـير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضرورى فلا يصـح ان يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة فيجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدارس البنات وجعلها الزامية ومن اثاره أن ترشد البنات وكن مثلهـا في المدرسة حائرات » .

وقد ازعج هذا التقرير مستر دنلوب فاستغنى عنها .

وقد اشار المنـار الى خطر دنلوب على وزارة المعـارف (م ٢) والى عمله الخطير في « محو معالم اللغـة العربيـة وطمس آثار الديانة الاسلامية في المدارس وجعـل رسومها موائل ودوارس » قال : ولا لوم على من يخـدم دولته وملته وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأنيب على الذين رضوا بأن يكونوا معاول في يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية واللغوية وهم يعلمون أن هدمها يعـدم جنسيتهم بالكلية وفي هذا محو الملة والأمة من لوح الوجود ، وعاود السيد رشيد رضـا الموضوع (م ٣) فأشـار عن انشاء مدارس اهلية لمقاومة المدارس التبشيرية وانشاء مدرسة للبنات على نمط اسـلامى كما أولى اهتماما كبيرا الى محاولة اصـلاح التعـليم في الأزهر. وأولى اهتمامه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والاحتفال بها وقال ان الغرض منهـا هو تربيـة أولاد الفقراء فلو أمكننـا أن نلتقفهم من الشوارع نرضى أوليائهم ، والمقصد هو أن ننزع من النفوس اعتقـاد أن التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام في الحكومة ، وقد اوجـدت الجمعية في نفوس التلاميذ أن يعمـل الواحد منهم عمل ابيه وان يعيش مع الناس في أمانة واستقامة .

وقال ان مدارس الجمعية الخيرية تأسست ١٣١٠/١٨٩٢ يوجد ٨٦٠ مشترك فى عواصم متعـددة للقطر المصرى ، المدارس أربع وبهـا ٣٥٠ تلميـذا .

— ٢ —

وفى مجال الدعوة الى التعليم والتربية الاسلامية اشـار الى العلوم التى يجب تعلمها :

١ — علم أصـول الدين : (لا البحث فى غوامض علم الكلام كالوجـود هل هو غـير الموجود ام غـيره والصفات وهـل هى عين الذات أم غـيرها) .

٢ — علم تهذيب الأخلاق واصلاح العادات .

٣ — علم قضية الحلال والحرام والعبادات .

٤ — علم الاجتماع وأحوال البشر فى بداويتهم وحضـارتهم ومللهم ونحلهم .

٥ — علم تقويم البلدان والجغرافيا .

٦ — علم التاريخ (مع التوسع فى معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده وأن يأخذ طرفا من التاريخ العـام) .

٧ — علم الاقتصاد الذى يبحث فى انماء الثروة وحفظها .

٨ — علم تدبير المنزل .

٩ — علم الحسـاب .

١٠ — علم حفظ الصحة .

١١ — علم لغـة البـلاد (يفتخر الافرنج بلغاتهم ويدأبون على خدمتها ، وحق اللغة العربية على أبنائها) .

١٢ — فن الخط .

وقد أشار (م ٩) الى التعليم الدينى فى المملكة العثمانية وما أرسله الشيخ محمد عبده ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام فى الآستانة فى هذا الصدد ، أشار فيها الى الأخطار التى وقعت بسيطرة المدارس الأجنبية ، مدرسة الأمريكان واليسوعيين العزازية والفرير وجمعيات أخرى دينية أوربية ،

والمسلمون لا يستنكفون عن ارســـال أولادهم الى تلك المـــدارس طمعـــا فى تعلمهم بعض العلوم المظنون نفعها فى معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوربية ، هذا التساهل المحزن ، بالعامة تعدى الى المعروفين من ذوى المناصب الاسلامية ، هؤلاء الضـــعفاء يدخلون فى سن السذاجة وغرارة الصبا ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامى ولا يرون الا ما يخالف الروح الاسلامية ، بل لا يطرق أســـماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائد آبائهم .

كذلك فقد أشار السيد رشيد رضا الى أن التعليم المنتشر فى البـــلاد العثمانية فى هـــذه الفترة (١٩١٠ م تقريبا) هو المانع الأعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختـــلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان النـــاس فى اتحادهم أشـــد وأقوى .

كذلك فقد أشار الى المدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت وما تقوم به مع الطلاب المسلمين .

وأشار الى واقعة استقدام الرئيس للتلاميذ طالبا منهم تعهدا للقيام بالواجبات الدينية من دخول كنيسة ودرس توراة وانجيـــل حسب الشرح والتعـــاليق البروتستانتيـــة التى يفر منهـــا المســـلم ويشـــك فى صحتها (م ٦٣٧/١٢) .

وتابع هـــذا من بعـــد بحث آخر تحت عنوان : الالحاد فى المدارس العلمانية قال : اطلعت على بعض كلام لبعض مدارس المدرسة العلمانية اللادينية التى صار انشاؤها حديثا فى بيروت قوامه الطعن فى الدين وفى ذات الله تقدست ذاته ومن ذلك قولهم ان العقل يقودنا الى الحقيقة والايمان يقودنا الى الكذب وكثير من أهالى بيروت أرسلوا أولادهم للمدرسة المذكورة ليتعلموا بها اللادين .

وأشار الى ما نشرته عن التعليم اللادينى جريدة المقطم فقالت ان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارعون فى انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشـــد ، وان فرنسا أقبلت على هذا التعليم منذ ١٨٨٢ فلم تر فيه فائده فى ترقيـــة

الأخلاق بل دلت الاحصاءات على أن الفساد زاد كثيرا فى الأجيـال التى تخرجت فى عهده ولا يزال يزداد فى الأحداث بنوع خاص ، ومعدل المنحرفين والفارين من الخدمة العسكرية وازدياد الجنايات وقال : والعقلاء متفقون على أن ذلك نتيجة التعليم اللادينى وقال المسيو تمبلنو من رجال القضـاء ان زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيات قد بدأت بعد أن انتشر التعليم اللادينى ورأى ابن رشد بشجب المدارس اللادينية ، حتى اذا صمتت دعوتها الأولى وهى أنها تعلم العلوم فى معزل عن الدين فكيف وهى لا تقصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومقاتلته ، وقد أعلن ذلك فينفانى فى مجلس النواب الفرنسى وقال اننا نقصد انشاء مدارس لمقاومة الدين وكفانا ذكر الحيـاد فى الأمور الدينية . هذه نتائج التعلم الذى يريد أن ينفحنا به ماسـون الاسكندرية واعوانهم » (م ١٤/١٩١١) .

وقد واصل السيد رشيد رضا دراساته عن التعليم والتربيـة فقال فى المجلد ١٥ : انه اختبر احوال العالم الاسلامى اختبـارا لم يتيسر مثله الا لقليل من امتنا وكانت نتيجة هـذا الاختبـار أنه يعتقد اعتقادا قاطعا أنه لا رجاء لأمتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لأمتهم ثم لغيرها من الأمم كما يليق بهدى الاسلام الذى أكمل الله به دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينشغلون بعد ذلك عنه فحسبهم اصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم وقال : وقد رأيت عقـلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود متفقين معى على هذا الرأى ، هذا هو العمل الذى تألفت له جماعة الدعوة والارشاد ، وأول تهمة قذفنا بها المرجفون فى جريدة العلم المصرية هى أننا نؤسس جمعية سرية لاسقاط الدولة العثمانية وانشاء خلافة عربية وكانت حجتهم فى ذلك أننا نخفى عملنا ولا نظهر للناس اسماءنا وقانوننا » .

وتحدث المنار عن خطر المدارس التبشيرية فى البلاد العربية فقال :

قراء المنار يعلمون أن المدارس الافرنجية والمدارس المتفرنجة على اختلاف أنواعها من تبشيرية أنشئت لدعوة النصرانية وعلمانية أنشـئت لمقاومة الأديان وكلها أخرجت للشعوب الإسـلامية نابتة مضطربة فى أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها يقل منها من يعرف دينه معرفة صحيحة ،

ويكثر فيهم الهدامون لبناء أمتهم ، وأشار الى قول لورد سالسبرى عن أن هذه المدارس هى أول خطوة لاستعمار الشعوب التى تنشأ فيها ، فانهـا تخرج فيها طائفة تحالف سائر أمتها فى عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديهـا ومصداق ذلك أن متفرنجة الترك قد هدموا تلك السلطة (الامبراطورية) الراسخة الأساس وانتهى أمرهم الى امارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية . ومن المعلوم عند كل من يعرف الاسلام أنه دين وتشريع سياسى قضائى ونظام اجتماعى وانه حكم عربى كما نطق به كتابه المنزل فان كان من مثار العجب أن يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية ، وقد جاء هذا ردا على مقال تحت عنوان العالم الغربى والعرب والاسلام وعن حرب أوربا للاسلام وسياستها معه ، وجهد أوربا فى تنصير المسلمين ومقاومة أوربا للاسلام فى بلاده وعطف أوربا على الأرض دون المسلمين (م ٢٦) وأشار من بعد عن مسألة تعليم اولاد المسلمين بواسطة معلمين غير مسلمين وما عساه ينشأ من غير المسلمين أمور تنافى دين الاسلام سـواء بالمقال ، أو بالمال فى بذر الفساد فى النفوس لكونهم ضعاف وذوى نفوس ساذجة ، فقد يجوز الانتفاع بهم فى الحساب والاقتصـاد فيما لا يخشى على الأولاد ضرر منه فى دينهم و لاتربيتهم القومية والملية . (م ٣١) وقد وسع هـذا البحث من بعد فقال : ان تعليم الأولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسـلام واحكامه عندما يبلغون سن التكليف ومبادىء اللغة العربية التى هى لغـة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم فاذا كانت مدارس الدولة لا تمنع والديهم من تعليم ما يذكر من الأمور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدى الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس فلا مانع من ادخالهم فيها اذا كانت تمنعهم فلا يجوز ادخالهم فيها ، وأشار الى مدارس النصرانيـة (مدارس التبشير والارسالية) فقد ثبت بالاختبار العام أن هذه المدارس انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائدهم وعباداتهم وآدابهم وانها تتوخى بذلك ابعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسـلمين من العلم والجهل . ان المدارس اللادينية التى تنشئها الجمعيات السياسية والالحادية تتوخى بث الالحـاد بل الكفر المطلق بالرسـل وما جاءوا به من الهدى والرشـاد وقد ثبت

بالاختبار ان الالحاد فى الدين قد نشأ فى المتعلمين فى تلك المدارس كلها على درجات منهم المعطلة ومنهم الشاكون أو اللاادريون ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية والسياسية والاجتماعية فى الزواج والأرث والأعياد والمراسم .

ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى فى الأمور الاسلامية والجهل ببعض الأمور المعلومة من الاسلام بالضرورة التى اجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على كفر جاحدها وعدم عذر جاهلها والدعوة الى مخالفتها . ومن آثار ذلك ترجيح المتفرنجين والى العصبية الجنسية للغات الأجنبية على لغة الاسلام العربية بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة كل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة وشريعتهم واحدة وآدابهم واحدة ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة) من كل وجه .

فتعليم أولاد المسلمين فى المدارس التبشيرية والمدارس الدينية اللاييك قد جنى عليهم فى دينهم ودنياهم وسياستهم وأوطانهم وسلبهم أكثر ما كانوا نالوه بهداية دينهم . انهم اسلموا أولادهم وافلاذ اكبادهم لأعدائهم لأجل أن يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولتهم عزيزة قوية فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذى يوجههم الى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون .

وأكبر المصائب على المسلمين أنه ليس لهم دولة اسلامية تقيم الاسلام فى علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من أمورهم فى بلادها وغير بلادها وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود فيجب أن تنشىء لهم المدارس والملاجىء والمستشفيات فتغنيهم عن الالتجاء الى أعداء دينهم (م ٣٢) .

وعاود البحث مرة أخرى حول التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى فقال :

الذى أعلمه أنه لا توجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا فى المعاهد الدينية (تربية اسلامية) مدونة او متبعة بالعمل فى تنشئة أطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس والمعاهد على أخلاق الاسلام وآدابه وعباداته كالصدق والحب والحياء والأمانة وعزة

النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب البذاء والفحش فى القول حتى يترعرع ويشب معتقد أن المسلم باسلامه أعز الناس نفسا ، وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة ، وان يحب لذلك أن يكون قدوة لهم فى كل مرحلة وعادة وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا أو مقلدا لقوم آخرين فيما بعد تفضيلا لهم على قومه مع اعترافه لكل ذى حق بحقه وكل ذى فضل بفضله وبراءته من كل ما فشا فى قومه من البدع والخرافات والعادات الضالة والسعى لازالتها ، أما تربية المدارس فروحها تفرنج تقتل الاسلام قتلا بتفضيل كل ما هو أجنبى على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الاسلام وعنوانه ومغذية الايمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها .. هذه المدارس قد وضع الانجليز نظمها وعينوا لها وجهتها وغايتها كما شاءوا ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية لها من المزايا فى دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملك وما لا تشاركها فيه ملة أخرى وقد عزلت الناظرة الانجليزية التى كانت تتولى المدرسة السنية على عهد القس دنلوب لأنها قالت لابد من تعليم البنات الدين ودين الأكثرية هو الاسلام ومزق تقريرها ، ومدارس التبشير وراهبات الكاثوليك يحتقرون الاسلام وكل ما ينتمى اليه ويحتقرون لغته أيضا ..

الفصل الرابع

قضـــايا المجتمـــع والمـــراة

كانت قضايا المجتمع والمراة فى مقدمة الموضوعات التى شـغل بهـا المنار وعمل على تقديم راى الاســلام ومفهوم الاســلام فى مختلف المواقف فتحدث المنار عن وجهة نظر الاسلام فى الاشـتراكية التى تدع اليها بعض الجمعيات فى أوربا (م ١٨٩٨/١) وقال الترف مهلكة الأمم ، واشـار الى أسواء المجتمع كالقمار والخمر والزنا وتحدث عن الاقتصاد وحرب الغـرب لاقتصاد المسلمين وعن انشاء البنك الأهلى فى مصر ، وقال: الأوربيون علموهم أن حرب الدراهم والدنانير انجح من حرب المدافع والبوارید وقد امتلـكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية اكبر بلاد الشرق فالانجليز استولوا علـى ممالك الهند عن طريق جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل لطلبها السلطة ويؤيدها النفوذ وكذلك شركة النيجر فى احشاء افريقيا ، وعقد عدة فصول عن البنوك ومعاملاتها من وجهة نظر الاسلام (م ٣٦١/١٠) وعن حوالات البنوك كما تناولت المنار علوم الاجتماع والأحوال الاجتماعيـة فى مصر وما يتصل بالانحراف والقمار (م ٥٧٣/١) وتناولت الرقص الافرنجى (م ٩١٧/٤) ومضار تربية النساء الاستقلالية عند الافرنج (م ٥) وتحدث عما أسماه البغاء أو خطر العهـارة فى القطر المصرى (م ١٠) وقال الف الدكتور ثورتفاليس بك كتابا باللغة الفرنسية قال فيه : لعل الذين تركوا الدين فوقعوا فى الأدواء التى تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التى تساورهم فى أجســـادهم وفى دينهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة فى كل دين ، واعتقد أنه لا علاج لهذه المصائب العمرانية والاجتماعية الا التربيـة الدينية وان من يزعم أن الامتناع بضرر المعاصى وحده يعمل ما يعمل الدين من النزوع اليها فهو من الجاهلين .

وقد واصل المنار الحديث عن قضية المراة وترشـيد نهضة المراة ، ودأب على نشر ما يؤيد وجهة النظر الاســلامية فى هذا الشأن ، ونشر

محاضرة باحثة البادية التى القتها فى الجامعة المصرية على النساء (٥ ربيع الآخــــر ١٣٢٨) عن دور الطفولة والمراهقة والملابس والأزياء والخطبــة والزواج والاقتصاد المالى والمنزلي والعمل البيتي والأخلاق والعادات ودور الأمومة .

وعرض السيد رشيد لقضية المرأة فى (المجلد ٣٣) فيقول : كان من فوضى الأقلام وحرية الاباحة والالحاد أن تصدى للتحرير فى الصحف وتصنيف الكتب والقصص أفراد من المتفرنجين الاباحيين ، انتحلوا لأنفسهم دعوى التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب لانهما أسرع انخداعا وأسلس قيادا وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ويزينون لهم كل جديد ضار بمروبتهم ولا سيما حجاب النساء وعفافهم ولزوم بيوتهن وطاعة رجالهن حتى هتكن الحجــاب والقين جلابيب الحياء ونشر الأرواح على بعولتهن وتمرد العذارى على آبائهن وخروجهن فى الشوارع والأسواق كاسيات عاريات مائلات مميلات كما ورد فى الحديث الصحيح وصفا لنساء سوف يأتين ممن سيدخلن النار ثم صارت الجمعيات النســـوية تجمع بين النساء والرجال فى محافلهن الخاصة بهذه الصنعة للرقص الشرقى وتعاطى كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجن من البيوت الى سواحل البحار بمآزر الحمام يجتزن الشوارع فرحات مرحات حتى اذا التقين بالرجال على الشاطىء خاصرنهم الى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الاباحة لم يبق معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة ، هذا الفساد وخطره على الأسرة فالوطن فالأمة ..

وتحدث فى موضع آخر عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل (م ٢٠) فقال ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشمل على منكرات محرمة منهــا : ظهورها فى أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضـائها كالرأس والنحر وأعالى الصدر والزراعين والعضدين وتحريم هذا مجمــع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، ومنها الاشـــتراك مع الرجال الممثلين فى أعمال تكثر فى التمثيل ان لم يكن من لوازمه فى كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل ، وفيها غير ذلك من المنكرات التى تشمل عليها بعض القصص كون بعض كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم

بما فيه من الأعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته (وعاود السيد رشيد الحديث عن موقف المراة فى التمثيل والتياترو فى المجلد (٣٨/٤١) .

وتحدث عن التمثيل والتياترو فقال : المجموع الذى يتضمن المحذور يكون محذورا وان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وقد نهى القرآن عن ابداء النساء زينتهن لغير بعولتهن او آبائهن ، فما بالك بما هو شر منها وهو الرقص مع الاجانب أو مطارحتهم الغرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخوان أخرى ، وقال ان من عصيان المراة ان تبدى ما خفى من زينتها فى التمثيل ورقصها مع الرجال وان اتباع التقليد يقطع الرابطة الاسلامية ويهدم الجنسية فليس ضررها محصورا فى عصيان بعض النساء لأمر الله وجراتهن على انتهاك محارمه ..

ولقد الف السيد رشيد رضا كتابا تاما فى قضية المراة تحت عنوان (نداء الجنس اللطيف) نشر مقدمته وفصولا منه فى المنار وقدم فيه مفهوم الاسلام لكل قضايا المراة .

أما ما يتعلق بقضية تحرير المراة التى أثارها قاسم أمين باصدار كتابه (تحرير المراة) و (والمراة الجديدة) فقد وقف منها السيد رشيد رضا موقف جماعة صالون نازلى فاضل ، وان كان قدم ما كتب فى معارضة مثل كتابى فريد وجدى وطلعت حرب وقال ان كتاب فصل الخطاب فى المراة والحجاب وضعه طلعت حرب للرد على كتاب المراة الجديدة كما الف (تربية المراة والحجاب) للرد على تحرير المراة وقال ان قاسم أمين غالى فى بيان مضار التشديد والمبالغة فى الحجاب وبالغ جدا فى جعل نجاح المسلمين متوقف على ازالة الحجاب المعهود فى الأذهان والموجود اثره فى العيان واعتذر عنه بأنه افراط فى مقابلة التفريط فى التشدد بالحجاب حتى جعل مانعا من العلم (وأشار الى ما أورده قاسم أمين فى فضائل الحجاب

ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك فى رده على الدوق داركور اولا) وأشار الى أن فريد وجدى فى كتابه المرأة المسلمة أورد جملة حقائق أهمها :

١ — ان المرأة أضعف من الرجل جسـما وأقل منه قبولا للعلم لأن وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن يكون خاضعة للرجل .

٢ — كمال المرأة موهبة روحانية هـذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجة لرجل وأما لأطفال .

٣ — ان اشتغال المرأة بأشغال الرجال قتل لمواهبها .

٤ — ان الحجاب ضرورى للنساء لصلاح النوع الانسانى .

٥ — ان تعاليم الاسلام للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦ — لاينقص المرأة المسـلمة لكى تبلغ اكمل نقطـة يمكن ان ينال جنسها الا تعلم مبادىء العلوم العصرية .

الفصل الخامس

احيــــاء التــــراث

كان احياء التراث وعرض المجدد منه من أبرز اعمال المنار فقــد كان هذا العمل جزء من خطة الاصلاح ركز عليها الشيخ محمد عبده حين أحيا كتابى أسرار البلاغة ونهج البلاغة رغبة منه فى رفع مســتوى الأســلوب العربى ورده الى عصور الأزدهار ففى المجلد الثالث يشــير « الى اهتمام الشيخ عبده بكتاب أسرار البلاغة واعادة طبعه وذلك فى نطاق الدعوة الى الرجوع فى العلوم الاسلامية الى الوراء بضعة قرون والأخذ بكتب الائمــة الذين دونوا العلوم ووضعوا الفنون وقد خالفه علماء الأزهر الأزهر فى ذلك ومن ذلك أن كتاب عبد القادر الجرجانى أسرار البلاغة لم توجد نسخة منه فى مصر فاستحضرت من الشام وروجعت مع نسخة فى الآستانة ،

قال السيد رشيد : ان هدف الشيخ محمد عبده مواجهة الضعف فى أسلوب الكتابة والبيان ، وقد خالفه فى ذلك علماء الأزهر من يعجز منهم عن فهم كتب القدماء فضلا عن تدريسها ويثقل عليه أن يقرن العلم بالعمل لأن ما عنده من العلم خيالات لا تهدى الى عمل فبعد أن سعى لطبع (البصائر النصيرية) فى المنطق وأ تم قراءته درسا فى الأزهر وجه نظره الثاقب لطبع كتاب امام البلغاء بل واضع فنون البلاغة ومؤسسها الشــيخ عبد القاهر الجرجانى (ســقى الله ثراه) ولعبد القاهر كتابان فى البلاغة مشــهوران ينقل عنهما العلماء ، أحدهما أسرار البلاغة والثانى دلائل الاعجاز ولا يوجد فى القطر المصرى نسخة من الكتاب الأول ولكن كانت توجد منه نســخة فى طرابلس بالشام فاستحضرتها بأمر الأستاذ وبعدما نظر فيها رأى فيها غلطا نســخيا وعلمنا أن فى بعض مكاتب الأســـتانة العلية نسخة أخرى فأمر الأستاذ بعض طلاب العلم النبهاء فذهب الى الآستانة مخصوصا وقابلهــا عليها فخرج من النسختين نسخة صحيحة تولى الأستاذ تصحيحها وضبطها بنفسه وأمرنا بطبعها فباشرنا الطبع وباشر هو تدريس الكتاب فى الجامع

الأزهر فأقبل على حضور دروســـــه مع المجاورين كثير من العلماء وكبار الموظفين والكتاب والشعراء وأساتذة المدارس الأميرية ، أما عبارة الكتاب فهى فى الطبقة الأولى من السلامة والمتانة وأسلوبها عربى صريح لا عرقى معقد » .

وتحدث المنار على مدى ســـنواته الطويلة عن المؤلفات التى حققت وبعثت من التراث وهى كثيرة منها نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وعيـــون الأخبار والأغانى وكتاب أساس البلاغة للزمخشرى والذى عنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود الشنيقطى (والكتاب وضع لبيان الاستعمال الفصـــيح والأسلوب البليغ منها وتصريف القول فى أساليبها ومضامينها ومنه الحقيقة والمجاز والكناية) وقد كتب للخواص من أهل العلم والأدب ، وأشار الى عشرات الكتب منها الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية لابن تيمية والاشارة الى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ، والسياســـة الشرعية لابن تيمية ، وفيصـــل التفرقة بين الايمان والزندقة للغزالى ومســـند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى . واحياء علوم الدين للغزالى والاعتصام والموافقات للشاطبى ، ومقدمة ابن خلدون واحياء كتاب التبر المســـبوك فى نصيحة الملوك لأبى حامد الغزالى كتبه للملك العادل السلطان محمد بن ملك شاه (ولاحظ السيد رشـــيد على الكتاب الغلو فى الرهبنة والنهى عن العناية بعمارة الدنيا) وكتاب عيون المسائل فى أعيان الرسائل لعبد القاهر بن محمد الحسنى (وهو دليل على أن رجال الأزهر حتى القرن العاشر كانوا يقرؤون العلوم الطبية والفلـــكية والطبيعية التى يعاديها علماء الأزهر اليوم (م ٣) .

وتحدث عن مغارى الواقدى فى فتوح الشام وقال : انتقده الشـــيخ محمد عبده وقال أنه كان من عمال الدولة العثمانية ولاه المأمون القضاء فى عسكر المهدى وقال ابن خلكان : ضعفوه فى الحديث وعدوه ضعيف الرواية ليس من أهل الثقة لهذا نفى الامام الرملى من علماء الشـــائعة على ان لا يؤخذ بروايته فى المغازى فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى أيدى الناس من تصنيفه فهذه منزلة من الضعف عند علماء المسلمين على أنى لو حكمت بأنه مكذوب عليه مخترع النســـبة اليه لم اكن مخطئا (م ٧٥٩/٣) .

وقال ان كثير من عباراته يظهر منها وجه المخالفة بينها وبين مناهج أبناء القرون الأولى فى التعبير وهذا لا يحتاج الى بيان والعارفين بأطوار اللغة العربية يعلمون ذلك فهذا الكتاب لا تصلح الثقة به اما لأنه مكذوب النسبة على الواقدى وهو الأظهر واما لضعف الواقدى نفسه فى رواية المغازى .»

— ٢ —

وكما أولت المنار اهتمامها الواسع للتراث الاسلامى المجدد وكان لها دور فى احيائه وطبعه كذلك فقد اهتمت بالمؤلفات الاسلامية الجديدة التى كانت من ثمار حركة الاصلاح فى الأغلب وقد عرضت لكثير منها :

تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية	فريد وجدى
تاريخ دول العرب والاسلام	طلعت حرب
نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين	محمد الخضرى
الفقه والتصوف	الزهراوى
طبائع الاستبداد	السكواكبى
الدنيا فى باريس	أحمد زكى
اشهر مشاهير الاسلام	رفيق العظم
الشوقيات	أحمد شوقى

كذلك فقد اهتم بالمؤلفات التى كتبها غربيون عن الاسلام وترجمها بعض الباحثين :

الاسلام : كونت هنرى دى كاسترى ترجمة أحمد فتحى زغلول .

العصبية الاسلامية : عبد الله كوليام رئيس المسلمين فى ليفربول بانجلترا عربه محمد ضيا المصرى يحتوى على شهادات علماء أوربا واشتهر كتابها بفضل الدين الاسلامى فى نشر المدنية وارتقاء العمران .»

سر تقدم الانجليز : أحمد فتحى زغلول .

هذا وقد نشر السيد رشيد رضا مؤلفات هامة فصولا فى المنار :

أم القرى : عبد الرحمن الكواكبى ، المستقبل للاسلام : محمد توفيق البكرى ، الاسلام والنصرانية فى العلم والمدنية : محمد عبده .

وقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب على أبو الفتوح « خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع » وبها مقال عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية (م ١٨) قال المؤلف : يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادىء المقررة فى الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط التى فى القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها فى الأصول الاسلامية ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا من الرفاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وطريقة تأليفها والتواء أساليبها وتعقيد عباراتها قد أوصد الباب . وقال : أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتنزهها عن المشاغبات اللفظية ويترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها دون ملل ، وأشار الى كتاب الخراج لأبى يوسف فقال : عثرت فى هذا الكتاب على درر كثيرة عمدت الى نظمها فى هذه المقالة ... الخ .

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب تطبيق الديانة الاسلامية على النواميس المدنية لفريد وجدى وقال ان فريد وجدى على طريقة الأستاذ الامام وقال : من الأسف أن أكثر التصانيف الاسلامية فى القرون الأخيرة أو كلها مأخوذة من كتب المتقدمين نسخا يشبه المسخ وانه لم يكن يوجد عندنا كتاب فى الدين اذا عرض على متمدنى هذا العصر يأخذ من قلوبهم مأخذا يستلفتهم الى النظر الى الدين يتمثله سائقا لهم الى سعادة الروح والجسد على الوجه الذى يناسب زمنهم وعمرانهم حتى قام حكيم المسلمين فى هذا العصر العلامة الشيخ محمد عبده وألف رسالة التوحيد الشهيرة وأمامنا الآن كتاب تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية مؤلفه الشاب الذى فاق الشيوخ أناة وكمالا عملا بعلمه

محمد فريد افندى وجدى بين أن الدين ناموس عام ضرورى فى الكون كسائر نواميسه وبين ان العلوم الطبيعية خدمت الاسلام وانهــا كلما ترقت وزاد الناس رسوخا فيها زادوا قربا من الاســلام وكشف عن براءة الاســلام من الحقد الدينى المعبر عنه بالتعصب والاســترقاق وأن الاســلام راعى ناموس الحضارة والدين الوحيد الذى راعى حقوق الروح والجسد معــا وكفى الكتاب شرفا أننا جعلناه ثانيا لكتاب رسالة التوحيد الذى لم يؤلف مثلها فى الاسلام وقد جرى المؤلف على آثار الأستاذ فى الرسالة أسلوبا وبحثــا .

وأشار الى ديوان الشوقيات الذى اصدره أحمد شوقى أمير الشعراء فقال : ان للشوقيات أبواب يدخــل فيهــا أنواع القول وفنونه وضروبه وشجونه من آداب واخــلاق وحكم وأمثال وغزل ونسيب ومديح ورثاء ، وحاشاها من الذم فقد ضربت آداب شوقى بينه وبين الهجو بسور لا باب له فيفتح ولا يخرق ولا يتسلق أما حكمه ومواعظه فصــوادع ، وأما أسلوبه فحلوب رائع ، وأما مديحه فقد أحله محله وارتقى به الى مكانة تليق به ، فجعله مقصور على امراء مصر (اســماعيل وتوفيق وعباس) وأما الرثاء فلم يتجاوز الأمراء الا الى بعض العلماء والكبراء ولا تسل عن سائر الشجون وما فيها من الفنون والفتون (م ٢/٥٦٦) .

الفصل السادس

وفيات الأعيان وكتاب المنار

كان للمنار موقف واضح من الشخصيات البارزة فى العالم الاسلامى كله سواء أكانوا من أنصار حركة الاصلاح أم من أعدائها ولم يفتها أن تذكرهم فى مناسبات الأحداث وأن تنعاهم فى حال الوفاة وكان موقفها معتدلا كريما الا مع قلة قليلة من خصوم الأستاذ الامام فى الأزهر أمثال الشيخ محمد بخيت والشيخ عفيفى وكان لها معارك ومساجلات وخلافات واضحة مع عبد العزيز جاويش وفريد وجدى وقد عرضنا أسماء من رثتهم المنار على مدار السنوات أمثال نعمان الألوسى وحسن الطويل ومحمد بيرم والسنوسى ، كما أولت المنار تقديرها لكتابها أمثال رفيق العظم ومحمد توفيق صدقى وجمال القاسمى والكواكبى .

وكان المنار حفيا بتلاميذ الأستاذ الامام حتى ولو اختلف منهجهم كما فعل مع سعد زغلول حيث قال عنه (م ٢٢) : الا أنه ينقصه من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهى تشمل سعة الصدر والحلم والمواراة والتمويه والخداع وان شئنا قلنا والبراعة والكذب الذى يحتمل التأويلات الكثيرة والتملق والبراعة فى الاستمالة والتزلف عند الحاجة ، وقد زادوا فى هذه الأيام نعته أنه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الأكثرين وهذا خلاف ما يعرف فيه ويعهد فيه ..

كذلك فهو يتحدث عن حسن الطويل (م ٢) أنه أحد أركان النهضة العلمية الأدبية فى مصر وتلاميذه هم تلاميذ السيد جمال الدين الأفغانى كان يصرح بانتقاد الحكام فى السياسة وانتقاد شأن الناس فى عاداتهم التى أضرت بدينهم ودنياهم لاسيما الغلو بتعظيم القبور وطلب الحوائج من الأموات .

وأشار الى ان الكواكبى فى كتابه « أم القرى » قد أشار لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته ولذاته فاذا الذين يعرفون شخص الأستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبى الحلبى وفضله فيقولون أجـــدر بهذا الكتاب أن يكون له ، أما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى أن يجيء يوم يستدل فيه هذا الرحالة التصريح بالتلميح ، وأشار فى (مجلد ٤) الى بعض كلام فى كتاب أم القرى عن الدولة العليـــة فقـــال انه يؤلم أكثر النـــاس ولا ينبغى أن يعـــرفه الا الخـــواص .

ولا ريب أن معظم أعلام المنار على امتداد حياته كلها هو الشـــيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقد أشار فى غير موضعه الى أسلوبه فى التعليم ودعوته الى ايقاظ اهـــل الأزهر الشريف وارشادهم بطريقـــة التعليم المثلى فلقى فى ذلك من العنـــاء ما كان يلقاه المصلحون من قبله ، وعلم أن الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه وفى ليلة الأربعاء أتم كتاب البصـــائر النصيرية فى علم المنطق وقد احتفـــل بتمامه فى الرواق العباسى وأشار الى اهتمامه باختيار الكتب وانه لضعف العـــلم فى القرون الأخيرة صـــار العلماء لا يقرءون الا كتب المتأخرين والتى كتبت على الشروح والحواشى الملأى بالمنازعات والمحاورات ولا يكاد يتجرأ عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التى لم تشرح ولم يعلق عليها الحواشى فعلمنا الأســـتاذ كيف نختار الكتب النافعة وعلق عليهـــا شرحا يبين غوامضــــها وأصلح ما عساه يوجد من الخطأ ، علمنـــا كيف نمحص الحقائق للوصول الى اليقين بالعلم ليخرجنا من الحيرة الى طريقة التعليم المألوفة لهذا العهد : طريقة الاحتمال وسرد الأقوال وقد فند كلام أفلاطون وأصلح رأى أرسطو فى الماهيات وكان من آيات شجاعته هى رفع القيـــد الذى هو التقليد الأعمى ووضع الميزان الصحيح الذى لا ينبغى أن يقر رأى ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجاحته وبهذا يكون الانسان حرا خالصا من رق الأغيار عبدا للحق وحده ، وهذه هى طريقة معرفة الشيء بدليله وبرهانه ما جنينا من علم المنطق ، وانما هى طريقة القرآن الـكريم الذى ما قرر شيئا الا واستدل عليـــه وأرشد متبعه الى الاستدلال انما المنطق

أن يضبط الاستدلال كما أن النحو له لضبط الألفاظ فى الاعراب والبنــاء .

ويتحدث السيد رشيد رضـا عن مدرسة الشـام السلفية بمناسبة وفاة العلامة محمـد جمال الدين القاسمى (م ١٩١٣/١٧) ويشـير الى أن مدرسة الشام السلفية قوامها عبـد الرازق البيطار ، مجـدد مذهب السلف فى الشام ، وطاهر الجزائرى ، وسليم النجار ، ورفيق العظم ، وكرد على ، وقد جاء مصر مع البيطار فى عهـد الامام وقد مضى القاسمى فى الدعوة الى الاصـلاح المدنى لحاجتها الى الاصلاح الدينى وتصدى له التقليديون وأخذوا يكيدون له .

وممن أولى المنار اهتمامه بهم زعماء الاصلاح فى الهند الاسلامية : وفى مقدمتهم شبلى النعمانى وشـوكت على : يقول فى رثاء شـوكت على (م ٥٥٧/٣١) انه تربى وتعـلم فى البلاد الانجليزية وتخرج فى مدرسـة أكسفورد الجامعة وعاد الى الهنـد متفرنجا فى زيه وهيئته وأكله وشربه وأثاث داره ولقاء زواره وكان يظن أن هـذا يقربه الى الانجليز الحاكمين فى بلاده زلفى ويزيده عندهم ودا ولكنه لم يزده الا امتهـانا منهم فاستيقظ من رقدته وتنبه من غفلته وعاد الى شارات قومه وشعائر ملته فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته ، ودعا الى الاعتصـام بكتاب الله وسـنة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا الى التربية الدينية الاسلامية وتحذيره النابتة الجـديدة من تقليد الافرنج فى أزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم واقنـاع الشبان المفتونين بهذه المظاهر لضررها القومى والسياسى » .

كذلك فقـد أولت المنـار اهتماما لتراجم عدد من أعلام الاسـلام : الشافعى ، المعرى ، الغزالى ، شاه العجم ، ونشرت شـعرا لمصطفى صادق الرافعى ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمود سامي البـارودي ، وشوقى ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد محرم .

الفصل السابع

المجـــلات والصـــحف

– ١أ –

منذ أن ظهرت المنار (وبالرغم من أنها مجلة شهرية) فقد كان لهـــا شخصيتها وموقفهـــا من مختلف الصحف اليوميـــة الكبرى لرسالتها ذات الطابع الاسلامى المتميز ، وكان لها مع ذلك موقفهـــا القائم على التقـــدير البالغ لجريدة المؤيد فهى دائما تتابع موضوعاتها وتعـــدها أصدق الصحف وتعتبرها من أسلحة الاسلام ، وكانت المؤيد قد صدرت قبل المنار بسنوات وتحمل طابع الصحافة الاسلامية اليومية وان كانت على ولاء كامل لخديو مصر والمعروف أن جريدة المؤيد انشئت بعد أن ظهرت جريدة المقطم مؤيدة للنفـــوذ البريطانى بينما كانت جريدة الأهـــرام مؤيدة للنفـــوذ الفرنسى ، وقد اشار المنار الى الصحف الاسلامية القائمة وخاصة الى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها عبد القادر القبانى فى دمشق (وكان ذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيسها) المجلد الأول من المنار .

كما أشارت لصدور مجلة الحياة (فريد وجدى) عام ١٨٩٩ بعد المنار بعام واحد وقد أشارت الى المؤيد (م ٢) فقالت انها كبرى الجرائد العربية دخلت فى السنة الحادية عشرة وهى ثانيـــة على منهاجها فى خدمة الدولة العليا فى مصر على ما تحب وترضى والمدافعـــة عن حقوق مصر والمصريين التى هضمتها الدولة المحتـــلة على وجـــه نالت به ثقة الســـواد الأعظم من الأمة ، ولقى صاحبها فى بداية ما يندر أن يثبت معه شرقى على عمـــل فكانت له العاقبة فصدق عن قول صاحب الحكم (من لا يكون له بداية محرقة لا تكون له نهاية مشرقة) وقـــد سمى العشر الأول من عمر جريدته طور الطفولة وفى هذا من الهضم لنفسه ولعمله الناجح ما كان ينبغى أن يكون أسوة للذين يوموا جرائدهم وهى أجنبية مقاعد الشيخوخة .

— ٢ —

ولما ظهرت جريدة اللواء ظهر خلاف كبير بينها وبين المنـار نتيجة لاختلاف الوجهة بين حزب الاصلاح الاسلامى وبين الحزب الوطنى الذى كان بزعامة مصطفى كامل مواليا للخديو معاديا للاحتلال البريطانى بينما كان حزب الاصلاح بزعامة الشيخ المفتى معاديا للخديو مواليا للاحتـلال يقول رشيد رضـا :

صاحبها سعادتلو مصطفى كامل بك ظهرت فى غرة رمضان المبارك اصغر والطف من سائر الجرائد اليومية حجما واقل ثمنا ، ولا تعلم ماذا يكون من أمر هذه الجريدة ولكن نظن أنها اما أن تتلو تلو غيرها اما أن لا تروج أما مواضيعها فهى فائقة عن ذلك الرجل الكبير اللهج بالوطن وحب الوطن وخدمة الوطن ، وقد ضم الى هـذه الكلمات أخيرا ذكر الاسـلام والدين أما الاسلام والدين فلا ينتظر من هذه الجريدة كلام مهما يفيد الأمة الا بتتبع ما يذكر منها من الجرائد الافرنجية .

وقال : انتقدنا عليهـا أمرا ذا بال هو الارجاف بأن بعض النـاس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كان الخلافة من الهنات الهينات تنال بسـعى جماعة أو جماعات ولا يمكن احتقار مقـام الخلافة الأعلى بأكبر من هذا الارجاف فان مقام الخلافة اسمى من أن يتطاول اليه أحد وقد سلم السواد الأعظم من المسلمين زمامه لبنى عثمان سلميا والرابطة بين الترك والعرب هى كما قال كمال بك الكاتب الشهير موثقـة بالأخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وان كان أحد يفتكر فى ذلك فهو الشيطان ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن أنه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش واكل السحت أو التحلى بالوسامات والألقاب الضخمة ورجل اتخـذه الأجانب لخـداع بسطاء المسلمين بايهامهم أن منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأى أمير أن يناله ولاية جمعيـة أن تزحزحه عن مكانه ليزيلوا هيبتـه من القلوب ويقنعوا نفـوس العـامة الأغـرار بامكان تحويله فى وقت من الأوقات وبأن المسلمين ليسوا راضين عن الخلافة العثمانية جميعا . وكان مصطفى كامل افندى يوم ألف كتاب المسألة الشرقية ينسب هـذا الطمع الأشعبى

للانجليز واليوم ترى مصطفى كامل بك يلقى القول فيه على عواهنه فى خطبه وجريدته ويدع نفوس البسطاء تذهب اليه كل مذهب (م ٢) .

وفى موضع آخر يتحدث عن المنار الاسلامى واللواء الوطنى فيقول :

بينهما تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامى ويثبت ان المسلمين لا يلقونه الا بترك البدع ورجوعهم فى الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية فى أمر الدنيا .

وجريدة اللواء لا رأى لها فى الدين والاسلام . ولكن لها وطنية عمياء من معناها أنه يجب على كل مصرى أن يتعصب على كل من يقيم فى مصر من غير أهلها وان كان مسلما وعلى كل مصرى مسلم أن يتعصب على كل مصرى ليس بمسلم وهذا ما ينقضه المنـــار .

ويقول فى موضع آخر : كان صاحب جريدتى اللواء والعالم الاسلامى (يقصد مصطفى كامل) على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعى أنها جاءته من الهنـــد وجاوة الآستانة وغيرها من البـــلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعى أن جريدته موضع ثقـــة الأمم والشعوب الاسلامية فى العالم الاسلامى ولعلك لا تجـــد شيئا من هـــذا التبجح فى جريدة أخرى الا ما يسمونه بالجرائد الساقطة (م ٨) .

— ٣ —

ويواجه المنار حملة جريدة الوطن القبطية التى هاجمت مشروع احياء الآداب العربية فيقول : عزمت الحكومة المصرية على طبـــع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعـــة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية وكان لديها فى الميزانية الف جنيه لتنشيط الآداب العربية ولا ريب أن المال الذى خصصته قليل فهى تنفق أكثر منه فى ضيافة أحـــد ضيوف الأمير يوما واحـــدا وتنفق أكثر منه فى مساعدة التمثيل الافرنجى الذى يرى جمهـــور الأمة أن اثمه أكبر من نفعه . ولم يكن يخطر فى البال أن يلقى هذا المشروع اعتراضا حتى سمعنا نعاب صـــاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصرى مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افســـاد آدابه ومنعه من العلوم والمعـــارف

الصحيحة التى ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية وزجه فى ظلمات الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية ويزعم أنه لا يوجد فى الكتب الغربية غير تلك المضار التى استفرغ كل ما فى جوفه وجعله وصفا لها وكل اناء ينضح بما فيه لم يكتف الكاتب بتحقير جميع العرب والقدح فى كل ما كتبوا ووضعوا حتى خرج يذم دينهم وليست علة صاحب الوطن هى الجهل فنداويها بما ذكرنا من العلم الصحيح فان الجهل وحده لا يستطيع أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هى الغلو فى التعصب القبطى وكراهة كل شيء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم ولم يضرهم (م ٩٠٨/١٣) .

ولا يتوقف المنار عند هـذا الحد فهو منافح عن مفهوم الاسـلام ازاء اى صحيفة او كاتب ومن ذلك موقفـه من لطفى السيد (م ٣٩٩/٧) يقول : يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك على الناس غاشـا اياهم بأنه يخدمهم ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعـواه . من اطراء الأمراء الحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجاب رواج دعواهم خدمة للدين الذى هم به جاهلون وعن صراطه ناكبون . وقد ملأ الآفاق هذه الأيام صـياح بعض الجرائد التى تسمى نفسـها اسلامية من الشـكوى من صاحب المؤيد والنيل من عرضه والطعن به والتحريض على ترك جريدته لأنه عقد عقدا شرعيا قابلا للفسخ بطلب الولى على عـدم اثبات كفاءته ، اذا كانوا يغارون على الدين كما يزعموا فلماذا لا يتعلمون عقائده واحكامه . ولماذا يمدحون الأعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذى يكون فى قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهارا وما قام به زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمـل محافظ مصر السابق عندما اراد التشديد على النساء المتهتكات فى الشوارع والأسواق وتبعه كثير من الجرائد » .

ولكن السيد رشيد رضا بالرغم من حملته على اللواء ومصطفى كامل فانه عندما توفى رثاه فى تقدير شديد (م ٦٠/١١) فقال :

اندى الصحفيين المصريين صوتا وابعدهم فى عالم السياسة حقيقـة واشدهم فى دهماء بلده تأثيرا واكبرهم وليا ونصيرا ، قضى عن اربعة وثلاثين

ربيعـا قضي نصفها فى السياسة ونصف هـذا النصف فى الصحافة باذلا مما أخذ فيه جميع أوقاته ومفرغا فيه منتهى وجدانه وشعوره . وقد أعجب فى اللواء جمهور القارئين ثم تحزبت له نابتة كبيرة من المتعلمين بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا وملك قلوبهم ملكا فظهر اثر تحزبها فى تشييع جنازته بمظهر غريب ما رؤى مثله من نسيب او قريب . كان مصطفى كامل هو المجلى فى هذا الطور من اطوار التجلى ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها او سائقيها وجاريها ، رايت الدعوة موجهـة الى جعـل الوطنيـة جنسية للمسلمين فانكرتهـا فى المنـار بالبرهان المتين واكثرت من الكتابة فيها حتى فى تفسير القرآن . وانتقدت عليـه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان فى مصر من يسعى لها سعيها وبينت له وجه الضرر فى ذلك الارجاف فكبر عليه وقطع المبادلة الصحفية ، وأنحى علينا بعد ذلك كثيرا لما كان عليه عفا الله عنه من الشـدة على من خالفه ولو مهضوما ونصر من وافقه ظالما كان او مظلوما وكان الأولى من أسباب انتشـار اللواء كالمبالغة فى ذم المحتلين وانتقاد الحكومة ومدح الامة وتحامى الانتقاد عليهـا والتنويه بالاستقلال والتعجـل بطلب محو الاحتـلال . (م ۱۱/۶۰) ومن مواقفـه خطبـة مصطفى كامل فى تمجيد محمـد على بعد انتقد المنار أعماله (م ۵/۲۳۲) .

— ۲ —

وكان خلاف المنار مع جريدة السياسة قائما على الخلاف فى وجهة النظر الاجتماعيـة وفى موقف السياسة من التغريب وتأييدها أفكار الغزو وضمها مجموعة المعارضين للفـكرة الاسلامية امثـال طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وحربهم الشديدة الدائمة للاسلام . يقول صاحب المنار : « ان بين المنـار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وحزب الوفد المصرى وهو أن المنار داعية الدين الاسلامى والمدافع عنه والسياسة تقوم بدعاية الحادية تريد أن تنسخ بها هداية الاسـلام وتقطع الرابطتين الاسلامية والعربية بما تعبر عنـه بالثقافة المصرية والتمدين وما كتب عن مسائل شخصية مختلفة كزعمها أن صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة ولا مذهب فتـارة يكون مسلما سـنيا أو شـيعيا أو وهابيا وتارة بوذيا أو برهميا وتارة ملحـدا وما أشـبه ذلك ، ولعـل جريدة السياسة تريد

أن تستدرجنا بهذا الى منازلتها فى هــذا الميدان الذى تعسلم علم اليقين اننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المهزومين ينهزمون امامها فيه ، ان الجرائد البذيئة فى هذا العصر ، قد بذت الشعراء الهجائيين فى العصور الخالية فيجب الاعراض عنها ، لابد للأحزاب من جرائد تنشر دعوتها وتحمى حماها ، ولو بالطعن الشخصى فى خصومها كما كانت القبــائل تختار لهــا شاعرا هجاء يدافع عنها اذا هجيت يلقب بسفيه القوم وكان خصوم القبيلة يهجونها فى حملتها دون سفيهها ولو كانت السياســـة ترد على ما ننشره من تفنيد بعض نشرياتها الالحادية عملا بحرية الراى والنشر التى تدافع به عن الكتب الالحادية ككتب على عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هــذه الحرية ... » .

ويشير السيد رشيد رضا فى عنوان : « لابد من قتل صاحب المنار » الى ما بلغه من الدكتور هيكل (لسان حال الحزب الحر الدستورى وحزب الملاحــدة) قد قرر لمرءوسيه محررى جريدة السياسة لأنه لابد من قتــل صاحب المنار وقد وافقوه وهم يعنون بهــذا القتل ان يكون بألسنة اقلامهم الطعانة ، القتل المعنوى أو الأدبى ، اتهمته جريدة السياسة من قبل أنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمى الخــديو السابق ، وكذبت الحكومة هــذه التهمة ، وكان ذنب صاحب المنــار لدى جريدة السياسة انكاره علامتها المحقق على عبد الرازق الذى انكر التشريع الاســـلامى من أساسه يضاعف ذنوب صاحب المنــار من هــذا النــوع فهو بالمرصاد لجميــع أنواع الدعاية الالحادية التى تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة المصرية التى تزعم أن مصر بدعايتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنسخ بها ثقافة الاســـلام التى مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها وتتبعها فى ذلك سائر العرب بزعمها ، يقولون اننا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه فى مسألة مؤتمر الخلافة كما قتلنــا الازهر نفسه وهو الآن مثخن جراحا وسنقضى عليه ببضـــع مقالات اخرى ، وما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم وسنقضى بحول الله وقوته على أباطيلهم (بل نقــذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . (أبريل ١٩٢٧) .

وكان للمنار موقفه أيضا مع مجلة الحديث الحلبية وصاحبها سامى الكيالى فى مواقفه التغريبية (م ٢٨) يسوؤنا أن هــذه المجلات أضر على

الأمة من بعض الجرائد السياسية التى تخدم الأجانب الغزاة باستعبادها واستعمار بلادها وتمهد لهم السبيل لذلك ، وانها تعمل على تقطيع الروابط التى توحد جمعها وتجمع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعبر عنه بمقوماتها ومن عادات وأزياء وهو ما نعبر عنــه بمشخصاتها ؛ ذلك مثل بعض محررى جريدة السياسة أو مجلة الهلال بمصر (كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمى) المنتحلين لأنفســهم صفة تجـديد الثقافة . واننا نرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بآرائهم مثنية عليهم . فان كان محررها غير مقلد لهـؤلاء فلماذا لا يفتأ ينوه بهم بما يغرى قراء مجلته باتباع خطتهم وهو ما يسمونه الثقافة الجديدة التى يحكمونها فى كل ما أشرنا اليه من مقومات الأمة ومشخصاتها وبذلك كانوا دعاة هدم وافساد فيها ، هم عاقون لأمتهم هادمون لهدايتهـا وتشريعها وآدابها بل ساعون لابتلاع الافرنج لها ومنهم المستخدمون لذلك وهم يوهمون الناس فى هـذه الأيام أنهم مبدعو هذه الدعوة فى بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها فى مصر الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو أول من اراد ان يجعـل مصر أوربية وله فى ذلك كلمة مشهورة فكان أول عثرة منها خبا فقد ملكه ، اما جده محمد على فانما اخذ عن اوربا أسباب الثروة فى صناعة وزراعة واسـباب القـوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقى يملك افريقيـة دون تقليد القردة فى الآراء والزينة والعادات وحرية الفسق والفجور والكفر التى يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة » .

— ٣ —

وكان للسيد رشيد رضا موقفه من جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها (م ٦١٩/٢٩) فقد أخذ عليها وجهتها التغريبيــة من أول عدد منها حيث صـدرت باشراف على عبد الرازق وتنويهها بكتابات طه حسين وسلامة موسى قال : صدر العدد الأول فاذا هى مجلة لا دينية تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر بالتجديد اللادينى وتحرير المرأة المسلمة وتدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولونه من تجديد بهـدم الاسـلام على احتراس قليـل فى التعبير ، هو أقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خان منه الى الهجوم عليهما . وأشـار الى بحث طه حسين « الذى اشـتهر بالطعن فى الاسلام وتكذيب القرآن » وخلاصة بحثه الجهلى السخيف فى ضـمير الغائب واستعمال اسم الاشارة فى القرآن الكريم وأشار الى بحث سلامة

موسى « عدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك اللذين يعبر عنهما بالأدب المكشوف » وكذلك الدكتور هيكل داعية الثقافة الأوربية وتنويه مجلة الرابطة بالحاد الكماليين وخداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للملحدين ودعاية سلامة موسى الى الالحاد وهـدم الاسـلام .

— ٤ —

ومن اخطر معاركه فى هـذا المجال معركته مع مجلة الأزهر التى اصدرها الأزهر ١٩٣٠ ومن أبرز ما أخذه عليها معارضته لكتابات الشيخ يوسف الدجوى « ففى مكتوباته ما يدعو الى العجب فى مخالفـة اجماع السلف الصالح فى الاتباع وتأييد الخلف الطامح فى الابتداع وأقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم من عبادة القبور بالدعاء والاستعانة والتضرع والنذور لها والطواف بها كالكعبة واستلام ركنها وتقبيلها كالحجر الأسود » .

واخذ على مجلة الأزهر سكوتها عن امور المسلمين فى بعض البلاد الاسلامية ، وقد توقفت عنه المجلة بحجة أنه من أعمال السياسة وهى مجلة دينية رسمية ، واقترح عليها امرين : أحدهما الدفاع عن الاسلام والمسلمين بصد كل من يهاجمها فى هذا العصر بالحجة والارشاد الى العمل الذى يكشف الغمة ويجمع الكلمة والثانى الدقة فى اختيار كل ما ينشر فى المجـلة من الاحاديث والآثار اذ أن أكثر علماء الأزهر ينقلون الأحاديث من كتبهم دون الرجوع فى تخريجها الى دواوين السنة المعتمـدة حتى اشتهروا باهمال علم السنة .

وقد دخل السيد رشـيد رضـا فى مساجلات واسعة مع الأستاذ « الخضر حسين » رئيس تحرير المجلة وكتب فصـولا مطولة عن نفسه وعن المنار جمعها بعد فى كتاب تحت عنوان « المنار والأزهر » .

— ٥ —

وقد اشار السيد رشيد رضا الى أنه وضـع نموذجا لمجلة الأزهر قبل صدورها على هـذا النحو : (هـذا النموذج ما زال يحتذى ويمكن الانتفاع به الى اليوم) .

الباب الأول : مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية ، الغرض منها

بيان حقيقة الاسلام واحكامه واصلاح لشئون البشر الشخصية والقومية ، والوطنية والسياسية ورفع مستوى الانسان وتوحيد مقومات الأمم وبيان حاجة البشر الى اصلاحه فى كل زمان ومكان ولاسيما فى هذا الزمان الذى طغت فيه الأخطار المادية على الأمم فأفسدت آدابها وعلى الدول فحصرت كل منها هما فى الاستعداد للوثوب على التى تأنس فيها الضعف .

الباب الثانى : الفتاوى العامة : فيما يتعلق بالاسلام وآدابه واحكامه وتشريعه وسياسته .

الباب الثالث : كشف الشبهات وحل عقد المشكلات التى تعرض بطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والأديان المختلفة وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن فى الاسلام ، ومقاومة تيار الالحاد الذى انتشر .

الباب الرابع : باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العادات ويسمى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعتمد فيه على كتاب الملل والنحل والاعتصام .

الباب الخامس : باب التربية والتعلم : التربية الدينية والجسمية والعقلية والنفسية :

العقلية : تربية ملكة الاستقلال فى الفهم وحرية البحث .

النفسية : تهذيب الأخلاق وتربية ملكات الفضائل وتربية الارادة التى عليها المدار الأعظم فى النهوض بالأعمال وتربية الخيال بالأساليب المصورة للمعانى الخطابية والشعرية ومواضع التربية فأولها البيوت ثم المدارس فالجمعيات .

الباب السادس : آداب اللغة العربية وتاريخها .

الباب السابع : الاقتباس والانتقاد وتقريظ الصحف والكتب والمجلات (وما ينشر فى الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة)

والقاعدة هى الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعى من وحى ربهم ولا سنة ماضية من سنن نبيهم بشروطه المعروفة فى محلها فان الاجتهاد مع وجود النص ممنوع فى الشرع وفى القوانين الوضعية جميعا .

الفصل الثامن

الجمعيات الاسلامية

كان مقصد انشاء الجمعيات الاسلامية من اكبر اهداف حركة الاصلاح باعتبارها المنطلق الحقيقى لتوجيه النفوس الى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولذلك دعت المنار منذ اليوم الاول الى انشاء الجمعيات الاسلامية وعقدت فصولا مطولة عن الجمعيات الدينية فى الشرق واشار الى الجمعية الخلدونية فى تونس والى جمعية شمس الاسلام والجمعية الخيرية الاسلامية فى مصر ، والى ندوة العلماء فى الهند بوصفها منطلقات جديدة فى مواجهة جمعيات الشباب المسيحية التى نشرها التبشير فى اغلب بلاد الشرق ، وقد اشار المنار فى تقدير بالغ الى نشوء ثلاث جمعيات فى القاهرة هى جمعية مكارم الاسلام وجمعية التعليم الاسلامى وجمعية النهضة الادبية ، وقال ان بعضها انشا مدارس جعل التربية والتعليم فيهـا على منهج الدين وسننه القويم كما انشئت مدرسة اخرى لتعليم البنات .

وقال : انه يسر كل مسلم وكل انسان يحب الفضائل ويرقى ابنـاء نوعه ما تقوم به جمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الأخلاق من النهوض والانتشار وبرزت أسماء محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية وتلامذتها ثلاثمائة ونيف وقد جعل التربية والتعليم على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الاخلال بمناهج المدارس الأميرية ، وقد ساء هذا النجاح الباهر أعداء الاسلام من المارقين والحكام فحاولوا اطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وأشاع أصحاب الجرائد الضالة أن الجمعية لا ترضى الحضرة السلطانية وما قيل كذب ، أما جمعيـة مكارم الأخـلاق فقد كان راعيها الأستاذ زكى سند مشعلا متوقدا وكذلك اشاروا الى على أبو النور الحربى وخطابه المؤثر فى تهذيب الانسان وتربية الأبناء .

انتهى القسم الأول عن (مجلة المنار)

القسم الثانى عن (مجلة الفتح) يصدر قريبا

آفاق البحـــث

صفحة

رقم الايداع ٨٣/٣١٩٢

دار عطـــــوه للطبـــــاعة

تأريخ الصحافة الاسلامية

بقلم انور الجندى

كان للصحافة الاسلامية دورها الكبير فى بناء النهضة الفكرية المعاصرة ، فقد حملت منذ وقت بعيد لواء الدفاع عن مفهوم الاسلام الأصيل والدعوة فى العودة الى المنابع والتماس مفهوم القرآن والسنة ، بداها جمال الدين ومحمد عبده بمجلة العروة الوثقى ، ثم جاء السيد رشيد رضا فى خلال خمس وثلاثين سنة من حياته وحياة المنار لتقدم منهجا أصيلا جامعا للعمل الصحفى الاسلامى وهو ما نقدمه فى هذا السفر .

وسيقدم المجلد القادم عن مجلة الفتح للسيد محب الدين الخطيب التى امتدت عشرين عاما وسنواصل باذن الله دراسة المجلات الاسلامية الكبرى .

الناشر

أنور الجندى

تاريخ الصحافة الإسلامية

الفتح - محب الدين الخطيب

١٩٢٦ - ١٩٤٨

توزيع
دار الانصار
٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣٦٠٨١٥

الفهرس

صفحة

الباب الأول

مجلة الفتح : السيد محب الدين الخطيب

الفصـــــل الاول : مجلة الفتح (عرض عام لخطة الفتح واهدافها)

الفصـــل الثانى : الدعوة الاسلامية منهج الفتح وايدلوجيته

مجـــلة الفتـــح

اصدرها السيد محب الدين الخطيب فى ذى القعدة ١٣٤٤ (يونيـة ١٩٢٦) واستمرت حتى عام ١٣٦٦ (١٩٤٧) فى مدى اثنين وعشرين عاما وقد صدرت فى خلال هذه الفترة شهرية ثم اسبوعية ثم شهرية فى الفترة الأخيرة وتولى رئاسة تحريرها فى العامين الأولين الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب حتى توقفت وقد شـــهدت خلال هذه الفترة الطويلة الطويلة عديدا من أحداث العالم الاسلامى والبـــلاد العربية فشاركت فيها مشاركة فعلية وأولت اهتمامها الى قضايا الاقطـــار الاسلامية فقدمت الى قرائها فصولا ضافية عن المسلمين فى الصين والهند وجاوة (اندونيسيا) وحاورت أهل هذه الاقطار فى قضاياهم ومشـــاكلهم ومتاعبهم والتحديات التى يواجهونها من الاســـتعمار والنفوذ الأجنبى ، كذلك فقد أولت اهتماما واســـعا للبلاد العربية وخاصة المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) وشاركت فى قضاياها وتحدياتها ونشرت العديد من كتابات أهل تلك الأقطار عن موقف الاستعمار الفرنسى ومحاولاته الخطيرة فى تونس بتجنيس المسلمين أو فى مراكش باصدار الظهير البربرى الذى يفصل البربر عن العرب فى مدارس ومحاكم خاصة وذلك للقضاء على الوحدة الاسلامية الفكرية القائمة بين المسلمين فى هذه البلاد وقد حاربت الفتح فى هذا المجال واحتملت المصادرة والمنع وعملت على ايصال رسالتها تحت عناوين أخرى غير الفتح ، وكانت هذه الصحف تنقل فى باطن الأحمال التى تحملها الجمال التي تقطع الطريق الصـــحراوى بين مصر والمغرب واعان على ذلك وجود عدد من المجاهدين المغاربة فى مصر أمثال الحبيب ابو رقيبة وعلال الفاسى والفضيل الورتلانى و ٠٠٠٠ وكان الشيخ الخضر حسين مكافحا هاما فى معركة الفتح مع النفوذ الأجنبى فى شمال افريقيا .

ثم كانت قضية فلسطين كبرى القضايا التى واجهت الفتح سنوات طويلة وفتحت آفاقا جديدة فى أبحاثها منذ عام ١٩٣٥ (الثورة الفلسطينية) وما اتصل بهـــا من كشف مخططات الصهيونية ومن الدعوة الى الوحـــدة

العربية فى مواجهة الزحف الصهيونى على فلسطين فقد كانت بحق أعظم ما جرد له السيد محب الدين الخطيب قلمه ومعه عديد من قادة الفكر والسياسة فى هذه المرحلة الخطيرة .

والى جانب هذا الدور الهام الخطير قامت الفتح بمقاومة التغريب والغزو الفكرى والثقافى وأعمال دعاة الالحاد والتحرر الفكرى أمثال سلامة موسى وطه حسين وعلى عبد الرازق وغيرهم فى قوة عزم ومضاء كما فتحت الطريق أمام عشرات من شباب المثقفين المسلمين على طول العالم العربى وعرضه فتقدمت أسماء كثيرة لمعت من بعد وأصبحت فى مكان الصدارة من أمثال : مصطفى السباعى ، ومحمود بشر ، وعمر بهاء الأميرى وأحمد بلافريج « المغرب » ومحمد تقى الدين الهلالى ، وعلى أحمد باكثير ، والدكتور زكى على « جنيف » وبهجت الأثرى .

كما فضحت عديدا من المخططات الاستعمارية السياسية والثقافية ، وكان للفتح ولصاحبها الدور الأكبر فى انشاء جمعية الشبان المسلمين فى مواجهة جمعية الشبان المسيحيين وفى مواجهة الأخطار التى تعرضت لها مصر من جراء جماعة التبشير الخطيرة التى قادتها الجامعة الأمريكية وجمعية الشبان المسيحية والتى كانت سببا أساسيا فى انشاء الفتح ، وفى حشد هذا العدد الضخم من أعلام الفكر الاسلامى فى صعيد واحد لهذا الغرض ، ثم كانت جمعية الشبان المسلمين نواة لجمعيات اسلامية كثيرة فى مقدمتها جمعية الاخوان المسلمين التى ظهرت فى العام التالى لانشاء الشبان فى مدينة الاسماعيلية ، ولا ريب كان لسقوط الخلافة الاسلامية أثرها البعيد المدى فى انشاء الفتح وفى الارهاصات التى أحدثت آثارها البعيدة فى نشأة الجماعات الاسلامية والصحف الاسلامية فسرعان ما ظهرت الشبان والاخوان ، وصدرت مجلة الأزهر « نور الاسلام » ثم صدرت صحف الاخوان : النذير والتعارف والاخوان الاسبوعية فاليومية . وصدرت مجلات أخرى عديدة .

الفصل الأول

مجلة الفتح : السيد محب الدين الخطيب

عرض تحليلى عام لادوار المجلة من سقوط الخلافة الى سقوط فلسطين (١٣٤٤ — ١٣٦٧) هـ — (١٩٢٦ — ١٩٤٧) م

المجلد الأول ١٣٤٤ (١٩٢٦)

كشفت مجلة الفتح فى عامها الأول عن أخطار الحركات الهدامة :

١ — حركة المبشرين وحركة الملحدين :

« الأولى تتجه نحو تحويل المسلمين عن دينهم الى النصرانية والثانية ترمى الى تجريدهم من الدين ، يقوم بالأولى جمعيات منظمة ويقوم بالثانية رجال تعلموا فى الغرب وحكموا طرق الدعاية وتمرنوا على أساليب التمويه ومن ورائهم قوم أولوا نفوذ يحمون ظهورهم ويدفعون عنهم ما يصيبهم ويرفعون من شأنهم ولا غرض لهم من وراء ذلك الا أن يفسحوا المجال لدعاة الالحاد كيما يباشرون مهمتهم » .

وأشارت الى حملة التبشير الموجهة الى بلاد العرب والتى أعلن عنها فى الصحف الغربية فى منشور وجهه مستر استتذر (الجمعية العالمية الصليبية للتنصير فى العالم وبلاد الغرب) تهدف الى نشر التبشير فى بلاد العرب التى لم يدخلها التنصير بعد وسكانها من ٤ الى ١٢ مليونا لم تبلغهم دعوة الانجيل والحاجة الشديدة الى مائة مبشر يذهبون الى مجاهل بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد » .

أما فى مصر فقد كانت هناك عشرات القضايا :

١ — كتاب الشعر الجاهلى وتصريحات طه حسين بانكار وجود الله ونبوة الأنبياء وان العلم لا يتفق مع الدين .

٢ — قضية البغاء الرسمى ومهاجمة الشيخ محمود أبو العيون لدفاعه عن الأعراض .

٣ — قضايا القبعة ، والأغانى العصرية واصلاح المحاكم الشرعية

ودعاة الالحاد فى الجامعة المصرية وجريدة السياسة وموقفها من الاسلام والكماليون وموقفهم من الاسلام .

هذا هو « الجو » الذى واجهته « الفتح » فى عامها الأول : وقد حشدت عددا كبيرا من كتاب الاسلام الذين كتبوا فى كل هذه الموضوعات وناقشوها مناقشة واسعة ، فى مقدمتهم الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ، ومحمد حامد الفقى ، ويوسف الدجوى ، وأحمد خيرى سعيد ، ومحجوب ثابت وحسنى على الحسينى .

كما تابعت قضية طه حسين أمام النيابة وفى مجلس النواب وعرض الكتاب لموقفه من ابن خلدون ، ومن ديكارت ، كما عرضت لمواقف سلامة موسى وعنان محمود عزمى ، وهيكل ، وزكى مبارك ومنصور فهمى .

ومن ناحيـــة اخرى كشفت عن فساد المدنيـــة الحاضرة وعجزها عن اسعاد البشر لأنها لم تهتم بمكارم الأخلاق ولم تعمل على احترام الدين .

وأولت اهتمامها بالتاريخ الهجرى ، وضرورة العمـــل به ، فقالت ان التاريخ الهجرى هو تاريخ اعلان الدعوة الاسلامية واستعلائها فجدير بكل مسلم ان يضع أمام عينيه فى كل وقت هذه الحادثة المباركة التى فرق الله بهـــا بين الحق والباطل وأن يعمـــل على احيـــــاء هذا التاريخ واذاعته والعمل به .

واشـار الى محاذير الكتابة غير المسئولة عن الصحابة وأوردت قول الامام أبو زرعة العراقى وهو من أجل شيوخ مسلم قوله « اذا رأيت الرجل ينتقص احدا من اصـــحاب رســـول الله صلى الله عليه وســـلم فاعلم أنه زنديق ، ذلك ان القرآن حق ، وما جـــاء به حق ، وما ادى الينـــا ذلك الا الصحابة فمن جرحهم فانما اراد ابطال الكتاب والســــنه فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم واحق » وعارضت الفتح مقولة على عبد الرازق بأن الاسلام دين روحانى وقالت أنه دين ومنهج حياة .

وعرضت لمؤتمر منع المسكرات المعقود فى الغرب ، وأشـــارت الى موقف الكتاب الغربيين المنصفين من موقعة بلاط الشهداء وهزيمة المسلمين

فيها وكيف أخرت الحضارة سبعة قرون على حد قول (كلود فارير) وهاجمت موقف تركيا من احلال القانون المدنى الغربى بديلا عن الشريعة الإسلامية ، وابطال حكم الله فى الميراث والزواج وكان أبرز الاهتمامات قضية التبشير وقضية الغاء البغاء ».

المجلد الثانى ١٣٤٦ (١٩٢٧ م)

كان أبرز أعمال الفتح فى عامها الثانى : دراسة قضايا الأقطار الاسلامية ».

فقالت أنه مما يؤسف له ان أكثر ما ينشر عن العالم الاسلامى مكتوب بأقلام غير المسلمين والمسلم له وجهة نظر خاصة ربما كان لها دخل كبير فى تكييف تلك الحقائق وأولت اهتمامها بكشف النقاب عن احوال اخواننا مسلمى الكاب والناتال والترنسفال . وأخذت فى انتقاء شذرات من الأخبار اليومية عن أحوال المسلمين ».

وكان اكبر احداث العالم ظهور جمعية الشبان المسلمين التى تشكل مجلس ادارتها من : عبد الحميد سعيد ، عبد العزيز جاويش ، أحمد تيمور باشا ، محب الدين الخطيب ، محمد الخضر حسن ، أحمد ابراهيم ، محمد الغمراوى ، الدكتور احمد الدرديرى ، على مظهر ، محمود على فضلى ، محمد الهيهاوى ، على شوقى .

وكان أبرز القضايا التى عالجتها قضية التبشير وأعمال جمعية الشبان المسيحية ، وتابعت حملة جريدة السياسة على الاسلام وكتابات طه حسين وصحف الهلال وعلى عبد الرازق فى الرابطة الشرقية ، كما تابعت تطورات الموقف فى تركيا واعمال اتاتورك فى نزع الصيغة الاسلامية عن تركيا وتغريبها وقد برز فيها عدد كبير من أعلام الدعوة الإسلامية ، أمثال شكيب ارسلان ، ومولاى محمد على ، ومحمد احمد الغمراوى ، عبد الوهاب عزام ، وعلى الجندى ».

وعالجت قضايا المسلمين فى البوسنة والهرسك ، والمسلمين فى جنوب أفريقيا وأحوال الأفغان وقضايا الجزائر وفرنسا ، وجزيرة البحرين»

وقد واجهت الفتح حملة التغريب فى قوة « وكانوا يطلقون عليهـــا عبارة حزب الملاحدة » .

وواجهت سياسة التعليم فى مصر وهاجمت طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى ومصطفى كمال اتاتورك ومحمد عبد الله عنان .

وقد اشار صاحب الفتح الى ان الغرض من نشر الفتح ليس تجاريا ولو كان الغرض تجاريا لالتمســـناه فى ضرب آخر من ضروب الصحافة وهو الضرب الذى يوافق التيـــار الحاضر ويجـــد من الوف المتصـــلين ببرامج الاستعمار اقبالا لا تطمع صحيفتنا الاسلامية الا بجزء يسير منه ومع ذلك فان خطتنا أن يكون أسلوب الفتح مما تأنس به طبقات الأمة كلها .

المجلد الثالث (١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م)

اتســـع نطاق الفكرة التى حملتها الفتح وتركزت قواعدها وظهرت أقلام جديدة فى مقدمتها حسن البنا ، الذى بدأ يتحدث عن الدعوة الاسلامية وعلى من تجب : الحكومة ، النيابة ، الأغنياء والسراه ، العلماء ، كمـــا تحدث عن الجهاد فى سبيل الله ، والسبيل الى اصلاح الشرق ؛

واصلت الفتح اهتمامها بتطور الأمور فى تركيا الكمالية وموقف مصطفى كمال من الاســـلام ، الحروف الجديدة فى تركيا (مصطفى صبرى) الآثار العربية فى قصر طوب قبو ، أقوال سكير « أتاتورك » .

بدأت الفتح تنشر كتابات الغربيين عن الاسلام : كتاب درمنجم عن الرسول ، كتابات عبد الله كوليام حديث عن وصف قرن من الاســـلام فى انجلترا وكتابات ولز عن الاسلام .

وقدمت الفتح محمد على غريب ، عبد الفتاح كيرشاه ، محمد الخضر حسين ، محمد بخيت المطيعى ، مصطفى الحمامى ، عبد المنعم خلاف ، ومن الشعراء :

صادق عرنوس ، محمد عبد المطلب ، محمود رمزى نظيم .

أناشيد جديدة لجمعية الشبان المسلمين : نشيد (ربنا اياك ندعو) للرافعى ، نشيد حافظ واحمد محرم ومحمد عبد المطلب وشوقى ،

ووجهت الفتح نقداتها الى سلامة موسى وعلى عبد الباقى ، وطــه حسين ، ومحمود عزمى .»

ظهرت كتابات محمد أحمد الغمراوى (النقد التحليلى) فى الرد على الأدب الجاهلى واتسع الحديث عن الصهيونية فى فلسطين والبرنامج الصهيونى وحوادث البراق وتحدث عن انتشـــار الالحاد فى المدارس والجامعـــات والتبشير فى التعليم وتحول وزارة المعارف الى جمعية تبشيرية مسيحية ،

وتحدثت الفتح عن البهائية ، ومن مجلة الرابطة الشرقية واتجاهها التغريبى .»

وفى مجال العالم الاسلامى تحدثت عن الأفغان ، والجزائر .

وعن التبشير ودور الشـــبان المسيحيين ، ومدارس الفرير وحوادث السودان والجامعة الأمريكية .»

وفى افتتاحية المجلد الثـــالث قال السيد محب الدين الخطيب : نحن فى هجرة ضرب لنا هادينا الأعظم صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الاقدام عليها استعدادا ليوم الفتح الأكبر وحسبى اغتباطا وفخرا ان يكون الفتح دليل طريق الهجرة نحو المطمح الأسمى وان يكون يوم صدرت منذ سنتين فقد وجدت فى مكانها فراغا مملا ويأسا مميتا فصارعه وصرعه وقوى متفرقة فدعت الى توحيدها وما هى الا سنة واحدة حتى كثر عدد المهاجرين الى الله ورسوله فاشتد بهم ساعد الحق وقويت بهم قلوب أهل القافلة فسارت فى طريق الهجرة واسعة الخطا ثابتة الاقدام عظيمة الرجاء بالله عز وجل أن يجعل سنيها خالصة لوجهه الكريم. وقال ان الأقلام احتكرتها أنامل لا وفاء لأصحابها للاسلام ولا حرمة فى قلوبهم لتاريخ وادوات النشر الكثيرة المنوعة تسمى الاسلام رجعية بلا حيطة ولا مبالاة ولا حياء وهى لا تفتأ تتخذ من ضعف أهله حجة عليه والوسائل المختلفة التى تعمـــل على تكوين الراى العام فى مصر والتأثير الدائم عليه متفقة كلها بلســـــان الحال ان لم يكن اتفاقها بلسان المقال على خطة معينة من شأنها الابتعاد بالمســـــلمين عن الاسلام بشتى الأساليب .»

وقال : نحن نجاهر بأن لمصر صـــــورة أخرى غير هذه التى يراها الناس منعكسة فى مرآة صحافتها وباديه فى أنديتها ومدارسها وجامعاتهـــا ومعنى هذا أن الامة فى نظرنا لا تزال الى خير ولكنها محتاجة الى قيادة ».

وقال : أمامنا طريقان لا ثالث لهما : فاما أن نضـــــع أيدينا فى ايدى بعض ونعاهد الله على أن تكون هجرتنا خالصـــة له ولهداية رســــوله ولتشريف ملته والاشـــادة بذكرها واعزاز اهلها وايقاظ مشـــاعرهم وتنبيه قواهم وتوحيدها وتوجيهها نحو المطمح الاقصى فيكتب الله لنا النصر الذى وعدنا على لسان نبيه واما أن ننصرف من اللباب الى القشور وعن المعانى الى الالفاظ وعن المقاصد الى السفاسف فنزعم الغيره على الاسلام ونطلب من وراء ذلك .. ان الطريق طريق هجرة ولكن الأولى هجرة فى سبيل الله والحق والاصلاح أما الهجره الثانية فهى هجرة الى الشهرة والكبرياء » ».

ولا ريب أن هذه المعانى تعطى مفهوما واضحا أن السيد محب الدين الخطيب فى مقـــدمة مفـــكرى الاســــلام الذين تنبهـــوا الى أن التكاليف الاجتماعية التى جاء بها الدين لا تقل أهمية عن التقاليد الفردية فالتكاليف الموجهة الى الأمة بمجموعها هى التى تكفلت للاسلام عزه لأوطانه أمنهـــا ولسلطانه استقراره بل كانت حامية للتكاليف الفردية وقائمة على خلاصها وفى مجموعها تتآلف الأنظمة الاسلامية ».

المجلد الرابع (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

فى هذا المجلد اتسع نطاق الصهيونية فى فلسطين وتابع الفتح هـــذه القضية متابعة سياسيه واسلاميه جامعـــة ، فقد تحدث عن يوم المســـجد الاقصى ودماء فى فلسطين واغتيال المسجد الأقصى ومسألة البراق وبيـــان امين الحسينى ومذابح فلسطين. كذلك فقد بدأت الفتح فى نشر كتاب اليهودى الدولى لهنرى فورد ترجمه على مظهر ، وأحاديث عن الصهيونية ».

كما تحدثت عن أحوال تركيا ومواقفها من التغريب ، والجزائر وقضية التبشير البروتستانتى ، والاسلام فى مراكش ، والمســــلمين فى الفلبين ، وروسيا ومحاربة الأوثان ».

ووقفت الفتح فى وجه الالحاد والتبشير ، فى مناقشـــات واســـعة ،

وأحاديث عن الجامعة الأمريكية ، وعدوان المبشرين ، وتحدث الأمير شكيب ارسلان عن ان التعليم هو الأزمة الحقيقية فى الاسلام ، وعن ضرورة تعليم الدين فى المدارس ، وتحدث الأستاذ البنا عن : هل تسير مدارسنا وراء مدارس الغرب ، وتحدث محمد فتح الله درويش عن المسلمين فى المدارس المسيحية والتبشير فى الأمة اليتيمة ، وانتهز السيد محب الدين هذه الفرصة فأعاد نشر كتاب الغارة على العالم الاسلامى .

وبرز كتاب جدد فى الفتح : مصطفى احمد الرفاعى الذى كتب بعد ذلك بتوسع وامتداد طويل ، وأحمد عبد السلام بلافريج . والقى عبدالرشيد ابراهيم محاضرته عن جمال الدين ، وتحدث الفتح عن ما أسماه كارثة أكثر من ضياع الأندلس وهى تسهيل شيخ الاسلام لمهمة الكاثوليكية فى تونس ، وتحدث أحمد زكى باشا عن مائة سنة على استعمار الجزائر .

هذا مع أحاديث عن الهجرة ومكتبة الاسكندرية (عبد الوهاب النجار) .

ويقول السيد محب الدين الخطيب فى افتتاحية المجلد الرابع : ان هذه خطوة رابعة أخطوها أنا وهذا الجيش البدرى من اخوان الفتح المنتشرين فى أقطار الارض من جزائر جاوة واقصى الهند الى سيف البحر من بلاد المغرب الاقصى نقف معاً نجدد العهد على نصرة الحق ثم نترك ما وراء ذلك لصاحب هذا الكون الفعال لما يريد الى توحيد الجبهة المرصوصة من اهل القبلة أدعو نفسى واخوان الفتح » .

وجاءت افتتاحية الفتح على هذا النحو :

اللهم كما شرفتنا بالانتماء الى رسالة أكمل المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم التى عمل سلفنا بنظامها وقاموا بأعبائها وتواصوا بأماناتها وسلكوا سننها فتمت على أيديهم المعجزات وكافأتهم فجعلتهم خلفاءك فى الارض وكما خصصتنا بلغة العروبة سيدة اللغات التى وسعت كتاب الله وحفلت بجوامع الكلم وتبنت منذ أقدم عصورها أدق خطرات النفوس والطف مدارك العقول وأسمى سوانح الأفكار فكانت أسبق لغات البشر تسمية لها وتعبيرا عنها وتفننا فى جمال بيانها فلم يعرف الناس لكمال هذه اللغة طفولة ولا شيخوخة .

وكما بوأتنا أقدس بقـــاع الأرض واكملها واجملها واكثرها اعتدالا وأغناها بالمجد وخصب التربة وكرم المعدن وغزارة الفيض ».

واللهم وكما جبرت خواطرنا بتقليص ظل الاســتعمار الأجنبى عن أوطاننا ، (الفرنسـيين من دمشــق ، والانجليز من ثكنات قصر النيـل ، والهولنديين من اكثر جزائر أندونيسيا) وأقمت للاســلام هذه الحكومة الاسلامية الوليدة فى باكستان ،

اللهم فزدنا على هذه الآلاء السابغة نعمة واحدة أخرى لا أطمع لأمتى بخير منها وهى أن تؤهلنا لما انعمت به علينا فلا نكون غرباء عن الإســلام ونحن ورثته ولا اعداء للغة القرآن ونحن الناطقون بها ، بلغ بنا فســاد الأخــلاق والعقول الى ان يقف شـــيخ الطريقة التيجانية فى عين ماضى بالجزائر فيشكر الفرنسيين على انهم حملوا عن مســلمى المغرب أعباء السيادة والى أن يقول عدو الله غلام أحمد القاديانى : ان بريطانيــا هى حكومة مسلمى الهند الشرعية فلا جهاد على المســلمين بعد اليوم وانما الجهاد بالدعوة وحدها لقد ضن الله تبارك وتعالى بأمة نبيه محمد صــلى الله عليه وسلم أن يسحق كابوس الاستعمار صدورها ويوردها مورد الهلكة فتشب بين دول الاستعمار هاتين الحربين العالميتين الأخيرتين وضــعف بعدهما أعداؤنا ، اذا تولينا صنع بنادقنا ومدافعنا وطائراتنا فى مصــانع ننشئها لأنفسنا مبتدئين بالأمور من بداياتها ومستعدين لها بما يتوقف عليه من معارف وعلوم وممارسة مع الانابة الى أخلاق الاسلام واعداد القــوة التى أمر بها الإسلام وأن نرضى سنن الله التى سنها لكائناته وسنن الإسلام التى سنها الاسلام لأهله ».

المجلد الخامس (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

أوغل الفتح فى الاهتمام بقضايا العالم الاســـلامى فأولاها اهتماما وافرا وخاصة قضايا المغرب :

ففى تونس المؤتمر الافخارســتى الذى أطلق عليه « الحملة الصليبية التاسعة » وفى المغرب (مراكش) الظهير البربرى وبيان للأمير شكيب ارسلان وأحاديث متعددة عن العنصر البربرى ، وابطــال العمــل بعقود البيــع

الشرعية ، وعدد خاص بذكرى الظهير البربرى ودراسات عن الاســـلام فى تركيا والاسلام فى أندونيسيا ، واعتقال الزعيم عمر المختـــار فى طرابلس الغرب ، وأحاديث عن مسلمو الهند ، ومسلمو يوغسلافيا وعن أفغانستان وأمان الله خان وعن مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر .

أما فى مصر فأحاديث عديدة عن التغريب والغزو الثقافى ، وأحاديث عن التبشير بين البعثات الكاثوليكية ، والجامعة الأمريكية ، وأحاديث عن العروبة والفرعونية ،

ويواصل الفتح نشر كتاب الغارة على الاسلام وأحاديث للأمير شكيب أرسلان عن اخراج البربر من الاســـــلام وزيارته للمغرب ، وعن الحملة اللاتينية الحاضرة على الاسلام وعن الدسيسة الأجنبية على الجامعـــــة الاسلامية باسم الوطنية المجردة وأحاديث عن سلامة موسى وزكى مبارك ومنصور فهمى ومحمود عزمى وموقفه من الاسلام الذى أثاره فى محاضرة له فى باريس ، وأحاديث لعبد الرشيد ابراهيم وخالد شلدريك عن هذه الحرب الصليبية الجديدة ، وتفاصيل عن الفوارق بين الجامعة القومية والجامعة الاسلامية وحديث للأســـتاذ حســـن البنا عن كيفية المحافظة على القرآن الكريم وأحاديث عن الاستشراق وعن ســـنوك هورجزونجه المشرف على أعمال الغزو الفكرى فى جزر الملايو (جاوه وغيرها) كذلك فقد وجـــه الأستاذ حسن البنا خطابا الى النواب عباس العقاد وزكريا مهنا حـــول موقفهم من كتاب الشـــعر الجاهلى لطه حســـين ، وفيه بيان عن اقتراح الشيخ محمد قرنى عن الحد من تبرج المرأة المسلمة .

كذلك فقد أولت الفتح اهتمامها بقضية فلسطين وأحاديث عن لجنة البراق الدولية فى القدس وكيف قضى على آمال اليهود فى البراق . ودفاع محمد على باشا وأحاديث ثقافية عن دسائس اليسوعيين فى اللغة (قاموس المنجد) واحتفال الشبان المسلمين بتأبين احمد تيمور باشا ومحمد عـــلى الزعيم الهندى وكلمات عبد الحميد سعيد وقصيدة مصطفى صادق الرافعى وفى هذا اليوم صدرت مجلة نور الاسلام عن الأزهر الشريف .

ويقول السـيد محب الدين الخطيب في افتتاحية المجلد الخامس من الفتح :

لما توكلت على الله ووطدت النفس على نشر هذه الصـحيفة قبل خمسة أعوام ، كنت أعلم أن عبئها أثقل مما يراه أهل هذه الصـناعة اذا عزم الواحد منهم على أن يزيد عدد الصحف العربية صحيفة جديدة ، ولو كنت أرى رأيهم لكنت في غنى عن اصدار الفتح ، لأن الصحف كثيرة وتكاد تكون سواسية في مجاراة التيار الذي يجرى في طريقه كل ما يجرى .

كانت الصحافة في أصل وضعها مقصودا بها الارشـاد وكان أول شرطها أن يسـتمد كتابها وأحكامهم ودعاياتهم من روح الحق ومقتضـيات المصلح وأن يعملوا على رفع الجمهور الى الذروة التي أرشـد اليها وحي الأنبياء وهدى الحكماء وتعليم المصلحين ، ولكنا ما لبثنا أن صرنا الى زمان انحصرت فيه وظيفة الصحفي بارضاء شهوات القراء والاسـتمداد من طبيعة الهوى والانحدار من المرتقى الصعب الى القرارة التي لا نحن نعلم ولا هم يعلمون أين تكون غايتها .

ما هذا الانقلاب الثائر الهادم العاصف الا أثرا من آثار العمـل التدريجي البطيء الذي قامت به صحافة تعمـل على علم وتقصـد لازالة شيء كان موجودا واحلال شيء محل شيء آخر في محله لم يكن موجـودا وبعبارة أصرح أن هناك مؤامرة معنوية تفاهم أصحابها فيما بينهم بلسـان الحال لا بلسان المقال على تقليص ظل الاسلام من الوجود وهم يهاجمونه بأسلحة كثيرة طلى بعضها بطلاء الأزياء والجمال والذوق ، وبعضها بطلاء روح العصر الذي قال فيها أحد المحسوبين علينا أنها « نفحة الهية » هذه بعض آثار الصحافة فينا وفي تكوين عقائدنا وانما جاءت الفتح قبل خمس سنوات لتحتل مساحة صغيرة من ذلك الموضع الحالي فتطل على العـالم الاسلامي منادية بروح الاسلام وداعية الى الخير والنهضة والتجديد والقوة من الوجهة الاسلامية .

كان على هذه الصحيفة الأسبوعية أن تقف في وجه تيار عظيم يدفعه

موجة من خلفة موج ومن بعده موج ، ظلمات بعضها فى اثر بعض وان من يتقدم لهذه المهمة الشائقة لابد أن يكون موطنا نفسه ولم يكن يخطر على بالى قط قبل خمس سنوات أن أكون أنا الذى يصدر هذه الصحيفة .

قلت لأحمد باشا تيمور : توكلت على الله وذهبت الى أحياء القلعة أبحث عن منزل المرحوم الشيخ عبد الباقى سرور نعيم لأدعوه الى التعاون معى فى هذا الأمر وأعاننا تيمور باشا على أخذ امتياز الفتح ، ثم هى اليوم تطاردها ثلاث حكومات فى شمال أفريقيا وتطاردها أعظم الحكومات فى جنوب المملكة المصرية ، وتراقبها مكاتب استخبارات فى جميع دول الاستعمار .

المجلد السادس (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

اتسعت دائرة الجهاد فى قضايا العالم الاسلامى والاستعمار ، وقد وصلت الى الذروة :

أولا : الظهير البربرى فى مراكش ، والوحشية فى طرابلس الغرب ، وأحاديث عن صاحب السجادة الكبرى فى الجزائر ، والوقائع الدموية بين المسلمين والهنادك فى الهند ، وأحوال المسلمين فى سورباىا (جزائر الهند الشرقية) ومدغشقر وتونس واضطهاد الاسلام تحت حكم هولندا وكان من أبرز أحداث اليوم المؤتمر الاسلامى فى القدس .

ثانيا : قضية التبشير التى اتسع نطاقها فى مصر والبلاد العربية ، وأحاديث عن مؤامرات الكاثوليك ، وأعمال المبشرين وأخطار المنجد ودسائس الشيوعيين فى اللغة وتحذير من جمعية الالحاد فى مصر والمدارس ، وأحاديث عن الجامعة الأمريكية فى القاهرة (وطسون) .

ثالثا : بروز دعايات مبطلة للقاديانية ومؤامرات للمبشرين ودعاة التغريب .

رابعا : مؤامرات التغريب عن طريق أعوانه وأحاديث عن واجب العالم الاسلامى ازاء ما نزل به للأستاذ البنا ، وأحاديث عن المؤامرة الكمالية فى تركيا .

خامسا : بروز الجمعيات الاسلامية : جمعية نشر الفضائل الاسلامية

وجمعية الهداية وجمعية مكارم الأخلاق وجمعية الاخوان المسلمين .

وهنا تتبارى تلك الاقلام الاسلامية المؤمنة وفى مقدمتها الأمير شكيب ارسلان الذى يواصل كتاباته من لوزان عن قضايا الغارة اللاتينية ، والسيد الخضر حسين ، والحسن بو عباد ومحمد تقى الدين الهلالى وأحمد مظهر العظمه ، ومصطفى الرفاعى اللبان ، ومحمد حسن التميمى ، وحسن البناء ومحمد عبد العليم الصديقى ، وعبد الرشيد ابراهيم ، وأحمد توفيق المدنى وعلى احمد باكثير . وأبو النصر مبشر الطرازى ، وسليمان الندوى ،

ولقد كان كثيرا من هذه الرسائل صادرة من عواصم اسلامية ، فالطرازى يكتب من كابل عاصمة أفغانستان والهلالى من الهند ، ووصول شيخ الاسلام مصطفى صبرى الى مصر وأحاديث عن طه حسين (طريد الجامعة) فى مجلس النواب ، وأحاديث عن ترجمة القرآن ، وعن تمصير القانون المصرى ، وعن التربية الاسلامية فى معاهد التعليم ، وعن موقف الصحافة المصرية من الاسلام .

كما برزت أسماء جديدة من شباب الفكر الاسلامى خريجو دار العلوم ، عمر الدسوقى وعبد السلام هارون وعبد المنعم خلاف ومحمود محمد شاكر .

وقد نشرت الفتح صورة لجامع كنشاوه الذى تحول الى كنيسة وقد رفع الصليب على مأذنته وسمى الآن كاتدرائية (م ٦) .

كتب السيد محب الدين الخطيب افتتاحية المجلد السادس للفتح فقال :

لو كانت يدى اطول مما كان لكان أول ما أحرص على اصدار (الفتح) مرتين او ثلاثا فى الأسبوع ان لم أتمكن من جعله صحيفة يومية ، والفتح مرزوق ولله الحمد بمعونة فحول الكتاب وأبرع المراسلين فيما يعالجونه من بحوث وموضوعات ولو تمكنا من اصداره مرتين فى الأسبوع او اكثر لصار فى صفحاته متسع لنفائس كثيرة فضلا عما فى ذلك من تحقيق لأمنية الكثير من قرائه فى أقطار متعددة بل لأمنيتى أنا وقد ربته ست سنوات بلا انقطاع وغذيته بعصارة نفسى متوخيا له أسباب النمو ما لم تتعارض هذه الأسباب مع مبادئه التى التزمناها ولله الحمد بكل دقة وعناية .

وقال : تراكم في ذمم هؤلاء الافاضل من قيمة الاشــــتراك (بعد تخفيضه) ما جعل السفينة تنوء بأثقالها . لا يمر علينا أسبوع واحد تبلغ ما يرد علينا فيه من قيمة الاشتراكات مقدار ما ننفقه في ذلك الاسبوع على الفتح من ورق وطبع وطوابع بريد وسائر النفقات .

اما العقبة الثانية : يقظة الحكومات الاســــتعمارية لهذه الصحيفة وقطعها عنا موارد الحياة ، اقطار متعددة منع الفتح من دخولها ولا يزال ممنوعا .

حكومة هولندا منعت دخول الفتح الى جميع اقطار أندونيسيا ولا نجد بلدا في أندونيسيا الا وللفتح فيه مشتركون . ان الجرائد الاخرى تعيش من الاعلانات أو من اعانة الدعايات ، اما الاعلانات التى تكفى لحياة صحيفة فهى اعلانات بضائع الافرنج وفي مقــدمتها الخمور والمراهنات والكماليات التى تحث الناس من الاســـتغناء عنها أما اعانة الدعايات فالشيء الذى اخترنا الدعاية له يعين الله عليه بثواب الآخــرة ولا يعين الناس عليه بثواب الدنيا فلم يبق أمامنا الا الاشتراكات .

وعلق كاتب (محمد الطيب) على هذا فقال : من بواعث الاســف ودواعى الحزن والألم أن مجــلات الخلاعة والمجون والاســتهتار بالآداب ومحاربة العفة والكرامات تجد اقبالا وتشجيعا من كافة الطبقات وتحصل على الأرباح الطائلة من أموال الأمة وكان عليها أن تعنى بالشئون الدينية والخلقية والعمرانية بدلا من عنايتها بالهزليات التى تنحط نسبتها الى أسفل الدركات وتهوى الى أحط الدركات بينما نجد الصـــحف الجدية النافعة محرومة من معونة هؤلاء جميعا .

مبـــادىء الفتـــح

- الفتح لأهل القبلة جميعا ، العالم الاسلامى وطن واحد .
- المسلمون الى خير ولكن الضعف فى القيادة .
- أنت على ثغرة من ثغور الاسلام فلا تؤتين من قبلك .
- اعمل ليراك الله وحده وتوار عن أنظار الناس .
- الفتح رسالة الأقطار الاسلامية بعضها الى بعض .
- الفتح رابطة روحية بين قرائه .

المجلد السابع (١٣٥١ — ١٩٣٣)

أولا : تابعت الفتح قضايا العالم الاسلامى مع الاستعمار وحظيت شمال افريقيا (تونس والجزائر ومراكش) بالقدر الاكبر من الأهمية : الظهير البربرى والحملة الصليبية على شمال افريقيا وحوادث التجنيس فى تونس .

ثانيا : التبشير والتعلم الاسلامى واحاديث عن دنلوب ومنهجه فى المدرسة المصرية وما يتصل بالجامعة الأمريكية والطلاب المبلمون ، وكتب جديدة عن التبشير واصول التعلم الاسلامى والقرآن ومسالة ترجمة القرآن واحاديث عن جامعة المسجد الأقصى .

ثالثا : أحاديث عن العالم الاسلامى وتأخره ، والأمة العربية ورسالتها وأحوال المسلمين فى الصين والأفغان والهند وبلغاريا ولندن والبوشناق وموقف الاتراك من الاسلام ، وأحاديث عن السنوسية وزعيمها الأكبر والدعوة الى الاسلام فى الغرب والاسلام فى الصحف الأجنبية .

رابعا : قضايا التغريب والغزو الثقافى فى مصر واحاديث عن البغاء الرسمى وتحريم الزنا فى القانون المصرى ، وأحاديث عن القاديانيين والأحمدية وشبهاتهم ، وأحاديث عن افلاس الشيوعية .

خامسا : قدمت الفتح ابحاثا مستفيضة باقلام شكيب ارسلان والدكتور عبد الكريم جرمانوس وشوقى وأمين الشنقيطى وخالد شلدريك وبرناردشو وتصريحاته عن الاسلام ومساجلة بين فريد وجدى ومصطفى صبرى .

ومن كتابها وشعرائها : عبد المنعم خلاف ، ومحمد حسن التميمى ، ومحمد صادق عرنوس ومصطفى الرفاعى البنان ومحمد الهراوى وعلى الجندى ومحمد تقى الدين الهدلى . وفى هذا العام صدرت جريدة الاخوان المسلمين (أسبوعية) عن المطبعة السلفية (طنطاوى جوهرى ومحب الدين الخطيب وحسن البنا) ورأس فريد وجدى رئاسة تحرير مجلة الأزهر (نور الاسلام) .

المجلد الثامن (١٣٥٢ — ١٩٣٤)

واصلت الفتح معالجة قضايا العالم الاسلامى وقضايا التغريب والغزو الثقافى وقد اتسع امامها المجال وظلت القضايا الكبرى كما هى :

اولا : قضايا التبشير والتعليم الغربى فى مصر والعالم العربى والتعلم فى الأزهر ومناقشة هادئة من المبشرين ، موقف المسلمين من كتب اليهود والنصارى ، والبشائر النبوية فى الكتب المقدسة وبراهين جديدة على تحريف التوراة والانجيل .

ثانيا : قضية فلسطين فى الأهمية الكبرى ومحاولة تهويد فلسطين .

ثالثا : موقف تركيا من الاسلام .

رابعا : مؤامرة القاديانية والبهائية .

خامسا : موقف الصحافة المصرية من الاسلام .

سادسا : قضايا المغرب (تونس والجزائر ومراكش) .

سابعا : قضية ترجمة القرآن .

ثامنا : المصرية الفرعونية والحديث عن مكانة مصر العربية وعروبتها .

تاسعا : الدعوة الاسلامية ، وانتشار الاسلام فى اليابان وأوربا والمؤتمر الاسلامى الأوربى والمؤتمر الاسلامى فى القدس .

عاشرا : الجماعات الاسلامية ، فى اندونيسيا ، ودور الجمعية الخيرية الاسلامية .

حادى عشر : قضايا التغريب ، والحديث عن التجديد ، والمحاكم المختلطة .

ثانى عشر : احوال المسلمين فى شرق أفريقيا وتركستان العربية ومسلمو الهند والمجر واحوال مسلمو يوغسلافيا والمدارس التبشيرية فى ايران .

ثالث عشر : الحضارة الاسلامية ، اللغة العربية الأدب العربى .

رابع عشر : الشريعة الاسلامية وتوحيد القضاء المصرى ، والمحاكم المختلطة .

وصدرت في هذا العام مؤلفات اسلامية هامة : حاضر العالم الاسلامي (ترجمة عجاج نويهض) والوحي المحمدي (رشيد رضا) نقض مطاعن في القرآن : الرد على طه حسين (محمد عرفة) الانجيل والصليب ، الحكم على البهائية ، موقف الاسلام من كتب اليهود والنصارى (مصطفى الرفاعي) .

وكتب في هذا المجلد : محمد تقي الدين الهلالي ، شكيب ارسلان ، خالد شلدريك ، محمود شويل ، مصطفى الحمامي ، عبد الكريم جرمانوس ، علي أحمد باكثير ، مناقشة عن تركيا بين شكيب أرسلان وفريد وجدي ، مصطفى الرفاعي اللبان .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب في افتتاحية هذا المجلد يقول :

ظهرت هذه الصفحة الى عالم الوجود يوم لم يكن للدعوة الاسلامية صحيفة من نوعها تجمع حولها الأفئدة وتنعش العزائم .

نزلت الفتح الى الميدان لغرض سامي هو عندها أوج الأمر ومداره وركنه وعماده الا وهو الدعوة الى اتباع الرسالة التي جاء المرشد الأعظم محمد صلوات الله عليه وسلامه ليحمل عليها البشر تحقيقا لسعادتهم في الدارين فهي في كل ما تستحسنه وتستنكره انما تصدر عن مبدأ واحد وترمي الى غاية واحدة هما موالاة كل من يوالي صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ومعاداة من يتطاول على هدايته بسوء ، قريبا كان أو بعيدا قويا كان أم ضعيفا مستعينين في ذلك بالله عز وجل أولا ثم بالأوفياء لهداية الاسلام من أهل القبلة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم لا تنظر في ذلك الا الى الأمر الجامع بين المسلمين ولا يختلفون على معنى من معانيه وهو ما يكون به المسلم مسلما وان زمانا هوجم فيه هذا الأمر الجامع لخليق بمن اشتركوا في أصل الاسلام أن لا تفرقهم الفروع في ميدان الدفاع .

مهمة الفتح هي التعارف والتآليف :

أنشئت الفتح لتنبه بصائر أهل البصائر من قرائها الى الأغراض السامية البعيدة المدى التي ترمي للملأ رسالة سيد الخلق أكرم رسل الله

على الله صلى الله عليــه وسلم وأنشئت لتحرك في قلوب أصحاب القلوب الحية من قرائها بواعث الهمة للعمل في معسكر هذه الرسالة .

وقد كان من ثمارها تأسيس جمعية الشبان المسلمين التي ما لبثت أن صارت جمعية عالمية ذات فروع وشعب ، وتكاد تكون ترجمان المسلمين في كثير من آمالهم وآلامهم واعترف لها الغرب بالمكانة والأهمية وسداد الخطا كما سجل ذلك الدكتور كيمفاير من كبار مستشرقي ألمانيا .

كما تأسست جمعية الهداية الاسلامية وأخواتها في الشام والعراق ، واذا بموجة ثالثة من موجات اليقظــة الاسلامية يدفعهــا ايمان الاخوان المسلمين في كثير من أنحاء القطر فيتألف منهم صف آخر من صفوف الجهاد .

هذا واليقظة لا تزال في بدايتها .

المجــلد التاســع (١٣٥٣ — ١٩٣٥)

ان مأساة فلسطين هي أعظم موضوعات هــذا المجلد فقد تناولت الأبحاث : فلسطين والانتداب ، بيع الأرض لليهــود ، الصهيونية ، عرب فلسطين والخطر اليهودي ، وعد بلفور ، هجرة اليهود ، وجاءت بعد مأساة فلسطين قضية مسلمي الهند وخلافهم مع الهندوس ، والأخطار التي تحيط بمسلمي الهند وتوالت بعد ذلك الأبحاث : المسلمون في الحبشة والمسلمون في الصين واندونيسيا والأفغان ، وشمال أفريقيــا ، ومسلمو يوغسلافيا والمسلمون والبلاشفة ومحاولة البلاشفة والعنصريون الروس خنق العناصر الاسلامية ، وموقف اليهود في الجزائر وابن جلول الجزائري ، وفي مجال الغزو الفكري والتغريب توالت الأبحاث عن التبشير والأزهر .

وأفردت الفتــح فصولا مطولة عن البهائية والتيجانيــة والقاديانية والأحمــدية .

وعن الجماعات الاسلامية تحدثت الفتح عن جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية وجمعية التعارف الاسلامي والجمعية المحمدية في اندونيسيا .

وعن قضايا الفكر الاســلامي تحدثت الفتح عن الدعوة الاسلامية للوقوف في وجه البغاء والربا وتحريم الربا وعن التعليم ووزارة المعــارف

والتعليم الاسلامى والمدارس الأجنبية وعن الجامعة الأزهرية واللغات الأجنبية ، والمرأة وقاسم أمين ، وكتابة التاريخ الاسلامى ، وعن حضارة الاسلام وتلقيح الجدرى الذى أخذه الاوربيين من المسلمين .

وتحدثت المنار عن الصحافة المصرية وموقفها من الاسلام .

وكتب كثير من اعلام الفكر الاسلامى من أمثال محمود محمد شاكر ، محمد حسن النجمى ، عبد المنعم خلاف ، مسعود عالم الندوي ، أبو الحسن الندوى، مصطفى السباعى، عبدالله الزنجانى وشكيب ارسلان، ومحمد على علوبة عن مشاهداته فى الهند .

وعرض لكتاب هيكل (حياة محمد) وما ورد فيه من ملاحظات .

وأوردت الفتح رأى برناردشو فى الاسلام ، والسيد اكبر حسين الاله أبادى ، ومقالة أبو الريحان البيرونى ، ورد على طه حسن والعقاد .

برنامج اسلامى لسبع سنوات :

١ — التشريع الاسلامى أرحم وأعدل من كل تشريع تقدمه أو جاء بعده فيجب على كل مسلم مقتنع بهذه الحقيقة أن يقنع المسلم الذى لا يزال يجهل .

٢ — للحضارة الاسلامية القائمة على أساس من أنظمته وتعاليمه مزايا لا توجد فى حضارة الغرب المحكوم علينا الآن بأن ننضوى تحت ظلها . ومن المزايا ذات صلة عظيمة بسعادة الانسانية . فعلى من يثق بهذه القضية ويعلم أنها حق اقناع البشر بها ولاسيما المسلمين توطئة للنهوض بالحضارة الاسلامية وبعثها من جديد .

٣ — لا يستطيع شباب المسلمين أن يحملوا « أمانة الميراث الاسلامى» عن الأجيال الماضية الى الأجيال الآتية الا اذا تثقفوا ثقافة ذات صبغة اسلامية من جميع النواحى العملية والفكرية والعلمية ، فيجب اقناع المسلمين بهذه الحقيقة وحملهم على العمل بها .

٤ — المسلمون أمة واحدة والعالم الاسلامى وطن واحد وأهل كل قطر اسلامى هم جند الله فى ذلك القطر فعليهم أن يتحروا الخير ويدرأوا

عنه الشرور ولهم مقابل ذلك حق التصرف بمرافقه لأنهم أولى بهـا وأعرف بطرق استصلاحها فالوطن حق .

وهى لا تنافى اخوة الاسلام لأنها لبنة فى جدارها وحلقة من سلسلتها

٥ ــ عبء الاســلام ينوء به اهل الرأى وأصحاب الغيرة اذا لم يشاركهم أهل الثروة واصحاب الوجاهة فيجب على المجاهدين أن يجدوا الطريق الى قلوب الأغنياء والوجهاء ليجعلوا لهم نصيبا فى مفخرة العمل لنهوض الاسلام .

٦ ــ أن الفتح انشئت لمعاشاة الحركة الفكرية الاسلامية تسجيل أطوارها وكان انشاء هذه الصحيفة وليد الحاجة الى حاد يترنم بحقائق الاسلام ولسان ينطلق بآمال المسلمين وفى الأعوام الثانية تم تأسيس جبهة اسلامية لا بأس بها وانطلق لسان الاسلام ببيان أمانى أهله فبدأنا نشعر اليوم بالحاجة الى الانتقال من طور القول الى طور العمل .

٧ ــ اقترح على اخـوان الجهـاد من رجـال الجمعيـات الاســلامية وجنـود الدعـوة الى الحـق المنتشرين من آفاق الصـين الى الســاحل الغـربى فى بلاد المغـرب الاقصى أن يدون كل منهـم فى مذكرته مطلبـا نعمـل كلنـا على تحقيقه ، يجب أن يقتنع كل مسـلم بأن هذه الخطوط التى تفصـل أقطار العالم الاسلامى بعضهـا عن بعض على الخريطة ليس معناها فى لغـة الاســلام أن المسلمين امم مختلفة ، فالمسلمون أمة واحدة لأن نفوسهم تتسل بأسرة واحدة وعقولهم تشترك فى عقيدة واحدة وقلوبهم تتحرك بأمنية واحدة .

فأهل كل قطر اســلامى هم جنود الملة كلها يرابطون بالنيابة عنهـا فى القطر الذى هم فيـه ليقوموا بما على المسلمين من خلق الاحتفـاظ به والعمل على انهاضه واسعاده .

٨ ــ علينا حمل الأمانة التاريخية عن الأجيال الاسلامية التى تقدمتنا الى الأجيال الاسلامية التى ستأتى بعدنا .

٩ ــ رياح النصر فى الجهـــاد لا تهب الا على رجـــال يريدون وجـه الله وحـده فى كل ما يعملون ، عرف لهـم النـاس ذلك أو جهلوه وآفة جهـادنا التى تحبط كل عمـل وينقلب الخـير الى شر اعجـاب

المرء بنفسه وانتباه شهوة الظهور فى بعض أهل الفضل ، وبذلك تخمد جذوة الجهاد فالحكيم من يجاهد فى نفسه شهوة الظهور قبل أن يتصدى لأبواب الجهاد الأخرى والتنزه عن شهوات النفس واتهام النفس بالتقصير .

ومن عادة الدنيا أن تفر ممن يطلبها وأن تطلب من يفر فيها فاطلب وجه الله وحده .

المجلد العاشر (١٣٥٤ — ١٩٣٥)

كانت قضايا العالم الاسلامى هى المنطلق الأساسى للفتح حيث ما تزال المعركة مع الاستعمار محتدمة ، واكبرها قضية فلسطين والوطن القومى اليهودى ووعد بلفور .

وتناولت أمر الهندوك والمسلمين وقضية المنبوذين وتلك مقدمات انفصال المسلمين ودعوتهم الى انشاء باكستان ، وقضايا المسلمين فى طرابلس وبرقة وأندونيسيا وموقف فرنسا من سوريا .

وتناولت الأبحاث أحوال المسلمين فى الحبشة بعد غزوها الايطالى ، وعرب زنجبار وأحوال المسلمين فى بلغاريا ومسلمى البوسة والهرسك ، ومسلمو بولونيا والدعوة الاسلامية فى انجلترا ، وقضايا المسلمين فى أفريقيا الوسطى .

ولم تغفل الفتح عن قضية التغريب والغزو الثقافى وتناولت عديدا من قضاياه فى مقدمتها شبهات طه حسين ومحمود عزمى، ودعوة سيزانبراوى بنسخ حكم الله فى تعدد الزوجات وما يتصل بأحوال ايران بعد تركيا ودعوة الحزب القومى السورى ، وسموم اسماعيل ادهم أحمد ، وكانت قضية ترجمة القرآن من اهم الأحداث التى استاثرت ببحث العديد من كتاب المنار .

وكانت قضية التبشير ولا تزال أهم القضايا وموقف جمعية الشبان المسيحية .

وتحدثت عن الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامى عند الشيخ محمد عبده والتعليم الدينى والحركة العربية فى مواجهة الصهيونية ، واحاديث لماذا اختار الله العرب لحمل الأمانة وأحوال المراة المسلمة والمراة التركية والعربية .

وفى هذا العام توفى السيد رشيد رضا صاحب المنار فانفردت الفتح بالجلل من الأمور ، وفى هــذا العام صدر الجزء الثانى من المجلد الخامس والثلاثين من المنار (محى الدين رضا) متضمنا آخر ما قام السيد رشــيد رضا مؤسس المنار بتفسيره وكان قد وقف قلمه عنــد وفاته عند تفســير آية « **رب قد اتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة** » .

وكتب فى هذا المجلد كثيرون منهم حسن البنا ، محمد أحمد الغمراوى ، مسعود عالم الندوى ، محمد على علوبة ، ابراهيم الجبالى ، محمود يسن ، محمد الخضر حسين ، مصطفى السباعى ، مصطفى الحمامى ، على مظهر .

وكتب عن اعــلام المسلمين امثال عز الدين القســام ، وبدر الدين الحسنى المحدث والشيخ محمد رشيد رضا والبيرونى ونشر أول قصيدة لأحمد محرم فى ديوان مجد الاسلام ونشرت شعر العانوس وباكثير .

ما عملته الفتح :

- دحض القاديانية وتبيين دجلها لمن لم يعرفها ولمن كان يحســن بهــا الظن ولمن دخلها بحسن نية .
- مقاومة الاستعمار وأعداء الملة بكل قواها ، وقد نالهــا من ذلك عنت شديد وحرم دخولها فى اقطار اسلامية كثيرة .
- الفتح والتعارف الاسلامى : ملتقى المسلمين من جميع أنحاء الأرض : الصين ، وجاوة ، وحضرموت وقد نقلت صحف ايران مقال تعارف علماء الفرق الاسلامية التى كتبها أبو عبد الله البوزجانى .
- الشعر الاسلامى : الدفاع عن الاســلام ، أحمد محرم ، النجمى ، عرنوس ، باكثير .

المجــلد الحادى عشر (١٣٥٥ — ١٩٣٦)

واصلت الفتح رسالتها فى قوة وعزيمة واصرار :

معالجة قضايا العــالم الاســلامى من وجهــة نظر الايمان الكامل بأن الاسلام جنسية وطنية وأن مشاكل المسلمين لا تحل الا بالتماس منهج

الاسلام الاجتماعى فى الاصلاح وفى هذه الفترة برزت فكرة الوحدة العربية فى مواجهــة التحــدى الخطير الذى نزل بالعرب والمسلمين وهو النفوذ الصهيونى فى فلسطين وقد كانت قضية فلسطين هى أولى القضــايا التى استأثرت باهتمام الفتح وتلتها قضية المسلمين فى الهند وبروز فكرة باكستان فى مواجهة التحديات التى تلقاها المسلمون فى قارة الهند ، كما تناولت عديدا من قضايا المسلمين على الساحة الواسعة :

العرب والترك ، المغرب والمغاربة فى المنطقة الاســـبانية ، مؤامرة التجنيس فى المغرب ، شــمال أفريقيــا وفرنســا ، الاســلام فى التبت ، تركستان الصين والاسلام ، الاســلام فى سنغافورة ، اليمن وايطاليــا ، الحرب الطرابلسية وقد استأثرت طرابلس الغرب باهتمام بالغ ، الهنــد والمنبوذين ، اسلام المنبوذين ، منبوذو الهند ، مسلمو يوغسلافيا ، المسلمون فى فنلندا ، اليمن ، مسألة الاسكندرونة وانطاكية ، أفريقيــا الشرقية ، الفيلبين حصن الاسلام ، التبشير فى السودان أما بالنسبة لقضية فلسطين فقــد تعــددت الأبحاث عن اليهــود والعــالم الاسلامى وصك الانتداب فى فلسطين ، ونداء اللجنة العربية فى القدس ، وبيان السيد أمين الحسينى امام اللجنــة ، والمؤتمر الفلسطينى الهنــدى وحكم التوراة والانجيــل على اليهــود (*)

وواصلت الفتح عملها الفكرى والثقافى على جميع الجبهات : فأولت اهتمامها بــ :

١ — الشريعة الاسلامية وكان هــذا المجلد حافلا بقضايا الفقــه الاسلامى والقانون المصرى ، وصلاحية الشريعة الاسلامية للتقنين (*)

٢ — دراســة السنة (*)

٣ — ترجمة القرآن وظهور كتاب حدث الأحداث فى الاسلام للشيخ محمد سليمان (*)

٤ — الجمعيات الاسلامية ، وأحاديث عن الشبان وجمعية الهداية (عبد الحميد السيد) وجمعية أنصار الايمان ، وجمعية مكارم الأخــلاق ،

وجمعية الجهاد الاسلامى (احمد ابراهيم البراوى) وجمعية التعارف الاسلامى (محب الدين الخطيب) .

٥ — التعليم والتربية الاسلامية ، والمراة المسلمة ، والمدارس الأجنبية والجامعة ودراسة الدين .

٦ — التحديات فى وجه الاسلام : تفسير الدجال القاديانى ، رسالة من حسن البنا الى مصطفى النحاس ، الحذر من الدسائس البلشفية (تقى الدين الهلالى) البرنيطة والسفور ، تركيا وايران ، برنيطة توفيق الحكيم ، التبشير فى مصر ، سلامة موسى وبشارته ، توفيق الحكيم والرسالة ، ومواجهة لطه حسين من الكليات الخمسة (الحقوق ، الزراعة ، الهندسة ، التجارة ، العلوم) لما أعلنه فى المصرى ، يطالبون بضرورة تعليم الدين الاسلامى بالجامعة وفصل الطلبة عن الطالبات اثناء الدروس ويعلنون أن طه حسين لا يمثل الجامعة المصرية .

٧ — أحاديث عن الاسلام فى الغرب والجمعية العربية فى بريطانيا (عمر الدسوقى وعبد الرحمن البزاز) والطلاب فى باريس (عمر بهاء الامرى) .

أما كتاب هذا المجلد فهم : مصطفى حسنى السباعى ، دكتور زكى على ، محمد مكين ، أحمد محرم ، مصطفى الرفاعى اللبان ، محمد الظاهر ابن عاشور ، محمد تقى الدين الهلالى ، عمر الدسوقى ، بهاء الامرى .

وقد قدمت الفتح تراجم للأعلام المتوفين : الشيخ محمد سليمان ، سليمان باشا البارونى ، طنطاوى جوهرى ، ياسين الهاشمى ، رثاء رشيد رضا ، مصطفى صادق الرافعى .

وقد عرضت لمؤلفات جديدة من كتب الشريعة الاسلامية : أحكام الوقف والمواريث (احمد ابراهيم) النظرية العامة للاعترافات فى الشريعة الاسلامية (شفيق شحاتة) ، التشريع الاسلامى مصادره وقواعده (حسن أحمد الخطيب) .

وقد أشارت الفتح الى أن حكومة أندونيسيا أعادت مراسلاتها

الى جاوة عن خمس أعداد مكتوبا عليها Interdit أى ممنوع دخولها ولم يوجد بها أى حرف ضد الحكومة الهولندية أو بلاد جاوة .

وقد افتتح السيد محب الخطيب المجلد الحادى عشر بكلمات قال فيها :

أن المسلمين لم تكن لقله عدد فان عددها أربعمائة مليون أو ثلاثمائة مليون لا يصاب بالهوان والضعة من قلة وانما تصاب بهما لتفريطهما فى استعمال ما وهبها الله من قوة واقرب الأمثلة على ذلك ما نراه الآن فى فلسطين من أمة لا يزيد عددها على سكان مديرية واحدة من مديريات القطر فقد أيأسوها فرأو منها العجائب .

نحن المسلمون نفهم التقوى فهما ضيقا ونراها ضئيلة وتنزوى فى ركن واحد من أركان صرحها العظيم ومن حق أولادنا علينا الآن أن يتعلموا منا أن التقوى التى امرنا الله بها والتى وعدنا عليها بثواب الآخرة لها معنى عام شامل اشتقت منه الوقاية من الأمراض ويدخل فيها اتقاء الأخطار والنوازل ومن هم صون الملة من الانحدار فى مهاوى الذل ومزالق الأخلاق .

المسلمون لم يتجردوا من وسائل النجاح عن فاقة وفقر فان منهم من أهلك الثروة من يصارعون أغنى أغنياء العالم بل هم بمجموعهم ينفقون على الضرورى من الأمور ما يتسرب من جيوب فقرائهم وصناديق أغنيائهم فيضعهم الى خزائن مصانع العرب ويكون عده لهم علينا وعونا لحكوماتهم على استعبادنا واستغلال أرضنا وكنوزنا ومن واجب خطباء مساجدنا ان يرشدوا الأمة الى الاستغناء عن الكماليات بقدر الامكان وأن يحرصوا على الضروريات وأن يستثمروا المعطل من ثرواتهم وفيض مواردهم فى تأسيس المصانع الكبرى .

ان الحضارة الغربية لما طغت على الشرق جاءته بقشورها وسفاسفها فأيقظت شهوات بنيه وهيأت نفوسهم لحب المتعة وشغلت إفكار المتعلمين بوباء من النظريات الفلسفية وأفسدت عليهم طمأنينة الايمان ومن حق النسل الجديد على آبائه أن ينشئوه من الآن نشأة تخالف نشأتهم وتحوله من الاشتغال بالقشور الى العكوف على اللباب ولا يكون ذلك الا بقلب نظام

جميع المدارس العربية الاسلامية رأسا على عقب وتكون من جديد تكوينا غربيا اسلاميا تتصرف فيه العقول والمدارك والحواس كلها نحو اكمال تاريخ انبطولة الاسلامى بسلاح العلم المجدى والعمل الجدى » .

ومن خلاصة هذا المجلد نجد ما يأتى :

* اصرار على تطبيق الشريعة الاسلامية منهجا للمجتمع ونظاما للحكم .
* اصرار على مواجهة الغزو الوافد (الصهيونية) .
* اصرار على التحرر من التبعية الفكرية والاجتماعية فى الملبس ونظام العيش .

المجلد الثانى عشر (١٩٥٦ هـ — ١٩٣٧)

تابع الفتح رسالته فى قوة ومضاء وما تزال قضية فلسطين هى أخطر الأحداث السياسية فى العالم الاسلامى كله ، وقد تابعت أحداثها متابعة واسعة فنشرت كل ما يتعلق بتقرير اللجنة الملكية البريطانية والانتداب البريطانى فى فلسطين ، وما يتصل بتاريخ المشكلة وعهود مكماهون ووايزمان وفيلبى ، وتناولت حكم التوراة والانجيل ومؤتمر بلودان .

وتناولت قضايا البلاد العربية (توحيد فلسطين وسوريا) ولبنان وقضية العروبة ، ومسألة الاسكندرية وقضايا المغرب وسياسة فرنسا وغطرسة الاستعمار الفرنسى ،

وتناولت قضية باكستان وكان قلم تقى الدين الهلالى هو المجلى فيها ،

وأحوال مسلمى شرق أفريقيا ، والثورة الكردية فى تركيا وشئون تركستان الاسلامية .

وتناولت شئون الوحدة الاسلامية ، والنهضة الأدبية فى الهند .

وأولت قضايا التعريب والغزو الثقافى اهتماما بالغا : فتحدثت عن تركيا وموقفها من الاسلام وعن المحاكم المختلطة وعن التبشير فى مصر ، والاباحة والالحاد فى اليمن وقضية القبعة الجديدة واعادة على عبد الرازق الى الأزهر ودراسة عن الشيوعية والقاديانية وعلم النحو والمبادىء اللادينية فى سوريا .

وتحدث عن قضايا الفكر الاسلامى والتشريع الاسلامى والحكومة الاسلامية ، ونشرت وثيقة تاريخية مهمة من سلطان المغرب الى أحد ملوك أوربا فى القرن الثانى عشر الهجرى وتوحيد مناهج العلوم ، والمدرسة الدينية والتعليم فى مصر وتحدثت عن النهضة العربية واليقظة الاسلامية والاتحاد العربى والعلاقة بين العروبة والاسلام والتاريخ القومى واللغة العربية ولماذا اضمحلت فى جاوة وسومطرة وفى الجزائر .

وتحدثت عن قضايا المجتمع وما بعد الغاء الامتيازات (الخمور والبغاء) والمرأة والانتخابات وتحدث على الطنطاوى عن عارف العارف خليفة ميشيل عفلق فى الهجوم على الدين والتاريخ .

واولت الجمعيات الاسلامية اهتماما واضحا فتحدثت عن الشبان ومكارم الأخلاق والاخوان والجمعية الشرعية واحياء السنة والجمعية السلفية كما تحدثت عن أندونيسيا والجمعية المحمدية (الشيخ أحمد دحلان) ورابطة شباب محمد فى دمشق وشباب محمد فى فلسطين وطلبة الاخوان ومنهاج الاصلاح .

وكتب فى هذا المجلد : أبو الوفا الشرقاوى ، محمد الطاهر بن عاشور ، وعجاج نويهض (العرب والانجليز والقضية الفلسطينية) مصطفى السباعى (يوم العيد الأكبر) عبد الحميد السيد (الحملة على القاديانية) محمد مكين الصينى (الاسلام فى الصين) محمد تقى الدين الهلالى (الاذاعة فى البلاد العربية) عمر الدسوقى (يوم العروبة فى لندن) عمر صدقى الأميرى (ذكرى المولد فى باريس) عبد الرشيد ابراهيم (القرآن كلام الله بنطقه العربى) بدر الدين الصينى (ترجمته) محمد طه فياض العينى ، ومن الشعراء محمد الهيباوى ، محمد السنوسى مقلد (قف فى ربا الخلد واهتف باسم عدنان) سعيد العيسى (عن محمد وعيسى) ومن الكاتبات المسلمات : عزيزة عصفور وزينب على المنصورى .

وتناولت الفتح الترجمة لعدد من الشخصيات الاسلامية : الدكتور محمد اقبال (مسعود عالم الندوى) محمد عبد العليم الصديقى (عبدالحميد سعيد) خطبته فى بلودان ، الشيخ محمد سليمان .

كما تناولت ذكرى عمر المختـــار ، وتحدثت عن أمين الحســـــينى واعتقاله ، وهجرته الى بيروت وعن فرحان السعدى ، ومحمد أســـــد النمســـاوى وخالد شلدربك وكيف هدى الى الاســـلام والشـــيخ أحمـــد الســـكندرى .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بحديث مستفيض عن رسالة الفتح قال :

« ما وزنت ولا أزن أحداث البشر وآرائهم الا بميزان الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون ولا حكمت ولا أحكم على تلك الأحداث والآراء الا بما تقتضيه وحدة المسلمين ومصلحتهم العامة المجردة من أغراضـــنا الزائلة وأهدائنا الباطلة . ساعة أكتب ما أكتبه للفتح وساعة أقرأ ما يكتبه الكاتبون لينشر فى الفتح لا أجـــد أمام عينى الا ذلك الميزان الذى أزن به الأحـــداث والآراء ولا أقيسها الا بمقياس الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون غـــير ملاحظ شيئا غير مصلحة المسلمين العامة وافقت أهواء الناس ومصالحهم أم خالفتها ، وافقت مصلحتى ومنفعة الفتح المادية أو خالفتهما .

أنا فى نفسى فقير قليل التصبر ولكنى ساعة أدفع السوء عن حقائق الاسلام أو أبتغى المصلحة لعامة المسلمين لا أشعر بأن فى هذه الأرض قوة للباطل أخشاها على الحق الذى أنطق بلسانه وان اللسان الذى أنطق به هو لسان الاسلام القوى وليس لسان الانسان الضعيف .

ان الفكرة التى تمثلها الفتح عظيمة فى ذاتها ، وهى وليدة الاســـلام فليس لنا ولا لغيرنا فضل فى ايجادها وتكوينها ، وانما الفضل كل الفضـــل هو فى الاكثار من العاملين لها والعارفين بمراميها والمجاهدين فى سبيلها .

لما صحت العزيمة على اصدار الفتح لم يكن فى مصر صحيفة اسلامية غير مجلة المنار وكانت منتشرة فى دائرة ضيقة لأنها شهرية ولأن قيمة اشتراكها غير متناسبة مع حجمها السنوى ولأنها ذات أبواب محدودة لا تتسع لأكثر مما يكتبه منشئها رحمه الله ولم يكن من السهل فى ذلك الحين الحصول على رخصة باصدار صحيفة سياسية جديدة فى القطـــر المصرى حتى لو كانت سياستها اســـــلامية لا تتعداها لأن وزارة الداخلية كانت قد أقفلت باب

الترخيص باصدار صحف غير الصحف الأوربية ولا تقبل فيه طلبا الا فى ظروف خاصة ولأناس دون آخرين ، وكان احمد تيمور باشا رحمة الله عليه أكثر منا اهتماما بصدور الفتح . وشيخى الشيخ طاهر الجزائرى هو الذى ربى عقلى وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ولا أعرف مؤلفا أو حامل قلم نشأ فى ديار الشام الا كانت له صلة بهذا المربى الأعظم وأهم كتب السلف النافعة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه ، وأنا وكل ما نشرته ما هو الا قطرة من بحر الخير الذى كان يتدفق من صدر هذا العالم والعامل ، أستاذى فى الصحافة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، التحقت بتحرير المؤيد سنة ١٣٢٧ هـ (سبتمبر ١٩٠٩) استفدت من أساليبه الصحفية ومن خطته الاسلامية ما أنا مدين له به ما دمت حيا فالمؤيد كان مدرستى الأولى فى هذه الصناعة وفيها صاحبت المنفلوطى ومن فى طبقته من الكتاب الممتازين .

وسبب وجود الفتح : المسلم الكامل والعلامة المحقق انقطع النظير أحمد تيمور باشا ولولا تيمور باشا لما وجد الفتح ، ولولا الفتح لما وجدت هذه الصحف الاسلامية بعده ، وهو الذى سعى جاهدا لاطلاق لسان الاسلام فى صحف منتشرة تؤيد دعوته وتذب عن بيضته وتتحدث عن صديق آخر هو الشيخ محمد كامل القصاب وأمنية النهوض بالاسلام الى ما كان عليه فى عصر التابعين ثم جمعتنا رابطة العربية الفتاة ، والاستقلال العربى .

وكان الشيخ محمد الخضر حسين فى مقدمة الأفاضل الذين أمدوا هذه الصحيفة بآثار فضلهم منذ سنتها الأولى الى الآن فما هوجم الاسلام فى وقفة الا وكان للأستاذ حفظه الله دفاع أمتن من الفولاذ وأرسخ من الجبال الراسيات .

وأشار الى كتاب الفتح فى هذه الحقبة ،

الدكتور يحيى الدرديرى ، محمد اسماعيل عبد النبى ، مصطفى صبرى ، محمد صادق عانوس ، أحمد محرم ، محمد حسن النجمى ،

ابو اسـحاق ابراهيم أطفيش ، عبد الحميد سـعيد ، محمد أبو الوفا الشرقاوى ، سليمان البارودى ، مصطفى أحمد الرفاعى اللبان ، محمـد تقى الدين الهلالى ، محمد عبد الوهاب الرافعى ، محمـد بهجت الأثرى ، على احمد باكثير ، على الجندى ، عبد الحكيم عابدين ، مسـعود عالم الندوى ، عمر الدسوقى .

وقال : ان الحكومات الأجنبية تطارد الفتح مطاردة عنيفة وتمنعها من دخول الأراضى التى تحت حكمها فتحرمها من الموارد التى تستطيع الحياة منها ومع ذلك فهى صابرة مصابرة مرابطة مجاهدة لا تكتب الا ما ينفـع الاسلام والمسلمين .

المجلد الثالث عشر (١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م)

كانت قضايا العالم الاسلامى هى مقدمة الدراسات ، واخطر قضايا الساعة فلسطين فقد دخلت قضيتها فى مرحلة جديدة وجاءت عناوينها على هذا النحو :

المؤتمر الاسلامى للفلسطين ، اليهود والصهيونية ومطامع اليهود فى الأماكن المقدسة ، أوهام اليهود ، يهود مصر وفلسطين تحترق والمسلمون جامدون ، قنابل اليهود فى حيفا والقدس ، قرش فلسـطين ، معـركة فى فلسطين خطيرة ، (عدد كامل من الفتح سـبتمبر ١٩٣٨) مذكرة هامة ودراسات محمد على علوبه وعبد الحميد سعيد ، الأندلس الثانية (ناجى الطنطاوى) .

٢ — قضايا شمال افريقيا . وفرنسـا فى المغرب (عدد خاص) الجزائر ومراكش ، البربر فى شمال افريقيا ، أسبانيا فى مراكش ، طرابلس الغرب (فى اخطر مراحل التحدى) .

٣ — قضايا المسلمين فى يوغسلافيا ، والحبشة واليابان ، أندونيسيا والحضارم ، العرب فى أندونيسيا ، عرب أندونيسـيا والوطن ، العرب والترك ، يوغسلافيا والمسلمون ، المسلمون فى بلغاريا والحروف اللاتينية ،

وفى قضايا التغريب واجهت حملة توفيق الحكيم (هل يوجـد اليوم

شرق) كلية الآداب وموقفهـا من البابية ، النصيرية ، البهائيـة وخـدمة الاستعمار ، البكتاشية ، التبشير والفرقة اليسوعية وتاريخها ، القاديانية ،

وفي مصر حركة تحطيم الحانات (مصر الفتـاة) وشرب الخمر في أوربا .

وفي مجال الفكر الاسلامى أحاديث عن مصر الاسلام والوحدة العربية والتعليم الاسلامى فى المدارس المصرية والشريعة الاسلامية والمحاكم المصرية والشريعة الاسـلامية فى القانون المدنى المصرى ، وأحاديث عن المدنية الاسلامية ، موقف عالم غربى (كمال ولف سخوماكو) وأحاديث عن أن اليهود هم حكام أمريكا الحقيقيون ، وأحاديث عن الجماعات الاسلامية ودار الارقم فى سوريا وشباب سيدنا محمد ، والمؤتمر الخامس للاخوان . وأحاديث عن الصحافة المصرية وموقفها من الاسلام ووفاة اتاتورك .

ومن كتاب هذا المجلد حسن محمد يوسـف (الفن والدين فى مصر) وسليمان الندوى ، ومسعود عالم الندوى ، وتقى الدين الهلالى والدكتور زكى على وعبد الله بن نوح الاندونيسى ، والقصيمى وعبد اللطيف ابوالسمح وشعر لأحمد محرم وعلى أحمد باكثير وعلى الجندى .

ودراسات عن أعلام الاسلام : محمد اقبال (مسعود عالم الندوى) وفاة الاسكندرى ، الدكتور السيد أحمد الشريف أول من كشف القاديانية ، عمر المختار .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بكلمة ضافية قال فيها :

لا أشك أن الفتح يخطو فى سبيل الاسلام خطوات الى الامام لا بأس بها وان الواقفين فى الطريق — ممن يتسمون باسم المسلمين او من غيرهم — يشعـرون بضغط هذه الحركة وفيهم من أعلن رجوعه الى صفوفها والاغيار منهم يفكرون فى تعديل خططهم حتى تظهر بمظهر المحاسنة بعد أن تجاهرت بالمخاشنة ، كل ذلك من نتائج يقظة المسلمين وتمسكهم بعروة جامعتهم ، وكلما ازدادوا يقظة وتمسكا زادهم الله هيبة ، فى نظر أعدائهم

وكافاهم على ذلك بالقوة والعزة والسعادة ونحن فى تقدم نحو الغاية ولكنه تقدم بطىء ولولا دفع الله هؤلاء الأمم القوية بعضهم ببعض . لقضوا على آمالنا وعلى البقية الباقية من حقوقنا منذ دهر طويل .

ودعا صاحب الفتح الى الجهاد لرفع مستوى الأمة واعدادها للحياة وتبويئها المكانة التى تستحقها بين الأمم اذا لم تستمد قوة من الاسلام واذا لم يكن منه قوة للاسلام فمآله الفشل وكل جهد يبذل فهو جهد ضائع لا محالة .

وقال : أربعمائة مليون من سكان الكرة الأرضية يدينون بالدين المحمدى ويرون الخير والسعادة فى اضاءة بيوتهم ومدارسهم وأسواقهم ومحاكمهم ومجامعهم بأنواره فمن شاء أن يجعلهم قوة له فيمكنهم من تنوير بيئاتهم بأضوائه ومصابيحه وسيجدهم بذلك من أمضى الأمم وأعظمها نهوضا ومن حال بينهم فسيجدهم مكافحين له متقدمين نحو غايتهم مقتحمين كل ما يعترض سبيلها ولو اعترضت سبيلها بحار من نار »

المجلد الرابع عشر (١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م)

ما يزال العالم الاسلامى هو نقطة الانطلاق فى أحداث الساعة ، وفلسطين ما تزال هى القضية الأولى ، ثم أحاديث عن الشمال الافريقى والخطر الايطالى على مصر وتونس ، حيث تصبح طرابلس الغرب هى بؤرة الصراع ، وهناك احاديث عن تونس ، والمغرب الأقصى والظهير البربرى ، والسودان والانجليز ،

فى هذا العام اندلعت الحرب العالمية الثانية وكانت لها آثارها فى الأحداث من بعد ، ثم احاديث عن الاسلام والصين واليابان ، والشرق الأقصى واحاديث عن الحضارمة ، وعن فيلبى وموقعه من العرب وعن مسلمى الهند وتعصب الوثنيين ، وأحاديث عن الوحدة العربية ، والناطقين بالضاد ، والوحدة الاسلامية .

٢ — أما الغزو الفكرى فهو المنطلق الحقيقى للفتح والتبشير هو القضية الأولى : السودان وحلب والقاديانية والأحمدية ، فى الهند رفق الأزهر ،

وحملة مكثفة يقودها عبد الحميد السيد على الأحمدية وكتبها بعد أن تركها، ودراسات عن محمد على اللاهورى ، (وقد اتسعت الأحاديث عن القاديانية حتى يمكن أن يكون أبرز موضوعات المجلد) وهناك استجواب بشأن طه حسين بعد تعيينه مراقبا للثقافة وحدثت للأستاذ حسن البنا عن كتاب مستقبل الثقافة ورد على طه حسين (محمود محمد شاكر) ، وأحاديث عن خطر ترجمة القرآن وموقف الصحافة المصرية من الإسلام ، وموقف الشيخ مصطفى عبد الرازق من دعوة الشيخ أبو العيون ، وأحاديث عن على الجارم ودروسه فى الحب والصبابة .

٣ — وفى مجال الفكر الاسلامى تحدث الفتح : عن أثر الاسلام فى التاريخ الأدبى والحروف العربية فى تركيا وأحاديث عن كيف عاش النصارى تحت حكم المسلمين فى أسبانيا (حسين لبيب) وأحاديث عن العرب (عبد الرحمن عزام) وكتب ضد الاسلام فى الجامعة وضرورة حماية الاسلام فى الجامعة ، وأحاديث عن جرمانوس ولماذا أسلم ورأى غربى آخر فى الاسلام (لجورج رو) وحديث عن الشريعة الاسلامية (أحمد محمد شاكر)

٤ — وفى التراث قدمت الفتح دراسات عن كتاب الجماهير فى الجواهر للبيرونى ، وكتاب نيلينو عن الأقطار العربية ، والأسبانيون وعلوم العرب ، وحديث للسباعى عن موقف المستشرقين من الامام الزهرى .

٥ — أحاديث عن المجتمع الاسلامى والغاء البغاء فى المملكة المصرية ومسابقة السيقان والخمور وانتشارها (أحمد حسنى) وفوضى الاعلانات لترويج المشروبات الروحية .

٦ — أحاديث عن الجماعات الاسلامية ودعوة الى تكوين اتحاد أعلى للجمعيات الاسلامية ، وتفاصيل الحركة الاسلامية فى العراق (محمد شيت الجباوى) .

ونشرت الفتح فصولا عن : الشيخ محمد شاكر ، بمناسبة وفاته ، الحاج أمين الحسينى ، بقلم أجنبى ، علال الفاسى فى منفاه .

ومن كتاب الفتح الدكتور زكى على ، مصـــطفى الرفاعى اللبـــان ، مصطفى السباعى ، طاهر الزاوى ، عبد الله المازنى وشعر لأحمد محـــرم (أعد الرجاء وجدد الأمل) .

ومن أبرز ظواهر هذا المجلد الاهتمام بدراسات واسعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (عمر بهاء الأميرى ، مصطفى الزرقا ، عبد الوهـــاب النجار ، محمد المبارك ، مصطفى الرفاعى اللبان) .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بتوجيهات حاسمة قال :

« قراءها فى كل قطر هم الصفوة الممتازة من أهل الحجى والفضـــل وصيارفة الكلام ممن تصدى مخاطبتهم كان جديرا به أن يزن القول بأدق موازينه وأن يتخير له الأوقات المناسبة وأن لا يتجاوز مدى الحاجة ، فقراء الفتح مصابيح بين أيدى كتابه على ضوئها يسيرون وبآلامها يكتبون والى مستواها يرتفعون ، وكتاب الفتح يتقيدون بما يكتبون لأنه فى ســــبيل الله ولأغراض معينة هم ثابتون عليها لا تحولهم عن شىء منها براقش الدنيا ، كتاب الفتح وقراؤه نسيج واحد فى وحدة الهدف . وقال أنه اعتـــذر عن حفلة تكريم للفتح ، وعن قصيدة من الدكتور أبى شادى يعلن فيها ابتهاجه بانشاء الشبان المسلمين ، نشرها بعد أن طوى فيها أبياتا تمنى الكثيرون أن تكون قيلت فيهم ، وقد نشر القصـــــيدة دون نشر أبيات المديح قال : رأيت بعض الأميين من زملائنا الذين يرتزقون من هذه الصناعة يستكتبون أصحاب المناصب الرفيعة والمقامات العالية كلمات صدرت من الألســـنة لا من القلوب يؤثرون بها على طبقة من الناس تحكم على الأشياء بأسماعها لا بأبصارها فتحســـــب الدرهم دينارا والدينار درهما . وقال ان الربح قاصر على بيان محاسن الأهداف التى ترمى اليها هذه الصحيفة وتحريض شباب الأمة على تأييدها .

المجلد الخامس عشر (١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م)

أولى صاحب الفتح هذا المجلد اهتمامه الكبير بآثار الحرب العالمية الثانية على المسلمين وقضاياهم فتناول عديدا من القضايا السياسية ذات الأهمية البالغة ، العرب أمة واحدة ذات اغراض واحدة ، ينابيع البترول فى السعوديه ، مطامع اليابان فى أندونيسيا ، الجيش الفرنسى يلقى سلاحه فى اوربا فى أحرج ساعات التاريخ ، الانجليز يدمرون الاسطول الفرنسى فى وهران ، اتفاقية بين العراق والعربية السعودية ، مستقبل العرب والمسلمين ، المطالبه بتاسيس نظام جديد فى العالم ؛ يقوم على أساس من العدالة والسلام ، أمنية الاتحاد العربى ، القضاء على الجيش الايطالى فى سيدى برانى والسلوم ، مسلمو الهند ينشدون مستقلا وطيدا ، هزيمة أيطاليا ، السكة السلطانية فى اوربا هو الاسلام .

وفى مجال الفكر الاسلامى تحدثت الابحاث عن تدوين القرآن الكريم فى العهد المكى ، والتعليم الدينى فى المدارس المصرية واهتمام الانجليز بالعلوم العربية فى القرن الماضى (برنارد لويس) وعن دعاة الجامعة الاسلامية .

وفى مواجهة التغريب والغزو الثقافى جرت الأبحاث حول كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، واحاديث عن نشرة جديدة للملحدين واحاديث عن القانون الجديد لمنع النشر ، وتعليم الدين المسيحى لأبناء المسلمين ، ونشاط البهائية فى مصر واحاديث عن المستشرقين والاسلام .

كما تناولت الفتح أحاديث عن موقف الغرب من الاسلام : ما كتبه المستشرق أميل درمنجم عن أن الاسلام دين عالمى وما تحدث به زائر مسيحى عن البشائر المحمدية .

وفى مجال التاريخ الاسلامى تحدثت الفتح عن عدد من الموضوعات :

رسل الملك يوحنا الى سلطان المغرب ، صفحة مشرقة من الحروب الاسلامية ، وآثار ملوك مصر الاسلامية فى الشام ، ومن دمشق الى مدينة الرسول برا وتحريف الحقائق الاسلامية فى كتاب فجر الاسلام وأحاديث عن لو فتح العرب فرنسا لتقدمت الحضارة .

كما أولت اهتمامها بالتعليم والتربية وشئون الأزهر فتحدثت عن واجب الأزهر نحو السودان والبلاد النائية وتنظيم الوعظ الاســـلامى وقدمت احصـــاء عن المعاهد الأجنبية فى مصر (٤٠١ معهدا فرنســـيا وايطاليا وانجليزيا وامريكيا وروسيا وهولنديا) وحدثت عن القرآن مادة أساســية فى المدارس الابتدائية ، واقتراح عن توحيد التعليم بعد توحيد القضاء .

وقد عنيت بالحديث عن شـــخصيات المتوفين من اعلام العصر : سليمان باشـــا البارونى ، عبد الحميد ســعيد ، محمد حســن النجمى ، عبد الحميد السيد ودراسة عن السيد رشيد رضا بمناسبة ذكراه وحديث عن عبد الرحمن المهدى .

وكتب فى هذا العدد اعلام يثيرون فى مقدمتهم محمد عبد الســـلام القبانى ، محمد اسماعيل عبد رب النبى ، على سامى النشار ، مصطفى الرفاعى اللبان ، احمد محرم ، عبد الحميد السيد ، مصطفى السباعى .

وقد جاء فى افتتاحية هذا المجلد عرض لمهمة الفتح :

« نعم اعترف بانى اعارض التيـــار منـــد اربعه عشر عاما واقف فى طريقه كما يقف المغرور بقوبه ، ان لم أقل كما يقف المجنون وما انا بالمغرور ولا بالمجنون ولكنى رايت واجباس واجبـــات الكفاية انصرف عنـــه الناس فقمت بما يستطيع مثلى يوم لم يكن فى الميدان صحيفة واحدة تتصدى له وثابرت عليه حتى بعد أن تهافت المتزاحمون على هذا المورد ظانين أن فيه تجاره رابحة فلما علموا أن ســـبيلنا الى غايتنا لا يرافق اللبيه ليجتازها ازوروا عنه الى غرضين طمحوا اليهما ، اما اولهما من طلبه من أفراد العامة بما يميلون الى معرفة من احكام ومواعظ ومناقب حفلت بها واما التقرب الى اصحاب الكراسى من سدنة الدين والدنيا مدة وجودهم فيهـــا فاذا تخلوا عنهـــا انصرفوا عنهم الى من يخلفهم عليها حتى يتخلوا عنهـــا . كان فى اســـتطاعتنا ان نســـلك هذا الســـبيل الذى اثرى منه الأميون ولكن كان الهدف الذى نرمى اليه غير ذلك وكان فى استطاعتنا ان نســـلك ســـبيل الصحف الأخرى التى تتجر بالثقافة والأدب وتتنازع ثمراتهما المادية وتسير بالرأى العام الى ما يجمع بين المتعة والفائدة تارة والى ما يشاب دســـمه

بسمه تارة أخرى ولو أننا ارتضينا للفتح هذا السبيل لاقبل عليه القارئون بعشرات الألوف ولكان فى استطاعة الفتح أن تستخدم أبرع الأقلام وأجود القرائح لارضـــاء القراء ولكننا لم نفعل لأنه كان لنا غرض ان خفى علـــى الناس قبل أربع عشر عاما فان الأربع عشر عاما كافية لأن يستنبئوه ».

قالوا له : كانوا ينتظرون منك أن تتوسع حتى تجارى عصرك لا أن تضيق الدائرة فتصير الى ما رأيناه فى الفتح ، فقلت أنا لم أضيق وليس من شأنى أن أوسع ، وان هناك دائرة رسمها الاسلام وأنا مستعد لأن اتوسع بمقدار ما يتسع لى من الدائرة فأقبل الحقائق كلها كما هى وارحب بهـــا واستقبل أسباب العلم والحضارة والنهضة والعمران بكل ما تســـتحقه من تشجيع وقبول وانى على بينة من طريقى وسيتبينه الناس مع الزمن ،

كم من صحيفة عربية أو اسلامية صدرت ثم احتجبت فى مصر وفى غير مصر منذ صدرت الفتح الى الآن أما صحيفتنا فباصرار صاحبها الى حـــد العناد استحقت مكافأة الله عز وجل باســـتمرارها هذه المدة كلهـــا بغـــير انقطـــاع .

المجلد السادس عشر (١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م)

بدأت الفتح مجلدها الســـــادس عشر بقضايا العالم الاســـــلامى السياسية وكان اعلان الحرب العالمية الثانية وتطوراتها واضحا من خلال الموضوعات التى تناولتها هذا العام . فالحرب فى الصحراء الغربية واطلال من القبائل على طرابلس والقتال بين الانجليز والعراق ، بعد الانقــلاب العسكرى الذى قام به (رشيد الكيلانى) وســـــقوط اديس ابابا واجتياح اديس أبابا والزحف البريطانى على سوريا ولبنان وتوغل الروس والانجليز فى ايران واتساع ميدان القتال من بحر قزوين الى نهر النيل وخطر الغزو الألمانى على انجلترا والشرق وأحاديث عن الانجليز والوحـــــدة العربية وأحاديث عن باكستان والرابطة الاسلامية فى الهند تطالب سياسى الدولة الاسلامية وانهيار فرنسا وسقوط الفرنك الفرنسى وخطط اليابان المريبـــة ومســــــلمو الهند يقولون نحن لنا أقلية ولكننا أمة . ومدينة القاهرة مدينة

مفتوحة ، وأحاديث عن المسلمين في اندونيسيا والاسلام في الهند (اقبال على شاه) .

هذا من الناحية السياسية ، وفي نواحي الفكر الاسلامي يواصل السيد محب الدين الخطيب خطته في الدعوه الى اعادة تنظيم حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعد الحرب ويواصل أحاديثه عن قضايا المجتمع الاسلامي ووجوه فساده : هذه الاغاني المتبذلة ، ومشكلة البغاء وتهتك النساء في مصر ، وانتشار أندية القمار وأحاديث عن التبشير والارساليات الدولية وأحاديث للشيخ عبد الوهاب خلاف عن لماذا أخذت قوانين مصر من التشريع الفرنسي — والجماعة والاجتماع (لسنتلانا) والحدود الشرعية والتشريع الحديث ، وفضائل اللغة العربية ودعوة الاتحاد العربي في السياسة والاقتصاد وتحدث عن الجماعات الاسلامية ودار الأرقم في سوريا ، وكيف نربي الشبان المسلمين (عبد الوهاب عزام) وأحاديث عن التراث الاسلامي : الخطاطون وكتابة المصحف ، والنقود العربية في الأندلس وبلاد المغرب وتجار الشرق الأقصى التي يدون فيها الحرب وصل اليها العرب قبل الف سنة وحديث عن معركة نور (حنا خباز) وأحاديث عن الاسلام ونصارى العرب ، وحديث عن وزير مسيحي يصف الشريعة الاسلامية (فارس الخوري) وحديث عن البدو كما رآهم مارك سايكس ، وابن تيمية وطعام التتار .

وقد كتب في هذا المجلد عدد كبير من الكتاب في مقدمتهم أحمد محمد رضوان ، وعبد الوهاب خلاف ، وعبد الوهاب عزام .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب في هذا المجلد كثيراً من التوجيهات النافعة ، فهو يسأل ماذا ينبغي أن نعمل بعد الحرب ، يقول قد تنطوي نتائج هذه الحرب على مفاجآت لم يكن يتوقعها حكم ولا مؤرخ ممن عاشوا في القرن الماضي وفيما مضى من هذا القرن ملتفاجيء نحن المسلمين أحداث الزمان بأمر عجيب لم يكن ينتظره الزمان منا وهو الرجوع الى الله والتوبة اليه فيما فرطنا في آدابنا الاسلامية وفيما أسرفنا من تقليد أوربا وأمريكا في فجورهما والأمر هين اذا جمعت أيها المسلم زوجتك وبناتك

وصبيانك حولك ولفت أنظارهم الى ما يحيق ببنى الانسان من أخطار وما تتوقعه الأمم من دمار وطلبت اليهم أن يتأدبوا معك بآداب الاسلام وأن نعود جميعا الى طهارة الشريعة .

ويدعو صاحب الفتح الى اعادة تنظيم حياتنا الاقتصادية بعد الحرب فيقول : ستنتهى هذه الحرب على كل حال وستجدد كل أمة بعد الحرب حسابها بينها وبين نفسها وتبنى على ذلك خطتها الجديدة فى السير نحو المستقبل فاذا أردنا أن نكون أصحاب أوطاننا والمتصرفين فى أنفسنا فيجب علينا أولا وقبل كل شىء أن ننظم حياتنا الاقتصادية تنظيما جديدا ، نجعل معه ثروتنا فى خدمة سادتها ونهيىء كل يد عاملة للعمل الحلال حتى يكون ميسورا أمامها ومفتحة أبوابه لخير البيوت منفردة ولخير الوطن مجتمعا ، ويرى صاحب الفتح أن للمسلم رسالة يجب ان يعرفها وأن يقوم بها ، فيقول ان من تمام رسالة المسلم أن ينظر الى أحداث الدنيا من وجهة المصلحة الاسلامية فيوجه جهوده وعواطفه فى كل حادثة الى الجهة التى تكون فيها تلك المصلحة العامة للاسلام وفى اعتقادنا ان تربية النشء الاسلامى على ذلك من أهم واجبات الآباء والمدرسين واذا لم تنشأ الأجيال الاسلامية على هذا الأساس كان المسلمون على خطر عظيم ويقول : المسلمون الى خير ما فى ذلك شك ولكن اتجاههم الاولى يجب أن يسير فى طريقهم الأصيل والذين أدركوا هذه الحقيقة قليل عددهم والذين لم يدركوها من المشتغلين وحملة الاقلام يسيرون فى اتجاه غريب عن الملة ، والاسلام يحب العمل للدنيا كما يحب العمل للآخرة ، وان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبثه بالآراء الباطلة فان الدين قوة ادبية لا يستهان بها من الواجب أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر وان تحافظوا على تقاليدكم الحسنة .

المجلد السابع عشر (١٣٦٢ — ١٩٤٣)

(هذا المجلد يبدأ فى رجب ١٣٦٢ — يوليو ١٩٤٣ ويمتد الى ذى الحجة ١٣٦٦ — ١٩٤٧ خلال ست سنوات كاملة) وقد تغير فى هذه المرحلة حجم الفتح ، كما أنه تحول الى مجلة شهرية ، وذلك نتيجة للاعسار الذى حدث

فى الورق والمواد نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية وأثرها على خطوط البريد الممتدة الى المغرب والى سنغافورة حيث تقطعت هذه الخطوط .

كذلك فقد كان للحرب العالمية التى بدأت أواخر عام ١٩٣٩ آثارها على الأحداث فى البلاد العربية والاسلامية وكانت قضية فلسطين هى ذروة الأخطار التى واجهت المسلمين على هذا المدى حتى عام ١٩٤٨ حيث قامت الحرب العربية الفلسطينية التى انتهت بهزيمة العرب وقيام اسرائيل فى فلسطين المحتلة ولقد والت الفتح هذه القضية خلال السنوات الست من هذا المجلد وفى المجلد التالى (١٨) الذى انتهت به مجلة الفتح (١٩٤٨) ولقد كان من أبرز القضايا التى عالجتها الفتح خلال هذه الفترة :

أولا : بروتوكول جامعة الدول العربية (شوال ١٣٦٣) .

ثانيا : قيام دولة جديدة فى باكستان (ربيع الآخر ١٣٦٥) .

ثالثا : قيام دولة اسلامية فى اندونيسيا .

رابعا : الجلاء عن سوريا .

خامسا : تقسيم فلسطين وقيام الحرب بين العرب واليهود .

وقد والت الفتح عام ١٣٦٢ — ١٩٤٣ قضايا المشادة على الدستور اللبنانى بين اللبنانيين والفرنسيين ، وغضبة الأوطان العربية لما وقع فى لبنان من تدابير ظالمة اتخذتها السلطات الفرنسية باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء واحتجاج البلاد العربية (سوريا والعراق وشرق الأردن ومصر) .

وفى عام ١٣٦٣ — ١٩٤٤ كانت الأحداث السياسية كالآتى :

محادثات حول الوحدة العربية فى بغداد واشتراك السودانيين فى حكم بلادهم ومشروع باكستان وانشاء صندوق الأمة العربية فى فلسطين وانحياز أمريكا الى جانب اليهود فى قضية فلسطين ، وجرائم اليهود فى فلسطين ، وبروتوكول جامعة الدول العربية واحتفال جامعة فؤاد بذكرى الهجرة .

وفى عام (١٣٦٤ — ١٩٤٥) تحدثت الفتح عن عروبة شمال أفريقيا وعن التقدم فى المملكة السعودية وجبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية

وما قرره مجلس الجامعــة من الجــلاء الشامل لجميع القوات الفرنسية عن ســوريا ولبنان وقضية طرابلس الغــرب وبرقة ، وقضية فلسطين فى ضوء انتصار الحلفــاء . ومصير أريتريا ومقاطعة الانتاج الصهيونى ، كما أصــدرت الفتــح عــددا خاصا عن فلسطين بمناسبة (٢ نوفمبر) وعد بلفور (وقد انتهت الحرب العالمية ووضعت أوزارها فى هذا العام) .

وفى عــام (١٣٦٥ ــ ١٩٤٦) تحدثت الفتح عن اســتقلال المغرب المسلوب وعن مسلمى الهنــد وارهاصات باكستان وقيام دولة اســلامية جديدة (ربيع الآخر) وعن الجامعة العربية والوحدة العالمية (عبد الرحمن عزام) وعن الجــلاء عن سوريا وأحاديث عن طرابلس وبرقة فى اجتماع ملوك العرب وتهريب اليهود الى فلسطين وتقسيم فلسطين وفظائع الادارة الفرنسية فى تونس ودسيسة سوريا الكبرى .

وكانت اكبر ثلاث قضايا اولتها الفتح اهتمامها : الشريعة الاسلامية ومقاومة الشيوعية والوحدة العربية .

وفى عام (١٣٦٦ ــ ١٩٤٧) تحــدثت عن تقسيم فلسطين : أنظع جريمة سياسية ترتكب فى هــذا العصر ، وتقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها ومكانة الباكستان فى قلوب العرب ، والأمير محمد عبد الكريم الخطابى فى مصر دولة اسلامية جديدة ، أندونيسيا الشقيقة .

هذا هو الجانب السياسى فى مجلة الفتح خلال هذه الفترة .

أما من جانب الفكر الاسلامى فقــد أولت الفتح اهتمامها لعشرات من القضايا الهامة والخطيرة . وكان طابع الحديث كله منصب على الصفحة الجديدة التى سيبداها العرب والمسلمون بعــد انتهــاء الحرب العالميــة التى انتهت فعــلا عام ١٩٤٥ ومن ذلك كانت أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام وتقوية الجبهة العربية لتضطلع بعبء الرسالة الاسلامية من جديد وعن عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى ، ومن ذلك مقال « سيدعو الاسلام أولياته » والتطور العالمى بعد الحرب . ونهضة العرب للاطلاع برسالتهم .

وقد أولى الفتح اهتمامه البالغ بقضايا كبرى :

اولا : العروبة ومفهومها الاسلامى الأصيل : فى عديد من المقـــالات حيث كشفت بعض الكتابات عن فساد فكرة الفرعونية ، وان خير منهج هو : العلم عالمى والثقافة عربية والتربية اسلامية ، وحدثت عن سجايا العرب فى التراث الاسلامى ، وان بيت الابرة اختراع عربى ، واحاديث عن الفن المعمارى الاسلامى وزورينا فورنس تحدث عن شهامة العربى وان السيادة عند العرب بالأخـــلاق وأيام الله التى مرت بالعربيـــــة والعرب واحاديث لدوزى عن حرية العرب ونظام حكومتهم ، وان العرب من أقـــدم أجداد الانسانية (باسكال) واحاديث عن العرب فى أسبانيا ، ومحمد لنصـــارى العرب كما لمسلميهم ومآثر العرب فى العـــلوم المدنية ، ونصيبا من العلوم الكونية وتطبيقاتها بعد الحرب واستكشافات العرب وأمجد ذكرى فى تاريخ مصر وهى الفتح الاسلامى .

ثانيا : الشريعة الاسلامية : وقد اولى هذا الموضوع اهمية كبرى خلال هذه الفترة ايمانا بأن الطريق أصبح ممهـــدا لتطبيق الشريعة الاســـلامية بعد أن انتهت العوائق التى كانت تحول من نفوذ أجنبى فتحدث عن الاسلام فى الدستور المصرى ، وتحدثت عن اتجاهنا التشريعى فى عصر الاستقلال .

ثالثـــا : التربية الاسلامية : كما تحدث عن ضرورة تغيير نظام التعليم فى المدرســـة المصرية بحيث تكون التربيـــة الاسلامية أساسا له والتخلص من التبعية للمناهج الأجنبية ومدارس الارساليات التى تقضى على وطنية وعقيدة ابنائنا .

رابعـــا : اللغـــة العربية : فى مواجهة التحديات وخاصة المشروع الذى تقدم به عبد العزيز فهمى الى مجمع اللغة العربية لكتابة العربيـــة بالحروف اللاتينية . وقد ووجهت هذه القضية بحملة شديدة وقد تحـــدث الســـيد محب الدين الخطيب عن القـــرآن معجزة بين معجزتين ، وتفوق العربية على لغات الدنيا ، وتحدث الشيخ أحمد محمد شاكر عن عبدالعزيز فهمى وعداؤه للعربية .

وفجرت الفتح قضية الخلاف بين الشيعة والسنة بمناسبة ظهور جمعية

التقريب بين المذاهب وكتب فى هذا المجلد عدد كبير من الباحثين فى مقدمتهم عبد الرحمن عزام ، حسن البنا ، وعلى الطنطاوى ، وناجى الطنطاوى ، وحسن يوسف ، وأحمد محمد شاكر ومن الشعراء محمد صادق عانوس ، وأحمد محرم ، وصابر على رمضان والسنوسى مقلد ، كما تحدثت عن أعلام الفكر الاسلامى : جمال الدين القاسمى ، أمين الحسينى ورسالة من جمال الدين الأفغانى الى عبد الله فكرى .

* * *

افتتاحية المجلد السابع عشر : يقول السيد محب الدين الخطيب :

ستة عشر عاما قد مضت على الفتح وهى تؤدى رسالتها الشاقة المضنية فى نشاط وقوة غير مبالية بما يعترضها من صعاب وما يصادفها من عتاب ، من ذا الذى يدرك بسهولة أن مجلة اسلامها مشربها اسلامى نبوى صريح استطاعت أن تشق طريقها الى النور فى زمن انتشرت فيه الخرافات والأوهام واستشرى فيها الالحاد والمروق والاستهتار واشتدت يد التخريب تحاول هدم كل صالح نافع . وقال : صحيفة لا مدد لها ولا اشتراكات محبى الاصلاح الواسع ومع ذلك قامت تتذكر الأمر وارشادها الى طريق الاسلام الأول وسارت خطوات موفقة الى الهدف الأسمى الذى يطلبه كل مسلم الا وهو عزة الاسلام وصلاح المسلمين ورفع الضيم عن الأمم الاسلامية المهيضة الجناح ، كانت الفتح قبل نشوب الحرب المدمرة الحاضرة تطوى انحاء العالم الاسلامى الفسيح وتعلم اهله ما يجب عليهم لدينهم ووطنهم وتنير لهم سبيل الفوز فى الدنيا والآخرة فلما شبت نار الحرب المحرقة واقفلت الطرق وامتنع على الفتح أن تجتاز مسلك الجهاد فى معظم جهات العالم وجزع محبوها وهلعوا لبعدها عنهم .. وللفتح على مصر فضل لا يجحد فقد ظهرت والالحاد رافع راسه يريد أن يغزو الحق الذى نام أهله فكانت سيفا بتارا قطع أوداج الباطل وقضى على جراثيم حياته وكان صوتها هو الصوت الأول الذى دوى زئيره فازعج الملاحدة وأخاف المبطلين . وكل صوت ارتفع بعدها فقد كان رجعا لها وصدى لصوتها الأول . وقد استمرت سنوات تجاهد وحدها فى الميدان

ولا معين لها الا الله عز وجل ففازت فوزا مبينا . وتمتاز الفتح عن غيرها من الصحف بنصاعة منطقها وجمال اسلوبها وسمو معناها وتحرى الكلمات النقية له ، وبعدها عن الاسفاف حتى فى أشد الموضوعات الجدلية خطرا واكثرها تعقيــدا ، مبدؤها التوحيد الخالص والتوفيق بين المسلمين جميعا فلا تتعرض لجماعة اسلامية بنقد الا لاصلاحها وتقويتها وتقريبها من ينابيع الاسلام ومبادئه الأولى وازالة ما يعوقها عن بلوغ الغاية المنطوية وهمها الأوحد مقاومة أعداء الاسلام أيا كان مظهرهم وصفاتهم فكل من آذى الاسلام فهو عدو الفتح يجب هتك أستاره وتقليم أظافره واطفاء ناره .

وفى خاتمة عام ١٣٦٦ الهجرى (١٩٤٧ م) وهو نهاية العــام الثانى والعشرين كتب السيد محب الدين الخطيب يقول : كنا مغلوبين على أمرنا بعــد مرور السنة الأولى من الحرب على أن نجعــل الفتح نصف شهرية ثم شهرية لأن الورق ارتفع الى اربعين ضعفا عما كان عليه قبــل الحرب وعجــزنا فى بداية الأمــر أن يكون لصحيفتنا نصيب من ورق التمــوين لأن الايثار به ثم تعيين كمياته كانا خاضعين لاعتبــارات عامة وخاصــة لا نصيب للفتح فى شيء منهــا فاضطررنا الى اصداره فى بعض الأحيــان على ورق من ألوان شتى وثمن الورق وحــده قبل تكاليف الطبع اضعاف ما نحاسب به المشتركين فاضطررنا الى اصدار صحيفتنا شهرية وانقطعت المواصلات مع اكثر الأقطار التى كانت للفتح فيها مشتركون وصدر قانون ألغيت به الاعلانات القضائية فحيل بين الفتح وبين اكثر أسباب الحيــاة الا ما يمدها به صاحب الفتح من حياته وعصارة قلبه على أمل أن تكون الحرب قصيرة الأمد ولكنها طالت ثم طالت وصبرنا عليها ثم صبرنا حتى انتهت وها نحن الآن أمام أمر واقع لا نعرف متى تكون نهايته ثمن الورق عشرة أضعاف ما كان قبل الحرب ونفقات الطباعة مرتفعة خمسة أضعاف والاعلانات القضائية انقطعت والاعلانات الأخرى التى تستعين بها صحف المتعــة والمجون اما عن موبقات أو محرمات أو عن متاجر لا يستبيح المسلم لنفسه تشجيعها .

هذه الصحيفة لها رسالة لم تحد قيد شعرة عن مبادئها واغراضها لأننا عاهدنا الله منذ اليوم الأول على التزامها والثبات عليها جملة وتفصيلا ،

وقد وفقنا الله الى الثبات عليها فلم تستطع أن تحولنا عنها قوة فى الأرض .

ويرجو صاحب الفتح ان يديم الله توفيقه الى البر على قدر ضعفه بما عاهد عليه ربه من هذه الناحية حتى يخرج من هذه الدنيا وهو على خطة واحدة من بدء حياته الى خواتيمها .

وانه لمطلب شاق عسير فى زمان اسفت فيه الصحف الى اهواء الجماهير وسابقتهم فى المباح والحرام وحد متعهم وشهواتهم فأين يذهب من يريد بالصحافة ان تؤثر النصيحة لله ورسوله وعامة المسلمين .

وكان من رأينا ان تعنى بنواحى الضعف والقوة التى غفل عنها المسلمون التى نراهم انتهوا لها وأولوها ما يستحق من عنايتهم وهمتهم وحينئذ يتحول الى ناحية اخرى فتنة لها هذه الأمة وقادتها ونظن ان كثيرا من الخير الذى اعان الله العرب والمسلمين عليه كان الفتح وحده يدعو اليه قبل أن يدعو اليه احد غيره حتى هيأ الله أسبابه وقرت العيون برؤيته حقيقة ماثلة تشق هذه الصحيفة طريقها بصعوبة وتسير الى اهدافها مثقلة بالأعباء والموانع ويضيع صوتها الضعيف فى عدد غير قليل من المسلمين .

لم تظفر بالعون فى الاثنين والعشرين سنة الماضية ولا بنسبة عشر معشار ما كان يستطيعه المسلمون . لقد بذلت من ذات نفسى لهذه الصحيفة كل ما استطيع وهى لن تستطيع ولا صاحبها أن تكون من الرواج فى الأسواق وفى أيدى الناس بمنزلة هذه الصحف التى تقدم للناس كل ما تشوبه من خير وشر وتمتعهم بكل ما يحبون أن يتمتعوا به من حلال وحرام .

المجلد الثامن عشر (١٣٦٧ — ١٩٤٧)

هذا المجلد الخاتم من مجلة الفتح الذى ينتهى فى ذى الحجة ١٣٦٧ — ١٩٤٨ فقد فرضت الظروف السياسيه توقف هده المجله الرائدة فى الدعوة الاسلامية بعد أن أدت دورا هاما وخطيرا فى توسيد مفهوم العمل الاسلامى

وفى احضانهـا نشأت صحف الاخوان المسلمين منـذ عام ١٩٣٣ (جريدة الاخوان المسلمين) ومجلة النذير (١٩٣٩) ثم مجلة الاخوان (١٩٤٥) وجريدة الاخوان اليومية (١٩٤٦) واللتين توقفتا قبل نهاية عام ١٩٤٨ أيضا ، وقد أولت اهتمامها هـذا العـام الى جميـع القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية المثارة بمفهوم الاسلام الجامع فتحـدثت عن قضية فلسطين التى دخلت فى مرحلة الحرب العربية الصهيونية وهزيمة العـرب وقيام اسرائيل ، ونشرت أحاديث مستفيضة عن الجهاد فى شريعة الاسلام وواصلت الفتح اهتماماتها بقضـايا الثقافة والفكر الاسـلامى ، وتحدثت عن الحكومة والأمة فى الاسلام ، وتحدثت عن أجناس مصر منذ فجر ما قبـل التاريخ وفقه الدولة والفقـه الاجتماعى فى الاسـلام وأحاديث عن الربع الخالى فى جزيرة العرب وعروبة السودان ورسالة تاريخية من محرر الفتح الى الامام يحيى وأحاديث عن اليمن .

وقدمت الفتح دراسات عن أبطال الاسـلام : الجراح بن عبد الله الحاكمى والأحنف بن القيس .

كما عرضت الفتـح لمؤلفات جـديدة فى التراث وفى مقدمتهـا كتاب « معجم ما استعجم من البلاد والمواضع » .

وأولت الفتح اهتمامها للغة العربية والمحاولات الهـدامة وأحاديث عن الفصحى لغة القرآن ولغة الاسلام ، ومساجلة مع الأستاذ محمد فريد أبو حديد وحديث لحفنى ناصف عن اللغة العربية وسياسة الباب المفتوح .

كما أورد الفتح حديثا لفارس الخورى عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأحاديث عن العرب بين أجناس البشر ، وأحاديث عن ما سمى : خرافة التقريب بين المذاهب ، وذكريات السيد محب الدين الخطيب بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس جماعة الاخوان المسلمين .

وفى افتتاحية المجلد الثامن عشر (المحرم ١٣٦٧) كتب :

فى استقبال عهـد جديد

- **التشرف بالانتماء الى رسالة أكمل المرسلين محمـد صلى الله عليـه وسـلم .**

● التخصص بلغـة العروبة سيدة اللغـات :.

● تبوأ أقدس بقاع الأرض وأكملهـا وأجملها وأكثرها امتـدادا وأغناها بالمجد وخصب التربة وكرم المعـدن :.

● تقلص ظل الاستعمار الأجنبى واخراج الفرنسيين من الشام والانجليز من مصر والهولنـديين من أندونيسـيا واقامة الحكومة والوليـدة فى باكسـتان .

نعمة واحدة لا أطمع لأمتى بخير منها وهى أن تؤهلنا لما أنعمت به علينا فلا نكون غرباء عن الاسلام ، ونحن ورثته ، ولا أعداء للغة القرآن ونحن الناطقون بها وأن لا نكون معاندين لله (تبارك وتعالى) فى سننه التى سنها لكائناته ، وسنن الاسلام التى سنها الاسلام لأهله :.

نحن الآن فى مقدمة الطريق فأولادنا الذين يولدون فى أحضاننا سيكون فى الغـد القريب ، أى بعـد عشرين سـنة ، اما أذلاء مستعبدين لليهود والاستعمار بشر مما رأيناه بأعيننا فى مصر أيام كرومر وكتشنر وفى الشـام أيام غورو ومن جاء بعده ، واما أن يكونوا أعزة يعمـلون بأخلاق الاسلام ويستعينون بثقافة العلوم ودلالة الأنظمة » .

وكان العدد الأخير من الفتح (ذى الحجة ١٣٦٧ — الموافق ١٩٤٨) وهى نفس ختام هذه المرحلة من تاريخ الصحافة الاسلامية بالنسبة لمجـلة الأزهر وصحف الاخوان فقـد كان عام ١٩٤٨ عاما حاسما حيث سقطت فلسطين فى أيدى الصهيونية وفى مصر حلت جماعة الاخوان وتوقف العمل الاسلامى فترة من الزمن تقف عندها ثم نواصل المرحلة الثانية من تاريخ الصحافة ونبدأها بمجـلة الأزهر فى مرحلتها الثانيـة ، وصحف الاخوان الجديدة والصحف الاسلامية الصـادرة فى مكة والكويت ودمشق وبيروت وأبو ظبى وقطر باذن الله :.

الفصل الثانى

الدعـــوة الاســـــــلامية

« منهـــج الفتح » والايدلوجية الاسلامية عند « صاحب الفتح »

نشأت الفتح فى خضـــم الأحداث وفى قلب التحديات التى كانت بدأت تغزو الفكر الاسلامى وتؤثر على الاحداث وتكشف عن الأخطار التى تتعرض لها الأمة الاســـلامية ، وكان الســـيد محب الدين الخطيب ابن الاســـــلام والعروبة الذى عايش مؤامرات الاحتلال الغربى وتقسيم العالم الاسلامى ووقوع الخلاف بين العرب والأتراك ، وتمزق الدولة العثمانية وانفصـــال العرب ليحتويهم النفوذ الغربى فتتقاسمهم فرنسا وانجلترا ، ويشـــترك فى الحركة العربية فى سوريا ثم عندما تسقط سوريا فى يد الاستعمار الفرنسى يخرج مهاجرا الى مصر ليعمل فى ميدان اليقظة عن طريق بعث التراث والكتابة والصحيفة وانشاء الجمعيات ، ايمانا منه بأن هذا هو الطريق الصحيح لبناء مستقبل الدعوة الاســـلامية فانشأ المكتبة السلفية وبدأ فى احيـــاء التراث الاسلامى على خطا السيد رشيد رضا الذى كان قد قطع شوطا طويلا فى هذا وكان له من صداقاته ما حقق له الكثير وما وسع دائرة عمله ، كان معه احمد تيمور باشا والشيخ الخضر حسين وكثيرون وكان ذلك مقدمة لانشاء الفتح بعد تلك الضربة القوية التى تلقاها المسلمون باســـقاط اتاتورك للخلافة وبروز طابع العلمانية فى تركيا وتأثر المفكرين العلمانيين فى مصر به ، وبروز عملية التبشير الغربى فى الأوساط المسلمة ، هنالك أذن الله تبارك وتعالى بظهور مجلة الفتح لتواجه هذه الأخطار ومن ثم فان كتابات السيد محب الدين الخطيب وخاصة افتتاحيات مجلته التى استمرت اكثر من عشرين عاما تناضـــل بقوة وبدون معاونات مالية حقيقية (من اعلانات أو موارد صحفية) وكان يعتمد على موارد المطبعة السلفية فى نشر الفتح وتحمل نفقاته جزاه الله خيرا وقد أعلن من اليوم الأول أن هدف الفتح هو : الكشف عن جوهر الاسلام :

الكشف عن أن الاسلام دين اجتماعى صالح لكل زمان ومكان وعن أن مدنية العرب اكبر مدنية .

واعلن عن أهـداف الفتح التى مضى يركز عليها ويثبتها ويوسعها ويعمقها خلال حياة الفتح دون أن يخرج عليها وهى :

١ — اصلاح المدارس والقضاء على الصحافة الفاسدة

اذا أعطى الزمان فى الاصلاح فيجب أن تبدأ تربية أولادنا وتحرر نفوسهم ، ان طريقة التعليم التى يسير عليها شبابنا لم تروعهم عن صرف مداركهم وذكائهم وجميع قواعدهم الفكرية من أن يتجهوا للشهوات عن طريق القوة السيئة ، يجب أن نبدأ أنا وأنت باصلاح منازلنا وتنشئة صغارنا على تقوى الله واحترام الفضيلة والتحلى بالشهامة ومما يؤسف له كثيرا أن طائفة من الناس ومنهم فريق من العلماء والأعيان يضعون أولادهم وبناتهم فى مدارس الفرير والجزويت والراهبات .

ويتحدث عن ثلاثة فروع للاصلاح : اصلاح منازلنا ، واصلاح مدارسنا ، واصلاح صحافتنا .

ويقول أن الصحف المصورة التى تحض على الفجور وتهون أمر الأعراض وتملأ رءوس القراء والقارئات بحكايات العشق كأنه أمر عادى ، وكأنما هو الأصل وما عداه شىء غريب .

هذا الجانب الاجتماعى كان شغل السيد محب الدين الشاغل ، فهو يدعو الى مقاومة تيار التحلل من قيود الشرائع والسير فى غير الطريق الذى يدل عليه الاسلام بوجه عام ، ويعترض على دعوة المرأة الى السفور وموسم حمامات البحر والعرى على الشاطىء ، هذا التيار المندفع الذى تؤيده السينما وتشجعه الصحافة ، هذا التيار الذى استشرى من بعد حتى وصل قمته ١٩٤٣ حيث يقول : فى الأمة شخصيات محترمة من جميع الناس ولكلامها وقع فى قلوبهم ، لا شك فى ذلك ابدا فهل وقف أحد ممن لهم هذه المكانة فى الأمة وصار فيها داعيا الى وضع حد لهذا الفحش الذى فشا فى أمة لا يمكن أن يكافئها الله عليه بالاستقلال » .

ويركز السيد محب الدين الخطيب على الاسلام بوصفه **الدين الاجتماعى** ، يقول :

« هو الدين الاجتماعى الوحيد الذى يصح أن يوصف بهذه الصفة

وحسبنا أن نعلم أن الاسلام جاء للدين والدنيا معا وحسبنا أن نذكر أن نظام الزكاة خاص بالاسلام ، أما الديانات الأخرى فليس فيها غير الحض على الصدقات والاسلام يشاركها فى هذا ويزيد عليها من أسباب الحض على الخير بما لا مثل له فيها : هذا الدين الاجتماعى حتى هان على أهله فجنوا بذلك على أنفسهم وصاروا فى بلادهم عالة على غيرهم فمرضاهم فى مستشفيات المبشرين بالنصرانية وأطفالهم فى مدارس المبشرين بالنصرانية وما يقوله أعداءهم فيهم هو الذى يذيع فى الدنيا خطأ ، فيقراه المسلمون من أبناء الأقطار الأخرى وينطلى عليهم ويحسبونه حقا وصدقا ، وذلك لأن المسلمين نسوا روح الاجتماع الذى جاء بها دينهم فعاشوا أفرادا متقادلعين وجاء المرض من اهمال أهل الرأى فينا بتنظيم حياتنا الاجتماعية وجعلها ملائمة لديننا من جهة ولمصلحتنا الملية من جهة أخرى : « العيب فى القيادة » أى فى الذين بيدهم القيادةالفكرية أولا والقيادة المالية ثانيا .

٢ — وفى المجلد الرابع من الفتح يستعرض السيد محب الدين الخطيب أحوال المسلمين تحت عنوان « **الأمة اليتيمة** » فيقول : الحق أن المسلمين فى جميع أنحاء العالم فى حالة محزنة من جهة مقوماتهم الاجتماعية والملية ، فالسرى النبيل فى بلاد المغرب الأقصى يريد أن ينشىء أولاده تنشأة اسلامية عربية راقية تتمشى مع روح العصر ليأخذوا بأيديهم الى أوج القوة فلا يجد فى بلاده ولا فى البلاد الاسلامية مدرسة يبعث بأولاده اليها فهو بين احدى قضيتين : اما أن يخسر أبناؤه اسلامهم وعروبتهم ويكونوا كما يريد الاستعمار أن يكونوا واما أن يظلوا على خمولهم جاهلين روح العصر وأسباب القوة وكلا المصيبتين شر من أختها . وقد تعود المسلمون أن يعتمدوا على حكوماتهم فى جميع شئونهم العامة ، وحكوماتهم فى المائة سنة الماضية لا يعنيهم ما يعنى حاخامات اليهود ونظريات المذاهب المسيحية ، فهل المسلمون عاجزون عن أن يكون لهم معاهد علمية تجمع بين الحسنين .

الأمة اليتيمة هى الأمة الاسلامية : التى امتاز دينها بأنه دين توحيد وسعى وتضامن ، دين العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، هذه الأمة صارت الآن محرومة من أهمأسباب الحياة والبقاء وعالة حتى أوطانها على الاغيار والنزلاء والضيوف « (١٩٣٠) » .

٣ — ويصل من هذا الى أن الدعوة الاسلامية يجب أن تكون لهــا خطة عمل .

يقول م ٥ (١٩٣١) خطة ندعو بنى ملتنا الى اتباعها . أساس هذه الخطة ركنان اثنان :

اولا : تعيين طريق واضحة فى الثقافة اللازمة للمســـلمين حتى تكون الأجيـــال الآتية تكوينا صـــالحا للانتصـــار فى معارك الشرق والغرب التى ستنشب فى المستقبل .

ثانيا : عدم تمكين الغرب من أن ينمى قوته على حســـــابنا وأن يزيد موقعه رسوخا فى أوطاننا عن رضى منا واختيار .

ويقول أن الثقافة اللازمة للمسلمين هى التى تجمع بالناشئة الاسلامية بين التخصص فى العلوم الكونية والتمسك بهداية الاسلام ، ومعرفة المفاخر القومية والمحافظة على الأمجاد الملية ، ومتى نشأ الناشىء حريصا على دينه شديد الحب لقومه كان ذلك ضمانة كافة لاستعمال معارفه الكونية مما يدفع عن الاسلام صولة المهاجمين وعن الشرق جشع المستعمرين .

٤ — ويصـــل الســـيد محب الدين الخطيب من هذا الى أن الدعـــوة الاسلامية محتاجة فى الوقت الحاضر الى أربعة أمور (١٩٣٣ م ٨) .

الأول : أن تكون لها جمعية ترسم سياسة الدعوة وتدرأ عنها العدوان والشرور .

الثانى : أن يكون هناك مصنع يقدم للاسلام دعاة فنيين يقفون حياتهم على الدعوة (والأزهر وان كان يخرج علماء فى دين الاسلام) لكن صناعة الدعوة أصبحت فى هذا العصر ذات أساليب لا يكفى لها العلم الاســـلامى العـــام .

الثالث : الملاجىء والمستشفيات .

الرابع : ايجاد مناعة فى أبناء المسلمين ولا يكون ذلك الا بحمل جميع مدارسنا على جعل الثقافة الاسلامية أساس التعليم والتربية .

ويقول : دعاة النصرانية من رجال السياسة ورجال الحـــرب مضى عليهم الآن مائة سنة وهم عاملون على انتهاز غفلاتنا وانشاء ملاعبهم فى بيوتنا

وتسديد ســـلاحهم الى حبات قلوبنا وضرب نطاق الحصار علينا من كل
جانب حتى لا يفلت من أيديهم من لا يستطيعون انشاءه النصرانية فى روحــه
يكتفون بهدم الاسلام فى روحه . لقد طمع فينا دعاة النصرانية لأنهم كانوا
فيما مضى يجهلون بعض دخائلنا ويتصورون أن للازهر خطة مرســـومة فى
خطة الاسلام ، تحت تأثير هذا التخيل صرح الأســـتاذ فمبرى المجرى من
بودابست متسترا بلباس درويش مسلم يتكلم اللغة التركية وقطع مغـــاور
آسيا الى اعماق التركستان ليكشف دخيلة أمر المســـلمين ويطلع على ما
يكتمونه من طرق التماون وتحت تأثير هذا التخيل ، لبس العلامة هرنجرونجه
الهولندى المرقعة وجاور فى الحرم المكى دهرا طويلا منتحلا صفة طالب علم
مسلم ليقف على ما لابد أن يكون المسلمون قد رسموه من خطة لخدمة دينهم
فلما عرفونا كما نحن وسعوا نطاق العمل بعد الحرب على أمل أن يستولوا
حتى على أولاد الأمراء والوجهاء وشيوخ الدين » .

٥ ـــ ويواصل السيد محب الدين الخطيب منهجه لا يتوقف ففى م ٨
(١٩٣٤ ـــ ١٣٥٢) يتحدث عن « **تنظيم الدعوة الاسلامية** » فيقول :

ادعو اهل القبلة ان يخففوا من حماســـتهم المذهبية والطائفية وان
تستشعر كل طائفة من طوائف اهل القبلة المحبة الأخوية التى يطلبها كل
مسلم لاخوانه المسلمين وان خالفوه فى غير الأركان التى يقوم عليها الاسلام،
فالسنى والشيعى والزيدى والأباضى يجب ان يتجنب كل فريق منهم اليـــوم
العصبية الجاهلية التى تنافى اخوة الاسلام ، ولا فائدة لها فى تقرير الحقائق
العلمية ، والاسلام الذى سن للمسلمين الدعوة الى ســـبيل الله بالحكمة
والموعظة الحسنة ينكر على كل طائفة من طوائفه الانتصار لما انفردت به
من امور بأساليب تدعو الى سوء التفاهم وتفتح للشقاق ابوابا يدخل منهـــا
الأجنبى عليها بمصالحه وماديته فالأمور التى يشترك فى الاعتقاد منها السنى
والشيعى والزيدى والأباضى هى الأمور التى تسمى بها الاســـلام اساسا
ولا يتم الاســـلام الا بها . والعالم الاســـلامى بحاجة الى تنظيم صفوفه
وتسويتها والنفوس الآن أصبحت مستعدة لهذا الأمر وفى بيوت المســـلمين
الوف والوف من الناس ترقب قادة الدين وتحصى عليهم انفاســـهم وتعد
العصبية للمذهب وللطائفة جريمة لا تغتفر ، فالعصبية والانتصار للطائفة

يجب أن يتحولا بعد اليوم الى الجامعة الشاملة ..

٦ — ويتحدث السـيد محب الدين الخطيب فى المجلد الخامس الى الشباب المسلم : فيقول :

أول واجبات الشباب ان يعرف حقه العام وأن يؤمن به وان يتخذ منه زجاجتين يضعهما أمام عينيه فلا ينظر فى الدنيا الا بهما . اذا آمنت بحقـك العام انتفى الناس من قلبك . الواجب نحو الوطن الأكبر ، يجب ان يكون بنو وطنك وقومك وبنو ملتك اغنياء ليسـتغنوا بذلك عن الأجانب فاحرص على أن لا يدخل فى جوفك شىء اجنبى ، واحرص على ألا تلبس على جسمك شيئا أجنبيا الا اذا كان لا غنى لك عنه فقط . يجب أن يكون وطنك وقومك وبنو ملتك أحب الجامعات اليك فلا تدع لأعداء وطنك وأمتك ودينك اى مجال لانتقاص كرامة هذه الجامعات المقدسـة او الحط من منزلتها او الطعن فى شىء منها وكل الكتب والصحف التى تهين جامعتك الوطنية والقومية والدينية وتمس بكرامتها انما هى كتب سوء وصحف سوء ، يجب عليك دفع شرها ونقض أباطيلها .

ان المهمة التى تنتظر منـا العربية والاسـلام أن نقوم بها يمكننا ان يقوم كل واحد منا بجانب منها من نفس عمله الذى يتولاه مهما كان نوعه ، ان المرء قليل بنفسه كثير باخوانه . كان اهم قرار الغرب : هو قطع الأواصر بين أهل المشرق دعوة الى التخلى عن هذه الروابط واحياء عصبيات صغيرة كان الاسلام قد أماتها لتحى بعروة الله الوثقى التى لا انفصام لها .

ويتحدث فى الدعوة الى الوحـدة العربية بمفهوم اسـلامى أصيل (م ٧ — ١٩٧٧) . فهى جزء من الوحدة العربية الاسلامية ، وهى مواجهة لحملات الاستعمار لتمزيق العـرب الى اقليات ودحض دعواهم أن ليس العرب أمة واحدة ترتبط برابطة اللغة والثقافة والمطمح المشترك ، بل هى مجموعة أمم هى أشرف من أمة الغرب وأرقى سلفا وسابقـة وأن المصرى ليس عربيا ولكنه سـليل الفراعنة والعراقى ليس عربيا ولكنه سـليل

الاشوريين والكلدانيين والسورى ليس عربيا ولكنه سليل الأرمن واللبنانى ليس عربيا وانما هو سليل الفينقيين ودليل الصليبيين ،

يقول يجب على الناطقين بالضاد من حدود فارس الى رباط الفتح فى اقصى المغرب أن يؤمنوا بأن القومية العربية متكونة منهم ومن سكان جزيرة العرب وأن يعلموا أن لغة القرآن جعلتهم خلفاء على الأمانة التى يحملها المبشرون بالقرآن .

ويولى السيد محب الدين الخطيب اهتماما واسعا بالاحتفال الضخم الذى اقيم احتفالا بذكرى حطين واجتمع به رجالات العرب وقادتها المخلصون وقال أنهم ما اجتمعوا فى هذا اليوم الا ليبرهنوا للغربيين أنهم أبناء أولئك الأبطال الفاتحين الذين نشروا لواء العدل والحرية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وليثبتوا لهم أن دمهم العربى الذى يجرى فى عروقهم هو دم طاهر شريف لابد أن يتفجر يوما ليعيد سالف مجده وتالد عزه وان الأمة العربية الشريفة مهما أصابها من كبوة فلابد لها ان شاء الله من أوبة .

ثانيا : مهمة الفتح

وقد تناول السيد محب الدين الخطيب مهمة الفتح وتحدث عن متاعب العمل الصحفى الاسلامى :

قال : لقد طبعنا فى السنة الأولى للفتح سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦) سبعمائة نسخة ،

قال له شريكه : ان مجلة أخرى تطبع عشرة آلاف وتباع بسرعة ، الا ترى طريقة تجعل الفتح مقبولة عند الناس فتروج رواج الأخرى .

قلت : ان أسلوب التعليم الذى تلقيته يعيننى على انفاق التحرير بالطريقة التى تراها فى المجلة الأخرى اكثر مما يعيننى على اصدار صحيفة الفتح ، ولكن أمتنا متخوفة بهذا النوع من الصحف بينما هى فى اشد الحاجة الى صحيفة تنظر الى الأمور من الوجهة الاسلامية المحضة غير متأثرة بأى مؤثر سياسى أو حزبى ، ولا بأى غرض من أغراض ذوى الأغراض ، وانا لا انكر أن الجمهور مندفع فى تيار يفضل معه ما يثيره على ما ينفعه ولكن فى العالم الاسلامى عددا كبيرا من القراء الشاعرين بالحاجة الى مثل (الفتح)

وأنا متأكد ان مع العسر يسرا ، وان مع الصبر سيكون للفتح قراء لا يقل عددهم عن قراء المجـــلة الأخرى ، وانقضى على ذلك خمس أعوام ونحن صابرون حتى اتسع ولله الحمد والمنة نطاق انتشار الفتح وسار ذكره وصار يطبع منه بضعة ألوف وكلما اتسع انتشاره فى قطر اسلامى تحكمــه دولة مسيحية طورد من ذلك القطر وخسر ما ماله هنالك من مشتركين (السودان المغرب الأقصى ، الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب ، سومطرة) .. ان مطاردة الفتح فى مختلف الاقطار لم تنل من صبرنا منالا لأن هذا هو الشىء الذى كنا قد وطنا النفس عليه من أول الأمر ولكن الذين نالوا من صبرنا هم أناس أقرب الينا من الحكومات الأجنبية وهو العدد الأكبر من مشـــتركى الفتح . ذلك أن الصحف الأخرى تعيش فى الأكثر من الاعلان عن الخمـــر والدخان وبضائع الترف التى تستنفذ أموال الأمة فى بالوعة شـــيكوريل وبون مارشيه ، ومن مســاعدة احزاب مخصوصة وجهات مخصوصة ، ثم يكون كل ما يدخل عليها بعد ذلك من المشتركين زائدا عن قدر حاجتهـــا

أما أمثال الفتح من الصحف فلا حياة لها من قراء آلوا أن يتفقوا معها فى وجه تيار الغلالةحتى يثبتوا وجودهم ويكون منهم سـدا أمام هذا التيار منيع . ان هذا التيار يجرف فى طريقه حرمة الدين والفضائل ، وينــكر على التاريخ مناقب الاسلام واهله ، وقد بلغت موجاته بيوتنا وخاض فيها أبناؤنا فلابد لصده من جريدة ولابد للجريدة من قراء : بهذا الحس أصدرت الفتح وبهذا الحس كنت أنفق على الفتح صابرا وبالرغم مما تلقى الفتح من مطاردة حقيقية ، صار للفتح قراء كثيرون ، وقد حســبنا مجموع ما دخل صندوق الفتح فى سنته الخامسة ومجموع ما أنفق عليها ، أننا أنفقنا من مال المطبعة السلفية ومكتبتها على سنة الفتح الخامسة مائتى جنيه سترا لعجز مصاريف الفتح مع اعتبار ان تحرير الفتح من أوله الى آخره نقوم به مجانا ، ان التيار الذى نحاول مع قرائنا ان نقف فى وجهه لو كتب له الفوز فى المشرق العربى كما فاز فى تركيا مثلا فان ذلك يؤذى جمهور المســلمين فى دينهم فقط ، أما علماء الشريعة والقانون بالوظائف الدينية فان الأذى ينالهم من دنيـــاهم ودينهم معا .. (٢٢ ربيع الأول ١٣٥٠) السنة ٦ الفتح .

ولكى تكتمل هذه الصورة لابد من حصر كل ما يتعلق بهموم اصــدار

الفتح : وفى المجلد السادس يتحدث السيد محب الدين الخطيب عن : « ان الذين يريدون فشـــل هذه الصحيفة اكثر يقظة لها من أصـــدقائها الذين يريدون لأغراضها النجاح » .

ثم يتحدث عن انخفاض الاشتراكات ، ويقظة الحكومات الاستعمارية لهذه الصحيفة ، وقطعها عنها موارد الحياة فهى اقطار عديدة منع الفتـح من دخولها ولا يزال ممنوعا ، فحكومة هولندا مثلا منعت الفتح من دخـول جميع اقطار اندونيسيا (٥٠ مليونا اكثرهم من المسلمين ومن مهاجرة العرب ٣٠٠ الف نسمة) ان الجرائد الأخرى تعيش من الاعلانات أو اعانة الدعايات أو من اعلانات بضائع الافرنج وفى مقدمتها الخمور والمراهنات والكماليـات التى نحن نحض الناس عن الاستغناء عنها .

وتحدث صاحب الفتح عن توزيع الفتح فى السودان وكيف منعت من دخول المغرب الأقصى ، وكانت أوسع انتشارا وأكبر تأثيرا من الصـحف العربية المحلية فى المغرب ثم منع بيعها فى الجزائر وفى تونس وبطبيعة الحال صارت لا تدخل بلاد طرابلس ، ومقاطعات كبيرة فى جزائر الهند الشرقيـة تألمت اعصاب حكامها مما نشر فى الفتح خاصا بتلك الديار وقد بدأت الفتح (فى ٢٩ ذى القعدة ١٣٤٤ — ١٠ يونيه ١٩٢٦) .

صاحبها محب الدين الخطيب ورئيس التحرير عبد الباقى سرور نعيم الذى ظل يشرف عليها عاما كاملا قبل أن يرحـــل وكان من نوابغ الكتاب الاسلاميين ، وقد كتب فى الفتح محمد الخضر حسين ، محمود محمد شاكر ، محمد حامد الفقى ،

وقد أولى السيد محب الدين للتراث اهتماما كبيرا ، فقد نشأت الفتح فى أحضان المطبعة السلفية والمكتبة السـلفية ، وقد جاءت الفتح فى الوقت الذى اشتدت فيه حركة التبشير ، وأشارت الى ذلك الأجنبى الذى دس نفسه بين الحجاج المسلمين ومعه نسخ الانجيل ، واخذ فى توزيع كتب التبشـير عليهم ، وأشار الى مصر القديمة وطائفة المبشرين التابعين لجمعية التبشير الانجليزية ، ومن كتب التراث الذى أحياها :

ثلاث رسائل للجاحظ : فى الرد على النصارى وفى أخلاق الكتاب وفى القيـان .

علل الحديث : ابى محمد عبد الرحمن الرازى .

سيرة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم

ويكشف السيد محب الدين مخططه فى العمل الصحفى الاسلامى كأحد رواده ، بعد رشيد رضا الذى كان مجلته المنار شهرية وتكاد تكون قاصرة على أبحاثه — وان نشرت أبحاثا أخرى كثيرة على فترات — اما مجـــلة الفتح فهى اسبوعية اولا ومنهجها فتح الطريق امام شباب كتاب المسلمين ، ولذلك فقد كان لها خطة واضحة فى عقل مؤسسها :

يقول : كان مسلكنا فى الفتح منذ البداية أن ننبه المسلمين الى أعدائهم وأن ندلهم على النشرات والمؤلفات التى ينطوى أصحابها على غل وبغضاء لنهداية الاسلامية فاذا قامت الحجة على ذلك وعرف الناس عدوهم : وعدو العقل والهدى نعد أن مهمتنا من هذه الناحية قد انتهت ونلتفت الى غيرها ، وكان هذا دأبنا فى أمر مجلة السياسة الأسبوعية فاننا ما نزلنا بين قرائنا الى ما تنشره من مفتريات وأكاذيب حتى امتنعوا بذلك حتى صار أهل الايمان من باعة الصحف فى مختلف الأقطار الاسلامية يرفضـــون الاتجار بها وينزهون بطونهم من مال الســـــحت الذى يأتى عن طريقها (ويقول لمراســـــل من سنغافوره) الدواء الشافى هو أن يعمل مســـــلموا بلادكم على الا تدخـــل السياسة الأسبوعية منزلا وأن لا تحملها يد .

وبعد أن بلغت الفتح ثلاثة عشر عاما تحدث صاحب الفتح عن تشييد دار الفتح ومطبعتها وكان قد صدر أول عدد منها ١٣٤٤ (وصدر أول كتاب من مطبعتها ١٣٤١ وقد تأسست مكتبتها ١٣٢٧ يقول : كنت حريصا على أن ارد ما يدخل فى يدى من مال على تحسين هذه الصحيفة ونشر ما أستطيعه من مؤلفات أقاوم بها تيار الأدب الفاسق والمطبوعات الضارة وقد يسر الله — تبارك وتعالى — شراء ارض فى روضة المنيل وراء المقياس من وقف السيد محمد أبى الأنوار السادات رحمه الله) .

ويقول : نحن نكتب فى الفتح ليحاسبنا الله وحده على ما نكتب ، وبهذا نالت هذه الصحيفة الصغيرة اعتبارا عند من يحبها ومن يشنؤها . وقــد تحسدها عليه كبريات الصحف ، ونحن لا ندعى العصمة فما نذهب اليه من

راى فى اى حادث ولكننا نتحرى الصواب والخير وغايتها : اهتمام وافر بكل قضايا العالم الاسلامى والعربى بالذات .

● قضايا الجزيرة العربية فيما بين اليمن والسعودية .

● قضايا تونس والجزائر والمغرب وطرابلس الغرب .

● الجمعيات الاسلامية فى الشام (سوريا وفلسطين) والعراق : شباب محمد والشبان المسلمين والاخوان .

● قضية فلسطين .

● قضايا البهائية والقاديانية وغيرها .

● قضايا مسلمى اندونيسيا والصين وباكستان والهند (ومن كل هذه المناطق كتاب يكتبون) .

● الشعر الاسلامى .

● كتاب مصريون وعرب فى البلاد الغربية : عمر الدسوقى ، أحمد عبد السلام بلافريج ، عمر الامرى .

● التربية والتعليم .

● الشريعة الاسلامية .

فهى صحيفة سياسية اسلامية وصحيفة دعوة مع توجيه كل خدمة المركز العام للشبان المسلمين عن مختلف القضايا السياسية والاسلامية .

وفى كل عام من اعوام الفتح قضايا تتجدد وخواطر جديدة :

الفتح (م ١٠/١٩٣٥)

العالم المسلم الذى نعيش بعيدا عن حركة الجهاد لايقاظ المسلمين وتحريرهم وتحقيق وطأة الاستعمار وسلطانه عن رقابهم مكتفيا باشتغاله بمسائل الحيض والنفاس واقتعاد حلقات الذكر وتلقين الأدوار وتخدير أعصاب الأمة بما يحول بينها وبين القوة والثروة والنهضة والتقدم من أسباب لبواعث الضعف والاستكانة ... ان العالم الذى هذا شأنه هو من اعوان الاستعمار فى التنصير والتكفير لابد من يرى الحريق ولا يبادر لاطفائه مع

القدرة على ذلك يعد شريكا لمرتكب خيانة الحريق . فمن أراد أن يقـــوم للمسلمين بواجب دينى فعليه أن ينتشـــــلهم مما هم فيه ، وأن ينبههم الى أسباب ضعفهم ، وأن يأخذ بأيديهم الى طريق القوة والاســـتقامة والنهضة والرجولة . فلتكن لنا أساليب ندفع بها الأمة الى ما يدفعها عنـــه أعداؤها وكلما كثر الأئمة الموجهون الى هذه الوجهة تقربت الأمة بهدايتهم الى ربهـــا وخففت عنها من سخطه وتأهلت للسيادة والســـــــعادة وكانت من عباده الصالحين .

ويتحدث عن الوجهة الصحيحة للأمة : ان الأمة فى بدء نهوضها تضطر الى تقليد الأقوياء فى مناهجهم وخططهم وأنظمتهم وقد يتمسك فى هذا النقـــل بكثير من الظواهر فيشغلها ذلك عن النظر فى كثير من الحقائق ولـــكن لهذه الحالة دورا تنقضى ثم تنتقل الأمة منه الى النظر فى حالها لتطبيق تلك الأنظمة عليها أو تعديلها بحســـــبه فندخل فى دور آخر هو دور التحرير التشريعى الذى نبتعد عن الغرباء عنها ونتقرب من الذين هم منهم وهم منها ثم تعاون بين مصر وشقيقاتها العربيات .

انتقال مصر من دور الاتجاه نحو الغرب الى الاتجاه نحو نفسها ونحو شقيقاتها فى الشرق ، أو بالتعبير الأصح من دور التقليد للغـــرب الى دور الرجوع الى مجرى تاريخ مصر الثقافى الذى تشترك فيه مع أقطار الشرق العربى ، ان ظواهر انتقـــــال مصر من ذلك الدور الى هذا الدور قد بدت آثارها فى اقتناع الأمة قبل أن يبدو فى اقتناع الحكومة والصحافة المصرية تحت تأثير ميل الأمة واقتناعها ـــ صـــارت تعنى بأخبــــار الشرق العربى وتخصص الصفحات الواسعة .

ويركز الســــيد محب الدين الخطيب على اتجـــاه الثقـــافة المصرية نحو الشرق : فيقول : يعقد لمصر لواء الامامة على أقطار الشرق العربى فى سير قافلة الثقافة الى الأمام ويكون للقومية العربية قدم صدق فى الحضارة الانسانية العامة ،

ويتحدث عن دعوة (محمد على علوبة) وزير المعـــــارف اذ ذاك الى تدريس تاريخ الاسلام فى المدارس الأولية والابتدائية والثانوية تدريسا يمزج

بارواح شباب مصر حس الاحترام والتقدير والاجلال للعبقرية والبطولة والعظمة التى كانت لسلف هذه الأمة (م ١٠ فى ٨٣٢) كما آزر الدعوة الى توحيد مناهج التعليم فى الشرق العربى .

ويركز على هذه الوحدة العربية الأصيلة التى حمل لواءها الأبرار من الدعاة حين بدأت ازمة فلسطين فيتحدث عن ذلك : (م ١٩٣٨/١٢) .

وطن واحد ، امة واحدة ، لغة واحدة .

الفت انظار بنى قومى من الناطقين بالضاد وفى كل قطر وتحت كل نجم سواء منهم المنتشرون غرب روسيا أوفى شمال أفريقيا ، ان الايمان سر التوحيد وروحه ، وان التوحيد ثمرة الايمان وغايته ، فاذا كنت انت غير مؤمن بحقك فلا تلم الطامع اذا اخذ ما لم يعترف لك به واذا كنت انت غير جاد فى حفظ هذا الحق وهو فى يدك ولا فى انتزاعه من يد مغتصبه اذا كان قد خرج من يدك فلا تلم مغتصبه من حرمانك منه والجد فى حفظ التراث الموجود ، واسترداد الحق المفقود وليد الايمان بوجوب حفظه موجودا واسترداده مفقودا وكلما تضافر ايمان المؤمنين بالحق واتخذوا فى تحقيق أمنية التوحيد كانت من ذلك القوة الرهيبة التى لا تقف فى سبيلها قوة .

وفى عام ١٩٣٨ وهى اثر سنوات الجهاد وفى فلسطين نرى اهتمام الفتح واضحا .

يقول : « الخطأ الذى يقع فيه الأقوياء الظافرون يرجع الى اعتقادهم ان فى امكانهم ان يحولوا بين المغلوبين او المحكومين لهم وبين ان يصيروا اقوياء فى المستقبل القريب او البعيد فهم لا يحسبون لهذا الأمر حسابا ويبنون النتائج على أن القوى سيظل قويا وان الضعيف سيظل ضعيفا ابد الدهر ، ولكن قوة الأقوياء وضعف الضعفاء أعراض متقلبة يصرفها الله بارادته وتقديره ، كما يصرف سائر خلقه ، والقوى العاقل هو الذى يحسب حسابا لانقلاب الضعيف قويا وانقلاب القوى ضعيفا ، والتصرف بمصير الأمم تجربة يجرب الله بها الأقوياء فاذا تصرفوا بالعدل والحكمة كان ذلك وقاية لهم من سوء العواقب ، ترى هل يعتبر الانجليز بهذا الموقف فيعدلوا فى فلسطين عن احدى الغلطات التى تورطوا فيها بعد الحرب العظمى ،

وهل يعتبر الايطاليون فى طرابلس الغرب والفرنسيون فى تونس والجزائر والمغرب الأقصى فيعدلوا عن اضطهاد القومية العربية والملة الاسـلامية واستفزازها للدفاع عن حياتها » ..

ولا يتوقف السيد محب الدين الخطيب فى دعوة الأمة الاسلامية الى القوة بالأخلاق والعلم والثروة والمال وبالصناعة والتجـارة ، بالنظـام والاقتصاد والتخصص ، ليستغنى أبناء ملتكم عن الأغيار فتكونوا بذلك قوة للملة بالنظام والاقتصاد والتخصص وهى المزايا التى قامت بها حضـارة الغرب ، ان أمة قليلة العدد تستطيع ان تستولى فى أمة أخرى كثيرة العدد لأن الأولى امتازت بالنظام علىالأمة المستعبدة ، كونوا أقوياء بالاتحاد ولنذكر انه عضو فى جسم الملة وأن يقوى بها وتقوى به »

ويواصل السـيد محب الدين الخطيب رسـالته. ففى العام الخامس عشر من الفتح العدد ٧٠١ — ربيع الأول ١٣٥٩ يتحدث عن مهمته ودوره فيقول : اعترف بأنى اعارض التيار منذ أربعة عشر عاما واقف فى طريقه ، رأيت واجبا من واجبات الكفاية انصرف عنه الناس فقمت بما يستطيعه مثلى يوم لم يكن فى الميدان صحيفة واحدة تتصدى له وثابرت عليـه حتى بعد ان تهافت المتزاحمون على هذا المورد ظانين أن فيه تجارة رائجة فلما علموا ان سبيلنا الى غايتنا لا يرافق اللجة لنجتازها ازوروا عنه الى غرضين :

(١) مخاطبة أفراد العامة بمـا يميـلون الى معرفتـه من أحكام وعوائد

(٢) التقرب الى أصحاب الكرسى من سدنة الدين والدنيا مدة وجودهم فيها.

كان فى استطاعتنا ان نسـلك هذا السبيل الذى أثرى فيـه الأميون ولكن كان الهدف الذى نرمى اليه غير ذلك ، كان فى استطاعتنا ان نسـلك سبيل الصحف الأخرى التى تتجر بالثقافة والأدب وتتنازع ثمراتهـا المادية وتسير بالرأى العام الى ما يجمع بين المتعة والفائدة تارة والى ما يشـاب دسمه بسم تارة أخرى ، ولو أننا ارتضينا للفتح هذا السبيل لأقبل عليـه القارئون بعشرات الألوف ، ولكنا لم نفعل لأنه كان لنا غرض ان خفى على الناس قبل أربع عشر عاما فان الأربع عشر عاما كافية لأن يستبينوه ، : ان هناك دائرة اسمها الاسلام ، وانا مستعد لأن اتوسع بمقدار ما تتسـع له

هذه الدعوة ، ماتقبل الحقائق كلها كما هى وارحب بها واستقبل اسباب العلم والحضارة والنهضة والعمران بكل ما يستحقه من تشجيع وميول ، وانى على بينة من طريقى وسيتبينه الناس مع الزمن » .

ويتحدث عن الاقلال من صفحات الفتح نتيجة غلاء الورق مائتين فى المائة بعد اعلان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، ولو كان العدد الأعظم من مشتركينا يسعف الفتح بقيمة الاشتراك فى اوقاتها لكان ذلك اسرع فى بلوغ ما تتمناه من النهوض » ذلك أن الصحف ذات المبدأ والغاية المعنية تهم قراءها بمقدار ما تهم ناشريها ، يقول : « كم من صحيفة عربية أو اسلامية صدرت ثم احتجبت فى مصر وفى غير مصر منذ صدور الفتح الى الآن ، أما صحيفتنا فلاصرار صاحبها الى حد العناد استحقت مكافأة الله عز وجل باستمرارها هذه المدة بلا انقطاع .

ويولى الفتح اهتمامها الى : بناء الفرد المسلم والمجتمع المسلم .

اعادة التشريع الاسلامى الى الحياة

فما أن يدعو اسماعيل صدقى عام ١٩٣١ الى توحيد القضاء فى مصر بادماج القضاء الشرعى فى القضاء الأهلى ؛ حتى ينبرى له السيد محب الدين الخطيب فيقول : « (م ١٥) القضاء الشرعى نوع ثالث من أنواع القضاء وهى المدنى والجنائى والتجارى لا يكون الا اذا أراد المشرع المصرى ان يجعل التوحيد قائما على توحيد المصدر الذى يستمد منه التشريع وهو الفقه الاسلامى الينبوع القومى والمصدر التاريخى للتشريع فى مصر مدة بضعة عشر قرنا وان مصر لم تعدل عنه الى التشريع الأجنبى الا بتأثير أجنبى منذ نصف قرن فقط :. ان الأمم المسيحية فى أوربا لم تأخذ تشريعها من الفقه المسيحى لأن المسيحية ليست دين حكم ، ولذلك لم يكن للمسيحية فقه يصلح للقضاء ، أما الأمم الاسلامية فكانت ولا تزال تستمد تشريعها من الفقه الاسلامى لأن الاسلام دين حكم ومن ثم كان للاسلام فقه فلأطباق الأرض تأصيلا وتفريعا ، ولا يوجد فى تاريخ العقل الانسانى معنى من معانى العدل الا وقد نص على الفقه الاسلامى ولاحظه وأعطاه حقه من البيان والموضوع (كتاب سانتلانا المطبوع فى تونس ١٨٩٩) وقد استقى الفرنسيون منه

قانون تونس المدنى المأخوذ من الشريعة الاسلامية واسطة الأستاذ سانتلانا » .

ويتحدث عن « **عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى** » وهى قمة منهج محب الدين الخطيب : « ان عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى والسبب الأول فيما يشكوه المسلمون من أعراض الضعف التى ينشدون علاجها ويتمنون البرء منها هى فى الدرجة الأولى انصرافهم عن فضائل الاسلام وأحكامه وسننه عن الغرض الحكيم الذى ترمى اليه هذه الفضائل والأحكام والسنن، اى الشكل الذى يمثلها ويدل عليها واكتفاء أكثرهم بهذا الشكل عن ذلك الغرض .

ومهمة الاسلام تتناول اصلاح الفرد فى نفسه وبنيه كما تتناول تكوين المجتمع على أسس ثابتة يصلح معها للفوز فى مضمار الحياة ، فضلا عن مهمة الاسلام فى تصحيح العقائد وتبسيطها ، وايقاظ العقل لحقائقها ودلالته على سيرها مع الفطرة السليمة فضلا عن مهمته فى توجيه قلب المسلم الى العبودية لله وحده وتخليصه من أوهام البشر التى رانت على قلوبهم فى سالف الأعصار من تهويلات الديانات العتيقة المشوب حقها بباطلها ومعقولها بأساطيرها : هذه المهمة التى جاء بها الاسلام جربت فى الصدر الأول فجاءت بأعظم النتائج وان الاسلام لا يزال هو الاسلام ونصوصه هى النصوص التى ثبت نجاحها فى تكوين خير أمة أخرجت للناس » (١٩٤٤ م)

(م ١٦) ١٩٤٤

لما انتهت الحرب الماضية لم يكن لنا كيان قائم فى جهة العمل وكل ما نراه الآن من صحف اسلامية وجماعات اسلامية تتحدث بخير الملة انما أنشىء بعد الحرب الماضية بزمن غير قليل ، ان كل ما أنشأناه من ذلك انما كان من قبيل التجربة ، وكثير منه لم يكن له خطة مرسومة ، واذا كان لبعضه خطة فيها أثر من آثار العقل والبصيرة فهى من عمل أفراد ولما يدخل الايمان فى قلوب سائر العاملين :. ان الجبهة التى أنشأها أولياء الاسلام فيما بين الحربين استعانوا على انشائها بمن وجدوه أمامهم من شباب وشيوخ انما كانت تجربة ، التجربة دلت على مواطن الضعف

ومواطن القوة فى هذا العمل فعلى من يعمل لوجــه الله وحــده وتعبدا له بتسوية صفوف الملة وتنظيم قواها فى سبيل طاعته ، وأن يتحرى بعد اليوم امثاله ممن يحتقرون الظهور ويبتغون العزة والمثوبة عند الله بما يخفونه عن عباده من جهــــدهم الصالح حتى اذا ما تعارف هؤلاء واتصلوا بمن على شاكلتهم فى الوطن الاكبر كانت منهم النواة التى ينمو غرسها وسيبارك الله فى ثمرها ». حتى اذا وضعت الحرب أوزارها تفرغت الافكار لرســـم خطة السير بالمجتمع الاسلامى الى ما يرضى الله عز وجل ويلائم اتجاهنا التاريخى».

م ١٨ الفتح (١٩٤٣) :

يتحدث السيد محب الدين الخطيب عن نشأة الفتح فيقول :

« لما خرج الناس من الحرب العالمية الأولى اخــــذ المؤمنون بثقافة الغرب من رجالنا وشبابنا يعدون العدة للاستيلاء على الراى العام وتحويل وجهه عن المكتين وما انزل الله منهما الى المعاهد القائمة على ضفاف التاميز والسين وما يصدر عنهما وواتاهما الحظ بما احدثته القوة من احــداث وما صحت اليه من هوى ولم يكن للاسلام فى مصر صحف غير مجلة المنـــار ولا جمعيات غير جمعية مكارم الأخلاق ومجلتها .

اما النزعة الأخرى العاملة على تعميـــم الدعوة الانفرادية وتقليدها فكان فى أيدى رجالهـــا اكثر الصـــــحف وكانوا مشرفين على معظم المرافق والجمعيات وكان انصارهم منبثين فى وزارة المعـــــارف ومعاهدها ، ونظام الاحتلال يؤيدهم فى ابعاد الشباب عن الاسلام وحيوته جهد الطاقة . وكان أحمد تيمور باشا هو الوجه المصرى الوحيد الذى شعر بالخطر الأعظم على مصر والوطن العربى والعالم الاسلامى واشـــــفق من أن يتم فيه — ولو بالتدريج — ما تم فى تركيا وكان رحمه الله لا ينقطع عن زيارة دار المطبعـــة السلفية يوميا الا لمرض أو لسفر ، وكانت دار المطبعة السلفية فى شـــارع خيرت فانعقدت فيها اجتماعات حضرها أحمد تيمور باشـــا وابو بكر يحيى باشا والشيخ عبد الرحمن قراعة والسيد محمد الخضر وعلى جلال الحسينى ونحو عشرة آخرين من هذه الطبقة تذاكروا موجـــة الالحاد القـــوية التى طغت على العالم فى الاسلامى وهو على غير استعداد لدفعها لأن امره ليس فى يده والذين امرهم فى يدهم من المسلمين مهموا من الاسلام الساقط اويراه

وحركات مسابحه وغفلوا عن أهداف جهاده وأسباب حيويته وانتهت هــذه الاجتماعات بتقرير تأليف جمعية لمقاومة الالحاد والتعاون على ذلك مع كل من يؤلمه أمره فى الوطن الاسلامى الأكبر ، وبعد أشهر من هذه المحاولة تبين لنا أن الخطر اسرع من أن يعالج بمثل هذه الجمعية وأنه لابد من الاتصـــال بالرأى العام والشباب المثقف على الخصوص وان الصحافة هى الوســـيلة الأولى لذلك ، وكنت أصدر فى ذلك مجلة الزهراء غير أنها شهرية أدبيـــة ولا تصلح مطية لهذه المعركة ، فضلا عن أنه مشروط فى امتيازها الا تتعرض للسياسة والدين (*)

وكان الحصول يومئذ على امتياز بصحيفة اسلامية للغرض الذى نريده أشبه بالمستحيل غير أن أحمد تيمور باشا رحمه الله التمس لذلك الأسباب التى لا يقدر عليها غيره . وتمكنا من الحصـــول على امتياز باصــــدار الفتح وصدر العدد الأول منها فى يوم ٢٩ ذى القعدة ١٣٤٤ (١٠ يونيه ١٩٢٦) ومر على هذه التجربة عام تبين لنا فيه أن الخطر أفدح وأقوى من أن يعالج بهذه الأداة الضعيفة والأمة أعظم وأكرم على نفسها من أن تصغى الى هذا الصوت الخافت وحينئذ فكرنا فى تأسيس جمعية الشـــبان المسلمين . وقد استعنا على النجاح فى تأسيسها باثنى عشر شابا منهم الأستاذ محمود محمد شاكر وعبد المنعم خلاف وعبد السلام هارون ومحمود الخضرى وكمال اللبان وعبد الفتاح كرشاه وبعد أن صار للجمعية ثلاثمائة عضو أخذنا بها الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ عبد العزيز جاويش وأمثالهما ودعوناهم للانضمام للجمعية وأعلن عن تشـــــكيلها فى غرة جمادى الآخرة ١٣٤٦ (٢٥ يونيه ١٩٢٧) (*)

ثالثا : قضايا الدعـــوة الاسلامية

وفى عديد من قضايا الدعوة الاسلامية ابدى السيد محب الدين الخطيب وجهة نظر اسلامية اصيلة : نظام الحكم ، التعـــليم ، الحركات الوطنية ، الثقافة والعلم ، التجديد ، التقريب بين المذاهب ، الاسلام الاجتماعى .. الخ

اولا : بعث التراث الاسلامى

يقول : يا شباب الجيل : ان من حق جيلكم على جيلنا أن نختصر لكم الوقت ونطوى علم مسافات الطريق ، كانت رسالة الجيل قبلكم منحصرة فى معاونة الاستعمار فكانت مهمة سلبية تدور حول معنى الهدم وأنتم واقفون الآن على مفترق الطرق تتساءلون عن رسالة حياتكم ، رسالة ايجابية تتمثل فيها جميع معانى الانشاء والبناء والتشييد ، وستجدون على مفترق الطرق معلمين كذبة ودعاة من الطابور الخامس يسولون لكم الاستمرار فى الهـــدم ويشيرون الى ما ابقى لكم الدهر من تراث السلف ليوسوس لكم الشيطان هدمه وسيشير آخرون عليكم بالبناء ولكن على أسس غير اسسكم وبأذواق غير اذواقكم ، ولاغراض غير اغراضكم ، نحن أمة امتازت على غيرها من الأمم بأن آخرها متصل باولها ، وان تراث ماضيها من ثروة حاضرها ، وأن اهداف مستقبلها مرسومة فى سنن اسلافها ، وانها كلما يقوى جديده بقديمه ويحيى قديمه بجديده ويمتص قديمه وجديده من ينابيع قـــوة الحـــق والخير يقوم البناء الجديد حول مهمتين :

أما (أولاهما) : فبعث تراثنا القومى من تاريخ واخلاق وعلوم وسنن ووصايا وتعيين أهداف الى أن نعرف كياننا القومى كما كان فى الماضى وكما يجب أن يكون فى المستقبل . ان هذه النظم الأجنبية التى الزمنا الاستعمار العمل بها فى عشرات السنين الأخيرة هى خليط من مبادىء وأحكام واتجاهات اقتبس أقلها من المعانى الأولية كالعدل والحق والخير ووضع أكثرها بتأثير القوى التى تطور الاستعمار تحت سلطانها كالراسمالية وشهوة تحكم الأقوى بالأضعف والديكتاتورية وتملق أهواء الجماهير ..

أما (المهمة الثانية) : فهى مطاردة آثار الاستعمار فى نفوس أبنـــاء الجيل وفى مرافقهم وفى بيوتهم ومعالجة الخلاص منها ، ثم مطاردة معـــانى

الضعف التى طرات على مفهوم الدين فى عقول العامة واشباه العامة مما لم يكن للصحابة والتابعين علم به .

ويقول : انا منذ خمسين سنة الى الآن أتتبع نصوص الاسلام واطيل النظر فى عقائده وقواعده وسننه ، وفى فهم الصحابة والتابعين لها ثم فى الالاعيب التى اخترعها الزنادقة والدجالون والجهلة لتحويلها عن اهدافها وقد يكون فى قلبى اليقين بانه ليس فى عقائد الاسلام عقيدة ولا فى عباداته عبادة ، ولا فى مبادئه وسننه مبدأ او سنة ولا فى نصوصه وتوجيهاته نص أو توجيه الا وله اثر عملى فى تكوين الفرد الصالح والبيت الصالح والأمة الصالحة وما أخر الاسلام المسلمين ، ولكن المسلمين عطلوا دينهم وشوهوا جماله .

ولو لم يكن من المسلمين غيرى وغيرك لوجب علينا ان نبدأ به من انفسنا وندعو اليه كل من يصغى الى دعوتنا وان نحتال على أهل القابلية من الأصفياء الأذكياء فنبث هذا الايمان الاسلامى فى قلوبهم ، ومتى كثر هؤلاء وعادوا شيئا يذكر أكرمهم الله بالولاة الصالحين « وكما تكونوا يول عليكم » .

(م ١٧) ١٩٤٤ :

ثانيا : نظام الاسلام الاجتماعى

وكانت دعوته الى التركيز على نظام الاسلام الاجتماعى من أكبر هممه واهدافه :

يقول : ان علماء الاسلام ووعاظهم وجهوا عنايتهم الى بعض الاسلام دون بعض وأهم ما حجبوا عنه عنايتهم (الجانب الاجتماعى فى الاسلام) وهو جانب واسع جدا فبقى مجهولا من الناس ولا يعرفون أنه من صميم الاسلام وثمين تراثه .. ان اهمال النظام الاجتماعى فى الاسلام بدأ من صدر دولة بنى العباس (اى فى أوائل عهد التدوين فى الاسلام) ولذلك لم تفرد له مؤلفات مبسوطة خاصة به ولم يعن بابرازه العناية الواجبة لانه لم يكن له فى المجتمع الاسلامى سوق ، بل انه يصطدم مع منافع الكثيرين ، غير أن علماءنا من السلف رضوان الله عليهم بثوا مبادىء الاسلام الاجتماعية وأنظمته السامية فى اشتات مؤلفاتهم حتى لم يضع شىء منها فهل لمحبى

جمال الاسلام أن يتفرغوا لجمعها وتنظيمها وحسن عرضها على الأمة حتى اذا عملت بها كانت الأمة الصـــالحة التى يؤهلها الله للخلافة فى الأرض ، ويوم ينتهى الباحثون من استقصاء أسانيد الفقه الاجتماعى ويحســنون عرضها وعرضه على ولاة أمر المسلمين ويوم توجد فى العالم الاسلامى أمة ودولة تولى هذا الجانب عنايتها وتحققه فيومئذ تتحول الشمس لتشرق من أفقها الأول كما كانت يوم بسطنا حضارتنا وعمراننا ومبادئها الســـامية فى أطراف أوربا وآسيا وافريقيا . ان كيان الدولة لا يقوم على عواتق الساسة وحدهم بل ان العلماء بجهودهم العلمية والثقافية السديدة الاتجاه يجذمون بنيان دولتهم بما لا يقل عن عمل اخوانهم من الساسة ، ان أكثر المسلمين يظنون أن الجانب الاسلامى من أوامر الاسلام ونواهيه جانب اختيارى لا يأثم المسلم بالتهاون به كما يأثم بالتهاون بما يعرفه من شعائر العبادات ومـــن هنا دخل الشيطان على المسلمين وافسد عليهم دينهم وسعادتهم وجمـــال مجتمعهم . ان علينا أن نقدم النصوص المتعلقة بنظام المجتمع وآدابه ومـــا ينبغى أن يتحلى به أفراده من خلائق وســـجايا وفضائل ، وخاصة أوامر المصطفى ونواهيــه فى تكوين الأسرة وتوجيهها وفى تناول العقـــود بين المتعاملين فى الأسواق والمعايش ، فى نظام المجتمع وآدابه فان السنة هى الطريق الأعظم (م ١٧) .

ثالثا : نظام الدولة فى التشريع الاســـلامى

ويتحدث عن نظام الدولة والجماعة فى التشريع الاسلامى فيقول :

ان عصور الضغط والانحطاط وما ترتب على الضعف والانحطاط من تحكم الاستعمار ببلاد الاسلام قد حرم المسلمين من طبقة أهل الحل والعقد على ما كانت عليه فى عصـــورنا الذهبية ، فاضـــطررنا الأن نبقى فى النظام النيابى الأجنبى عنا ، وأن نتحمل كل ما نراه بعيوننا من عيوبه التى فرقت بين الأهل والأصدقاء وأوجدت الاحن والعداوات وترتب على النظام نفسه قيام الحزبيات فانتشر على السنة خطبائها وفى صحفها منطقها الذى لم يكن لنا عهد بمثله ، ولن ينقذنا من هـــذا النظام الأجنبى الا رجـــوع الأمة الى ما دعوت اليه من العناية بالأخلاق الفردية ليتكون من مجموعها المجتمـــع الصالح فتنبع فى الأمة طبقة أهل الحل والعقـــد ، وحينئذ يكون لنا نظامنا

القومى الذى يغنينا عن النظام الأجنى ، الذى لمسنا ولمس الأجانب أيضـا عيوبه ، أما نحن فان رجوعنا الى قواعدنا وسنننا بعد رجوعنا الى أخلاقنا وسجايانا سيعيدنا الى أنظمتنا التى كانت لنا فى عصورنا الذهبية ، ويومئذ نباهى بنا امم الأرض ، واظنك تعود الى أن الطريق طويل وجوابى على ذلك ان كل طريق آخراطول منه ، بل لا طريق لنا الا هذا الطريق ، ومهما أبطأت نتيجتــه فهى محققة ثم انها لا تكون بعيدة اذا بدأنا بها من الآن ، ان الأمم التى تعد نفسها للعظائم تستعين على ذلك باحيائها أنظمتها الخاصة وتبتعد كل البعد عن الأنظمة الأجنبية والآن وقد بدأنا نستقل فيجب علينا أن نعود الى تعرف أنظمتها واستخراج كنوزها لنقدمها للمثقفين منـا هدية لدولتهم المستقلة التى نهضت تفاخر بعروبتها . ان ما أكرم الله هذه الأمة من فتوح واتساع وحضارة وعلوم ونهضة وسعادة انما كان وليد هذه الرســالة الكاملة ونتيجة تخلق الأفراد بأخلاقها واغتباط المجتمع بقواعدها وســننها ونهوض الدولة بأنظمتها . (م ١٧)

رابعا : فســاد التعليم فى مصر

وتناول صاحب الفتح نظام التعليم الذى كان من أعمال النفوذ الأجنبى فيهاجمه داعيا الى التحرر منه مع تحرر الأمم من الاستعمار : يقول : لأنه اقيم منذ البداية على أسس رسمت لنا تحت نظام الاستعمار لتكون متمشية مع مقاصده ، وما كانت مقاصد الاستعمار لتضن لاوطاننا تربية جيـل صالح للاضطلاع بأعباء السيادة ، وعلينا أن نعمل الآن على تخريج الجيل الصالح لحمل تكاليف السيادة والاستقلال .

ان خضوع العالم العربى حقبة طويلة من الزمن للثقافة الأجنبية التى ادخلت عليه تحت رعاية الدول الغربية المختلفة جعل مدارســه وكلياته وجامعاته تجرى على سياسة تعليمية توافق اغراض منشئيها . ان اصلاح التعلم فى الأوطان العربية لا يكون الا بنقض أسسه الأجنبية واســتئناف تأسيسه على أساس عربى يضمن للمستقبل نشأ قوى النفس مســتقيم الأخلاق يحسن التوفيق بين العمل لنفسه والعمل لأمته وتساعده أســاليب التعليم على أن يكون منه رجل كفــاح فى ميادين العلم والبحث والصناعة والتجارة والاقتصاد .

ان العيب الأساسى فى مدارسنا انها معاهد تعليم لا معاهد تربية وان التعليم فيها نظرى فما يستفيد منه صاحبه فى معترك الحياة وميادين العمل ، والتربية لا تكون الا عملية ، ولا تكون التربية عملية الا اذا كانت المدرسة (الاولية والابتدائية) للتلميذ كالبيت الصالح للابن الصالح .»

ان المدارس الأجنبية والتبشيرية تعنى بالتربية ، والمدرسه الوطنية لا تعنى بها ، ليس المقصود التربية البدنية ، المقصود هو التربية الخلقية التى تعنى بانسانيهم ، ان مدارس الفرير والجزويت والاليانس تعنى بالتربية المسيحية والتربية اليهوديه ، اما وزارة المعارف فلا تعنى بالتربية الإسلامية والعلوم الرياضية والطبيعية لا يقال فى مقدمتها فضل العرب عليها والتعليم عندنا فاسد من اساسه ، فأبناؤنا فى المدارس الابتدائية لا يجدون المناعه التى تحول بينهم وبين جراثيم هذا الشر ، وتلاميذنا فى الثانوى اذا ادخلوا الجامعة ولا سيما كلية الآداب تلقفهم جو موبوء ، ان الأمة العربية تستقبل فى حياتها العقلية الحاضرة مهمة التنقيب عن تراث العروبة والاسلام لتبنى عليه بنيانها العلمى فتصل حاضرها بماضيها .»

خامسا : قضية التجديد

ان التجديد القائم الان تجديد مزيف لأنه ليس الغرض أن يأتوا الى جدار القلعة او سور المدينة فيخرجوا منها الحجارة المحطمة ويحلوا محلها حجارة اخرى قوية فيتجدد بذلك بنيان القلعة والسور بل الغرض منه ازالة القلعة من اساسها على زعم انهم سيبنون فى المستقبل غيرها .»

ان الاسم الحقيقى لهذا العمل هو الهدم والقائمون به مخربون ، ومن المعترف به عند البشر أن مثل هذا التخريب من عمل الشيطان ، أما التجديد فمما أرشد اليه الرحمن ، وقد بشر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة فى كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها وعلى كل حال فان الشرق الاسلامى عازم عزما اكيدا على الدفاع عن هداية الاسلام ورد كل ما يناقضها وسيحثوا التراب فى وجه كل متآمر عليها ، لهذا نحن نقول ان طريقة مصطفى كمال مكتوب عليها بالفشل والساخطون عليها موجودون فى منازل دعاتها أنفسهم .» خالده اديب ذهبت الى امريكا لتستعطف الأمريكيين على مصطفى كمال ولتقول لهم انا تلميذتكم المتعلمة فى

مدارسكم التبشيريةفى الأستانة ، اشهد ان مصطفى كمال يسير بالمسلمين الى الغاية التى كنتم تحاولون سوقهم اليها فلا تستطيعون وها هو قد حقق اغراضكم فى تركيا واصبح جديرا بعطفكم عليه ، ان هناك جمودا أصيب به المسلمون منذ عصور ، فالذين يعرضون الدين الاسلامى وتاريخه يقولون ان هذا الجمود « علة طارئة » على الاسلام وليست منه ، وان المسلمين كانوا متمتعين بالسلامة من تلك العلة يوم كانوا متمسكين بدينهم فسعدوا به وارتقوا فلما تهاونوا بتعاليم هذا الدين نقصت قوتهم وازدادوا ضعفا حتى صاروا الى ما هم عليه الآن .. ان البقاء على الجمود هو الذى جعل ديار الاسلام تحت حكم غير المسلمين ، ولا خلاص للشرق الاسلامى الا بالاسلام ، والتجديد على طريقة مصطفى كمال مظهر على مؤامرة سرية واسعة النطاق يراد بها ازالة هداية القرآن (١٩٤٤) ».

سادسا : قضية التقريب بين المذاهب الاسلامية

ان القرآن الذى هو الكتاب المشترك بين أهل السنة والشيعة نفهمه كما فهمه أبو بكر وعمر وسائر الصحابة من النبى صلى الله عليه وسلم وأئمتنا المهتدون أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس ومحمد بن ادريس وأحمد ابن حنبل بنوا أقيستهم واجتهاداتهم فى مذاهبهم على هذا الفهم للقرآن من طريق أصحاب رسول الله ، وقد عنى مدونو دواوين السنة وفى مقدمتهم أصحاب الصحاح وكتب السنن بعقد أجزاء وأبواب فى جوامع كتبهم للأحاديث الصحيحة فى تفسير القرآن وما يقرره عن الصحابة كما نقلوه عن النبى صلى الله عليه وسلم أو كما فهموه هم ، أما الشيعة فلا يعترفون لنا لا بصحيح البخارى ولا بصحيح مسلم ولا بسائر كتب الحديث التى عنى بها رواتها أكثر من عناية أى أمة أو أى ملة تحفظ أخبارها ومأثوراتها ، وللقرآن عند الشيعة تأويلات وتفسيرات مدونة فى أمهات كتبهم المعتبرة عندهم تخالف فى مجملها وفى بعضها ما ثبت عندنا فى صحاح الأحاديث وحسانها ما يكذبونه ويلعنون أصحابه الذين نقل الصادقون عن الصادقين هذه الأحاديث مروية عنهم ، فاذا كان هذا اختلافنا معهم على فهم القرآن واذا كان فهمهم للقرآن مأخوذا من دماغ مجهول ومتناقضة وغير معقولة كانوا يزعمون أنهم يحصلون عليها من طفل مختبىء فى سرداب فكيف يمكن التقريب

بين مذهبنا ومذهبهم ما دمنا مختلفين معهم حتى فى فهم القرآن وهو الجامع الوحيد الذى يجمعنا بهم .»

سابعا : مواطن الزلل فى الحركات الوطنية

علينا أن ننظر الى شئون العامة من الوجهة الاسلامية ، وأن نعالج كل أمر من أمور الشرق الاسلامى على قدر اتصاله بدعوة الاسلام وكرامته وآدابه وعقائده ، وشعائره ، وما كان من ذلك بعيدا عن هذه الدائرة فيجب الخوض فيه ونحرص كل الحرص الا يكون لصحيفتنا اى صفة حزبية أو سياسية فكل حادث فيه يصلح الاسلام نسارع الى تشجيعه وتأييده مهما كان مصدره وكل ضرر يلحق بالاسلام وأهله فنحن عاملون على درئه ومقاومته بلا تردد ولا محاباة ، ان الشرق الاسلامى وقع كثير من أقطاره تحت تصرف الغرب ، ونال الاسلام من ذلك وهن فى دعوته وآدابه وعقائده وشعائره ، ولذلك نحن نرى فرضا دينيا علينا طلب انقاذ الشرق الاسلامى من تصرف الغرب منه ، الاسلام نفسه يأبى على المسلم أن يكون محكوما لدول غير اسلامية ولأجل هذا المعنى انضوت الشعوب الاسلامية تحت لواء الأحزاب الوطنية الداعية الى الاستقلال ، فالأحزاب السياسية فى كل بلد اسلامى مدينة للاسلام بكونه العقبة الحقيقية فى سبيل الاستعمار وبكون المسلمين لبوا نداء الدعوة الاستقلالية بدافع من دينهم فاذا راينا فى قطر من اقطار الشرق الاسلامى حزبا سياسيا يتجاهل قادتهويتشدق زعماؤهبالنكير للاسلام فان حكمنا على ذلك الحزب ورجاله انهم اما كاذبون فى دعوى جهادهم الاستقلالى لأن الذى يجاهد للاستقلال لا يعمد الى اقوى اسلحته فيتجرد منه ، واذن ذلك الحزب ورجاله يجهلون هذه الحقائق فهم غير اهل للقيادة ولا صالحين لأن ينضوى اخواننا المسلمون تحت لوائهم .

لما تم لأوربا غزو الأقطار الشرقية ارادت أن تصدع صفوف الأمة الواحدة فاستخلصت من أهل الهوى وأسرى الحاجة والمفطورين على التزلف والطامعين فى المناصب والجاه الكاذب أعوانا لها تصطاد بهم أهل السذاجة وقصار النظر ليكثر سواد الموطدين لسلطانها ، ولم تكتف سلطات الاستعمار باستخلاص أعوان لها على الباطل ولا بشق عصا الجامع بل ارادت ان تغزو القلوب وتحتلها فرسمت مناهج التدريس للبنين والبنات فجعلت اشد الشباب

والشابات اخلاصا للوطن واكثرهم حماسة فى الدعوة الى الاستقلال مشغولين بالسفاسف والمساعى العقيمة .

ان الوطنيين فى اندونيسيا صاروا قدوة للمناوئين فى التفرنج واستعمال مصنوعات هولندا واقمشتها وخمورها وما يحمله سكانها الى جزر جاوه من أدوات موسيقية وزينات كمالية ، هذه الهيئات تنقص من ثروة الأمة المادية مقدار ما تزيد فى ثروة الأمة الهولندية فهم بكل كأس يشربونه من الخمر الهولندى يضربون مسمارا فى سلطة هولندا ليثبتوها فى ارض وطنهم ، وبكل كلمة سوء يقولونها فى الاسلام يقوضون من جيش الوطن جنديا .

ثامنا : النظام الاسلامى

ان تاريخنا القومى دست فيه دسائس غريبة عنه شوهت جمال عصر الصحابة وحطت من قدر معجزات الفتوح، وجعلت ورثة لغة العرب يجهلون ميزات هذه اللغة وحملة أمانة العروبة فيخشون قدر هذه الأمانة ، وبيننا اليوم طوائف من المؤلفين والمدرسين مستمرون على هذا الدرس ومثابرون على هذا التشويه ، وهؤلاء شر على الأمة وعلى الدولة من الاحتلال الأجنبى المسلح لأن الأمة كانت تعلم أن الاحتلال المسلح شر عليها وعدوا لها ولكن أطفال المدارس وشباب الجامعة ينظرون بعين الحرمة الى هؤلاء الثعالب الشعوبيين الذين يشوهون تاريخ العرب فلنعتبر تعليم التاريخ أقدس أمانات الأمة وأمضى أسلحتها .

تاسعا : النظام الاسلامى

ارى من الطبيعى لكل بلد اسلامى أن يثبت فيها النظام الاسلامى الذى ظل معطلا أكثر من الف سنة وصار للاسلام بتعطيله مفهوم فردى بعيد من جمال الاسلام فى تكوين المجتمع الصالح وفى اقامة الدول المحترمة ، ولابد للنظام الاسلامى فى المجتمع وفى الدولة المحترمة ، أن يعود اليه جملة النظراء الأول فى كل بلاد اسلامية ، أحب أن تعلم الجمعيات الاسلامية أن اقامة هذا النظام وبعثه يحتاج الى رجال غير موجودين الآن ، ويحتاج الى استعداد علمى لم يعن به أحد حتى ولم يلتفت اليه دولة اسلامية ولا جمعية اسلامية ، وان هذا النظام لا يمكن

ان يعود بمجرد فوز الجمعيات الاســـــلامية فى الانتخابات الأنها على فرض فوزها وتسلمها مقاليد العمل سنرى أن العمل يحتاج الى رجال لو بحثنا عنهم لا نجد أشباههم واذا وجد بعضهم أو وجد أشباههم ستضطر الجمعيات عن فورها ، وستضطر القائمون الى العمل بالأنظمة الأجنبية الموجــودة ، أما الأنظمة الصالحة والمبادىء الاسلامية الرحيمة وقواعد سلفنا التى يجب أن تحل محل ما هو متعارض الآن فان المثقفين وحملة الأقلام من الاســـــلاميين وغيرهم لا يبحثون عنها ولا يبالون بها لأنهم لا يجدون لها شوقا . وكنت أرى من الخير أن يتقارب الطيبون فى جميع الهيئات والجماعات مع الحكومة على الاصلاح التدريجى فى التعليم وتحويله عن مناهجه وأغراضه الأجنبية الى ان ينشأ جيل يعرف نفسه ويعرف تراثه القومى وأنظمته التى ساد العالم بهـــا ليختار منها ما يطبقه وما يبعث به قوميته وســـــجاياها وأن يتعاون هؤلاء وهؤلاء على اكتساب قلوب هذا الشعب واقناعه بأنهم سيكونوا عند حسن ظنه بهم حكاما وعلماء وكتابا وخطباء وصحفيين (١٩٤٤) .

٢ — المخرج مما نحن فيه أن يبدأ جيل من المثقفين بدراسة ســـــنن الاسلام وأنظمته الاجتماعية والحكمية ومقارنتها بســـــنن الغرب وأنظمته وأساليب حكمه ، وسيـــتدلهم هذه المقارنة على ان الذى اهملناه هو الذهب الابريز والذى أخذنا به لا يساوى فى جانبه شــــيئا . فاذا تمكنوا بعلمهم وحسن نياتهم من تفهيم الأمة هذه الحقيقة واقناعها بان تكون حينئذ الراى العام الاسلامى وأصبح جديرا بان يكون له الحكومة اللائقة به العــــاملة بسنن الله وأنظمة الاســــــلام ، وكما تكونوا يولى عليكم وانا اعرف بان هذا طريق طويل ولكن ان لم نبدأ بالسير عليه الآن تأخر وصولنا الى غاياته بمقدار تأخرنا فى سلوك بداياته .

عاشرا : الثقة فى نصر الله

ان الاسلام لا يحتضر ، واذا كان من يقصر فى أداء واجبه ، فان الله سينصره برجال غيرنا بعد أن يذهب بنا لأن فى الاســــــلام من القوة الذاتية والمناعة الخالدة فلو تخلى عنه الناس جميعا ما يكفى لاعادة مجــده ونشر لوائه عشرة رجال فقط . انا لا انكر أن تيار الاباحة والالحاد تيار شــديد ولكن شدته هذه لن تكون خطرا على الاسلام الا اذا امتلأت نفوسنا يأسا ،

واستقبلنا هجومات خصومنا بسلاح الجهل والعجز وبالنفوس الصغيرة ، اما اذا كان فى الاسلام رجال يتخذون من ماضيه سراجا لمستقبله ومن ابطاله ائمة يقتدى بسيرتهم فان التيار الحاضر يكون احقر من ان نرى معه الاسلام محتضرا ، الا تستطيع ان تقنع الغنى المسلم الذى يتعلم فى المدرسة الثانوية او العالية بان ما خلفه لنا التاريخ الاســــــلامى فى اربع عشر قرنا هو اثمن تركة حصل عنها وارث ، وان الذى يتخلى عن هذه التركة جاهل او مجنون ، ان وقعه ازاء كل حادث تكشف عن ذلك ، وما أن ظهر كتاب (فى الشـــعر الجاهلى) حتى مزقته الاقلام تمزيقا ، وكشفت عن مقدرة صاحبه فاذا هو جاهل ومدلس وسارق وسفيه وملحد وفيه مخاز لو نسبت الى ارسطو أو ألصقت بأفلاطون لكانت كافية فى اسقاطهما ومحو اسم كل منهما من تاريخ العلم والفلســــــفة ، وهكذا ما تكاد تظهر حركة من جانب الهاجمين على الاسلام حتى تعامل بأشد منها .

الباب الثاني

القوى المناهضة للإسلام

أولا : التبشير والاستشراق

ثانيا : التغريب والغزو الفكري

ثالثا : قضايا الغزو الفكري

رابعا : دعاة التغريب

خامسا : تغريب الجامعة

سادسا : مطاعن طه حسين في الاسلام

سابعا : الفرق الضالة

ثامنا : قضايا متعددة

الفصل الأول

مؤامرة التبشير والاستشراق

كان التعريب والغزو الفكرى هو كبرى القضايا التى أولاها الفتح اهتماما ، وجند لها القوى ، وحشد لها الحشود ، وواجه قضاياها فى مختلف المجالات : الاستشراق والتبشير والدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية ، كما واجهت حملات الالحاد والكتب الضارة ، خلال فترة من أدق فترات الفكر الاسلامى ١٩٢٧ — ١٩٤٧ واجهت فيها حملات التغريبيين أمثال طه حسين ومحمود عزمى وسلامة موسى وعلى عبد الرازق وغيرهم .

وكانت مؤامرة التبشير من اكبر القضايا التى أولتها مجلة الفتح اهتمامها ، نظرا لخطورة الدور الذى قامت به فى المرحلة نفسها فقد كانت هذه السنوات من أشد السنوات التى قامت به منظمات التبشير فى ضغطها على البلاد الاسلامية وعلى مصر بالذات ، وكانت الكنيسة البابوية قد حصلت على مبالغ ضخمة من حكومة ايطاليا وقد أعلنت أنها ستوجهها للتبشير فى البلاد العربية ومن ذلك اقتحام القس زويمر لكليات الأزهر وتوزيع منشوراته المعروفة ، فضلا عن التسهيلات الضخمة التى كانت تقوم بها الحكومات فى هذه الفترة للبعثات التبشيرية فى اقامة معاهدها وفى السماح لها باستيراد مواردها .

بل انك لتحس من مراجعة وقائع الأحداث فى هذه السنوات ان التبشير يحاصر العالم الاسلامى محاصرة تامة بارسالياته الكاثوليكية والبروتستانتية فلا يدع مكانا دون أن يحاول بنفوذ الحكومات الاستعمارية السيطرة عليه ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت خطوات أتاتورك فى تركيا والشاه فى ايران وأمان الله خان فى أفغانستان فى محاولة تحويل للبلاد الاسلامية الى بلاد مغربة ، فضلا عن الدعوة الى التنصير فى جزر الهند الشرقية وجاوة وتغيير حروف اللغة من العربية الى اللاتينية .

هذا فضلا عما كان يحدث فى المغرب : طرابلس تحت وحشية الايطاليين ، الظهير البربرى فى مراكش لاخضاع المسلمين البربر الى محاكم

ومدارس غير مدارس العرب ، المؤتمر الامخارستى فى تونس ، مائة عام على الاحتلال الفرنسى فى الجزائر .

فاذا جاءت معاهدة١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا على تنظيم الاحتلال ، برزت قضية الارساليات التابعة للدول الأجنبية فى مصر ، ودعوى عريضة لفرنسا لحماية هذه الارساليات والمطالبة ان لا تخضع للدولة وأن تظل حرة فى عملها ،

وقد تقدمت فرنسا فى مؤتمر الامتيازات بطلب حماية هذه الارساليات وذلك (كما يقول الفتح م ١١ — ١٩٣٧) بالرغم من مصر أتاحت للهيئات والمعاهد الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها اقصى ما هو مباح لهما فى كل بقعة من بقاع أوربا من ادارة الكنائس ومزاولة الطقوس والحرية فى التعليم وتاسيس المستشفيات والملاجىء وغيرها ، تسارع هذه الهيئات الى مؤتمر مونترو تطلب حمايتها وهى التى تدرس فى كتبها ما يجافى الحق فيما يتعلق بالاسلام ورسوله ، كما رأينا فى كتاب (التاريخ المقدس) الذى يدرس فى مدارس الفرير والجزويت فى مصر .

ومنذ العام الأول للفتح (١٩٢٧) : كان الاهتمام بهذا الخطر ومواجهته واضحا فهى تشير الى ان جمعية التبشير الانجليزية قد بثت منشورا حوى من المثالب والقذائف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وان الغرب يعد اكبر حملة صليبية لتنصير العرب ويعد لها اضخم عدة ويرسل معها اقدر الرجال وقد وجه قائد حملة التبشير لبلاد العرب مستر اشنين للتنصير فى العالم وبلاد الغرب منشورا يهدف الى نشر التبشير فى بلاد العرب التى لم يدخلها التنصير بعد وسكانها من٤ الى١٢ مليونا لم تبلغهم دعوة الانجيل وأعلن الحاجة الشديدة الى مائة مبشر يذهبون الى بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد .

ويعلق السيد محب الدين الخطيب على هذا الاعلان لاقتحام بلاد العرب فيقول : (م ٢ الفتح) لما نشرت الدعوة فى لندن لارسال مائة مبشر الى بلاد العرب لم ننظر نحن الى ذلك من الوجهة التى نظر اليها الطائفيون فى مصر ، لذلك لم يخامرنا اى خوف على بلاد العرب من هؤلاء ، لأن تلك البلاد فيها من المناعة الكافية تجاه هذه الغزوة ، ولا يستطيع دعاة النصرانية

ان يعملوا هناك الا فى الاماكن التى فيها للأجانب سلطة وذلك فى بعض السواحل كجزيرة البحرين وبلاد العراق وثغر عدن . اما البلاد العربية المستقلة فلا يستطيع هؤلاء ان يدخلوها الا كما يدخل اللص بيت الرجل القوى فهو ابدا تحت خطر الهلاك .

يقول الأستاذ المشرقى : ان الاستيلاء على بلاد العرب هو غاية الغايات عندهم وان الغاية التى تهمهم هى دوام قبضتهم على ما تمكنوا من احتلاله من الاقطار الاسلامية وهم (مبشرين وسياسيين) بدأوا يحكمون الكيد للاسلام ويرسلون الحملات التبشيرية سياسية وعلمية منذ قرن ونصف من الزمان ، وان عمل المبشرين والسياسين هو محاربة القوة الاسلامية المادية ، وذلك بغزو الاسلام وانتقاض اطرافه قبل الانقضاض على قلبه . ان خطتهم فى اساسها أن يربو من اهل بلد من يتولى عنهم فتح ذلك البلد بالتدريج اذ قد علمتهم تجاربهم القاسية ما يقرب من قرن ، ان ما بينهم وبين أهل كل قطر اسلامى أو شرقى من الفروق الكثيرة فى اللغة والجنس والعادات والتقاليد وطرق التعبير تقوم حائلا بينهم وبين نفوس الناس فلا يصلون اليها بتأثير اساس خطتهم فى غزو الاسلام والوصول الى نفوس أهله عن طريق مدراسهم التى انشأوها فى طول بلاد الاسلام وعرضها الا الوسيلة العملية لتخريج تلك الفئة التى رجوا أن تنوب عنهم فى الدعاية أو على الأقل أن تنشر بين الناس ثقافتهم فتمهد الطريق لتخريج تلك الفئة التى ينشدون . وهم بنشر تلك الثقافة يخدمون الفتح السياسى والفتح التبشيرى فى آن واحد . تلك المدارس التى أنشأتها جمعياتهم التبشيرية من فرنسية وانجليزية وأمريكية والمانية وايطالية كانت اذن اداة لتحقيق الفتح التبشيرى وتوطيد الفتح السياسى عن طريق ايجاد خطط الثقافة للأقطار المراد فتحها واعانتهم على ذلك تلك البعثات المختلفة التى كانت ترسلها الممالك الاسلامية الى أوربا ، ان أكثر النازحين الى معاهد الغرب والمتخرجين من معاهد جمعيات التبشير هم اذن فى الحقيقة تلك الفئة التى قام ويقوم عليها الفتح التبشيرى فى الشرق عامة وفى بلاد الاسلام خاصة وهم القائمون ببث دعاية الغرب فى الشرق بما لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، فقد انسلخوا عن دينهم وروحه كما انسلخوا عن قومهم وحضارتهم وان بقيت لهم اسماؤهم

الاسلامية ، ودعاواهم الوطنية كما يبقى من النسر المحنط ريشه وهيئته ، وقد أدى ذلك أن نشأت فى مصر وفى غير مصر فئة كفت جمعيات التبشير كثيرا من مؤونة الجهاد ومشقته فحاربت الاسلام بدلا منها حربا دينية شعواء لا باسم الدين ولكن باسم (التقدم والتجديد) .

فتح العالم الاسلامى (٢)

ولما كان السيد محب الدين الخطيب هو من أوائل من أولوا الاهتمام بهذا الخطر منذ سنوات بعيدة فقد كان من الضرورى أن يعيد نشر كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) الذى كتبه شاتليه وترجمه الخطيب وسليم الباقى ونشر عام ١٩١٢ فى جريدة المؤيد حتى تتضح الخطوات أمام قراءه : يقول :

فى مجال الصراع بين جمعيات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتينية فى العمل على ازالة الاسلام من الوجود أصدرت مجلة العالم الاسلامى الفرنسية مئات الصفحات أوردت فيها أعمال المبشرين البروتستان ، وأطلقت على هذا البحث اسم : الغارة على العالم الاسلامى أو فتح العالم الاسلامى ، هذا المعنى يجب على كل مسلم أن يطيل التأمل فيه وأن يزنه بميزان الأعمال التى تجرى فى العالم الاسلامى ، وما أقل عدد المسلمين الذين بلغت بهم اليقظة ورقة الشعور الى الحد الذى ينظرون فيه الى الحوادث من هذه الجهة .

نشر هذا البحث فى مجلة العالم الاسلامى ، وترجمته الى العربية جريدة المؤيد ١٩١١ وكان له وقع عظيم فى العالم الاسلامى وبعث اليقظة فى كثير من الناس ونقله عن المؤيد صحف ومجلات متعددة منها المنار فى القاهرة وجريدة الاخاء العثمانى فى بيروت وقد كشف عن أعمال ارساليات التبشير البروتستانتية الأول فى القاهرة ١٩٠٦ ، الثانى فى ادنبرج ١٩١٠ الثالث فى لكنو ١٩١٣ .

وقد كان طبيعيا أن يتابع السيد محب الدين الخطيب اعادة نشر فصول هذا الكتاب فى هذه الأعوام حتى يعرف الشباب المسلم جذور

المؤامرة ، فاذا فرغ منها كان عليه ان يعرض وقائع المؤتمر التبشيرى العام الذى عقد عام ١٩٢٤ كمقدمة للمؤتمر الذى عقد ابريل ١٩٢٨ فى القدس والذى افتتحه القس جوت موت الزعيم الدولى لجمعية الشبان المسيحية تحت عنوان : الهدف توحيد السياسة بين الكنيسة القديمة والجديدة لجعل الضغط الغربى على سائر انحاء العالم مرتكنا الى القواعد المسيحية .

المؤتمر التبشيرى العام ١٩٢٤

قد دعت الضرورة ان تتخذ جمعيات التبشير شكلا جديدا ملائما للحالة الجديدة فى الشرق الاسلامى وان الانقلابات الكبيرة السائرة سيرا حثيثا كان من شأنها ان جعلت النظر فى الحالة امرا جوهريا ، حضرت المؤتمر وفود بلاد العرب والعراق وايران وتركيا والصين والهند البريطانية وجزائر الهند الشرقية الهولندية (٨٠ شخصا) من أعاظم رجال التبشير ومعلميهم وأطبائهم والقائمين بالأعمال الاجتماعية والتبشيرية وزعماء الكنائس المحلية وجماعة من المسلمين المتنصرين الكبار (هكذا)

عرض المؤتمر خطة قوامها هذه المغالطات :

أولا : ان الروح القومية أصبحت تدحر روح الجامعة الاسلامية وتحل محلها (تجربة تركيا) فقد كان لالغاء الخلافة أكبر الأثر ليس فى تركيا بل على العالم الاسلامى فالظواهر كلها تدل على انحلال الرابطة الاجتماعية فى الاسلام .

ثانيا : تطور مكانة المرأة وعلى الأخص فى الجديد

ومن ثمار هذا الانقلاب العدول عن الزواج الباكر والتوسع فى الحرية على المرأة .

ثالثا : الانقلاب الفكرى فى الاسلام ومظاهره لا تحتاج الى برهان فالآن تتكون عقلية جديدة من المسلمين نتيجة الاحتكاك والاتصال بالعلوم الغربية والحضارة الغربية خلال الحرب العامة وظهور انحلال العروة الدينية فى الاسلام والثورة ضد كل مأثور قديم .

ثم أشار التقرير الذى نشرته الفتح نقلا عن مجلة الجامعة الاسلامية فى القدس الى التوجيهات للخطة التالية :

أولا : فى كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجها نحــو النشء الصغير من المسلمين وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة ، ويجب أن يتقدم هذا كله على كل عمل ســواه فى الأقطــار الاسلامية ، فان تنور روح الاسلام فى الناشىء الحديث تبدأ باكرا من عمره فيجب والحالة هذه ان يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين الى المسيح قبــل ان يتكامل نمو عقليتهم واخلاقهم حينئذ ويستعصى على العامل المبشر .

ثانيا : كان التعليم التبشيرى وسيلة لا مندوحة عنها لتنظيم قيــادة القوات المسيحية ورفعها الى مستوى عال من الكفاية ، ولم يزل التعــليم المسيحى هو افضل وسيلة للوصول الى المسلمين ، وان الحاجة الى توسع هذا التعليم وزيادة نشره تتزايد وتتعاظم يوما فيوما من كل جهــة حتى ان الحاجة الى اتخاذ مناهج التعليم المسيحى من حيث الأخــلاق وبثها لم تزل محسوبة من الحاجات الماسة فى البلدان التى تكامل نظام التعليم الحكومى فيها واستقر على شكل ثابت فاختيار نوع الكتب والمطبوعات التى تنشر والأعمال الطبية التبشيرية من أقوى الوسائل .

ثالثا : الذين يتنصرون من المسلمين يجب ان ينقلوا الى جهة اخــرى اجتماعية متكاملة الأوضــاع لتلك التى خرجوا منها حتى لا يشــعروا بعد انتقالهم الى الهيئة الجديدة بنقص أو ضرر .

رابعا : يرى المبشرون أن الطريق فى كثير من الأقطار الاسلامية غدت سهلة منفسحة للتبشير وعلى نطاق واسع فان عقلية المسلمين وصلت الى حالة كبيرة من الطواعية واللين وتقبل بالسهولة الصورة التى تعطى لهــا فيجب أن تغطى هذه العقلية الجديدة كلمة المسيح لتنطبع فيها .

خامسا : حاذروا من كل نوع من أنواع الجدل الســــلبى العقيم ، واعتمدوا على التبشير الايجابى بكلمة المسيح المصلوب والمقتضــيات التى يوجبها صلبه واســــتعمال روح المحبة من خلال الصلاة التى تصله بدين المسلمين ، وعلى المبشر أن يقصد الطبع القلب والفضلى من المسلمين حتى اذا أصبحت هذه الطبقة فى قبضة أيديهم اتخذوا أساسا ينبنى عليه سائر بناء التبشير الذى يراد اقامته .»

سادسا : القضية محصورة فى مواجهة واحدة هى تعبئة صفوف جديدة من المبشرين وحسن التصرف فى توزيع القوى المجهزة وبذل الجهد فى جعل العمل مدبرا تدبيرا حسنا ولجعل القوى الروحانية فى صفوف المبشرين حية متكاملة فى جميع الجهات .

سابعا : من مظاهر الانفتاح أن بعض الحكومات الاستعمارية كانت فيما مضى مصادرة للتبشير فى الأقطار الاسلامية وقد تغير حالها الآن وباتت صديقة للتبشير وعضده القوى تمده بالمعونة اللازمة للقيام بالأعمال الطبية والاجتماعية التبشيرية الخاصة .

ثامنا : الدستور الذى انشىء فى مصر قد اشتمل على نصوص قاطعة تكفل الحرية الدينية وصيانتها .

تاسعا : خير الوسائل هى اقتباس الكتاب العرب دسائس الدعاية المبثوثة فى كتب المبشرين ونشرها فى كتاباتهم ومحاضراتهم كالآراء التى كتبها جرجس سال ونقلها طه حسين فى كتابه (الشعر الجاهلى) .

عاشرا : الحرب الكبرى جعلت العديد من المسلمين على صلة مباشرة بالحضارة الغربية فانفتحت عيونهم على عالم جديد ما كانوا يعرفونه من قبل وغدا أهل الغنى والمكانة يردون الأقطار المسيحية زرافات ، الألوف من الطلاب يهاجرون من آسيا وأفريقيا الى أوربا لطلب العلم وتحصيل المعارف ، وسيل عظيم من العمال والصناع يتدفق من شمال أفريقيا على فرنسه .

وقد أشارت صحيفة الجامعة الاسلامية التى تصدر فى يافا أن المؤتمر استتبع توجيه المطاعن الفاشية الى الاسلام ورسوله وقالت ان المسلمين فى حيفا قد واجهوا انعقاد المؤتمر باحتجاج شديد وانه أحدث غليانا شديدا بين المسلمين يخشى أن يؤدى الى فتنة عظيمة وطالبوا بحله ومراعاة تقاليد البلاد وعواطف أهلها وان الغرض من هذا احداث فتنة بين المسلمين والنصارى تحقيقا لغايات سياسية . وقالت الصحيفة أن القس زويمر قام بتوزيع كتب وأوراق كلها طعن بذىء فى الاسلام .

حركة التبشـــــير العالمية

وواصلت مجلة الفتح الحديث عن مؤتمر التبشير الجديد (المنعقد فى ابريل ١٩٢٨) فى القدس وفيه القى بيانا يكشف عن هزيمة التبشـــــير فى مخططاته التى نظمها وسعى اليها قال :

ان الطريقة التى سرنا عليها الى الآن لا توصـــــلنا الى الغاية التى ننشدها فقد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا وانفقنا من الذهب قناطير مقنطرة والفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ومع ذلك كله فاننا لم ننقل من الاسلام الى المسيحية الا عاشقا بنى دينه الجديد على اســــاس الهوى ، أو نصابا سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتى نعده قد خرج منه ، ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول أنه قد دخل فيــه . ومع ذلك فان الذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحد فيهم فالذى نحاوله من نقل المسلمين الى النصرانية هو اشـــــبه باللعب منه بالجد فليكن عنــدنا الشجاعة الكافية لاعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وانشلت .

وعندى انه يجب علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين ان نهدم الاسلام من نفوسهم ، حتى اذا اصبحوا غير مسلمين سهل علينا او على من يأتى بعدنا ان يبنوا النصرانية فى نفوسهم او فى نفوس من يتربون على أيديهم .

ان عملية الهدم اسهل من عملية البناء فى كل شىء الا فى موضوعنا هذا لأن هدم الاسلام فى نفس المسلمين معناه هدم الدين على العموم وهى خطة مخالفة لما ندعو اليه لأنها خطة الحاد وانكار للأديان جميعا ولكن لا سبيل الى تخليص المسلمين من الاسلام غير هذا الســـــــبيل فانظروا ماذا انتم فاعلون » .

ويقول السيد محب الدين الخطيب معلقا على هذه النتيجة :

« أنهم نتيجة ذلك عمدوا الى عقد الاواصر مع دعاة الالحاد ، فتــح الأندية ، جمعيات يزعمون أنها ليست للدعوة الدينية ــ كجمعيات الشبان المسيحية ــ استمالوا من لا يقترب من معاهد التبشير حتى مؤتمر ١٩٢٤

نشطت هذه الطريقة وكثر عدد الملاحدة من المسلمين ، وكان اعتقادهم أن هدم الاسلام فى نفوس المسلمين انما هو خطوة واسعة الى قبول النصرانية.

والكماليون كادوا للاسلام اعظم كيد وساروا فى الاساءة اليه على خطة محكمة منظمة أتقن تنظيم ، ان الشعب التركى الذى أسكتته المشانق فى الخطوة الأولى فان المشانق التى تسكته فى الخطوة الثانية لم تخلق بعد ».

خطوات فى العالم الاسلامى

وأشارت الفتح الى مقال نشرته مجلة العالم الاسلامى التى يصدرها القس زويمر (ابريل سنة ١٩٣٠) تحت عنوان (المساحات التى لم تحتل بعد) أشار فيها الى الأقاليم التى لم يزرها المبشرون بعد ويجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها قالت : لا ينبغى أن يبقى فى هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحى مكان على وجه الأرض لا تطأه قدم المبشر ، وغالب البلاد التى لم يحتلها المبشرون انما تقع فى دائرة العالم الاسلامى (شمال افريقيا وغرب آسيا ولايتا قنصوه وسنكيانغ فى الصين ، الهند الصينية الفرنسية وسيام حيث يوجد ما يقرب من مليون مسلم ، الأفغان ٨ ملايين ، فارس ، بلاد الأكراد) الخ .

وأشار الدكتور زكى على الى مؤامرة التبشير فى السودان (الفتح م ١١ — ١٩٣٧) فقال :

« جاهر غوردون بضرورة تنصير السودان ١٨٧٨ وبمجرد استرداد السودان ١٨٩٩ نشطت حركات المبشرين وتعدتها الادارة الانجليزية فى مصر والسودان بالتشجيع المادى والأدبى ، وأرسلت الكنيسة الانجليكانية ١٨٩٩ البعثة التبشيرية الكاثوليكية حيث أنشأت مراكز تبشيرية فى الخرطوم وأم درمان وواد مدنى وعطبرة وفى عام ١٩٠٥ دعا اللورد كرومر رجال الكنيسة الانجليكانية لانشاء مراكز للتبشير فى مديريات جنوب السودان وتنصير قبال الزمطا .

هذا وفى نفس الوقت فتحت مجلة الفتح أبوابها لدراسات واسعة حول التبشير وشبهاته المثارة وكان فى مقدمة من تصدى لذلك الشيخ مصطفى

الرفاعى اللبان فكتب عددا من الدراسات : م ٤ و ٥ (١٩٣١/١٩٣٢) منها
مناقشة هادئة للمبشرين .
دعوى الوحى فى الانجيل .
دعوى الوهية المسيح .
دعوى ان مدنية أوربا مسيحية .
حيل المبشرين وتضليلاتهم .

وناقش الشيخ اللبان مطاعن المبشرين : حول تعدد الزوجات ، وزوجات الرسول والطلاق ونشأة النبى فى قوم وثنيين والسيف وانتشار الاسلام ومستقبل الاسلام .

فقدم اجابات وافية حول هذه الشبهات .

كارثة أكبر من ضياع الأندلس

وفى ١٥ مايو ١٩٣٠ وجهت الفتح سهامها للخطر الكبير الذى واجه المسلمين وهو عقد المؤتمر الافخارستى الصليبى التبشيرى فى عاصمة تونس فقال :

« نحن اليوم أمام كارثة أكبر من كارثة الاندلس ، هذه الكارثة العظمى هى أن شيخ الاسلام فى تونس وعدد من حملة علوم الشريعة قبلوا أن تتألف منهم لجنة شرف لمؤتمر التبشير الكاثوليكى الذى عقد منذ أيام فى الديار التونسية واعتمد له مليونان من الفرنكات اخذت من بيت مال المسلمين فى تونس وأعطيت لمؤتمر التبشير الافخارستى فضج لذلك الحزب المعارض فى مجلس النواب الفرنسى وبقى المسلمون أمواتا ، شرف عظيم لشيخ الاسلام فى تونس وعصابته وأى شرف أعظم من أن يكونوا لجنة شرف لتسهيل مهمة كاثوليكية يقوم بها خمسين الف قسيس من حملة الصلبان العاملين بهمة واخلاص لاخراج المسلمين من الدين المحمدى وادخالهم تحت راية الصليب .

لقد كان انعقاد المؤتمر الافخارستى فى بلد اسلامى مما افسح الأمل لرجال الكنيسة فى امكان تنصير المسلمين ، ومدى اهمية هذه المظاهرة

الكاثوليكية الكبرى على مستقبل المسيحية ، وقد قوبل المؤتمر بالفشل المخزى ، اما تونس الحرة فلم تحضر من وجهائها وافاضلها وعامة اهلها احد قط ، واضرب رجال الصحافة ، وتونس ألهمت الملاحدة غير الصادقين فى الحادهم انها لا تزال بلدا عربيا اسلاميا اذا سيم الضيم قال بملء فيه : « لا » .

ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية كما يظن بعضنا

وكتب الأمير شكيب ارسلان (م ٥) ان هذه الرسالات فى جميع أمم الافرنج تجاهد فى نشر الدين المسيحى بنشاط يقصر عنه كل وصف ، أحب ان لا ينخدع المسلمون بكلمة ان هؤلاء انما يعملون للدنيا وان الدين انما هو ستار لها فانه يكون من تبيل تشخيص المرض بغير حقيقته وعند ذلك يتعذر كفاحه . ان الحكومة الفرنسية عندما تسهل للقسوس والرهبان الاتصال بالقبائل حتى ينصروها وتمنع دخول الفقهاء وحفاظ القرآن ومشايخ الطرق الصوفية بين البرابر حتى يخلو الجو للقسوس والمبشرين لا شك أنها ترمى الى عرض دنيوى هو توطيد استعمارها للمغرب فأما القسوس والمبشرون فان الغاية التى يسعون اليها انما هى أن يحولوا البربر للمسيحية .

سنوك هورمزونج : عدو عاقل ولكنه شديد الخطر

وكتب الأمير شكيب أرسلان م ٥ الفتح ص ٦٧٤ (١٩٣٢) م .

« اقام بالبلاد الاسلامية مدة طويلة أسلم خلالها وحج وجاور بضع سنوات فى مكة واطلع على الدقيق والجليل من أمر المسلمين وتلقى كثيرا من العلوم العربية على المدرسين بالحرم الشريف ، قرات له أربع محاضرات بالفرنسية فىكتاب صدر عام١٩١١ تحتعنوان (سياسة هولنده بازاء الاسلام) وقد اعترف هورترونجه بأن حزبا فى هولندا قائما لجمعيات التبشير يحث الحكومة على أن تحمل مسلمى الجاوى على النصرانية قسرا فبين الخطر العظيم من مباراة جمعيات التبشير على ما عليها من تنفير المسلمين وطعن فى مزاعم بعض النواب كون اسلام أكثر أهل الجاوى والجزائر/البيز لانديه/ لا يزال اسميا فلا بأس بمعاملتهم بغير ما يعامل به المسلمون . ولا نرى شغلا لدول أوربا المدنية فى هذا العصر أهم من المسائل الدينية والاهتمام بالتبشير ومعاضدة القسوس فى دعايتهم ببلاد الاسلام .

الاســـلام والبعثات الكاثوليكية

وأشـارت الفتح الى الكتاب الذى أخرجه المجمع الكاثوليكى فى باريس مجموع محاضرات بشأن الاسلام (درمور دولانويارى) فى المجلد الخامس ص ١٩٢ فأورد ما أشارت اليه الأبحاث من أن الحرب العالمية الأولى قتل فيها أثنى عشر مليون قتيل وجرح ثلاثون مليونا ، وأشـــار الى حكومة البحث وهو قولهم :

ان التجارب حققت لنا أن المسلمين الذين فى ممتلكاتنا فى أفريقيـــــا لا يصيرون أبدا رعايا مخلصين لفرنسـة ان لم يصيروا مسيحيين فعلى هذا قد تضافرت شـهادات القسـوس والمبشرين والاشـــخاص العالمين الذين عرفوا الاسلام حق المعرفة .»

الحـــرب الصليبية الجديدة

وفى الفتح م ٥ ص ٧٥٤ (١٩٣٢) كتب الاستاذ عبده عليوه أبو الخير فقال : حذرنا خالد شلدريك من حرب صليبية تتولى زعامتها ايطاليا وجاءت فظائع الايطاليين فى برقة مؤكدة لهذا الراى وصرح (أوجين يونج) فى كتابه الاسلام فى آسيا أمام المطامع الأوربية بأن هنالك غارة صليبية جديدة تدبر للقضاء على العقيدة الاسلامية وتبديد شمل أمم الاسلام وقيام حركة للتنصر واسعة المدى تتزعمها الكنيسـة الكاثوليكية . وتنظر الشعوب اللاتينية الى الكنيسـة الكاثوليكية كنصير يجب أن يساعدوه حتى ينشر الدعوة المســيحية ويكون من ورائها التوسع الاســتعمارى ، وقد رأينا بوادر هذه الحركة فى بلاد المغرب ، ويدعى أصحاب هذه الحركة ان البربر من سلالة أوربية لذلك يجب أن يخضـــعوا للقانون الفرنسى وبمحو اللغـــة العربية من أذهانهم ويستعيضوا عنها باللغة الفرنسية أو بلهجاتهم البربرية .»

والآن تتقدم ايطاليا الى الاسلام كزعيم للكنيسـة الكاثوليكية بعد أن سوت مسـائل الخلاف بينها وبين البابا .»

وهنالك عدو آخر فى فلسطين هم اليهود وكأننا نرى اليهود والكاثوليك جنبا الى جنب يسعون للقضاء على الاسلام .»

حقا انها حرب صليبية جديدة : ارساليات كاثوليكية تشاد يوما بعد يوم فى الأراضى المسلمة وثروة الولايات المتحدة تسند هذه الارساليات .

حملة التبشير الكبرى : الجامعة الأمريكية فى القاهرة

وسرعان ما انفجرت حركة التبشـــــير الكبرى فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية وقد احدثت أصداء واسعة فى الصحافة وحفلت الفتـــح شوال ١٣٥٠ المجلد السادس (١٩٣٣) بالنتائج التى وصلت اليها صيحة المركز العام للشبان المسلمين وموقف الأمة الاسلامية تجاه عدوان المبشرين، فقد قدمت عدة توصيات هامة فى مقدمتها :

(١) مراقبة سير التعليم فى مدارس المبشرين والمؤلفات التى تقـــــدم اليهم .

(٢) منـــع المدارس المسيحية من مطالبـــة المسلمين بأداء العبادات المســــــيحية .

(٣) مراقبة مستشفيات المبشرين وأماكن محاضراتهم ومنع اتخـــاذها وسيلة للتعدى على الاسلام بأساليب خبيثة .

(٤) انشاء مدارس اسلامية لتغطية حاجة المسلمين وحتى لا يدخلون مدارس التبشــــــير .

(٥) قصر جهود الارســـــاليات على أبنـــاء الديانة التى تتبعهـــــا الارســـــاليات .

وقد ألقى الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس الشـــبان خطابا هاما فى مجلس النواب عن هذه التحديات وكشف عن الاساليب التى استعملوها فى تنصير أبناء المسلمين ومنها استعمال طريقة التنويم المغناطيسى .

٢ — وكتب السيد محب الدين الخطيب معلقا قال :

ان أعداء الحقيقة الاسلامية استعدوا لمكافحتها بأحدث اساليب الطبع والنشر ونظموا القوى التى تشترك فى هذا الكفاح وصنفوا لذلك كل أداة لاح لهم أنهم سيحتاجون اليها أثناء العمل من دورات عملهم مدارس جامعـــة انفقوا عليها الألوف وجمعيات فنية منظمة مجهزة بالصحف والمطابع ودور

الكتب ومكاتب الاستخبارات ورجال العمل المتمرنين عليه وان لها أعوانا فى صميم بيوتنا ».

ويزعم كاتب جريدة الشرق (المشرف عليها الدكتور طه حسين) ان الجامعة الأمريكية بريئة من التبشير مع أن مدير تلك الجامعة له كتاب مطبوع يفخر فيه بأنه داعية .. وان الجامعة الأمريكية معترفة بكتب هى من كتب التدريس عندها وفى هذه الكتب طعن على دين الاسلام ورسوله . أن أعداءنا يهاجمون أبناءنا فى عقائدهم وفى حقيقتهم ، وصاروا يخطفونهم من بين احضاننا ويفسدونهم علينا . يجب على كل مسلم يرى فى نفسه استعدادا للمنافحة عن حقيقة الاسلام ان يجند نفسه بالمعدات اللازمة لذلك وأن يهب نفسه لله (م ٦ الفتح) .

٣ — ويواصل الفتح حملته كاشفا عن كتب المبشرين ومساعيهم فى المدارس الأجنبية وخاصة كتب جماعة الفرير : « هذه الكتب المحشوة بالطعن على الاسلام يبيعونها للناشئة من شاء منهم ومن أبى ويغرسون مغزاها فى نفوسهم كى ينشأوا كارهين لدينهم وبلادهم أو ليخرجوهم من ملتهم .

وكان الأستاذ محمد عبد الحميد قد مر بهذه التجربة معهم فهو يكشف خفاياهم ، وقد عرض أسماء مجموعة من الكتب تباع فى المكتبات منها كتاب باسم (توبيخ الاسلام) وعدد من الكتب التى ترمى الى تقريب المسيحية الى ذهن المسلمين وكلها تدور حول سوء القصد فى التعبيرات حول الاسلام والنبى واللغة العربية والأزهر .

وقال ان الجامعة الأمريكية فى القاهرة تعد مصيدة دينية باسم العلم

٤ — وكتب الأستاذ عجاج نويهض فى هذا الصدد فقال :

ان شر القوى المتسلطة على التفسير العام هى المدارس الأجنبية بمختلف علاقاتها وأنواع جمعياتها التى تنتمى اليها : هذه المدارس مراكز مسلحة بأحدث آلات الافساد وعملها الغارة على الأمة وناشئتها مما لا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية الحربية ، بل غارة المدارس الأجنبية

أقتل وأنفذ وأستر عن العين واخبث وسيلة واكبر شرا . فالناشىء الحدث الذى شب بعد الحرب العالمية والذى يدخل المدارس الأجنبية المجهزة بكل الوسائل المدرسية للاستيلاء على عقول الطلاب فهو عندما يدرك الثلاثين أو الأربعين قد انقلب ليس فقط الى ان يكون عاملا مسخرا للأجنبى يؤدى للمسيطر عليه الضريبة ، بل هو مسلوب الدين والعقيدة ، فاقد الاثقة العربية الصحيحة ، يرى من الثقافة القومية وتاريخ العرب وتاريخ الاسلام فى رأيه ساقط مكذوب والتقاليد القومية يراها ضحكا وسخرية .

كذلك فقد مضى الأستاذ مصطفى الرفاعى اللبان فى تفنيد الشبهات التى أوردتها كتب المبشرين وكان له باع طويل فى هذا المجال اتسع له مجال البحث أعواما طويلة يعرض لشبهات كتب النصارى والمبشرين والملاحدة وغيرهم .

وقد أشار فى الفتح م ٦ (فبراير ١٩٣٣) الى مجموعة الشبهات التى أوردتها كتب المستشرقين ورد عليها واحدة واحدة :

(١) الاسلام دين جمعت مبادئه من الأديان كلها حتى الوثنية والاباحية

(٢) « محمد » صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون نبيا لأنه من الأمم غير الاسرائيلية ومحرم على غير بنى اسرائيل أن يخرج منهم نبى أو مصلح .

(٣) المسلمون أتباع شهوات وعبيد لذات وأقران قسوة وغلظة وشدة .

(٤) القرآن كلام محمد وأعانه عليه قوم آخرون من الأعاجم العارفين بالأديان السابقة .

(٥) الاسلام جنى جناية لا تغتفر بوصفه المسيح بالعبودية والرسالة فقط .

(٦) رجال العلم من المسلمين يتعلقون بآيات من التوراة والإنجيل يدعون أن فى طياتها بشارات فيهم مع أن الأمر ليس كذلك .

موقف الجامعة الأمريكية بعد حوادث التنصير

كشفت الدوائر الاسلامية موقف الجامعة الأمريكية وخروجها عن حدود الرسالة المنوطة بها ، ومخالفتها لمذهب حرية الأديان فى التعليم ، وطالبت الهيئات الاسلامية الجامعة الأمريكية بعدم التعرض للاسلام والا كانت خليقة بتقليم أظفارها ومنع التعليم فيها حماية للمسلمين : وقال السيد محب الدين الخطيب : هبوا أننا أسسنا مدرسة فى أمريكا تتعرض للديانة المسيحية وتحرض المسيحيين على تعلم الديانة الاسلامية فهل تصبر علينا حكومتها .

٢ — وعلق الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان (م ٧ ص ٣٤٩) على أحداث التبشير فقال : منذ قرن ونيف كان النصارى العرب فى الشرق الأدنى يعيشون مع اخوانهم العرب المسلمين فى وفاق تام فلا نرى نصرانيا يسىء الى الاسلام الحنيف بكلمة بل يدافع عنه فلما جاس المضللون خلال الديار وعاثوا فيها فسادا ونشروا مؤلفاتهم السخيفة المشحونة بالأكاذيب المفتريات والنقول الخاطئة عن الدين الاسلامى وانتشرت مدارسهم هنا وهناك جعلوا من مواطنينا النصارى شيعا وطرائق قددا ووضعوا فى نفوس بعضهم بذور الطعن المرفوض على الاسلام ورجاله .

٣ — ولما كانت حركة التبشير استمرت للعام الثالث ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ فقد واصلت الفتح حملاتها لم تتوقف .

ففى المجلد السابع ص ٧٩٦ نجد هذه الصورة عن تعليم الفتاة المسلمة فى مدارس الراهبات : بعد دخول البنات المسلمات مدرسة الراهبات الكاثوليكية وتعودت آذانهن نغمات كلمة الصليب والأيقونة والقديسين والثالوث والعذراء ولا ريب أن قلوبهن وعقولهن لم يوضع فيها شىء عن محمد صلى الله عليه وسلم ولم يسقط عليها شعاع من القرآن وهداية الاسلام ، وما برح دعاة النصرانية يعرضون على بعض الفتيات المسلمات فى مدارسهم صور شباب مسيحيين على شىء من الجمال ويرغبوهن فى أن يكون خطيبات لهؤلاء الشبان وبين عشية وضحاها تسمع صراخ الآباء التيوس يتردد صداه على صفحات بعض الجرائد بأن مدرسة الراهبات الكاثوليك أو مدرسة الأمريكان البروتستانت نصرت بناتهم ومنعتهم من

الاتصال بين ويحاول الأب التيس الذى اختطفت ابنته من تحت ذقنه أن يعيدها الى سلطته ولكن هيهات ، فان البنت استأنست بالصليب والأيقونة والقديس والثالوث والعذراء وصارت غريبة عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن القرآن وهداية الاســـــلام وقد وعدوها بأن تكون مدرسة فى احدى مدارسهم أو ممرضة فى احدى مستشفياتهم أو مبشرة بالصليب وستقول لكل من تتصل به من المسلمين والمسلمات أنا بنت فلان وكنت مسلمة ، ولما علمت أن دين الاسلام دين قذارة ووحشـــية وشـــهوات ونفاق تحولت عنه الى النصرانية ، كل هذا حدث لأن أباها جعلها فى محيط لم يفكر فى نتائج وجودها فيه فطارت من يده وصارت حربا عليـــه وعلى دينه ومن ثم فان كل جريمة تقع على الاســــــلام فى مدارس دعاة النصرانية ومعاهدهم ومصايدهم فان المجرم الأكبر الذى يعد أصيلا فى ارتكابها هو المسلم الذى كان يمكنه ابعاد الابن المسلم أو البنت المسلمة عن مصايد التنصر وتهاون فى ذلك » .

٤ — وتواصل الفتح فى العام الثامن (١٩٣٥) الحديث عن أخطـــار التبشير فتقول تحت عنوان (المسلمون يساعدون محمدا صلى الله عليـــه وسلم بالدعاء لا غير ، والنصارى يبذلون مئات الملايين كل ســــنة لتنصير الكرة الأرضية) (شكيب أرسلان) : من ألذ ما يلذ المبشرين وأهم ما يهمهم تنصـــير المسلمين خاصة فانهم لو نصروا مائة بوذى أو خمســـمائة فيتشى ما سرهم ذلك بمقدار تنصير مسلم واحد ، لذلك نجد لهم فى العالم الاسلامى مجاهدات فى هذا السبيل تحار فى أمرها العقول ، وحاضرى فى الأيام الأخيرة فى مصر الا هو صفحة من صفحات هذا التاريخ الذى مضى عليه وقت طويل والمسلمون غير غافلون أو متغافلون . ولو لم تكن قلعة محمـــد صلى الله عليه وسلم أمنع قلعة روحية بناها مؤسس شريعة فى الدنيا لكانت الحملات التبشيرية قد أتت على الاسلام من قواعده لكثرة وسائلها وأدواتها وتصرفها فى المال والجاه مما هو فوق الاحصاء على حين أن الاســــلام نائم يغط فى سبات عميق ولا ينفق على الدعاية لنفسه واحدا من مليون من الأموال التى يبذلها المسيحيون » .

التبشير فى كل مكان

وقد مضت الفتح تواصل ضمن أبوابها المتعددة قضية التبشير لا تغفل منها فهى تشير فى أحد أعدادها الى التبشير فى بغداد فتقول : أنهم جعلوا ٣٠ روبية شهريا لكل من يعتنق النصرانية فى لواء العمارة ، وقد سـجل بعض الفقراء أسماءهم ليتقاضوا هذا الراتب بدون مقابل اللهم الا وقوفهم مدة خمسـة دقائق ليصورهم المبشر ويرسـل صورهم الى أنحاء العـالم وحضورهم كل يوم الى أحد مراكز المبشرين لاستماع المواعظ .

خالد شلدريك يفحم قسيسا

ويقول الدكتور خالد شلدريك : كنت مسـافرا فى باخرة متجهة الى الشرق وكان عليها مسافرون كثيرون من ملل مختلفة واتفق جلوسى فى أحد الأيام على مقربة من قسيس مسيحى رآنى أنتقد أمورا دينية عن المسيحيين فظن انى يهودى واخذ يقارن بين المسيحية واليهودية ورددت عليه قوله ثم اخذ يقارن بين المسيحية والبوذية فرددت عليه ، ومازال ينتقل من ديانة الى اخرى ليعلم دينى فصارحنى بالسؤال ودهش اذ علم انى كنت نصرانيـا واسلمت واخذت افيض فى بيان محاسن الاسلام وفضله على جميع الأديان حتى الجمته ، وقال ان الذى يغير دينه لا شـك امرؤ سـوء ومنافق فقلت يا حضرة القسيس انت مسـافر من اوربا الى الشرق لتدعو الشرقيين الى تغيير دينهم والدخول فى المسيحية فانت تدعو اذن كل شرقى لأن يكون امرؤ سوء ومنافقا فخجل جدا وضحك عليه الكثيرون » (م ١٣ الفتح) ١٩٣٨ .

واشـارت الفتح الى أن المبشرين جعلوا من كتاب الشـيخ على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) محاضرة ينتصرون فيها للسفاسـف الواردة فى هذا الكتاب لأنه مما يساعدهم على بلوغ مآربهم فى الاسلام وذلك بدار المبشرين (٣٣ شارع الفلكى أمام محطة باب اللوق) .

وذكرت الفتح نقلا عن جريدة (أزفستيا) موسكو — بتوقيع كانديدوف تحت عنوان البابا يتولى ادارة مدرسة للجاسوسية أن (الأب بيوس الحادى عشر) أقام مدرسة خاصة تدعى روستكوم يدرب فيها العاملون من الحرس الأبيض على الجاسوسية ضد عددا من الدول المتاخمة لبلادها لحدود روسيا .

الشرقية والغربية ظهر فى المحكمة العسكرية بموسكو أن للرهبان شركة فى استخدام الارهابيين والمجرمين وان الجواسيس الكاثوليك لا يقلون عن اخوانهم الأرثوزكس ومن محاكمات الكهنة البولنديين الارثوزكس والبانست اوضحت أن مكاتب الجاسوسية فى الدول المجاورة لروسيا كانت على اتصال مع المتهمين .

معاهدة مونترو لالغاء الامتيازات الأجنبية

ولما عقد مؤتمر مونترو لالغاء الامتيازات الأجنبية تعالى صوت معاهد الهيئات الدينية التبشيرية فى مصر من كاثوليكية وبروتستانتة تنذر بالخطر وتطالب بالحماية . وكتب السيد محب الدين الخطيب يقول : لم تكن معاهد الهيئات الدينية الأجنبية فى مصر فى حاجة الى من يحميها من مصر حكومة وشعبا ولكن مصر هى التى كانت ولا تزال فى حاجة الى الحماية من هذه المعاهد فالمسيحى واليهودى فى المدارس المصرية — حكومية واهلية — لا يفرض على احد ما يخالف دينه ولا يجبر على أداء عبادة أو القيام بطقوس ليست من دينه ولا يطلب اليه دراسة كتب شريعة اخرى غير شريعته ، وعلى العكس من ذلك مدارس هذه الهيئات الدينية الأجنبية التى تتسابق الدول فى مونترو الى طلب حمايتها فانها هى التى تدرس كتبا فيها وقاحة وقلة أدب ومخالفة للحق ، والواقع فيما يتعلق بالاسلام ورسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم كما رأينا فى كتاب التاريخ المقدس الذى يدرس فى مدارس الفرير والجزويت ، فضلا من أن هذه المعاهد تجبر من هو على غير دينها من تلاميذها على أداء صلاة وتلاوة ادعية لا يعتقد بصحتها وعلى درس كتب دينية تفسد عليه دينه وتجعله فى نظر نفسه وذويه وبنى وطنه كافرا ، وعلى كثرة ما صدر عن هذه الهيئات التبشيرية من استعمال الأساليب ومنها التنويم المغناطيسى والاغراء والخطف والتهريب الى خارج أرض الوطن « مايو ١٩٣٧ » .

اليسوعيون ودورهم فى معركة التبشير

وكتب الأستاذ محمد روحى فاضل عن جهود اليسوعيين فى التبشير فقال منذ نيف وأربعمائة عام اجتمع سبعة أشخاص من أمم مختلفة فى زاوية من زوايا كنيسة مونمارتر فى باريس وبحثوا فى أمر دينى خطير ، اتفقوا على

ان يرحلوا الى فلسطين لتنصير المســـلمين وان يطيعوا البابا فى كل ما يأمر به ، وكانت الكاثوليكية قد ضعفت واخذ الأوربيون يدخلون فى البروتستانتية افواجا ، قرر هؤلاء السبعة القيام بحركة دينية بابوية تنصيرية يعيدون بها النفوذ القديم للكنيسة الكبرى ومن بينهم شخص اسمه (ايتيمياس دولويولا) اوسعهم علما الباعث الأكبر على هذا الاجتمـــاع ، يعده المؤرخون الثقاة مؤسس الفرقة اليسوعية التى لعبت على مسرح العالم أدون دور وشغلت ارفع منصب وتفردت بين الفرق الدينية بصرامة نظمها وشدة اخلاصها وبعد غاياتها وقد حض فى القرن الســـادس عشر (عصر النهضـــة) على أن يقوموا بنهضة دينية تقاوم تيار البدع والهرطقة وينشئوا الجمعيـــات التبشيرية المنظمة ويوطدوا دعائم الكنيسة الكاثوليكية وينشروا اللغـــة اللاتينية فى الصلوات والأعياد بين الأمم كافة لتبقى حية يتدارسها الناس ويقرءون بها الأناجيل وقد ولد (دولوبولا) أبو اليسوعيين ١٤٩١ وترعرع فى بلاط فرديناند الكاثوليكى الملك المتعصب الماكر الذى أخرج من الأندلس البقية الباقية من المسلمين والمعروف بكراهيته للعرب والاسلام ، وقد توجه بعد أن ترك العسكرية الى خدمة المسيحية ، وقرر انشاء فرقة اليسوعية ، التى تقوم على الطاعة العميـــاء أول ما يجب على الأفراد أن يقوموا به والرؤساء محترمون لهم هيبة القادة فى نفوس الجند ، والسلاح الذى حمله اليسوعيون فى هذه الحرب هو العلم ، فقد أسسوا الجامعات العالية وربوا أبناء الأشراف والملوك فحببوا لهم الكاثوليكية وكان لهم اثر قوى فى صفوف المانيا وفى النمسا والبلجيك وجاءوا الى لبنان ومصر (واسسوا المعـــاهد والمدارس والارساليات التى حملت لواء الحرب الشـــديدة على الاســـلام)

قاموس المنجـــد

وقد كان من أكبر اعمال اليسوعيين « قاموس المنجد » الذى تعرض له أكثر من كاتب من كتاب الفتح فى هذا الوقت الباكر فكشفوا عن سمومه وأهدافه الخفية .

ففى مجلد الفتح السادس (١٩٣٣) يكتب محمود يس فيقول :

دس اليسوعيون الدسائس فى الكتب التى يصنعونها او يؤلفونها بغية

الحط من الدين الحق الذى يريدون محاربته بنشر مبــادىء دينهم ، هــذا الكتاب (المنجد) الف ليكون معجما مدرسيا للغة العربية والعمل على اعلاء شأنها ونشر ثقافتها ، والمبرر لدس الدسائس من خلال سطوره ومعانيه ، وما هو وجه تفسير كلمة (الطلقاء) بأنهم الذين دخلوا فى الاســـلام كرها ، وهو تفسير عار من الصحة لا يقصد به غير تشويه سمعة الاسلام مما هو منه برىء .

ما وجــه تحقيقه كلمة النصرانية فى قوله : دان ودينا وديانة وندين بالنصرانية : اتخذها له دينا ، ما وجه قوله فى مادة ع. م د (وعمد الولد غسله بماء المعمودية وقوله فى هذه المــادة (والمعمودية أول أسرار الدين المسيحى وباب النصرانية) مع أن الذى ذكره علماء اللغة فى هذه المــادة هو أن لفظ المعمودية معرب ، من كلمة معموذيت بالذال المعجمة ومعنــاها الطهارة وهو ماء أصفر للنصارى يغمسون فيه ولدهم معتقدين أنه تطهــر له ، أما ان المعمودية اول أسرار الدين وأنها غسل الصبى بالماء باســـم الأب .. الخ . فهذا ما لا وجود له عند علماء اللغة ، وليس هو من موضوع الكتاب فى شىء ، وما وجه قوله فى مادة (جدف) جدف على الله تكلم عليــه بالكفر والاهانة وهو اصطلاح كهنوتى لم يذكره اهل اللغة والذى ذكروه أن التجديف هو الكفر بالنعم او استقلال عطاء الله تبارك وتعالى (من القلة) وحقيقة نسبه النعمة الى التقاصر ولم أر من ذكر أن التجديف يجمع عــلى تجاديف ، ومادة (مسح) قال المسيح لقب الرب يسوع ابن الله المتجسد . ومادة قدس : قال : قدس الكاهن عند النصــارى أم القــداس ، وقــوله (الروح القدس عند النصارى) الأقنوم الثالث من الاقانيم الالهيــة . كل هذا ليس من اللغة العربية التى الف الكتاب لبيان مفرداتها فى شىء وانما هو اصطلاحات كنائسية ولو فعل هذا لخلص من وصمة التدليس » .

ويشير الأستاذ محمد تقى الدين الهلالى الى خطر كتاب المنجد ويقول أنه مثل على دســـائس دعاة النصرانية وتحريفهم للكتب التى يطبعونها تحريف يفسد معناها . ويقول : ان المعجم المسمى بالمنجد مأخوذ من (أقرب الموارد) وفى كتاب المنجد اغلاطا وتحريفات كنت احملها على قصور المؤلف

الى الأمس فبينا أنا أراجع فى المنجد نقطة وقع نظرى على لفظ (الطلقاء) ماذا الأب الحنون على أولاده يقول : الطلقاء هم الذين دخلوا فى الاســـلام كرها . واستغربت هذا التفسير ولم أشك أنها دسيسة لطيفة من هـــذا الاب ولفظ الطلقاء : الطليق الأسير أطلق عنه اساره وخلى سبيله كما ورد فى مختار الصحاح بالحرف .

ومرة أخرى تعرض الفتح لقاموس المنجد فيقول أحد كتابها :

ان كتاب المنجد المنتشر انتشارا هائلا على ما فيـــه من الاصطلاحات الكنائسية والألفاظ الفظيعة التى لا يجب أن تقع عليها أنظـــار الأحداث ، الف فى خدمة التبشر واقحام مفاهيم كنسية على اللغة العربية ومن الكلمات التى دسها صاحب المنجد ليكون كالنموذج فقط .

مادة (انبثق) : وعند النصارى الروح القدس ينبثق من الأب والأبن أى يصدر .

مادة (صعد) : وعند النصارى خميس الصعود ، اليوم الذى صعد فيه الرب المسيح على السماء .

مادة (صلب) : الصليب العود المكرم الذى صلب عليه السيد المسيح
مادة (دلى) : تعال الله دليك اى حافظك .

مادة (سدر) : وسدرة المنتهى عندهم شجرة من نبق عن يمين العرش

وهكذا يعبر اليسوعى عن معتقدات المســـــلمين تارة بعبـــارات : (يزعمون او بزعمهم ، أو يتقولوا ، وفق اعتقادهم) وغير خاف أن هـــذه الألفاظ لا تستعمل الا فى الأمور المشكوك فى صحتها وغرض المصنف فى ذلك تشكيك المسلمين فى عقائدهم .

الاســـــتشراق

كان الاستشراق جزء من حركة التبشير وكان دهاقنة التبشــــير هم الظاهرون فى هذه المرحلة ، وقد ظل الاستشراق يعمل من وراء ستار زمنا

طويلا ليقدم تلك (السموم) التى كان يذيعها المبشرون عن طريق المدارس والجامعات والصحافة ولكن هذا لا يمنع من القول بأن جميع الذين ذهبوا الى اوربا تلقوا تعليمهم على المستشرقين وان اغلبهم ادخل معهد الدراسات الشرقية الذى خصص لطهو علماء الاستشراق ، وهؤلاء هم الذين عرفوا مخططات التبشير والاستشراق وخلفياته والوسائل التى يدخلوا بها مفاهيمه فى الفكر الاسلامى عن طريق تحقيق كتب معينة من التراث أو اثارة قضايا محددة فى اللغة والأدب وفق مفهومهم الذى يقول بأن الكاتب العربى يستطيع أن يكون موضع ثقة أهله ومن هنا فان كل القضايا التى أثارها التبشير لم تلبث أن انتقلت الى أيدى طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق واسماعيل ادهم أحمد وتوفيق الحكيم وغيرهم ، وهذا هو التبشير يلبس قفازا من حرير ويظهر من خلال كتابات لها ظاهر براق وباطن مسموم .

ولقد كان طه حسين هو أجرأ هؤلاء الكتاب على الدعوة الى كتابات المستشرقين واذاعة آرائهم والدفاع عنهم .

وقد أشارت الفتح الى مهمة الاستشراق حين قالت :

ان مهمة المستشرقين الحقيقية أن يكونوا عيون أوربا الناظرة الى عقول سكان الشرق الاسلامى ، والباحثة عن الثقافة المؤثرة فى قلوب المسلمين وان أهم اعمالهم تأليف دائرة المعارف الاسلامية ، ومدارس اللغات الشرقية لتخريج الساسة والقناصل والمستشرقين الذين يعملون فى بلاد تلك اللغات ولا تقوم أمة بعمل يتعلق بالاستشراق الا تبادر الأمم الأخرى الى مثله ، وهناك مجلات خاصة بالشرق وعلومه وأحواله والمكتبات الاستشراقية فى لندن وباريس والمتحف البريطانى ومكتبة الفاتيكان والاسكوريال ومن ابرز مظاهر خضوعها للاستشراق فلا يطلع مسلم عليها وكان أول الاستشراق ببسط سلطانهم على علوم العرب فى الأندلس والحروب الصليبية .

(٢)

وتحدث الأستاذ أحمد عبد السلام بلافريح من المغرب الذى يدرس فى باريس عن كتاب (حياة محمد) لأميل دوركايم فقال : أنه أقام مدة الحرب الوطنية بالريف كمراســـل لجريدة الافورماسيون فتعرف فى فاس ببعض شبابنا وخالطهم ودرس بعض عاداتنا ، وهو مسيحى مغرق فى مسيحيته ، معجب بمتصوفينا ، وأشار الكاتب الى أن كتابه يحتوى على أغلاط وهناك ما يخالفه فيه ، وقال : أوربا لم تعرف الا صورة للاسلام مشوهة مكذوبة عن طريق جماعة المبشرين أو المثقفين الذين ينتسبون الى الاستشراق وأن الكتب التاريخية المقيدة فى مدارسهم محشـــوة بالخرافات والأباطيل فى كل ما يرجع للاسلام ، ومن ذلك قولهم عن محمد فى المدرسة الافرنسية أنه كان محتالا وأن كتابه ملفق من التوراة والانجيل ، لذلك فان كتاب درمنجم سيكون له أثر حسن عند قرائه الفرنســـــيين فى تصحيح بعض ما يتخيلونه عن سيرة النبى أو فى مواطن كثيرة وغلط فيه كثير من المواطنين وقد لاحظت فى كتاب (حياة محمد) خطأين عظيمين :

(الأول) قوله أن محمد تأثر بمن عرفهم من المسيحيين دون أن يبرهن على شىء ومن المعلوم أن المسيحية فى عهد البعثة كانت فى حالة انحلال ، وكان المسيحيون مشتغلون بالسفاسف والمجادلات اللفظية وكان مســـيحو الجزيرة أعرق المسيحيين فى الجهل ، فهم يجهلون كل شىء عن دينهم وغير دينهم ، وكانت صلتهم بالمسيحية واهنة جدا ، ونبينا كان أميا لا يقــرأ ولا يكتب ولذلك لا محل للقول بأنه رجع الى كتبهم بصرف النظر عن هذا فان آفاق القرآن فى ملكوت آخر .

أما (الخطأ الثانى) فهو ذهاب درمانجم الى أن الاسلام لا ينافى العقيدة الأســاسية المسيحية (التثليث) وهو زعم غريب فى بيانه مع صراحة القرآن فى نفى ذلك . ان المؤلف يريد أن يفهم (روح الله وكلمته) فهما خاصا يخرج هذا القول عن مدلوله فى البيان العربى ويخالف قول الله عز وجل فى صريح القـــرآن :

(أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

والحقيقة هى ان عيسى عليه السلام فى القرآن ليس الا عبداً أو نبيا ورسولا كسائر انبياء الله مع ما هنالك من التفصيل المنصوص عليه وليس فى القرآن ما يرفعه فوق البشر . ومســـــألة الصلب التى هى واضحة فى القرآن كل الوضوح ، يريد المؤلف أن يراها مبهمة ويريد ان يشكك فيها وما كان أغناه عن ذلك ، وأى ابهام أو غموض فى قـــوله : (وما قتلوه وما صلبوه ولـــكن شبه لهم) .

ولعل الحامل للمؤلف على هذا سعيه فى التوفيق بين الناس .

(٣)

وفى بحث آخر نشرته الفتح عن أميل درمنجم وكتابه تحت عنوان :

المستشرق أميل درمنجم الفرنسى يشهد بأن الاسلام دين عالمى :

قالت : بعد أن نشر أميل درمنجم بحوثا ، درس الاسلام ، بعد أن نظر فى كل ما صادفه من عادات المراكشيين وتقاليدهم الدينية وترجم همزية عمر بن الفارض وشرحها للشيخ عبد الغنى النابلسى ، ثم نشر (حيـــــاة محمد) وهو الأصل الذى اعتمد عليه الدكتور محمد حســـين هيكل فى كتابه (حياة محمد) .

ومما قاله درمنجم :

ان المسلمين باعتبار كونهم أمة وسطا بتسمية القرآن يلوح لى انهم معدون جغرافيا وروحيا لأن يكونوا جماعة اتصال بين الغــــرب والشرق وبين شعوب شمال البحر المتوسط وأفريقيا ، فهذا الارتباط الذى لابد منه دون شك لحفظ التوازن الروحى للعالم ، وهذا الموضوع من قلب الكوكب الأرضى من جاوه والهند الى المغرب يظهر انه أضفى هذه الكتلة المؤلفة من (٣٠٠ مليون) من البشر ، أن يكونوا مركز الثقل للعــــالم القديم ، ولهذا السبب نجدها محل عناية العناصر المختلفة وقد صار ذلك اشـــد وضوحا اليوم فى أوربا التى يمزق بعضها بعضا أمام نظرها الآن .

وعلق الكاتب على ذلك فقال : ننكر عليه صرف مدلوله آية (وكذلك

جعلناكم أمة وسطا) عن مرماها الدينى الى مرمى اجتماعى وخاصة فى موطن كبير الدلالة على مهمة الاسلام وعلى ميزته على سائر الأديان ، ليس معنى الآية أمة وسطا فى بلاد تصلح لأن تكون جماعة اتصال بين الشرق والغرب. ولكن معناه أمة هى فى عقائدها وأحوالها وآدابها على الصراط السوى بعيدة عن الافراط والتفريط وهذه أمانة أدبية لم تحملها أمة غيرهم وخروجهم عن سواء السبيل فى عقائدهم وتقاليدهم ليكونوا شهودا على غيرهم فى غلوهم وتعضيدهم : تلك هى الأمة الاسلامية .

وللمؤرخ ظاهرة فى هذا الموطن تفرض على تشخيصها وهى أن أساس التقليد التاريخى المشترك بين دول أوربا والعالم الاسلامى ، هو الوحى الذى أنزل الى ابراهيم ومن جاءوا بعده ومنهم موسى وغيره ، والثقافة اليونانية التى نقلها العرب الى الغرب من رياضييهم وفلاسفتهم : افلاطون وارسطو .. وفكرة القانون والنظام الشرعى الذى كان قائما فى روما ، فليس يدهشنا والحالة هذه ان الضمير الاسلامى يستنكر حربا على مبدئه وعزيرته كل مذهب يدعو الى العنصرية والنيتشية والى الفلسفة المادية لتاريخ البشرية والى اية حكومة استبدادية ذهابا الى أن الله قدس الشخصية الانسانية والهيئة الاجتماعية معا ... الخ (م ١٥ الفتح) » .

(٤)

وتحدث الفتح عن ما كشفه الأستاذ مصطفى السباعى من افتراءات المستشرق اليهودى جولد زيهر على الامام محمد بن شهاب الزهرى (م ١٥ الفتح) حيث قال :

هؤلاء المستشرقون عكفوا على دراسة كتبنا دراسة واسعة ونزعوا لذلك وتقاسموا التخصص بينهم الى حد عجيب فاذا أراد احدهم ان يظهر للناس برأى جديد عزم عليه يلفق من هذا الكتاب رواية ومن هذا الأثر كلمة ومن هنا ومن هنا ثم يربط بعضها ببعض ويحورها كما يشتهى أو يحاول فهمها كما يشاء مع ضعفه فى اللغة وقصوره باعه منها ثم يستنتج منها المطلوب الذى يسعى جهده ويبثه بين الناس »

وهدفهم من هذا التحريف وقلب الحقائق التاريخيـــــة ، ومن هذا ما يتعلق بالامام محمد بن شهاب الزهرى ، فان الشيخ على حسن عبد القادر اثناء دراسته لتاريخ التشريع الاسلامى ، نقل عن المستشرق المعروف جولد زيهر زعم أن الصحابة كانوا يكتبون الحديث كما يكتبون القرآن وقوله أن عبد الملك بن مروان وجد الزهرى مستعدا لأن يضع له أحاديث فى فضائل بت المقدس مع ان تصنيف التاريخ يقطع بان الزهرى لم يكن يعرف عبد الملك ولا رآه بعد وأنه وفد على عبد الملك فى حدود سنة ثمانين اى كان بعد مقتل عبد الله بن الزبير ببضع سنوات وهذه قضـــية فصـــلها الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه عن السنة ومكانها فى التشريع (م ١٤ الفتح ص ٩٢٦) .

(٥)

كذلك فقد عرض الأستاذ أحمد عبد الســــلام بلا فريح لخمرية ابن الفارض التى ترجمها المستشرق أميل درمنجم الى الفرنسية وصدرها ببحث سن التصوف عموما والتصوف الاسلامى خصوصا ، وقال انه تأثر بأستاذه ماســــنيون الذى ينكر فى كثير من المواقف التأثير الفكرى ، ويخالف الكاتب درمنجم فى قوله ان التصوف المطلق هو غاية التدين فمن رأيه انه ما يزال الانسان يتهيون الى أن يصير الى التصوف المطلق الذى يرمى الى فناء الفرد فى اللانهائية ويكتفى بالتجربة الباطنية وبالمكاشفة ــ عما ظهر من العبادات وذلك عن مثله الأعلى ويقول : ونحن نرى أن التصوف بهذا الشكل ينــافى كل دين ، فالدين وان يكن مبنيا على اعتقـــاد باطنى واخلاص لله فى السر والعلانية فانه لابد فيه من أداء الفروض الظاهرة فهى دليل الخضوع والانتماء لقوانين شرعها الله أما الصوفية المطلقة فهى الثورة على كل قانون وذهب بعض المتصوفة الى القول بترك الشرائع كيلا تحول بين المرء والشرع وهو غلو يخرج صاحبه عن الطريق ، وكل ما ترمى اليه الصوفية من الانعزال والرهبانية والتوكل المجرد هو مناف لحكمة الاسلام العملية .

ولقد تعجب مسيو درمنجم من انكار علماء السلف الصالح افكار غلاة الصوفية وهو تعجب فى غير محله ، نعم ، الاسلام لا ينافى التصوف المبنى على مكارم الأخلاق والمثل الأعلى فى ذلك ما كان عليه رسول الله وأصحابه مـــن تواضع من غير خلوع وبساطة فى العيش لا تتجاوز فضيلة الاعتزال ومخافة

لعقاب الله مع رجاء فى عفوه وثوابه ، وهذا مذهب المتصوفة الأولين مثل الحسن البصرى ومالك بن دينار وانما فسد التصوف بدخول الفلسفة اليونانية والهندية عليه ، فبعد أن كان الغرض منه تطهير النفوس واعدادها لعبادة الخالق أصبح مذاهب ترمى الى فناء الفرد واتحاده مع معبوده وادعاء حلول الخالق فى الكائنات الى غير ذلك مما هو مشهور عندهم . ويبدى مسيو دورمانجم تخوفه من اضمحلال الطرق الصوفية أمام هجمات المصلحين عليها وخاصة فى أفريقيا ، ولقد أصبح كثير من المصلحين يرون أن الطرق الصوفية لازمة لمقاومة التبشير المسيحى ولدرء هجمات المبشرين وهكذا وجدت الكنيسة بين فريقين تكونت منهما جبهة واحدة أمام هجوم الصليب وأهله » .

الفصل الثانى

التغريب والغـــزو الفـكرى

يمكن ان يقال بغير مبالغة انه فى هذه الفترة تم انشـــاء هيئة للتغريب والغزو الفكرى اطلق عليها الشيخ رشيد رضا صاحب المنار جمعية الالحاد فى مصر واسـماها السـيد محب الدين الخطيب (صاحب الفتح) حركة الالحاد . وقد كان مقرها الحقيقى : كلية الآداب حيث يوجد الدكتور طـه حسين ونفوذه واتباعه وجريدة السياسة حيث يوجد أئمة الحركة : وكانت الجريدة اليومية والمجلة الاسبوعية لسان حال هذه الدعوة الخطيرة ، وقد استمر هذا العمل سنوات طويلة — حتى بعد أن خرج الدكتور محمد حسين هيكل بكتابه حياة محمد عن هذه الزمرة ، فانها قد استمرت بزعامة طه حسين وأمين الخولى وحسين فوزى وسلامة موسى واسماعيل ادهم أحمد وتوفيق الحكيم وعبد العزيز فهمى الى أوائل الحرب العالمية الثانية فى صحف المجلة الجديدة ومجلة الرابطة الشرقية .

* * *

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا مطولا كاشفا لهذه القضية تحت عنوان : (الاستعمار الفكرى فى الشرق) المجلد الرابع من الفتح (٩ يناير ١٩٣٠) وهى أول طلائع الكلام عن الغزو الفكرى وقد بدأت الفكرة فى مجلة فتى العرب الدمشقية (معروف الأرناؤط) وتلقفها السيد محب الدين الخطيب يقول :

الاستعمار الفكرى فى الشرق أعظم خطوا من الاســتعمار الأرضى فالأرض يمكن استردادها أما اذا تمكنت القومية الغربية من استعمار قلوب الرجال والنساء فذلك هو الخسران الأكبر . انها طلائع الزحف الفـكرى الذى تزحفه أوربا الى قلوب الشرقيين بوجه عام والمسلمين بوجه خاص — الاستعمار الجديد الذى ينبه العرب على الدعاية عن طريق الكتب الأدبيـة وعن طريق الروايات القصصية والمسرحية ثم عن طريق لوحة الصـــور

المتحركة ، الاهابة بنى قومنا ابناء الضاد وبنى ملتنا المسلمون أن يفتحوا عيونهم لهذا الجانب الخطر قبل أن يستفحل .

ويقول السيد محب الدين الخطيب : ان شـــبابنا يتعلمون فى جميع المدارس الحديثة لغات الغرب المختلفة فاذا اتموا دراستهم تنبهت فيهم الرغبة الى مطالعة ما يقع فى أيديهم من كتب ويومئذ يكون قلاعنا الحصينة وأعنى بها قلوب شـــبابنا مفتحة الأبواب لدخول جنود الفكر فيها وفيها جنود الحق وجنود الباطل ، هذا الاستعمار الجديد : الدعاية عن طريق الكتب .

الغاية من الزحف الفكرى ليست موجهة الى الفصل بين الشـــعوب الشرقية وبين حاضرها بل الغرض هو توسيع نطاق هذا الزحف أن يفصل بين هذه الشعوب وبين الماضى لأن أشد ما تخافه أوربا المستعمرة هو هذا الماضى الذى اخذ يستفيق فى قلب جزيرة العرب .

آن اوان اليقظة الحقيقية المبنية على العمل وعلى العمل بأســاليب الجد من المراقبة الفكرية وسد الثغرة . ان زحف الغربالفكرى على الاسلام يعد من شر ما هوجمنا به فى كياننا القومى والوطنى لأن الاســـــلام هو العاصم الأكبر لهذا الشرق من أن تتم فيه ارادة الاستعمار الغربى (م ٤ / ٤٨١) .

حركتان : التبشــــير والالحاد

اشارت الفتح الى الاهتمام الموجه الى جماعة التجديد بمؤازرة دعاة التبشير وان وليم ويلكوكس المهندس البريطانى الداعية الى العامية ، لـــه كتاب انجيل للتبشير ترجمه فى مستشفى المبشرين البروتستانت فى مصـــر القديمة واهتم به سلامة موسى .

كما اشارت الى ان جمعية التبشير الانجليزية اذاعت منشورا يحوى عددا من المثالب والقذائف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، اســـتنكرت الرابطة الشرقية هذا المنشور ، واستنكرت أمر الدفاع عن الاسلام وحرصت على التوفيق بين الغرب والشرق فى المصالح والمنافع ، (والرابطة الشرقية يشرف على صحيفتها على عبد الرازق) .

وهاجمت الفتح الرابطة الشرقية : لأنها لو فهمت سياسة الغرب لما حرصت على التوفيق بين من يريد ابتلاع الشرق وجعل سكانه خولا وعبيدا لأسـيادهم فى الغرب ، ان الغرب لم يحرص يوما على التوفيق بينه وبين الشرق فى المصالح والمنافع .

وان الغرب يهيىء اكبر حملة صليبية لتنصير العرب وتعد لها أضخم الخزائن ويرسـل معها اقدر الرجال ، فاذا ما فكر فى مقاومة تلك الحملة ارتفع صوت الرابطة تقول : دعوا المقاومة حرصا على التوفيق بين الغرب والشرق فى المصالح والمنافع .

وقال الشيخ عبد الباقى سرور نعيم (اول رئيس تحرير للفتح) فى المجلد الأول (١٩٢٧) ان الاسلام يواجه اليوم حركتين من أخطر الحركات الهدامة هما :

حركة المبشرين وحركة الملحدين .

الأولى : تتجه نحو تحويل المسلمين عن دينهم الى النصرانية والثانية ترمى الى تجريدهم من الدين ، تقوم بالحركة الأولى جمعيات منظمة تؤيدها شعوب متحمسة وتحكمها حكومات متعصبة ويباشرها رجال باعوا نفوسهم فى سبيل تأييد غايتهم والوصول الى مطلبهم ، ويقوم بالحركة الثانية رجال تعلموا فى الغرب وأحكموا طرق الدعاية وتمرنوا على أسـاليب التمويه من ورائهم قوم أولوا نفوذ يحمون ظهورهم ويدفعون عنهم ما يصيبهم ، ولا غرض من وراء هذا أو ذاك سوى ان يفسحوا المجال لدعاة الالحاد كيما يباشرون مهمتهم بكل هدوء وطمأنينة ، لا يبالون بغضب الجماهير ولا بسخط الشعب، ولا بهيجان المتدينيين .

ولقد كان لخبر حملة التبشير على بلاد العرب من الضجة والاستياء ما يكفى لتكوين الجماعات واثارة التحمس الدينى وتنظيم دعوة قوية لمقاومة تلك الحملة التى لم يأتنا تاريخ البغض المسيحى بأخطر ولا أجرأ منهـا ، انها حركة موجهة نحو بلاد العرب وهى قلب الاسلام ومهد الديانة المحمدية وفيها بيت الله والمشعر الحرام ومسجد رسوله .

ان واجب كل مسلم مستنير أن يعمل على بعث الشعور الاسلامى واثارته من مكامنه ، فان هذا الشعور هو الكفيل بحماية الدين ومقاومة خصومه ورد عادية المهاجمين عليه .

وأشار الكتاب الى الفرق بين حرية الراى والطعن فى الدين فقال :

هل دعاة الالحاد من أنصار حرية الراى حينما يطعنون فى الاديان ولا يكونون من انصار هذا المبدأ فى السياسة أو الصناعة فيضغطون على أصحاب الاستقلال فى الراى ثم يعمدون الى عقائد الناس التى يقدسونها فيؤذونهم فيها ويستعينون بالشيطان على استنباط أساليب الطعن فيها عملا بحرية الرأي .

وأشارت الفتح الى نشرات تبشيرية مرسلة من مدن لندن الى بلاد العرب تقول ان المسلمين يصلون صلاة كاذبة ويتوجهون الى مكة باغراء الشيطان وان القرآن كتاب مزيف اخترعه الشيطان وان مكة ولد فيها النبى الكاذب ، ويصدر هذا من رجل هو مستر شيلد رئيس الجمعية العالمية الصليبية للتنصير بمدينة لندن .

وقالت الفتح : هذه النشرة صادرة من سفهاء ومثل هؤلاء لا نخشى عداءهم ولا نعبأ بمساعيهم ولو كان هؤلاء صادقين فى الدعوة الى المسيح لكان أولى لهم أن يدعوا الى دينه ملاحدة بلادهم لأن الملحد سيىء الاعتقاد بالمسيح ومكذب له فى كل ما دعا اليه من الايمان بالله واليوم الآخر ، أما المسلم فانه اذا ذكر ابن مريم عليه السلام قال سيدنا عيسى وسيدتنا مريم

ونشرت الفتح (٢٩ الحجة ١٣٥٠) تحت عنوان :

جمعية للالحاد فى مصر تعلن الحرب على الاسلام وسائر الأديان واعتمدت فى ذلك على نصوص أربعة لطه حسين ولهيكل ولسلامة موسى ومصطفى عبد الرازق .

١ — قال طه حسين : ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية وما وصل اليه العلم من النظريات والقوانين فالدين حين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء يثبت أمرين لم يعترف بهما العلم فالعالم الحديث ينظر الى

الدين كما ينظر الى اللغة وكما ينظر الى اللباس من حيث أن هـذه الأشياء ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة واذن نصل الى أن الدين فى نظر العلم لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها وقال : أرجو أن يكون بيننا عبد كما أرجو أن يبلغه الحاضرون اخوانهم الا نؤمن الا بالعلم .

٢ ـ قال مصطفى عبد الرازق : ان علم الدين لم يقم الى يومنا هذا على خطة ثابتة ولا وضع له تعريف جامع ولا يزال الباحثون يحاولون أن يضعوا للأديان شجرة انساب كتلك التى وضعوها للغات دون أن يوفقوا .

٣ ـ قال الدكتور محمد حسين هيكل : كنا نود ان يوقفنا مؤلف كتاب (آداب اللغة العربية) على الأصول التى استمد منها هذا الكتاب (القرآن) وجوده ، بل كنا نود أن يسرد شيئا عن (النبى) وحياته من جهتها الدينية والمصادر التى استمد منها وكيف وصل ليكون أسلوبه كما كان .

٤ ـ قال سلامة موسى : من القيود التى تغل الحرية الفكرية منع تمثيل أى درامة على المسرح ما لم تقرها المكرمات فاذا كان فيها أشياء تخالف ما يحب من اديان أو انظمة منعت الدرامة من التمثيل ، ان الأديب يجب أن يكون حرا واذا خالف الأخلاق فليكن له ذلك .

رجل مسلم يقول : ان الدين لم يقم الى يومنا هذا على خطة ثابتة وان الباحثين استطاعوا أن يعرفوا اللغات أصلا ولم يحددوا أصلا للدين يطمئن اليه . وان الدين فى نظر العلم ظاهرة كسائر الظواهر الاجتماعية ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى .

ومسلم آخر يقول : ان القرآن من وضع بشرى وان بيئات معينة تأثر بها رسول الله فعلمته البلاغة حتى وصل الى ما وصل اليه ، ثم زعم أنه من وضع سماوى ليؤثر على المؤمنين .

وآخر هو صوت الاباحية والتمرد على الأديان والأخلاق .

هذا قليل من كثير مما ينشر ويذاع فى الصحف والمجلات وعلى منابر بعض الجمعيات لتهديم صرح الايمان وتمتلىء نفوس شباب الاسلام بغضا للدين وتعاليم الدين .

ان حلبة السياسية الحزبية أعمت الكثيرين فمكن ذلك غربان الالحاد من اعلان سمومهم ، ان دعاة التبشير ما نالوا شيئا لأنهم جربوا فعلموا أنه من الصعب أن يخرج مسلم من دينه وعقيدته ، ينشرون آراءهم باسم المدنية وباسم التجديد والحرية وما هى الا السم يسرى فى نفوس الآلاف من شباب الاسلام ، وهم على اتفاق على هدم الاسلام وازالته من النفوس .

ان للقوم صحف والسنة مرنت على الضــلال والمهاترة وسوف ترتفع متحدثة عن الدجل من تجار الدين ، ان لدى من المعلومات عن مقدار الصلة الفكرية الدائمة بين الجمعيات اللادينية فى روسيا وأمريكا وبين فئة الالحاد فى مصر ما يجعلنى لا أتردد فى اذاعتها من قريب . (محمد محمود بدير) .

(٣)

ولم يتوقف الأستاذ محمــد محمود بدير عند هذا بل انه عقد اجتماعا بحديقة يلدز مع نخبــة من رجال الصحافة والعــلم الذين يهتمون بشئون الاسلام وقال للمجتمعين : ان مصر بلد اسلامى والشعب المصرى من أشد الشعوب الاسلامية وفاء للاســلام ، رجال الأقلام والصحافة ، ما منكم الا من يمثل مصر بوفائها لعقيدة الاسلام وآدابه . ولكن هناك فئة هى فيكم أقلية ، لا أقول انها ملحدة ، ولا أقول انها تتعمد الشهرة ، ولكنها ولا ريب مستهترة بآداب الاسلام سالكة سبيل من لا يبالى به ، وهى مع ذلك نشيطة عاملة حتى يخيل الى من لا يعرف مصر ان ما تكتبه هذه الأقلية بعيد عن الروح الحقيقى فى مصر ، ان شبابنا أمانة فى يد فئتين : المدرسين على اختــلاف مظاهرهم والصحفيين ، فهاتان الفئتــان هما اللتان تكونان الرأى العــام وان مصر المسلمة يلائمها أن تســير فى طريق فكرى يتمشى مع اسلامها ، لعلكم ملبون طلبى وجاعلون الروح الاسلامية غرضكم الأول من الصحافة وعلى مقاعد التدريس معترفين معى أن مصر مسلمة ومسلمة قبل كل شىء .

وقال الدكتور منصور فهمى :

مسلمون قبل كل شىء .

عرب قبــل كل شىء .

مصريون قبــل كل شىء .

ان خدمة الاسلام والانتصار له لا يكون بالكلام بل بكون بالقــدوة فعلى سادتى علماء الأزهر ان يكونوا قدوة للناس بسيرتهم وحينئذ يحسنون الى الاسلام ، ما لا يحسنون اليه بالكلام .

يقول محرر الفتح : وبعد ان كانت شكوى من اقلية تعمل على هدم حرمة الاســلام فى النفوس ، ومسألة تفكير فى التعاون على اظهــار مصر بالمظهر الاسلامى اللائق بها فى صحفها وثقافتها تحولت أنظار الحاضرين بدعاية الدكتور منصــور فهمى الى شــكوى من ان علماء الأزهر لا يعنون فى ان يكونوا قدوة للناس والى ارشادهم بان يتركوا تلك الأقلية تعمــل عملها وحينئــذ ترجع هى بنفسها الى الصراط المستقيم كما رجــع الدكتور منصور بتأثير ذلك الحلم من الشيخ حسونة .

وقال الشيخ على محفوظ (من علماء الأزهر) ان المسئولية موزعة بيننا جميعــا ، لأن أبناء الأمة أمانة تحت ايدينا ، عن الأزهر فى الازهر ، وتحت أيدى الدكتور منصور وزملائه مدرسى الجامعة فى الجامعــة وعقول الأمة ورأيها العام كله امانة تحت أسنة أقلام الصحفيين والمؤلفين فى كل ما يكتبونه ليبسر على الناس ويؤثر فى عقولهم وقلوبهم . ان الاسلام ليس فيه رئاسة دينية وكل ابنائه عند الله سواء ، لا فرق بين أحدهم والآخر الا بالعمل الصالح فتطهير نفوس أبنائنا من أردان العــداء للاسلام ليس من وظيفــة الأزهر ، أنتم يا دكتور اصحاب التأثير اليوم فى عقول النــاس ، اما نحن فعندنا بضاعة ولكن ليس لها مشترون وبنسبة اقبال الناس على ما عندكم وبنسبة استعداد الناس للتأثر باقوالكم ، على نسبة ذلك ستكون مسئوليتكم غدا بين يدى الهكم ، اطلبوا الخير ، ولكن ما هو مقياس الخير ، وهل ترضى أن تقيس الخير بمقياسى أنا ، ان الله قد رحمنا فدلنا على الخير ولا خــير الا فيما اختاره الله وبين لنا قواعده ومقاييسه ، هــذه القواعد والمقاييس هى الاسلام ، الذى دعينا للتعاون على أن نكون اعوانا له وأن نكف عنه شر أقلية تسىء اليه والى نفسها من حيث تشعر أو لا تشعر .

وقال لطفى جمعة : ان أوربا لا تزال متمسكة بدينها بل متعصبة له وتتظاهر بأنها على غير ذلك وتخوفنا نحن بكلمة التعصب ،

(٤)

ويتحدث الأستاذ عبد الباقى سرور نعيم (وهو من أرصن كتاب الفتح) عن هــذه الظاهرة فيقول : ان جماعة الالحاد ودعاته اذا استطاعوا أن يجدوا فى البوذية أو فى اليهودية أو فى المسيحية مطاعن ومغامز ، وأن يأخذوا على كتب تلك الديانات خوضها فى مباحث يخالفها العلم اليوم وذكرها أشياء متناقضة ما اكتشف وما أظهرته التجارب فـلا يستطيعون مهما أجهـدوا أنفسهم ومهما بلغوا بالمكن وغـير الممكن أن يجدوا فى القرآن مغمزا لغامز أو مطعنا لطاعن فانه لم يتعرض للمباحث التى يخوض فيها علماء طبقـات الأرض وعلماء الهيئة وعلماء الطبيعة وعلماء الكيمياء .

وما ذكره خاصا بالسماء والأرض ، والكواكب والسـحاب والرعد والبرق والجبل والبحار والأنهار لم يكن يقصد بذكره الخوض فى ماهيتـه أو فى كيفيته أو فى أوضاعه أو فى كميته ، أو عد ذلك مما تتعرض له العلوم وتبحث فيه وانما أتى على ذكر ذلك من ناحية خاصة هى ارشاد العقول الى ما فيه تلك الأشياء من الدلالة عن جهة اتقان صنعها أو ايجادها من العدم أو موافقتها لحال البشر » .

وكان هــذا ردا على دعاوى الملاحدة واتهـام القرآن وانتقاصه . ومما يتصل بهذه الجماعة نرى حديثا فى الفتح عما أطلق عليه :

« نادى الفـكر الحر فى القـاهرة »

يقول : كل أعضائه من الكافرين بالله والأنبياء والأديان ، وكان منهم المنتسبون الى النصرانية واليهودية ، والاسـلام ، واذا أرادوا أن يسبوا النصرانية ندبوا خطيبا أبواه نصرانيان فيلقى محاضرة فى ذم النصرانية ، وكذلك الاسـلام ، وعلم جمهرة الشـبان الكاثوليك فى القاهرة أن أحـد الخواجات ألقى أو سيلقى محاضرة فى التشنيع على الكاثوليك فاجتمعوا وذهبوا الى نادى الفكر الحر فغسلوا بأيديهم هذه الاهانة التى لحقت بدينهم ثم ذهبوا الى القسـم واعترفوا للبوليس بما فعلوه . وذلك راجـع الى المدارس التى ربتهم تربية دينية وكانت لهم بيتا وكان رجالها لهم أهلا » .

لابد من تربية اسلامية تقترن مع التعليم الدينى .

العمل بالتربية الاسلامية يحتاج الى اعــداد رجال يتولون القيــام على ذلك ويحتاج الى مناهج تهذيبية ترسم لهم بدقة .

يجب وضع حد لحركة الالحاد

ولما تعددت الأحداث التى تقوم بها كلية الاداب كتب الأمير عمر طوسون خطابا الى وزير المعارف جاء فيه :

كتب الينا رهط كبير يطلبون الينا أن نرفع صوتنا لايقاف تيار الالحاد فى الدين والخروج عن حدوده ، بمناسبة المناظرة التى وقعت فى كلية الحقوق بين الأستاذين محمود عزمى ورشيد رضا فى مسألة مساواة المرأة بالرجل وما كتبه أحمد الصاوى فى الأهرام ١٩٣٠/١/٩ يلفت النظر الى أن ترك الحبل على الغارب للمتناظرين واعطاء الحرية المطلقة للمحاضرين ، دون أن يراعى الشعور الدينى وما يجب من الحرمة للمعتقدات مما يلقى فى روع الأمة سوء الاعتقاد فى الحكومة وانها ترضى بالخروج عن الدين والاستهتار بنصوصه ، كيف يسوغ الجدل فى نصوص الاســــلام القطعية كمسألة نقص حظ المرأة فى الميراث عن الرجل فى معهد يتبع حكومة مصر الاسلامية ، على أن المرأة المسلمة لا ترى حظهـــا فى الميراث قليلا بالنسبة لحظ الرجل الذى جعلت الشريعة الاسلامية عليه مغارم كثيرة بجانب هذا الحظ أعطيت النساء منها ولم نسمع لا فى القديم ولا فى الحديث من النساء المسلمات شكوى فى ذلك (م ٤ ص ٥٥٠) .

دعويان تسلطتا على مصر والعراق

واشار الفتح الى المخاطر التى نتجت عن التغريب والغزو الثقــافى على امتداد البلاد العربية فى مصر والعراق فأشار الى خط طه حسين فى مصر وساطع الحصرى فى العراق فقال : الأولى : دعاية طه حسين عن وجوب الانصراف عن الشرق الى الغرب وقطع الأواصر الجنسية بالشعوب العربية للأخذ بمدنية الغرب كاملة غير منقوصة على أنها كل لا يتجزأ .

الدعاية الثانية التى انتشرت فى العراق فهى عوبيـــة عنيفة ولكنها

موبوءة بالجراثيم اللادينية التى كانت منتشرة فى تركيا وتويت فيها واستفحل خطرها أيام الاتحاد والترقى ثم تحولت فى القرن الأخير الى ما صار اليه الكماليون وحامل لواء هـذه الدعاية الثانية هو الأستاذ ساطع الحصرى « دنلوب » القطر العراقى الشقيق ومؤسس معارفه فى العشرين سنة الأخيرة .

وقد تحولت ثقافة العراق تحت تأثيره من روحها القـوى الخالد وهو الاسلام ونحن نستطيع أن نتصور تجرد أى ثقافة عربية ما من روح الاسلام لأن العروبة والاسلام شىء واحد وماضيهما ماض مشترك ومتلازم وأية قوى تبقى للعروبة اذا تحررت من الاسلام فكما أن الدعاية التى تبث فى مصر وكان الدكتور طه حسـين يحمـل لواءها سارت فى طريق التباعد عن العروبة والاسـلام والشغف بانتحال مدنية أوربا بجمالها وقذراتهـا فان الدعاية التى تبث فى معارف العراق وكان ساطع الحصرى يحمل لواءها سارت فى طريق العصبية العنيفة للعروبة مشوبة بجراثيم الالحاد التى سرت عدواها من تركيا الى مصر (م ١٤ الفتح ١٩٤١) .

تركيا الكمالية هى المثـل الأعلى

وقد دارت هذه الحركة التغريبية التى صورتها الفتح فى اطار المؤامرة التى قام بهـا كمال أتاتورك فى تركيا بالغـاء الخلافة الاسلامية والحروف العربية والشريعة الاسلامية وهى التى رفعت رءوس دعاة الالحاد والتغريب واتخذوا منها منطلقا ومثلا .

وقد نقلت الفتح عن مجلة فتى العرب فى دمشق مقالا تحت عنوان :

بوادر خطيرة : هل تقتفى مصر اثر تركيا ؟

جاء فيـه :

استعملت السياسة الغربيـة الغاشمة السيف والمدفع فى سـبيل توطيـد أركان استعمارها فى الشرق فلم يجدها السيف والمدفع نفعـا ، وجربت النفى والتعسف والارهاق فلم يعـد كل ذلك عليهـا بفائدة وعمدت الى التقسيم الاقليمى سياسيا فباءت باندحار فاضـح وكان أن عملت على فصم عرى الائتـلاف بين العالم الاسلامى والترك وذلك باحـلال الأحرف

اللاتينية الغربية مكان الأحرف العربية عمـلا على انسحاب تركيا النهـائى من عصبة الاتحاد الاسلامى العام ، ثم رأى القوم أن مصر تبوأت فى الآونة الأخيرة منصب الزعامة العربيـة نباتت قبلة الأنظـار فى العـالم العربى بما يقوم به كبار مفكريها فراحوا يغتلون لهـا فى الخفاء شـباك التفريق والتخاذل .

الذين يسـافرون الى أوربا يعودون مشبعون بروح الكراهـة لأدب العرب ومدنية الاسـلام ، وتبين أن الجامعـة المصرية تبث الآراء الشاذة التى يريدها الاستعمار الأوربى . وانما اتخذت آلة هدامة للكيان العربى عن طريق الأدب والعلوم .

والسؤال هو : هـل تتبع مصر تركيا أم تصطبغ بالادب الفرعونى كما اصطبغت تلك بالنزعة الطوانيـة ، لقـد واصلت مجـلة (السياسة الأسبوعية) نشر كلمات حية من اللغة المصرية ، بقصد اذابة مصر فى بوتقة المدنية الغربية والفرعونية .

لقد تعالت صيحتهم : ان مصر فرعونيـة بحتـة ، والآداب العربية واللغة العربية دخيلة ، السياسة الهيكليتية (نسبة الى هيكل)اتخذت ثكنة حربية ترابط بها مجاهدوا القومية الفرعونية .

ليس بامكان العروبة والعربية التخلى بتلك السهولة التى يتصورها هيكل وسلامة موسى وأذنابهم .

تركيا المثـل الأعلى

وكتب الأمير شكيب أرسلان يقول : ان الميسر والخمر ولحم الخنزير ثلاثة من أركان الترقى عند أنقرة ، طالما ذكرت الصحف التركية أن المقامرة والمعاقرة هما من ضرورات المدنية الحديثة ، وانه لا مندوحة للأمة التركية اذا شاءت أن تعلو فى درجات الرقى العصرى من أن تسوق أبناءها الى الملعب والشرب وتهزأ بالأوهام والخرافات القديمـة التى معناها أن لعب القمار وشرب العقار هما من الرزائل ، وأعـد قصر يلدز الفسيح بجميع مغانيـه ومرابعه لجعله مقامرا شهيرا تضارع به مونت كارلو ، وان بعض المطاعم

فى أنقرة لا تطبخ من اللحوم الا لحم الخنزير ولا تستعمل لسائر الأطعمة سوى دهن الخنزير ، ويذهب عشاق الرقى العصرى عمدا الى هناك ليأكلوا لحم الخنزير لا تلذذا به بل ليبرهنوا للغازى (اتاتورك) أن عقولهم قد انطلقت من عقال التقليد ، فأكل لحم الخنزير فى أنقرة صار رمزا للترقى وحتى على الخلاص من الهمجية » .

وكشفت الفتح من عناصر التحرر والتغريب التى خطت اليها تركيا بعد خروجها من اهابها الاسلامى بعد التحول الكمالى (م ١٢ الفتح ص ٧٧٥ — ١٩٣٩) تحت عنوان تركيا وموقفها من الاسلام :

أولا : كشفت عن الصلبان والصور الدينية المسيحية فى جدران ومبانى أعظم مسجد فى استانبول وهو مسجد اياصوفيا بحيث صارت هذه الصلبان قائمة وظاهرة فى هذا الوقت لكل من يدخل جامع أياصوفيا الذى عطلت فيه الشعائر الاسلامية واتخذ متحفا للآثار النصرانية وغيرها .

ثانيا : ابطال العمل فى محاكمها الشرعية وألغت مجلة الأحكام العدلية المأخوذة من فقه الامام الأعظم ابو حنيفة النعمان وأحلت محلها القانون السويسرى حتى فيما يتعلق بالزواج والطلاق والميراث وما الى ذلك من الأحوال الشخصية الداخلة فى صميم أحكام الدين الاسلامى .

ثالثا : أباحت زواج المسلمة بالدرزى والنصرانى وجعلت نصيب الأنثى كنصيب الذكر .

رابعا : الانحراف عن الشرق والاتجاه نحو الغرب .

خامسا : معاقبة المؤذن اذا أذن للصلاة بالألفاظ التى كان يؤذن بها مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى يفهمها كل تركى على وجه الأرض .

سادسا : منع مطابع استانبول من طبع المصحف واعتبار طبعه جريمة .

سابعا : لا يحق الأبناء العرب الذين يعيشون فى اطنة ومرسية ومرعش وعين بات وغيرها أن يقرأوا كتاب الله بلغتهم العربية .

الفصل الثالث

قضايا الغزو الفكرى

تناولت حركة التغريب والغزو الفكرى قضايا متعددة من أبرزها قضية الفرعونية التى ركزت عليها القوى الشعوبية وحمل لواءها عدد كبير من الكتاب .

وقد حملت الفتح لواء التصدى للكتابات المسمومة التى توالت على صفحات جريدة السياسة ومن كتاب التغريب . ففى المجلد الخامس (رجب ١٣٤٩) ١٩٣١ قالت : ان محاولة اقناع مصر بأنها غير عربية ليست الا دسيسة دستها يد من مصلحتها أن تتمزق الشعوب العربية وأن تتقاطع وأن لا تتعاون بعضها مع بعض ، انها دعوة الى أن يكون لوادى النيل قومية منفصلة عن كيان القومية العربية ، لقد حمل لواء هذه الفكرة بعض الأقباط والملاحدة بما سموه الفكرة الفرعونية ، وقد تبين ان ثلاثة أرباع الكلمات التى ينطق بها قدماء المصريين توجد فى لغتنا العربية الحديثة ما يقابلها لفظا ومعنى فيكون اعتقاد جازم بأن العرب والمصريين من أصل واحد .

وقد أقيمت مناظرة فى الجامعة المصرية : هل من مصلحة مصر أن تأخذ بالحضارة الغربية أو أن تحيى الحضارة الفرعونية (بين رشيد رضا ولطفى جمعة) .

وفى بحث آخر تحت عنوان (الفكرة الفرعونية فى مصر فكرة عقيمة) قالت : من مصلحة مصر أن تهمل عبادة الحجارة الميتة وتستعطف القلوب الحية (محمد على علوبة) أن تركيا ببعدها عن الاسلام تخلت عن مركز القيادة فى الشرق وان الشرق العربى ينشد ذلك فى مصر وان مصر مقصرة فى تحقيق فكرة الرابطة بين الأقطار العربية .

وأشارت الفتح الى أن محمد على علوبة زار فلسطين بمناسبة مسألة البراق وبدأت الدعوة الى الوطن العربى الكبير ، ان السياسة التى

قد فرقت بين أوطاننا فانها بالرغم من ذلك وطن واحد تجمعه خريطة واحدة وهى لغة القرآن من حدود فارس الى أقصى بلاد المغرب ومن سيف البحر فى حضرموت الى البلاد التى تندفع فيها نيران الثورة الآن فى تركيا .

وقال : علينا أن نسعى سعيا حثيثا لانتزاع الفكرة الفرعونية من مصر لأنهـا فكرة عقيمة لا يمكن تحقيقها ، ومن المصلحة الأدبية والمـادية لمصر أن تهجر عبادة الحجارة الميتة وتستنطق القلوب الحية فى الشرق العربى وعقب مواجهة أخطار اختلاف اللهجات ومحاولة المستعمرين افساد اللغـة وتقطيع أوصالها أو الاستعاضة عنهـا بلغات دخيلة كما هو الحال فى بلاد الجزائر حيث تشجع هنالك اللغة البربرية .

وقد علق السيد محب الدين الخطيب فقال : ما دام الشرق العربى من القرآن أمام خالد فان هـذا مستحيل ، حاول الكثيرون من ملاحدة مصر أن يتخلصوا من سلطان لغة القرآن فأخذوا يبنكرون الفاظ وتراكيب يزعمون أنهم يمصرون بهـا اللغة وقد مات ذلك قبل أن يصل الى الأقطار الأخرى وستبقى العربيـة ، ملك الاتحاديين الناطقين بالضاد الى أبد الآبدين .

من أخبار الفراعنة

ونشرت الفتح (م ١٤) بحثا عن فساد تاريخ الفراعنة .

قال الدكتور سليم حسن ان رعمسيس الثانى كان يأخذ آثار الملوك الذين سبقوه ويكتب عنها اسمه ثم أتى ابنه منفتاح ومحا اسم والده ونقش اسمه بدلا منه ، وانتهز الملك نسخيو فرصة نقله موميات فراعنـة الدولة الحديثة من مراقدها الأصلية فى طيبة الى مخبأ سرى بمعبد الملكة حتشبسوت المعروف بالدير البحرى غرب الأقصر فجرد هو هذه المومیات من ذخائرها الذهبية ووضعها فى مقبرته الخاصة لتنسب اليه وكانوا يزيلون آثار وحلى السابقين أسماء أصحابها ويكتبون عليهـا أسماءهم وكانوا يزيلون أسماء مدائن الأولين ويطلقون عليها أسماء جديدة منتحلة .

ولم تتوقف الفتح عن الكشف عن فساد دعوة الفرعونية (م ١٥) (١٩٤٢) .

فأشارت الى احد الكتاب الذين كانوا يجاهرون بالدعوة الفرعونية ، ثم تحول عنها .

قالت : كان ينطق تقليدا بمثل ما ينطق به غيره من أكذوبة الأمجاد الفرعونية وبعث الاله — فى كتابه (كاهن آمون) ثم اتجه الى الفهم الاسلامى فأصدر (قناع الفرعونية) — حاول فى كاهن آمون أن يوفق بين نقيضين لا يتفقان ، وهما الاسلام والفرعونية ، وانتصرت اسلامية الفطرة على الأخطاء المكتسبة ، فرعون ليس الا رمزا لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة فالفرعونية هى نوع من النظم التى ينهض عليها الحكم الاستبدادى الجائر ، وهذا النظام يقترن بما يليق به من الأوضاع الاجتماعية والصور العقلية التى تبرر الظلم وتستطيب الخنوع وتساعد على الترفع عن الطبقية المحدودة الحاكمة التى تستند الى ما تحدثه من أسانيد الحقوق المقدسة .

ويتساءل : هل يجد المصرى المسوق للحياة الصحيحة أن يجد فى شعار الفرعونية من قوة الدفع الى الحرية والمساواة ما يجده المسلم فى كلمة الاسلام ومن تاريخ هذه الفكرة ، عقد المؤلف فصلا لمصادر التاريخ الفرعونى وفصلا لدور الانتقال من الفرعونية الى النصرانية فى مصر وفصلا لخرافة التوحيد المزعوم عند الفراعنة .

تحرير المراة

وشغلت قصة تحرير المراة جانبا كبيرا من اهتمام مجلة الفتح وذلك حين عقدت كلية الآداب مناظرة حول المراة احد طرفاها توفيق دياب الذى نادى بالسفور والحرية المطلقة للمراة وكان فى الطرف الآخر الشيخ رشيد رضا الذى تحدث عن حقوق المراة فى الاسلام .

وأشار الفتح (م ١٠ ، ١٩٣٥) الى ضرورة مقاومة تيار « هدى شعراوى وسيزا نبراوى » وقولهم بخطأ الشريعة فى الزوجات الأربع والسخرية بقطع يد السارق ورجم الزانى ، وأشارت الفتح الى أن الاتحاد النسائى صاحب الولاء الغربى والمشبوه ، وقد قابلت احداهن رئيس الوزراء « توفيق نسيم » وطلبت سن تشريع ينسخ حكم الله فى تعدد الزوجات تنفيذا لما قرره مؤتمر سنوى عقد على ضفاف البسفور فى خلال حكم أتاتورك باقتراح من مندوبات الهند (م ١٠ — ١٩٣٥) .

وكتب محمد محمود شاكر فقال : ان البلاء الذى أصاب بلادنا فى ملابس حشمتها انما أصابها بواسطة رجال سموا أنفسهم السفوريين فجعلوا يخادعون المرأة المصرية ويستفزونها لهتك الحجاب حتى ثارت على ملابس الحشمة وبرزت للجماهير فى أطيب الروائح العطرية وفى الشفاف الهفهاف من الملابس حاسرة الوجه مزججة الحواجب عارية الصدر مكشوفة الساعد .

وعندما تقدم الشيخ محمود أبو العينين رحمه الله بمقترحات اسلامية لتنظيم الشواطىء والحيلولة دون الفساد الذى استشرى فى المصايف .

كتب الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول : انه لا يقر الشيخ أبو العينين على مقترحاته بخصوص الآداب على الشواطىء ولا يذهب مذهبه .
وقالت مجلة النذير (الاخوان المسلمون) فيما نقلته عنها (الفتح) :

لقد عودنا الشيخ مصطفى عبد الرازق أمثال هذه الأحاديث والمواقف التى تبعد عن الاسلام أحيانا فما عدنا ندهش مما يقول أو يفعل . ولقد عرف الناس جميعا عصريته التى قد تخالف الحياة الاسلامية الصحيحة وخروجه وتسامحه فيها ، ولكن ادهشنا أننا ما كنا نتصور أن يذهب الشيخ مصطفى عبد الرازق الى هذا الجواب الملتوى ، كنا نتصور أنه موافق على اختلاط الجنسين فى الجامعة وكنا نتصور مثلا انه داعية من دعاة حرية الفكر كما يفهم هذه الحرية ولكنا ما كنا نتصور مطلقا أن الشيخ مصطفى لا يقر الشيخ أبا العيون على اقتراح من مقترحات ترمى الى القضاء على الزنا العلنى الذى يرتكب فى الشواطىء أمام بصر الحكومة وسمعها ، وما كنا نظن مطلقا أن الشيخ مصطفى عبد الرازق خريج الأزهر الأغر يسكت عن ابداء رأيه فى مقترحات الشيخ أبو العيون بما يفهم عدم رضاه عنها .

اليونسكو وتآلف الثقافات

ولم يفت السيد محب الدين الخطيب خطورة اليونسكو ومحاولاته فكتب فى المجلد ١٨ (١٩٤٥) يقول : الذى أفهمه أنا ان اليونسكو للثقافات الغربية كالاسبرنتو للغات الأوربية ، فكما أن الاسبرنتو على ما فيه من تصنع لا يمكن أن يخرج عن دائرة اللغات الأوربية التى تكتب بالحروف

اللاتينية . كذلك اليونسكو لا يصلح الا لثقافات الغرب ، العلم عالمى ما فى ذلك شك (الطب والهندسة والكيمياء) وأمثال ذلك من العلوم لا تتفاوت الأمم فى تعلمها وتعليمها . أما الثقافة فستبقى للصين والهند ثقافتهما التى لا تنسجم مع ثقافة أمريكا وسيبقى للعرب والترك والفرس ثقافتها التى لا تنسجم مع ثقافة أوربا .

ذلك لأن ثقافات الأمم قوام كيانها ومادة تاريخها وكل ذلك غذاء دائم لنوعى القومى وقد تفاوتت ثقافات الألمان والانجليز ، وثقافتا الايطاليين والفرنسيين ، أما ثقافة العرب فستبقى ثقافة عربية ومهما استفادت من حيوية الثقافات الأخرى ومختلف نشاطها فمن الواجب أن تظل مستقلة بنفسها ، وأن لا يكون لغيرها سلطان عليها ، اذا كان الدافع لليونسكو الحد من سلطان الاثرة والجشع فى بعض القوميات فان ثقافة العرب انسانية فى أساسها وأهدافها ، ونحن نترقب اليوم الذى تخلص فيه ثقافتنا من القيود التى كبلها بها الاستعمار فى مناهج التعليم ولا مصلحة لنا فى أن نمد أيدينا وأرجلنا لقيود حديدية تجر ثقافتنا داخل المدارس وخارجها الى فخ آخر باسم اليونسكو بعد الفخ الذى فرضه علينا دنلوب فى مصر وأمثاله فى العراق والشام .

علامات كثيرة فى أفق التغريب

ولم يتوقف السيد محب الدين الخطيب عن رصد كل العلامات التى تكشف عن مخطط التغريب ومن ذلك ما سجله فى (المجلد ٢ — ١٩٢٨) .

قال رئيس وزراء مصر لمحرر ديلى ميل فى لندن :

لم تعد مصر جزءا من بلاد المشرق فكل ما فيها يصطبغ بصبغة الغرب وقد أخذ أهلها يشعرون بقيمة الآداب الانجليزية ووجوب التعلم وقبول مصر يتمثل فى قول الخديو : ان بلادى لم تعد جزءا من افريقيا بل صارت قطعة من أوربا ، لقد مضى أكثر من مائة عام وهو يعمل على جعل أنظمتها طبقا للأنظمة الحديثة ونحن ننهج منهج الغرب دون أن نفقد تقاليدنا القديمة وخير مثال حالة النساء الحاضرة فان عددا كبيرا من بناتنا يتمم دروسه الآن فى انجلترا ونجد المرأة المصرية تتمتع بكل ما تتمتع به المرأة الأوربية ويتلقى النشء الحديث عندنا علومه طبقا للقواعد الانجليزية .

كذلك فقد أشار الى ظهور مجلة فى القاهرة (مجلة التطور) تحرص على الغاء الأزهر وتزعم ان الله هو الطبيعة وان الانسان هو الذى اخترع الألوهية ، كما الف أحد الدعاة الاباحيين كتابا فى غضون ١٩٣٦ دعا فيه الى الاباحـــة المطلقة ، والتجرد من الأديان والتخلص من الفضيلة والطهر فى سبيل انتصار الشهوات الجسدية .

كتاب فجر الاسلام وتحريف الحقائق

نالت الكتب التى أصدرها المجددون اهتماما كبيرا من الفتح فقد عرضت لكتب طه حسين : الشـــعر الجاهلى ومستقبل الثقـــافة ، وكتاب على عبد الرازق : الاسلام واصول الحكم وعرض الاســـتاذ مصطفى السباعى لكتاب فجر الاسلام لأحمد أمين وكشف أخطائه (م ١٥ الفتح) .

يرى القارىء فى بحوثه (أولا) تأثره الى درجة كبيرة ببحوث المستشرقين وكتاباتهم فى علم الحديث . (ثانيا) تأثره بآراء رءوس المعتزلة وطوائف الشيعة من صحابة رسول الله . (ثالثا) استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أســـاس علمى ولا مستند تاريخى صحيح . (رابعا) لم يلتزم الأمانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والآثار . (خامسا) لم يعتمـــد فى تاريخ الحديث على كتب الحديث بل على كتب الأصول وقد كان يستطيع الرجوع الى معرفة هذه النصوص الى مراجعها الحقيقية لولا أنه يسعى الى غرض معين فهو يتصيد الادلة من هنا ومن هناك من غير تحقيق ولا تدقيق .

٢ ــ للأستاذ احمد أمين أسلوب خاص فى بث آرائه التى يخالف فيها الجمهور متبعا فيها بعض ذوى الأهواء من المسلمين أو من ذوى الأغراض من المستشرقين ومن خصائص هـــذا الأسلوب انه يأتى بالفكرة فلا يلقيها اليك فى كتابه دفعة واحدة ولا يظهرها لك على أنها راى لمبتدع أو لمستشرق ولكنه يوزع شيئا منها هنـــا وشيئا هنـــاك متلطفا فى الأسلوب متظاهرا بالبحث والتحقيق ولا ينسى أن يستند فى خلال ذلك الى نص محرف أو حديث ضعيف أو الى راى هزيل او ينسب الى العلماء قولا لم يقولوه ، والى بعض المذاهب آراء لم يذهبوا اليها فلا ينتهى من بحثـــه حتى يكون قد أحكم بث الفكرة فى ثنايا كتابه من غير ازعاج للقارىء ولا استفزاز لشعوره ، وبهذا

الاسلوب استطاع الأستاذ أن ينجو مما لحق بزملائه من سخط الجمهور وأن ينال ثقته باخلاصه وتجرده للحق والعلم .

وكان الأستاذ بارعا فى التشكيك باحاديث السنة مما يدل دلالة قوية على أنه كان يشك فيها جملة كما يقول كثير من المستشرقين ، وكما قال من قبل بعض رؤساء المعتزلة والفرق الضالة المبتدعة .

وهناك موقفه من اسماعيل ادهم احمد وتاييده لرأيه المسموم .

ملاحظة : (وهكذا نرى أن طه حسين سلط زبانيته كل على ناحية : أمين الخولى : القرآن . أحمد أمين : السنة . أحمد الشايب : الأدب) .

الفصل الرابع

دعـــــاة التغــــريب

لقد وقفت مجلة الفتح بالمرصاد لدعاة التغريب واخذت تحصى عليهم اعمالهم ، ووالت بالمتابعة خطواتهم ، سواء فى الصحف التى كانوا يكتبون فيها أم فى الأندية التى كانت حافلة بمحاضراتهم ومساجلاتهم .

لطفى الســـيد والقـــرآن

قالت الفتح (م ٢ ص ٦٢٨ ــ ١٩٢٩) :

تولى دار الكتب احمد لطفى السيد شيخ ملاحدة مصر واقتضى الحال أن يشرف على طبع المصحف فى مصلحة المساحة فطلب الى احـــد الموظفين الانجليز ان يطلعـــه على صفحات من المصحف فامتنع الانجليزى من مس صفحات المصحف وكلف بذلك احد الموظفين المسلمين فعجب شيخ الملاحدة من هذا الأمر ولما علم السيد قال للانجليزى : لا تبالى بما قيـــل لك ومس المصحف كما تشــــاء واستعمله لكل ما تريد ، ويقول بعض الواقفين على الحقائق ان كتاب الله قد ناله بعد ذلك من الاهانة ما لا نستطيع أن نذكره هنا .

ســـــلامة مـــوسى

قالت الفتح : انه يدعو الى شيوعية النساء ويقول ان هـــذه الدعوة ينشأ عنها أدب نزيه خلو من القيود (فيوحى) الى الكتاب والأدباء روح الفكر النزيه الحر الجرىء ، ويكتب محمـــد على ثروت فى مجلة الحـــديث عن سلامة موسى ان له عظمة النبوة .

وفى كتاب (أحلام الفلاسفة) يدعو سلامة موسى الى نظام تعـــدد الأزواج ويقول ان نظام تعدد الأزواج موافق للطبيعة البشرية اذ يستريح الأبنـــاء من الاستبداد فلا يكون للولد أب معين فتنتفى المنفعـــة الشخصية والاثرة الأبوية .

توفيـــق الحـــــكيم

واشـارت الفتح الى اخطاء توفيق الحكيم :

وفى مقال لمحمود ابو رية اشــــار الى مقال (نجم احمد) الذى نشره توفيق الحكيم فى الرسـالة وقد عرف الاسلام والأديان تعريفا لم نجــد له من قبل مثيلا وقال ان كل الأديان تتحــد فى الجوهر وتختلف فى المظهر ، وقال ما معناه : وهــل تجوز المفاضلة بين الأثواب وكلها من صنع الخالق المعصوم ، اما الأسلوب الذى يعرض على الناس فهو من شأن الرســل والأنبيـــاء .

ومعنى هذا الكلام انه ما دامت الأديان تختلف فى المظهر فان هــذا الاختلاف لا يكون من الله وانما مصدره الرسل ، والأسلوب الذى يعرض به الأديان على الناس هو من شأن الرســـل فقط ، وكل شىء خاضع لطبع الرسول ومزاجه وخلقه .

هذا هو الاسلام فى نظر توفيق الحكيم فليس هو وحى من الله وليس هو منزل من عند الله وأن محمدا هو الذى وضع شكله وصنع قالبه ثم خرج يدعو الناس اليه .

وهذا الراى بدع جديد فى تعريف الاسلام وقد أتى به غيره من علماء الغرب والحقيقة أن الدين الاســـلامى ليس من طبع النبى ولا من مزاجـــه ولا خلقـــه ولا من شخصه ولا من ظروف عيشة عاشـــها ، انما هو وحى نزل عليه واوجب الله عليه اتباعه والدعوة به وتبيينه للناس ، والاختلاف فى الأديان لم يتناول أصولها ولم يمتد الى اركانها وانما كان هذا الاختلاف فى بعض الأحكام والتكاليف أما أصول الأديان هى الايمان بالله واليوم الآخر والعمـــل الصالح (م ١١ الفتح) .

حســـين فـــوزى

وتحدث الفتح عن دعوة حسين فوزى لاعادة مجد الفراعنة والروح الفرعونية ودعواه أن العرب دخلاء على مصر ، شأنهم فى ذلك شأن الرومان والانجليز ، والاشادة بحكم الفراعنـــة بما أسماه الزمن الذهبى أو عصر

النور الذى شـمل مصر ، وتقديم أمجاد الفراعنـة فى ثوب زاه فى كتابة السندباد العصرى لكى يعيـد تلك الحضارة الى الحيـاة فى نفوسـنا ، انها محاولات للعمل على اعادة الروح الى مومياء الفراعنة .

عبـد العـزيز فهمى

ويفتتح الفتح صفحات مطولة لتلك السقطة الشـديدة التى سقطها عبد العزيز فهمى فى دعوته الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية (م ١٧ — أبريل ١٩٤٤) وكيف كشف عبد العزيز فهمى عن عدوانه للعربية وقوله : ان حل كل مشاكل اللغة العربية ينتهى الى طريقة واحدة هى اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا .

نشرت الفتح أبحاثا فى الرد عليه (عدد ٨١٦ ، ٨١٧ ، شوال ١٣٦٣) .

ونشرت مثل ذلك « الترك وحروف الكتابة » عدد ٧٤٢ (المحرم ١٣٦٠) وفى العدد ٨١١ من الفتح (جمادى الأولى ١٣٦٣) عن حكمة اصطفاء الله تبارك وتعالى للعرب ليكونوا اصحاب نبيه الأولين واختيار اللغة العربيـة لينزل بها القرآن ، اقرأ مقال السيد محب الدين الخطيب (القرآن معجزة بين معجزتين) .

ميشيل عفلق

كما حاصرت الفتح ميشيل عفلق فى هجومه على الاسلام وهو يعمـل كمدرس للتاريخ فى ثانويات دمشق (م ١٢ الفتح ١٩٣٨ ، ص ٧١٨) .

خليفة ميشيل عفلق « عارف العارف » (م ١٢ ص ١٩٥٠) .

يفصل أخطاء ميشيل عفلق (الفتح م ١٢ ص ٧٠٤) على الطنطاوى .

تعليق آخـر ص ٧٥١ لمحب الدين الخطيب وتعليق آخـر لعـلى الطنطاوى ٨٠٢ .

وخلاصة القول : تقول الفتح : ان المطاعن والأباطيـل التى يوردها ميشيل عفلق فى شعبة الآداب للصف الأول التمهيدى أثناء القائه ما عهد اليه من دروس الحضـارة الاسلامية ، ما لقنه للطلاب من طعن فى القرآن الكريم وجرح للأحاديث الشريفة واخراجها عن صفتها المقدسة الى صفة وضعية

مجردة من كل المجاز وليس أمام الطلبة من قدرة تساعدهم على رد هجماته على الدين الحنيف فيصدوا بالبرهان مطاعنه فى كتاب الله وسنة رسوله ، ومن ذلك تعريض شباب الاسلام للتبشير بمذاهب الشيوعية والاشتراكية .

حديث مع ملحد يكتم الحاده

فى المجلد التاسع (١٩٣٦) ص ٦٩٦ يورد الفتح حوارا جرى بين على أحمد باكثير وأحد كبار أدباء العصر لم يرد أن يذكر اسمه وقال انه كان جالس أمام المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على ، قال :

وصلنا الى موضوع الدين وأثره فى تهذيب الأمة وخطر الالحاد عليها ونحو ذلك فكان مما قاله باكثير : انه يجب على وزارة المعارف بمصر أن تعنى العناية الكافية بتربية النشء تربية اسلامية صحيحة تعصمه من فتن المدنية الأوربية ورزاتها ويجعل له ميزانا يأخذ به فضائلها ومزاياها النافعة حتى تكون النهضة المصرية تامة من جميع الوجوه .

فقال : ان الأمة ليست بحاجة الى الدين ولكنها بحاجة الى الأخلاق ، فالأخلاق وحدها هى التى ترفع الأمة الى مستوى الأمم الراقية وليس الدين .

قلت : اننى لا أفهم فارقا بين الدين والأخلاق ، فالدين الذى نتحدث عنه هو الدين الإسلامى الذى هو دين الأخلاق فى أسمى مظاهرها وأصدق مدلولاتها ، وحسبك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، قال : هذا الأزهر وهؤلاء علماؤه قضوا حياتهم بين جدرانه فى دراسة الدين فما بالهم لم ينهضوا بالأمة .

قلت : اننى قلت تربية اسلامية صحيحة ، ولم أقل دراسة عيون الكتب وشروحها وحواشيها ، فان سبب التأخر هو النظام العقيم فى دراسة الدين الذى يمسك بالقشور ويفتت الألباب ، يجب تربية الناشئة على المثل العليا فى الاسلام وتاريخه فى التضحية والصبر والشجاعة والكرم والايثار والصراحة ونكران الذات وتنشئتهم تنشئة عملية على الطهارة والصلاة .

قال : ان أوربا العظيمة لم تنهض نهضتها الجبارة الا بالأخلاق بعد أن عاشت قرونا بدينها فى الظلام .

قلت : لا قياس مع الفارق ولا أظنك تجهل الفارق العظيم بين الدين الاسلامى والنصرانية ، ولعلك تذكر جمال الدين حين قال : ترك النصارى دينهم فتقدموا وترك المسلمون دينهم فتأخروا ، على أن أوربا لم تترك العصبية الدينية بل هى على العكس من ذلك تتحمس لها أكثر من تحمسنا لديننا وتجعل دراسته فى مدارسها من المواد الأولية وما ينفقونه من الوف الجنيهات للتبشير بدينهم فى مختلف أصقاع العالم .

محمود عزمى

وأشارت الفتح فى المجلد العاشر (١٩٣٥) الى مذكرات محمود عزمى التى بدأ ينشرها فى جريدة روز اليوسف وكيف كشف عن دعوته الالحادية فأشار الى اشتراكه فى جماعة السفور التى تشرف على تحرير جريدة السفور لصاحبها عبد الحميد حمدى مع منصور فهمى ومصطفى عبد الرازق والى محاولة انشاء حزب اشتراكى .

يقول عزمى : كنت عاكفا على قراءة كتاب فى الديمقراطية الحديثة لمفكر غربى معروف ، وقد عدل صديقى منصور فهمى عن تسمية المولود بالحزب الاشتراكى الى تسميته بالحزب الديمقراطى ، ويقول : قد انتهزت فرصة عرض المجتمعين لمبدأ توحيد الشريعة فى مصر ، قلت للمشايخ : هل تفهمون كل ما لهذا المبدأ من مدى ؟ فأجابوا بالايجاب ، معناه تطبيق التشريع الواحد على المصريين والأجانب فحسب ، بل معناه قبل هذا وفوق هذا تطبيق التشريع على جميع المصريين مهما تكن أديانهم ومعتقداتهم ، بمعنى أن تكون للمصريين كلهم أحكام زواج وطلاق واحدة ، بمعنى أنه اذا رغبت مسلمة (لتكن احدى أخواتنا مثلا أن تتزوج من قبطى فلا يكون هناك مانع ولا اعتراض ، وسكت المطربشون وهاج المعممون وقالوا : بل التوحيد فى كل شىء الا أحكام الأحوال الشخصية ، فقلت : ليس هذا من الديمقراطية فى شىء ، فانسحبوا واستراحوا وأراحوا ، هذا هو حزب محمود عزمى ، الذى اجتمع فى بيت مصطفى عبد الرازق والسكرتير عزيز ميرهم ، وكلهم جماعة من تعلموا فى باريس وليهن ١٩٠٨ (وعزيز ميرهم من كبار الماسون فى مصر) .

اسماعيل ادهم احمد

وتنبهت الفتح الى دعاية اسماعيل ادهم احمد الخبيثة ، فى اثارة الشبهات حول الاسلام وتأليفه كتابا عنوانه « لماذا انا ملحد » وكتابه عن الحديث النبوى حيث يطعن فى الحديث وفى رواته وجمع مصادره ويرميها بالكذب وينكر السنة بتاتا ، وقد جمع فى ذلك مذكرات مصدرها المستشرقون والمبشرون تحوى هذه الطعون والانكارات ، وقد كشفت الفتح دعاواه وأشار الذين تناولوا آثاره بدعوته الى اختلاق القول وتهويله وتحكيم الهوى فضلا عن بغضه الواضح للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ومحاولة نطح صخرة الاسلام وقد وصفه بشر فارس فى مجلة الرسالة بأنه الداعية الى البولشفية والعلمية والمتشرد الفكرى (م ١٥ الفتح) .

وقالت الفتح : انه تركى من تلاميذ الروس الشيوعيين له دعاية خبيثة يبثها فى جنبات وادى النيل للنيل من الاسلام وايقاظ روح الشعوبية فيه ، ولما نشرت الفتح هذا تحت عنوان خطر آخر على الشريعة الاسلامية العدد ٤٩٢ (١٧ محرم ١٣٥٥) تلقت منه رسالة اشارت اليها فى العدد ٤٩٤ (٢ صفر ١٣٥٥) قالت : تلقت الفتح رسالة من المتطاول على سنة رسول الله ، هذا الشيوعى يدافع عن نفسه ، وقد أعلن أمره بعد أن أخذ مصطفى السباعى ينبه الناس الى ما فى كتاب فجر الاسلام من تحريف للحقائق الاسلامية فيما يتعلق بتاريخ السنة النبوية (أشار اليها فى العدد ٧١٢) أشار الى سخافات هذا المسكين ، وقد أشار بشر فارس فى مقالته التهكمية البليغة التى نشرها فى الرسالة لاقناع هذا الشعوبى بأنه جاهل وقالت الأهرام انه كان يميل فى ادبه الى الفلسفة اللادينية وكان ينتمى الى جماعة نشر الثقافة ، وكتب الصحفى العجوز فى الاهرام (اغسطس ١٩٤٠) فوصفه بالداعية الى البولشفية العلمية ، وقال مصطفى السباعى : ان احد المنتسبين الى الاسلام فى مصر ممن تلقوا علومهم فى جامعات روسيا الشيوعية .

الفصل الخامس

تغــريب الجامعــة

ولما كانت الجامعة هى المركز الثانى للتغريب بعــد جريدة السياسة فقد كانت هناك عصابة طه حسين ، امين الخولى ، احمد امين ... الخ . وكان كل واحد له اختصاصه فكان امين الخولى يتحدث عن القرآن على أنه كتاب بشرى ، وكان مصطفى عبد الرازق يحتفل بذكرى رينان الذى لم يهاجم الاسلام بمثل ما واجهه به هذا الفيلسوف الملحد ، وكان العمــل الخطير قد بدأ بكتاب (فى الشــعر الجاهلى) ثم (مستقبل الثقــافة) وبما نشره فى السياســة عن أن القرن الثــانى الهجرى كان عصر شـــك وفجور ، الى غير ذلك مما واصله الدكتور طه حسين .

وقد أشـــار الفتح (م ١٣ — ١٩٣٩) الى أن رواية انجليزية اسمها « سان جوان » تدرس فى كلية الدكتور طه حسين تحمل الطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى محاورة بين شخصين يعرض فيها للنبى صلى الله عليه وسلم بعبارات غير لائقة ؛ وقد طير الجامعيون برقيات الى الصحف يشكون فيها من وضع هذا الكتاب بين ايديهم ، وقال طه حسين فى الرد على ذلك : نحن نعلم آداب اللغة الانجليزية فهل من اجــل عبارات طعن فى الاسلام نمنع تدريس هــذه الرواية وليس الدين الاسلامى من الضعف الى حــد عدم احتماله مثل هــذه العبارات ، وقد طالب طلبة كلية الآداب عدم الخلط بين حرية الفكر وحرية الفحش والاجرام فى حق اقدس شخصية فى العالم وقالوا : لسنا نريد أن يحيا العلم الزائف على حســاب الكرامة ولكننا نريد أن تحيا الكرامة فى ظلال العلم .

وأشارت الفتح الى موقف الشباب المسلم فى الجامعة بالنسبة لأخطاء طه حسين فقد قدم طلبة وطالبات كلية الحقوق بالجامعة المصرية الى مدير الجامعة مذكرة يطلبون فيها عدة طلبات اهمها :

أولا : ادخال الدراسة الدينية فى جميع الكليات .

ثانيا : توحيد زى الطلبة فى الجامعة مع تمييز طلبة كل كلية عن الأخرى باشارة خاصة .

ثالثا : توحيـــد زى الطالبات .

رابعا : تحـــديد دراسة خاصة للطالبات فى كلية الآداب .

وقد أفاضت مذكرة الطلبة فى هذا المعنى فقالت :

طالما تاقت نفوس النشء الى التعليم الذى حرم منه فى مراحل التعليم الابتدائى والثانوى وقد نص الدستور فى المادة ٤٩ على أن الاسلام الدين الرسمى للدولة والمشرع أبعـــد أن يحشوا الدستور بمواد لا يريد معناها ونتائجها ومن المسلم به أن مصر للشرق كله نبراس يضىء تعلمها ودينهـــا ، والجامعة المصرية تنتهى بها مراحل التعليم فى بلادنا ويتخرج منها أكبر عدد ، وكان من الواجب أن يلم فى هـــذا الميـــدان الآخر بشىء من دينه القويم ، حتى لا يقضى حياته جاهلا بأصوله مخالفا لقواعده وقوانينه ، بعد أن استوعب فلسفة أرســـطو وأحاط بنظريات ديكارت ولا تأتى معرفة الدين وأصوله الا عن طريق ادخال الدراسة الدينية ضمن منهاج الدراسة فى جميع الكليات ففى الدين نجـــد الوازع الأكبر للشباب فى مرحلته الأخـــيرة التى تتصادف وساعات الطيش ، وتتقابل وفترات النزق والرعونة ، ويرجع طبعا كل ذلك الى عامل السن فى هذه المرحلة ، ومن شديد الأسف أن تنتهى مراحل العلم فى بلد اسلامى اشتهر بين بلاد العالم بالدين وما يعلمه الطالب فيها من أمر دينه شيئا ، واننا لا نجد عوضا لنا عن هـــذا الاهمال بين جدران منازلنا اذ أن من مر الحقائق أن سواد الشعب أعرض عن الدين وانغمس فيما نهى الله عنه ولا شك أن خير طريق للسعادة هو الدين فبدراسته يتحقق قوله تعـــالى : ((**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخـــير ويأمرون بالمعروف وينهـــون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**)) .

ان ترك الحيـــاة الدينية والقاءها ظهريا ســـوف يجر علينـــا الويل لعصياننا أمر الله ورسوله ((**ومن يعص الله ورسوله فقد ضـــل ضلالا مبينا**)) ان الطريق المعبد لاصـــلاح الحال السير على الطريق الســـوى والتعلق بأهـــداب الدين فيرفع الله سخطه عنـــا ((**وما كان ربك ليهـــلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**)) .

تحديد دراسة خاصة للبنات فى كلية الآداب :

وقد يمكنكم أن تجـدوا للفتاة فى كلية الآداب دراسـة خاصة بهـا لأنه مهما يكن من الأمر فليس كل المواد التى تدرس فى كليـة الآداب تتفق ومستقبل الفتاة ونعنى بصراحة القول أن نجد لهن دراسة تتفق وكونهن امهات المستقبل . ان الاختلاط بصورته الحاليـة فى جميع الكليات يتنـافى والشرع الاسلامى ، ان فى الدراسة الخاصة بالفتاة لخير تحديد لمصيرها وخير معين على حياتها المستقبلة التى خلقت من أجلها » أ. هـ .

كذلك فقد جرت مناظرة : هل الأفضل للفتاة أن تتعلم تعليما جامعيا أو تنفرد بثقافة خاصة بها ؟ ورجحت كفة الثقافة الخاصة .

وكتب عمر بهـاء الأميرى الطالب فى كليـة الحقوق بباريس يقول : ان الأساتذة فى جامعة باريس شـعروا بأن الاختلاط له اخطاره العمليـة وكيف أنه يجر الى فساد فى الأخـلاق وتعطيل الدروس وصرف الطـلاب الى ضروب اللهو وأفانين الاستهتار حتى ان أسـتاذ القـانون الدستورى جوزيف بارتلمى ترك قاعة الدرس عدة مرات لاستحالة القـاء محاضراته فى جو دراسى ملائم ثم وضع أخيرا فاصلا بين مقاعد الطلاب ومقاعد الطالبات وهكذا فصل الجنسان وأخذ كل منهما ناحية من المقاعد .

موقف طه حسين من الحجاب

وما كاد الدكتور طه حسين يعرف بشأن هذه المذكرة حتى كبر عليه أن يجرؤ أولئك على تقديمها الى مدير الجامعة ، ثم هاله تأييد رجال الأزهر وعلى رأسهم الأستاذ الأكبر لاخوانهم الجامعيين ، قال الدكتور طه :

أنا لا أعلم فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول استاذ يعلمهم العلم والأدب والفن .

وقـد ووجه طه حسين بعشرات من الرسـائل التى تدحض مفهومه الخـاطىء :

وأولت الفتح اهتمامها بالرد على الدكتور طه ، قال الكاتب :

اذا كان الدكتور طه لا يعرف ذلك النص فهل معناه أنه غـير موجود ،

وهل يلزم من عدم معرفة الدكتور على شيء عدم وجوده ، واذا لم تر الهلالُ تسلم لاناس رأوه بالابصار .

ومن قال هل الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيـــه من فقهـــاء المسلمين حتى يقام لرايه وزن فى الشئون الدينية ، وبعد فنحن نتولى تعريف الدكتور ما جهله حتى يعلم انه تطفل وتدخل فيما لا يحسن الكلام فيه :

وقال الباحث ان الادلة الشرعية ليست محصورة فى الكتاب والسنة ولا مقصورة عليهما فحسب بل الأدلة الشرعيـــة المتفق عليهـــا هى الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع والقياس الصحيح وانه مما امتاز به الاســـلام فى قواعده العامة أنه جعـــل درء المفســـدة أساسا للأمور الأدبية الشرعية فاختلاط الجنسين وهو ينبوع المفاسد ومصدر الشرور محرم بهذه القاعدة الشرعية وان القرآن أورد آيات كثيرة حول هذا المعنى وهذه الآيات واضحة المعنى دالة على تحريم الاختلاط : اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات مطلقا اذ الأمر بالشيء نهى عن ضده ولا ننسى أن العبرة بمفهوم اللفظ أما حكمة التشريع فى تحريم الاختلاط فهى أن الشريعة الاسلامية تريد للمراة المسلمة أن تحيا حياة الطهر والعفاف والصيانة والفضيلة والدكتور طه بهذا يصادم شعور المسلمين وحرية آرائهم .

وقال الكاتب : لماذا أثار الدكتور طه هذه العاصفة فى وجه المطالبين بعدم اختـــلاط الجنسين وتخصيص فصول للبنـــات فى الجامعة المصرية .

وقال : ان السر فى ذلك انه رجل تلقى العلم فى فرنسا بعـــد الأزهر وانه متزوج من فرنسية وقد خبرها طبعـــا وأعجبته نتيجة الاختبـــار فلابد من تعميم ما أعجبه وما استحسنه ... الخ (محمد اسماعيل عبد النبى) .

مشـــكلة المتعلمين فى مصر

وأشار الفتح الى رأى طه حسين الذى أبداه للكاتب الفرنسى (روم لاندو) من أن الشباب المسلم فى مصر لا يهتم بالدين وان الاسلام لم يعد عاملا هاما فى حياتهم . قال روم لاندو : لقد أعرب لى الدكتور طه حسين وهو على الأرجح يعرف روح مصر الحديثة أكثر من أى رجل آخر عن ارتيابه الشديد

فى هل للاسلام نفوذ انشائى ما فى شباب اليوم مما يدل على أنهم يجدون أنفسهم فى الهواء تماما .

قال الكاتب محمد اسماعيل عبد النبى الذى تصدى له :

اما أن الدكتور طه حسين يعرف أكثر من غيره روح مصر الحديثة على الأرجح فهو نظريا أمر مرجوح فان الدكتور طه له هوى خاص فى هذه الأمور وقد عرفه المسلمون فى جميع انحاء الأرض بانه فى جميع الحقائق الاسلامية لا يصدر عن حكمة واتزان وانما يفاخر بالتعصب لرأيه ويعاند الناس جميعا ، ويعتقد أن تلك الخطة هى طريق شهرته وسبيل ظهوره ولا يبالى ما يكون بعد ذلك فها هو يقرر للمستر لاندو أنه شديد الارتياب فى أن للاسلام نفوذا انشائيا فى نفوس شباب اليوم ، ثم هو يعلن فى نفس الوقت انه حسن الظن جدا بأخلاق الشبان المصريين فتيانا وفتيات ، فانظر الى عقيدة الدكتور فى شباب اليوم ، يشك ويرتاب فى مسلكهم وفى نفوذ الاسلام الانشائى منهم ، ويحسن الظن جدا بأخلاقهم ولا يشك فيها وفى رشدهم فاذا قام الشباب يطالب بالتعليم الدينى حتى يكون للاسلام نفوذ انشائى فى نفسه غضب عليهم الدكتور ورماهم بالسخف فيا ضيعة الشباب بين غضب الدكتور ورضاه وبين حسن ظنه بأخلاقهم وشدة ارتيابه فى نفوذ الاسلام الانشائى بينهم (مجلة الفتح م ١١ — ١٩٣٧) .

* * *

كما أشارت الفتح الى احتفال الجامعة برئاسة طه حسين بذكرى الفيلسوف الملحد رينان .

قالت الفتح : لقد عقدوا الرأى على أن يقيموا للفرنسى رينان حفلا تذكاريا يدرسون فيه مآرب اخرى ، وزينوا للشيخ مصطفى عبد الرازق أن يكون نصيبه فى هذه الحفلة القاء كتاب يقال أن الشيخ جمال الدين الافغانى بعث به الى رينان ، ذلك لأن هذا الكتاب الذى توجد فيه نسخة باللسان الالمانى يحتوى على أن الشيخ جمال الدين يرى أن بين الاسلام والعلم خلافا ، ولقد فهم الناس من صيغ الشيخ مصطفى انه يقصد الى اساءة سمعة الاسلام بما يعزى الى الشيخ جمال الدين من أن الاسلام والعلم قد يختلفان ولو ذهب ذاهب الى أن مقصدهم من حفلة التذكار يدور على

اشاعة هذا الكتاب لم يكن ظنه اسما وبعض الذين فهموا من الشيخ مصطفى هذه النبذة كتبوا فى دفع أن الاســـلام والعلم الصحيح قد يختلفان وعادوا على هذا الباحث المدقق بالملام (م ٢ الفتح — ١٩٢٩) .

(٢)

وأوردت الفتح رأى زكى مبارك فى كلية الآداب (الفتح م ٦ ص ٣٠٨).

قال : اننا فى كلية الآداب نعالج بنفس الطريقة التى يعالجها الأساتذة فى كلية الطب هم يسمون عملهم التشريح ونحن نسميه التحليـــل والفرق بيننا وبينهم أنهم يشرحون الأجســـام ونحن نشرح الأعراض وهم يشرحون اجساما فانية ونحن نشرح اعراضا غالية كان ينبغى لهـــا الصون التـــام فى ظـــلال الحلوق ، وليس شق جسم الميت فى كلية الطب بأقسى واقطـــع من اهتمام أساتذة كلية الآداب باثبات أن أبا نواس كان سيىء الأخـــلاق وأن البحترى كان قذر الثيـــاب وأن المعرى كان من الملحدين وأن المتنبى كان صعلوكا يتصيد المال وهو يدعى سمو الملوك ، ولو مضيت فى دراسته لصرت مع الزمن طبيبا يحترمه الانسان ولكنك حين تمضى فى دراسة الأدب تصبح أديبا والعياذ بالله ورجال الأدب قوم يعيشون فى ظلمات بعضها فوق بعض ولا ينجح من بينهم الا من يحسن القيـــل والقال وجوهم فى الغالب جو فتن ودسائس ونذالات يندى لها الجبين والبارز منهم هو الرجل الوقح الذى يعرف كيف يخلق الأكاذيب للنكاية بزملائه الأبرياء (يقصد طه حسين) (الفتح م ٦ ص ٣٠٨) .

وفى كلمة أخرى لزكى مبارك عن كلية الآداب أوردتها الفتح قال :

ســـأل سائل بما معناه : « لو أراد الله أن ينزل قرآنا فى زماننا هـــذا فبأى لغـــة كان يمكن نزوله ان كان بالعربية امكان نزوله بالنســـخ الذى نزل به » .

من سوء نيـــة الانسان أن ترك الجواب للطلبة أنفسهم حتى يضـــل من يضل وتحدث الفتنة وهو من عبثها متخل وعنها بعيـــد ، فقال انه كان ينزل بالفرنسية لأنها هى اللغة العامة لحسن لفظهـــا وقرب مأخذه ودقة تركيبه ، وقال آخر انه كان ينزل بلغة احسن من التى نزل بها وهى العربية التى نستعمل نحن فى كتابه .

وقال ثالث : ان القرآن نزل فى بيئة جاهلة فنزل بلفظه هــذا الذى يروى عليه اليوم وانه لو نزل فى ايامنا هــذه فلا شك فى نزوله بصــورة مغايرة للتى نزل بها وبنى على هــذا أن القرآن لا يوافق كل العصــور بل يوافق العصر الذى نزل فيــه ..

ولقد سمعت من بعض الطلبة أن مثل هذه الأسئلة توضع قبل الدخول الى الدرس ويلقيها تابع من اتباعهم ليعلنها أثناء الدرس حتى تزيغ العقائد فالطلبة ليسوا من التمكن فى الدين بحيث يدققون هذا لأول نظرة : الهــدف هو التشكيك وزكى مبارك يقصد طه حسين وجماعته فى كلية الآداب .

من اين اخــذ المسلمون

وكتب الأســـتاذ محمد حامد الفقى فى المجلد الأول من الفتح يقــول :

كثر التهجم على المسلمين وعقائدهم وكتابهم من الصحف بتلك الاقوال الآثمة والجامعة المصرية ترفع صوتها بالتشكيك من بعض أساتذتها بالطعن فى القرآن وفى اخباره وعظاته وارشاده . والبلاء منبعث أيضا من العراق على لسان الزهاوى وزميله الرصافى ولم تبق بلدة اسلامية الا وقد أمطرها أولئك الملاحدة بآسن أفكارهم وفاسد مبادئهم المبنية على قواعد الاباحة .. وكان للصحف السيارة فى هــذا الشر الأثر العظيم فهم لا يفترون ساعة عن العمــل الجاد لنشر مبادئهم التى لحمتها وسداها كره كل دين سماوى وبغض كل تشريع الهى ولا سيما الاسلام ، من العار ان لا يكون الاســـلام أمام هذه الصحف التى هى السنة طاعنة فيه الا الاصمعيان (الأخبار والفتح) المتدينون فى غفلة بينما ترى الطائفـــة الأخرى جادة فى مقاومة صــحفها ونشرياتهـــا ..

ما سر الغفلة ، تبين لى اننا لم نعن أولا بتشخيص المرض تشخيصا صحيحا بطريقة يمكن لكل مريض أن يعلمه ويصل الى مقره فى نفسه ..

كتب ضــد الاســـلام فى الجامعة

فى سنة ١٩٣٩ وزعت الجامعـــة كتابا لبرناردشو الكاتب الانجليزى على طلبتها ليدرس لهم وتقدم على لســـان قسيس معاصر لجان دارك سب قبيح فى رسول الله ، وليس محل العجب ان شو أو غير شو يوجه فى كتبه

الطعن الى رسول الله ولكن محل العجب أن وزارة المعارف فى مصر تعجز عن أن تجد فى كتب الأدب الانجليزى كتابا خاليا من الطعن فى رسول الله يقراه طلبة الجامعة .

ورأيت العجب العجاب عندما أثير هـذا الأمر فى مجلس النـواب بجلسة ٥ يونية ١٩٣٩ فقد رأينا بعض النواب المحترمين يدافعون عن ذلك الكتاب بطرق مختلفة ويبررون بها شتم شو لرسول الله .

م ١٣٤ الفتح (١٩٣٩)

حماية الدين الاسلامى فى الجامعة وكلية الآداب

قال الدكتور عبد الحميد سعيد (رئيس جماعة الشـبان المسلمين) الهين الذى يكفى للاهتمام به تقديم سؤال واستجواب والقاء رد ثم يهمـل ويركن فى زوايا النسيان ، ولكن الأمر أعظم من ذلك لأنه يتعلق بامر ديننا وشرفنا وعقائدنا وعقائد أبنائنـا وأهلينا وذرياتنا ، ان الأمر أمر دستورنا المحترم الذى ينص على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى وليست نظرية فصل الدين عن التعليم الا ستارا للالحاد والاباحة والخروج على الآداب والأخلاق والتقاليد الدينية والقومية ، ولهـذه النظرية قال أولئك المخربون المدمرون انه يجب تحرير العلم من سلطان الدين ، كأن الدين نير ثقيـل أو حاجز منيع فى وجه العـلم ، انما الدين هو كل شىء ، لا نريد أن نسـمع بعد اليوم تلك الدعوة الفاسـدة : دعوة حرية الفكر التى فى ظلها تنتشر الكتب التى تدعو الى الكفر والتى تطعن فى سيد الأنبيـاء والمرسلين والتى فى ظلها تهـدم الفضيلة والأخلاق والعقائد ، انا لا أريد الحجر على حرية الرأى بحال لأشـكو ممن ينشر الالحاد فى الجامعـة ولكنى اشـكو منهم أن يتخذوا من الجامعة حصنا يقذفون المجتمع من وراء اسواره بالقنابل المفرقعة المدمرة ويصيبون من الأخلاق مقتلا ، وليس الفساد كان قاصرا على الجامعة بل تعداها الى سائر المدارس المصرية ، ان ما يقوم به المبشرون وما يرموننا به من شر وبلاء لا يقـاس مطلقـا بجانب ما أصابنا مما يلقى من دروس فى الالحاد والاباحة ، ان الجامعـة تسلم هؤلاء الشـبان الذين لم يتعلموا شيئا من أصول دينهم الى رجـل يلقى فى نفوسهم الزندقة والكفر فيفسد عقائدهم وأخلاقهم ووزارة المعارف هى المسئولة عن ذلك لأنهـا لم تعلمهم

اصول دينهم وتقاليـــده والله لو كان هـــذا الرجل فى بلاد اخرى لما عاش ليـــلة واحـــدة .

وقف كثيرون فى وجه هـــذا التيار : عبد الخالق عطيـــة ، الأستاذ القاياتى ، السيد خشبة ، عبد الحميد البنـــان ، عبد العزيز الصـــوفانى ، وكان دور النيابة الذى اثبت التهمة على المعتدى والمسفه لآرائه الفاسدة النجسة ، ومع ذلك لا يزال الرجل على راس كلية الآداب ولا يزال صاحب هذا التاريخ الدنس ينشر آراءه الفاسدة المنحرفة فى الجامعة المصرية .

مضى على ذلك ثلاثة عشر عاما (١٩٢٦ — ١٩٣٩) .

ان صاحب هـــذا التاريخ لا يزال يلقى على ابناء الجامعـــة تعاليمه الخبيثة ، فى ظل هذه الاباحة وتحت ستار حرية الفكر ينشر المبادىء الضارة المخربة ، ويجندون ما يسمونه بحرية المرأة واختلاط الجنسين ، ان ما يحدث فى كلية الآداب لا يستطيع مسلم أن يهضمه ، كما لا يستطيع انسان له ذرة من العقل والفضيلة والايمان أن يسكت عنه ، وقد اثبتت اللجان التى الفت لبحث كتب طه حسين وأعماله أن كتبه ملأى بالكفر والالحاد .

واجب الجامعة نحو البيئة التى نشأت فيها
محب الدين الخطيب فى الرد على توفيق الحكيم
(م ١١ ص ٩٩٤)

الجامعة المصرية مطالبة وكل جامعة فى الدنيا مطالبة من البيئة التى نشأت فيها بأمرين : (الأول) أن يتنزه القائمون بهـــا عن كل موجـــدة نحو دين البلاد ومقدساتها وحقوقها فلا يتخذوا من البحث العلمى وحرية الرأى وسائل لتوهين رابطـــة النشء المثقف بدينه وقوميته ومقدساته لاســـيما اذا كان دينهم صديقا للعلم وداعيا الى الحق وآخذا بيـــد المعرفة ينشطها ويرفع مقامهـــا .

وهل يجهل أحـــد ان فى مصر ناسا نعرفهم بأعيانهم ونعرف اتباعهم بسيماهم لا يفتأون يعملون على توهين رابطـــة النشء بالدين وتهوين أمره عليهم وتشكيكهم فيـــه وتنفيرهم منه وقطع سلسلته من أن نجـــد قط سبيلا الى تفاهم وما فتئوا يحاولون اقناعهم بأن الحقائق تخالفـــه ، وأنه واقف حجر عثرة فى طريقها .

والأمر الثانى : الذى تطالب به كل جامعـــة فى بيئتها أن تقوم بمهمة البحث لمفاخر تلك البيئة وأن تجـــدد صلتها المعنوية ، فالجامعات الايطالية تنحو اليوم بالفعل نحو احياء مجد الرومانيين والجامعات الالمانية تعلم أن لها طبيعة روحيـــة .

ان واجب الجامعة المصرية للاسلام الذى هو دين المصريين وللعربية التى هى لغة المصريين أن تحمل لواء محاسنها وامجادها كما تحمل لواء العلم المجرد والعقل الحر والفكر المطلق ، كما أن الاسلام لا يقف فى طريق المسلم الذى يريد أن ينشئه مسلما عربيا .

الفصل السادس

مطاعن طه حسين فى الاسلام

كانت اكبر أخطـاء طـه حسين هو كتابه (فى الشـعر الجاهلى) وقد أثيرت قضيته مرة أخـرى عام ١٩٣٢ فى البرلمان وأشـارت الفتح الى أن قرار النيابة ينص على أن الكتاب خطا محصن فى مادته وفى أسلوبه وفى معانيه وفى غاية مؤلفه . وعلق الأستاذ حسن البنا على الحادث فقال : لم يقل أحـد ان معنى حرية الفـكر ابطال الحق واحقـاق الباطل وخرق النواميس وانتهاك حرمات الشرائع والقوانين والاسـاءة الى الصحابة ، وطالب بضرورة مصادرة الكتاب الثـانى (الأدب الجاهلى) لأنه لا يخالف سابقه الا فى التسمية ، أما اقصاء الدكتور طه عن التدريس فى الجامعة فأمر حتم يقتضيه واجب الوزارة فى المحافظة على عقائد الطلبـة وأخلاقهم فان المدرس ينظر اليه من ثلاث جهات : (١) من مواهبه الخاصة فى المـادة التى يدرسها . (٢) وفى مادته التى يقدمها لتلاميـذه . (٣) وفى طريقتـه فى التفكير وما يبثه فى نفوس طلبته من أخلاقه وطبائعه ، والدكتور طه حسين متهم فى ذلك جميعـا فهو لا يحسن الشـعر وان حاول ذلك فأتى بالغث المتكلف الذى يمجه الطبع ويستثقله السمع على نمط لاميتيه التى يقول فيها :

ومالى وما للبـدر أطلب رده
بل ما لا ملاك السـماء ومالى

الى آخر ما قال من هذا النظم المهلهل النسيج المتنافر اللفظ والضئيل الغاية وهو لا يجيد أسلوب الكتابة اذا حاكمته الى الذوق العربى والبلاغة اللغوية وقسته بما وصفه الأئمة من أوزان البيان ومقاييسه ، أما فى حشو القول والاتساع به واطالته بالتشدق والتفهيق فالرجل فى ذلك لا يشق له غبار واعتبر ذلك بما كان فى قضية المعلمين وقصتهم التى كتب عنها فى السياسة فأعيدت القصة وذكرت القصة بضع مرات مما لا يزيد على عشرة أسـطر من أسطر الجريدة .

وما هو بالناقد الذى يحسن النقـد الصـحيح فى الشـعر والنثر ،

وان احسن التهجين والتجريح والرزاية على غـيره من الأوباء والكتاب وان الذى يقرأ بيت شوقى فى هيميته التى يقرظ فيها كتاب الأخلاق :

بالطف انت هو الصـدى   لن ذلك الصـوت الرخيم

ففهم أن الشاعر يقول ان ارسطو كان ذا صوت رخيم ولو رد على ذلك انه لا هو ولا شوقى سمع هـذا الصوت ثم لا يدرك ما فى هـذه الاشارة البليغة من عذوبة وجمال وتناسب احرى به أن يدع النقد لأهله وأن يعلم أن دعواه فيه كدعوى آل حرب فى زياد .

وبعـد فليس الدكتور متخصصا بدراسـة تاريخ العرب لم يتلقـه عن أستاذ ولم يلم به فى مدرسة ولما علم من ذلك ما يعلق بذهنه من مطالعة كتب الأدب لا ليدرسـها ولكن ليراها ، وما سأل الدكتور اجازته فى تاريخ اليونان أو تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده اقوى الدعائم التى يستند اليها الكاتب اذا أراد أن يكتب فى الأدب العربى فمن فاته روايته ودرايته فقد فاته اس البحث ونبراسه وسار على غير هدى .

وعرضت الفتح لاستجواب مجلس النواب لكتاب الشـعر الجاهلى (قدمه مصطفى القـاياتى) ومأرب الكتاب والباحثين وما نشرت الصحف من مقالات فى الرد عليـه استمرت فى جريدة كوكب الشرق ثلاثة شـهور : كتب فيها مصطفى صادق الرافعى ويوسف الدجوى ومحمد حامد وأحمـد خيرى سعيد والف الخضر حسين ولطفى جمعة وفريد وجدى والرافعى كتبا قائمة بذاتها .

وقال الشـيخ يوسف الدجـوى : ما فى الكتاب من مسألة ابراهيم واسماعيل مسروق من كلام جهلة المبشرين كصاحب مقالة فى الاسـلام ، وما ذكر عن الشعر الجاهلى مسروق من كلام متعصبى المستشرقين لمرجليوث فالفكرة على سخافتها ليست له فى الموضعين . وقال ان ما قرره ديكارت هو مذهب الاسلام والمسلمين قبل ديكارت بمئات السنين ، الا ليجعله آلة لهدم الأديان والطعن فى التوراة والقرآن والا فهو أول من خالفه .

وفى المجلد الثالث أشار باحث الى نظرية ديكارت فى الشـك فقال : ان الشك لأجل الانتقال منه الى اليقين ، سبقه الى ذلك الغزالى وهو أخذ من الغزالى ، هذه النظرية أساء فهمها طه حسين وكشف ذلك محمد احمـد

الغمراوى ، وترجم الخضيرى كتاب المنهج لديكارت ليثبت كذب طه حسين ؟ لقد نسب طه حسين نوعا آخر من الشك السخيف ، كذب طه حسين قسيس يوسف سلام وخطب فى الجمعية الخلدونية فى تونس (الفتح ٢٨ مارس ١٩٢٩) .

(٢)

وموقف طه حسين أمام النيابة جرى حوله حوار كثير ألمت به الفتح فى أكثر من مقال :

قال : فأنا كمسلم أعلن انى لا أرتاب فى شىء مما اشتمل عليه القرآن ولكنى كعالم أسلك الى البحث مناهجه العلمية ، قال ذلك أمام النيابة العامة (٢٨ أكتوبر ١٩٢٦ جريدة السياسة) بصدد دفعه عن نفسه تهمة انكار وجود ابراهيم واسماعيل وانكار أن تكون الكعبة من بنائهما وانكار هجرتهما الى مكة مع وجود ذلك فى القرآن ، اذن فهو لا يرتاب اذا كان الأمر كذلك فكيف ذكر فى كتابه (للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ولكن ذلك لا يكفى لوجودهما ، ان ما ورد عنهما فى القرآن أسطورة حدثت قبل الاسلام احدثها اليهود لغرض سياسى واستغلها الاسلام لغرض آخر، كل هذا يفيد تكذيبه لوجودهما ولبنائهما الكعبة ولهجرتهما الى مكة ، وهكذا دافع عن نفسه الدكتور بأن يعتقد الشىء وضده ويجمع بين المتناقضين فى الاعتقاد ففى عقائده اعتقاد بوجود ابراهيم واسماعيل واعتقاد بعدم وجودهما وعدم بنيانهما الكعبة ، هل رأى الناس اهدارا للعقول وجناية على البديهيات أكبر من هذا، ان بديهيات العقول تقول ان النقيضين لا يجتمعان فى الواقع ولا فى الاعتقاد والقائل بامكان اجتماعهما فى الواقع أو فى الاعتقاد بمنزلة من ينكر أن الواحد نصف الاثنين هم يبنون دفاعهم عن أنفسهم على انكارهم للبديهيات التى هى حاصلة للصبيان والبله ثم هم بعد ذلك علماء يسلكون للبحث مناهجه العلمية (محمد عرفه) .

طه حسين يكذب القرآن بين يدى النيابة

(نقلا عن الأهرام — ٢٩ أكتوبر ١٩٢٦) سئل طه حسين عما اذا كان يعتقد أن القرآن وحده كافيا لاثبات الوقائع التى وردت فيه فأجاب :

الحوادث المعاصرة لنزول القرآن وهو صحيح، أما الحوادث التى حدثت قبل نزول القرآن فهى عبارة عن قصص أراد الله بها اقناع عبيده وهدايتهم بها وهى تنطبق على مسألة الهجرة وخلافها من المسائل .

وعلقت الفتح : وهـــذا اعتراف صريح من الدكتور طه بأن القـــرآن لا يعتد به ولا يقام له وزن فى اثبات ما يخبر به ، ويصرح بأنه موجود وواقع فاذا أخبر الله بأنه ارســـل ابراهيم الى قومه ، وارسل نوحا الى قومه ، اذا بين فى محكم تنزيله أن هؤلاء كانوا رجالا أوحى اليهم وانهم كانوا موجودين فى الدنيا ولهم وقائع وكتب وآثار ، واذا أخبر فى القرآن تلك الأخبار ساغ للباحث العلمى أن يقول له ان هؤلاء الأشـــخاص لم يوجـــدوا فى الدنيـــا ولم يعرفهم التـــاريخ ، لأنهم لم يثبتوا بما يقنع الباحث العلمى وتســـلم به المناهج العلمية الحديثة .

ما هى المناهج العلمية فى البحث التاريخى — يراد بالمفاهيم العلمية ما يراه بعض الباحثين فى التاريخ من انه يجب أن يقـــام على اساس مادى فلا تثبت حوادثه الا بالأدلة المحسوسة كالآثار والنقوش ، فما لم يثبت بالآثار أو تشهد بصحته النقوش لا يعترف التاريخ بوجوده ولا يسلم بصحته نزولا على حـــكم تلك المناهج ، اذا ففى القرآن على زعمه وقائع غـــير صحيحة ووقائع كاذبة ذكرها الله بقصص مكذوب اقناعا لعباده ورغبة فى هدايتهم ، وسجل على نفسه أنه يرى أن القرآن يشتمل على الكذب ويحتـــوى على غير الواقع والصحيح من الأخبار مخالف ما أجمع عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها من أن القـــرآن كلام الله وأن كلام الله صـــادق (م ١ — ٤ نوفمبر ١٩٢٦) .

اتهـــام دامـــغ

قال محمد بك نور رئيس نيابة مصر فى صلب التحقيق مع طه حسين ما يلى :

حيث انه بالرجوع الى الوقائع التى ذكرها الدكتور طه حسين والتى تكلمت عنها تفصيلا وتطبيقا على القانون يتضح أن كلامه الذى بحثناه تحت عنوان الأمر الأول فيه تعد على الدين الاسلامى لأنه انتهك حرمة هذا الدين بأن نسب للاســـلام انه استغل قصة ملفقـــة هى قصـــة هجرة اسماعيل

ابن ابراهيم الى مكة وبناء ابراهيم واسماعيل الكعبة واعتبار هـذه القصة اسطورة وانها من تلفيق اليهود وانها حديثة العهد ظهرت قبل الاسلام ... وهو بكلامه هـذا يرمى الدين الاسـلامى بانه مضلل فى امور هى عقـائد فى القرآن باعتبار انها حقائق لا مرية فيهـا » .

واشارت الفتح ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦ فيما اسمته مراجعـة ما قاله طه حسين امام النيابة :

[ان الله يستعمل فى كتابه قصصا مكذوبة لهداية عبيده] .

ان العلماء لا يرضوا ان يهان كتاب مثل تلك الاهانة مهما وجد فى مصر من الكتاب من ينتصر لها او يحاول ان يسميها حركة تجديد ، ان فى مصر حركة ترمى الى بذر بذور الشك فى القرآن ونشر الشكوك فيما جاء فيـه والحملة على تعاليم الاسلام وانظمته .

قال بين يدى النيابة : ان الحوادث الواردة فى القرآن تنقسم قسمين : ما كان منها معاصرا لنزول القرآن فهو صحيح ، وما كان منها متقدما على نزول القرآن فغير ماذون له بالدخول فى حرم التاريخ .

بلاغ النيـابة

واوردت الفتح بلاغ النائب عبد الحميد البنان الذى رفعه الى النيابة بشان كتاب (فى الشعر الجاهلى) جاء فيـه :

لم يكن تسمية ذلك الكتاب بالشعر الجاهلى الا سترا لما وراءه من غرض شنيع وهو :

١ — مهاجمـة القـرآن الشريف وارادة المساس بمقداره فى نظـر المسـلمين .

٢ — المساس بالنبى صلى الله عليـه وسـلم حيث اتهمـه بالكذب وقال انه اورد هذه الوقائع التى كانت للعرب والفرس (والتى تحدث النبى عن بعضها وهو يوم ذى قار) ومع اعترافه بان النبى صلى الله عليه وسلم تحدث عن بعضها يدعى انها ايام مكذوبة والواقع انه لم يكن للعرب على الفرس قبل الاسلام الا هذا اليوم الذى قال فيه عليه السلام :

هذا اول يوم انتصر فيه العرب على العجم وبى نصروا .

٣ — انه جعل الاسلام مما حمل المسلمين على الكذب ليؤيدوا اخباره وذلك كثير جدا من الكتاب فانه طعن فى علمائهم ومفسريهم ورواتهم ولم يترك منهم أحدا الا سدد اليه ذلك السهم غير مستند الى دليل ولا شبهة بل انى فروض لا قيمة لهـــا .

٤ — أراد أن يثبت أنه كان فى الجاهلية تغاير بين لغتى قحطان وعدنان، هذه النظرية يمكن اثباتها بالمقدمات العلمية المبنية على المقارنة بين اللغتين فى الألفاظ أو الأساليب اذا وجـــد ولا يقف فى ســبيل ذلك حادث ابراهيم واسماعيل الذى ينص عليه القـــرآن ولكن المؤلف تعرض للقرآن تعرضـــا قبيحا فان المسلمين جميعا يعتقدون فى القرآن أنه من عنـــد الله وانه حق وصدق وان ما أتى به من الأخبار يدل قطعا على صحة مضمونه ولكن المؤلف حاصرهم بطعن هذه العقيدة حيث قال فى نص القرآن على حديث ابراهيم واسماعيل انه لا يدل على اثبات ما تضمنه .

ولم يكن هذا التكذيب الصريح مقدمة لنظرية تتوقف عليـــه صحتها ولا نتيجة لازمة لتلك النظرية حتى يقال ان البحث العلمى اضطره الى ذلك وانما هى النية السيئة وارادة مصادرة المســـلمين فى عقيدتهم والطعن فى كتابهم .

كما أوردت الفتح وقائع النيابة وتحقيقها مع طه حسين : هذا التحقيق الذى انتهى الى الحفظ وعلق على ذلك الشيخ يوسف الدجوى فقال :

ينكر طه حسين وجود ابراهيم واسماعيل ويطعن فى القرآن والتوراة طعنا مرا فلا يقدم للقضاء بل تحفظ قضيته أمام النيابة فى مصر التى دينها الاسلام ، وينكر رجل فى بولونيا وجود الشيطان فيعاقب بالسجن ثمانين يوما وبالغرامة ، افلا ينفطر قلب من يحب مصر ويغار على شرفها وسمعتها مما وصلنا اليه ويعجب الانسان كل العجب عندما تقرأ قرار النيابة فى قضية الدكتور طه حسين : ذلك القرار الذى آلم احساس الأمة وصادم شعورها ، يا وزير المعارف ان طه حسين قد أفسد التاريخ والعلم والأدب فكان يجب عليك ان لم تخرجه من الجامعة مراعاة للدين ان تخرجه منها صيانة للعـــلم ومحافظة على التاريخ والأدب .

(٣)

واشارت الفتح الى ما يتصل بحادث كتاب (فى الأدب الجاهلى) (١٣ سبتمبر عام ١٩٢٦) فى مجلس النواب ، ثم دعوة المجلس فى مايو ١٩٢٧ ، (محمود رشاد) ٢٩ يونيو ١٩٢٧ (عبد الحميد سعيد) ثم دعوته مرة اخرى ٥ مايو ١٩٣٠ (عبد العزيز الصوفانى) .

وقالت الفتح : لا ريب أن طه حسين جاء شؤما على الملاحدة والعاملين على الكيد للاسلام فأفسد عليهم فى ست سنوات ما بنوه فى أكثر من ستين سنة ونبه الروح الاسلامى الى مراقد كل حركة وسكنة يكاد بهـا للاسلام فى مصر وغير مصر .

واشارت الفتح (ديسمبر ١٩٢٦) الى ان رئيس تحرير أكبر جريدة تصدر فىالصباح (يعنى الأهرام) أنه ورد اليه ما يزيد على خمسمائة مقالة كلها فىالرد علىالدكتور على اعترافاته أمام النيابة ، وان جريدة السياسة هى وحدها التى انفردت بالدفاع عن الدكتور وعن آرائه لأنها تدعو الى مثل ما دعا اليه فهما شريكان فى الدعوة متعاونان ومتناحران .

واشارت الفتح الى أن محمود رشاد باشا ١٩٢٨/٥/٢٩ وجه الى وزير المعارف سؤالا فى مجلس الشيوخ عما نسب الى طه حسين من تعرضه للقرآن الكريم بكلية الآداب قال ان الصحف نشرت ملخصا لمحاضرات ألقاها طه حسين فى الجامعة وأتى فيها بما يمس المسلمين فى شعورهم اذ قال فيها صراحة ان القرآن منقول عن كتاب كان موجودا فى ذلك العهد وقال : نحن منذ ثلاث سنوات نئن من عبث طه حسين المسلم بالدين الاسلامى فى الدولة التى دينها الاسلام ، وقد طرح هذا الموضوع من ثلاث سنوات على مجلس النواب فوعدت الحكومة بتشكيل لجنة ثم ثانية ثم ثالثة ولكنا لم نر نتيجة لأعمال هذه اللجان ولا يزال الدكتور طه يقول ان القرآن منقول عن كتاب آخر ، انهم يبشرون بالمسيحية فى الأزهر وينتهكون حرمة الاسلام فى الجامعة (أشار الى اقتحام القس زويمر الأزهر الشريف فى ١٩ ابريل ١٩٢٨) .

(٤)

لم يلبث الدكتور طه بعد مصادرة كتاب الشعر الجاهلى ان أصدره بصورة اخرى تحت عنوان (فى الأدب الجاهلى) بعد أن رفع منه بعض الفصول التى حوت كلماته الخاطئة .

ولكن الباحثين تعقبوه مرة اخرى وكشفوا حقيقته فكتب فى الفتح (٢٤ نوفمبر ١٩٢٧) السيد عبد الرازق الحسنى من علماء العراق يقول :

حسب أن العبث القليل الذى عبثه طه حسين بكتاب فى الشعر الجاهلى عند تحويله الى كتاب الأدب الجاهلى يسدل على عيون الناس غشاوة تحول بينهم وبين ما فيه من دسائس ، كنت ممن يحترمون طه حسين وممن يعدونه سائرا فى طريق يؤدى به الى منزلة المعرى وبشار وملتون ، وسرعان ما استحالت هذه الحرمة الى عكسها يوم قذف بتلك القنبلة التى تناثرت شظاياها فى انحاء البلاد الضادية واحدثت هذا الدوى الهائل . أجل قرأت كتابه المملوء سما ناقعا وهو الأدب الجاهلى فبان لى طه حسين رجلا مغرضا هداما يريد الشهرة ويحلق وراءها فى فضاء الحياة فحجبته عنه انواره وقد ظهر لى انالرجل يراوغ روغانا فلا هو بالصريح ولا هو بالمتكتم، واذا كان قد طوى فى الطبعة الجديدة بعض الخزى الذى كان فى الطبعة القديمة كزعمه أن ما ورد فى القرآن عن ابراهيم واسماعيل هو أسطورة فان فى الطبعة الجديدة من العداء للاسلام والعرب ومن السفسطة المستورة والمكشوفة شيئا كثيرا . أراد أن يستدل على أن الشعر الجاهلى مكذوب وأن المسلمين اخترعوه فأخذ يبحث عن ادلة فرأى أن العرب أمة جود وكرم فأراد أن ينفى ذلك عن مجموع تلك الأمة فاستدل على انها غير جوادة ولا كريمة لقوله تعالى : « **ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » والطفل الصغير لا يخطر على باله أن هذه الآية تنفى عن تلك الأمة الكريمة فضيلة الجود والكرم الخالدة بخلود شعرها وبيانها . وما غاظنى بعد ذلك كما غاظنى انكاره وقمة كليب وجساس وجليلة ولعمرى ما أراد بذلك الا القضاء على فضيلة يفخر بها أبناء هذا العصر من العرب ، ومن راجع هذا العصر علم أن مغزاها الوحيد هو حفظ الجوار وقد كان من أخزى الأمور نكران هذه المكرمة بلا دليل

او برهان جلى أو حجة ناصــعة والكتاب مشــحون بالاغلاط والفضائح التى لا تدل على سلامة نية كاتبها ..

(٥)

وتصدت الفتح لشبهات أخرى أثارها الدكتور طه حسين عند مقارنته بين العلم والدين .

قالت : أثار طه حسين قصة جديدة : هى قصة الدين والعلم فزعم أن العلم لا يثبت وجود الله وان ما لا يثبته العلم لا يسوغ اعتقاده ، ولا يمكن الجزم به ورد على ذلك عبد الباقى سرور فقال : ان وجود الله تشــهد به الدلائل الكونيــة ، فالموجــودات من قبــل فاعــل قاض لذلك مريد له اذ من المستحيل أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق .

وكتب الشيخ محمــد عرفة (الفتح م ١ — ١٣ يناير ١٩٢٧) يقول : منهج الدكتور فى البحث ضلالات ومغالطات ، ليس يسلك هذا المنهج الا الذين لم يتمرســوا بصناعة المنطق ، ولم يمرنوا على صناعة البرهان وكانوا سطحيين فى نجدتهم ولم يتعمقوا الى الغور وعرضنا فى أمور ثلاثة :

أولها : أن تسقط دعوى الدكتور طه بأن ما سلكه فى البحث منهــج علمى حديث وانه بذلك يحشر نفسه فى زمرة العلماء حشرا فى عداد المخترعين والمفكرين ، وليس يعلم الا الله ما ينال هؤلاء العلماء من الأذى فى مضاجعهم بانتساب الدكتور اليهم .

ثانيا : أن أحمى شباب مصر من عدوى ذلك المنهج ومن أن يتابعوا الدكتور فى طريقه الفكرى فان مستوى البحث فى مصر لما ينتج بعد .

ثالثــا : أن يعلم الذين يؤمنون بالاسلام فى مصر أن دينهم لم يصادمه علم ولا عقل وحاشا الاسلام أن يصادمه علم أو عقل،وان كان ثم لم يصادمه فليس العلم والعقل وانما هو الجهل المخزى والباطل الشائن .

وليس يدخل فى عرضى أن يقتنع الدكتور طه حسين فانه ليس ممن يرجى منهم اقتناع .

وأشار الى مقاله عن العلم والدين ، قال : ذكر أن بين العلم والدين تناقضات فى أمور منها خلق الانسان وصورته ومادته وخلق الســـموات

والأرض وذكر أن العلم يخالف الدين فى هذين الأمرين وغيرهما خلافا لا يمكن معه أن يتفقا الا ان ينزل احدهما للآخر عن شخصه . وذكر أن العلم يتناول الدين بالبحث والنقد والتحليل ويرى الدين ظاهرة كاللغة واللباس لم ينزل من السماء ولم يهبط من الوحى وانما خرج من الأرض .

وقد كتب الشيخ محمد عرفة وعبد الباقى سرور نعيم مفندين فكرة الدكتور طه وكاشفين عن ان العلم التجريبى والدين لا تنافر بينهما ولا تنازع واما هذه النظريات الفلسفية التى هى عبارة عن فروض يراد خداع الناس بتسميتها باسم العلم فانها ليست علما فى الحقيقة . وان هذا التوسع فى اطلاق اسم العلم على الآراء الالحادية لبعض أصحاب النبات الفاسدة فانه يتنافر مع الدين لأنه ينقصه ويبطله ، ولأن الدين ينهى عن اتباع مثل هذا النوع من الوهم والضلال .

(٦)

ومن مطاعنه ما كتبه فى مجلة الحديث (حلب) يتذمر من النص الموجود فى الدستور المصرى على ان دين الدولة الرسمى هو الاسلام ويذكر ما لحق الالحاد من ضرر بسبب هذا النص الذى جعل رجال الدين يحرصون على ان يكون معمولا به ، وقال : ان دستورنا قد نص فى صراحة على أن الاسلام دين الدولة ، وكان هذا النص مصدر فرقة ، لا نقول بين المسلمين وغير المسلمين من أهل مصر ، فقد رضيت القلة المسيحية وغير المسيحية هذا النص ، ولم تر فيه مضاضة او خطرا وانما نقول انه كان مصدر فرقة بين المسلمين أنفسهم فهم لم يفهموه على وجه واحد ولم يتفقوا على تحقيق النتائج .

وأشار الى بيان اقرار هذا النص فى الدستور والاعتراض على وجوده وزعم أن القصد منه هو الاحتفال بالمحمل وعدم اغلاق المساجد .

(٧)

ومن شبهاته ما أثاره حول زعمه ان القسم المكى من القرآن يمتاز بالهروب من المناقشة وأن القسم المدنى قد ارتقى ارتقاء فجائيا لاتصال النبى بالبيئة اليهودية فى المدينة وان القسم المكى يمتاز بميزات الأوساط

المنحطة بالعنف والقسوة والسباب والتهديد . اما القسم المدنى فهادىء وديع مسالم . وان القسم المكى يمتاز بتقطع الفكرة واقتصار المعانى وقص الآيات والخلو التام من التشريع والقوانين وان القسم المدنى على خلاف ذلك .

وقد نقض الشيخ محمد عرفة هذه الشبهات جميعا ورد عليها الكثيرون وزيفوها .

وكان رد الفتح فى هذه القضايا بالغ الأهمية فقد وجدت صحافة اسلامية (المنار والفتح) تواجه هذا التيار التغريبى بقوة وظهر مجموعة من الكتاب يردون عنه وينقدون آراءه فى مقدمتهم محمد أحمد الغمراوى ، مصطفى صادق الرافعى ، عبد الباقى سرور نعيم ، محمد على غريب محمد محمود الخضيرى الذى زيف انتسابه الى ديكارت ، وكانت جريدة السياسة هى التى تحمل لواء هذه الحملة التغريبية وتدافع عن على عبد الرازق وطه حسين .

(٨)

ولم يتوقف طه حسين عن بث سمومه فقد ذهب الى المدرسة اليهودية و الاسكندرية واشاد بدور كاذب لليهود ، فى الأدب العربى .

وفى مؤتمر المستشرقين الثامن عشر (١٩٣١ — ١٩٣٢) تحدث عن تأثير بيان اليونان فى البيان العربى وذهب الى اضاليله فى اخضاع البيان العربى لليونان وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بمحاضرات قيمة نشرها فى مجلة الهداية (مجلد ١٣٥٠ هـ) .

وحين يقول طه حسين فى محاضراته فى المدرسة اليهودية (السياسة ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨) : ولكن سائر العرب أسلموا اما رغبة أو اما رهبة خوف السيف أو محبة المال حتى كان الرسول يتألف القلوب بالمال ، فانه لا يتعدى أن يردد ما نشره المبشرون وما أذاعوه من أكاذيب حول انتشار الاسلام بالسيف وأن الناس أسلموا خوفا على حياتهم .

(٩)

وقد صدق زميل دربه الدكتور زكى مبارك الذى رافقه فى مطالع حياته الادبية حين قال عنه (م ١١ الفتح — ١٩٣٨) : انى اراه قليل الصلاحية للاستاذية فى الأدب العـربى لان اطلاعه على الادب اطلاع ضئيل جـدا ويعرف انى اشهد له بالبراعة فى تاليف الحكايات ، ومن العجب أن يكون طه حسين استاذ الأدب العربى فى الجامعة وهو لم يقرأ غير فصول من كتاب الاغانى وفصول من سيرة ابن هشام .

وهذا هو الرأى الذى أبداه الأستاذ حسن البنا قبـل ذلك بسنوات طـوال .

وكتب زكى مبارك فيما نقله الفتح (م ١٠ — ١٩٣٥) ان طه حسين شعوبى مقلد ولكنه متقلب حائر ، يختطف كل ما يراه فى طريقه من الآراء لاسيما الآراء التى تصـله من بلد بعيد ، فهو اليوم تلميذ فلان وغـدا تلميذ علان وكان بالأمس تلميذ ترتان ونستطيع أن نجزم بأنه لا يتشـيع لأية فكرة الا وهو فيها تبع لشخصية يتوهم أنها مستورة عن الناس .

(١٠)

وقد وجد طه حسين دائما من يزيف آراءه المسمومة ويكشف وجهة نظره المبطلة .

وعندما ألقى محاضرته (الغذاء العقلى والروحى للشباب) واجهـه محمود محمـد شاكر (م ١٤ الفتح — ١٩٤١) قال : اذا أردنا أن نجعـل النظام الاجتماعى الاسلامى فى العمـل والتشريع والسياسة هو النظـام فمن الخطأ الذاهب فى الفساد أن نخضعه لتطور مدنية أخرى قد بنى اجتماعها على المسيحية فى التشريع والسياسة والأخلاق فمصر والشرق الاسلامى اذا أراد أن يستعد وينهض فلابد أن يستمد نهضته من أصول الاجتمـاع الذى يربطه به التاريخ والدم والوطن واللسان والدين والوراثة واذا ساير فانما يساير فى فكره النهضة والحضارة والمدنيـة الاسلامية على الطريق الذى يوافق طبيعة هـذا الاجتماع ، أما المدنيـة الحديثة فقد بنيت على غير ذلك ، وقد تطورت على أصوله ، ولقد قال جورج الخامس ملك بريطانيا

(ديسمبر ١٩٣٩) : انى أؤمن من أعماق قلبى بأن القضية التى تربط شعوبنا معا وتربطنا بحلفائنا المخلصين الأمجاد هى قضية المدنية المسيحية وليس ثم قاعدة أخرى يمكن تبنى عليها مدنية صحيحة .

وكلام الملك جورج هو أدق التصوير لحقيقة الحضارة الأوربية فى نظر كل باحث نصرانى او يهودى أو مسلم فاذا أردنا أن نتابع تطور هذا الضرب من المدنية بتبديل اجتماعنا الذى دعا اليه الدكتور طه فى حديثه ليطابقه فكأنما ندعو الى تنصير الاسلام ، والعجب ان يذكر الدكتور طه الحضارة الأوربية الحديثة فلا يدعو الى الأخذ بشىء فيما فيها دعوة صريحة الا فى الذى يتصل بالخلق . الا أن أخلاق المدنية الأوربية قد استعلنت جميعها فى هذا البغى المتفجر فى الحرب ، واذا أردنا أن نأخذ — اى أن نقلد — فلنأخذ من تاريخنا ومن ديننا ومن أخلاق رجالنا .

* * *

وأولى طه حسين اهتماما بالغا بالفرعونية مقال فى محاضرته : (م ١٤ الفتح) .

من حق مصر أن تعنى بالفن الفرعونى كالتصوير والتمثيل وغيرهما فتحييه وتيسره وتلقنه لأبنائها وشبابها ، وفى الحضارة الاسلامية أمور كثيرة يمكننا أن نقيسها ونهذبها ونأخذ منها ما يوافق أذواقنا ومقتضيات عصرنا . ان الذين يستنكرون الأخذ بحضارة أوربا أناس يكذبون على أنفسهم لأنهم يستفيدون من ثمار هذه الحضارة فاستنكارهم لحضارة أوربا مع استفادتهم من ثمراتها يعد من النفاق .

وعلق السيد محب الدين الخطيب على هذه الوجهة فقال :

يريد الدكتور طه أن تأخذ مصر من حضارة الفراعنة شيئا وأن تدع أشياء وأن تأخذ من حضارة العرب والاسلام شيئا وأن تدع أشياء ، أما حضارة أوربا فهى عنده كل لا يتجزأ ويجب أن تبدأ منها بالخلق والغذاء الروحى فنربى ناشئتنا عليه واذا ذكره أهل الذكر ورثته مصر من تراث الاسلام ما يكفيها من ناحية الخلق وغذاء الروح وانها انما تحتاج من أوربا الى العلوم التى تتقدم بها الصناعات وتضطلع بأسباب القوة قال لهم : انكم منافقون .

ان الخلاف القديم بين الدكتور طه حسين وبين جميع الذين عارضوه منذ بضعة عشر عاما الى الآن يدور حول هذه النقطة . وهو يريد أن يكون النشء الاسلامى كالنشء الأوربى فى كل شىء ، ثم يتحلى بمظاهر من حضارة الفراعنة وحضارة الاسلام والذين عارضوه يريدون أن يكون نشئنا نشأ اسلاميا وأن يتحلى بعلوم اوربا التى يتوقف علمها أسباب القوة والتقدم العلمى والاقتصادى والعمرانى .

وهو يرى ان الحضارة الأوربية كل لا يجوز ان يتجزأ ويجب ان نبدأ منه بالغذاء الروحى ومعارضوه يرون أن المعارف تراث انسانى ليس خاصا بالغرب . دون الشرق ، ولأوربا دون آسيا وأفريقيا ، وكما أخذت الحضارة الاسلامية من معارف اليونان أو غيرها من الأمم القديمة وبقيت أسلامية . وكما أخذت أوربا من معارف المسلمين وبقيت غربية مسيحية ، كذلك نحن فى هذا العصر يجب أن نأخذ هذا العلم العالمى المشاع الذى هو تراث الانسانية فنستفيد منه ونقوى ونبقى مع ذلك عربا شرقيين مسلمين والغذاء الروحى فى الاسلام أنقى وامتع من الغذاء الروحى فى الغرب وان فى غذاء أوربا الروحى ما تمنى الاستاذ هكسلى أن يكتسحه مذنب عظيم فيريح الانسانية من شروره .

مستقبل الثقافة

ولا أظن أن كتابا أثار نقدا شديدا بعد كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين كما أثاره كتاب مستقبل الثقافة الذى يدعو فيه أن ننصهر فى الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب ، وقد ألقى الاستاذ حسن البنا محاضرة فى نقد هذا الكتاب فى جمعية الشبان المسلمين ولخصت الفتح بعض ما جاء بها (م ١٤ — ١٩٤١) .

قال : أن تاريخ كل أمة يكسبها آخر الأمر مزاجا خاصا لا فكاك لها منه وقد ظلت مصر أربعة عشر قرنا اسلامية التاريخ والسياسة والمجتمع والثقافة الى أن جاءت نظم التربية الحديثة فأرادت ان تنتزع منها هذا اللون المميز لتميل بمزاجها الى الشيوع فى جميع الثقافات الأخرى ، ولما كانت التربية الاسلامية على ضوء المنطق وصوت العلم الحديث تشتمل فى جميع أحكامها ومنابعها الثقافية والاجتماعية على جميع عناصر التربية

الكاملة اصبح لزاما انه تخلص من هذا الخلط فى سياستها التعليمية وان تشرع فى ايجاد سياسة جديدة أساسها هذا المزاج الاسلامى ودعامتها هذا الروح الاسلامى . وللمزاج الاسلامى قابليته الفريدة من نوعها لكل تطور واحتفالها بالعلم وتقديسه ، لا تقبل العقلية المصرية البديل على طابعها الاسلامى من حيث المزاج والتصور ولا فرق فى ذلك بين المتدين من المصريين وغير المتدين . ان مصر بتاريخها الاسلامى الباهر تدحض كل زعم بتأثرها بغير هذه العقلية ولعل تاريخها الحديث ونهضتها الحاضرة بين الأمم التى قامت على دعامة من فكرها الاسلامى وثقافتها الاسلامية خير دليل لمن يريدون الميل بها عن الينبوع الذى استمدت منه مئات السنين مادة قوتها وتماسكها واشراقها الخاص بين دول الشرق والغرب .

الفصل السابع

الفـرق الضـــــالة

واجهت الفتح فى قوة واصالة الفرق الضالة التى كانت تعمل فى مختلف أجزاء العالم الاســـــلامى فى هذه الفترة (١٩٢٧ ــ ١٩٤٧) وفى مقدمتهـــا البهائية والقاديانية فمنذ المجلد الأول ، بدأت هذه المتابعة اليقظة لكشـــف زيف هذه الدعوات فقالت الفتح : هذه النحلة من ولائد الباطنية تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ثم اخترعت لنفســـــها صورة من الباطل وخرجت تزعم انها وحى سماوى ، تقوم دعوة الباطنية على ابطـــال الشريعة الاسلامية ، أصلها طائفة من المجوس راموا عند شـــــوكة الاسلام بتأويل الشريعة على وجوه تعود الى قواعد اســـــلافهم ، وقالوا لا سبيل الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واســـتيلائهم على الممالك ولكننا نحتال بتأويل شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ويستدرج الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم وعمدوا الى امرين :

(١) التشكيك فى أصول الدين، (٢) اسقاط الأعمال البدنية وتظاهر هؤلاء بأنهم من شـــــيعة اهل البيت وهم لا يؤمنون بنبى من الأنبياء ، ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من أدعى النبوة ، ومنهم فرقة كفرقة الاسماعيلية ، وقالوا بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، والف الغـــزالى فى الرد عليهم (فضائح الباطنية) ولابى بكر بن العربى مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها فى كتابه (العواصم من القواصم) وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض فرقهم فى بعض مؤلفاته والباطنية يستدلون بكلام النبوة ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه .

ودعاة هذا المذهب قد استهووا فريقا من أبناء المسلمين ، واصـــبحوا يدعون الى مذهبهم فى النوادى والصـــــحف والفوا كتبا تقع فى أيدى بعض الشـــــبان وقد نهجوا مقتفين أثر اخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل

ليدخلوا منه الى العبث فى تفسير القرآن والحديث وصرفهما عما يراد بهما .

وتحدث الفتح عن مجموعة كبيرة من الفرق منهم الاسماعيلية ، والبكتاشية واليزيدية :

قال عن الاسماعيلية أن مؤسسها ميمون بن ديصان وابنه عبد الله بن ميمون القداح ، أسلاف اغا خان من عهد الحسن بن الصباح شيخ الجبل ، لا يجرءون على دعوى الألوهية ، بل ولم يكونوا يجرؤون على انكار القرآن ومنهم من كانوا يقولون أن باطن القرآن غير ظاهره .

وجاء أغا خان يكلف الاسماعيلية بأن يعبدوه باعتباره الههم ، بينما هم ينظرون اليه فيرونه عبدا لحاكم الهند البريطانى ويزعم أنه يعمل كتابا كالقرآن فى ست سنين ، وقد أسرف أغا خان فى ارهاقهم واستعبادهم وابتزاز أموالهم ، وقد تنبه الخوجات الذين يمثلون اهل الفضل وتشجعوا اخيرا وخرجوا فى وجه صاحب السمو بكتاب مفتوح هو الأول من نوعه منذ احد عشر قرنا « ان أنصاركم هم فى الظاهر من الطوائف الاسلامية ولكن المبادىء التى تسربت اليهم الآن انتهكت حرمة الأركان الاسلامية الجوهرية وقد جاء هذا من الاختلاط القديم بالطوائف التى أشرنا اليها ، ومن البديهى أن الاسلام يوجب على معتنقيه أن يعتقدوا باله واحد ويؤدوا ما فرض عليهم من صلاة وصوم وحج فكيف يستطيع انصاركم ان يعملوا بالوصية الأولى الهامة فى حين أن مرسليكم ينادون فى الناس أن سموكم الاله القدير الذى يجب أن تقدم اليه كل عبادة وصلاة .

الفرقان الذى وجهتموه الى أنصاركم منذ بضع سنين وفحواه ان القرآن الحالى ليس صحيحا ، اخواننا الفقراء يرغمون على أن يعطوا نصف دخلهم لله فى شخص سموكم وتدفع أهل كراتشى وحدهم ٢٠ الف روبية ...

وهناك فصل مطول فى الفتح عن الاسماعيلية والباطنية (م ١٠ ، ٨٠٦ ، ٨١٦ — ١٩٣٧) من شاء فليرجع اليه .

كذلك اولت الفتح اهتمامها بالطريقة البكتاشية للغموض الشديد الذى احيط بها ولعل كشف هذه الحقائق يمكن أن يلقى الضوء على الخطة التى كان يسير عليها أمثال احمد رامى فى عمله لاشاعة اغانى الحب والعامية ومن ذلك اهتمامه بشعر عمر الخيام . ففي الفتح م ١١ (١٩٣٨ — ص ٦٩٢)

يتحدث سليمان عبد الرحمن عن هذه الطريقة ويقول انها طريقـــة باطنية ويرمى كثير من رجالها بالاباحية الفها احمد سرى باشا الأشمى، هذه الطريقة فرع من فروع الرافضة الباطنية التى اتخذت من الأناضول فى العصـــور الغابرة مرتعا خصيبا لبث روح الضلالة وبذر بذور التواكل والمسكنة والذلة والاباحية بين اتباعها من شرب الخمر ، والتوقيع على الأناشيد المقيتة ، وفى البكتاشية مذاهب متطرفة على درجة كبيرة من الاباحية واطفاء الشموع فى ليالى خاصة حيث تكون الساحة حافلة بالرجال والنساء فيخلع الكل العذار تحت جنح الظلام .

وبين البكتاشية ومذاهب الأرثوذكس فى النصرانية شىء من المشابهة، يقولون أن الله وعليا ومحمد شىء واحد ويحضرون الألوهية فيهم جميعـــا ، وهم يعتقدون بعقيدة التناســـخ فيقولون ان ارواح الحواريين الاثنى عشر لسيدنا المسيح تناسخت بعد الاسلام فى ارواح الأئمة الاثنى عشر وآخرهم محمد المهدى بن الحسن العسكرى ..

وتحدث الفتح عن اليزيدية (عبدة الشـــيطان) ومحـــاولة دعاة البروتستانتية والكاثولوكية استمالة بعض افرادهم وكانوا قد طالبـــوا الى الدولة العثمانية ١٢٨٩ اعفاءهم من الخدمة العسكرية لأن ديانتهم تمنعهـــم من الاختلاط بغيرهم فى الأكل والشرب والملبس .

القاديانيـــة ...

أما نحلة القاديانية فقد كانت موضع اهتمام كبير على صفحات الفتح حيث كان دعاتها يشرعون اسهمهم المسمومة فى وجوه المسلمين فى قارة الهند وفى غيرها وكان لها أولياء فى مصر هداهم الله وكشف عنهم الغمامة فأصبحوا جنودا للاسلام يحاربونها ويكشفون زيفها وفى مقدمتهم الدكتور السيد احمد الشريف وعبد الحميد الســـيد . ويمكن القول بأن المجلد الرابع عشر من الفتح (١٩٤١) قد حوى تفاصيل واسعة وأحاديث متصلة ورســـائل هامة من الهند .

ومنذ المجلد الخامس (١٩٣٣) وقد بدأت الفتح تكشف من القاديانية واضاليلها « ادعى ميرزا غلام احمد النبوة وأنه هو المسيح الموعود ، وبعد

أن أدعى النبوة وانه اوحى اليه من الله تعالى بدأ يدعو الناس لأتباعه فلم يعدم أنصارا بسبب الجهل من جهة وبفضل أولياء أمره وأمر تابعيه من جهة ثانية وقد تمكن من ايجاد جماعة سماها الأحمدية يقولون باستمرار النبوة غير التشريعية وبعدم انقطاع الوحى » .

وقد كتب (مسعود الندوى) من لكنو بالهند بكشف ما اخفاه الاحمدية من أنهم فرقة مختلفة عن القاديانية فقال : (م ٧) :

«مما لا ريب فيه أن الأحمدية القاديانية التى رئيسها الميرزا بشير الدين محمود هم من نحلة الكذاب الميرزا غلام احمد (والأحمدية اللاهورية ، واليها ينتمى الخواجة كمال الدين السيد عبد المجيد امام مسجد ووكنج وغيرها التى يرأسها محمد على اللاهورى (والذى ترجم القرآن فأفسد الترجمة) كلاهما متحدة فى المبدأ والغاية وان تظاهر اصحاب التالد الذكر بالبراءة من اعمال الاحمدية القاديانية .

سؤال جريدة النور : لسان الاحمدية اللاهورية :

س : أى فرق بينكم وبين القاديانية الأحمدية فى الفكر ؟.

ج : اخواننا القاديانيون يعتقدون بنبوة مؤسس هذه الحركة اى الأحمدية ويكفرون الذين لا يتلقون نبوته بالقبول ونحن نعتقد انه مجدد مصلح اتى لخدمة الاسلام ونفخ روح الحياة فى جيل عصره المنحط وكل من يقول لا اله الا الله نرى أنه مسلم غير مبالين باعتقاداته الفرعية الخاصة » .

وقد أشارت الفتح الى الدعاية القاديانية فى مصر ، ورصد مبلغ من المال لصرفه على الديانة وانهم دفعوا لمجلة معروفة تنشر الآراء الشاذة .

وقد دعا الى مقاومتهم والتحذير من دعايتهم الشيخ محمد الخضر حسين وكشف عن خطر دعوة جماعة لاهور التى تعلن ان غلام احمد مصلح ومجدد لا دينى فقطن الناس أنهم دعاة للاسلام بحق وربما اثنوا على سعيهم وعاتبوا من يكتب فى تحذير المسلمين من أباطيلهم ، وهدفهم صرف الناس الى الاعتقاد برسالة غلام احمد وما يتبعها من ضلالات ،

وقد بعثوا بدعاتهم الى سوريا وفلسطين ومصر وجـــدة والعراق ، وقد وجدت دعايتهم صدى ؛ ونحذر من هـــذه الطائفة حذرنا من الطائفـــة البهائيـــة .

وكتب السيد محب الدين الخطيب تحت عنوان :

« **القاديانية دين يخالف دين المسلمين** » .

تصـــدي للرد على من يحاول التأثير على المسلمين ويلبس عليهم دينهم .

وقال : ان الذى عليه القاديانية هو أن مجنونهم السخيف غلام أحمد مسيح محمدى ، كما أن عيسى بن مريم مسيح موسوى ، ويقولون عن دجالهم انه ما جاء لينقص الاسلام بل يكمله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« سيكون فى امتى ثلاثون كذابا كلهم يدعى أنه نبى وأنا خاتم النبيين ولا نبى بعـــدى » .

انتم أيها القاديانيون لستم مسلمين لأنكم تكذبون أقوالا ثابتة عن نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم مع علمكم اليقينى أنها خرجت من فمه الشريف ، اسلامنا مبنى على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه فيما جاء به واسلامكم مبنى على مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه فيما جاء به .

وقال الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامى : ان هذه الفئة فتحوا لهم مركزا فى شارع محمد على توشك اذا التف بعض الزعانف حولهم أن تأخذ رجال الدين الاسلامى فى الاجماع بهم للدفاع عن الاسلام .

وقال شكيب ارســـلان انه دجال من كبار الدجالين وهو من جملة المتنبئين الكاذبين ليحصل له الرئاسة .

وكتب محمد تقى الدين الهلال (م ٧ الفتح) : تحت عنوان القاديانيون بعض ما لهم وما عليهم ، قال :

هل يستفيد الاسلام من الحركة القاديانية ؟ وجوابى ان الاســـلام يستفيد وينتصر في وقتٍ واحد من أعمال هذه الفرقة ، أما ضرره فمن العقائد

الباطلة التى ينشرونها ، أما نفعه واستفادته فلأن أهــل أوربا وأمريكا وكثير من أهل الشرق غير المسلمين لا يعرفون من دين الاسلام وسيرة النبى الا أساطير خلقها تعصب القسيسين الأعمى ورددتهــا الحروب الصليبية التى لا تزال آثارها تهدم صرح الاسلام حتى الآن ولا ينبغى أن نهمل حركة القاديانيين بأن نتبعها باهتمام فنقر منها ما كان حقا ونهدم ما كان باطلا »

ويبدو أن الأستاذ الهلالى كان فى هذه المرحلة حسن الظن بدورهم فى نشر الاســـلام فى أوربا وأفريقيا ولكن الكتابات توالت فى الفتح تنقض خططهم وتكشف زيفهم وكان مقال الشيخ محمد الخضر حسين الذى انتشر من بعد من أهم المراجع فى كشف حقيقتها التاريخيـــة كذلك فان جماعة فى مصر من الشباب المثقف فى مقدمتهم (عبد الحميد السيد) قد استطاع السيد محب الدين الخطيب اطلاعهم على المرامى الخطيرة وراء القاديانية وخاصة فى المرحلة الثانية التى تصدرها محمد على اللاهورى والتى ادعى أصحابها أنهم أحمديون وليسوا قاديانيون فانصرفوا عنهــا وحاربوها حربا عنيفة ومن ذلك ما كتبه (م ١٤) تحت عنوان :

« محمد على اللاهورى : والدور الذى يمثله فى العالم الاسلامى » .

جاء فيه أن ترجمة القرآن التى كتبها اللاهورى تخالف مفاهيم القرآن فى موضعين :

١ — ادعى امكان نزول الوحى على غير الأنبياء عليهم الســـلام .

٢ — أنكر معجزة شق القمر .

هــذا فضلا عن أنه انتهز فرصة ترجمة القرآن باللغـــة الانجليزية ليدخل فيها مفاهيم العقائد القاديانية فى مواضع كثيرة بذكاء ومكر شديدين وقال ان جماعة الأحمـــدية اللاهورية يقولون للمسلمين ما لا يعتقـــدون ويظهرون لهم ما لا يبطنون ، وهم فى نفس الأمر متفقـــون مع القاديانيين الغلاة فى جميع عقائدهم الفاسدة فقالوا انهم يؤمنون بأن المسيح الموعود والمهدى المعهود هو المرزا غلام أحمد القاديانى وهم يؤمنون بأن المسيح الموعود القاديانى كان رســـولا صادقا ونبى زمنه بعث لهداية الدنيــا . ولكن محمد على اللاهورى عندما يتوجه الى عامة المسلمين يتظاهر باتهام

جديد لتلبيس الأمر عليهم فيقول انهم يعتقدون ان المسيح الموعود معهود اليه ومأمور من الله وملهم ومجدد ومحدث وامام زمانه غاية ما يعتقد انه نبى وبر وراى ولا تقول انه نبى كامل وصاحب شرع جديد .

ويقول ابو الحسنات محمد محيى الدين الهندى : ونحن معشر مسلمى الهند قد اختبرنا دسائس الجماعة وجاهدنا حق الجهـــاد فى صدها ولكنا تحت استعمار الانجليز بعد أن كنا نملك الهند كلها فأصبحنا لا ناقة لنـــا فى الحكم ولا جمل لذلك لا توجد فى يدنا القوة لقمع هـــذه النحلة فى اصلها بعد أن رفعنا منذ عهد بعيد راية الاسلام وعلم الفتح فى جميع أنحاء الهند .

وقد كشف عبد الحميد السيد أضاليل محمد على اللاهورى فى تفسيره للقـــرآن .

فقد قال عن الآية (**واطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم**) قال : ان القرآن لا يمنع المسلم من اطاعة الحاكم غـــير المسلم ، هـــذا ما كتبه خوجة كمال الدين اللاهورى عن مركز الانجليز فى الهند وخطته فى ضرورة الاخلاص والولاء للحكم البريطانى دواما ثم تأويله آيات الجهاد فى القرآن وآيات الحكم والتشريع مخالفا بذلك ما فقهه المسلمون من عهد محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هـــذا .

لقد كان خوجة كمال الدين هو المدافع الأكبر عن ترهات غلام احمد فى حياته والمساعد الأيمن لمحمد على اللاهورى والناشر لآرائهما فى انجلترا وسواها من البلاد .

وأشار الى قول المبشرين الأوربيين للمسلمين : كيف لا تعتقدون بالوهية المسيح وقرآنكم يقرر انه ولد من غير اب ، لقد رد القرآن على هذا فقال : (**ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقـــه من تراب ثم قال له كن فيكون**) وعلى المسلمين الاذعان لحكم القرآن والتمسك بالرد الحاسم القاطع المعجز الذى ذكره اليه (تبارك وتعالى) فى كتابه ولا يتراجع امام النصارى والمبشرين ويقرر عقائد ليست من الاسلام فى شىء .

كذلك فقد أشارت الفتح الى نشاط الأحمدية والقاديانية فى بريطانيا وانشاء مسجد ووكنج حيث كان امثال خواجة كمال الدين وغيره فقالت :

هنــاك شبهة دعوة الأحمديين فى انجلترا الى الاحمدية تحت ســتار الدعوة الى الاسلام ؛ وأشارت الى المجلة الاسلامية الانجليزية التى يحررها خوجة كمال الدين امام مســجد ووكنج وزعيم المبشرين الاسلاميين هنــاك والذى اعتنق بواسطة الدكتور خالد شلدريك الاسلام ، ومن بينهم لورد هدلى وكانت المرحومة ملكة بهوبال هى التى انشأت مسجد ووكنج ووالدها صديق حسن خان ملك بهوبال من أكبر علماء الســنة ، والمسجد الجــديد دفع له اللورد هدلى ستون ألفا من الجنيهات لشراء ارض المسجد .

وقد دعاهم الســيد محب الدين الخطيب الى ان يعلنوا تبرئهم كتابة من غــلام أحمد القاديانى .

ومن المعروف أن جريدة الأهرام — وغيرها من الصحف — كانت تؤيد دعواهم وتنشر فصولا فى الدفاع عنهم (بعنوان الأحمدية وعقائدهم) بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٣٣ وما بعدها تحاول الاستدلال على بعض عقائدهم بتفسير المنار وبكلام بعض الصوفية وقد رد السيد رشيد رضا على هــذا الزيف وهكذا قامت فى الفتح عصبة كريمة فى مواجهة هذا الخطر الذى كان يزحف زحفا شديدا فى هذه الفترة على البــلاد العربية حيث يوجد فى المجلد ١٤ (عام ١٩٤٠ — ١٩٤١) تفاصيل واســعة وأحاديث مفصلة عن المســيح الدجال غلام القاديانى وبين أحمدية لاهور وأحمدية قاديان ، والنبوة والوحى والدعاية اللاهورية ورسائل عديدة من أهل الغيرة على الاسلام من الهند وغــيرها نشرت مفصلة فى الفتح وكان الدكتور السيد أحمــد الشريف وعبد الحميد السيد هما اللذان فضــحا النحلة القاديانية فى مصر وكشــفا زيفها وقد كتبا مفصلا فى جريدة وادى النيل (الاسكندرية) ومجلة الفتح .

وقد نبه الرجلان الأمة المصرية الى خطر هؤلاء الدعاة وكان بعض دعاتهم قد مر بالقاهرة ، فكتب الشريف عدة مقالات كان لها الفضل العظيم فى ايقاظ المسلمين مما جعل أذناب الاستعمار يتراجعون الى الوراء وحوت مقالاته معلومات فريدة عن الخدمات الستعمارية التى اداها غــلام أحمــد

القاديانى (المتنبىء الكذاب) واذنابه من بعــده ســواء كانوا قاديانيين أو لاهوريين .

وقال انهم يقولون : ان من يرفع السيف فى وجــه بريطانيــا حرام وكذلك الجهــاد (م ١٣ — ١٩٣٩) .

وقد كان التركيز واضحا على أن الأحمدية مثل القاديانية كلاهما مذهب اقحم على الدين الاسلامى فى هذا العصر اقحاما ، وانتج الشر بين المسلمين فى غير جانب من جوانب الأرض والذين يدعون لهذين المذهبين هم من انشط الدعاة يجمعون الى الالحاح على الدعوة ضروبا من البراعة التى تستأهل كبحها وازاحة أثرها من الجماهير وقد تمكنوا من تركيز دعايتهم بين جمهرة المسلمين فى انجلترا والمانيا وامريكا وامويتيــا عن طريق انشاء المساجد وبعث البعوث .

الباب الثالث

قضايا العالم الإسلامى الكبرى

(١٩٢٧ — ١٩٤٧)

الفصل الأول : تطويق العالم الاسلامى وهدم الوحدة الاسلامية

الفصل الثانى : تغريب تركيا وسقوط الخلافة

الفصل الثالث : قضية فلسطين والصيهونية

الفصل الرابع : قضايا شمال افريقيا (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)

الفصل الخامس : قصة مسلمى الهند وقيام باكستان

الفصل السادس : مسلمو أندونيسيا .

الفصل الأول

تطويق العـــالم الاسلامى وهدم الوحدة الاسلامية

لا ريب أن قضايا العالم الاسلامى فى حياة مجلة الفتح (١٩٢٧ ـ ١٩٤٧) كانت تمر بأخطر مراحلها بين نهاية الحرب العالمية الاولى وخلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وكان أعظم ما تمخضت عنه الحرب الاولى هو تمزيق الدولة العثمانية والقضاء على الوحـــدة بين الترك والعرب ، ثم سقوط الخلافة الاسلامية الذى كان من أخطر الاحداث التى زلزلت كيان الأقطار العربية وعرضتها للغزو الاستعمارى والعثمانى على السواء ، وقد ظهرت الفتح عام ١٩٢٧ فى ابان الخطر الذى نشأ من اسقاط الخلافة وتمزيق الدولة العثمانية وتغريب تركيا وتحولها عن الاسلام الى الغرب ، وتصديرها هذا التغريب الى البلاد الاسلامية والعربية وفى مقدمتها مصر ثم كانت قضية فلسطين التى بدأت تظهر ملامحهـــا الخطيرة بعـــد تطبيق وعد بلفور على فلسطين وكيف بدأت القوى الصهيونية فى انتزاع فلسطين من أبنائها وتداعى العرب بعـــد سقوط الخلافة الى وحده عربية لمقاومة الخطر ، وكيف اتسع خطر التغريب الى ايران وأفغانستان ، كما برزت خطة التبشير الواسعة التى حملت لوائهـــا الفاتيكان والتى وصلت الى القـــاهرة عن طريق جمعية الشبان المسيحية والجامعة الأمريكية وبروز جمعيات اسلامية كثيرة لمقاومة الخطر فى مقدمتها الشبان والاخوان والهدى الاسلامى وغيرها وفى نفس الوقت بدأت أقطار المغرب العربى (ليبيا) الواقعـــة تحت نفوذ ايطاليا والأقطار الثلاثة الواقعـــة تحت نفوذ فرنسا (تونس والجزائر ومراكش) وكانت أخطر المجاهدات هى جهاد الجزائر التى كانت فرنسا تعتبرها جزءا منها وتنص فى دستورها على أنها بمثابة فرنسا الجنوبية .

جاهدت هـــذه الأقطار وقاومت أعنف المقـــاومة ، وكانت الفتـــح هى الصدر الرحب لكل صيحاتها ، وكانت هناك الى جوار حركة التبشير

حركة الماسونية ومحاولة تطويق جزيرة العرب ومحاولات النفوذ الأجنبى فى مصر والبــلاد العربية لفرض الاقليمية والقوميـــة والتجزئه والتبعية للاستعمار والولاء له والارتداد الى الحضارات القديمة باحياء الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان ودعوات اخرى كالاشوريه والبابلية ، وكانت هناك موجات خطيرة لتمكين النفوذ الأجنبى من السيطرة وفتــح الطريق لاسرائيل لاقامة دولتها فى فلسطين .

وفى ابان هذا الجو المضطرب كانت اضـواء الحق ونور الايمان لا تلبث أن تبرز حيث تلاقت العواطف والمشاعر على أن يلمس المسلمون منهج الله الذى هو وحـــده القـــادر على كشف الغمة وقد اجتمعت آراء المخلصين من المصلحين على أن الطريق الوحيد لخروج المسلمين من محنتهم هى العودة الى كتاب الله والتماس منهج الله الحق : الاسلام نظام مجتمع ، وعلى هذا الطريق مضى السيد رشيد رضـــا فى المنار حتى غاية ١٩٢٦ ، ووســـع السيد محب الدين الخطيب هذه البابة ودرس الوسائل الى الغاية الكبرى على هذا النحو الملح المتصل اسبوعا بعد اسبوع خلال اكثر من عشرين عاما لا يتوقف ولا يلين ولا يغفـــل عن التحديات التى تواجه المسلمين ، وعلى نفس الطريق سارت صحف الاخوان ، ومجلة الشبان ومجلة الأزهر ، وكانت كلها تواجه الخطر وتدحض الشبهات وتكشف خطط التآمر وتدعو الى الوحدة الجامعة فى مواجهـــة زحف الصهيونية على بلاد المسلمين .

وفى هذا المجال ننشر الفتح ما يقوله برناردشـو (م ٧ — ٦٥١) — ١٩٣٤ الاسلام لا نستيقظ الا اذا عمـــل المسلمون بصفتهم مسلمين فقط وتجنبوا ما نسميه الروح الوطنيه والغلو فى القوميـــة ؛ الاســـلام شىء والمسلمون شىء اخر ، الاســـلام حسن ولكن اين المسلمون ، ليس فيما اعرف من الاديان نظام اجتماعى صالح كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الاسلامية .

ويقول المستشرق هاملتون جب : لاشك فى ان البلاد العربية المتجانسة (كمصر والجزيرة وفلسطين وســـوريا والعراق) ستلعب دورا يكون له الشأن الأول فى مصير الاسلام ولهذه البلاد المتجانسة ثقافة راقية تتقـــدم

يوما فيوما بفضل اللغة العربية الفصحى وسهولة المواصلات . ان يقظة الاسلام فى مصر وفلسطين والجزيرة والعراق وسوريا حقيقة لا تنكر ، ولن تقف فى سبيل هذه اليقظة عقبة خصوصا وانه من المستحيل أن يجرى فى البلاد العربيه ما جرى فى بلاد الاتراك . العرب متمسكون بلغتهم وأدبهم ويتغنون بمجد الاسلام ، ولم تقم فى بلادهم اية حركة وطنية الا وكانت الروح الاسلامية اساسها ، فهل يفكر العرب بعد هذا بابدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية أو ان ينتحوا عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الاسلامى كافه . هذا مستحيل ، وتبقى الروح الاسلاميه تسود بلادهم وتتقدم ابدا بلا كلل ولا ملل ولن يطرأ عليها أى ضعف أو وهن » .

— ٢ —

كان التركيز على سلخ مصر من العروبة والاسلام بدعوات الاقليمية الضيقة والفرعونيه وقد عاشت اقلام كثيرة فى هذه الفترة تحاول احياء هذا التراث الميت واخراجه من قبور الفراعنة ونفخ الروح فيه والادعاء بان لهم لغة وتراثا وثقافة ، ولكن مصر كانت أصيلة العروبة والاسلام .

وكتب السيد محب الدين الخطيب (م ١٥ الفتح ص ٦٥٧ — ١٩٤١ م) روج فريق من الكتاب دسيسة روجها الاستعمار وجازت على البسطاء انهم اذا ارادوا أن يستعرضوا تاريخ مصر قالوا انها كانت مستقلة ثم احتلها الاغريق والفرس ثم البطالمة والرومان ثم احتلها بعدهم العرب فالكرد والترك والجركس ، ومضى المستعمرون الانجليز من هذه الدسيسة أن يقولوا للمصريين انكم فقدتم ملكة الاستقلال منذ عهد طويل فاذا خرجنا من هذه الديار فسيحتلها غيرنا من الدول الأخرى ، فنحن خير لكم من غيرنا .

وقال جرجى عنايت فى المقطم : ليس المصريون عربا .

هذه الدعوة الى أن تترك مصر مدنية الاسلام حالا وترجع فرعونية فى قوميتها افرنجية فى انتمائها وثقافتها .. هل توافق مصر على هذه الرغبة تخلع عن جسمها ثوب الاسلام حالا لتكون متفرنجة فى ايمانها ومذاهبها ، معرفتى بمصر كافية لاقتناعى بأن الاسلام روحها الذى يحيى بها ،

وانها نعتبر انتزاع هذه الروح سرا عليها من الانتحار . مصر عربيه بقدر ما العراق عربية وبقدر ما الشام عربية وهذا امر واقع ليس فى يد احــد تغييره . ان الرابطة بين الشعوب الناطقه بالضاد موجوده بالفعل .

كذلك فان (قضية الوطنيه) التى كانت مؤامره لقطع مصر عن الوحده الاسلامية الجامعة لم نلبث ان ننكشف فقد ورد الزعيم محمد على الهندى الى مصر والقى محاضره فى جمعيه الشبان المسلمين عقدت أمام السيد محب الدين الخطيب باب الفهم لخطورة الامر فقول (١٤ يونيو ١٩٢٨) عندما رسم الغرب لنفسه خطــه اكتساح الشرق فى القرنين الاخيرين اكتفى بالاستبداد العسكرى والدهاء السياسى . استعد القوم لغزونا بمصنوعاتهم وملاهيهم وخمورهم ومخــدراتهم ثم بالمكر السياسى بعــد ذلك التأهب الحربى . أما امتناعنا عن ان نكون مغلوبين لهم بشهواتنا فيما تحمله مراكبهم الى بلادنا من صنوف الخمر وانواع المخدرات .

اطل الغرب على الشرق بعد فشل الحملات الصليبيه فراى الشرق متماسكا بعروة الله الوثقى التى لا انفصام لها وهى العروة التى شعارها فى القرآن : (**انما المؤمنون اخوة**) فحكم بانه لا يستطيع ان يكتسح الشرق وان يفتحه وان يجعــله تحت تصرف الغربيين ، الا اذا توصل الى حــل هذه العروة والى أن يفرق بين المسلمين فتزول عنهم نعمة الله التى جعلتهم اخــوانا .

لقد اخترع الغرب طريقة للوصول الى هــذه الغــاية .

قال للترك صلاتك عربية وقال للمصرى مالك وللعرب انظر الى آثار الفراعنــه وتاريخ قدماء المصريين . اســـاليب التعليم المؤيدة من السلطة الخاضعة للادارة الأجنبيــة جعلت الصـــوت الاسلامى يخفت والدعاية الغربيــة تعلو .

بعد أن كان شعار المسلمين انما المؤمنون اخوه ، صارت وحــده العالم الاسلامى منقطعة ومتوزعة على أجزاء كثيرة ، وبعد أن كان الاتحاد قوة صار التفرق ضعفا ، والقضاء على الاخاء بين المسلمين .

جاءوا الى لبنان فقالوا : أنتم سلالة الفينيقيين والعراقيين قالوا لهم أنتم وارثوا الكلدانيين والآشوريين وجاءوا الى المغاربة فقالوا لهم ان البربر أصلهم كذا وكذا ونجح الغرب بعض لدجاح فى دعايته الاجتماعية فاسقطان على الشرق الاسلامى الضعيف بما زاده ارتكاسا فى ضعفه .

قال محمد على الهنــدى : ان الاسلام رابطة عقدها الله فيما بيننــا ومهما تهاونا فى أمرها فسنعود اليها ، اما الوطنيات فانها رابطة دعانا اليها الشــيطان ومهما خدعنا بهــا فسنتنبه عما قريب الى ان الغرض منهــا هو تمزيقنا وتفريق قوانا .

وما من حق الا ويشــوبه باطل . وما من باطل الا ويشــوبه حق ، وانما يحكم العاقل على الأمور بما يغلب عليها ، نحن قبلنا مبدأ الوطنيات لحق كان مطليا به . وهذا الحق هو الأقربون أولى بالمعروف .

الوطن الاسلامى : وطن واحد لكل مسلم وعلى المسلم ان يكون جنديا فى هذا الوطن الأعظم حينما ننقل اليه هــذه الوطنية التى كانت معروفة فى التاريخ الاسلامى . وكل معنى آخر للوطنية فهو من دعاية الشيطان وقد كنا مسوقين الى هذه الوطنية الشيطانية باليد التى رسمت خطــة واسعة النطاق لتمزيق وحدتنا وتوهين قوتنا وقد كفانا ما حل بنا الى الآن .

ويمضى صاحب الفتح ليتحدث عن عبرة التاريخ (الفتح صفر ١٣٦٥) كيف أضعنا من حياتنا القومية أكثر من مائة سنة :

أولا — نعتبر لغــة الدولة السلامية واحــد من الأحداث الذميمــة التى وقعت فى تاريخ الدولة الاسلامية وترتبت عليها نتائج خطيرة .

ثانيا — التعامى عن نهضة أوربا عندما كانت فى بدايتها كان من أعظم الجنايات على الاسلام . لان المساهم فى هذه النهضــة من أوجهها العلمية والصناعية كانت ميسورة لولاة أمر المسلمين ، وكان اللحاق بها بعد بدايتها بعشرات قليلة من السنين سهلا على أمم لها فى العلوم والصناعات تراث وسابقة عظيم شأنها .

لقد عمل محمد على بطلب القوة لبلاده بتيســير أسبابها وأول أسبابها النهوض بالصناعات وتعليم الأذكياء .

ان قوة الأمة الاسلامية فى كل زمان ومكان بشيئين :

أولا — فهم الدين الاسلامى فهما صحيحا وتخلق الأمة بأخلاقه النبيلة التى لابد منها للسعادة .

ثانيا — الاستمساك بأسباب القوة والقوة فى هذه العصور قائمة على الصناعات .

وفى مراجعة هذه القضية كتب الأستاذ عبد الرحمن عزام (م ١٧ سنة ١٩٤٢) تحت عنوان علل النظام العالمى الحالى قال :

لما كان اقتناع البشر بالنظام الاسلامى العالمى لا يتم الا بعد معرفة علل النظام الحالى والايمان بفساده : فهناك الاجماع على فساد الراسمالية الحالية وخطر الراسمالية الآن ، لأنها مادية لا سند لها من الروح ، وحيث رجال الكنيسة الانجيلية الآن يحولون الى اليسار .

« فلابد للمسلمين الذين اندفعوا على غير هدى الى تقليد الغرب من الرجوع الى الاخاء والزكاة والتوازن بين الطبقات : ذلك التوازن الذى اقام شريعتهم على اساس أن البر حق معلوم فى اموال الأغنياء ، والى ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وعلى مسئولية الامام وسلطته الواسعة فى النظر الى حاجات المسلمين . **فلابد من نظام اقتصادى جديد يحل محل النظام الحالى** ، فان السيطرة الاستعمارية على العالم باسم الحضارة انما تسعى لاشباع شهوات الراسمالية الحديثة فى الأسواق والموارد العامة .

وقد وضعت الراسمالية والاستعمار متساندين أسس هذا الاضطراب العالمى الذى قد يقضى على الحضارة كلها » .

ويذهب السيد محب الدين الخطيب فى مجال عرض وجهات النظر الى تقديم ما كتب عن مستقبل الامبراطورية البريطانية المظلم (م ١٢ ص ٩٨٤) حيث كتب الجنرال لودندرون مقالا عنوانه (فخامة الانحطاط الانجليزى) قال :

ان الامبراطورية البريطانية كناية عن اجهاض يهودى ماسونى ؛

فمنذ عهــد غير بعيد كانت لانكلترا اقوى امبراطورية فى العــالم شادتها فى خلال القرنين على انقاض الامبراطورية الكاثوليكية التى نشأت بعــد اكتشاف امريكا على يد كولمبس اليهودى ، وكذا كان اليهود ينوون مقاسمة انجلترا السلطة وفى أواسط القرن الماضى تشبعت انجلترا بالروح اليهودية حتى صــار دزرائيلى يملى ارادته على السياسة البريطانية وقد دفعت سياســة اليهود والماسون انجلترا الى خوض غمرات الحرب العالميــة وبعد الحرب ظن اليهود أنهم وجدوا الفرص سانحة لانشاء جمهورية عالمية يهودية قوى الشعب البريطانى بحملته على التمسك بالنصرانية والآن أخــذوا يخضعونه بقوة الكنيسة العليــا التى ليست ســوى انبثــاق من التعاليم الكاثوليكية واليهودية وبعد سنين رأينا المبراطورية الرومانية الفاشية تظهر للعيان وتقرر نفوذها فى شبه جزيرة أسبانيا حيث الأسطول البريطانى يمنع من دخول البحر المتوسط » .

كما نقلت مجلة الفتح (م ١٣ ص ٧٦٧ سنة ١٩٣٩ م) من جريدة العلم الأخضر التى تصــدر فى الاسكندرية أنبــا تلفت نظر يهــود مصر الى اجتماعاتهم الصهيونية المستترة فى محافل البنــاية الحــرة فى غفلة من الماسون والى ما يقررونه فى هــذه الاجتماعات المحرمة على غــيرهم والتى لا يقصد بها الا محاربة الاســلام والعرب والقضاء على فلسطين وانا نسأل زعيمهم المستر بولى لما قرره أخيرا وهو يتفق مع حسن نيتهم وتبرئهم من الصهيونية وهل هو شخصيا يوافق على أقوال قطاوى باشا والدكتور زكى عريبى .

واشارت (العلم الأخضر) الى اليهود الأربع العالميين فى تاريخ مصر (فروهنيج دوش ، أوبنهايم ، روتشيلد ، دزرائيلى) الذين اقرضوا اسماعيل ١٢٥ مليونا من الجنيهات لم يصل اليــه سوى ٥٤ مليونا ، وقد أغفــل المؤرخون حقيقة هذه الديون ولم يذكروا أسماء الدائنين مع أن صندوق الدين من عمل هؤلاء اليهــود المرابين الذين قبضوا أكثر من ٦٥ فى المائة أرباحا وسمسرة ، وفضلا عن ذلك فالماليون اليهود هم الذين ارتهنوا أموال الدولة واشتروا ممتلكات اسماعيل وأسمائهم لا تزال مسجلة : سوارى ، موصيرى ، شملا ، بلاكشى ، شكوريل ، مكاوى ، كوهين ، ليفى ... » .

وهكذا مضت مجلة الفتح فى توعية المثقف المسلم وكشف ابعاد القضية الاسلامية والمؤامرات التى تواجهها .

— ٣ —

وفى فصـــل مطول عن الماسونية (٧ نوفمبر ١٩٢٩ م ، ص ٣٣٧) تقول الفتـــح :

« ان جل نبغاء المسلمين المستورين كانوا يدينون بالماسونية أكثر مما يتظاهرون بالاسلام ، والماسونية بنيت قواعدها على صرح سليمان لانها ظاهرا انسانية وباطنا صهيونية محضة ، والدليل على ذلك أنها اليوم لم تتظاهر بعاطفة نحو ضحايا اليهود وانما تظهر الجمود وتعمل سرا لقمع التعصب الاسلامى ابتغاء حماية اليهود ، فكان المسلمون يخافون من كلمة التخويف (التعصب الاسلامى) التى كان يلقيها الأوربيون لارهاب العالم فلذلك اجتنبوا كل سعى شريف ارضـــاء للأجانب لكيلا يكونوا متعصبين فى نظرهم وما رماهم الأجانب بالتعصب الا لكونهم هم المتعصبين ، اذ لولا التعصب ما رأوا غيرهم ومخالفهم بعين الاحتقار ولا رموهم بنقيصة .

اخافوا المسلمين من لفظة (تعصب) فأهملوا أمرهم وتذللوا حتى صاروا عبيـــد أرقاء وتلاعب بهم أعداؤهم فصاروا الى ما هم فيـــه اليوم فى فلسطين والشام وغيرهما فهم العقـــلاء الذين أثاروا مسألة فلسطين عام ١٩٠٥ ونهوا عنها .

(أعلن عاقل هذه المسألة عام ١٩٠٥ فى الجرائد الأفريقية والمصرية وتحدث فيها مع رفيق النظم ولم يحصل على طائل) ولكن صحف عربيـــة اسلامية فى مصر والعالم كان يمدها ليفى وشالوم ويكتبون فيهـــا المقالات لانشـــاء دولة يهودية والمسلمون يقولون لا نهتم بأقوال اناس ضـــعفاء وهم يعلمون قوتهم الفعلية ، كأنهم كانوا يخاذلون الناس بأقوالهم بل منهم من أعانهم .

واذا كان رجل فى أقصى المغرب كتب كتابا فى المسألة عام ١٩١٦ أيام الحرب وقد قرأته وفى تفاصيل المســـألة ونهـــاية الحرب ونتيجتها فكيف

بالمشــــارقة والسوريين لا يعلمون أن الكتاب وباللأسف لم يطبـــع ولكنه موجود .

وملخص ما اقوله الآن هو ان خلع عبد العزيز السلطان العثمانى (خلع صهيونى) وان انقــلاب ١٩٠٨ فى تركيا انقــلاب صهيونى وخلع عبد الحميد صهيونى ، ويكفيك ان الذين خلعوه اثنان من اليهود ، اكبرهم (كاراسو) النائب العام عن الصهيونية فى تركيا والخبير الخطير لطائفـة اسرائيل ، اما أنور وشوكت ... الخ فكانا العوبة .

وحروب البلقان فى عصر الوزارة اليهودية التى كانت ترسل قصـــدا العطـــور والصابون فى صناديق الزخائر الحربية هى حروب صهيونية ، والحرب الكبرى هى حرب صهيونية يهودية ومنتجاتها يهودية لأن السلاح لا تأثير له امام المال ، فاذا علمتم هذا تعلمون المسألة الصهيونية وتلفتون مثلى الذين تغافلوا عنها ولم يعملوا فى أول الأمر لابعادها خشية ان يرموا بالتعصب . والسبب الأساسى هو ان المسلمين كانوا ماسونيين اكثر مما هم مسلمون بخــلاف اليهود (مع كون الماسونية صهيونية أصـــلا) فكانوا فى كل الأحوال يهودا اكثر مما هم ماسونيون .

قلتم انه ينبغى للمسلمين ان يتبصروا ويعملوا ، الم يكن بين ايدى المسلمين كتاب الله ونصائحه وقد اطلع عليه الغالب من المسلمين وسمعه ملكهم لأنه يتلى على الأموات فلماذا لم يعملوا به ولم يصغوا الى ارشاداته .

المسلمون اليوم بلا اسلام ؛ ويكفيك انهم يفرون منه كانه العار .

يقول الله تعالى : ((**ولتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود**)) ومع ذلك فان من المسلمين من يحترمون ســـياستهم ودسائسهم ويعملون لمرضاتكم فاين الاسلام .   (افريقى حزين) .

— ٤ —

وأشارت الى ما اطلق عليه (خطر الحلف اللاتينى اليهودى) والذى تحدث عنـــه الدكتور خالد شلدريك وهو من كبار المثقفين الغربيين الذين اعتنقوا الاســـلام بعـــد بحث ودراسة مستفيضة وقبل تطأ ديار الانجليز

الارساليات التبشيرية الاسلامية وقد أعلن الاسـلام ونطق بالشـهادتين (١٣٢١ هـ ١٩٣٠ م) فى حضور الدكتور عبد الله السهدوردى أول داعية للاسلام فى الغرب فهو رئيس الجمعية الغربية الاسلامية ، ورئيس المسلمين البريطانيين حيث انتخبه ٣٠ الف من المسـلمين المقيمين فى انجلترا من انجليز وعرب وهنـود لعرض مسـألة العـرب وفلسطين امام الحكومة البريطانية .

قال : يهدد العالم اليوم (حلف) هو الأول من نوعه فى التاريخ ، اذا استمر سيبعث المسلمين ويوقظهم من سباتهم ويشعرهم بواجبهم . لا مزاء فى أن سياسة الشعوب اللاتينية اليوم (فرنسا وايطاليا واسبانيا) متفقة ازاء الشعوب الاسلامية وازاء الثقافة الاسلامية ايضا . لقد وقعت طرابلس والجزائر وتونس فى يد أولئك الذين طالما تاقوا الى صبغ شمال افريقيا صبغة لاتينية . وحوادث المغرب القريبة العهد تشعرنا بأن شبح روما كان يعمل من وراء الستار ، لقـد حلت بركات البابا على الحكومة اللادينية وستكون قوى الكنيسة باجمعها مساعدة على تنفيـذ رغبـات الايطاليين وقد استغلت فرنسا اسمها القديم (حامية المسيحية فى الشرق) حامية حمى روما وابنة الكنيسة البكر فزعمت أن البرابرة (فى المغرب) من أصل أوربى واتخذت من ذلك مبررا فى جعل هذا الشعب فريسة سائغة للدعاية الكاثوليكية واعانت الحكومة هذه الدعاية بكل ما أوتيت من قوة .

وأصبحت مسألة فلسطين عاملا جديدا وأدخل تصريح بلفور اليهود فى صف أعداء الاسلام وشغلت الصهيونية افكار اليهود من امريكا الى روسيا فجعلتهم ينسون اضطهادهم وتشتتهم على يد الشعوب اللاتينية .

والصهيونية جعلت اليهود يساهمون فى المؤامرة الكاثوليكية التى ترمى الى اذلال شعوب الاسلام واحلال الثقافة اللاتينية مكان الاسـلامية ، واقفلت الصحافة الغربية بابها فى وجه كل من اراد ان يدافع عن مسألة فلسطين ، ذكر بعضهم أن اسم موسيلينى مشتق من اسم أجـداد كانوا مسلمين استوطنوا شبه الجزيرة الايطالية ردحا من الزمن ثم ارغمـوا على اعتناق المسيحية ، والظهير الذى يرغم البربر فى المغرب على اعتبار

أنهم لاتينيين ، هو جزء من هذه الحرب الصليبية اللاتينية ، ويسير اليهود امور العالم المالية اليوم ولو ذكرنا كم أذل الغرب اليهود لعجبنا كيف اتخذ اليهود والنصارى للنكاية بالاسلام ومن السهل أن نفهم ذلك ، وأن نقف على سر هذا الاتحاد الذى لم يسمع بمثله فى التاريخ ، ففى الساعة التى تمكن فيها نفوذ الكثلكة وغيرها من الفروع النصرانية فى أرض الاسلام يسهل على اليهودى ان ينفذ رغباته فى المسلمين ايضا ، ليس فى يد اليهودى سلاح ولا جيش اللهم الا سلاح المال وقد استعملوه أحسن استعمال (ترجمة يوسف عليوة ابو الخير) م ٦ ص ٥٣١ الفتح سنة ١٩٣٣ .

— ٥ —

وتعددت اشارات الفتح الى مؤامرات الاستعمار عن طريق التبشير على امتداد العالم الاسلامى وكان اخطر هذه الاشارات تحت عنوان :

« تطويق جزيرة العرب »

قالت : كان الانجليز قد انتهزوا فى المائة سنة الماضية غفلة الدولة العثمانية فأخذوا منها ثغر عدن ليجعلوه مخزن فحم يمولون منه سفائنهم التى تسافر الى الهند ثم تمكنوا من ايجاد علاقة لهم مع سلطنة مسقط ثم وسعوا نفوذهم من مسقط الى الكويتوالمحمرة والبحرين وما بين ذلك والآن انتقلوا من دور العقود والعهود الى دور التطويق باسم سهولة المواصلات ، الضالع ، بلاد الفوزال ، حضرموت ، ظفار ، ضرب الانجليز حصارا اقتصاديا على هذه المنطقة « عدن » التى اخذها الانجليز من سلاطين آل عثمان ليجعلوها مخزن فحم (م ٧ — ١٩٣٤ ص ٧٩٢) .

٢ — ومن الجزيرة العربية الى السودان : (م ٣ — ١٩٣٠ ص ٧٠٤)

السودان طريق النصرانية « بدأت الغزوات الدينية المسيحية تنفذ الى أشهر رقاع العالم الاسلامى دينا وايمانا وهو السودان . حاكم السودان ينادى أبناء وطنه لتشييد الكنائس فى أهم مدن السودان احياء لذكرى غوردون ، جريدة التيمس تستثير الهمم لتلبية النداء ، تصرح التيمس بأن « غردون » بذل نفسه فى سبيل تنصير السودان وعلى نغمتها تغرب سائر الصحف الانجليزية ، وأخيرا ها هى جنود المسيحية تهاجم الاسلام فى القطر المصرى الذى كان من أحصن معاقله .

وهناك من اكتتب فى السودان لمساعدة الارسالية الانجليزية ومن بينهم ابن أحد زعماء الدين .

٣ — وتشير الفتح الى جمعية الشبان المسيحية فى القدس وتقول انها احدى معاقل الحركة الاستعمارية ، ومعقد الحركة التبشيرية العالمية المجهزة ببرنامج اجتماعى خطير للعمل فى حقل المجتمع الاسلامى فى بلاد اسلامية خاضعة للحكم البريطانى ، هـذه الجمعية رائدة لهـذا الاستعمار وممهدة له حتى يقع العراك بين اهل البلاد والمستعمر الأجنبى وجها لوجه . وتغزو هذه الجمعية ضعاف الشباب العربى غزوة روحية شنيعة فتعمل بأساليبها الخادعة على تخدير روح التراث العربى الاسلامى باغراق نفسية الشباب العصرى فى ضروب الالاهى والتسلية الاجتماعية مع توفير ما يمكن توفيره من أبواب المغريات ، حتى يصبح صاحب آراء فى الوطنية والوطن ثم لا يلبث أن تجهر بكل وقاحة برأيه ايضا بأن الانجليز فى بلادنا يملكون ارقى طراز من مدنية الانسانية ، وأن لا علاقة بين مدنية الانجليز وبين اقدامهم على جرم ابادة العرب ، الا أن السياسة فى نظرهم شىء والمدنية شىء آخر ، هذا الأسلوب من التبشير الاجتماعى هو احدث الأساليب التى قررتها المؤتمرات الاستعمارية العالمية (مؤتمر أدنبرج ١٩١٠) .

٤ — وتربط الفتح بين الخطة التغريبية الخطيرة التى قام بهـا اتاتورك فى تركيا المسلمة وبين خطط أخرى تجرى فى نفس الوقت فى ايران وأفغانستان فكتبت تحت عنوان « **ايران بعد تركيا** » (م ١٠ الفتح ص ٧١١ سنة ١٩٣٦) : بالأمس قامت تركيا بمحو كل اثر للاسلام وتقاليده فى ديارها ولم تتورع عن اعلان جفائها للاسلام والشرق وانحيازها للغرب تعيش فى أزيائه وتشريعه ولغته وتقاليده ، وما زالت تمعن فى التنكر للاسـلام وما يتصل به حتى انقلبت عليها كثير ممن كانوا يتطوعون للدفاع عنهـا وأراد ضعاف الأحـلام فى بلاد الأفغـان ان يقتفوا اثرها فى ذلك المسلك الأعوج الا أن الله أراد بالأفغان خيرا فعصمها من الانزلاق فى تلك الهـوة السحيقة ، كان لعمل الترك الأثر السيىء فى غيرهم من الأمم فقد بدا أعتزام ايران على ابدال الحروف العربيـة باللاتينية وتنقية اللغة الفارسـية من الكلمات العربية والغاء الحجاب وتعميم القبعة ، ان الحركة الجديدة

فى ايران ترمى الى الغاء الحجاب ومعنى هذا أن ايران مقبلة على انقلاب خطير ينذر بشر عظيم ، فلن تقف عنـد الغـاء الحجاب وابدال الحروف بل سيتعدى ذلك الى ابدال الشريعة الاسلامية واحلال قوانين الغرب محلهـا والذى يظهر ان بعض من بيدهم الأمر فى ايران قد تشبع بافكار الكماليين واستحسن خطتهم ، اما بغضا فى الاسـلام أو جهلا بأسراره ، ان هؤلاء لم يتشبعوا بروح الاسلام ولم يتذوقوا من ثقافته فانكروا على الاسلام امورا هى من أبرز محاسنه .

ولكن مجلة الفتح عادت فاشارت (م ٣ — ١٩٣٠) الى أن الحكومة الايرانية بدأت تسـير على سياسة لادينية بحتة فى مشروعات القوانين الجديدة . وقد وضعت قانونا مدنيا اقتبسته من القوانين الأوربية كمـا فعلت تركيـا .

٥ — وعرضت لموقف أفغانستان التى عارضت الغزوة التغريبيـة فقالت :« ليس أمان الله هو الذى يخشى مقاومته لثورة الاسـلام الحق على التحديد الكاذب فى الأفغان فان النتائج التى وصل اليها أبانت له وعورة ذلك المسلك وجعلت الافغانيين على بينة من أمرهم مهما تطورت الأحوال ، وانما المقاومة التى لا تهدأ ولا يعتريها الملل هى دسائس جماعات من الشرق والغرب لهم هـوى فى انتصـار التجـديد الكاذب على الاسـلام الحق فما برحوا يحاربون الأفغانيين جميعا ومن هنا كانت ثورة الاسلام فى كابل على التحديد الكاذب فى الأفغان فان النتائج التى وصل اليها أبانت له دعوة فهم يحاسبون من يكذب عليهم ويسمون عمله بالاسم الموضوع له فى معاجم اللغـة ، كل خبر يخالف هـذه الحقائق الجوهرية فهو مصنوع فى مصنع الأكاذيب التى يذيعها فى العـالم الاسـلامى صحفيون يرغبون فى تقليص ظل الاسـلام حاسبين ان من الممكن هدم أركانه بهـذا التجديد الكاذب وجريدة الفتح هى الجريدة الوحيـدة التى استطاعت الا تقع فى أحابيل هـذه الأكاذيب .

٦ — ومن ناحية أخرى أولت الفتح اهتماما بأخبار انتشار الاسلام فى انجلترا وما كتبه القس اسحق تيلور عن الاسلام ونشرته جريدة التيمس

اللندنية كما عرضت لتوسع الاسلام فى افريقيا (م ٧ ـ ١٩٣٤) قالت : « لما كان الاسلام داعيا الى نفسه فقد انتشر فى قسم كبير من الدنيا ، وفاق النصرانية فى النجاح ، وليس تفوق الاسلام منحصرا فى ان الداخلين فيه اكثر عددا من الداخلين فى النصرانية من الوثنيين ؛ بل ان النصرانية فى بعض الأقاليم تتقهقر تقهقرا حقيقيا أمام الاسلام فى حين ان التجارب التى أجريت لتنصير المسلمين قد حققت اخفاقا تاما ، لقد امتد دين الاسلام من المغرب الى جاوة ومن زنجبار الى الصين ثم هو ينتشر فى افريقيا بخطوات العباقرة فقد استولى على قسم من كونغو وزامبيس فى حين ان اوغندة وهى اقوى دول الزنوج قد صارت محمدية منذ عهد قريب والتمدن الذى هو جاد فى هدم الوثنية الهندية انما هو يمهد السبيل للإسلام (٥٠ مليون من ٢٥٥ نسمه) هم اليوم مسلمون اى خمس اهل الهند تقريبا واكثر من نصف سكان أفريقيا هم اليوم مسلمون . ان الاسلام متى رفع فى كفه أحد قبض عليه أبدا بيد من حديد فلا يفلته ومتى دخلت قبيلة من السودان فى الاسلام اختفت عنها فى الحين الوثنية وعبادة الشيطان وعبادة البشر واكل لحم الانسان وتقديم الضحايا البشرية وقتل الأولاد والسحر وصارت طهارة العرض من أعظم الفرائض وذهبت البطالة والكسل وحل العمل والكد محلهما وانتزعت الدعارة وحل الانهماك بالانقياد للشرع ويغلب النظام والرزانة على الشقاق .

فالاسلام اقوى واكمل دين اجتماعى .. القناعة والاعتدال فى تداول اللذات ولكن كلما امتدت واتسعت التجارة الأوربية يمتد معها السكر والرذيلة واحتقار الناس ، أما الاسلام فان تمدنه خال من قمطهم واحتقارهم وحاض على تعلم الكتابة والقراءة ولبس الثياب اللائقة وعزة النفس ، ان تمدن الاسلام وتقويمه للنفوس لعجيب ، ماذا ربحناه من انفاق الأموال الطائلة والنفوس التى صنعناها فى أفريقيا ، اذا عددنا المتنصر من الوثنيين بالآلاف نرى الداخلين فى الاسلام يعدون بالملايين ، يجب أن نأخذ فى الاعتراف بالحقيقة وهى أن الاسلام ليس عدوا للنصرانية بل هو نصف النصرانية ، الاسلام نسخة طبق الأصل من دين ابراهيم وموسى أما اليهودية فهى دين خاص ، أما الاسلام فهو دين عام لجميع الأقوام ليس منحصرا فى شعب واحد مثل اليهودية بل عام شامل لجميع أهل

الأرض وليس فى تعاليم محمد شىء يعـــادى النصرانية أو يضادها . جاء الاسلام فجرف ذلك الكوم من الخرافات الفاسدة وجاء بعقيدة الدين الأول القائم على توحيد الله وتعظيمه ، وابدال التبتل والرهبانية بالرجولة وفتح باب الأمل للرقيق وباب أخوة النوع الانسانى واعتراف بالحقائق الجوهرية للطبيعة البشرية » .

٧ ـــ ويطالب السيد محب الدين الخطيب بعد انشاء الجامعة العربية بانشاء الجامعة الاسلامية ويقول بعد أن تكتلنا فى جامعة اللغـــة والدم نستطيع أن نخطو خطوة أخرى بتكتل جديد فى جامعـــة أوسع من الأولى ونعنى بها الأمم الاسلامية المتمتعة بنعمة الاستقلال مثل حكومات باكستان وأفغانستان وايران وتركيا وأندونيسيا فان الرابطة الاسلامية التى أوجدها الله بين هذه الشعوب تنطوى على محبة صادقة فطر عليها المســـلمون بعضهم البعض .

الفصل الثانى

تغريب تركيا وسـقوط الخـلافة الاسلامية

— ١ —

كانت قضية الدور الذى قامت به تركيـا الكمالية فى تغريب تركيا وآثارها البعيدة فى البلاد العربية والأقطار الاسلامية ، من اهم القضايا التى أولت (الفتح) اهتمامها البالغ وتابعت أحداثها يوما بعد يوم فقد سقطت الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ولما ظهرت الفتح ١٩٢٧ كان الكماليون يمضون فى مغامرتهم الشديدة فى ضرب الاسلام فى الدولة العثمانية التى كانت تحمل لواء الخلافة ولقد تابعت الفتح احـداث التغريب التى قام بهـا أتاتورك وقد تكشفت لها حقائق كثيرة .

يقول السيد محب الدين الخطيب م ٣ (١٨ يونيو ١٩٢٨) :

« رجل من ضباط الجيش زعم أن سـلاطين آل عثمان مستعبدونه فجاء لينقذ الترك من استعبادهم ولكن ما لبث أن جاءهم بشر اسـتبداد على وجه الأرض وهو استبداد ديوان التفتيش الاسبانى الذى يحيز للبشر أن يتحكموا بايمان اخوانهم البشر ويستعملوا قوة الحكومة فى حملهم على تغيير عبادة العباد ، وقد عمد الى تحويل المساجد الى شـكل الكنائس لأن مصطفى كمال يريد أن تكون المعـابد مقاعد يكتفى المصلون بالجلوس عليها وتلاوة بعض الرطانات التركية مصحوبة بالموسيقى ، لا يسجدون على الأرض لأن مصطفى كمال لا يريد ذلك . ماذا أراد التركى أن لا يضع على رأسه هذه البرنيطة لأن يراها شـعار أمم اذلت الاسلام والمسلمين يجد أن مصطفى كمال الذين يزعمونه محررا للترك ، قد نصب له جنودا فى الطريق يأخذونه الى بيوت العقاب جزاء اسـتعمال حقه فى الحرية بأبسط مظاهرها وهو يعيد الى أياصوفيا عزف الآلات الموسيقية كما كان أيام البطاركة البيزنطيين باعتبار أنه عبادة ويبطل من يحب فيه أياصوفيا السـجود لله .

ويشير الأمير شكيب أرسلان الى أن مصطفى كمال يحث الأمة التركية على السكر ويرى فى الخمر احدى وسائل المدنية ويطمن حسب عادته على سلاطين آل عثمان ويجعل من جملة سيادتكم أن منعوا الترك من شرب الخمر ، وكذلك محاربته للغة العربية ، وظنه أن الغاء مادة الاسلام وهو الدين الرسمى يدر عليه ملايين الدولارات من أمريكا حسبما وعده المبشرون كالمبشر برد والجامعة الأمريكية .

ويشير السيد محب الدين الخطيب الى تواطؤ مصطفى كمال مع صاحبى ايران والأفغان فى المشرق الأوسط وعلى القوة الشيوعية فى آفاق روسيا لأداء مهمة معلومة فى أوربا ، ومحاولة نقل هذه الفكرة المسمومة الى بلاد البوسنة والهرسك .

وقد أعلن مراسل المقطم فى تركيا أن اقتباس المدنية الأوربية فى المدن هو الذى قذف بهؤلاء النساء المستحدثات الى هذه الهاوية بسبب انتقالهن الفجائى من نعمة الايمان الى شقوة الكفر والالحاد . ومن ذلك انتحار النساء فى تركيا عندما فرض عليها بيع عفافها .

— ٣ —

وقد أشار السيد محب الدين الخطيب الى خطة مصطفى كمال أتاتورك فى خداع المسلمين حيث بقى الى حين عقد معاهدة لوزان يتظاهر بالدين والقيم شعاره وينشر المنشورات الرسمية بأن هذه الحرب هى جهاد فى سبيل الاسلام وعمل بالكتاب والسنة ، وليس بصحيح أن أوربا نبذت الدين وأنها خرجت عن النصرانية كما يريد مصطفى كمال اخراج تركيا عن الاسلام فكل يوم عندنا شواهد على تمسك أوربا بالدين المسيحى ، ولو لم يكن من برهان ساطع على كون هذا الدين لا يزال عمدتها سوى قصة كتاب الصلاة فى انجلترا لكان ذلك كافيا على دفع دعوى مصطفى كمال . أن هدف مصطفى كمال لا يزال هو هدم قواعد الاسلام والحيلولة بين الشعب التركى وبين التعليم الاسلامى كما هو جار الآن ، حتى لا تمضى بضع عشر سنة الا كان النشء الجديد فى تركيا ، أملس من الاسلام خاليا من العقيدة القرآنية بالمرة ، ولما كان غير ممكن أن يبقى شعب بدون عقيدة ،

فمن بعد أن يطمس آثار الاسلام فى تركيا لا يعود صعبا أن يميل الأهالى الى دين من اديان الأمم الغربية ، لو أعلن مصطفى كمال هدفه لثارت عليه تلك الأمم فى اربع وعشرين ساعة ، أما اذا تلاشى الاسلام تدريجيا من تركيا فسد منابعه عنها وأعلن بعد ذلك قوم من الأتراك اتخاذهم أحـد الأديان التى يدين بها أهل أوربا لم يتولد عن ذلك هذه الهزاهز ، وقيل ان بعض جمعيات التبشير الأمريكية التى فيها المستر برد الأمريكانى كان لهـا يد فى حمل انقرة على القرار الأخير من جهة الغاء كون الاسلام دين الدولة وتسويته فى نظر الحكومة بالنصرانية واليهودية (م ٢ / ٧٢٢) .

— ٣ —

وكشفت الفتح عن أهـداف الاتحاديين الذين لوثهم الفهم العنصرى للطورانيـة والدسيسة الماسونية بولائهم للدونمة ، ويقول الأمـير شكيب ارسلان : هـذه العصبية التركية التى ذابت فى الدين الاسلامى ، لقـاء جريمة العـداوة التى تتأجج فى قلوبهم للعرب هى من العوامل الخطـيرة فى تحولهم عن الاسلام لأنهم يرون الاسلام دينا عربيا ، ولو تأملوا قليلا ، ونفضوا الكبر الذى فى رؤوسهم لرأوا أن الأمم الأوربيـة التى هى نحو سبعمائة مليون من أرقى أمم لم تأنف أن تنتمى الى رسول كريم ، ولما عقدوا معاهدة لوزان مع الحلفاء والتمسنا منهم أن ينزلوا عن حقوق السياسة العثمانية على البلاد العربية لأهل البلاد الخاصة جعلوا لدول الحلفـاء مدخلا احتقار العرب ، وعامل آخر فى كرههم للشريعة لا يتفطن له الذين لم يعاشروهم ولم يقفوا على حقائق أمورهم ، فبينما الشعب التركى متمسك بالاسلام ، فهم يفكون العقائد تدريجيا وهذا ما يسمونه بسياسة المراحل ومنهم من يقول : تحوله تركيا ، فاما اسلام يبقى لسانه عربيا فلا سبيل الى قبوله ، وصاحب هذا المذهب ضياكوك الب ومن هنا جاء مشروع ترجمة القرآن الى التركى وخطبة الجمعة بالتركية .

— ٤ —

وأشار شيخ الاسـلام مصطفى صبرى الى خطر الحروف الجديدة فى تركيا (الفتح ٣ — ١٩٢٨/١١/٨) فقـال ان الحروف اللاتينية أمكن

ان يعتبروها تركية بين عشية وضحاها اما الحروف العربية التى استعملها الترك الف سنة فيرون ان ذلك غير كاف لكى تصير تركية ، ومعنى هذا انه ليس فى الدنيا شىء اجنبى عن الترك بقدر ما العرب اجانب عنهم كيف لا واتراك اليوم ينتحلون كل شىء لكل امة اخرى ما لم يكن عربيا ، ان عداوة الترك الحديثين للقومية العربية هى عداوة دينية ليس الا ، وبهذا الشعور لجأوا الى الحروف الأفرنجية واعتبروها حروفا تركية ، وقالوا بالتخلص من الحروب العربية ثم ليكن بعد ذلك ما يكون .

يجب على مفتونى أنقره (الذين ناصبناهم العداوة الكبرى اولا وآخرا لأجل عداوتهم للاسلام ولغة العرب) ان يعلموا علم اليقين واذا كانوا لا يعلمون فيجب على كل عاقل ان يفهمهم بأن مسألة الكتابة لا تنتهى بترك الحروف العربية ، فالذين يريدون أن يتخلصوا من العرب يجب عليهم أن يخرجوا الكلمات العربية من اللسان التركى واذا هم فعلوا فلا يبقى حينئذ شىء اسمه لغة تركية ، لأن اللغة التركية تشهر فى ذلك الحين افلاسها فيمتنع على الترك النطق والبيان .

وقد أنذرهم السير ادوار رينسون روسى مدير مدرسة اللغات الشرقية فى لندن فقال حذار من استعمال الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية لأن الحروف العربية هى حروف لغة القران واذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة الاسلام. ان الاسلام اساسه اللغة العربية فاذا ضاعت ضاع الاسلام .

واشارت الفتح الى ان استعمال الحروف اللاتينية حول اللغة التركية الى لغة غير مفهومة ، مما يستدعى أن يتعلم التلاميذ لغة أوربية كلغة اساسية ليطلعوا على مآثر أجدادهم الغابرين وآبائهم الآخرين .

اتخذت حرف S للدلالة على الثاء والسين والصاد وحرف Z للدلالة على الذاى والزال والظاء وابدلت حرف الذاى بحرف التاء وابدلت حرف الخاء والحاء والهاء بحرف H فقط فتحولت كلمة ضالين الى دالين ، وعاملين الى آملين وصراط الى سرات وساعد الى ساعت » .

ومن ناحيــــة أخرى أشارت الفتح الى أن الشيوعية اخــذت تنتشر فى تركيا وأن وفدا تركيا اشترك فى مؤتمر الكومنترن السادس السرى ، من الاتحاديين وقد عملت كشوف بأسماء لاتينية وطورانية لاجبـــار جميع أفراد الأمة على تسمية أولادهم بهـــذه الأسماء .

وقال مراسل التيمس فى تركيا : ان الاسلام مات فى الدولة التركية ومع أن الشعائر الدينية غير ممنوعة الا انها لا تجد مشجعا لها ، ولم يعد الاسلام الا دينــــا لرجال الدين ، وتساءل السيد محب الدين الخطيب : هل حقا مات الاسلام فى تركيا . أو قتل وان كان قد قتل فمن هم قاتلوه ، وقال الكاتب أحمد حلمى : ان هناك علاقة بين الأعمال ذات العلاقة بالاسلام التى تجرى فى تركيا منذ انتهت حرب الأناضول ، وبين انسحاب الخلفاء العجيب الغريب من مياه الآستانة .

— ٥ —

وكشفت الفتح فى ذكرى الغاء الخلافة عن جناية الكماليين فى مارس سنة ١٩٢٤ قالت : لقد انخدع المسلمون بذلك الرجل ، واول من انخدع عامة الأناضول ، فيــــه وفيمن معــــه ، ان كان هو وقواده حين حاربوا لم يحاربوا الا بدافع الوطنيـــة فلا والله ما حارب الجنــــدى الأناضولى الا بدافع الدين الاســــلامى ولولا جامعة هــــذا الدين ، ما انتصر ، ووالله ما نصره اليهود والأفغان ولا دعا اليه المؤيدون ولولا ثورة الهنـــود غيرة على هذه الخلافة التى خلع مصطفى كمال طوقها ولوى بيده عنقها ما رأى مصطفى كمال الفوز الذى راى ولا نال المركز الذى نال . لقد كانت بعض الألسنة تتحـــدث بأن الرجل يشرب الخمر فكانت القلوب تأبى التصديق وكان بعض الناس يطعن فيه وفى زمرته باللادينية فكانت النفوس تسرع جازمة الى التكذيب ولكن كان حديث حقـــا ونذير الخطر كان صـــدقا ، وما أظن ذلك الرجل ومن معه الا كانوا مبيتين لذلك حين قاموا بحركتهم الأولى ضد وحيد الدين ولعمرى لقد كان فى بعض ما نطقوا به من وجوب التفرنج وما فعلوه من اباحة الخمر بعد منعها ، ومن اكراههم النســــاء على مخالطة الرجال برفعهم الحواجز عن محال النساء وغيرها فى عربات

الترام ، كل ذلك دل على دليل فى نفس الرجل ، وقد أدى اطلاق الحرية الاجتماعية والاباحة فى تركيا الى خطر انحلال عظيم فقد انتشرت الفاحشة فيها انتشارا مؤسفا ومخيفا ونشا السفاح فتساقطت عشرات على الطريق.

— ٦ —

وتكشفت حقائق كثيرة عن البطولة الحقيقية فى حرب الأناضول وانها لم تكن بطولة مصطفى كمال وانما هى بطولة كاظم قره بكير وزملائه الذين خدعهم مصطفى كمال وأبعدهم ونسب النصر لنفسه كذبا وزورا .

وقد قال (كاظم قره بكير) فى تصريح له : اننا نحن الأتراك لم نتمكن من طرد العدو من بلادنا الا بانضوائنا تحت لواء الاسلام ، وقد تحدث الأمير شكيب ارسلان (م ٥ ص ٥٧٨) عن هذا الأمر فقال : كانت تركيا قدرت أن تطرد اليونانيين الذين كانوا شنوا الغارة عليها واستباحوا حماها مدة أربع سنوات وما كان ذلك الا بقوة الرابطة الاسلامية ، وقد اعترف بهذه الحقيقة كاظم قره بكير على أثر خلاص تركيا وعقد معاهدة لوزان ، فقال يومئذ : لولا انضوائنا تحت لواء الاسلام ما أمكننا أن نخلص تركيا من الاستعباد . وكاظم باشا قره بكير هو فى الحقيقة منقذ تركيا وهو الذى بدأ بالثورة فى أرضروم على الخلفاء الذين وضعوا لتركيا معاهدة سيفر وجمع المجامع وعقد المؤتمرات ورفض تسليم السلاح على حين أن مصطفى كمال كان يحميه السلطان وحيد الدين فى الآستانة ولولا قره بكير وفتحه اريفان واستيلائه علي الأسلحة الكثيرة والمواقع الكبيرة التى كان الحلفاء أعطوها للأرمن ليقاوموا بها الأتراك ما كان هؤلاء قدروا أن يحاربوا يوما واحدا فضلا من أن ينتصروا ؛ فكاظم قره بكير هو أصل المقاومة وهو البادىء بحركة الاستقلال والباقون انما انضووا اليه ، وسيعرف التاريخ له ذلك وهو مقر بأن الأتراك لم يكونوا ليخرجوا العدو لولا حمية الاسلام » .

والمعروف أن الموقف تحول بعد ذلك وأن مصطفى كمال حقق للغرب وللصهيونية كل ما تريد وأنهم استعانوا بالحاخام اليهودى (حايم ناحوم) من أجل تسلمهم السلطة وموافقتهم على مطالب النفوذ الأجنبى الصريح

فى خلع الاسلام ولغة قرآنه ورجاله من تركيا وذلك امتدادا لتبعية الاتحاديين للمحافل الماسونية التى استطاعت من قبل اسقاط السلطان عبد الحميد ففى مقال للفتح (م ٩/٨٨٩ سنة ١٩٣٥) يقول :

ان مسيو ليون قره صو مدير المصرف المعروف باسم ابن النائب اليهودى فى مجلس المبعوثان فى زمن الاتحاديين (نوئيل قره صو) هو الذى مثل دورا خطيرا فى السياسة العثمانية وتقويض خلافة السلطان عبد الحميد ، وعندما اشتدت الحالة فى الروملى ورأى أركان جمعية الاتحاد والترقى أن موقفهم بات خطيرا لجأوا الى مانوئيل قره صو أفندى المثرى اليهودى فساعدهم بأمواله وضمهم الى المحافل الماسونية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت تحت الحماية الايطالية ، فأخذوا يعقدون فيها اجتماعاتهم دون أن يتمكن السلطان عبد الحميد من الاطلاع على أسرارهم ومقاومة تدابيرهم ، وكان من جراء ذلك أن نجحوا فى مساعيهم وأعلنوا الانقلاب المزعوم ، وفى اليوم الثالث والعشرين من أبريل ١٩٠٩ عندما ألف الاتحاديون وفدهم لمقابلة عبد الحميد وابلاغه قرار خلعه رأسوا الوفد مانيوئيل مره صو أفندى ليكافئوه على عمله وليحقروا الخليفة بارسالهم يهوديا لابلاغه قرار الخلع ، وقد أدرك عبد الحميد ذلك ولهذا رفض أن يحدث قره صو قائلا : ان يهوديا لا يمكنه أن يبلغ خليفة المسلمين قرار خلعه ، هذا ما نشرته صحف بيروت بمناسبة اسناد احدى مناصب الدولة العثمانية لابن قره صو.

— ٧ —

واشارت الفتح الى تسرب الدعاية الكمالية الى سوريا فكتب الأستاذ مصطفى السباعى يشير الى ما يقوم به الكماليون فى سوريا وتخصيص مبالغ طائلة لنشر الدعاية القوية لمبادئهم فى نفس ضعفاء الدين والوطن من السوريين وتحبيب حكمهم اليهم وتأويل كل ما يعرفه الناس فيما يتعلق بموقفهم من الاسلام ، واشار الى ان الجهود التى يقوم بها الكماليون فى الدعاية لخطتهم تستهدف سوريا فى دينها ووطنها وقوميتها ؛ وقد قامت الصحف السورية بوظيفة الدعايه الكمالية بمناسبة موت اتاتورك يؤيد ذلك تغريبيون امثال عبد الرحمن شهبندر وقال : « انهم يفكرون

فى غزونا وازالة الصبغة الاسلامية عن وطننـــا وعلى الأمة ان تتبين مبلغ اساءتهم الى الاســــلام وعملهم على تقويض أركانه لئـــلا ينخـــدع بهم »
(م ١٣ الفتح) .

واشار الأمير شكيب ارسلان الى موقف الأتراك من مؤتمر القدس الذى عقد عام ١٩٣٢ من أجل فلسطين فقال : ان مؤتمر القـــدس كشف عن أن العالم الاسلامى موجود سواء حضرت أنقرة ام غابت ، العـــالم الاسلامى ليس بسائر وراء انقرة ، ولن يسير وراءها بالرغم من ملاحدة مصر ، والعالم المسيحى فى أوربا وامريكا غير ســـائر فى محاربة الأديان على الخطة لتى تسير عليها أنقرة بل كما قلنا مرارا ان الأمم المسيحية لا تزال متمسكة بنصرانيتها واليهود لا يزالون متمسكين بيهوديتهم ، واهالى الصين والهند واليابان لا يزالون متمسكين كل أمة بعقيدتها ، هذا ببراهما وهـــذا ببوذا ، وهلم جرا ولا يشذ فى الدنيا عن هـــذه القاعدة الا ثلاث حكومات البلشفيك ، المكسيك ، وانقرة .

— ٨ —

وكتب السيد محب الدين الخطيب فى الفتـــح م ٦ (١٩٣٢) يقول فى مواجهـــة موقف تركيا من الاســـلام : ان الخلافة ستعود ان شاء الله والمسلمون لن يبتوا بغير خليفـــة ، بل ان من اهم ما فى ميثاق الشـــبان المسلمين الذى يعاهد الشـــباب المسلم ربه عليه أن يكون عاملا مجاهدا فى سبيل احياء مجد الاسلام باعادة تشريعه وامامته الكبرى ، وما من مسلم الا عاهد ربه على العمل لذلك ، ولكن هذا الأمر الخطير يحتاج الى استعداد خطير ، وما دامت هذه الأمنية محفوظة فى قرارة نفس المسلم وقد عاهد ربه على السعى لهـــا فلا ريب أن الله عز وجـــل سيكافىء المسلمين بتحقيقها على اتم وجه متى هيأ اسبابها » .

وتحدث كثير من الكتاب عن التحديات التى واجهت تركيا : فاشار بعضهم الى ان جامع أياصوفيا تحول الى ما كان عليه باعطائه للكنيســة ، فتنزع منه آيات القرآن وتعاد صور القديسين والصلبان وتنزع منه آيات القرآن ، ويجرى الكشف عن الآثار النصرانية وصـــور الصلبان والرموز الدينية لتكون هى الظاهرة فى الجامع .

واشار الشـــيخ الزواوى : الى البـدع السائدة فى الدولة التركية الجديدة بمخالفة نصوص الشرع فى الميراث والحجاب والزواج والاسراف فى الخمر ورقص الأجنبى مع الأجنبية فى المحافل ومخاطبة الأنبياء كما كتبوا تحت عنوان « الى حضرة محمد » .

وقال ان الحـــكومة التركية قد نخر فى عظامها النفـــاق والالحـــاد والفسق ، وان أهالى الاناضول مؤمنون مسلمون بمعنى الكلمة لولا جهلهم بالعربية وهم الذين قاموا بالجهاد فى سبيل تحرير البلاد .

واشـارت الفتح (م ١٣ — يناير ١٩٣٩) الى موت اتاتورك وقالت ان المعجبين به فى مصر من أصـــحاب الاقلام والصحف راحـــوا يعـــددون مناقبه ويترحمون عليـــه وسودوا صفحاتهم بما سموه مآثره وحسناته ، اولئك هم اعداء الاسلام وقد سرهم ما نال دين محمد صلى الله عليه وسلم على يديه من ظلم وانه اطلق للشهوات العنان ، هؤلاء المتفرنجين الذين يجب ان نحاربهم بكل قوة ، ونمزق ما على وجوههم من قناع فهم يستترون وراء نغمة القومية ويفرقون بين الدين والدولة ، ويفصلون بين الحيـــاة الشخصية والحيـــاة العامة ، حتى يهزموا الاســـلام ويرتكبوا كل منكر ، وها هو زويمر يقول : ان انتصار الاستعمار الحقيقى هو هدم الوحـــدة الاسلامية واحلال القومية محلها وما علينـــا الا أن ننفخ فى بوق القومية فينقاد لها الشعب وهذا هو الانتصار العظيم » .

الفصل الثالث

الصهيونية والقضية الفلسطينية

– ١ –

واولت الفتح اهتماما واسعا ضخما لقضية فلسطين فقد عاشت هذه المراحل الأولى من المؤامرة الصهيونية منذ ١٩٢٧ تقريبا الى مؤامرة التقسيم ١٩٤٦ ومنذ ذلك الوقت الباكر أخذت الفتح تكشف فى جرأة عن أبعاد المؤامرة وخطرها والمخطط الصهيونى ، فقد نشرت فى المجلد الثالث (اكتوبر ١٩٢٨) البرنامج الصهيونى واطلعت القارىء المسلم على هذه المحاولة الخطيرة فى الوقت الذى كانت فيه الصحف السياسية والحزبية خالية الذهن تماما من القضية أو موالية لها على النحو الذى عرف من بعض كتاب جريدة السياسة .

« البرنامج الصهيونى »

قالت الفتح : ان اصبع اليهودى هى التى وضعت نظام الماسونية ورسمت برنامج البلشفية وكتبت قانون الاتحاد والترقى . والاصبع اليهودية تزخرف الأزياء الاباحية للسيدة المصرية فى القاهرة والاسكندرية وفى باريس وفى واشنطون (شكوريل ، أورزدى باك ، وتيرنج ، البون مارشيه ، موروم) فالدعوة الى رفع الحجاب الاسلامى الصادرة من دار الهلال بقلم سلامة موسى ، والتى يكتب عنها محمود عزمى والتى يخطب فيها خطباء جمعية الشبان المسيحية والتى تشجعها جريدة الأهرام كل ذلك ليس بشىء فى جانب الوسائل التى يتخذها اليهود فى محل شكوريل ليجعلوكم أيها المسلمين أمام أمر واقع فى مسألة السفور والحجاب ، تقول التيمس : ان لليهود برنامجا أوله التساهل الواسع وآخره الاباحة والفوضى وكما يعمل اليهود لهذه الغاية سياسيا واجتماعيا فان متاجرهم الجميلة تعمل لذلك باسم التجارة والذوق والموضة . هل يعرف المسلمون الى أين هم مسوقون وما هى الأيدى التى تسوقهم ، عليك أن تعرف مركز المسلمين الحقيقى وأن تعرف ما يحيط بهم .

ولما كنت أعلم ان شراء الكماليات من عنـد شـكوريل لا معنى له غير التفريط بالمـال ، كنت اشاهده فى ذلك ولكنى لمـا علمت من الجريدة التى لا تلقى الكلام على عواهنه فى مثل هـذه الأمور ان اليهـود يجرون الشعوب الى الاباحية ، ووقفت فى محل شكوريل والبون مارشـيه اتأمل ما فيهما من ذرائع الاباحية ورايت شيئا كثيرا ، فعلمت ان شراء الكماليات من مثل هذه المحـلات اليهودية تبديد من جهة ووقوع الامة كلها فى كمين الاباحية من جهـة اخرى » .

واشارت الفتح الى خطط اليهود الشريرة حيث عثر اخيرا على مستند يفضح برنامجهم مكتوب بلغة (الأيديش) هـذا نصه :

ايها اليهود : لقد دنت ساعة انتصارنا العـام ونحن الآن فى عصر استلامنا قيادة العالم ، لقد استولينا على أزمة الأحكام فى روسيا وانجزنا خطتنا الاولى ، لقد كان الروس بالأمس اسيادنا فاصبحوا اليوم عبيدنا ، انزعوا من قلوبكم كل ذرة من الاشـفاق على اعدائنـا ، افصـلوا عنهم زعماءهم ، واوجدوا البغض من طبقـات العمال وبقية الشعب ، حاربوا فى سبيل الوصول الى غايتنا القصوى .

اللجنة المركزية للاتحاد اليهودى الدولى (لينتجراد)

— ٢ —

وعلى ذكر حـوادث فلسطين ١٩٢٩ بدات الفتـح فى نشر كتاب (اليهـودى الدولى) تأليف هنرى فورد وترجمـة الدكتور على مظهـر (٢٤ أكتوبر ١٩٢٩ م ٤ ص ٣١٣) وقد نشرت أولى فصـوله فى صحيفة اسبوعية فى أمريكا (ذى درتورن أند نبداث) مايو ١٩٢٠ ووصـل بيعها الى ٣٠٠ الف — كتاب يخاطب الناس ، ترجم الى الالمانيـة وطبع خمسا وعشرين مرة فى آلاف كثيرة ، وقد جمع الكتاب كل ما يمكن أن يقال عن اليهود وعن حركاتهم واشتغالهم بالمسائل الاقتصادية والمالية وتدخلهم فى شئون غيرهم من البشر سياسيا واجتماعيا ووضعهم يدهم على كل مرافق الحياة ووسائل النشر والاذاعـة وتحكمهم فى الأسـواق واشتغالهم جواسيس لحساب بعض الدول الأخرى .

كما يتهمهم بذلك الألمان أثناء الحرب الأخيرة ، نصف مليون يهودى منبثون فى أنحاء ألمانيا وهو عدد جميع اليهود الموجودين فى ألمانيا فى السنوات الأخيرة ، وهذه المعلومات التى قدمها هنرى فورد برهن عليها برهانا قاطعا.

واشـــد متطرفى الصهيونية يعترفون بأنه العصر الذهبى فى تاريخ اليهـــود ، كان أيام أن كان للمسلمين العز والسلطان فى بلاد أســـبانيا والبرتغال ، وقد رأى اليهود أنه بمجرد أن زالت سيادة العرب عن تلك البلاد وجلاء المسلمون عن ذلك الفردوس المفقود ذاق اليهود الذل والهوان وضربت عليهم الذلة والمسكنة وطردوا وحوربوا فى معتقـــداتهم الدينيـــة وصودرت أملاكهم وعذبوا العذاب الأليم فى تحريق وتشريد وهتك أعراض ونفى وقتـــل ووحشية محاكم التفتيش معروفة للنـــاس . ومن ثم تفرقوا فى بلاد العالم مرة أخرى ولكنهم لم يجـــدوا من الطمأنينة مثـــل ما وجدوا حين لجأوا لبلاد السلطنة العثمانية فانزلوا على الرحب والسعة وسمح لهم بمباشرة طقوسهم الدينية وبمزاولة تجارتهم واعفوا من الخدمة العسكرية ».

— ٣ —

وفى عام ١٩٣٥ المجلد العاشر من الفتح وقد علت صيحة (تهـــويد فلسطين) يقول : ان القضية قد اتضحت أبعادها تماما ، وهى أنها حرب بين بنى اسرائيل وبنى اسماعيل وحـــرب على مربط البراق الاســـلامى وجدار الهيكل اليهودى حيث أن بنو اسرائيل يريدون امتلاك غربى الأردن وشرقى الأردن والعراق وبقية الشام وقد تمتد ضغوطهم الى خيبر ويثرب ليقيموا على هذه البقاع دولة بالتمركز على هيكل سليمان رتملى ارادتهـــا بعد قرن أو قرنين على دول الأرض جهرة على نحو ما يعبثون الآن باتجاهات أمم الأرض وحكوماتها من وراء ستار .

ويعتمـــد اليهود فى اقامة المملكة التى ستتمركز فى هيـــكل سليمان على غفلة العـــرب وتنافسهم على الجاه الكاذب واخـــلادهم الى الأرض وعلى شربهم اللذات والكماليات من اليهـــود بالنقـــود التى يبيعون بهـــا الأراضى ، وقالت إن سلاح بنى اسرائيل سلاح مزدوج ، شطره الأضعف فى خزائن أغنيائهم وأمخاخ رجالهم الفضـــلاء المخلصين لمملكة اسرائيـــل

المنتظرة ، وشطره الأقوى فى يد العرب من تشتيت وتحاسد وبخل واختلال قيادة وفقر فى التنظيم . وأشارت الفتح الى ان ادارة المعارف فى فلسطين جعلت اكثريتها مسيحية حتى لا تخرج البلاد بشر مسلم فى عقيدته ونفسيته ، اما دار المعلمات فتراسها انجليزية ، واصبحت مدارس البنات وصمة عار فى أيدى لا تخشى الله من مسيحيين وأجانب ، ومن ثم تدفقت الهجرة وتسلح اليهود وأقاموا الاستحكامات .

ومضت الفتح فى كشف صفحات خطط الصهيونية فاصدرت عددا خاصا من الفتح عن وعد بلفور (شعبان ١٣٥٤) كتب فيه عبد الرحمن عزام ، وشهبندر ومحمد على علوبة ، وأسعد داغر وعبد الوهاب النجار .

— ٤ —

وفى مجلد الفتح (ص ٦٠٨) بدأ الحديث عن بروتوكولات صهيون عن بحث للدكتور روزنبرج رئيس محكمة النازى الخاص بالشئون الخارجية ، فقد بحث ما يسمونه بروتوكولات صهيون التى كانت موضوعا للقضية الخطيرة التى نظرت أخيرا فى مدينة برن ، فقد نشر مقالا مطولا فى جريدة فولكشتر برنجيز أراد به أن يبرهن على صحة هذه البروتوكولات وأشارت الفتح الى مأساة انتزاع اراضى فلسطين من أصحابها العرب بوسائل الاغراء المختلفة ، وذلك نتيجة لانشاء صندوق رأس المال القومى اليهودى فأصبحت هذه الأراضى التى اشتروها قطعة مستقلة عن البلاد ولم يعد فى وسع العربى ان يجنى منها أية منفعة سواء فى الوقت الحاضر او المستقبل ، ولم يقتصر الأمر على انه لم يبق للعربى اى أمل استئجارها وفلاحتها فحسب ، بل جعلت العربى مضطرا الى الاشتغال فى هذه الأراضى كعامل .

وفى عام ١٩٣٥ (م ٨) أولت الفتح اهتماما واسعا للهجرة اليهودية الى فلسطين فقالت اذا كان عدد من ينزل فلسطين من اليهود كل عام ٢٥ الفا فى كل سنة ففى ١٩٤٧ أى بعد اربعة عشر سنة يتساوى العرب واليهود فى فلسطين ثم يصير العرب بعد ذلك اقلية ، وهذه حقيقة مخيفة جدا والمسلم الفلسطينى اذا استخف بنتائجها فليتهم نفسه بالخيانة العظمى

بدون تردد والمسلم من اى جنس ان لم يعاون المسلم الفلسطينى على ابقاء فلسطين عربية اسلامية فليعلم أن علاقته بجامعة الاسلام قد طرأ عليها وهن فهى فى حاجة الى معالجة واصلاح . ان تهويد فلسطين يرجع الى عاملين : عامل خارجى وهو السياسة الصهيونية التى سعى اليها اليهود واقرها الانجليز ، وعامل داخلى وهو ضعف عرب فلسطين ، ومما لا ريب فيه ان العامل الخارجى يعتمد على العامل الداخلى ، ويرى أنه امضى اسلحته ولولا عامل الضعف هذا فى المسلمين لكانت السياسة الصهيونية اقل أثرا .

ان فلسطين ستكون يهودية بعد اربعة عشر عاما ان لم يغير عرب فلسطين ما هم فيه ، ما دامت هذه الاحن العائلية موجودة ، فليبداوا أولا بازالة الاحن وهى لا تزول الا بالتحرر من دنس الشهوات ثم مباشرة عملية الانقاذ .

— ٥ —

تناولت الفتح قضية البراق التى اثارها العرب والتى حكم لهم فيها حكما واضحا بأنها أرض اسلامية عن طريق لجنة البراق الدولية قالت الفتح :

البراق بقعة اسلامية يجب أن تبقى كما كانت ، ان البراق الشريف مكان له قدسية فى نظر المسلمين وهو فوق ذلك السور الغربى للمسجد الاقصى المبارك الذى هو القبلة الأولى وثالث الحرمين الشريفين فاذا كان المسلمون سمحوا لليهود بزيارة هذا المكان فبفضل منهم ، وليس لليهود ان يحولوا هذا المكان الاسلامى المحض الى كنيس يهودى وليس للحكومة البريطانية ان تساعدهم على هذا التحويل الذى يضطرب له العالم الاسلامى ولا يقبله بأى صورة من الصور أما موقف الحكومة البريطانية فهو موقف ضائع .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية فى الكتاب الأبيض بملكية المسلمين القطعية للبراق الشريف ، والوثائق التى أبرزتها السلطات الاسلامية تؤكد بانه ليس فى استطاعة اليهود ابراز أى شىء مثلها يؤيد اى ادعاء لهم

ونرى ان بريطانيا قد انقلبت على عقبيها امام هجمات اليهود واعلنت انها تشكل لجنة جديدة دولية لحل مسألة البراق .

وتحدثت الفتح عن ما دار فى لجنة البراق الدولية عند انعقادها :

وكان خلاصة ما تقدم به الشهود المسلمون هو الآتى :

« لا جدال ان الجدار الغربى هو جزء من المسجد الأقصى وهو مقدس عندنا معاشر المسلمين وان المر الذى بجانبه هو ملك المسلمين وهو وقف مقدس فكلاهما — أى الجدار والمر — يؤلفان مكانا مقدسا يدعى البراق له فى نظرنا من الحرمة والقداسة ما لكل مقام دينى وان المسلمين تسامحوا بأن يزور اليهود وغير اليهود ، ذلك الجدار لا اكثر وان ليس لليهود ان يدعوا أن لهم من الحقوق أكثر من ذلك » .

وقد اصدرت اللجنة قرارها الحاسم القاضى على آمال اليهود فى البراق :

« مكان البراق والمر المجاور له وقف اسلامى منذ ٢٤ رجب ٦٦٦ هـ الى الآن وقد جاء رئيس المحكمة الشرعية فى القدس يحمل الى لجنة جمعية الأمم حجة الوقف الصادرة من الملك الأفضل اكبر انجال السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ومستند آخر وقعه سيدى أبى مدين شعيب فى ٢٩ رمضان ٧٢٠ هـ (الفتح م ٥ ص ٩٧ المحرم ١٣٤٩ هـ) .

— ٦ —

وكشف الفتح عن بروز الدعوة الى العروبة سنة ١٩٣٩ بعد حوادث فلسطين والدعوة الى بعث التاريخ العربى فى مواجهة القومية اليهودية التى برزت فى السيطرة على فلسطين ، وتحدث فى هذا الكثيرون منهم محمد على علوبة وعبد الرحمن عزام وكثيرون : يقول محرر الفتح :

وكان للعروبة قبل الحرب العظمى الماضية رجال يترفعون من حظوظ النفس وشهواتها ويدوسون بأقدامهم لذائذ الظهور ورغبات الرفعة والجاه ، ويوجهون قوى النفس كلها نحو الأمل الأعظم ، نحو الأمل المعلق من قبة السماء فيما وراء السهى ، أما الآن فخلفاء هؤلاء مشغولون بالاختلاف على الكراسى ، والمطلوب استئلال اسباب الفرقة من قلوب العاملين ،

نحن الآن أمام كيان هيأه الله لقوميتنا ، كنا نتمنى قبل الحرب العظمى أن نرى بعضه ولو فى الحلم ومن واجب الشكر لله عز وجل على هذه النعمة أن نحسن التصرف فيها والاستفادة منها ولا يكون ذلك الا بتوحيد الصفوف ».

وفى نفس الوقت أخذت الفتح تكشف الستار عن مخططات الصهيونية وخاصة فيما يتعلق بتاريخ مملكة اسرائيل التى كانت مملكة أشرار وعبادة العجل — وهى حجة اليهود فى فلسطين — وتمكن اليهود من كنوز فلسطين العربية من تاريخ وعود بلفور ، ودفاع العرب الاقتصادى لبقاء فلسطين عربية كما نشرت وثيقة هامة عن قضية فلسطين القاها محمد على علوبة فى مؤتمر القاهرة البرلمانى للبلاد العربية والاسلامية (الفتح م ١٣ ص٥٦٤) .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا مطولا عن مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل كما تحدثت عنهما التوراة وأورد نصا للامام ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل حيث يقول : والله ما أخذت الأمم قط يعقوب ولا من بعده ولا خضعت لهم الشعوب، ولا كانوا موالى اخوانهم، بل بنو اسرائيل خدموا الأمم فى كل بلد وفى كل أمة ، وهم صنعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم وبعدها ، فان قالوا سيكون هذا قلنا لهم :

قد حصلتم على الصغار يقينا والأمانى بضائع السخفاء

ونقل الفتح من حديث خليل ثابت رئيس تحرير المقطم الى الدكتور وايزمان زعيم الصهيونية (١٩٤٠ م ١٤) قوله أن مشروع الصهيونية فى فلسطين مقضى عليه بالحبوط مهما يصيب من النجاح المبدئى ، لأنه مناقض لنواميس الاجتماع والعمران وان قومه عجزوا عن البقاء فى فلسطين لما كانوا يسودونها ولهم فيها ملك ودولة وجيش فلا يعقل أن يصلحوا حيثما فشل الصليبيون وهم جيوش أعظم دول أوربا فى القرون الوسطى وان الحكم الصهيونى فى فلسطين مصيره الى التلاشى سواء لقى الصهيونيين تأييد دول أوربا وأمريكا أم لم يلقوا ، فسيكون حبوط مشروع الصهيونية هذا مما يسجله التاريخ فى ذلك النصر عينه ، ويصبح وعد بلفور ذكرى تاريخية تدل على قصر النظر وعظم نفوذ اليهود فى أوربا وأمريكا واستخفاف أقطاب السياسة الأوربيين والأمريكيين بمصير شعوب الشرق الناهضين .

— ٧ —

ثم توالى الفتح أحداث فلسطين حتى تصل الى عام ١٩٤٦م/١٣٦٥هـ حيث تصل قضية فلسطين الى طورها الحاسم .

تقول : فى يونيـــة ١٩٢٢ وقف اللورد بلفـــور فى مجلس اللوردات البريطانى وقال :

ان الوطن القومى اليهودى تجربة خطـيرة ولكن الرحمة المسيحية تقضى بهذه المجازفة ، وصرح حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية ١٩١٩ فقال : ان غرضنا أن نؤسس لوقت قصـــير الأمد ، أوضاعا فى فلسطين نصبح معها البلاد يهودية كما هى بلاد الانجليز انجليزية وامريكا أمريكية ، ويتحـــدث عن حكومة الانتـــداب والصهيونية ، وانتزاع وتمليك الأراضى المملوكة ، كنوز البحر الميت ، وتسليح ســـكان المســـتعمرات اليهـــودية وما زالت السفن تقذف الى سواحل فلسطين بشذاذ الأرض من اليهود حتى قفزت نسبتهم العددية من العشر أو أقل الى الثلث فأكثر .

وقالت لجنة التحقيق المختلطة : ان فلسطين ليست بلادا عربيـــة وهى تعلم أن سكانها المولودون فيها أبا عن جد هم سلالة سكانها فى تاريخ الاسلام وقبل الاسلام وقبل اسرائيل واسحق وقبل نزوح ابراهيم من أور الكلدانيين فهم السكان الأصليون وهم الورثة الشرعيون لأجدادهم من عرب الاسماعيليين ومن كنعانيين أو أراميين ، أما اليهود الأقدمون فهم أجانب نزلاء ، والأوربيون الحديثين اجانب نزلاء . وعلى المسلمين من سور الصين وجزائر أندونيســـيا الى سواحل بحـــر الظلمات أن ينظموا دفاعهم عن فلسطين » .

ثم تحدث عن الأحداث بعد قرار التقسيم وقال : ان أمريكا تسعى الى فرض تقسيم فلسطين وقدم حقائق عن اليهود بدأت تنكشف فى هذه الفترة :

من هـــذه الحقائق أن اليهـــود عامة ويهود أوربا وأمريكا ليسوا من بنى اسرائيل وانهم بشهادة علماء الأخبار وأبناء الأقطار لا ينتمون اليهـــا

ويبعدون كل البعد عن نسل ذلك الشعب القليل العــدد الذى جاء ذكره فى الكتب المقدســة . أورد قول وليمز نوميسون : أستطيع أن أقرر أن الصهيونية كالنازية سواء بسواء ، ليس من المعقول أن نتحيز للقضــاء على النازية فى المانيا ونؤيد الصهيونية فى فلسطين . واورد السير ادور سيزر : لقد اثبتت الصهيونية أنها كارثة تهدد البشرية وقد فتحت الأبواب لتغلغل الشيوعية فى الشرق الأوسط مما قد ينتج عنه حلول كارثة لا يعلم احد مدى نتائجها فيما يتعلق بحضارة العرب .

واشارت الفتح الى قرار التقسيم الظـــالم : الذى يقر قيـــام دولة صهيونية فى قلب بلاد العرب لا تنال فلسطين وحدها ولكنه يتعداها الى كل وطن عربى آخر بجوارها الى الأوطان الاسلامية ، فاليهود لا يخفون مقاصـــدهم ولكنهم يجاهرون بها ويهتفون بأن ملك اسرائيـــل من الفرات الى النيل ، ثم انهم ليحلمون بيثرب موطن بنى قريظة وبنى النضـــير سابقا ومهوى قلوب المسلمين وأفئدتهم جميعا اليوم ومستقر أكرم انسان عرفته الانسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

ثم تناولت الفتح بالحديث : الجهاد فى سبيل تحرير فلسطين .

وتحدثت عن تاريخه فى شريعة الاسلام « لا تزال طائفـــة من أمتى على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم الا ما أصـــابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله وأين هم قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، وقال تقتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء حجر فيقول الحجر يا عبد الله » .

وتحدثت الفتح عن انشاء جامعة الدول العربية ولجوء أمين الحسينى الى مصر (رجب ١٣٩٥) والدعوة الى بعث الاسلام من جديد ، وهو مصدر بعث العرب من جديد « أعظم مطالب الحق أن تقوم لتراث الاسلام وأماناته دولة — أو دول — من أهله يحنو عليهما وتجدد من شبابهما ويبعث فيهما الحيـــاة وتدفع بهما الى ميدان العمل .

الفصل الرابع

قضية شـــمال افريقيـــا

- ١ -

لقد أولت الفتح اهتماما لقضايا شمال أفريقيا على نحو ضخم بالغ الأهمية والخطورة فعنيت بالتفاصيل الدقيقة لحركات الاستقلال في الأقطار الأربعة : ليبيا وتونس والجزائر والمغرب (مراكش) وكان أكبر اهتمامها لقضيتين :

اولا — قضية التنصير التى قامت بها القوى الاستعمارية فى تونس (والمؤتمر الافخارستى) .

ثانيـــا — قضية الظهير البربرى التى قامت بهـــا القوى الاستعمارية فى المغرب .

ثالثـــا — احتفال الاستعمار الفرنسى بمرور مائة سنة على احتلال الجـــزائر .

وقد كشفت الأحداث أن هناك حملة لاتينية مدبرة من ايطاليا وفرنسا واسبانيا على شمال أفريقيا وكان الدكتور خالد شلدريك أول من كشف هذه المؤامرة ثم جاء الأمير شكيب أرسلان فكتب فى الفتح فى رمضان ١٣٤٩ مبحثا مطولا جاء فيه :

الآن نجد الدول اللاتينية الثلاث (فرنسا وايطاليا واسبانيا) ممالئات على الاســـلام يهضمنه من كل ناحية برغم ما بينهن من خلاف . فرنســـا قد عملت عملتها فى مسالة البربر ولم تزل مصرة على سياستها البربرية التى تستعد لها منذ زمن طويل وهى (فرنسة) هذا الشعب وتنصيره ، وقد خاطبت الحكومـــة الأسبانية سرا ولم تلبث أن ظهرت نتيجـــة تكامل هاتين الدولتين فى الضغط الذى شرعت به أسبانيا فى منطقة الريف بعدم

الاذن لأحد به السفر الى خارج المنطقة الأسبانولية ، وبوضع العراقيل فى طريق التعليم الدينى الاسلامى وبغير ذلك من التدابير والأوامر القهرية التى جاءت بها اسبانية ملبية لداعى فرنسته . لقد اتحدت فرنسا واسبانيا على (عبد الكريم) والأسبان برغم عدم ميلهم للفرنسيين يلبون مطالب هؤلاء فى تضييق الخناق على أهل الريف وكذلك عمل الجنرال الطليانى فى برقة من اجلاء ٨٠ ألف من عرب الجبل الأخضر الى صحراء (سرت) وحصرهم ضمن أسلاك شائكة فى منطقة مجدبة يهلكون فيها من قلة الماء والكلأ حتى يبيدهم بهذه الوسيلة . ويحل محلهم المستعمرين الطليان . اذن الدول اللاتينية الثلاث حاملة على الاسلام كدين بعد ان حملت عليه كدنيا وطالما أعلنا وذكرنا انه من لم يكن له دين وان من لم يكن له سلطان فليس له قرآن هذا يدل على أن المستعمرين الجغرافيين يكذبون عليك افظع الكذب ويضللونك أشنع التضليل عندما يقولون لك ان الدول الأوربية قد نبذت الدين المسيحى وانها لا تقيم له وزنا ، وانها فصلت الدين عن السياسة ولذلك فقد فازت هذا الفوز العظيم ، وان المسلمين انما تأخروا وتقهقروا من جراء استمساكهم بدينهم وتلاوة قرآنهم » .

واشارت الفتح الى مخطط الحرب الصليبية فى المغرب م ٦ (١٩٣١ — ١٩٣٢) وانه من رباط الفتح فى المغرب أعلنت هذه الحرب ، من اصرار فرنسا على سياستها التبشيرية ، واطلاق أيدى المبشرين والمبشرات فى صميم بلاد البربر ، حيث يوجد ٨٠ مركزا للتبشير فى مختلف المدن الكبرى فى المغرب ، وان جهود البشرين احتلت سهول المغرب وجباله ومناطقه الخاضعة والثائرة ، ويعاود الأمير شكيب ارسلان الحديث عن الحرب الصليبية الجديدة فيقول : ان هذه الحرب ليست قاصرة على الأمم اللاتينية بل ان جميع الأوربيين الا أفرادا قلائل هم يكرهون الاسلام ، المبشرون والقسوس سواء كانوا من البروتستانت او من الكاثوليك هم أشد عداوة للاسلام من كل البشر ، دعا شيخ ايطالى : (ايطاليا وفرنسا وانجلترا واسبانيا) لعقد حلف يكون به هذه الدولة كتلة ضد العرب ، كذلك فعل موراسى الكاتب الفرنسى المشهور . ان فرنسا تسمى مراكش والجزائر وتونس بفرنسة الأفريقية وتفكر فى مستقبل هذه البلدان ومستقبل الاسلام بها ، ويبحث الفرنسيس فى وسائل محو الاسلام منها

ولو تدريجيـــا ، ان محاولة اخراج البربر من الاسلام هو من جملة آمال الفرنسيس ، لزيادة توطيد أقدامهم فى شمالى افريقية ويرون أن شمال أفريقيا يبقى تحت خطر الانسلاخ عن فرنسا ما دام أهله مسلمين لأن الاسلام لا يسمح بأن يقبل أبناؤه سلطة الأجانب عليهم ، لذلك وجب تحويل مسلمى المغرب ولو بالتدريج الى المسيحية .

وكتب الحسن أبو عياد موضوعا عن قصة اخراج البربر من الاسلام.

وأشارت الفتح الى مقاصد ايطاليا وفرنسا واسبانيا فى شمال افريقيا (م ٦ الفتح ص ٣٥٤) فقالت : لم تعد هذه الدول مقتنعة بالفتح والاستيلاء وضرب الذلة على السكان المسلمين فى هذه الأقطار ولكنها آخذة فى طرق نشر ثقافة وديانة فرنسا وايطاليا وبالاختصار قلع الدين الاسلامى من تلك الأقطار لتحل محله النصرانية وبالأخص الدين الكاثوليكى .

— ٢ —

تنصـــير البربر :

وأولت الفتح اهتمامها بقضية تنصير البربر فكتبت فى المجلد السابع (ص ٧٠٤) فصلا مطولا أشارت فيــه الى سياسة فرنسا التى تعمـــل على احياء الأعراف (جمع عرف وهى العادة) البربرية القديمة قبـــل الاسلام وادماجها فى القانون الفرنسى وتكوين خليط منها تفرضه على المغاربة حتى يتحاكموا اليه بدلا من القانون الاسلامى ، وقد بدأت فرنسا بتطبيق هذه السياسة ١٢٧٦ هـ — ١٨٥٩ م فبعد ان كانت أحكام الشرع الاسلامى هى مرجع البربر وجميع المغاربة فى اقضيتهم ، أصدرت فرنســـــا قانونا فى الجزائر يحرم القبـــائل البربرية من أحكام الشريعة الاسلامية وزعمت ان مسلمى البربر هم الذين طلبوا احياء اعرافهم الجاهلية وتأليف أنظمة قضائية واحلالها محل الشريعة الاسلامية ولم يأت عام ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م حتى قامت هذه القبائل بثورة مسلحة تحت قيادة سيدى المقرانى وحاصرت حصون الفرنسيين ومعسكراتهم وأخيرا فرضت فرنسا على هذه القبائل غرامة حربية بلغت ٢٦ مليون فرنك فرنسى وضبطت جميع أملاكها ووزعتها على مهاجرى الالزاس واللورين (نصف مليون هكتار) وأصدرت فرنسا

أمرا جديدا ١٨٧٤ م — ١٢٩١ هـ يقضى بالغاء الجماعات البربرية وابطال اختصاصاتها القضائية وفرض على القبائل البربرية أن تحاكم الى قضاة فرنسيين يتولون الحكم بين افرادها وفق العادات البربرية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية ، فضلا عن القيود المدنية والأملاك العقارية ، ثم نزعت قضاتهم وأصبح قاضى الصلح فرنسيا ثم أوكلت جميع أعمال المحاكم الاسلامية الى محاكم الصلح الفرنسية وجاءت فرنسا الى المغرب ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م على أساس معاهدة أطلقت عليها معاهدة الحماية التزمت فيها بأن جميع الاصلاحات التى تقوم بهـا داخل المغرب الأقصى لا تمس الدين الاسلامى بسوء فى قليل ولا كثير ولكن فرنسا لم تلبث أن بسطت سلطانها على المغرب الاقصى تحت ستار معاهدة الحماية وقد جاءت فرنسا الى المغرب الأقصى غارقة فى حلم الامبراطورية الفرنسية بأفريقيا ومشروع انشاء فرنسا أفريقية على ضفة البحر المتوسط مقابل فرنسا الأوربية على الضفة الاخرى ، وتحمل معها منهجا استعماريا خطير التحقيق : ذلك المشروع هو منهج السياسة البربرية حيث يصبح المغرب الأقصى كالهند لانجلترا .

وكان القائد ليوتى هو واضع برنامج الاستيلاء على المغرب تكملة للجزائر ولم تكن حكومة الحماية لتستقر فى الرباط حتى أنشئت مدرسة اللغة العربية واللهجات البربرية ١٣١٣ تمهيدا للسياسة البربرية فى المغرب الأقصى ، وقد استصدر (ليوتى) ظهيرا لم يسبق له نظير فى تاريخ المغرب كله منذ دخل الاسلام ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م قرر فى مقدمته نفس النظرية الفرنسية فى السياسة البربرية بحذافيرها بينما علماء الانثربولوجيا يعترفون بأن الغرب الاقصى ليس فيه اليوم الا عنصر واحد هو وليد العنصرين العربى القديم والبربرى والأندلسى المعاصر المكون منهما وان القبائل البربرية هى التى لا تزال اللهجات القديمة شائعة بينها وان القبائل العربية هى التى لا تعرف تلك اللهجات بينما علماء الاثنوغرافيون يسجلون ان القبائل المغربية — بربرية وعربية — قد التحم بعضها ببعض وخضعت جميعها لظروف واحدة ، ويسجلون كون القبائل المغربية اليوم انما هى قبائل جديدة تكونت تكوينا جديدا تحت تأثير الاسلام والعروبة ويثبتون

صعوبة التمييز بين القبائل من اصل عربى او بربرى ، الأمر الذى له تمام الدلالة على أن الأمة المغربية امة متوحدة ذابت فيها العناصر المختلفة ونشات نشاة جديدة ولا يوجد الا جنس واحد هو الجنس المغربى المسلم ، اذ فرنسا تجنت على التاريخ والحقيقة الواقعة بدعواها انه لا يزال يوجد فى المغرب جنس خاص يحمل خصائص معينة هو الجنس البربرى لتتخذ من ذلك تكاة تتكىء عليها فى تنفيذ سياستها البربرية وتفتأت على الحقائق بان هنــاك الى جانب القوانين الاسلامية المغربية قوانين بربرية تختلف عن قوانين الاسلام تمام المخالفة كما تختلف أعراف الجاهلية عن تعــاليم الاسلام ، وقد عملت فرنسا على جعل اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية للجماعات البربرية واقامت جهات قضــائية يتحاكمون فيها على أســاس أعراف البربر القديمة (محمد المكى الناصرى — ص ٧٠٧ م ٧ سنة ١٩٣٣).

— ٣ —

ووالت الفتح اهتمامها فتحدثت عن الظهير البربرى (١٦ مايو ١٩٣٠ م ١٣٤٨ هـ) الذى تنازل فيه ملك المغرب للحكومة الفرنسية عن حق التدخل فى شئون البربر الدينية والمقرون بانشاء محاكم عرفية للبربر تنظر فى كل شئونهم المدنية والجنائية وقالت الفتح ان هذا الحادث حلقة من سلســلة يتالف منها خطة مرسومة لتنصير المغرب الأقصى ، وكان الابتداء به من البربر لانهم يتالف منهم الأكثرية الساحقــة ، ولأن ســوادهم الأعظم ليس لهم من التهذيب الدينى ما يكون لهم من المناعة الكافية لدرء خطر التنصــير .

واشار الى دعوى الفرنسيين من انهم جاءوا المغرب لينقذوا البربر وينتقموا لهم من العــرب الذين احتلوهم وسلبوهم المسيحية من أفئــدتهم وانهم عاملون على ارجاعهم الى حظيرة الكثلكة والصليب ومما يدل على ذلك افتتاح الفرنسيين مدارس فى أوساط البربر خالية من كل ما يذكر بالعربية والاسلام ، وهذه المدارس منها ما هو للبنين وما هو للبنات ، تومىء بالبنات على خلاف رضى ابنائهم ، ينقلون مبادىء الفرنسية والدروس المسيحية فى كتب المطالعة تمجيد للمسيحية وتاليه لفرنسا وشتم للعرب وانتقــاص من كرامة المسلمين .

واشار الى لجوء المغاربة الى بيوت الله وضراعتهم الى الله اللطيف ان يكشف عنهم البلاء العظيم ، هذا الظهير يحظر على البربر أن يتحاكموا الى الشرع الاسلامى وقد منعت الادارة فى تطبيقه بناء المســاجد وقراءة القرآن والتعليم باللغة العربية .

وقد وجه السيد محب الدين الخطيب نداء قويا الى المسلمين بهــذه المناسبة يدعوهم الى مؤازرة اخوانهم فى شمال أفريقيا فقال :

ايها المســلمون : أنتم تســتقبلون حربا صليبية لا تعد حروب زمن صلاح الدين فى جانبها شيئا مذكورا ، ان الحرب الصليبية الماضية كانت بالسيف والترس ، أما الحرب الصليبية العصرية فانها بالمدارس والمؤلفات والدسائس والدعايات ، وكل ذلك يرمى الى هــدم الاســلام من قلوب المسلمين .

وقد وجه النداء من القاهرةالى ملوك الاسلام ونداء منالأزهر فى مصر الى الزيتونة فى تونس الى القروين فى فارس الى تيولند فى الهنــد ومعهد النجف فى العراق وجمعيات دلهى واندونيسيا وسومطرة وجاوا وجاكارتا والقدس وبيروت والصين وقع عليه : عبد الحميد سعيد ، رشيد رضا ، الزنكلونى ، أبو العيون ، شلتوت ، الربيعى ، الدرديرى ، الهلباوى ، محب الدين الخطيب ، الحسنى ، دراز ، الفخراوى ، جودت ، طنطاوى جوهرى ، الفاروقى ، يونس الأندونسى . تحت عنوان : محاولة تنصير ٧ ملايين من المسلمين واخراجهم عن دينهم بالقوة .

وكشفت الفتح عن مدى رد الفعل فى المغرب والثورة الفكرية القائمة على سياسة تنصير المسلمين ، وكتبت جمعية المحافظة على القرآن وجمعية الهداية وجمعية الشبان وجمعية اللواء الاسلامى برقيــات احتجاج على التنصير الاجبارى وسياسة فرنسا المكشوفة بالمغرب الأقصى ، وفى نفس الوقت تتابعت الأحداث واعلان أنقرة اغلاقها لثمانين مسجدا ، واستيلاء ايطاليا على بعض زوايا السنوسية واخراج فرنسا البربر من الاســلام بحجة أنهم نصارى وأنهم عرق أوربى وتتابعت الأحــداث فكتبت الفتــح

عن « الحملة الصليبية التاسعة فى المؤتمر الافخارستى فى قرطاجنه فى تونس » .

قالت : أعلن البربر سخطهم على الخطة الدميمة التى سلكتها فرنسا بقصد ابعاد الأحكام الاسلامية عن الحياة البربرية ، وبلغ عدد المعتنقين من أبناء القبائل البربرية اربعة آلاف رجل ، رغم كل الوسائل التى اتخذت لاظهارهم مظهر الراضين ، عن الظهير المشئوم كاف لاعلان أن تلك المزاعم كافية ، فهم لا يفضلون عاداتهم الجاهلية على أحكام الاسلام وتحدثت الفتح عن ثورة قبائل البربر فى سبيل الاسلام (حزيفة ، وخيفرة ، وابت شعر وشين ووادى أم الربيع ، وأولاد عمران) كلهم ثائرون على فرنسا .

— ٤ —

وأولت الفتح اهتمامها بمرور مائة سنة على استعمار الجزائر (الفتح م ٤ ص ٧٨١) ١٣٤٨ هـ — وأشارت الى صرخة احمد زكى باشا شيخ العروبة الى حجاج بيت الله والى جميع العرب والمسلمين بمناسبة احتفال المسيطرين عليها بمضى مائة عام على استعمارهم لهذه الأقطار العربية ونحو اخوانهم فى طرابلس الغرب ، قال : الله ينظر لكم ، الرسول يتقاضاكم ، الاسلام يطالبكم بدعوة الحجاج الدعاء لله مخلصين لرحمة اخواننا ، لنرحم اخواننا بالمشرقين والمغربين وخاصة بالجزائر وطرابلس فقد نزلوا بتخاذلهم وبتغاضينا عنهم الى أقصى دركات المذلة والهوان واليوم يحتفل الغاصبون للجزائر فى الجزائر برسوخ قدمهم على أعناق العنصر الوطنى ويتشدد المفترون على طرابلس ، فى طرابلس لازهاق الروح العربى ، وكلاهما قد جعل اهل المغرب فى بلادهم عبيدا فى ديارهم ، تولوا للحجيج بكل لسان وبكل وسائل النشر والاذاعة والاعلان ، ان الفريضة ليست مقصورة على هرولات وحركات بل لها ذلك المعنى السامى البعيد المرامى الذى اراد به القرآن فى ذلك الميقات السنوى تعرض الجهود لتوحيد الصفوف لتعود الأمة الى سيرتها الأولى وتقيم صرح عظمتها الجديد على قواعد الوطن والأخلاق والدين » .

وتحدثت الفتــح عن عمل فرنسـا فى الجزائر فى مائة سنة فقالت :

احتفلت فرنســا بمرور مائة ســنة على احتلالها للجزائر ، وقالت الصحف اننا نود للجزائريين أن يصيروا مثلنا وأن يتأدبوا بآدابنا وحينئــذ ينهضون من الدرك الذى وضعوا فيه أنفسهم ، بمحافظتهم على تقاليدهم واحوالهم .

● وتحدثت الفتح (م ٦/٩٧) عن خطر التيجانية وولائها للاستعمار الفرنسى ، وقالت ان صاحب الســجادة الكبرى القى خطــابا بين يدى الكونتول سيكلونى الفرنسى تحــدث فيها عن الخدمات الجليلة الصالحة التى قامت بهــا الطائفــة التيجانية لفرنسا فى توطيد الاستعمار الفرنسى وفى سبيل تسهيل مهمة الاحتــلال على الفرنسيين وفى اشارات التعقل التى كانت تسببها هذه الطريقة الصوفية لمريديها .

وتحدث الفتح عن ما أسمته عيد الرقى المئوى للمسلمين فى الجزائر : جاء فيها ان الجزائريين طالما احتجوا على هــذا التحكم لما وقع فى ثورة السيد سليمان بن صندة الأباسنجى ١٢٨١ وثورة السيد المقرانى والشيخ الحــداد ١٢٨٨ ثم ثورة أبى زيالة العلمى ١٣٧٨ لأن المســلم الجزائرى غريب فى وطنه الى حد أنه لا يتمتع بالحقوق القضائية والمدنية والسياسية التى يتمع بها اليهود والأجانب المقيمون فى الجزائر ، فضــلا عن انشاء الخمارات ودور الفسق وتدمير مآذن المساجد وقبابها بالمدافع .

● وتحدثت الفتــح (م ٣/٣٥٤) عن الجزاء وطن عربى تقطنــه خمسة ملايين عربى وبربرى مسلمون منذ أربعة عشر قرنا كاملة ، والأحكام كلها فرنسية ، منها قضاة الصلح الافرنسيس ومجلس القوانين الفرنسية والتعاليم كلها فرنسية اجبارية وبقيت كلمات الأهالى كلها فرنسية ينطقونها عربيــة .

● وأشارت الفتح الى أنه صدر فى باريس كتاب عنوانه (فتح الجزائر الدينى) ألفه شانوان حول تورنيه ٢٦٠ صفحة تكلم فيه عن تقدم الدعوة النصرانية فى بلاد الجزائر رغم صلابة أهلها فى الاسلام ونفرتهم من الاتصال

بالرهبان والراهبات وان العالم الكاثوليكي يرى ان فتح الجزائر الدينى أدعى الى الفخر من فتحها السياسي والعسكرى ».

— ٥ —

● وتحدثت الفتح عن طرابلس الغرب وقالت ان امتها امة مسلمة تساق الى الفناء فأين المسلمون ، وقالت انه منذ سبعة سنوات أعدم عمر المختار وفي هذا العام (ديسمبر ١٩٣٦ – م ١٣ الفتح) أعدم فرحان السعدى ، فمنذ قضى الايطاليون على حركة السيد عمر تفرغوا الى تنفيذ ما رسموه من خطط لافنــاء الشعب الطرابلسي ، ان برقة الآن اصبحت ملكا للايطاليين وهم يمهدون لاسكان خمسة عشر الف ايطالى ».

● ونشرت الفتح (م ٥/٧٢٢ . ١٩٣١ م – ١٣٤٩ هـ) مقالا عن مظالم الطليان في طرابلس الغرب ، بقلم شكيب ارسلان جاء فيه : ان نية ايطاليا حمل الطرابلسيين على النصرانية تدريجيا غير خافية ، وسياســة ايطاليا في طرابلس الغرب وبرقة ، سياسة اصطدام واستئصال لمسلمى هاتيك البلدين ، ونزع املاك القبائل السياسية وزحف الايطاليين على الكفرة ، وقد جعلوا زاوية السنوسى الكبير خمارة سكروا فيها وشربوا تحت أثناء مسيحى طرابلس وبرقة وداسوا على المصاحف الشريفة والقوها بين سنابك الخيل واشعلوها تحت القدور ، وقد قتل من أهل الكفرة ٢٠٠ شــهيد ، ومثل باعراض ٧٠ عائلة من عائلات الأشراف ، وان ٨٠ الف عربى نزعوا من ايديهم بلاد الجبل الأخضر ، وارسلوهم الى بادية (سرت) القاحلة ».

— ٦ —

● وتحدثت الفتح عن الاستعمار الأوربى في المغرب (م ١٢ ص ٦٤٦) قالت : ان الاستعمار الأوربى يقف مندهشا امام التطور العجيب الذى يرافق حركة الجامعة العربية فانه بعد توغل الفرنسيين في شمال افريقيا واحتفالهم بذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر كان يظن ان الشمال الأفريقى سيظل في عزلة عن الشعور القومى الذى يلهب العالم العربى في آسيا ، ولكن الحوادث الأخيرة التى وقعت في الجزائر وتونس ، والثورة المشتعلة في المغرب التى اضطرت فرنســا الى الاستغناء عن عميــدها في باريس

جاءت دليلا على أن الاحتفال بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر وصبغها بالصباغ الفرنسى ، كان مرتكزا على خطأ ، ففى الواقع أن نفحة من نفحات الوطنية فى العراق وســوريا ، كانت كافية لاثارة الاحساسات القائمــة فى الصدور ، ثم جاءت حوادث فلسطين وثورتها فاشتعلت النار فى جميع افريقيــة حتى اصبح الذين لم يكونوا يحلمون قط بالخروج على ما الفوه من حياتهم يتظاهرون بالرغبــة فى اخــراج الفرنسيين ليس من الجزائر وتونس فقط بل ومن جميع افريقية الشمالية وسرت العــدوى الى البربر الذين حاولت فرنسا أن توجد لهم كيانا خاصا فان هؤلاء بمجرد سماعهم بأنباء النضال بين الاستعمار الانجليزى والفرنسى وبين العنصر العــربى قاموا يؤيدون الحركة الرامية الى استقلال البلاد الافريقية فهم يجاهرون علنا بأن لا مندوحة عن تأسيس امبراطورية عربية تشمل جميع مقاطعات وأقاليم افريقيا الشمالية ويرأس هذه الحركة الجديدة التى نبهت فرنســا الى الخطر المحدق بها شباب تعلموا العلوم الحديثة فى باريس تحت مراقبة أساتذة فرنسيين وأول ثمرات هذا التعليم كانت محاولة جريئة الى تحطيم الاستعمار الفرنسى .

— توجد دراسات هامة عن البربر وشمال افريقيا .

(م ١٣ الفتح ص ١١٦٨/١١٩٨/١٢١٨) .

الفصل الخامس

قضية مسلمى الهند وقيام باكستان

فى اطار اهتمام الفتح بقضايا العالم الاسلامى كان اهتمامها البالغ بقضية مسلمى الهند وموقف الهندوس منهم وقد تحدث السيد محب الدين الخطيب (م ٦ الفتح ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م) تحت عنوان « الهند ومطالب المسلمين » قال فيه : نحن حذرنا ولا نزال نحذر اخواننا المسلمين من السير مع الهنادك بدون قيد ولا شرط ، وقال : ان سير بعض المسلمين فى الهند مع الهنادك فى سبيل الوطن راكضين ثقة عمياء غير مشترطين على ابناء وطنهم شروطا تؤمن مستقبلهم منذ الآن ربما يكون من ورائه الا الندم والتأسف ، على ما فات والوقوع فى القتال والنضال والأهوال الثقال . ولما كانت الكلمة العليا للمسلمين فى الهند فى الماضى كانوا يخوفون الهنادك يقولون لهم ان المسلمين سيعودون الى سلطنة الهند ويتولونها استئنافا لما تولوها بداية ، وبهذا كان يشقون الهنادك على المسلمين ويصدمون الوحدة الهندية والآن عندما صار الهنادك هم ذوى الكلمة العليا فى الهند أخذ الانجليز يخوفون المسلمين من مشروع استقلال يصير فيه الحكم بأيدى الهنادك على حين لا يبقى للمسلمين ملجأ يلجأون اليه اذا عسفتهم الأكثرية المجوسية . نحن نظن ان التوفيق بين الفريقين غير مستحيل لو خففت الهنادك من غلوائها وذلك بأن يكون لأهالى البنجاب والبنغال والسند حق فى أن يرتضوا من قرارات المجلس الهندى العام ما يرونه ماسا بمصالحهم وأن يقبلوا ما يوافقهم ، وأن تكون تلك البلاد مستقلة بحكمها الا اذا هجم عليها عدو اجنبى عن الهند من الخارج يتحتم على جيوش جميع البلدان الانضمام الى الجيش الهندى لدفع العدو » .

● وتحدث الشاعر الاسلامى محمد اقبال عن تأثير المسألة الهندية على مسلمى الهند (م ٦) أشار فيها الى موقف مسلمى الهند من حركة

تحرير الهند ، ففى حركة عدم التعاون التى بدأت سنة ١٩٢٠ كان من الذين قاموا بها وقبض عليهم وزجوا فى غياهب السجون فى أثناء القيام بهذه الحركة ٨٠٪ من المسلمين رحاول المسلمون جهد طاقتهم ١٩٢٣ — ١٩٢٧ ان يتفاهموا مع الهندوس نعقدت جملة مؤتمرات وكان موضوع الاغلبية الاسلامية فى مقاطعتى البنجاب والبنغال هى الصخرة التى تتكسر عندها هذه الاجتماعات (•)

وكتب السيد محب الدين الخطيب (م ٦ سنة ١٩٣٣ ص ٥١٣) مقالا هاما عن وضع المسلمين فقال : فى الهند فكرة خبيثة يسعى لنشرها عباد البقر ويقنعون أنفسهم بصحتها وضرورة تحقيقها وهى أن البرهمية هى دين الهند الوطنى وان مسلمى الهند صبأوا عن ملة آبائهم الأولين فيجب ردهم اليه بكل وسيلة واذا كان الحكم البريطانى الحاضر يحول دون استعمال اساليب القسوة فى تحقيق هذا الغرض فيجب أن يكون تحقيقه من غايات الاستقلال ، وقال ان نجاح الهنادك فى تكفير ١٧٠ مليون مسلم وارجاعهم الى عبادة البقر لولا أن انقذهم الله وتمكن من هدايتهم ، كتب راجيال الهندى كتابا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هاج له مسلمو الهند وغضبوا وقدموه الى المحكمة ، وقامت المعارك الدموية فى المدن الكبرى بين المسلمين وعباد البقر . واشارت الفتح الى مبلغ الظلم الذى حاق بمسلمى الهند وليعتبر بما جرى عليهم فى كشمير فى المدة الأخيرة ، اغلبية مسلمة والقيادة هندوكية فهم يمنعونهم من خطبة العيد فى المسجد الجامع ، ويحكمون على من يذبح منهم بقرة بالسجن سبع سنوات ، ومن اراد أن يدخل فى الاسلام من الوثنيين تصادر الحكومة أمواله وتنتزع منه زوجته واولاده (•)

ومن ذلك كانوا يلقون المصاحف على الأرض ويطؤونها بنعالهم ، تلك هى امة غاندى التى يطلب منها المسلمون ضمانات على حريتهم الدينية ويقولون بكل صراحة انهم لا يأتمنونها على مستقبلهم . وتتألف الهند من ١٤ ايالة ، تسع منها مسكونة باكثر من مبدأ الهنادك وخمس مسكونة باكثرية المسلمين فالمسلمون يريدون أن يكون لهم الأمر فى الايالات الخمسة الاسلامية مدة يتموا فيها للمتهم محاكم شرعية ومدارس ذات مفاهيم مستمدة

من الثقافة الاسلامية ، بيما يكون للهنادك مثل هذا الحق فى الايالات التسع ، ومن الثابت أن الهنادك يراوغون ويخادعون للتخلص من اتفاق صريح فى هذا الباب ».

عقد مؤتمر سملا ١٩٢٧ وقد شهد العالم بأجمعه على غاندى فى مؤتمر المائدة المستديرة أنه هو الذى رفض الاعتراف للمسلمين بحقوقهم ، ولما وفق المسلمون بين الأقليات الهندية كلها فاجتمعت كلمتها وجاءت تطالب الأكثرية الهندوكية بحقوق الاقليات حاول الناسك غاندى ان يلقى بذور الشقاق بين المسلمين والأقليات الأخرى ، ان غاندى احد الهنادك وهو على رأيهم فى الخطة التى اختطوها لأنفسهم نحو الاسلام وهم ماضون العزم على العمل بالوسائل المشروعة وغير المشروعة لحمل الاجيال الآتية من مسلمى الهند على العودة الى عبادة البقر وهم يظنون ان هذا فى متناول أيديهم ويغريهم باعتقاد هذا الظن ما يرون من انخداع بعض شباب المسلمين بهم ».

وتداولت الفتح قصصا كثيرة لأحداث حدثت فى اضطهاد المسلمين ، ومن ذلك ينعقد حكم الاعدام فى المسلم الغيور عبد القيوم الذى قتل فى المحكمة الهندوكى البذىء الذى الف كتابا شتم فيه سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأى عبد القيوم ان انظمة الهند لا تعاقب هذا الهندوكى الملعون بعقوبة الاعدام وهى اقل ما يستحقه ، ضحى بنفسه وقتله فى قاعة المحكمة على مرأى من الجميع .

● واشارت الفتح الى تعصب الوثنيين وقيام المسلمين بتأليف جبهة أهلية للدفاع عن أنفسهم كما اشارت الى الاضطرابات الطائفية التى لا تنقطع بين المسلمين والوثنيين فى الهند ، وخروج الوثنيين بمظاهرات سدائية بموسيقاهم وقرودهم بمسجد المسلمين فى وقت الصلاة لمضايقتهم والتشويش عليهم وأشار رئيس حكومة كانبور الوطنية الوثنية بما قام به البوليس لكبت عواطف المسلمين ولم تشر الصحف الوثنية على بكرة أبيها بكلمة واحدة الى هذا الحادث الذى أدمى قلوب المسلمين جميعا فى كانبور وهم يسامون فيها أشد أنواع الذل والهوان ».

وكانت هذه الأحداث مدعاة الى اعلان المسلمين اقامة كيان مستقل لهم هو دولة پاكستان ».

● واشارت الفتح (م ١٧ سنة ١٩٤٦) الى ان مسلمو الهند يتقدمون نحو اهدافهم السياسية ، فقالت ان فكرة باكستان كانت املا من الآمال النظرية قبل الحرب الأخيرة ولكن ثبات مولانا محمد على جناح وشدة ايمانه بهذه الفكرة ادى الى تجميع مسلمى الهند من حوله ، وما زالت الرابطة الاسلامية تتسع وتقوى شوكتها حتى صارت ممثلة لمسلمى الهند بأكثريتهم الساحقة مائة مليون من مسلمى الهند فى صف زعيمهم جناح ، وتحدثت الفتح عن العقبات المثارة فى طريق تحقيق فكرة تاسيس دولة باكستان الاسلامية .

● وقالت الفتح : ان باكستان معناها (الوطن الطاهر) حروف الكلمة متقطعة من أسماء الأقطار الاسلامية الخمسة التى يراد تأليف المملكة الجديدة منها (بنجاب ، بشاور ، كشمير ، السند ، بلوجستان) أكثرية اسلامية تتمثل فى ٩٠٪ + مناطق ٥٥٪ .

● وتحدثت الفتح عن قيام دولة باكستان التى انفردت الفتح من دون الصحف الاسلامية فى خارج الهند بنشر البيانات عنها قبل الحرب وفى خلال الحرب وفى كل مناسبة ، وقالت ان هناك مائة مليون من مسلمى الهند وراء محمد على جناح ، المسلمون ينادون بأنهم أمة استكملت عناصر الحياة ، واسباب الوجود الملى والدولى وانهم يأبون أن يكونوا أقلية فى كيان تغلب عليه الوثنية ، وقالت ان الأقطار التى للمسلمين فيها اكثرية متجاورة ومتصلة ببعضها مع بعض فهى صالحة لأن تقوم فيها الدولة المنشودة » .

الفصل السادس

مسـلموا أندونيسـيا

- ١ -

اولت الفتح اهتمامها الواسع بقضية مسلمى أندونيسيا وجهادهم فى سبيل الحرية وكشفت عن الصراع بين دعاة القومية وبين دعاة الاسلام ، وقد تحدثت الفتح عن (النضـال) بين الحركة الدينية والوطنية الحرة ، وتقهقر الملاحدة أمام الاسلام ، وقد كتب عبدالله نوح (م ١٥/١٩٣١) وقال:

فكرتان احداهما تقول بوجوب انهـاض قومية اسلامية مثبتة يكون جزءا مهما فى بناء الجامعة الاسلامية التى هى الوسيلة الوحيدة لاعلاء كلمة الله ، ونيل سـعادة الدارين . والأخرى تعمل على تأسيس قومية محلية لها ميزاتها الخاصة وأمانيها الخاصة على أن الفكرتين يتفقان فى نقطة واحدة هى استقلال اندونيسيا . الفكرة الاولى قام بهـا رجال نفخ الله فى نفوسهم روح العزة والايمان ومع نشاط الحركة التبشيرية فقد عرفوا أن الاسلام هو القوة الفعالة فى انهاض الأمم المستضعفة فعملوا لأجـل هذه الفكرة الى تأسيس جمعيات عدة منتشرة فى الجزائر الاندونيسية تعنى بكل ما من شأنه حفظ الاسلام واظهار محاسنه من اصدار جرائد والقـاء محاضرات وتأسيس مدارس وبنـاء مستشفيات وايجاد ملاجىء للأيتـام وتأليف فرق للكشافة ، وأهم هذه الجمعيات :

- شوكت اسلام : الحاج عمر سـعيد واغوس سالم والدكتور سوكيمان .
- الجمعية المحمدية التى كان لها من المدارس ما يزيد على خمسمائة مدرسة بين ابتدائية وثانوية وجرائد ومطابع ومستشفيات وملاجىء للأيتام .
- الجمعية الأحمـدية .

وقد زادت الجرائد عن ست عشرة جريدة (شهرية وأسبوعية) ومن المنتظر صدور جريدتين يوميتين .

الفكرة الثانية : تعد صدور المتعلمين الذين تخرجوا من مدارس خالية من روح الاسلام محجوبة عن نور الايمان فتولدت منها جمعيات وطنية ، وهم يعلنون الحياد بين الاديان في سبيل توحيد الأمة الأندونيسية التي أكثريتها مسلمين .

وتتكون أيضا من ملتقى الديانتين البوذية والنصرانية ، وقد تبين أن الزعماء المتظاهرين بالحياد واحترام الاديان ملاحدة يسعون في هدم الاسلام الذى هو دين الأكثرية .

— ٢ —

وفى مؤتمر الاستشراق فى ليدن ١٩٣٢ ألقى احمد بلافريج خطابا قال فيه : ان وزير معارف هولندة قال : ان هولندة لم تقصد في التبسط باطراف آسيا التجارة والمكاسب المادية فقط ، بل قصدت بذلك نشر حسنات الدين المسيحى ومن حيث ان الوزير تلا خطابه بالفرنسية فقد اعجبت جدا بهذه الجملة لأنها دالة على صراحة وشهامة وأنفة وابتعاد عن الرياء وقصد الى الغرض على سواء وبروزها من فم رجل رسمى كهذا من رجال الدولة الهولندية فى محفل عظيم كهذا له معناه ولا سيما اذا كان العمل مرافقا للقول فان البعثات الدينية التبشيرية مالئة الجزائر الاندونيسية من أقصاها الى أقصاها ، وقد نصرت الى الآن عددا كبيرا من المسلمين ولاسيما من فقرائهم وأيتامهم أقل ما قرروه به مائة ألف نسمة ولا شك أن الحكومة الهندية تحمى هذه الرسالات الدينية وتنجدها فلا عجب ان وجدت الرسالات التبشيرية تحت جناحها النجاح الذى نرجوه ، ان وزير حكومة هولندة يجاهر بعمل حكومته لخدمة الدين المسيحى امام محفل انتظم فيه ألف أستاذ فى جميع أمم الأرض من بينهم ٢٠ مسلما وذلك فى ٦ سبتمبر ١٩٣١ فى القرون الوسطى وما كانت هولندة دولة رجعية ولا متأخرة عن ألمانيا وانجلترا وفرنسا بل هى ممهن الكتف مع الكتف .

● وتحدثت الفتح (المجلد السادس) عن اضطهاد الدين الاسلامى تحت حكم هولندا فى أندونيسيا ، قال : تعصب الهولنديين على الدين الإسلامى فهم يكفرون بمبدأ حرية الأديان بل انهم يفضلون دين بوذا الجاحد

لأنبياء التوراة على نبى محمد المنزل لهؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم».

وقد مسوا قناقصونية بوثية من ان تكون مسلمة واشاروا الى المحكمة ليسمعوا قولها واقوال البوذية فى استلاب يدخلوها قسرا الى الصين ومنعها من تحقيق رغبتهـا ومن اسلامها ، واستمر حكمت المحكمة بالسجن على المسلم الذى اهتدت الفتاة الى الاسلام بارشاده ولو ان هذه الصينية أرادت أن تتنصر على يد قسيس من دعاة النصرانية لحموها ولتبجحوا بكلمة حرية الأديان وكانت تنهال عليها الهدايا والمكافآت ».

— ٣ —

وتحدث الأمير شكيب ارسلان عن القومية والاســلام فى أندونيسيا (م ٥٧٨/٥) فقال: ان المبادىء القومية الأندونيسية التى ستنهض بذلك الوطن بزعمهم هى غاية ما تبتغيه هولندا هناك وان هذه هى الأمنية التى تحلم بها من قديم الزمان حتى تتصدع قوة هؤلاء الخمسة والأربعين مليون مسلم ، الذين تحت سلطانها وتتفكك روابطهم ، ولو كان هؤلاء على شىء من الاطلاع لكانوا قرأوا كلام المستشرق الشهير والسياسى التفريسى : سنوك عرونجه الهولندى ، أشهر الهولنديين بسياسة اندونيسيا والاسلام الذى يذكر ما على هولندة من خطر هذه الرابطة الاسلامية ولا يجد لهـا علاجا الا احياء القومية الأندونيسية بازاء الاسلام ، فالقومية الاندونيسية لا تؤلف خطرا اكيدا على هولندة الا اذا كانت راجعـة الى الجامعـة الاسلامية ولهذا نجد الطبيب السياسى الهولندى يشـعر بقومية أندونيسية مجردة من الاسلام بل مقاومة له ». وقال : اذا ارتفعت العقيدة الاسلامية من الوسط ماية قوة معنوية بقيت للوطنية الأندونيسية وأى مرجح لمدنيـة الجاوى على مدنية هولنـدة ،

واذا ارتفع الاسلام من الميدان يعود من العبث استبدال الوطنيـة الأندونيســية بالوطنية الهولندية ويصـــير الاندماج فى الهولنـديين ... تماما هو أصح الآراء فالاســلام وحدة لمثل هذه الشـعوب هو الحصن الحصين المانع من الانهيار واعادة الوحدة المانعـة من الذوبان لذلك دول الاستعمار لا تكره شيئا ولا تخشى شيئا كالقرآن ».

● وأشارت الفتح الى ان الأمة الأندونيسية أمة تلقت دين الاسلام على يد دعاته من عرب الجنوب وأخذت بمذهب الامام محمد بن ادريس الشافعى فاغتبطت به ونبغ من علمائها الأئمة فى الشريعة والاتقياء الصالحون المؤمنون بان هذه الأمة لن تقوم دولتها الا على العطاء للاسلام وتحرى سننه واحياء تسيير دولته فى أدوار قوته والتعاون مع أهله .

● وأشارت الفتح الى المخاطر التى تواجه الاسلام فى أندونيسيا (م د الفتح ص ٤٤٠) فكتبت تحت عنوان « الاسلام فى أندونيسيا مهدد من ابنائه وبناته » لاحد كتاب أندونيسيا : فقالت ان الاسلام اصبح عرضة لهجمات متواصلة وانتقاد من ابناء وطننا انفسهم ، الذين يدعون أنهم زعماء وطنيون ليطعنون هذا الدين على ملأ من الجماهير وعلى صفحات الجرائد ، ومن قولهم ان كل محتويات الدين لا تناسب العصر الحاضر وعلى المسلمين الأندونيسيين الا يتخذوا من بلاد العرب قبلة لهم وان المراة الأندونيسية صارت مهانة بعد دخول الاسلام الى بلادنا ، وقال ان زعماء الحزب الوطنى الأندونيسى بزعامة سوكارنو يطلبون اليه احتواء الجمعية المحمدية ليسهل اتحادها اليهم ، وقال ان سوكارنو يعلن تعظيم رؤساء ديانات الشرك مثل كرشنا وبوذا ».

● وتحدثت الفتح عن حادثة الحاد كبرى فى أندونيسيا (م ٥/٤٦٧) واشارت الى المقالات التى نشرت فى صحيفة سوارا عموم بسوربيانا وفيها طعن صريح على الاسلام ».

واشار الى انهم يدعون الى قومية محررة من الأديان ، وقال ان الوطنية تحتم اقتران ذلك بالدين الاسلامى حيث انه دين غالبية الأمة الأندونيسية وترمى الى تطبيقه على الحياة تطبيقا عمليا .

وقال ان هذان المبدآن يسودان البلاد ولكل منهما انصار واعوان ولكن هناك الغلو فى فهم النظرية القومية والتهجم على الدين ، وهو ناتج من أسلوب التربية التى تنشرها الدول الاستعمارية على ابناء كل بلاد

مستقرة ، وقال : ومع احترامنا للأحزاب الوطنية فى اندونيسيا وتقديرنا لجهودها وعملها على أنها ضد البلاد والسعى لتخليصها من الاستعمار لا نوافقها على ما قد يصدر من بعضها من نهجم على الدين الاسلامى .

وقال ان هناك ناحية من نواحى الضعف موجودة فى زعماء جمعية « سوريايا » أنهم يجهلون تعاليم الدين الاسلامى الحقيقى ، مع انهم مسلمون وابناء مسلمون ، وذلك راجع الى تخرجهم من المدارس الهولندية الحكومية ومن ذلك هجومهم على مكة والحج ووصفه بالصنم العربى .

الفصل السابع

حول قضايا العالم الاسلامى

ولقد عملت الفتح على الاهتمام بمختلف قضـــايا العـــالم الاسلامى، وقدمت فى ذلك الشأن حصيلة ضخمة تناولت مناطق متعـــددة ومن ذلك انهـــا أولت اهتماما بمسلمى تركستان وعلاقتهم بالصين (م ١١/٧٥٦) كما أشارت الى محاربة الأديان فى روسيا وقيام حكومة السوفيت (م ٤/ ١٩٢٩) باغلاق ١٨ مسجدا اسلاميا فى حملة لمحاربة الأديان ، وقد أصدرت قانونا ينظم العمل على مقاومة الأديان ويبيح الدعاية للالحاد فى حين انه يحرم كل دعوة وثنية ويعاقب من يقوم بها وبهذا القانون أصبح من حق الحكومة ان تسحب الأطفـــال من والديهم اذا علمت أنهم يلقنونهم مبادىء الدين ، واغلاق المعابد وتحويلها الى قاعات للسينما ونوادى للملحدين .

● وتحـــدثت عن مسلمى المجر (م ١٩٣١) وقالت ان بلاد المجر كانت جـــزءا من الدولة العثمانية وكانت بودابست مركزا اسلاميا عظيما وكان فيها مساجد ومدارس وعلماء ومدرسون وشيخ اسلام ، غـــير أن معاهدة تريانون التى فرقت وحدة المجر مزقت وحـــدة المسلمين المجريين حيث أصبح أكثرهم فى الخطة التى خرجت من نصيب صربيا والتحق منهم عدد قليل بالنمسا وبقى نحوا من ٣٥٠٠ نسمة فى مملكة المجر ، وقد انقطع الأذان فى بوادبست بعد مرور ٢٥٠ سنة وتحدد الآن لأول مرة فى ٢ اغسطس سنة ١٩٣١ .

● وتحدثت الفتح عن أحوال المسلمين فى جزائر الفلبين (م ٤/ ص ٤٢٣ / ١٩٢٩) وأشارت الى ظاهرة اضمحلال لغة العرب بين أهالى جاوة وسومطرة (م ١٢) وقالت ان هناك ٨٠ ألفـــا من سلالة عـــدنان وقحطان ، وان هناك عوامل سياسية واجتماعية تتضافر وتتدافع على مهاجمة اللغة العربية وبدا غلبة اللغة الملاوية واللغـــة الانجليزية على المسلمين وأشارت الى وثيقة خاصة بالعراق فقالت تحت عنوان :

ثمن الغاء الانتداب في العراق :

قالت : طلبت جمعية الأمم ان يضاف الى المعاهدة كل ما يكفل راحة المبشرين ويضمن تبسيط الأجانب ويحفظ لهم استمرار استعبادهم للوطنيين بالامتيازات الأجنبية كما تضمن لطوائف الأقليات استمرار تفوقها على الاكثرية :

١ ـ حماية الأقليات الجنسية واللغوية والمذهبية حماية فعلية .

٢ ـ الحقوق والامتيازات الممنوحة للأجانب في بلاد الشرق الأدنى وحمايتها القضاء القنصلي والحماية كما كانا مقررين في عهد السلطة العثمانية وفقا للامتيازات الأجنبية والعادات المرعية .

٣ ـ حماية المصالح الأجنبية من جميع الوجوه القضائية والمدنية .

٤ ـ حرية الفكر وحرية المذهب وحرية التعلم الديني والمدني وحرية البعثات من جميع المذاهب .

٥ ـ الحقوق التي نالها اصحابها في عهد الانتداب باي طريقة مشروعة (م ٦) .

● واشارت الفتح الى مشروع سوريا الكبرى الذي كان مطروحا عام ١٩٤٦ وقالت انه بشكله الذي يتقدمون به الينا معناه تثبيت اقدام اليهود في فلسطين سياسيا وعسكريا باقامة دولة لهم في شطر منها وهو الشطر الخصيب ومعناه ايضا اتمام مهمة الحروب الصليبية باستقرار انجلترا في مدينة بيت المقدس والبقاع التي جندت حملات الصليبيين القديمة لاجلها ثم الضحك علينا باضافة بعض الجبال الحجرية من فلسطين الى المستعمرة البريطانية التي تسمى شرق الأردن وشغل افكار المسلمين والعرب عن هذه النغمة الخانقة القائلة باقامة مملكة تسرى فيها احكام مستعمرة الاردن شرقية وغربية على جمهورية سوريا بعد ان انعم الله عليها بالاستقلال .

● وتحدثت الفتح عن فرقة النصيرية ، حيث ورد اول ذكر لها في (مجلد ٧) سنة ١٩٣٣ يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : انه ما وقعت حرب بين الصليبيين والمسلمين او بين الكفار - كالتتار - والمسلمين الا كان النصيرية في جانب اعداء الاسلام يحاربون معهم ويدلونهم على عورات

المسلمين ، وفى الحقيقة ان النصيرية كذلك كانوا منذ وجد مذهبهم الى اليوم لم يشذ عنهم الا الشيخ صالح العلى فى أيام استقلال سوريا بين زمن الهدنة ودخول غورو مدينة دمشق ، وفى ظروف المعاهدة التى تحل محل الانتداب بين سوريا وفرنسا فان السنيين من سكان اللاذقية وأطرافها كانوا يميلون الى الانضمام للوحدة السورية ولكن النصيرية الذين كانوا دائما البا على الاسلام مع كل من ينقض سلطانه كما رآهم ابن تيمية فى الحروب الصليبية وكارثة التتار ما زالوا سائرين على خطتهم القديمة وفى موضع آخر قالت ان النفوذ الاجنبى فى سوريا يمنع خطباء المساجد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ».

● وفى فصل موسع تحدثت الفتح عن أن النصيرية : لا يزالون كما كانوا فى حروب الصليبيين قالت : المتتبع لتاريخ النصيرية فى سوريا يرى فيهم اعوانا لكل من يشنأ الاسلام من اهل الديانات الأخرى ومن لا دين لهم فعندما طغى سيل التتار من جند هولاكو على العراق والشام وبلاد الشرق الأدنى وصار بهم العمران خرابا كان بعض النصيرية من اعوانهم وفى حروب الصليبيين كانت جماعة من النصيرية فى صفوفهم تناوىء معهم الاسلام واهله ولم نرهم خالفوا هذه السنة الا مرة واحدة ايام الحكم الفيصلى فى الشام حيث ثار الشيخ صالح العلى ثورته المشهورة على الاحتلال الفرنسى فحمد له مواطنوه السوريون هذه الحمية وسجلوها فى ديوان المآثر وتمنوا أن يستمر القوم على هذه الخطة ليكون ذلك بدء عهد جديد تتضامن فيه جميع القوى لدفع اذى الغرب عن الشرق ولكن هذا الشذوذ المحمود من الشيخ صالح العلى ما لبث أن انقضى امره وعاد اكثر النصيريين او العلويين الى موالاة الأغيار والانحياز الى جانبهم فى كل ما يؤذى الملة ويشق عصا الجماعة ويثبت قدم الاحتلال الأجنبى فى البلاد ، يقول هذا عشية ظهور اله جديد فى النصيرية وضع نفسه فى خدمة دسائس الاستعمار الفرنسى مؤتمرا بالاشارات الصادرة اليه من الكابتن « بلوذديل » رئيس الاستخبارات الفرنسى الذى حرك الأشوريين قبله للأذى والفساد ، وهذا الاله النصيرى الجديد هو سليمان المرشد الذى سرعان ما وجد عبيدا فى طائفة يهولونه ويوقنون جانب الأشرار من اعوانه هم ملائكة

ونحواريوه ؟ هذه الخطة التى اتبعها الأشرار من أبناء الطائفة النصيرية أطمعت فيه كل عدو للعروبة والاسلام .

اذا أنت لم ينفع مضر فانما   يرجى الفتى كيما يضر وينفع

● وتحدثت الفتح عن التيجانية الطريقة الصوفية واشارت الى ما نسب للشيخ محمد الحافظ التيجانى فى عين ماضى وما نشرته الصحيفة الفرنسية من التعاون مع الفرنسيين وقالت : نتمنى أن لا يوجد على وجه الأرض مسلم واحد يفتخر بالمعاونة على تقليص ظل الحكم الاسلامى عن وطن اسلامى .

ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم   نطقت ولكن الرماح اجرت

● وأشارت الفتح (أغسطس ١٩٣٩) م ١٤ — الى أن الملك عبد العزيز آل سعود منح استغلال الزيت فى منطقة ٨٩ الف ميل مربع فى الاحساء لشركة استندر اويل فى كاليفورنيا مقابل ٢٣٠ الف جنيه فضلا عن مبلغ اضافى كل عام (٥٣ الف جنيه) ورفض اعطاء هذا الامتياز للدول الأوربية وفضل الشركة الأمريكية لانها ليست لها خطط سياسية فى المملكة العربية السعودية .

● واشارت الفتح (م ١٢) الى أن « عبد الله فيلبى » الجاسوس الذى أعلن دخوله الاسلام لما صدر تقرير اللجنة الملكية البريطانية فى تحقيق قضية فلسطين واعلن فيه جنوح بريطانيا الى اعطاء اليهود سيادة وملكا على جزء من البلاد المقدسة التى يملكها المسلمون وهى وطن طبيعى لهم من أحقاب أعرق فى القدم مما للانجليز فى الجزائر البريطانية جنح الحاج عبد الله فيلبى ألى الجانب الذى فيه العصبية للانجليز على الجانب الذى فيه العصبية للمسلمين فأعلن استحسان اعطاء اليهود هذه السيادة على ذلك الجزء من الوطن العربى الاسلامى وقال ان بريطانيا فى فلسطين مثل ايطاليا فى الحبشة تماما بحق الفتح . لقد تعارضت بريطانية فيلبى مع اسلاميته فى هذه الموجة .

● وفى مواضع كثيرة دافعت الفتح عن الاسلام :

وجهت نداء عام الى المسلمين فى المجلس الأعلى فى القدس عن ضرر المدارس الأجنبية وضرورة التعليم الاسلامى .

ودعت الى توحيد الرأى الاسلامى بتوحيد التربية والتعليم وقالت ان توحيد الدين والتعليم يكون المسلمين تكوينا اسلاميا محمديا قرآنيا كما كان سلفنا الصالح .

وكتب فى محاربة دعوى التصوف الكاذب باسقاط التكاليف الشرعية ثم التأويل ، والقول بأن للقرآن ظواهر وبواطن .

وكتب يقول : ان البلاشفة والقيصرون الروس متدابرون فى كل شيء الا فى خنق العناصر الاسلامية .

واشار الى ان كل قطر من اقطار العالم العربى فيه صراع بين الوطنية والاسلامية ، وقال ان موطن الضعف فى الوطنية المصرية انهما لا تستند الى تراث الشرق والاسلام .

واشارت الى أن الغرب اعتمد على حضارة الاسلام فى اشياء كثيرة فاعتمد نابليون على فقه الامام مالك فى قانونه الذى خلده اكثر مما خلدته انتصاراته والحبشة مع ما هو معروف من حالتها المذهبية اقتبست قانونها « فتانفوس » المعمول به الآن من كتاب « التنبيه » فى فقه الشافعى لأبى اسحق الشيرازى والذى قام به القسيس القبطى اسعدى السنقال وكلمة فتنا الموجودة فى اسم القانون مأخوذة من كلمة فتاوى .

واشارت الفتح فى بحوث مطولة الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى القدس رجب ١٣٥٠ والذى ضم مندوبو ٢٢ قطرا اسلاميا هى تركستان الصينية ، تركيا ، تونس ، جاوة ، الجزائر ، الحجاز ، روسيا ، سوريا ، سيلان ، شرق الأردن ، طرابلس الغرب ، العراق ، فارس ، فلسطين ، قانقاسيا ، لبنان ، مصر ، المغرب الأقصى ، نيجيريا ، الهند ، اليمن ، يوغسلافيا .

● واشارت الفتح الى جامع كتشاوة : احد الجوامع الاسلامية فى الجزائر العاصمة الذى حوله الاستعمار الفرنسى الى كنيسة ورفع الصليب على مآذنه ويسمى الآن كاتدرائية (م ٦ — ١٩٣٦) .

ومن حسن الحظ ان هذا المسجد عاد مرة أخرى الى الصلاة والأذان بعد استقلال الجزائر وقد ادى كاتب هذه السطور الصلاة به عام ١٩٧٢ كما عادت كل مساجد الجزائر .

الباب الرابع

قضايا الاسلام الكبرى

الفصل الأول

التشريع الاســـلامى

– ١ –

أولى الســـيد محب الخطيب اهتمامه الواضـــح والاكبر بالتشريع الاسـلامى فى ظروف مليئة بالظلمات والتبعية والدعوة الى الحكم بكتاب الله ولكنه كان رفيقا فى الدعوة متأنيا ، ينتهز الفرص للتعليق على الأحـــداث ويحاول أن يفسح مجالا لما أسماه (الاســـلام الاجتماعى) وكانت أحداث تركيا فى هذه الفترة (١٩٢٨ وما بعـــدها) هى الحافز على الدفاع عن الشريعة الاسلامية بعد ان حجبت فى دولة الخلافة وحل محلها القـــانون الوضعى ، وكانت مصر قد سبقت الى ذلك قبل ثلاثين عاما وبعد الاحتلال البريطانى وانشاء المحاكم الاهلية على نمط المحاكم المختلطة وكان الهجوم على ما قامت به تركيا من العنف فى مهاجمة الشريعة الاسلامية واعداد قانون مدنى عرفى يبطـــل حكم الله فى كل شىء حتى فى الميراث والزواج وغيرها ، دافعا الى التعريف بعظمة الشريعـــة الاسلامية ، ورحمتها ، وقد توالت الأحـــداث ففتحت الأبواب امام النضـــال من أجل الشريعـــة الاسلامية ، ففى المجلد الأول يتحدث عن خطوات تركيا ويرد عليها ويفند الأخطاء التى تتردى فيها بابطال الشريعة الاسلامية وفى المجلد الثـــانى يتحـــدث عن (صلاحية الشريعـــة الاسلامية لكل زمان ومكان) ويقول ان العدل لا يختص به زمان دون زمان واقامته لا تتوقف على وقت دون وقت .

ثم لا يلبث أن يتحدث عن الدين والدولة فى أنظمة الحكومات الحديثة (١٩٢٨/١١/٢٠) فيقول : ان المسيحية بالمعنى الذى دعا اليها المسيح لا يوجد فى أوربا وأمريكا من يستطيع أن يتقيد بها وأن يزعم صادقا انه تابع لها ، أما الاسلام فهو دين السعادتين : سعادة الدنيا والآخرة ، ولما كانت به هذه المزية التى يفترق بها عن النصرانية كان من الطبيعى أن يمتاز أيضا

بأن تشريعه قائم على أساس مبادىء الدنيا والآخرة ومن هنا كان التشريع الاسلامى متصلا بشئون المسلمين الدنيوية كما هو متصل بشئونهم الاخروية ، ومن هنا كان الاسلام دين وعقيدة وعبادة وحكم وهذا ما قام على عبد الرازق لانكاره ، زاعما أن الجهاد ليس عبادة اخروية ومن ثم ليس هو من الاسلام وزعم أن الحكم الاسلامى ليس عبادة ومن ثم لم تكن الامامة من الاسلام وزعم أن نظام الارث ليس عبادة ومن ثم ليس هو من الاسلام وهو بين أمرين ، اما أن يكون لا يعرف الاسلام فلا يستحق اسم عالم او أن يكون الامر أكبر من ذلك ، فالدول المسيحية اذا جعلت الدين مقصورا على العقائد والعبادات لم تجعل لذلك علاقة بالحكومة ، بعد أن علمنا أن المسيحية جاءت للآخرة فقط لا للدنيا ، ولكن الدول المسيحية نفسها لم تقطع علاقتها الحكومية بالدين كما يريد القوم فى تركيا والأفغان أن يعملوا . ان الحكومة الفرنسية ادخلت فى ميزانيتها اعتمادات مالية للجمعيات الدينية المسيحية ، ولاسيما الكاثوليكية التى تقوم بالتبشير فى البلاد الشرقية مثل الفرير واليسوعيين » .

— ٢ —

ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن نظام الاسلام (ربيع الأول ١٣٦٥) فيقول : ان الذين يقولون الاسلام دين ديمقراطى ، الاسلام دين اشتراكى ، يلوكون بألسنتهم هذه الكلمة أو تلك ولا يعرفون من الاسلام الا اسمه لأنهم يعيشون فى عصر غلبت عليه صحافته ومطبوعاته ومدارسه ومعاهد يملكها الأقوياء من أمم الغرب ، فثقفت أزكياء العصر بثقافة أجنبية عن الاسلام وتاريخه وسننه وأهدافه وغلبت على محاكم المسلمين وأساليب حكمهم ضواغط الاستعمار فى عشرات السنين الماضية فلجأوا الى مذاهب الأمم اللاتينية فى فقهها ومعاملاتها ومماطلاتها وغلبت على سجايا المسلمين عوامل الفاقة والحرمان بسبب انحطاطهم الاقتصادى والصناعى فتشربوا بمساوىء الأخلاق .

ويتساءل السيد محب الدين الخطيب : كيف يتبين ابناؤنا المبتعثون فى جامعاتنا حقيقة الاسلام وهو غريب فى بلاده من البيوت الى الأندية

والاســــواق والصحافة والدواوين والمحاكم والجامعــات والمســاجد بل والجوامع !.

واذا كان هذا حال المثقفين فى الجامعات ومبلغ علمهم بنظام الاسلام ، فالذين هم ابعد منهم عن حقائق القيم أكثر منهم بعدا عن حقائق الاسلام .

ان الاسلام نظام قام بذاته ، ومن سننه انه لا يشاب بغـــيره وانه لا يمذق محضة ولا يخلط مع الاسلام .

فى الدنيا الآن ثلاثة انظمة : النظام الديمقراطى ، والنظام الشيوعى والنظام الاسلامى ، وكل نظام من هذه الأنظمة (كل) لا يقبل التجزىء ، والاسلام دين الحق والخير يعمل أهله بكل اسلوب من اساليب الخــير اذا كان لا يتنافى مع اساليب الاسلام وسننه وأهدافه .

— ٣ —

ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن النظام الاجتماعى الاسلامى فيفرد فصلا عن نظام الاســلام الاقتصادى : ويبداه بالحديث عما أورده الامام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب ابى حنيفة فى اوائل كتاب (الاكتساب) قوله ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقــدم درجة الكسب على درجة الجهاد فيقول لان أموت بين شــــعبى رجل اضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب الى من ان أقتل مجاهدا فى سبيل الله ، لان الله تعالى قدم الذين يضربون فى الأرض يبتغون من فضــل الله على المجاهدين (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضــل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) سورة المزمل .

فالاسلام يحض على العمل والكسب ويفضله على الشهادة فى سبيل الله وكان ابا بكر بزازا يبيع الاقمشة ويعمــل فى الأدم (الجلود) وعثمان كان تاجرا يجلب اليه الطعام فيبيعه (وعلى) اجر نفســه غير مرة فطلب الكسب فريضة على كل مسلم ، فريضة الكسب وطلب العلم .

والاسلام بنى نظامه على العدل بادق معانيه ، والتعاون بين اهل المال واصحاب الأيدى العاملة ، فصاحب المال مشــاركا لصاحب العمل

على ان يكون لكل منهما نصيب فى الربح اذا نجح العمل وعلى كل منهما مثل ذلك النصيب من الخسارة اذا فشل العمل .

ويتحدث السيد محب الدين الخطيب : عن الاقتباس من الغرب .

فيشير الى ان المسلمين لا يقتبسون نظما وانما يقتبسون اساليب وتجارب ، ولابد من هضم تلك الاساليب متمشية مع امثالها من اساليبنا القومية وسنننا الملية فالاسلام لا يقبل ابدا أن يقوم الى جانبه وتحت سلطانه نظام غير نظامه لا فى الاقتصاد ولا فى التربية ولا فى الآداب ولا فى اى شان آخر ، كما أن الشيوعية لا تقبل ذلك . فالاسلام أشد نفرة من أن يقوم الى جنبه نظام غيره يبسط على المسلمين احكاما غير احكامه ، فى الملكية الشخصية والمواريث وحركة العمل ، ان العالم الاسلامى يتحلل الآن من قيود الاستعمار وسبيله بعد ذلك ان يرجع الى انظمته الاسلامية فى تاريخه ودواوين احكامه وفى وثائقه الأدبية وتراثه العلمى وذخائره ، ثم حمل الأمة على احياء هذه الأنظمة بالعمل فيها يوما فيوما .

وان نظرة الى ما حدث من ان عمر بن الخطاب لم تعرض عليه قضية من اثنين فى أكثر من سنة ، يكشف اى معنى للسعادة الاجتماعية من هذا المعنى وافصح واوضح ، تلك حال لا تحتمل على الصدفة ولا يمكن ان توجد لها نظير فى ان من الأمم فى حواضرها وبدوها وارباضها ولا يستطيع مشرع ولا اجتماعى ان ينكر ان نظامنا الاجتماعى كان نظاما سعيدا .

ويتحدث السيد محب الدين الخطيب عن انشاء معاهد للفقه الاسلامى لدراسة الشريعة الاسلامية ، فقال : منذ استعجم الاسلام وسارت حكوماته فى غير طريق الصدر الأول توسع المسلمون فيما يختص بشئون الفرد من أحكام الفقه واهملوا ما يتعلق بحياة الجماعة وحياة الدولة ، وقد آن لنا أن نعود الى احياء ما كاد يموت من تراثنا بالاهمال ، وأشار الى خزائن الفقه والمعرفة لعشرات الألوان من مجلدات التشريع الاسلامى الجامعة لأحكام لا يراد منها التزامها بالتراث فى غير عصورها ، ولكن يراد منها تعيين المناهج لاستنباط الأحكام وتوجيهها فيما بين قواعد العدل التى

دل عليها الكتاب والسنة وبين أهداف المصلحة والخير التى ترمى اليهـا رسالة الاســـلام .

— ٤ —

فى هذه الفترة جاءت أضـــواء كثيرة تفتح الطريق أمام الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية منها :

١ — تطبيق الحدود فى المملكة السعودية .

٢ — كتابات بعض المسلمين فى الغرب .

٣ — اعداد القانون المدنى العراقى وادخال الشريعـة الاسلامية كمصـــدر ثالث .

فتحدثت الفتح من ذلك كله وأشارت تحت عنوان الحدود الاسلامية : الى تجربة المملكة السعودية قال : شىء آخر برهنت عليه التجربة فى الحجاز حتى لا يرتاب فيه المكابر هو أن الملك ابن السعود لم يحتج الى تنفيذ حدود الله الا مرة واحدة أو مرتين فيما رأى المجرمون ذلك وعرفوا نصحهم ولى الأمر على اقامة ما أمره الله باقامته من حدود كفوا عن اجرامهم .

وأشارت الفتـح الى أطروحة الدكتور نجيب الارمنازى فى باريس تحت عنوان :

« المبادىء الاسلامية والعلاقات الدولية فى حالتى السلم والحرب » .

تكلم فيها عن التشريع الاسلامى المتعلق بقاعد حقوق الدول وفى ربط الأمة الاسلامية بالأمم الأخرى فى العهود والحروب فى سائر الأنظمة الاسلامية وكيف أن هذا كشف الحقيقة أمام أساتذة الحقوق الفرنسيين الذين كانوا يسيئون الاعتقاد فى الاسلام من هذه الناحية فقد اعترفوا بسبق الاسلام الى أهم المبادىء الانسانية فى العلاقات بين الأمم .

وفى المجلد الرابع من الفتح (١٠ أكتوبر ١٩٢٩) عن (الاسلام قوة اجتماعية) فقال :

يجتهد المستعمرون فى الأقطار الاسلامية ويعاونهم متفرنجة المسلمين والمولون وجوههم شطر أوربا ، لجعل قوانين الاسلام الاجتماعية الكبرى

مماتة ، متعطلة عن العمل حتى لا يتحسس المسلمون بهـا ولا يمنعونها وهى تنكمش الشعور الاسلامى العام فى مناطق اقليمية تابعـة الحـدود لاتقسيمات السياسية المصطفة ، وحتى تتقلص رغبات المسلمين فى التعاون والتشارك والتعاطف الى دوائر ضيقة ، وبهذا يخسر الاسـلام الشطر الأكبر من راس ماله الاجتماعى فتنقلب الأمم الاسلامية الى أمم متـدابرة بعد التعارف وتتراخى صلات الأخوة العامة فى الاسلام ويغدو ذلك النوع من التآخى الاسلامى الانسانى النزيه الصادق ، تراخيا يعلوه الصـدأ والجفاء . وبعد هـذا يهون على المستعمرين غلاب المسلمين وتسخيرهم لمصلحة اثنين أو ثلاث من الأمم الأوربية تسخيرا يورث المسلمين الذل والدمار ويقطع الأوصال ويكسب الأمم الثلاث أو الأربع القوة على التنعم فى أطايب الحياة ولذائذها ، حين يربح متفرنجة المسلمين شرف القربة من المستعمر وفخر الاقتداء بهم وانتحال نحلتهم فى طراز التفكير . لماذا لا نرى فى متهذبة العرب الذين نالوا من العلوم التاريخية والاجتماعيـة فى المعاهد الغربية الراقية حظا صالحا رغبة فى درس الاسـلام الاجتماعى درسـا صحيحا مكينا مقرونا بروح العلم الاجتماعى ، وبهـذا الحال يكون هؤلاء المهذبة من أولى الناس اتباعا لسنن الاسلام وحضا على الاستمساك والعمل بها لأنهم انما عرفوا معرفة حق عن الطريق الذين يعتقدون صوابها . ان هناك قوى فى أوربا منها وزارات المستعمرات عاملة على الدوام لمناصبة الاسلام الاجتماعى العداء لأن الاسلام هو حصمتها الواقف فى وجهه والعائق لهـا فى كل زمان ومكان من بلاغ مأربها عن تمزيق الأخوة العامة التى يرتبط بها المسلمون .

— ٥ —

وفى عام ١٣٥١ — ١٩٣٢ اتسع نطاق البحث فى الشريعة الاسلامية عندما حان الحديث عن تعديل القانون المصرى (المجلد السادس) فأشارت النتح الى فكرة تنظيم الأحكام للعمل بها فى محاكم مدنية فى عهد اسماعيل باشا ، وكان القائمون بالأمر يذهب أكبرهم الى ضرورة نقـل القوانين الفرنسية الى اللغة العربية والعمـل بأحكامها فى المحاكم المدنية التى يراد تأسيسها ومن هؤلاء نوبار باشا وكان يرى بعضهم أن يكون القضاء الأهلى

مستمدا من الفقه الاسلامى وكانت الدولة العثمانية قد قامت بتجربة موفقة بانشاء قانون مدنى مستمد من الأقوال الراجحة فى مذهب أبى حنيفة فنشأت فى مصر فكرة سن قانون أوسع وأشمل مما تم فى الدولة العثمانية ، وأن تؤخذ أحكام القانون المدنى المصرى من أوفق الأحوال فى جميع المذاهب الفقهية الاسلامية ، وعرض اسماعيل باشا الفكرة على العلماء فاستنكروها لانها قائمة على اساس (التلفيق) بين المذاهب لما فيه من محذور الأخذ بالرخص فى مختلف المذاهب ولأنه يحول بين المفكر ومن تقليد امام بعينه ، وكان نوبار باشا قد عهد فى ذلك الى مسيو (مونورى) المحامى بالاسكندرية بأن يترجم للمحاكم المختلطة قوانين فرنسا المدنية والجنائية والتجارية فلما انقطع الرجاء من جعل قوانين المحاكم الاهلية مستمدة أحكامها من الفقه الاسلامى جرى وضع هذه القوانين بلجنة مؤلفة من حسن فخرى ، بطرس غالى ، مسيولو ومسيو موريوندو فوضعت لنا القانون المدنى الأهلى باللغة الفرنسية فأخذوا القانون الفرنسى بقليل من التعديل ثم قام بطرس غالى بنقله من الفرنسية الى العربية .

وقد عاب علينا المستشرق المجرى (وامبرى) هذه الغلطة الكبرى وقال :

كيف يكون عندكم فقهكم الذى ليس له آخر وتعدلون به الى غيره ، أن خطأهم هذا لا يقع فى أمة من الامم ، وقد فاته أن العالم الاسلامى لما أراد أن يجدد ثوبه كانت تحت تأثير ارادة أمم اخرى ولكنه سيرجع الى الصواب فى أول فرصة وستتوجه أنظار بنيه الى الارتواء من تشريعه الاسلامى الذى هو فى الحقيقة تشريعه الوطنى القومى .

وقال السيد محب الدين الخطيب : ان قانون الأمة يجب أن ينبع من روح الأمة وأن ينمو بتجارب الأمة وأن يسير مع حاجة الأمة وأن تنطوى جوانح الأمة على حرمته وجلالته ، وكل هذه الصفات بالغة حد الكمال فى الفقه الاسلامى لو أننا صنعنا منه قانوننا المدنى على الأقل وخدمناه كخدمة أوربا لفقهها وقانونها . الفقه الاسلامى بحر خضم زاخر بالأحكام فى كل معنى يمكن أن يخطر على بال أى رجل من رجال القانون وما بين حكم

اصدرته محكمة من محاكم الأرض وافق غرض العدالة الا وسبق الى القول بمثابة فقيه مسلم، سواء كان هذا الفقه من علماء المذاهب الأربعة او من ائمة المذاهب التى يطل العمل بها. وان امة يكون بين يديها هذا البحر العظيم الملىء بالدرر ويكون له فيها الحرمة القدسية التى للفقه الاسلامى فى نفوس المسلمين ، وهو فوق ذلك مجموع جهود نوابغ هذه الأمة فى أربعة عشر قرنا ثم هى تزهد به هذا الزهد ، وتعدل عنه الى ترجمة قانون اجنبى عنها ، اى امة تعدل عن هذا الى هذا لعجيب امرها ما لم يكن لها عذر عرض لها ثم يزول فترجع الى الصواب .

اقسم بالله العلى الأعلى لو كان للانجليز او للفرنسيين او للالمان او للامريكان أو لأية امة من الأمم اعلام فى التشريع والقضاء ، لا اقول كأعلام الأمة الاسلامية ، بل أقول كالأعلام الذين نبغوا فى بلاد مصر وحدها لما بالى اكثرهم فى التشريع بقوانين الرومان ولأقاموا لهؤلاء العظماء جميع اسباب الذكرى ولدونوا أحكامهم وعلومهم الفقهية فى معاجم ومعالم (جمع مسلم أى دائرة معارف) ولوصلوا ماضى فقههم بحاضره وسابق تشريعهم بآتيه وكان يكون الفقه الاسلامى وفقهاء المسلمين هم كل شىء فى عالم التشريع.

ويواصل الفتح اهتمامه بالشريعة الاسلامية فنجد الأستاذ حسن البنا فى عام ١٣٥٥ (١٤ يونيه ١٩٣٦) خطابا الى رئيس الحكومة مصطفى النحاس باشا برسالة بمناسبة تصريحاته عن الاعجاب بلا تحفظ بكمال اتاتورك الذى قال :

(ولست أعجب فحسب لعبقريته السياسية بل اعجب أيضا لعبقريته الخالقة وفهمه لمفهوم الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وتنمو) .

فقال الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين :

ان موقف الحكومة التركية الحديثة من الاسلام واحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف فى العالم كله لا لبس فيه فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة الى الجمهورية وحذفت القانون الاسلامى وحكمت بالقانون السويسرى مع قوله تعالي :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وصرحت فى دستورها أنها حكومة لا دينية وأجازت بمقتضى هذه التعاليم ان تتزوج المسلمة غير المسلم وأن ترث المرأة مثل الرجل . أما موقفها من الشرق فقد صرحت فى وقت من الأوقات بلسان وزير خارجيتها بأنها ليست دولة شرقية وقد قطعت صلتها بالشرق حتى فى شكل حروفه وازيائه وعاداته وفى كل ما يتعلق به ، لذلك وقع تصريح دولتكم من أنكم معجبون بكمال أتاتورك غريبا على الذين لم يعرفوا دولتكم الا زعيما شرقيا مسلما فخورا بشرقيته متمسكا باسلامه قائدا لأمة تعتبر زعيمة أمم الشرق جميعا ، وقد أخذ كثيرون ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون : هل يفهم من هذا أن دولة النحاس باشا وهو الزعيم المسلم الرشيد يوافق على أن يكون الاخذ بعد الانتهاء من القصة السياسية ببرنامج كالبرنامج الكمالى يبدل كل الأوضاع فيها ويقصيها عن الشرق والاسلام ويسقط من يدها لواء الزعامة ، لقد كان من أعز الأمانى أن يؤيدكم الله فيؤيد بكم الدين والأخلاق وتسلكون بالأمة مسلكا يعيد اليها ما فقدته من استقلالها السياسى وتشريعها الاسلامى وخلقها الاجتماعى .

٢ — وفى هذا المجلد الحادى عشر فى هذا العام الحاسم (١٩٣٦) الذى وقعت فيه الاتفاقية المصرية البريطانية اعلان على بدء عهد جديد من الاستقلال يتحدث الفتح عن الفقه الاسلامى والتشريع حيث أخذ رجال القانون واساتذة كليات الحقوق فى مصر والشام والعراق يتنبهون الى أن الاستقلال لا يكون حقيقيا فى الشرق العربى ما لم تتحرر ممالك الشرق من الاحتلال المعنوى ولا سيما فى تشريعنا ، ومن ثم فقد نقلت من مجلة المحاماة الشرعية الذى نشرته ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ يقول :

طالما عنى هؤلاء العماء والباحثون بدرس هذه التصريحات التى أعلنها غير المسلمين حين اعترفوا للفقه الاسلامى بأنه البحر أنه قسطاس العدل وأنه مجموعة انطوت على ما يسد حاجة الناس الى التشريع ومن ذلك ما كتبه القانونى الغربى المنصف (سانتلانا) فى الفقه الاسلامى ولاسيما كتابه المطبوع فى تونس ١٨٩٩ وابحاثه كافية للحكم بأن فى فقهنا ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى ان لم نقل أن فى ذلك كفاء للانسانية

كما ولا تزال كلمة المستشرق المجرى الأستاذ فمبرى أن فقهكم الاسلامى واسع جدا ، الى درجة أنى اقضى العجب كلما فكرت فى انكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبــلادكم (جريدة وقت ـ القســـطنطينية ١٣٤٢) .

ومن الذين وقفوا حياتهم على دراسته من غير المسلمين كالأســـتاذ سليم باز المسيحى اللبنانى (شارح مجلة الأحكام الشرعية) يعتقدون بكل اطمئنان أن فى هذا الفقه كل حاجة البشر فى عقودهم ومعاملاتهم واقضيتهم والتزاماتهم .

وما احتوته خزائن دور الكتب الغربية فى ليدن فى هولندا ، الى روما وبرلين وباريس والمتحف البريطانى الى المكتة البابوية فى قصر الفاتيكان ، ثمرة جهود الألوف الكثيرة من فحول علمائنا منذ بضعة قرون ما يعد شاهدا قائما خالدا على أن هذا الفقه بحر لا ســـــاحل له وأنه لا يوجد معنى من معانى الأحكام المنشود فيها العدل الا ويتقدم لفقه مســلم قول فيه يوافق حاجة من حاجات البشر فى التشريع .

وقد صار هذا التراث الينا نحن الجاهلين بقيمة التركة التى تحت ايدينا فلم نحسن القيام عليه ولم نبرهن على اننا أهل للاســـتفادة منه ، كذلك انصرفت الحكومات الاسلامية الى القوانين الأجنبية كالقانون المدنى الفرنسى أو المدنى السويسرى ، أين هذا من الشريعة الاســـــلامية التى انس بها المســــــلمون ومازجت أرواحهم مدة أربعة عشر قرنا وفيها مرآة مشاعرهم وعلاجات أمراضهم الاجتماعية ، فالفقه الاســـلامى على سعة تراثه وشموله العجيب قادر على تقديم أصــدق منهج لو كانت الحكومات العربية والاسلامية جادة فى السعى الى استنباط قوانينها وأنظمتها منهــا

***

وتواصل الفتح (م ١١ ص ٦٣٣) الدعوة الى ســــن تشريع مدنى اسلامى لمصر والشرق العربى حيث قدمت اقتراحا لعقد مؤتمر حكومى أو جامعى يمثل مصر والأقطار الشقيقة بتوقيع « جوستنيان » ديسمبر ١٩٣٦ قال لما كنت بمدينة ليون طالبا فى قســـــمى الدكتوراه ١٩١١/١٩٢٠ كان

أستاذنا لامبير يشير دائما على المصريين أن يعنوا بوضع رسائل الدكتوراه فى الشريعة الاسلامية ، ويرى ان الشريعة الاســـلامية فى المعاملات كنز لا يفنى ومنبع لا ينضب واثمرت النصيحة عن أول طالب مصرى أخذ عنـه القانون هو المرحوم الدكتور محمود فتحى اذ وضع رسالة فى الدكتوراه فى مذهب (الاعتساف) فى استعمال الحق والخروج عن حدود الحق فى غـير ما شرع له الحق وذلك عند فقهاء الاسلام فظهر ١٩١١ واشارت الصحف الألمانية بالعظمة القانونية للاسلام ، وكان المصرى الآخر هو الدكتور محمد صادق فهمى الذى أخرج رسالته فى (الاثبات) باللغة الفرنســية ١٩٢٣ وارصد الجزء الأهم فيها لما قرره علماء الشريعة الاسلامية وعلى رأسـهم (شمس الدين بن قيم الجوزيه) فى كتابه (أعلام الموقعين) ، كما قدم احد المصريين ١٩١٤ رسالة فى مسئولية الدولة بكلية الحقوق فى ليون ،

وواصلت الفتح اهتمامها فنشرت أربع أبحاث هامة عن الشريعـة الاسلامية فى المجلد الحادى عشر صـفحات (٦٣٣ — ٦٣٧) كما نشرت فصلا للدكتور زكى على عن التشريع الاسلامى وسن القوانين (ص ٧٣٠) ونشرت محاضرة للدكتور عبد الرازق السنهورى تحت عنوان (واجبنـا نحو الفقه القانونى والتشريع) ص ٧٣١ .

وقد رد السيد الخضر حسين على مهاجمة جريدة السياسة للشريعة الاسلامية ص ٩٤٥ .

كما نشرت فصـولا فى صفحات ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٨٦٣ عن صـلاحية الشريعة الاســلامية .

وقدمت الفتح كتبا نفيسة فى التشريع الاسلامى :

— أحمد بك ابراهيم : أحكام الوقف والمواريث .

— دكتور شفيق شحاته : النظرية العامة للالتزامات فى الشريعـة الاسلامية .

— حسن أحمد الخطيب : التشريع الاســلامى : مصادره وقواعده العـامة .

* * *

ونشرت الفتح فصلا مطولا فى المجلد (الحادي عشر) عن الشريعة الاسلامية لصاحب الفتح

قال : ان أكثر الأديان تقوم على عنصرى العقيدة والعبـــادة فقط ولا شأن له بنظام المجتمع والاشراف عليه ، ان الاسلام يقوم على عناصر العقيدة والعبادة والحكم ، ولا يبيح لاتباعه ان يخضعوا الا لأحكام دينهم وقد سن اليهم الهجرة من البيئة التى تضـــطهد احكام دينهم ولا تمكنهم من السيادة والاعلاء . ويوم كانت أحكام الاسلام ومبادئه وأخلاقه ســـائدة فى زمن الصحابة بادر سكان مصر والشام والعراق وشـــمال أفريقيا الى اعتناقها بشغف واقبال لا نظير لهما فى التاريخ لانهم لمسوا يومئذ بأيديهـم وآمنوا بقلوبهم وعقولهم ، وان احكام هذا الدين الفطرى المســـلم المنزل الأحكام وأن مبادئه أنظف المبادىء وأن اهدافه أسمى الأهداف ولو أن دفة الاسلام بقيت فى أيدى أهله الأولين ولم ينتقل الى أيدى قواد جيوشهم من المماليك والمغول واحزابهم واكثرهم لم تتهذب نفوسهم بمبادىء الاســلام ولبقى لأحكام الاســـلام جمالا تبصره العيون فلا نبحث عنه فى الكتب لبقى لاخلاق الاسلام سلطانها يذعن له الناس فى بيوتهم واسواقهم فالاسلام دين جماعة ودين حكم والمسلم الذى يتحرى أحكام دينه ومبـــادئه بتحراها فى عبادته الفردية من صلاة وصيام ويتحراها فى احواله الشخصية من زواج وميراث ويتحراها فى جماعة الاسلام بالحرص على اقامة شعائر الاســـلام وتوخى العزة له ولأهله .

— ٦ —

ثم جاءت مرحلة ما بعد الاستقلال واتصل الحديث عن طابع الاسلام فى التشريع (١٩٣٨ — م ٩٢٢/١٣) حيث دعا السيد محب الدين الخطيب الى اعادة النظر فى التشريع الذى يتعلق بتجارة الخمور والبغـــاء وقال : لقد كانت مصر أيام اللورد كرومر متجهة الى ان تكون بلدا مشاعا لكل الأمم وكانت أنظمتها وروح الادارة فى حكومتها ترمى الى استغلال مصر لفائدة الأغيار ، والحماية القانونية التى تتمتع بها الحانات وبيوت الدعارة فى مصر لا نظير لها حتى فى البلاد العريقة فى الاباحية والفوضى ، انما هى وليـــدة

سياسة الاحتلال البائد ـ الذى كانت ترمى الى جعل مصر بلدا شعوبيا (International) .

اما وقد عرف لمصر الآن بانها لأهلها فمن حق اهلها أن يعيدوا النظر فى نواحى التشريع التى لهـا تأثير فى معنويات الشعب المصري واخلاقه وأحكام دينه .

ان فى الشـباب المسلم روحا قويا لا يرضى بشىء قـدر ما يرضيه توفيق التشريع المصرى مع نصوع الشرع الاسلامى وتؤكد أن الجامعـة المصرية مليئة بهذا الصنف من الشباب المتعلم ، من شباب مصر الفتـاة والجمعيات الاسلامية وجمعية الاخوان المسلمين ليس الا صدى لطور جديد ينبغى ان يلاحظ جانبه وان يحسب حسابه وفى ذلك الخير كل الخير لمصر .

وتعنى الفتح بالاقتراح الذى تقـدم به عضوين من مجلس النواب هما الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ محمـد عبد اللطيف دراز بشأن صلاحية الشريعة الاسلامية لتشريع جديد .

ففى م ١٣ (ديسمبر ١٩٣٨) يقول الاقتراح :

نظرا لأن الشريعة الغراء تصلح اساسا لأى تشريع جديد بل لقـد اقر علماء الدول الغربيـة وفقهاؤها مجتمعين فى مؤتمر القانون المقـارن فى لاهاى (اغسطس ١٩٣٧) حيث مثل الأزهر تمثيلا قويا :

ان الشريعة الاسلامية تلائم وتطورات المدنية الحديثة ، وقد تبين أن فى جعـل الشريعـة الاسلامية اساسا لتشريع ما يغنينا عن النقـل من الشرائع الأخرى أو تقليدها ، فان اتخاذ الشريعـة الاسلامية اساسا للتشريع فى مصر ما يشجع على التعمق فى البحث فيها ومقارنة فى احكامها بأحكام الشرائع الأخرى وبذلك تبرز محاسنها للعالم كله .

ومن هنا نقترح أن يكون الأساس الأول لأى تعديل فى القانون القائم هو الشريعـة الاسلامية الغراء وأن يراعى درس ما يدخل من تعـديل فى القوانين الحالية للوصول الى تحقيق هـذا الغرض وأن ترد الأحكام الجديدة بقدر الامكان الى قواعد الشريعة الاسلامية وآراء فقهائها التى

تتمشى مع مقتضيات الحياة فى العصر الحاضر ودعت المذكرة الى تشكيل لجنة من علماء الفقه تنضم الى لجنة تعديل القوانين .

● وكتب عبد المنعم الصدة تحت عنوان (الشريعة الاسلامية فى القانون المدنى المصرى) يقول : دعوى باطلة تلك التى يقول اصحابها ان الشريعة التى كانت صالحة بالأمس لم تعد تصلح لأن يؤخذ منها اليوم ، وقد تكفل بالتصدى للرد على هذا الزعم : محمد كامل مرسى وسيد مصطفى فى كتابيهما (أصول القوانين) ، على بدوى فى كتابه (تاريخ القانون) حيث اوضحوا بجلاء ان الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان وان ما يتوهم البعض من ان احكام الشريعة الاسلامية ثابتة غير مغيرة ، وانها بذلك تتنافى مع التمدن الحديث وتقدم الأمم ، انما يقوم على اعتقاد غير صحيح ، ذلك الأن السلطة الحاكمة لها ان تضع احكاما بشروط خاصة تواجه بها الحاجات والحوادث الجديدة وما يصدره من أحكام يكون مشروعا ويجب العمل به شرعا ما دام أنه صادر وفقا للأصول العامة الشرعية وبذلك يمكن ان تصدر كل الأحكام التى تصبح لازمة بحسب الزمان والمكان ، كذلك توجد أنظمة شرعية كثيرة لا تختلف فى شىء عن الأنظمة الوضعية فى سائر الأمم ، كما أن الشريعة الاسلامية ليست كسائر القوانين الالهية الأخرى فان أحكامها لم تكن مقصورة على علاقة المخلوقين بالخالق بل نفذت بذلك وشملت كل الأحكام التى شملتها القوانين الوضعية فى البلاد الأخرى من أحوال شخصية ومعاملات وعقوبات ومرافعات .

واشار الكاتب الى ما يورده الدكتور عبد الرازق السنهورى فى كتابه (نظرية العقد) :

والشريعة الاسلامية شريعة الشرق ووحى الهامه وعصارة أذهان مفكريه نبتت فى صحرائه وترعرعت فى سهوله ووديانه فهى قبس من نور الاسلام يلتقى عندها الشرق والاسلام ، فيض ذلك بنور هذا ويسرى هذا فى روح ذلك حتى يمتزجا ويصيرا شيئا واحدا ، هذه هى الشريعة الاسلامية ولو وطئت اكنافها وعبدت سبلها لكان لنا من ذلك للتراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وقضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرقت تطالع العالم بهذا النور الجديد فيضىء جانبا من جوانب الثقافة العالمية فى القانون .

— ٧ —

ويواصـــل الفتح اهتمامه الوافر بالشريعـــة الاسلامية ففى المجلد (١٤ ـــ ١٩٣٩) اشـارت الى أن الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة وجه كتابا الى الملك التمس فيه أمورا كثيرة مما يرى فى تحقيقه صلاح مصر وترجع كلها الى ضرورة تربية روح الدين فى كيان الأمة وفى جمـــلة الأمور التى التمسها العمل بالتشريع الاسلامى قال :

« لقد حانت الساعة التى نراجع فيهـــا مجموعة قوانيننا ونجعـــل اساسها الشريعة الاسلامية لأنها الأسـاس الواحد الثابت المضطرد الذى يتفق مع مزاجنا وتقاليدنا وبيئتنا وان مجموعة القوانين فى كل أمة التى تكيف هذه الأمم وتطبعها بطابع مخصـوص ، وهى التى تحكم نشـــاطها وتغذى معنويتها فينتظم معاشها ، لذلك يجب أن يكون مصدر القوانين واحـــدا لتتناسق وتتساند وتتكافل وتلتقى كلها عند نقطة واحـــدة وهدف واحد . لقد أصبحت قوانيننا خليطا من قوانين الأمم ، ومثل هذه الفوضى لا يمكن ان تؤدى الا الى فوضى اجتماعية خطيرة بينما تسود البلاد كاثر من آثار الشريعة الاسلامية تقاليـد اسلامية وعادات اسلامية بحتة ، اذا بقانون العقوبات يناقض هذه التقاليد والعادات ويحاربها او يسخر منها فأصبح المصرى حائرا مرتبكا لا يعرف أيرضى عاداته وتقاليده التى يمليها عليه دينه أم يخضع للقانون ويدع دينه وتقاليده ، هذا النزاع النفسى هو الذى انتهى بالمصريين جميعا الى التحلل من الاثنين . لقـد حانت الساعة لكى نضع حدا لهذه الفوضى باتخاذ الشريعة الاسلامية الأول والأخير لكل قوانيننا .

— ٨ —

واتســـع نطاق صيحة العودة الى الشريعة الاسلامية ففى المجلد السادس عشر (١٩٤١) أشــــارت الفتح الى هـــذه الخطوات فقالت :

لما احتاجت مصر فى القرن الماضى الى تشريع منظم يلائم حاجتهـــا القضائية أراد بعض ولاة الأمور فى مصر ان يكون استمدادا للتشريع المطلوب لمصر من الفكر الاسلامى مشترطين عدم التقيد بمذهب فقهى واحد فعارض المشايخ يومئذ بأن هذا (تلفيق) لا يقرونه ولا يرضون به واجبروا على

ذلك حتى بعد العلم بأن القوانين المصرية ان لم يؤخذ من المذاهب الفقهية الاسلامية على اختلافها فانها ستؤخذ من القانون الفرنسى ، ثم انتهى الأمر بانشاء المحاكم المختلطة والعمل فيها بالقانون الفرنسى ثم ينتقل هـذا القانون الى القضاء الاهلى الذى انشىء عقب ذلك » .

وفى ضوء التصريح المشترك الذى اعلنته المملكة المتحدة البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية من انهما يحترمان حقوق جميع الشعوب فى اختيار شكل الحكومة او تدبير شئونها وقالت الفتح انه تصريح صريح فى أن الشعوب الاسلامية اذا شاءت أن تختار لادارة شئونها شكلا اسلاميا من أشكال الحكم فان ذلك من حق تلك الشعوب والدولتان الديمقراطيتان تعترفان بهذا الحق وتحترمانه ، فهل فكر علماؤنا ورجال أزهرنا بأنهم اصبحوا ـ متى سمعوا هذا التصريح ـ امام واجب يقتضى عليهم بأن يرسموا خطة العمل لتنظيم التشريع الاسلامى تنظيما قضائيا تنجلى به جماع وسمو أغراضه ودقة شموله وبحرية العدل والاحسان فى جميع علاقات البشر المدنية والاجتماعية والجنائية حتى يظهر فيه للأبصار والأعيان ما كان خافيا على الكثيرين من محاسنه التى لا تضارعه فيها غيره فيعود الانسان الى تحكيم أحكامه والاقتباس منه والتعويل على جماعة كبار العلماء فى الأزهر لعقد جلسة رسمية خاصة بهذا الأمر (م ١٦ – ص ٣٣٢)

٢ ـ ويواصل الفتح مدافعاته فى هذه القضية الأساسية فيقول :

طالما كتبنا فى أعداد الفتح فى سنواته الست عشر الماضية آيات الثناء على ما تأخذه حكوماتنا عن الغرب من أسباب القوة والمعرفة واساليب الاستثمار والتنظيم ولكنا ما برحنا نقبح الانغماس فى اناء الغرب وندعو المسلمين ـ حكومات وشعوبا ـ الى أن يكونوا كالنحل يأخذ من كل زهرة ما يطيب لها وتأخذه لتنهض ويكون لها منه مثل ما يكون النحلة من العسل فى حلاوته ومنافعه . أما الانسلاخ عن رابطة الاسلام للاندماج فى بؤرة التفرنج على قاعدة أن النوع كل لا يمكن أن يتجزأ ، وأن ثقافة اوربا يجب أن تؤخذ بحزافيرها ، وهذا ما كان يتجاهر بالدعوة اليه كثيرون فى تركيا وايران فهذا ما كنا نحذر اخواننا المسلمين منه ونقول لهم انه يقطع صلتهم بتاريخهم ولا يسلكهم فى حبل غيرهم وأنه هو الذى ينطبق

عليه القول المشهور ، مثل النعامة لا طير ولا جمل ، وكنا نقول ان الغربيين انفسهم لا يأخذ بعضهم من بعض الا انتقاء واختيارا ليهضموه ويستخرجوا منه منافع لهم وشر أنواع الاتصال بالاندماج ، وشر أنواع الاندماج الاقتصار على فريق واحد من الغربيين لا يغترف الا من انائه ولا يتعامل الا مع ابنائه والحكومات الاسلامية المستقلة الرشيدة هى التى تحافظ على الصيغة المصرية الاسلامية لامتها وتقتبس لها الأنظمة والمعارف ووسائل النهوض من كل أمة (م ١٦ — ٣٤٨) .

٣ — وألقى الشيخ عبد الوهاب خلاف محاضرة فى مؤتمر الاسلام والاصلاح الاجتماعى تحت عنوان :

(لماذا اخذت قوانين مصر من التشريع الفرنسى)

ولقد لخصتها الفتح م ١٦ سنة ١٩٤٢ ومما جاء فيها :

ان سبب هذا هو الامتيازات الأجنبية وذلك ان نوبار باشا لما فكر فى عهد الخديو اسماعيل فى انشاء المحاكم المختلطة اتخذ كل الوسائل التى ترضى الأجانب عن هذه المحاكم وتكسب ثقتهم وكانت أولى هذه الوسائل ان يأخذ قوانينها من القوانين الفرنسية والقضاء الفرنسى فعهد الى الأستاذ (مانور) أحد المحامين الفرنسيين ان يضع قوانين المحاكم المختلطة من قوانين فرنسا وقضائها فوضع القوانين الستة :

(المدنى — التجارى — البحرى — العقوبات — تحقيق الجنايات — المرافعات)

وبدأت المحاكم المختلطة تقضى بهذه القوانين من عام ١٨٧٥ فى أرض مصر وفى خصومات أحد الطرفين فيها مصرى ، ولكن أهملت مصر والطرف المصرى لمصلحة هذا الطرف الأجنبى ورضاه ، ولما فكرت الحكومة فى عهد الخديو اسماعيل فى انشاء المحاكم الأهلية قررت انها لو اخذت القوانين الستة التى تقضى بها المحاكم المختلطة للقضاء بها فى المحاكم الأهلية لكان هذا وسيلة الى رضاء الأجانب باحلالها محل المحاكم المختلطة وتوحيد القضاء فقررت أخذها وعهد الى مترجمين فترجموها باللغة العربية ترجمة حرفية فى أكثر مواردها وبدأت المحاكم الأهلية تقضى بهذه القوانين

الفرنسية على المصريين الذين أهمل جانبهم فى التعيين لهم ، وما روعيت فيه نحوهم ولا عاداتهم ولا تقاليدهم ، بل فرضت عليهم قوانين غيرهم فرضا وقسروا على أن يلبسوا ما لا يصلح لهم ؛ وارغموا على ان يرضوا بما ينافى دينهم وشعورهم وفقدوا استقلالهم التشريعى وعاشوا عالة على قوانين فرنسا وشروحها وأقضيتها وصارت هذه المجموعة مرجع القضاة والمحامين المصريين للقضاء بين المصريين فى ارض مصر ، ومن هذا يتبين ان حق التقنين لنا ما درست شريعتنا وتبين أنها غير صالحة لا يكون مصدرا للتقنين أو ان مبادئها قورنت بمبادىء غيرها فكانت مبادىء غيرها اصلح واعدل أو ان تطبيقها أسفر عن فشلها فى بعض القوانين او ان علماء طلبوا منهم أن يستمدوا قوانين منها فعجزوا ، وما كان من ذلك من شىء وانما هى الامتيازات الأجنبية والحرص على رضا الأجانب ودولهم قضت ان يهمل الأمة المصرية فى التشريع لها وأن يقهر على قوانين غيرها وأن تضع لها قوانين أجنبية عن شريعتها وعرفها وبيئتها .

وقد عقد مؤتمر الاسلام والاصلاح الاجتماعى فى القاهرة ، يونيه ١٩٤١ من أجل احلال الشريعة الاسلامية محل التشريع الفرنسى وتحدث فيه طائفة ممتازة من أهل العلم والفضل .

٤ — وفى المجلد السابع تحدث السيد محب الدين الخطيب عن الاسلام فى الدستور المصرى فيقول : ان الاسلام عنصر جوهرى فى نظام مصر الاجتماعى لأنه كذلك من عصور متوغلة فى التاريخ ، لم يتردد المشرع المصرى على اعتبار الاسلام (دين الدولة) عندما وضع الأساس الجوهرى فى بناء الدستور لهذا الوطن ، فالاسلام عنصر جوهرى فى نظام مصر الاجتماعى ، هذه حقيقة لا يستطيع أن يكابر فيها احد مسلما كان أم غير مسلم وطنيا كان او اجنبيا ،

وكان ذلك فى الرد على محمود عزمى ومحمد حسين هيكل .

ويقول : ما يزال يرى المصريون أن التحرر القومى والاستقلال الوطنى يخطو خطوات الى الاقتراب من نظام مصر الاجتماعى القائم على قواعد الاسلام فى كيان الأسرة وتكوين المجتمع وينشدون الحرية ويسمون

فى سبيل الاستقلال لأنهم اذا نالوا حريتهم واســـــتقلالهم كان معنى ذلك انطلاق شريعتهم فى الطريق الذى يرتاحون اليه ويرون فيه سعادتهم ،

ويدعو الى الاهتمام بالشباب الجامعى .

٥ — وفى المجلد ١٨ يتحدث الفتح عن الفقه الدولى والفقه الاجتماعى فالفقه الدولى هو الذى يحدد علاقات الدولة الاسلامية بالدول الأخرى ، وأن فقه الدول هو الذى يحدد سلطان الدولة الاسلامية فى ادارة الوطن الاسلامى وأهله وكيفية اختيار الامام الأعظم وصفة أهل الحل والعقد من رجال شوراه ، وشروط ولاية القضاء ، سماه شيخ الشافعى أبو الحسن الموردى باسم « الأحكام السلطانية وأحكامه المنثورة فى كتب الأئمة وقد أزاد بعض الأئمة فروعا منه بالتاليف مثـل كتاب « الخراج » للقـــــاضى أبو يوسف ، وكتاب الخراج للامام يحيى بن آدم القرشى وكتاب الأموال لأبى عبيد ورسائل الحسبة لشيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الفقه الاجتماعى فيتناول اشراف الدولة على شئون أفراد رعاياها وجماعاتهم فى شعب الايمان الاسلامى كما يعين أهداف الاسلام فى تربيـــة أهله وتوجه تصرفاتهم الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ليتم بذلك ما أراد الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أن تكون خير أمة أخرجت للناس

وقد قسم الفقه الاجتماعى الى :

١ — فقه الأسرة : الأحوال الشخصية .

٢ — فقه الالتزامات والعقود : القانون المدنى .

٣ — فقه الحدود والقصاص والزواجر .

٤ — فقه العبادات .

٦ — وردت الفتح على الدكتور طه حسين فى هجومه على الشريعة الاسلامية بمناسبة الاحتفال بمرور خمســـــين سنة على تأسيس المحاكم الأهلية فقالت :

الدكتور طه حسين يقول : ان فى مصر قوما ما زالوا يفكرون فى أن نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحيـــــاة المصرية ، وأن الرقى

الطبيعى يقتضى أن يمضى فى تطوره حتى يصبح جزءا من نظام القضـــاء المصرى العام (٥٠)

وصدق طه حسين فان فى مصر طائفة يفكرون فى أن نظام القضـــاء الشرعى ليس من ضرورات الحياة المصرية بل يفكرون فى أن الاسلام نفسه ليس بمصر حاجـــــة اليه ولطالما نزمروا من كون دين الدولة المصرية هو الاسلام وقد يكون هو نفسه المتزمر من هذا النص فى الدستور وقد نشر فى مجلة الحديث الحلبية هذا :

ولو تركت مصر الى رحمة الدكتور طه حسين وذلك النفر القليـــل لحرجوا من التفكير الى التدبير لاعلان أن نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحياة المصرية ولكن الله أرحم من أن يجعل مصر الاسلامية تحت رحمة أمثال هؤلاء ، وكم مضى أمثالهم تحت سماء مصر فأرادوا بالاســـلام ما يشتهون ثم خيب الله ظنهم وظلت مصر الاسلامية هى مصر الاســـــلام لأن على مصر واجبا للاسلام ستتمخض عنه الأيام القريبة أو البعيـــدة فتكون الأرض غير الأرض .

الاسلام دواء أمراض اجتماعية تفتك الآن بالانسانية ، والانسانية فى عصر الاستكشـاف تبحث عن منافعها فى دفائن الأرض ، فان لم نسبق نحن الى اظهار الاكسير الاسلامى للذين لا يعرفون قدره فانهم سيتوقون الى اظهاره بأنفسهم .

قال فحيرى المستشرق المجرى : ان فقهكم واسع جدا الى حد أننى أقضى العجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والاحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم ،

قال أحمد تيمور : انه لا يكاد يوجد حكم صدر موافقا للعدالة فى اى محكمة من محاكم الدنيا من أول عهد البشر بالقضاء الى الآن الا وفى مذهب من مذاهب الفقه الاسلامى الغابرة أو الحاضرة ما يوافقه أو يغنى عنه ، وفى الاشارة الى الاستغناء عن قانون نابليون بقانون جديد طالب بانشـــاء دوائر معارف فقهية مثل معالم (والوز وكارينتيه وباندكت) فى القوانين ،

وتحدث عن فحول المشرعين الذين نبغوا فى مصر من امثال محمد بن ادريس المطلبى والليث بن سعد والبويطى والربيع بن سليمان واشهب العامرى وابن عبد الحكم واحزابهم من أحبار الفقه الاسلامى واشار الى أن القانون المدنى المعمول به فى محاكم تونس مقتبس من الفقه المالكى والقانون المدنى الذى كان معمولا به فى سلطنة آل عثمان مأخوذ من فقه أبى حنيفة ولا يزال معتبرا فى المحاكم المدنية فى الشام والعراق .

(٩)

وقد عقدت فى خلال هذه الفترة ندوات واسعة لدراســـة الشريعة الاسلامية والدعوة الى اتخاذها اساسا للتقنين فى البلاد ، ومن ذلك ندوة الجمعية الملكية للاقتصاد السياسى حيث تحدث فيه الشيخ محمد سليمان ، عبد الحميد بدوى ، كامل مرسى ، اتربى أبو العز ، وذلك فى مواجهـــة اجراءات تعديل القانون فى هذه الفترة ١٩٢٨ .

قالت الفتح : ان لجنة التعديل اطلقت لها الحرية فهى اتحاد أساس التغيير ، تدعو ان تأخذ تشريع مصر بدءا لغايتها فأى تشريع يجب ان يكون بدء غايتنا التشريعية ، الذى مر عليه نصـــف قرن وقد ظهرت عيوبه أم تشريعنا الذى لابس البلاد ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن حتى كون الأمـــة وطبعها بطابعه ،

وتحدثت الفتح عن جنوح المشرعين الى المصالح المرســـــلة التى بمقتضاها سارت الشريعة دولا وأزمانا تودى وظيفتها وهى تحقق العدالة بين بنى الانسان .

وقالت : ان اصول الأحكام فى هذه الشريعة ٦٥٠ حكما من القرآن والســـنة اســـتطاع المشرعون ان يســـتخرجوا منها ما صلحت به تلك الامبراطورية الضخمة طوال تلك الأحقاب حتى ان مشرعا واحدا استخرج تسعة وعشرين الف مسألة تشريعية من ذهنه فى القرن الماضى حتى فى عهد محمد على كان فى مدينة المحروسة وحدها اثنتا عشرة محكمة جزئية واربع محاكم عليا وقد الغيت الجزية ١٢٢٦ والتكليات العينية ١٢٩٧ اذ وضعت

اول لائحة للمحاكم الشرعية فى تلك السنة . وبرهنت على أن الشريعة لا تزال محاكمها قانونية فى عمومها الى وقتنا هذا وقالت : قارن بين الشريعة وما أنتجته حضارة الشريعة الاسلامية ما مثله تلقاها الساميون بمزيد الدهشة والاعجاب . وتحدثت الفتح عن القوانين التى ستغير منها قانونا المرافعات وتحقيق الجنايات وهما فى اجراءات يصح ادخالها فى باب المصالح المرسلة فتكون من شريعة البلاد وقانون العقوبات وهو من باب التعزير وقد تركت الشريعة أمره مفوضا للمحاكم فيما تشرعه فيه يكون من شرع الله ما لم يخالف الكتاب والسنة » .

الفصل الثانى

التربيـــة الاســـــــلامية

اذا كان السيد محب الدين الخطيب قد اولى اهتماما بالغا للشريعة الاسلامية وتطبيقها فقد حشد جهدا ضخما للتربية الاسلامية وقدم فيهما منهجا واضحا واسعا وكان الاهتمام بالجامعة الازهرية واصلاحها منذ المجلد الأول حيث كتب عبد العزيز جاويش مطالبا أن تعـــود المســـاجد الدينية سيرتها الأولى متى كان لدى الطلاب من المبادىء العلمية ما يعنيهم على معالجة الأمور مثل شهود مجالس معلمهم وأن أساس التعليم الحديث في جامعات أمريكا الآن هو الذى هجرته معاهدنا الدينية ، وينبغى العدول من الكتب التى وضعت فى العصور الاخيرة موجزة معقدة حتى لتكاد تكون احاجي والغاز فان هذا مضيع للوقت صارف للطلاب عن الجوهر واللباب، ويجب أن تؤلف كتب حديثة سهلة التناول ، حسنة التبويب والتفسير . ويجب أن يستعان بما للسلف من الكتب فى مختلف العلوم فانهـــا ديوان العرب ومزايا ماضى الاسلام وخزائن ثمار الجهاد العقلى الذى سلخ منه سلفنا الصالح قرونا كثيرة .

٢ — وتحدثت الفتح عن المحاذير التى انشئت الجامعة المصرية من اجلها فى ضمائر أصحاب النفوذ الأجنبى وهى أن تكون بديلا للأزهر وعلقت على مقال للسياسة الأسبوعية (٣ مارس ١٩٢٧) قالت السياســـة الأسبوعية (وان الجامعة المصرية صائرة لا محالة الى حيث تحل من ناحية النفوذ خارج الحدود المصرية محل الجامع الأزهر ونفوذه الكبير ، فى تلك العصور التى مضت ، ولم يكن الجامع الأزهر ايام ازدهاره الا جامعـــة موجه لدرجات التعليم العام فى تلك العصور ولم يكن نفوذ الجامع الأزهر الا ناشئا من هذا الاعتبار وحده) .

وقالت الفتح : هل نحل الجامعة محل الأزهر ؟

سؤال كان على كاتب السياســـة أن يبحثه من جميع وجوهه وأن

بطليل التفكير فيه قبل ان يعطى حكما نهائيا بشأنه ، فان نفوذ الأزهر فى بلاد الاسلام نتج عن قيامه بخدمة علوم الاسلام خدمة لم يغن غيره منهـا غناءه فهل يمكن للجامعة أن تحل محله فى القيام على علوم الاسلام ؟ ان عرض الجامعة ينطق بأنها ما أنشئت لتقوم بتعليم العلوم الاسـلامية وبالدفاع عن الاسلام بل هى بعيدة كل البعد ، اذا فكيف يتهيأ لها ان تحل فى نفوس المسلمين محل الأزهر ؛ يخيل للكاتب ان البلاد الاسلامية تتطور وان هذا التطور سيحيلها الى حالة فكرية تسـتغنى فيها عن دينهـا وتقاليدها وعن الاسلام وعلومه ، وتنقلب أمما لا تسـتطيع رؤية العلوم الاسلامية بل تستبدل بها الثقافة الجديدة ؛ تلك الثقافة التى تستغنى بها عن الدين وعلومه ، ان نفوذ الأزهر ناشىء عن قيامه على علوم الاسـلام قياما متواصلا لم يعتوره انقطاع . ونجاحه فى ذلك نجاحا لم تؤثر فيـه احداث الدهر ولا تقلبات الأحداث ولا ضعف المسلمين وتدهورهم ، فمـا نبغ نوابغ العلماء الا فى رحابه ولا خرج المصلحون الا من حلقات دروسه؛ ولا يعرف المسلمين حتى يهاجم الدين الا أهل الأزهر . ولا ترجع الأمة فى أمور دينها الا اليهم . خدع كاتب السياسة نفسه ليبنى عليه قاعدة من حلول الجامعة محل الأزهر . الأزهر للدين والجامعـة للثقافة الجديدة وانت تعرف معنى الثقافة الجديدة ، ثقافة تقوم على انكار الدين لا على تحريرها من الدين أو على عدم الحاجة اليه ، فالتقابل بين الأزهر والجامعة تقابل بين الشىء وضده . ان الفقه الاسلامى حين يدرس فى الجامعة على أنه نوع من الفقه الرومانى او الفقه المدنى لا يحل فى نفوس المسلمين محل الأول اذ يدرس على أنه مأخوذ من كتاب الله ومن سـنة رسـوله ، ان الأزهر سيظل حافظا نفوذه مؤديا أمانته التى ائتمنه عليها تاريخ المسلمين ولو انشئت الف جامعة وجامعة ، ان الجامعة المصرية لا تحل محل الأزهر ولا محل جامعات الغرب ولا ترث نفوذهما بين الأمم الاسـلامية لأنها لم توفق الى وضع الخطة الصالحة لمهمتها ولم تحسـن اختيار كثيرين ممن يعملون فيها .

٣ ـ ووالت الفتح اهتمامها الى اصلاح التعليم فى الأزهر (م ٣) :

فتحدثت عن أن تنظيم التعليم العالى يضم ثلاث شعب : احداهما لدراسة الفقه ووسائله من كتاب الله وسنة الرسول ، ومذاهب السلف

الصالحين توسلا الى استخراج للأحكام الشرعيه (٢٠) دراســـة علوم الكلام ، ودراسة علوم اللغة العربية ودراسة الكتاب والسنة من الناحية البلاغية .

وكتب الأستاذ محمد محمد الأودن ، منصـــور رجب ، عبد الباقى سرور نعيم عن اصلاح الأزهر ، وكانت الدعوة الى أن يكون اصلاحا يحفظ بشخصية الأزهر وروح العصر فلا يرمى به فى أحضان حركة التجديد ولا يتشبث فيه بالجمود بل يكون حافظا للروح الاسلامية مع قسط وافر من علوم العصر الحاضر ووضع تربية لبعث الروح الاسلامية من جديد .

٤ — واولت الفتح اهتمامها الى مدارس المبشرين وماذا تفعل بابناء المسلمين (م ٣ ص ٢٨) فقالت : ان مدارس المبشرين تعلم الأولاد الطاعة والامتثال والميل الى النصرانية غير انهم لا يجرءون على اعلان التدين بغير دينهم بينما يحافظ المسلمون على الشبيبة القبطية من التعليم فى مدارس المراسلين الأجانب .

وتناول الموضوع بتوسع ودقة الأستاذ حسن البناء فى مقال ضاف تحت عنوان :

(هل نسير فى مدارسنا وراء الغرب) ؟

قال : لنا أن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجـــه عنايتها بالعلوم الطبيعية والمواد العلمية والمعــــارف الحيوية التى ترمى الى ادراك سر الوجود ومعالجة مشاكل الحياة وهو العنصر الجوهرى فى رقى الغرب ، ولنا أن نأخذ عن مدارس الغـــرب ومناهجـــه عنايتها باتجاهات التربيـــة الحديثة ومراعاة مطالبها وتأسيس طرق التعليم على اسس وطيـــدة من دراسة نفس الطفل وطبائعه ، ولنا أن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجه عنايتها بتربية الجســـــوم وغرس الفضائل الوطنية فى نفوس تلامذتها ليخرجوا رجالا كاملين ، ينفعون أوطانهم والعالم كله .

ولكن هل نجعل مدارســـــنا خلوا من الدين متبرئة من العناية به والاهتمام بشأنه لأن مدارس الغرب كذلك لأن مدارس الغرب ترى أن

هناك فرقا بين مدارس الكهنوت ومدارس العلوم . كلا والف مرة كلا . فان اسباب ذلك وموجباته أن توفرت فى الغرب فهى معدومة عندنا وان اخطأ الغربيون فى شىء فلسنا ملزمين بتقليدهم فى خطأهم . على أن مدارسهم أسست كذلك فى وقت كان فيه الصراع بين العلماء والمتدينين على اشده وكانت موجة الالحاد تغشى اوربا من أقصاها الى اقصاها . وكانت المدارس هى السلاح الخاص للقضاء على مزاعم الكهنوتيين واراجيفهم ولكن الشأن الآن غير فى أوربا التى بت فيها الالحاد تعود الآن الى الايمان اما نحن فليس عندنا شىء من ذلك قط ، فلماذا نندفع فى تقليدها فى شىء رفع الله عنا أسبابه ونتائجه . ان علينا أن نجعل مدارسنا منبعا صافيا تستقى منه الطلاب علوم الدين والدنيا وتثقف عقولهم بقدر ما تهذب نفوسهم وتطهر ارواحهم وأن يحرروا أفكارهم من نير الأعجاب بثقافة اوربا وأن يكملوا مدارسنا بما ينقص مدارسها» .

وتحدثت الفتح عن المدارس التبشيرية فى ديار الشام : وقالت أنها خطرة على تقاليدنا الدينية ؛ وقد حمل تلاميذها على ترك دينهم واجبارهم على ممارسة عبادة غير عبادتهم ، القائمون عليها أتوا الى هذا البلد ليغيروا معتقدات سكانه .

وكتب محمد فتح الله درويش تحت عنوان : متى يكون للمسلمين مدارس ؟.

(٣)

ونحدثت الفتح عن سياسة التعليم فى مصر (١٧ نوفمبر ١٩٢٧) فقالت :

لو أن القائمين على سياسة التعليم لم يجردوه من الدين ومن الأخلاق بل أقاموه على الدين وركزوه على الفضيلة لما خيف على الذين لا عاصم لهم ، من تربيتهم المنزلية وتعليمهم الصحيح ؛ لأن الدين كان يحميهم ويكفهم عن اجتراح الشرور وارتكاب السيئات اذا سدت فى وجوههم أبواب الوظائف ويمكننا أن نفهم السر فى اتجاه السياسة الانجليزية نحو جعل التعليم فى مصر مجرداً من الدين والأخلاق لأن هذا

هو ما تقضى به مصلحتها ويؤدى الى تدمير شعب مدين بدين هو الحقيقة معاد لدين من يدير شئونه ولكن لا يفهم بحال السر فى بقاء هذه السياسة معمولا بها الى اليوم بل فى تقهقر التعليم الدينى الى الوراء زيادة عما كان عليه فى الادارة الانجليزية . بينما ترى الجامعة المصرية تبث الالحاد وينعصب طه حسين ويعتنق ابعد الآراء شذوذا اذ بك تجد الفلاحين وهم تدعمون فى المائة فى جهالة نهؤلاء تفتك بهم الخرافات والاوهام .

٢ — وتحدثت الفتح عن (التركيز فى التبشير على فلسطين) :
يوليو ١٩٢٨ / صفر ١٣٤٧

واشارت الى جماعة المبشرين البروتستانت ودورهم الخطير فى ازعاج المسلمين وقد دعاهم المسلمون الى عقد مناظرة علنية فى القدس يشهدها عدد كبير من المسلمين والنصارى وغيرهم يطالبون فيها باثبات صحة ما يدعون اليه بطريق البحث العلمى وضربوا لهم مدة كافية لتبليغ دعوتهم ومضت المدة ولم يعلنوا قبولهم فدلوا بعدم اجابتهم على عجزهم عن اثبات صحة دعواهم .

وكتب ابن الفيحاء (م ١٩٢٨/٣) عن الالحاد وكيف نتسا فى المدارس . وقال ان السبب فى ذلك أن الطالب يجد النظرية لعالم من علماء الغرب فيعود الى رجال الدين يتلمس موضعها من الإسلام فلا يجد عندهم ما يريد ، هنالك ينغرس فى نفسه بذرة الظن بأن بين الدين والعلم خلافا ، وقال ان الدواء هو تاليف لجنة من خيرة العلماء لوضع كتب عصرية فى الدين الاسلامى وتاريخه وآدابه غير الأساليب المالوفة الآن ، وأن تبنى كتب التوحيد والكلام والحديث على اساس دفع شبهات المذاهب الفلسفية الحديثة .

٤ — وفى المجلد الرابع كتب الاستاذ محمد فتح الله درويش فصلا مطولا عن التربية الاسلامية تحت عنوان : متى يكون للمسلمين مدارس وهل من سبيل الى ذلك ؟ قال : أصبحت بذور الالحاد والتشكيك تلقى جهارا باسم العلم والتجديد فى بعض معاهد التعليم المصرية وبجراة قد تزيد فى شدة أثرها وتعدد نواحى همومها من تلك التى يتعرض لها

الطلبة المسلمون فى الغرب ثم ان الوسط الخلقى فى بعض المدارس المصرية اصبح ويا للأسف فاسدا فلست ابالغ اذا قلت ان الفضيلة فيه اصبحت لا تجرؤ على الظهور امام المباهاة والتفاخر بالفسق وايتان المنكر . فالطالب المصرى المتمسك باهداب الدين والفضيلة غدا فى حاجة ماسة للحماية من تيار الغواية الجارف الذى يكتنفه من كل جانب . اما الجامعة الأمريكية ببيروت فانها ما أنشئت الا للتبشير بالمسيحية ومهاجمة الاسلام فى دياره ، ولذا فان معظم خريجيها يرجعون الى اهليهم وقد تخلخلت عقائدهم وسقم وجدانهم واصبحوا وبينهم وبين دين الاسلام والغيرة عليه حجاب ولا سبل الى حفظ عقائد اعضاء البعوث واخلاقهم سواء فى اوربا او فى الشرق الا باتخاذ نظام دقيق من الرقابة على البعوث الرسمية وغير الرسمية تحول بينهم وبين الانزلاق فى هذا التيار المخيف » .

كذلك فقد كتب الأستاذ مصطفى الرفاعى عن (حاجة البلاد الى مدارس اسلامية بالمعنى الصحيح ، كما نشرت لمتالم من حمص عن (المسلمون ومدارس الدعاية المسيحية) .

وتحدث الأستاذ عبد الباقى سرور نعيم عن التعليم والتبشير : فقال نشر المبشرون مطاعنهم وهم فى أمن من المقاومة الداخلية وساعدهم نظام التعليم فى ادارس على تهيئة ارض صالحة وايجاد جو مستعد لقبول تلك المطاعن ومنيت خطة التعليم بجريرة من الدين وجعله بعيدا عنه حتى لا تغرس فى نفوس النابتة من العقائد والتعاليم ويجعلها غير صالحة للقول اى طعن او الميل لأى شبهة . واحد التعليم المجرد من الدين عقولا مستعدة لقبول ما يلقى اليها خاصة اذا جاء من ناحية يعتقد فيها التمدن والرقى (*)

وتشرف على التعليم المجرد من الدين جمعيات اجنبية ، وهى تجبر المسلم المتعلم فيها على الانقياد لتعاليمها والخضوع لنظامها . ان التعليم على اختلاف انواعه قد ادى للتبشير خدمة هامة بابعاد الدين الاسلامى من المدارس فالتعليم والتبشير كلاهما متعاونان ويتناصران على قصد أو على غير قصد . ان كل ما يقوله دعاة الالحاد وأنصار التجديد وما

يبدونه من الشكوك وما يدعونه من المطاعن كل ذلك مأخوذ من صحف المبشرين ومؤلفاتهم وأحاديثهم ودروسهم .

٤ — وتناول الأستاذ صادق عرجون الرد على (محمود الشرقاوى) الذى رمى الأزهر بالتأخر ونعى كثيرا من الكتب التى تدرس فى الأزهر والرجال القائمين على تدريسها ومما قاله لماذا لا نستمع الى دكتورنا الجليل طه حسين .

وقال الأستاذ صادق عرجون : كيف نستمع الى دكتورك وهو الذى كذب الكتب المقدسة من غير خجل ولا حياء ، وهو الذى غمز نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا النسب الذى تعالى فى سماء الشرف والكرامة بمغامز تورع عنها أشد خصوم الاسلام والد أعداء العرب وهو الذى انكر القراءات المتواترة وذهب فيها مذهبا خاطئا صوره له الحاده وهواه فى حين أنه ليس له من الحماية ما يكفى لحماية خروجه من الأديان ، وقد أظهر تقرير النيابة الرسمى فضيحته الكبرى وعدم أمانته العلمية وهو الذى اختتم سلسلة المخازى بافترائه على النحاة فى محاضرته فى مؤتمر المستشرقين .

وقال الشيخ مصطفى صبرى : لقد قرأت كتاب الأستاذ محمد احمد الغمراوى (النقد التحليلى) من أوله لآخره وعجبت بعده كيف قراه طه حسين ولم يمت من شدة الخجل والفشل بين يدى العلم والعقل فدوام حياته فى مصر وجامعاتها خارقة من خوارق فقدان الحياء ، يحق أن يحمر منها وجه مصر كما يحق أن تشرق صفحة وجهها الأخرى بالغمراوى .

٦ — وكشف مصطفى الرفاعى اللبان عن اخطار المدارس الأجنبية، وقال انها تشتغل فى وضح النهار غير خائفة عقابا ولا حسابا فهى تشتم الاسلام امام أولادالمسلمين بألفاظ قبيحة وتضطرالتلاميذ المسلمين الى ممارسة الطقوس الدينية المسيحية فيصلون مع المسيحيين ويرتلون ترتيلاتهم ، وفرض تلقى دروس الديانة المسيحية وحفظ فصول من التوراه والانجيل وآباؤهم فى غفلة من أمرهم ، تقدم لهم كتبا تطعن فى الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم .

٧ — واتسع بحث خطر المدارس الأجنبية حيث يحفل المجلد الرابع بمجموعة من الأخبار في هذا الصدد وفي مقدمتها سؤال برلماني وجهه علي سالم عن أن « كامل منصور » اجترأ في خطاب القاه في مدرسة الأمريكان على الطعن الجارح في الدين الاسلامي وصاحب الشريعة المطهرة صلى الله عليه وسلم وعلى التهجم في القول بأن كل ما يحويه القرآن الكريم قصص وخرافات وقد سبق أن اقترف نفس هذا العدوان في الجامعة الأمريكية فخرى فرج .

ودعا الى مطالبة المفوضية الأمريكية بالعمل على تطهير دورها العلمية في مصر من أرجاس كامل منصور وفخرى فرج وأمثالها .

كذلك فقد حولت النيابة العامة قضية الدكتور فخرى ميخائيل الخاصة بالتطاول على الدين الاسلامي في محاضرة القاها بقاعة المحاضرات بالجامعة الأمريكية عن مساواة الرجل والمرأة في الميراث .

كما أشارت الفتح الى كتاب دراسي يوزع في مدرسة سنتان بالسكاكيني حيث جاء في الصفحة ١٨٨ من كتاب التاريخ المقدس : العهد القديم والجديد : عبارات غير لائقة عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

وتحدثت الفتح عن المدارس الامريكية وخطرها وخطر المدارس الاجنبية فقالت :

على المسلمين ان يخرجوا أولادهم من هذه المدارس ويشيدوا دورا للعلم تربى أولادهم تربية صالحة في الدين ، وأشار الى أن الطالب الذى يدخل مدرسة أفرنكية يشترط عليه حضور الدروس الدينية وأداء الامتحان بها ومعنى ذلك انه يشارك المسيحيين في عبادتهم ويدخل الكنيسة معهم . ومن مبادىء هذه المدارس أن توزع المجلات المسيحية على الطلاب ليقراوها ، وهذه المجلات تحوى طعنا جارحا في الاسلام وانهم يقدمون تقارير كاذبة عن انتشار المسيحية في أنحاء العالم وتراجع الاسلام تحت ضغط انتشارها . ونشر العادات الهدامة للعفاف والأخلاق ، وان دراسة التاريخ في هذه المدارس يوكل الى المسيحيين وفي عرض سيرة الرسول والخلفاء الراشدين فاذا وصلوا اليها غمزوا بمقدار محدود وطعنوا برفق في الرسول الاكرم » .

(٣)

ويحدث الأمير شكيب أرسلان (م ٤ — ١٧ ابريل ١٩٣٠) تحت عنوان : (الأزمة الحقيقية الحاضرة فى الاسلام هى أزمة التعليم)

ومما قاله : كل علل الضعف الذى حل بالاسلام صحيحة ولكنها اقل خطرا واخف ضررا من طريقة التعليم التى جرت عليها الحكومات الاسلامية والمسلمون فى هذا العصر ، وهى الطريقة التى ستكون نتيجتها أشد وبالا على المسلمين من الاستعمار ومن الحروب الصليبية ومن الغارات الاقتصادية ومن كل مصيبة وداهية .

ان طريقة التعلم التى معناها ان ينشأ الحدث المسلم بدون عقيدة فى الصغر ينقش فى لوح صدره وأن لا يكون له نصيب فى حفظ القرآن ولا من قواعد العربية وان تطلب منه بعد ذلك ان يكون مسلما . اذا تأمل من الشاب الذى ارسله أبوه الى اوربا وهو ابن ١٤ سنة لا يعرف شيئا عن عقيدة قومه ولا من البراهين التى يقوم عليها الاسلام فوصل الى هناك خاما كما يقال وحشا دماغه فى أوربا بكل ما يحقر الاسلام ويصغره ويزدريه ، وقيل له ان ما عليه أمته من التأخر والضعف والجمود ، انما هو بأجمعه أثر الاسلام فيكون من العجب بعد هذا ان تنشأ عن هذا الفوج الجديد (الاسلامى) هذه الكراهية للدين الاسلامى وهذه النصرة من الثقافة الاسلامية بل العجب كل العجب أن يكون الأمر بخلاف ذلك ، فالخطأ ليس خطأ أوربا التى تريد ان تثبت تعاليمها مما هو طبيعى والتى لو وجد فيها الميل الى الانصاف لم يوجد عندها العلم بحقيقة الاسلام الذى لا يصل اليها غير العلم الا مقلوبا وان الخطأ هو خطأ الحكومات الاسلامية التى كانت ترسل الناشئة للتحصيل فى فرنسا وانجلترا والمانيا وبلجيكا وسويسرة وتظن انها ربت فيهم رجالا للمستقبل والحقيقة أنها ارسلتهم الا الأقل غير مجهزين بشىء من السلاح المعنوى الذى يمكنهم من ان يذبوا به لو هوجمت عقيدتهم فكانوا معرضين لكل خطر كما رأيناهم ».

(٤)

وتواصل الفتح حملتها فتكشف عن اخطار الجامعة الأمريكية ففي المجلد (٦١٣/٤) مارس ١٩٣٠ تتحدث عن اعمال التدريس داخل الجامعة الأمريكية فكتبت تحت عنوان : الجامعة الامريكية تكشف قناعها يقول :

الاستاذ جفرى المدرس بالجامعة الأمريكية في القاهرة اشار في احدى محاضراته الدينية التي يلقيها كل صباح على مسامع طلبة الجامعة الداخليين من مختلف الجنسيات قوله : ان مقاييس النبوة الصحيحة ان يأتي النبي بشيء جوهري جديد ، وأن لا يكون شهوانيا وعلى هذا لا يعد محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا بل مصلح فقط . ماذا يقول الشيخ عبد الحميد السايح في هذه المقولة : ان الأنبياء جميعا يدعون لمبدأ التوحيد وعبادة الخالق : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك) وان اختلفوا في وسائل هذه العبادة وتكليف الناس بشأنها ، جاء سيدنا محمد بأحكام مدنية وشريعة أبدية ، تطابق العقل والمصلحة ويستطاع تنفيذها في أى عصر وأى مكان ، وقد عدد النبي زوجاته لحكمة يعرفها أمثال الأستاذ جفرى ويتجاهلونها ، منها ما هو عام ومنها ما هو خاص خالف بها كثيرا من الزعماء والعظماء ، بما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) مدفوعا بدافعه الشهواني الطبيعي ، ولو كان كذلك لاختار من أبكار قومه الجميلات لا من عجائزهن .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم
ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به به الماء الزلالا

ورد كثيرون على الدكتور فخرى بشأن المساواة بين البنين والبنات في ميراث الآباء والأمهات منهم الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر والأستاذ عمر الدسوقى .

٢ — ثم عاودت الفتح (المجلد الخامس ١٩٦١) الكتابة تحت عنوان الاسلام في الجامعة الأمريكية في القاهرة ، قالت : ان محمد حسن

علاء الدين ، كان طالبا فى لجامعـــة الأمريكية كشف فى صحيفـــة الصراط المستقيم — يافا — فلسطين : ما يرمى اليه أساتذة الجامعة الأمريكية و القاهرة أنهم جعلوا من كتب المراجع التى يرشدون الطلبة الى قراءتهـــا كتابا خبيثا مملوءا بالفحش والتطاول الى مقام سيدنا رسول الله بعبادات يعاقب عليهـــا قانون العقوبات المصرية ويعدها جنـــاية على مصر اسمه مشاكل الدين ، تأليف ديورنت دربك .

٣ — وتحدثت الفتح عن (خطر المدارس على أولاد المسلمين)فقالت ان هذه المدارس تبغض الى الطلبة المسلمين دينهم ووطنهم ، وتصور لهم ابطال المسلمين وملوكهم وامراءهم فى صور المستهترين بالأخلاق والآداب المحبين لسفك الدماء ؛ وتحسن لهم المسيحية وتشوقهم اليها بدرس تاريخ رجالهـــا وتصويرهم فى احسن الأشكال وتحبب اليهم الآداب الغربيـــة والمعيشة الأوربية وتذم لهم علماء المسلمين السابقين وتنتقد أمامهم الاسلام المبين انتقادات وتدخلهم الكنيسة قسرا وتجبرهم على العبادة فيها .

٤ — وتواصل الفتح فى المجلد السادس فتحدث (عن الدسائس فى كتب مدارس الفرير والأمريكان فى مصر) الأستاذ مصطفى الرفاعى اللبان حيث تحدث عن خطتهم فى تشويه حقائق الاسلام والاعتداء على نبيه الكريم وكتابه الحكيم فى الوقت الذى قام القرآن على :

(١) (تبرئة الصديقة مريم مما اتهمها بها اليهود واسبغ ثوب الطهارة والثناء عليهـــا .

(٢) مدح الســـيد المسيح ووصـــفه بأجمـــل النعوت واعـــلاها والثنـــاء عليه .

٥ — واشارت الفتح الى ان الجامعـــة الأمريكية يرأسها مبشر هو شارلز وطسن وقد كان والده مبشرا وامه مبشرة واستشهد على ذلك بما قاله (عبد القادر الحسينى) خريج الجامعة الأمريكية (محرم ١٣٥١) عن كتاب وطسن المعنون (حروب صليبية مســـيحية فى مصر)ويعنى بهـــذه الحروب الحملة التبشيرية وقد قال فى مقدمة ذلك الكتاب (هدية لأمى وأبى اللذين قضيا حياتهما مبشرين فى مصر ، وفيه توجه الدعوة الى أهل الخير

والاحسان ، أن يحضروا الى مصر ليروا الانتصار الباهر لاعمال التبشير في مصر ، ويوجه الى المبشرين كلمة مؤداها انهم هم الذين سوف يتم تنصير مصر بأسرها على أيديهم ، وبذلك يتوجون رءوسهم بأكاليل الظفر والفخار جزاء لهم على جهادهم المقدس) . وقال في كتابه : ان الكعبة قلب العالم الاسلامي وهي وكر لصوص يؤتى فيه جميع المخازي الأخلاقية (كذا) (٧٩ م ٦ الفتح) .

(٥)

وعقدت الفتح بحثا مطولا (م ٦ ص ٤٤١) تحت عنوان : تعليم الدين الاسلامي في مدارس الشرق الاسلامي (تركيا — العراق — ايران) قالت :

ان مستر دنلوب هو واضع أساس المناهج في مدارس مصر ، وعلى هذا الأساس يحدث التعديل والتبديل دائما في المناهج ، وكذلك الحال في العراق ، فان المدرسين الانجليز بمعاونة الأستاذ ساطع الحصري (الذي نشأ وتكون في معارف تركيا الاتحادية) هم الذين وضعوا المناهج . وكانت البلاد قبل ذلك فقيرة جدا في مدارسها ومعارفها على عهد الترك ؛ أما ايران فكانت على عهد آل قاجار تتأثر دائما بأنظمة المعارف في الدولة العثمانية ، ولما انتقلت الى العهد البهلوي الجديد لم تستطع بسبب ما في البلاد من عصبية دينية ان تطفر مثل طفرة الكماليين ولذلك نجد عدد معلمي التعليم الديني فيها اكثر مما هو في العراق التي استندت الى ارشاد الانجليز ، وبالرغم من ذلك فان التعليم الديني في ايران والعراق وتركيا محسوب انه شيء زائد عن الحاجة ، وان الغرض منه ارضاء الشعب حتى يكون مطمئنا أن مدارس حكومته غير مجردة من تعليم الدين ، ذلك ان الذين يتولون القيام بأعمال الادارة في تلك الممالك غير معنيين بضرورة التعليم الديني ولا واقفين على ما يكون له من فائدة في حياة الأمة ، والسياسة الحاضرة ستبقى مستمرة على قاعدة التدرج في انقاص حصة التعليم الديني كما هو الحال في الحكومة القائمة في أنقرة .

٢ — وفي المجلد السابع من الفتح ص ٨٠٨ يتحدث السيد محب الدين

الخطيب عن التعليم الاسلامى يقول : النظرية الصحيحة فى التعليم الاسلامى أن يكون ابن الزمان والمكان ، أن يكون عصريا اسلاميا ، فاذا كان عصريا فقط كما هو الحال فى مدارسنا المدنية ولم يراع فيه مطالب المحيط الاسلامى الى أقصى حد خرج لنا منه شبان يجهلون أنفسهم ومحيطهم وكيانهم وكانوا سماسرة لأقطار اجنبية ومقاصد اجنبية وعقائد أجنبية ، واذا كان التعليم ابن المكان فقط ولم يراع فيه معارف العصر خرج لنا شبان جاهلون بأحوال زمانهم مجردون من الأسلحة التى يقابلهم بها أعداؤها ، وقال : على كل من له ولاية على شىء من أمر هذه الأمة الاسلامية ، أن يسعى بكل قوته للقضاء على هذا التعارض فى طرق التثقيف فى العالم الاسلامى وازالة هذه الهوة الواسعة بين المتعلمين تعليما مدنيا عصريا والمتعلمين تعليما دينيا اسلاميا ولا يكون ذلك الا بسلخ الصبغة الأجنبية عن التعليم المدنى العصرى واعطائه صبغة اخرى من لون محيطه الاسلامى تكون ملائمة لتقاليد الامة وعقائدها ويكون فى القسط الأوفى لاعلان مفاخرها وتنوير تاريخها واحياء ماضيها وربط الحاضر به لتكون منهما سلسلة مفرغة الحلقات يكمل بها الأحفاد امجاد الأجداد وبذلك يعود بنى الأمة الى الخير وينقذونها من الانسلاخ من كيانها (م ٧ / ٨٠٨) .

٣ — ويتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد السابع ص ٧٧٥ من الفتح عن (**البرنامج الدنلوبى فى مدارس مصر**) :

قال برنامج دنلوب لتخريج المتعلمين ، يكون فى دواوين الحكومة آلات ميكانيكية تديرها رءوس انكليزية وتسير بها فى خطط لم يكن ضروريا أن يؤدى الى جعل مصر بلدا دوليا (انترناسيونال) واشار الى الجاليات الاجنبية التى وضعت ايديها على مرافق مصر واستأثرت بها دون الوطنيين وبخاصة المسلمين ، وقال : ان المطلوب هو هدم الطريقة الدانلوبية التى كانت لا تعنى بتخريج أبناء مصر العربية الاسلامية ، ان الطريقة الدنلوبية علمت شباب مصر أن العروبة والاسلام شىء أجنبى طرأ على مصر واحتلتها كاحتلال الفرس والبطالسة والرومان والانجليز مع ان العروبة والاسلام هما روح مصر وكيان مصر ، بل هما مصر منذ نحو أربعة وعشرون قرنا

الى الآن ، فالتعليم يجب أن يبث فى الشباب المصرى روح العروبة ، لأن العروبة جنسه وادبه وتاريخه ، والمصرى لا يعرف نفسه الا ابن عربى مهمـــا حاول اعداء العروبة بث سموم الباطل فيه وابعـــاده عن نفســـه وتبغيض عروبته اليه والتعليم يجب أن يبث فى الشباب روح الاسلام لأن الاسلام دين مصر الذى لا تعرف مصر دينا غيره ، ان التعليم الدانلوبى فى المدارس اهمل آداب الاسلام وتاريخ الاسلام وامجاد الاسلام فخرج لنا ابناء محرومين من سلاحالفضائل الاسلامية ، فى التعليم يجب ان نبنى فى الشباب المصرى الاعتماد على النفس فى حياته الاستقلالية والاقتصادية ولاعزاز بتاريخه القريب الذى تكونت به قوميته الحاضرة منذ اربعة عشر قرنا .

٤ ــ وفى المجلد الثامن (١٣٥٢) تتحدث الفتح عن : (تعليم الدين للنشىء الاسلامىالذى يجب ان يقرن بالتربيةالاسلامية) فيقول: التعليم شىء وتهذيب النفس وتربيتها بشىء آخر ، وان العلم القليل اذا اقترن بتربيـــة العقل وتربية الخلق وتربية النفس انفع لصاحبه وللأمة من العلم الكثير اذا سلحت به نفس لم تهذبهـــا الحكمة ولم تعتصم بخلق التقوى . وتحدثت الفتح عن مطالبـــة الدكتور عبد الحميد ســـعيد بأن يكون تعليم الدين فى مدارس الدولة المصرية مادة اساسية يترتب عليها النجاح او السقوط فى الامتحـــانات وأرى أن التعليم الدينى لا يكفى والامتحـــان بدروس الدين لا يكفى ، اريد ان ينشىء ناشىء الاسلام محبا للاسلام غيورا عليه مجاهدا فى الاسلام يقف وقفةالخشوع والحرمة والاجلال لذكرى عظمائه وابطاله.

وقال ان المدارس الكاثوليكية والارثوزكســـية والبروتســـتانتية والاسرائيلية ، يســـتولى كل واحدة منها على نفوس تلاميذها وتعنى تربية هذه النفوس وتغذيتها بالغذاء الروحى ، اكثر من عناية اباء هؤلاء التلاميذ بتغذية اجسام أبنائهم بالخضر واللحوم ، ولا يزيد وزن جسم التلميذ عشرة دراهم حتى يكون المدرس قد زادت نفســـه تعلقا بالنصرانية او اليهودية ومحبة لها وحرمة لأبطالها وصناديدها ورضى بالتضحية فى سبيلها والتزامها بشرائعها اما مدارسنا فقد باعدت ما بين ابنائها وهداية دينهم .

٥ ــ ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن التعليم ويقدم

صورة مما يجرى فى الجامعة المصرية على يد اساتذتها (١١ نوفمبر ١٩٢٦) نقلا عما نشره الدكتور زكى مبارك : دخل زكى مبارك ليلقى درســـا فى البلاغة فابتدأ ممليا أصل الكلمة من الوجهة اللغوية والادبية والاصطلاحية وفى الأثناء دخل طه حسين بين ضـــجة الأتباع وتطبيل المطبلين ، فما كاد يستقر به المجلس حتى احتدم بينه وبين طالب جدال فى الفرق بين القـــول والكلام فجابهه الأستاذ بتصريح تجمل ونصحه أن يتثبت من الشىء قبل النطق به ، وهب احدهم يسأل أهناك فرق أم لا فكان جواب أســـتاذ الجامعة انه لا فرق هناك مطلقا بين القول والكلام مع أن الفرق بين القول والكلام موجـــــود فى جميـــع الكتب المعروفة : الخصـــائص لابن جنى . يا سبحان الله ، أمن يحضر علم الأزهر يخرج منه وهو لا يعلم الفرق بين القول والكلام الذى لا يخلو منه كتاب لا متن ولا حاشية ، ولو أنه حضر فى الأزهر حضور المتعلم كما يقول لقرأ لأول عام ألفية ابن مالك ما من ذلك بد فلو أنه قرأها دون شروحها لفهم المعنى .

كلامنا لفظ مفيد فاســـــتقم   واسم وفعل ثم حرف الكلم
واحـــدة كلمـــة والقـــول عم   وكلمـــة بهـــا كلام قد يؤم

ولم يسمع استاذ الجامعة العلمية المشهورة : كل كلام قول وليس كل قول كلاما .

٦ — فى المجلد التاسع (١٩٣٤) تتحدث الفتح عن تلك الروح التى صنعتها مناهج التعليم الدنلوبى فى مدارس وزارة المعـــــارف ومتى يمكن التخلص منها يقول : لســـــت أدرى متى تقتنع وزارة المعارف بأن هذه المناهج التى وضع مســـتر دنلوب أساسها فيما مضى لتصنع بها موظفين لدواوين الحـــكومة أصـــبحت الآن غير صـــالحة للمدارس لأن دواوين الحكومة شبعت موظفين وحاول الكثير منهم أن ينزلوا الى معترك الحياة الاقتصادية فوجدوا أن المعارف التى تلقوها من مناهج دنلوب لا تؤهلهم لمثل ما تؤهل مدارس الفرير والجزويت لأبنائها » .

٧ — وتحدث الفتح فى المجلد التاســـــع عن الفوارق العميقة بين التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى ، فقال : أما تربية المدارس فروحها

تفرنج فهل بقتل الاسلام مثلا بتفضيل كل ما هو افرنجى على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته . وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الاسلام وعنوانه وتغذية الايمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها فلا يطالب بها احد كما أنها غير محرمة عليهم فلا يمنع من ايرادها فى غير وقت الدرس . هذه المدارس وضع الانجليز نظما وعينوا لها وجهتها وغايتها كما شاءوا ومن مقاصدهم فيها الا يكون لمن يتعلم فيها ادنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية لها من المزايا فى دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملل بل ما لا يشاركها فيه ملة أخرى ، وقد اتفق أن جىء لمدرسة البنات السنية على عهد القس الشهير دنلوب المسيطر على وزارة المعارف بناظرة انجليزية ممن تربين تربية حرة عالية فلما كتبت تقريرها اقترحت الزام جميع من يتعلم فيها من البنات أن يتعلمن عقائد الدين الاسلامى واحكامه ويؤدين عبادته من صلاة وصيام وعللت ذلك بأن عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات لنشء الأمة ولا يصلح للتربية الا الام المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة ، ولذلك اجمعت الأمم كلها على تربية البنات تربية دينية علمية ، ولما كان الاسلام هو دين الأكثرية الغالبية وجب جعله هو الدين الذى يبنى عليه أساس نظام التعليم والتربية فى هذه المدرسة فانا أقترح جعله رسميا الزاميا فيها » .

ولقد عزل دنلوب هذه الناظرة عزلا وحفظ تقريرها أو مزقه تمزيقا وجميع المدارس التى تسمى اسلامية فى مصر تسير وراء وزارة المعارف فى تربيتها وتعليمها سير القذة بالقذة ، حتى مدارس الأوقاف الملكية وكذا مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان غرضها الوحيد فى عهد رئيسها العام ومديرها حسن عاصم تربية أولاد الفقراء من المسلمين تربية اسلامية خالصة ، حسبك ن تعلم أن الجمعية أنشأت مدرسة للبنات لتمرينهن على الرقص دون تمرينهن على الصلاة .

والذى أعلم انه لا يوجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية تربية اسلامية مدونة أو متبعة بالعمل على نفسية اطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس .

٨ — ويواصل السـيد محب الدين الخطيب دعوته الى التربية الاسلامية فيمضى فى المجلد (١٢ — ١٩٣٨) فيكشف عن الوحدة الالمانية القومية — وهى مضرب الأمثال فى القوة والمضاء والانسجام وبركة الانتاج .. لم يتوصل رجال السياسة الى تحقيقها الا بعد أن عمل لذلك رجال التعليم والتربية ولاسيما مدرسو التاريخ فالألمان مدينون بوحدتهم لهؤلاء المدرسين اكثر مما هم مدينون بها لبسمارك ومولتكه والامبراطور البروسى ولولا تلك التوطئة والتوجيه من رجال التعليم وتدريس التاريخ لبقى أمل الاتحاد الجرمانى خيالا ووهما ولبقيت المقاطعات الجرمانية طعمة لكل آكل ونهبة لكل طامع .

ويقول : المواد التى تتفاوت الأمم فى أساليب تدريسها هى التى تتصل بالقومية وتكوينها وربط حلقات مستقبلها بحلقات ماضيها ، وأهم ذلك التاريخ والايمان بأن حاضر الأقطار الناطقة بالضاد أين ماضيها القريب فى الأربع عشر قرنا الأخيرة وأن مستقبلها يجب أن يبنى على هذا الحاضر وعلى ماضيه القريب . (والمعروف أن القوى الأجنبية فى بلادنا قد حطمت الوحدة بزرع الفرقة حتى لما بدأت الدعوات القومية تعمل كانت فارغة تماما من هذه المضامين كالناصرية والبعث) .

٩ — وفى مجلد ١٢ — ١٩٣٨ من الفتح يتحدث على الطنطاوى عن المدرسة الدينية : يقول أما برنامج التعليم فى المدرسة الدينية فقد أصبح من المجتمع عليه وجوب اشتمالها على العلوم الاسلامية والعربية وعلى ثقافة عامة واسعة تحيط بمجمل نواحى المعرفة الانسانية ، لأنه أصبح من المفهوم أن الاسلام : دين وعلم وقانون وفن ، وأنه صالح لكل زمان ومكان فلا يستقيم فى الفكر ان تكون عقول علمائه الذين يعيشون اليوم مخالفة لعقول الناس ، وفى معزل عن حقائق الكون التى توصل العقل البشرى الى معرفتها ، وقد باد ذلك الرأى الذى يرى أن علوم الطبيعه والرياضة والاجتماع منافية للدين ومات أصحابه بعد أن هبطوا بالأمة من بقاعها وبلغوا بها الحضيض الاوهد وأكسبوها — بما ارتضوا لها من الجهل بعلوم الدنيا — هذا الاستعمار .

١٠ — وفى مجلد ١٤ الفتح ص ٤٢٦ يتحدث السـيد محب الدين الخطيب تحت عنوان :

(هل يمكن تغيير اتجاه وزارة المعارف) : يقول :

الغرض الذى كان يرمى اليه الانجليز يوم كانوا اعتبار مصر لسكانها لا لاهلها ، واقناع المصريين بأنهم كل منفصـل عن الأمم الأخرى ، التى تشارك مصر فى اللغة والدين وكان هدف كرومر عزل مصر عن أخواتهـا المشاركة لها فى الدين واللغة وقد جىء بالقس دنلوب فى مدارس ارساليات التبشير الانجليزية الى مصر الى وزارة المعارف ليحقق هذا الهدف فكان اذا رأى الرأى الذى يحقق له شيئا من غرضه دعا اليه موظفا مصريا من موظفى وزارة المعارف يذاكره فيه ثم يستدرجه لاستحسانه ، ومن خلق الموظف أن يستحسن ما يستحسنه رئيسه ولو لم يكن مقتنعا بأنه حسن؛ فاذا أعرب للمستر دنلوب عن استحسانه ذلك الرأى اقترح عليه مستر دنلوب أن يكتب له تقريرا ثم يعرض التقرير على الجهات المختصة مع التوصـية بالموافقة عليـه ثم يقال ان الموظف المصرى فلانا هـو مقترح الاقتراح ويكافأ (خيال الظل) على الدور الذى مثله بترقيته الى وظيفـة أعلى وهكذا وضعت مناهج التعليم المصرى بكل درجاته ورسمت طرائق تكوين النشء فى المدارس المصرية ، وبهذه الطريقة رسـمت فى وزارة المعارف المبادىء التى ترمى الى جعل التعليم الدينى صورة تعبر روح ، وتجريد المدارس من التربية الاسلامية ومن تربية الرجولة واعتبار الاسلام احتلالا فى مصر ، ترديدا لما بث فى بعض كتب الدراسة من أن مصر احتلها الفرس ثم البطالسة ثم العرب الخ وتتجاهل مدارس مصر الروابط الحقيقية الوثيقة فى اللغة والجنس ، وتتناول الهجرة والاختلاط بين سلفها القديم وبين أسلاف الأمم الأخرى التى تتكلم اليوم باللغة العربية جريا على خطة دنلوب التى كانت ترمى الى قطع أواصر مصر بكل من يرتبط معها فى الدم واللغة والدين اضعافا لها وايهاما لأبنائها انهم متفردون ولا علاقة لهـم بالأقطار الشقيقة وكثير من الكتب التى كانت تدرس فى المدارس المصرية كانت تسرد اسم العرب والاسلام فى سلسلة الأمم المحتلة لمصر ولا تذكر

من علاقات مصر بجاراتها قبل الاسلام وبعد الاسلام الا الحروب ايهاما بأن هذه الشعوب والأقطار كانوا أعداء لمصر ولم يكونوا واياها فى كيان يكاد يكون واحدا . ولقد ذهب دنلوب وعهده غير مأسوف عليهما ولكن الأحجار التى وضعها فى أساس مناهج التعليم ما تزال راسخة الى الآن وتظن أن بعض الوزراء الذين تولوا وزارة المعارف كانوا يرغبون فى احداث شىء من التغيير ، كاجابة الأمة الى ما تطلبه فى حقل التعليم الدينى اجباريا وتحويل المدارس من دور تعليم الى دور تربية ولكنهم لم يستطيعوا » .

١٥ — وفى المجلد ١٤ سنة ١٩٤٠ حديث عن التعليم فى الأزهر : حيث تتحدث الفتح عن كلية الشريعة التى تقوم بدراسة الفقه الاسلامى ، يقول السيد محب الدين الخطيب : انه درس فى كتب الفقه منذ بضعة قرون على نفس الطريقة التى تدرس بها هذه الكتب فى تلك القرون ، والعيب فى الاقتصار على هذه الكتب وقد جدت للناس حوادث ووقائع لا يجدونها فى هذه الكتب ومن الواجب أن تدرس فى كلية الشريعة ، كما أن فى هذه الكتب مسائل لا حاجة لأبناء هذا العصر بها ، وما قلناه فى الفقه يقول مثله فى الأصول فلا يزال الطلاب الى اليوم يدرسون كتب الأصول دراسة بعدهم عن الغاية التى من أجلها دون هذا العلم ، أما كلية اللغة فلا يزال الطلاب يدرسون النحو والصرف وغيرهما دراسة نظرية فقط ، دون أن يتأثر بها الطالب فى أسلوبه وفى كلامه ودون أن تجعل الطالب واقفا على أسرار اللغة ومزاياها التى انفردت بها عن غيرها من اللغات . اما كلية أصول الدين وعليها يتوقف حفظ الاسلام وعقائد المسلمين فماذا يدرس . هناك كتب ألفت فى عصور كانت فيها مذاهب هدامة كثيرة وفلاسفة مجرمون ، وهى كتب لا تستغنى عنها ولكن هل هذه الكتب هى كل ما ينبغى أن يقرأ اليوم .

٦ — الجامعة وحماية الدين

واولت الفتح اهتمامها بمناهج كلية الآداب والجامعة وحماية الدين من أخطار التغريبيين وفى مقدمتهم طه حسين ففى المجلد الرابع عشر حديث مطول عما جرى فى مجلس النواب عند مناقشة ميزانية التعليم

الدينى حيث تحدث الدكتور عبد الحميد سعيد كاشفا عن كثير من الاخطار والتحديات التى تواجه شبابنا المسلم فى الجامعات والمدارس يقول :

ليست نظرية فصل الدين عن التعلم الا ستارا للالحاد والاباحة والخروج على الآداب والأخلاق والتقاليد الدينية والقومية ولهذه النظرية قال أولئك المخربون المدمرون : أنه يجب تحرير العلم من سلطان الدين فان الدين غير تقبل أو حاجز منيع فى وجه العلم . بينما نرى الامبراطورية البريطانية تقسم ملكها على احترام المذهب البروتستانتى وحمايته ، لا نريد أن تسمع تلك الدعوة الفاسدة : دعوة حرية الفكر التى فى ظلها تنشر الكتب التى تدعو الى الكفر والتى تطعن فى سيد الأنبياء والتى فى ظلها تهدم الفضيلة والأخلاق والعقائد : لا نريد الحجر على حرية الرأى ولكن لهذه الحرية حد يجب ألا يتعداه انني لا أشكو من تبشير الالحاد فى الجامعة ولا من أمثاله ولكنى أشكو منهم لما ران على قلوبهم نحو الاسلام والمسلمين ، أشكو منهم ان يتخذوا من الجامعة حصنا يقدمون من وراء أسواره بالغارات الخاطفة فيصيبون من الأخلاق مقتلا ، وليت هذا الفساد كان قاصرا على الجامعة بل تعداها الى سائر المدارس المصرية . لما تسرب الى البلاد العربية الأخرى ، لا نريد الحجر على حرية الرأى ولكن للحرية حدود يجب أن لا تتعداها ان ما يرموننا به المبشرون من شر وبلاء لا يقاس مطلقا بجانب ما أصابنا مما يلقى من دروس الالحاد والاباحة . ان الجامعة تسلم هؤلاء الشبان الذين لم يتعلموا شيئا من أصول دينهم الى رجل يلقى فى نفوسهم الزندقة والكفر فيفسد عقائدهم وأخلاقهم (يقصد طه حسين) ووزارة المعارف هى المسئولة عن ذلك لأنها لم تعلمهم أصول دينهم وتقاليده ، والله لو كان هذا الرجل فى بلاد أخرى لما عاش ليلة واحدة ، فنحن لا نقبل مطلقا ان تكون الجامعة المصرية ستارا لهدم الدين والأخلاق والفضيلة ، قمنا بمحاربة هذا التيار المارق من يوم ان ظهر الالحاد فى كلية الآداب قام بذلك عبد الخالق عطية والأستاذ القاياتى وعبد الحميد البنان وعبد العزيز الصوفانى وقفوا صفا واحدا فى محاربة هذا التيار المدمر ، وأثبتت النيابة التهمة على المعتدى وكان تقريرها

مسفها لارادته الفاسدة النجسة ومع ذلك فلا يزال هذا الرجل على راس كلية الآداب الذى قال أن قصة ابراهيم واسماعيل خيال فى خيال والذين طعن فى الرسالة المحمدية بالكذب والبهتان ولا يزال صاحب هذا التاريخ الدنس ينشر آراءه الفاسدة المخزية فى الجامعة المصرية الاسلامية ، ولا يزال صاحب هذا التاريخ يلقى من ابناء الجامعة تعاليمه الخبيثة فى ظل هذه الاباحة وتحت ستار حركة التفكير فينشر المبادىء الضارة المخزية ويحبذون ما يسمونه بحرية المراة واختلاط الجنسين الذى ينشر الفساد وتشجع عليه .

هل ما جرى فى تلك الحفلة التى أقامتها وزارة المعارف فى دار الأوبرا فجلبت اليها الراقصات المحدثات فى تلك الدوائر العامة هل ما جرى فى تلك الحفلة هو الحرص على الأخلاق والآداب وعلى الدين الفضيلة يا صاحب كتاب محمد (وجه القول الى الدكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف اذ ذاك) لقد كان هناك من اسمه (تالاماس) وكان عضوا فى مجلس النواب ايضا أخذ يلقى محاضرات فى السربون لم يعترف فيها بالقداسة لجان دارك فما كان من الفرنسيين الا ان اقتلعوه من كرسيه وجروه الى الشارع وكادوا يقذفون به فى نهر السين واستمرت المظاهرات اسبوعا الى ان اطمأن الطلبة الى ان هذا التالاماس لن يرجع الى كرسيه فى الجامعة ، كما أذكر أن كاتبا من كبار الكتاب الفرنسيين اسمه فيكتور مرجريت تكلم عن الأخلاق فى كتاب نشره ولم يبلغ من الاعتداء على الأخلاق فى كتابه ما بلغه أستاذ كلية الآداب عندنا ، لكن الأفكار هاجت ضده فكان جزاؤه أن صودر كتابه وجرد من القابه العلمية والجامعة فهل فرنسا التى فصلت الكنيسة عن الحكومة وبلغت فيها حرية الرأى ما لم تبلغه دولة من الدول تكون أكثر حمية وحماسة على جان دارك منا معاشر المسلمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه الكريم ، ان ما يحدث فى كلية الآداب لا يستطيع مسلم ان يهضمه ، كما لا يستطيع انسان له ذرة من الخلق والفضل والايمان أن يسكت عنه وقد أثبتت التقارير الرسمية التى وضعتها تلك اللجان التى الفت لبحث كتب طه حسين وأعماله أن كتبا منها ملأى بالكفر والالحاد .

على عبد الرازق : أنا أحتج .

ورد عليه الدكتور عبد الحميد سعيد فقال : كنت أظن أن الشيخ على عبد الرازق آخر من يحتج على هذا الأمر .

على عبد الرازق : انى أول من يحتج وآخر من يحتج لأن هذا المجلس ....

عبد الحميد سعيد : هذا المجلس لا يسمح بالاعتداء على الدين وما كنت لا تنتظر من الشيخ على عبد الرازق ابن المرحوم حسن عبد الرازق باشا القدوة الطيبة فى الأخلاق والدين ان يقف هذه الوقفة ، لا يجوز فى دولة دينها الرسمى الاسلام ويضم أكبر جامعة اسلامية هى الجامعة الأزهرية ، ولا يجوز أن يبقى استاذ فى كلية الآداب يطعن فى الدين ويمزق الأخلاق والآداب على هذه الصورة ، واذا كانت الحكومة ترى التوانى والاغضاء والتساهل فعليها أن تمحو من الدستور ذلك النص الصريح ولكنها لن تستطيع ولن يستطيع العالم ان يفعل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وتكلم الشيخ محمد عبد اللطيف دراز عن الروح التى تسير سياسة التعليم فى كلية الآداب وقال :

ان من يقول ان الدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى ، لا يمكن أن يصلح لبقاء فى كلية الآداب وذكر الشيخ دراز رحمه الله اشياء اخرى فى فساد نظام الجامعة والحاده (راجع م ١٤ ص ٢٠٦) .

٢ — وعادت الفتح مرة اخرى الى الجامعة وحرية البحث العلمى فكتب الشيخ عبد الوهاب النجار تحت عنوان :

(حرية البحث العلمى وحرية الاستهزاء بالاسلام) : قالت :

البحث العلمى متاح فى الاسلام ومعترف بحريته فى جميع العصور الاسلامية ، وعلماء الاسلام بحثوا بحثا علميا طليقا وتناقشوا مع الخصوم بسعة صدر وحرية متناهية فى كل حقيقة من حقائق الاسلام الخلقية والاعتقادية والاجتماعية ، ولا تزال هذه الحرية معترف بها فى جميع أوطان

المسلمين أما الذى يشكوه نواب أمتنا الاسلامية على منبر مجلس النواب فهو هذه الحرية والحماية التى يتمتع بها المستهزئون بالاســـلام والعاملين على التشكيك فى حقائقه وفضائله ومراميه .

وفرق كبير بين الشكوى من حرية البحث العلمى فى مسائل تتصـــل بالاسلام وبين حرية الاستهزاء فى شخصيات يقدسها الاسلام او التشكيك فى حقائق تقررها شريعته . ليست الشكوى من وضع الاسلام — كلــه أو بعضه — على مشرحة كلية الآداب ليبحثوه بحثا بريئا بعيدا عن روح البغض والعداء فيبينوا عناصره ومزاياه واثرها فى المجتمع ، فان ذلك مطلب يتمناه كل مســـــلم لأنه سيؤدى الى ما جرى اليه كل بحث برىء قام به الأغيار عن الاسلام من اثبات أنه دين الاسلام ومنقذ الانســـــانية . انما من أساليب ماكرة ترمى الى التشكيك فى كل ما يمت الى الاسلام بصـــلة [illegible] — كل ما يشكره تاريخ العلم والحضارة [illegible] عداء كان بينهما دين الكنيسة فنشأت بذلك ناشئة من أبناء المســـلمين ما ذكر الدين أمامها الا قابلته بالاشمئزاز والامتعاض وتوهمت فيه صفات وعيوب كان الاســـلام وما زال بريئا منها وبعيدا عنها بل وعاملا على اصـــلاحها وازالتها .

هل يليق بالكتاب والمدرسين فى البيوت الاسلامية ان يظلوا دائبين على تنفير ناشئة المسلمين من الاســـــلام وعلى تصويره بصورة البعبع المخيف ، هل آداب اللغة الانجليزية لم يبق منها كتاب واحــــد يليق بأن يوضع بين أيدى طلبة الآداب غير كتاب برنارد شو وقد الكلام الشــــنيع على سيد الخلق بلسان قس متعصب » .

لقد اثار بعض النواب هذه المسالة فى مجلس النواب (٥ يونيـــه ١٩٣٩) فرأينا العجب العجاب ، رأينا بعض النواب يدافعـــون عن ذلك الكتاب يبررون بها شتم رسول الله وانه لا شىء فى قراءة الطلبـــة لذلك الاقذاع لأن الحد من احتكار الجامعة لتلك الكتب حد من حرية العـــلم (م ١٩٣٩/١٤) .

واشارت الفتح انه حدث فى العقد الأخير من القرن الميلادى ١٨٩٨،

ان المستر دانلوب اختار كتابا فى اللغة الانجليزية يقراه طلبة القسم التمهيدى فى المدارس المصرية متضمنا شتم رسول الله كما هو شان اكثر المبشرين فى كتبهم التى ينشرونها بين المسلمين لافساد عقائد النشء البرىء ، ومزع الطلبة الى ناظر المدرسة التوفيقية الذى سارع الى جمع الكتاب من أيديهم ، وعندئذ أمرت نظارة المعارف باستبعاده ،

وفى ١٩٣٩ وزعت الجامعة المصرية كتابا لبرنارد شو على طلبتها ليدرس لهم وقد على لسان قس معاصر لجان دارك سب قبيح ، محل العجب فى وزارة المعارف فى مصر تعجز عن أن تجد فى كتب الأدب الانجليزى كتابا خاليا من الضعف فى رسول الله » .

٣ — وواصلت الفتح فى المجلد ١٤ (١٩٤٣) بحوثها عن التربية والتعليم فقالت :

هل تسمح الوزارة بأن يصبح اكثر المفتشين مداهنة الطلاب بالبحث لهم على أهوائهم وشهواتهم والتحدث اليهم فى هذه الناحية . بتحدث عن الصبابة والهوى فى امتحان الطلاب لاجازة التدريس بدار العلوم حين سأل طالبا عن معنى بيت فى قصيدة من الغزل كان ينشدها فلم يصب المراد منه فقال له على الجارم أنه ينصحه أن يتمرس بالتعبير لعله أن يقع فى شرك الهوى فيشذو الغزل ويسبر معانيه الدقيقة » .

هذا ما نشره محمد محمود رضوان فى أهرام ١٢ أغسطس ١٩٣٩ ويقول الفتح : ومتى كان فهم الغزل يتوقف على عمل المغازلة والحب وممارسة الفن اذا وجب على كل اديب ان يكون داعرا ماهرا حتى يفهم غزل ابن أبى ربيعة وأن يكون فاسقا فاجرا شاربا للخمر حتى يفهم خمريات أبى نواس وغزله فى المذكر ، انها لاحدى الكبر ، ترمى بالحجر والمدر ، وتوقد بين الآمنين الشرر ، لقد نكبت مصر وشاه حظك اذا كان هذا هو هم القائمين عليك بالتربية والتعليم ، هل الحث على الحب والصبابة والتمرس بالفن أصبح من واجبات كبير مفتشى الدروس الدينية الاسلامية فى وزارة المعارف .

٤ — ويتناول الفتح موضوع التربية الاسلامية من ناحية أخرى فقالت :

ما يشــكوه المسلمون فى حالة شــبابنا آت من ناحيــة الضعف فى التربية الاسلامية أكثر مما هى آتية من ناحية الضعف فى التعليم الاسلامى، وان الشباب المسلم اذا تربى فى بيئته ثم فى مدرسته تربية اسلامية متسة يرجى منه ان يقبل بعد ذلك على ثقافة الاسلام فتنهل منها بشــغف ولذة ويأنس بكل ما يقرأه ويســــمعه ، أما اذا بعد عن هذه التربية فلا فائدة ترجى مما تشحن به ذاكرته من محفوظات لا يلبث أن ينساها .

قال جرجى زيدان ان علموهم وكفى فكان شــخنا طاهر الجزائرى اذا وقع بصره على هذا العنوان يضــحك ويقول : ان كبار اللصوص فى أمريكا من خريجى الجامعات ولم تمنعهم علومهم من ان يكونوا من كبــار اللصوص .

٥ ــ وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية أخذ السيد محب الدين الخطيب يفتح صفحة جديدة فى الحديث عن التربية الاسلامية ففى المجلد ١٧ سنة ١٩٤٤ يتحدث عن (اعداد الجيل للقيام بأعباء الاستقلال)

يقول : ان الجيل الذى أمانة الله والوطن فى أيدى القائمين عليــــه اليوم يتدهور فى طريق الانحلال الى هاوية سحيقة ، ولن يستطيع حمــل أعباء المستقبل اذا لم نعمل من اليوم على انتشاله منها ، فالصحف الداعرة تغذى شهوات النشء وتمنيها وتعلق قلوبه بها وتوسع آفاقها فى نفســه ، وأفلام السينما من أجنبية ومحلية ، تثبت ذلك وتدفعه الى الهاوية دفعـــا والأدب المخنث والقصـــص الرخيص والأقاصـــيص الماجنة يتعـــاون مع المجلات ومع السينما على هدم الرجولة ومطاردة الفضائل ، وأخشى أن يكون شيء من ذلك كله القدوة السيئة التى يتعرض لها الشباب فى أول حياتهم اذا راقبوا سيرة الذين جرفتهم موبقات الغــــرب فى تيارها من الجنسين ان الغرب أخذ يجدد بعد هذه الحرب كتابه العلمى والاقتصادى والاجتماعى ليصمد أمام العاصفة ، واذا كانت فى الغرب صحافة مصورة تستبيح نشر بعض الصور استرسالا مع مألوف ذلك المجتمع فانها لم تبلغ ما بلغته صحافتنا الداعرة من اسفاف مقرون بالاغراء فى جميع أســــاليبه الشيطانية ، ثم انه الى جانب ذلك المجتمع الغزى جهودا أخرى جــدية تبث فى الناس مبادىء القوة .

انا افهم حكمة الاستعمار فيما يدسه لجيلنا من سوء لأن الاستعمار عدو ومن شأن العدو ان يفسد على امثالنا صلتهم الاجتماعية ويعطل العمل بفضائلهم القومية ، اما ان يتآمر الأذكياء من حملة الأقلام ومنظمى الاقلام وقادة الفكر وولاة الامر على جيل هو موضع الأمل فى حمل أعباء المستقبل فيعملوا ايجابا وسلبا على تكوينه تكوينا شهوانيا لا يصلح معه لمواجهة ما ينطوى وراء سحب الغيب من احداث ولا يقوى على حمل ما يأتمنه الوطن عليه من امانات فان هذه جريمة الجرائم وأكبر الكبر ، وسحقا للسحت تجنيه صناعة السينما من تقويض عفة الفتى والفتاة وتبا للثراء والشهرة والجاه تحصل عليها الصحف من اقبال الجمهور على صور شهوانية وأساليب شيطانية تفسد البيت الذى تدخل فى بابه وتشل الرجولة فى نفوس فلذات أكباد الشعب وموطن آمال الوطن » .

٦ — فى المجلد ١٧ حديث مستطرد عن التربية الاسلامية وواجب وزارة المعارف .

يقول كان من واجبات وزارة المعارف فى البلاد العربية كمصر والحجاز وسوريا أن تطلب الى المشتغلين بالتاريخ من رجالها البحث عن النصوص السليمة التى أبقاها لنا التاريخ دالة على شىء من الأساليب والطرق التى ربى بها الهادى الأعظم أصحابه الأولين وكون منهم أمثلة الكمال فى الرجولة وفضائل النفس والاستعداد العجيب لممارسة الحكم العادل الرحيم وهو منهج المدرسة الاسلامية الأولى : كان النبى (صلى الله عليه وسلم) لا يهتم بحشد المعلومات الكثيرة فى ذاكرة أصحابه وانما يهتم بتلقينهم المبدأ الصحيح بعد المبدأ الصحيح والحقيقة الناصعة بعد الحقيقة الناصعة ، والفضيلة المعهودة بعد الفضيلة المعهودة ويطالبهم بأن يتخلقوا بكل خليقة من هذه الخلائق حتى تمازج دمائهم وتخالط ينابيع الايمان من قلوبهم ، ثم ينقلهم الى غيرها ، أما الكتاب الذى تستمد منه المبادىء والحقائق والفضائل فهو كتاب الله ، وقد اتخذ القرآن منهج التدريج عملا نسبه الله فى محكم التنزيل .

ثم يتحدث عن أطفال المسلمين فى مدارس الأجانب فيقول :

أيها الآباء ان المدارس الأجنبية تحول ابناءكم الى أجانب عن أمتكم ودينكم وتاريخكم ، ان المدارس الحاضرة فاسدة فأعيدوا تأسيسها من جديد لتخرج لكم الجيل الصالح للاضطلاع بأعباء الغد ، ولا تزال مدارسنا تعنى بالتعلم فقط بل بالعقيم منه أما التربية فلا تمارس منها الا تربية الابدان وتتجافى عن تربية النفوس والعقول والقلوب .

٧ — وفى حديث عن التربية الاسلامية ، يقول :

نحن نحتاج من أوربا الى علومها والى صناعاتها والى أساليب الادارة والنظم فى أعمالها ، هذا ما نحتاجه ، وهذا ما نود أن يكبر فى المسلمين من يحبذه وينفذه ، اما حياة أوربا الاجتماعية فيجب أن نكون بعيدين عن عدواها كل البعد ، لأن الحياة الاجتماعية هناك مضطربة غير مستقرة ، وهى قائمة على اساس يعترف عقلاء أوربا أنفسهم بأنها غير صالحة ، أما الشبان المسلمين الذين ذهبوا الى أوربا ليأخذوا خيرها وعلومها ونظمها تركوا هناك دينهم فكانوا على الاسلام وأوطانه وبالا وشرا .

٨ — ويتحدث محمد السيد الطويل عن (كيف ينشأ الالحاد فى المدارس والجامعات) فيقول : ان هناك أفكار مسمومة ، تقدم لعقول النشء الظاهرة . أنهم يعرضون عليهم نظريات علماء الغرب الذى تبلغ جد العلم الحقيقى ، ويجادلونهم بما يلتونه من أكاذيب التضاد فيها دين تعاليم الاسلام ، وهم فى ذلك فريقان : فريق يرى النظرية ويلمس توافقها مع الاسلام ولكن يعمل على نشرها واختلاق ضروب الاختلاف بينها وبينه، بل يتعرض لاركان الاسلام دلت البراهين القاطعة على ثبوتها فيهون من شأنها كان يزعم بأن الصلاة الاسلامية لا نفع منها الا بسيط من الرياضة البدنية ، وفريق يرى النظرية متنافية مع الاسلامية غفلة منه عن صحة المقارنة أو جهلا بحقيقة الاسلام ونحن نعرف أن الآن لم يصل العلم الى حقيقة قطعية تصادم الاسلام وهو لن يبلغ هذا مهما تطور وتقدم ووصل الى نهاية لا شىء ورائها فى نظر البشر .

فهم يأتون بنظرية لعالم غربى لم تتناولها المجامع العلمية بما يقرها او ينفيها ويدخلونها فى الأذهان على انها حقيقة مجزوم بصحتها لا مراء منها ولا أخطاء ويصفونها بعملية التناقض المنتحلة .

ويتحدث الكاتب عن واقعة حادثة فقال :

أراد المدرس فى دار العلوم ان يقر فى اذهان طلبته مذهب دارون فى اصل الانسان ولأجل أن يصل الى غرضه المعلوم لم يتمم شرح المذهب بما ينطوى عليه من ضعف بل اخفى جزءه الذى لا يدع مجالا لقبوله فى عقول الطلبة ولم يدر ان بينهم اساتذة رابضين حول عرين الاسلام فانبرى له الاستاذ حسن البنا حينئذ وطالبه بتوفية شرح المذهب حتى يتسنى لهم ان يناقشوه بانصاف ويكشفوا ما فيه من عناصر البطلان فتقهقر المدرس واعتذر واعترف أن طويته انكشفت لأن المذهب افتراضى ولم يزعم احد انه حقيقة علمية، فنظرية دارون التى تذهب الى أن أصل الانسان قردا ارتقى الى ما هو عليه الآن قامت فى الغرب نظرية اخرى على عكسها تقول ان أصل القرد انسان وكل نظرية لها انصار يؤيدونها ولا يزال النزاع ناشئا بين علماء الغرب لأن الأدلة ظنية خالصة ولم يصلوا الى راى قاطع .

٩ — وتتحدث الفتح عن أن توفيق دياب القى بالجمعية الثيوصوفية محاضرة عن تناسخ الأرواح حاول فيها أن يروج فكرة أن النعيم والعذاب فى الآخرة معنوى وقد برز له أحد العلماء الأزهريين لمناقشته واستعرض الأدلة القرآنية القاضية بأنهما شاملان الحسى والمعنوى ومن أولها فقد حقت عليه كلمة الكافرين وانسلخ من الايمان فلما أسقط فى يد توفيق دياب اضطر أن يموه على السامعين باعلان أنه مؤمن بالله ورسوله والقرآن .

١٠ — وتحدثت الفتح عن سياسة التعليم وهل يجب أن تكون قومية (أى عربية اسلامية) أم يجب أن تكون عالمية فقال : كل الأمم تعنى بأن تكون مدارسها قومية تعنى بتراثها الملى ومطمحها القومى فلكل أمة تاريخها ولكل أمة مثلها الأعلى ولكل أمة مطمحها ولكل أمة روحها وسجاياها ومفاخرها واتجاهها . وقالت الفتح : ان التثقيف يجب أن ينبع من صميم

أرواحنا وأن يكون وسيلة ارتباط بين ماضينا وآتينا . وعلمنـــا ان نبث ثقافتنا القومية وتاريخنا وسجايانا فى نفوس أبناء الجيل فى التعليم الأولى والثانوى بعثا يحببهم بها ويحببها بهم فيفهموا أنفســــهم على أنهم عرب مسلمون وأنهم حلقة ذهبية فى تاريخ العرب والاســـلام ويؤدون رسالة تقدمهم فيها ســـلفهم وسيقوم عليها بعدهم خلفهم ، والتعليم له طريقتان: قومية واستعمارية ، الاستعمارية تبسط بها الأمة الحاكمة مظاهر عظمتها وهيبة قوتها فى جو التعلم الذى تنشئه فى البلاد الملحقة بها .

١١ — وكتب السيد محب الدين الخطيب دراسة عن فهم التعـــلم والتربية تحت عنوان (علم عالمى — ثقافة عربية — تربية اســـلامية) ، فقال : ن اعتقادنا ان الظفر بالجيل المرجو يتوقف على (تربيته) تربيـــة أكثر مما يتوقف على (تعليمه) تعليما دينيـــا اسلاميا ، فالتعليم تتلقـــاه الذاكرة ثم يكون عرضة للنسيان الا اذا كان من سياستنا الجديدة فى اصلاح مدارسنا ان تتخذ المدرسة عدتها (لتربية) أبنائها على ما أمر به الدين من طاعة ونظافة وتنظيم وصدق وايثار وقناعة بالحق واقدام على معـــالى الأمور وخوف من الله فى جميع الأحوال ، وأن تتولى المدرسة تمرين أبنائها على الصلاة باعتبار أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

الفصل الثالث

المجتمـــع الاســــلامى

أولت الفتح قضايا المجتمع الاسلامى اهتماما واسعا فعملت على نقد كل الأوضاع المنحرفة فى مختلف المجالات وخاصة فى مجال الأسرة وعلاقة المرأة بالرجل والمطالبة بالغاء البغاء الرسمى .

١ — فهى فى المجلد الأول تعلن مؤازرتهـــا لحملة الشـــيخ محمود أبو العيون ومطالبته بالغاء البغاء الرسمى بعد أن قدم عدة وثائق لعـــدة أطباء غربيين يكشفون مدى الأخطار التى تحل بالأمة نتيجة هذا ، ووقفت معه ازاء حملات الصحف المصرية عليه ، تلك الحملات التى قادها (أنصار البغاء المأجورون للدفاع عن البغايا) وكتب فى محاربة البغاء محمـــد عبد السلام القبانى ، محمد حامد ا محمد حسنين العدوى ، عبد المتعـــال الصعيدى ، مصطفى أبو سيف الحمامى ، محمـــد بدر الدين الخطيب ، محمد محمد الأودن ، كما ناقشت جريدة السياسة التى حملت لواء الدفاع عن البغاء ، وقالت الفتح : ان الحملة التى حملتها الصحف على الشيخ أبو العيون فى مطالبته بالغـــاء البغاء الرسمى كان من ملاحدة مصر وقد عملوا على تقبيح عمله وتحريض ولاة الأمور عليه بالدس والكيد والتهكم عليه ودفاعهم الباطل ضـــده ورفع عقيدتهم بنظريتهم المضـــحكة وبدعتهم المخجلة : (البغاء شر لابد منه) .

٢ — كذلك فقد أيدت جمعية شباب محمد فى مطالبتها بفرض الزكاة على القادرين من المســـلمين وتنظيم صرفها فى مواضـــعها لتحسين حال المجتمع الاسلامى والاشراف على الصـــحافة الأسبوعية ودور الســـينما والتمثيل وانقاذ الأمة من الحانات ودور البغاء .

٣ — وواجهت سلامة موسى الذى ألقى محاضرة فى جمعية الشبان المسيحية عن الســـفور ، وقالت ان موضوع الســـفور موضوع اسلامى

محض لا شأن لسلامة موسى به ، والخاتمة الشائنة التى ختمت بها تلك المحاضرة ان الذين كانوا موجودين اقترح أن تخاطب هدى شعراوى بمطالبة وزارة الحقانية بتنفيذ حكم الله فى الميراث ، ومنع المسلمين فى مصر من ان يصغوا الى أمر الله فى القرآن الحكم المتعلق بجعل حظ الرجل فى الآيات مثل حظ الانثى ، فلما سمع الذين يسرهم تقليص ظل أحكام القرآن بين المسلمين المصريين رحبوا بهذا الاقتراح ، غير أن هدى شعراوى رفضت هذا الاقتراح الذى تقدم به سلامة موسى (م ٣/٤٤٤) .

٤ — وعرضت الفتح للمحاورة التى دارت بين محمود عزمى ورشيد رضا فى مسألة مساواة المرأة والرجل ونقلت رأى السيد رشيد رضا الذى واجه به الفتاة المؤيدة لمحمود عزمى قال : يجب أن تعلم هذه الفتاة هى وأهلها انها اذا كانت تعتقد ما يعتقده عزمى فى هذه المساواة وتنكر حقيقة ما قرره الاسلام وحسنه فهى مرتدة لا يجوز لمسلم أن يتزوجها ولا ترث المسلمين ولا يرثونها .

٥ — وشاركت الفتح فى المعركة بين الطربوش والقبعة وقال محمد حامد الفقى انها هى معركة بين الدين واللادين ، وما تلك الفئة الا طليعة تلك الحرب العنيفة التى يعد أنصار الجديد أو اللادينيين عدتهم لها من المادة الفاتكة لدى الأحلام الطائشة والنفوس المريضة .

٦ — وواجهت الفتح مؤامرة اطلاق الحرية للمرأة وقالت انه تقويض لأخلاق الأمة ، وقالت : ان هدى شعراوى شيخ وعمى يختبىء وراءه أشخاص آخرون ، مسكينة هدى شعراوى ، أضاعت مالها ودينها فى سبيل الشهرة ولأجل أن يقال انها تكتب وتخطب ، ولكن خبثاء الصحفيين يتأثرون خطواتها فيفضحون كل شىء ، يفضحون الخطب المنسوبة الى مدام شعراوى وأن الهلباوى باشا هو صاحب معظم الخطب ، والأستاذ الهلباوى يستطيع ان يعبر لسانه وقلمه بكل الكلمات .

٧ — وكشفت الفتح النقاب عن أسرار كتاب السفور والحجاب المنسوب الى نظيرة زين الدين وقال انها فتاة لم تنضج لحمل عبء مثل

هذه البحوث فكتب السفوريون ما عندهم واخرجوا به هذا الكتاب الذى خدع لسلامة أسلوبه ورشيق عباراته كثيرا من البسطاء ما دروا أنه الدسم وأن السم كان فيه (م ٤ / ٠

٨ ـــ وعلقت الفتح عن حكم محكمة الجنايات على الدكتور فخرى ميخائيل فقالت : ان محكمة الجنايات برأت الدكتور من تهمة تطاوله على الدين الاسلامى وحكمت عليه بالجهل والحماقة ، وأن الرجل قد خانه حسن التقدير فى اختيار الالفاظ والعبارات التى عبر بها عن رأيه فى المسائل المتعددة وخاصة مسألة :

المساواة بين البنين والبنات فى الميراث .

وقد زج بنفسه فى بحث لم يكن كفئا له .

٩ ـــ وتحدثت الفتح عن المسرح فقالت (م ١٠) :

عندما اخذنا المسرح اخذناه كما هو من الغرب وأقحمناه اقحاما فى بيئاتنا لم نبدل منه ما يتنافر مع شريعتنا وخرجنا به على النظارة نزعم ان فيه تثقيفا وتهذيبا فاذا به يتقلب لهوا وفتنة واغراء ، والمعروف ان المراة فى الحياة الشرقية تمثل دورا يختلف تمام الاختلاف عما تمثله الغربية فانثى الشرق ربة الخدر فيه لها الطهر وبه لمقرها الفخر ، لهذا تراها على خشبة المسرح نائية محرجة عن مكانها الطبيعى الى حيث يجرح الغيرة الشرقية جرحا فى الصميم .

١٠ ـــ أوردت الفتح (م ١٠) قائمة لمصائب المجتمع الإسلامى :

الرطانة : فسد الفصاحة .

تقصير الثياب وتضييقها .

فنون المقامرة والرقص .

قص شعر النساء .

البرانيط .

اقتناء الكلاب .

ملكات الجمــال ·
الرغبــة فى العرى ·
الالحاد والتعطيــــل ·
الشــيوعية ·
التزحلق على الثــلج ·
السينما الفاســقة ·
الحرية الغراميــة ·
سقوط المحدثات الطائشات ·
الخداع والاختيــال
تخنث الشـــباب ·

١١ ـ وتحدثت الفتح عن الوفدين الزهد والتصوف وعرضت لمــا أورده ابن الجوزى ٥٩٧ هـ فى تعليقه على حلية الأولياء للحافظ أبو نعيم (٤٣٠ هـ) وقد اختصره ابن الجوزى وهذبه بكتابه (صفة الصفوة)،

لما كان كثير من بسطاء المسلمين لا يفرق بين مدلول الزهد والصلاح الذى كان عليه أولياء الاسلام وانصاره وخواص رجاله فى زمن الصحابة والتابعين ومدلول التصوف الذى يعد مذهبا معروفا عند أصحابه ، وكان له فى الصدر الأول صفات واخلاق مخصوصة ، ثم أمعن أهله فى الغلــو فجعلوه فلسفة تتعرض للقول فى صميم الدين بما لا يعرفه الاسلام ولا يتفق مع نصوصه ، وأشار ابن الجوزى الى ابن ابى نعيم تجاوز حين اضــاف المتصوص الى كبار السادات كأبى بكر وعمر وعثمــان وعلى والحســن (أى البصرى) وشريح وسفيان والشــعبى ومالك والشــافعى واحمد ، وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف ، فان قال قائل انما عنى الزهد فى الدنيا وهؤلاء زهاد ، قلنا : التصــوف مذهب معروف عند أصــحابه ولا يقتصر على الزهد بل له صفات واخلاق يعرفها اربابه ولولا أنه أمر زيد على الزهــد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين فانه قد روى أبو نعيــم فى ترجمة الشافعى رحمه الله أنه قال : التصوف مبنى على الكســـل ولو

تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر الا وهو أحمق » وقد ذكرت الكلام عن التصوف وشعب القول فى كتابى المسمى (تلبيس ابليس) وأشار أيضا الى أن أبو نعيم ذكر أشـياء على الصوفية لا يجوز فعلها فربما سمعها المبتدىء القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها مثل ما روى عن أبى هزة الصوفى أنه وقع فى بئر فجاء رجلان فظماها فلم ينطق ، حملا لنفسه على التوكل بزعم وسكوت هذا الرجل فى مثل هذا المقام اعانة على نفسه وذلك لا يحل ، ولو فهم معنى التوكل لعلم انه لا ينافى استغاثته فى تلك الحال كما لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل باخفائه الخروج من مكة واستئجاره دليلا واستكتامه واستكفائه ذلك الأمر واستتاره فى الغار وقوله لسراقة (اخف عنا) ان الله عز وجل جعل للأمن أن يدفع بها عن نفسه الضرر وان تخيلت بها النفع فاذا عطلها مدعيا للتوكل كان ذلك جهلا للتوكل وردا لحكمه الواضح لأن التوكل انما هو اعتماد القلب على الله سبحانه وليس من ضرورته قطع الأسباب .

وروى عن الشبلى أنه كان اذا لبس رداء خرقه ، وكان يحرق متاعه والخبز والأطعمة التى ينفع بها الناس بالنار فلما سئل فى ذلك احتج بقوله تعالى : (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) وهذا فى غاية القبح لأن سليمان عليه السلام نبى معصوم فلم يفعل الا ما يجوز له ، وقيل فى التفسير أنه : مسح على نواصيها وسوقها وقال أنتفى سبيل الله .

فأما هذا الفعل الذى حكاه عن الشبلى فلا يجوز فى شريعتنا فان رسول الله نهى عن اضاعة المال .

وقالت الفتح : ان العلامه ابن الجوزى ينتقد من كتاب الحليه لأبى نعيم تسمية الصالحين الأولين بالمتصوفة (ان مفهوم التصوف عند أئمة الاسلام هو الذى سينقل ابن الجوزى كلام الامام الشافعى رضى الله عنه فى ذمه ، أما ما نتج عن التصوف عن التنطع والتعمق والدعاوى الكاذبة والكسل والتثبيط فان الحافظ أبا نعيم يشارك الامام الشافعى والعلامة ابن الجوزى فى ذمه والبراءة من أهله .

ونقل عن ابن الجوزى قوله : لكل شىء صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار .

الفصل الرابع

الوحــدة الاســلامية والقوميــات

كانت من أخطر المعضلات التى واجهت المســلمين فى هذه المرحلة دعوات القوميات المسمومة التى اندلعت لتفصل المســـلمين عن وحدتهم الاسلامية الجامعة ، وقد تناول البحث فى هذا الأمر كثيرون فى مقدمتهم الأمير شكيب أرسلان (أبرز كتاب الفتح) فكتب تحت عنوان :

« الدسيسة الأجنبية على الجامعة الاســلامية بالوطنية المجردة » قال ان مشكلة العالم الاسلامى كله وقوف الوطنية الضعيفة فى وجــه الجامعة الاسلامية لمعرفتهم ان هذه هى أشد خطرا على الاستعمار وأشد فى مقاومة استيلاء الأجنبى من تلك ، وما يقال عن هولندا يقال عن غيرها من الدول الاستعمارية التى تناصب المسلمين العداء لكلا من الجامعــة الاسلامية والرابطة الوطنية وكل فكرة ترمى الى حفز الأمم التى استعبدوها الى التحرر ويفضلون الرابطة الوطنية لأنها تحصر الحركة فى ذلك القطر وحده فلا يتجاوزه الى غيره ،

ان قطب رحى تقلبهم على الأمم الاسلامية هو انحلال أخلاق هذه واهمالها عزائم القــرآن ، فاذا كانت ثمة الرابطــة الوطنية وحــدها لم تقم فى صيانة الأخلاق العالية مقام الدين الذى هو مبعثها وقوتهــا ، ان أخطاء رجال الطرق ورجال الدين ليس حجــة على الاســلام ولا يمس جوهر العقيدة فى شىء ، وهنالك فريق يرى ايثار الدعوة الوطنيــة على الجامعة الاسلامية لأنها لا تمنع المســكرات ولا المخدرات التى من أعظم وسائل الاستعمار ومن أخطر العوامل فى سقوط الأمم المستضعفة وتأخر نهضتها ».

ان الدعوة الوطنية المجردة من الدين الاســـلامى لا تخلق فى قلب الوطنى أدنى اعتقاد بانه هو أعلى من الأوربى وكيف تخلقه وهى مجردة

من العقيدة القرآنية معتمدة على المادة المحسوسة لا غير ، اضف الى هذا ان المسلم المعتقد بدينه لا يزال موقنا بانه لابد من ان يدال له من الأوربى ولو بعد زمن طويل وهو يعيش فى أمل هذه الدولة (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) طوال حياته ولورث هذا الامل اولاده ويعتقد أن ما عليه الاسلام من الضعف انما هو عارض مؤقت لابد ان يزول وانه انما وقع تمحيصا للمسلمين بذنوبهم التى اقترفوها وتهاونهم بأوامر الله ونواهيه . ومن المعلوم ان الامل هو الشرط الأساسى للعمل فليس من حافز للمسلم على النهوض مثل ان يعتقد أن الضعف الذى حل به اليوم ، هو طارىء لا أصل ، وان الأصل هو أن يكون قويا عزيزا وسيدا فى الأرض ، فالعقيدة الاسلامية هى التى توحى اليه هذا الاعتقاد وتحيى فيه هذا الأمل ، على حين أن العقيدة الوطنية الالحادية التى لا تنظر الى المحسوس فقط لا تجد امامها شيئا يوحى اليه أنه هو يقدر أن يصارع الأوربى لأن المحسوس مخالف لذلك : الى الآن كان الاسلام هو الذى يمنعه من هذا الاندماج لأنه لا يقدر ان يكون مسلما وان يندمج فى الافرنج فان هذين أمران لا يجتمعان فاما بعد زوال عقيدة الاسلام من قلبه فليت شعرى ماذا تبقى حائلا دون ذوبانه فى بوتقة الجنسية الافرنجية ، العقيدة الوطنية لا تمنع من الذوبان كما تمنعه العقيدة الاسلامية ، الرابطة المجردة عن الاسلام معرضة من خطر الانحلال الاخلاقى التى هى دعائم الأمم ، العقيدة الوطنية المجردة لا تبعث من الآمال فى حسن المآل ، معشار ما تبعثه العقيدة الاسلامية المبنية على المواعيد القرآنية بالنصر (٨ شوال ١٣٤٩) .

٢ ــ كما تحدث السردار اقبال على شاه الهندى عن الجامعة الاسلامية وكيف يمكن قيامها فى العالم قال : يجب أن يتعلم المسلمون تعليما نزيها وان يدرسوا دينهم دراسة حقيقية ، يرجع الى ما كان عليه هذا الدين فى أول ظهوره واقبال العالمين عليه . يجب ان يعرف المسلمون حقيقة دينهم التى كان يعرفها الناس فى صدر الاسلام فاذا تعلموا واذا فهموا دينهم على حقيقته ، واذا نشروا بين العالمين الحقيقة التى يشوهها ذوى الأغراض ضد الاسلام ، اذا فعلوا هذا كله سهل عليهم أن يؤلفوا

الجامعة الاسلامية يكون على مثال تعاونى عظيم لا يشوبه شىء من عناصر الاثم والعدوان وانما يؤدى بطبيعته الى حماية وحدتهم حماية يستقر بها الاستقلال والحرية » .

٣ — وفى المجلد الخامس (١٩٣٠/١٩٣١) من الفتح تحدث السيد محب الدين الخطيب عن الجامعة القومية والجامعة الاسلامية فقال : الاسلام جامعة الجامعات القومية ، والجامعات القومية جيوش للاسلام مرابطة فى ثغوره ، يقوم كل جيش فيها بالدفاع عن الحوزة من الثغر التى تليه ، فاذا نظر المسلمون الى جامعاتهم القومية من هذه الوجهة واعتبروها ردءا للاسلام تجاهد فى سبيل مصلحة العام وعروته الوثقى كان لهم من ذلك قوة .

قضى الاسلام على العصبيات التى كانت سبب الفرقة ونهى عن القوميات التى توقظ فى النفوس دواعى العداوة بين أهل الملة الواحدة . فمثل هذه العصبيات مرض فى جسم أهل الملة العظمى .

لو رجعت الى تاريخ الملة الاسلامية لوجدت الطامعين منها على استفحال قوتهم منذ عهد طويل لم ينجحوا فى سلبنا نعمة الاستقلال الا بعد أن نسخو جامعتنا الاسلامية الكبرى بالجامعة الوطنية الصغرى .

ان الاسلام يأمر بالجهاد فى سبيل الاستقلال لأن أى قطعة من العالم الاسلامى ثغر من ثغور المسلمين وكل مسلم فى ثغر مرتبط فيه .

ان ربط الاسلام فضلا عن أنها لا تمنع الوطنيين من أن يكونوا مخلصين لبلادهم فانها تحضهم على هذا الاخلاص وتعتبرهم جنودها على طول الثغور وخطوط الدفاع .

ان جامعة الوطن لا تمنع من وجود حقوق وواجبات للفرد داخل أسرته كذلك الجامعة الاسلامية لا تمنع من أن يكون للأمة الواحدة حقوق وواجبات فى داخل وطنها .

٤ — وتواصل الفتح فتواجه (دعوة الفرعونية) وتكشف زيفها ثم تواجه الدعوة الى المصرية الاقليمية وتشير الى مقال طه حسين الذى نشره فى كوكب الشرق حين قال ان المصريين قابلوا الوانا من العدوان جائتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين .

وقد رد عليه عبد الرحمن عزام وكثيرون وقال السيد محب الدين الخطيب أنه لم يدخل الفرس واليونان والفرنسيين الا ليضخم ذكر العرب فى زمرة الامم التى كان منها البغى والعدوان على مصر والتى اخرجهـا وسيخرجها من مصر ذلك البغى وذلك العدوان أما العرب فاذا كتب الله لهم ولثقافتهم الخلود فى مصر الى أبد الآبدين لأنهم جاءوا يحملون رسالة الهدى والرشاد .

٥ — وتحدثت الفتح عن أن الدعوة الى الفرعونية او المصرية تريد أن تفصل بيننا دين العرب والاسلام ، وتقطع صلة القربى التى لنا بشقيقاتنا من الأمم الشرق ، (فان الذى بيننا وبينهـا باق وهذه الامم شريكتنا فى تاريخنا وحياتها حياتنا وماضيها ماضيا واحد ، فان فرقت بيننا مآرب السياسة فقد جمعنا ميراث اللغـة والدين والجنس الى حد ما والعبادات والتقاليد الى حد ما ايضا وتشابه الأحوال السياسية والاجتماعية وحسب أى فريق من الأمم جامعه الله فانها وحدها رابطة لا تنفصم وهى أكبر وأقوى ما يقوم عليه بناء القومية لأنها هى التى تعين الاتجاه النفسى واسلوب التفكير وهى التى تقرر التقاليد وترسم العـادات .

٦ — ويتحدث الفتح م ٨ — ١٩٣٤ عن القومية العربية ومكانة مصر منها فيقول السيد محب الدين الخطيب : ان الحلقوم الكبير الذى أراد منذ مائة عام أن يبتلع الشرق الاسلامى هاب هذه اللقمة وخاف أن يغص بها نبث ببراعة مدهشة نزعة القوميات التى صارعت الجامعة الاسلامية ومزقتها ثم وقف أمام القومية العربية فهابها ورآها لقمة من شأنها أن يغص بها ، فاخترع ببراعة هذه الوطنيات ثم حاول فى بعض الأحيان تمزيق العربية نفسها بالدعوة الى كتابه اللهجات العامية فى كل قطر عربى وجعلها لغات أدبية »

ووالت الفتح الاهتمام بالحديث عن ارتباط القومية العربية بالاسلام عبد الرحمن عزام ، عبد القادر حمزة ، على الجندى ، كما قدمت المناظرة بين العربية والفرعونية بين عبد الله عفيفى ، وحسن حبشى ، وعربية مصر ، سعيد حيدر ، وأحمد كمال باشا .

٧ - ونشرت الفتح حديثا للشيخ أبى عبد الله الزنجانى عن التعارف بين السنة والشيعة وذلك فى دعوة واسعة الى تعارف علماء الفرق الاسلامية ، قال : لابد من انشاء صلة تعارف مباشر بين علماء المذاهب الاسلامية ولاسيما اهل المذهبين الكبيرين : مذهب الجمهور من أهل السنة ومذهب الامامية من أتباع آل البيت رضوان الله عليهم .

ويتساءل الشيخ الزنجانى : ترى ما سبب القطيعة بين البلدين : مصر وايران ، ان كان الاختلاف المذهبى فاختلافهما لم يخرج باتباع كل منهما عن أن يكونوا فى نظر الآخرين من أهل القبلة بل ان القدماء من سلفنا وسلفهم لم يكونوا ينظرون الى هذه الفرق المذهبى بالدرجة التى ننظر بها وقد طبعت آثار السيد المرتضى المعدود عند اخواننا الامامية من أئمتهم فى مصر فى التفسير والحديث واللغة والأدب وكلنا بين أهل المذهبين فان الكتب العامة التى ألفها علماء الفريقين فى مختلف العلوم الشرعية والعقلية هى من الثروة المشتركة بيننا وبينهم ، ان القطيعة بدأت فى أيام ضعف الدولة العباسية وازدادت لأسباب سياسية استحكمت حلقاتها بين العثمانيين والصفويين وورثهما عنهما الاجيال التى جاءت بعد ذلك الاختلاف السياسى ولكن الزمن تغير الآن .

٨ - وتحدث السيد أبى عبد الله الزنجانى عن (دواء المسلمين الرجوع الى القرآن) فقال : بعض الأسباب التى شتت شمل المسلمين بعد الوحدة ، تلك الوحدة التى جعلت علم المسلمين خفاقا من الأندلس فى غرب أوربا الى الهند والى تركستان والى الصين وجزيرة العرب وفارس ، ثم أوجه أنظاركم الى ما يعيد تلك الوحدة سيرتها الأولى وانه فى الرجوع الى القرآن . فأرجو أن يكون المفكرون المصلحون من علماء الاسلام قدوة المسلمين فى هذه الدعوة فى الأقطار الاسلامية وقد درست

هذه المسألة حسب جهدى فرأيت أن أهم مراحل انتشت ظهر فى ناحية التأويل لكتاب الله والانحراف عن مقاصده العظيمة وروحه الكريمة ، التأويل الذى لا يقوم عليه البرهان .

سأل عمر ابن عباس : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة . وزاد سعيد (وكتابها واحد) فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين انما أنزل القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل ، وأنه سيكون بعدنا اقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما أنزل فيكون لهم فيه رأى ، فاذا كان كذلك اختلفوا ، فقال سعيد ، فيكون لكل قوم فيه رأى ، فاذا كان لكل قوم فيه رأى اختلفوا فاذا اختلفوا اقتتلوا . قال فزجره عمر وانتهره فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قاله فعرفه فارسل اليه وقال : اعد ما قلته فاعاد عليه فعرف عمر قوله وأعجبه .

قال صاحب كتاب الاعتصام للشاطبى ، وقال ابن عباس هو الحق فانه اذا عرف الرجل فيما أنزلت الآية أو السورة عرف مخرجها ، وتأويلها، وما قصد بها فلم يتعلل ذلك منها واذا جهل فما أنزلت احتمل النظر فيها واجبا فذهب كل انسان مذهبا لأن يذهب اليه الآخر وان عندهم من الرسوخ فى العلم ما يهديهم الى الصواب والرشد .

هذا هو التأويل هو الذى ينبه الى ضرره الصحابيان الجليلان اذا تعدى عن دائرة العقل وروح القرآن وهو الذى هجم به القرابطة والباطنية والزنادقة على الاسلام بهجوم كان آخره جيش هولاكو والمغول فأى ضرر على الاسلام أشد من تأويل الباطنية بقولهم (الجنة) معناها الاعفاء من مظاهر العبادة و (جهنم) المثابرة عليها (الوضوء) تلقى الدين عن الامام (والتيمم) يلتبه على الحجة و (الصلاة) اتباع الرسول الناطق و (الغسل) تجديد العهد و (الصوم) صيانة السر و (الزنا) افشاء السر : بهذه التأويلات ارادوا ازهاق روح الحق والاسلام ولكن الله ينصر رسله . ان التاريخ ملىء بما ابتلى به الاسلام من ابن سبأ وابن ميمون وأصحاب التأويل الفاسد من الباطنية وانى عثرت على كتب الباطنية والاسماعيلية الفت فى أوان طغيانهم فى العصور الوسطى

الاسلامية تشـــــهد على مهارتهم فى بث دعوتهم وفكرهم وفى تعاليم بيت الحكمة الذى أسس فى مصر دليل على مهارتهم وضررهم وهوجم الاســـلام ايضا من ناحية السياسـة والسياسة كانت تدعو الى تشتيت شمله ، ولنا شواهد لذلك فى التاريخ ولا سيما فى الدولة العباسية نجد هذه الأيادى كانت تعمل بجد وسعى بل كانت جمعيات منظمة تعمل على تفريق المسلمين الى السنة والشيعة . وارى ان الوسيلة الوحيدة لنجاة المســـــلمين من الفوضى المذهبية والتشبث بالفرق والشيع وخرق حجب الباطل والخرافات التى شوهت تعاليم الاسلام النيرة هى فى الرجوع الى القرآن فان فيـــه هدى ونورا يحقق لنا المثل الأعلى فى الانسانية .

٩ — وعرضت الفتح فى مجال الحديث عن الوحدة الاســـــلامية فى المجلد التاسع الى رياح القوميات وتحدثت عن الاحتفال بمرور الف سنة على وفاة الفردوسى ، وكيف تطرق فى قصــــائده الى ذم العرب واطال لسان القدح فيهم لأنهم قوضوا دعائم عز الأكاسرة وهدموا بناء حضارتهم ونسى أنه لولا العرب لظلوا عاكفين على نيران لهم وأشارت الفتح الى ملحمة الفردوسى وتبجح الفرس بها فى اثارة الحمية فى الشعوب الاسلامية الأخرى واشار الى أن المسلمين لهم مفاخر وقد عزموا أن يخلصوا فيهـــا ملحمة شعرية تبقى على مدى كالياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسى ، وقال هناك شاعر شباب من مسلمى الهند «حفيظ» الذى بدأ يؤلف شاهنامة الاسلام منذ ســــــنوات واصدر منها ثلاثة أجزاء ونال حظوة عظيمة لدى قراء الأوردية ، واشار الى أن أحمد محرم بدأ ينظم ملحمة الاسلام ، وفى هذا الصدد كتب (مسعود عالم الندوى) صاحب العبثاء يقول : كتبت ما كتبت عن الفردوسى عن صدق طويه واعتقاد جازم بأن القومية الاقليمية منافية لروح الاسلام ، ولكن قلما تنبه المسلمون فى هذا العصر ولم يرفـــع أحد صوته من اطر الكلام الا المجـــــاهد ظفرعلى خان صـــاحب جريدة زميندار اليومية .

١٠ — وأعلنت الفتح عن قيام جمعيات التعاون الاسلامية (ذى الحجة ١٣٥٢) وكتب كاتم السر وصــــاحب الفتح محب الدين الخطيب يقـــول :

ان الذي هو التدين والتعارف فى امة الأمة الاسلامية تعد بمئات الملايين اذا لم يجرء من مساواة لا يعد عملا علميا ولا يكون تعارفا صحيحا وقد بدأ العمل بالالمام بأحوال المسلمين :

فى الصين (محمد مكين) أندونيسيا (عبدالقاهر مدكر) حضرموت اصلاح البكرى) فى الهند (مسعود عالم الندوى) . وقال : ان مهمة جماعة التعارف واسعة النطاق هى تشمل النحل والمذاهب التى افترق اليها المسلمون . السمى من النقص الفاضح أن نسمع كل يوم باسم اغا خان مثلا وان نعلم انه زعيم الاسماعيلية وأن لا يكون بين أيدينا بحث علمي دقيق نزيه عن هذا المذهب الاسماعيلي وسبب تجدده وتاريخ نشأته وما كان له من شكل ظاهر وما انطوى عليه من اعتقاد باطن وما تقلب فيه من الحوار وما أصله من أفكار .

وقال : اننا سمعنا بأن فى جبال حراز من أرض اليمن فئة تمت بصلة الى فرقة البهرة الموجودة فى الهند ، ومذهب النصيرية فى الشام وما كان له من أدوار خطيره منها فى تاريخ الاسلام فى القرون الوسطى والقرن الحديث ، وقس على ذلك الاسماعيلية والبهرة والنصيرية وسائر المذاهب التى تشعبت عن دعوة الفاطميين فى صر ، وهناك مذاهب أخرى منتشرة الآن فى العالم الاسلامى لها أهلها وانصارها ولا يمكن التعارف معهم الا بعد معرفتنا أساس عقائدهم كمعرفتهم أساس عقائدنا ، هذه المعرفة منا ومنهم لعقائدنا وعقائدهم تقضى على أوهام كثيرة يظنها عامتنا فى عقائدهم وأوهام منها يظنها عامتهم فى عقائدنا ، والقضاء على هذه الأوهام خطوة واسعة للتفاهم والتقارب والتعارف .

وقال : ان الثقافة التى يتلقاها ناشئة الاسلام فى كل قطر والاتجاه الفكرى الذى يمهد الراى العام الاسلامى فى مختلف الأقطار وما فيها من مواطن الضعف والقوة ، فمعرفة ذلك من أهم صنوف المعرفة التى أخذناها على عاتقنا . وقال انه من اللازم دراسة الضرورات الاقتصادية التى تعمل عليها فى العالم الاسلامى ومراقبة الصحف والحوادث واختيار المهم منها وجمعه فى ملفات منظمة .

١١ — وواصلت الفتح م ١٢ (١٩٣٨) الحديث عن الرابطة الاسلامية فقالت :

منذ خمسين سنة واكثر يعمل الدساسون من رجال الاستعمار وأذنابهم فى الشرق على تفريق قلب أبناء الملة الواحدة باسم القومية وعلى تفريق قلوب ابناء القومية الواحدة باسم الأوطان ، وعلى تفريق قلوب ابناء الوطن الواحد باسم أحزابه وباسم طبقاته وباسم عناصره ، فلما ظن المستعمرون وأذنابهم أنهم انتهوا من تمزيق العالم الاسلامى وصار الهندى والفارسى وغيرهما من أبناء الاقطار غير العربية لا يشعرون بشعور ابناء الأقطار العربية ، وصار المصريون يرون جيرانهم شرقا وغربا كأنهم غرباء عنهم وقد دعا مولانا محمد على الى الالتفاف حول جامعة الاسلام وقال كلمته الخالدة : ان الوطن من الشيطان وبث فى نفوس سامعيه من شباب المسلمين ان المسلم اوسع املا وابعد مطمحا من أن يعد نفسه جنديا فى معسكر محدود بحدود وطنه الأصغر بينما هو يستند الى معسكر من المشتركين معه فى الايمان الدينى والاجتماعى لا يقل عدده عن أربعمائة مليون من اهل التضحية والجهاد (الآن الف مليون) .

١٢ — وفى المجلد ١٢ كتب عبد الرؤوف الاسطوانى عن العلاقة بين الرابطة الاسلامية والرابطة الوطنية وقال ان الهدف هو السعى الحثيث فى العصر الحاضر لاضعاف الرابطة الدينية وتفكيك عراها وغلبة الرابطة الوطنية ، والهدف هو التوفيق بين الحركتين وجعل الحركة الوطنية متميزة فى الجوهر والأساس مع الحركة الاسلامية وقال : ان الاسلام ينظر الى الوطنية كعاطفة غريزية ، فالانسان مفطور على حب الأرض وغريزة حب البقاء وغريزة حب الوطن ،

وقال السيد محب الدين الخطيب : نحن المسلمين لا نقول بالقضية الوطنية لأنها نعلى عليها رابطة العقيدة وجامعة الملة عملا بتعاليم ديننا وتقاليدنا وتاريخنا .

١٣ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن العروبة والاسلام فقال :

ان من لوازم انماش الاسلام انعاش العروبة وان بناء الاسلام قام على اساس العربية والعروبة وان الأمة الاسلامية كانت عزيزة لما كانت وفية للعروبة مؤيدة لها ومدافعة عنها ، واشار الى قول شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه (اقتضاء الطريق المستقيم) عن مخالفة اهل الجحيم لاعتياد الخطاب بغير العربية التى هى من شعائر الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ولاهل الدار وللرجل مع صاحبه لأهل السوق وللأمراء او لأهل الديون او لاهل الفقه فلا ريب ان ذلك مكروه فانه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه كما تقدم .

لذلك كان المسلمون المستقدمون لما سكنوا ارض الشام وأرض العراق وخراسان وارض المغرب عودوا اهل هذه البلاد « العربية » حتى غلبت على اهل هذه الامصار مسلميهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما ، ثم انهم تساهلوا فى امر الله واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ولا ريب ان ذلك مكروه (أى مكروه شرعا) انتهى كلام ابن تيمية .

١٤ — وتحدث الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان عن الخلافة الاسلامية وقال (انها لازمة لحياتنا فانا ادعو جميع المفكرين من رجال الاسلام الغيورين الى التذكير بها والتفكير فى وسائل احيائها حتى يتسنى لنا ايجاد رأى عام فى صف الخلافة .

١٥ — وتحدثت الفتح م ١٧ (١٩٤٣) عن الفرعونية فاشارت الى كتاب قناع الفرعونية لأحمد صبرى وقال ان محاولة التوفيق بين الاسلام والفرعونية محاولة باطلة ، ولابد من انتصار الفطرة الاسلامية على الأخطاء المكتسبة وقال : ان فرعون رمز لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة فالفرعونية نوع من النظم التى ينهض عليها الحكم الاستبدادى الجائر ، هذا النظام يقترن بما يتصل به من الأوضاع الاجتماعية والصور العقلية التى تبرر الظلم وتستقطب الخنوع وتساعد على الترفيه عن الطبيعة المحدودة الحاكمة التى تستند الى ما تخدعه من اسانيد الحقوق المقدسة ، ولا يجد المصرى المشوق للحياة الصحيحة فى شعار الفرعونية من قوة اندفاع الحرية والمساواة ما يجده المسلم فى كلمة الاسلام .

ودعت الفتح الى ترك اغلال الفرعونية والأشورية والفينقية المفرمة ليعودوا الى الوحدة من جديد فى ضوء حرية الاسلام » .

الباب الخامس

الدعوة الاسلامية

الفصـــل الأول : الدعوة الاسلامية

الفصـــل الثانى : دعاة الاســـلام

الفصل الأول

الدعوة الاسلامية

حفلت هذه المرحلة بالجماعات الاسلامية المتعددة التى قام بها الغيورون على الاسلام فى مواجهة التحديات التى أحاطت به ، وفى مواجهة جمعية الشبان المسيحية العالمية التى توزعت فروعها فى عواصم البلاد الاسلامية ، بالاضافة الى الارساليات المختلفة ومعاهدها وما رسمت من مناهج لضرب الاسلام وقررت من كتب تهاجم الاسلام ونبيه ودعوته وكان للسيد محب الدين الخطيب — والشهادة لله — دور خطير فى هذه المرحلة فهو الموصوف بانه أبى الجمعيات الاسلامية وقد كان من وراء انشاء جمعية الشبان المسلمين ، كما ان جمعية الاخوان المسلمين ولدت فى أحضان جمعية الشبان كما ولدت جماعة مصر الفتاه ولذلك فقد حفلت الفتح احتفالا كبيرا بنشاط الجماعات الاسلامية وتوجيهها ورسم المناهج لها ومعارضتها فى بعض خططها التى كانت تبدو مغايرة للطريق الصحيح فهو كالديدبان اليقظ ، ولما نمت جمعية الاخوان المسلمين واتسع نطاقها ظل السيد محب الدين الخطيب يوالى البث ويقدم وجهات النظر النافعة ايمانا بمسئوليته عن الدعوة الاسلامية ووجهتها الصحيحة وكان الأستاذ حسن البنا يقبل منه ويحاوره وان ظل هناك فارق واضح بين صاحب القلم المتحرر من اى تبعة خاصة بجماعة تنقل الكاهل وتحتاج الى نوع معين من الرعاية والتوجيه وبين صاحب الدعوة المنغمس فى المحاذير والتحديات .

وقد كانت هناك جمعيات متعددة تعمل منذ وقت بعيد ، غير ان الظروف المتغيرة والتحديات الجديدة فرضت انشاء جمعية كبرى تضم عشرات من العلماء والمفكرين لمواجهة الاخطار وقد أشارت الفتح الى ان جمعية الشبان المسلمين أنشأت فى مواجهة ثلاث تحديات خطيرة :

١ — مواجهة حركة التبشير المسيحى العاصفة التى كانت تقودها الجامعة الأمريكية فى القاهرة .

٢ ـ حركة جريدة السياسة وكتابها : عصابة التغريب والغزو الفكرى (طه حسين وهيكل ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ، وغيرهم) وظهور كتابى الاسلام واصول الحكم والشعر الجاهلى .

٣ ـ الحركة الكمالية التى الغت النظام الاسلامى فى تركيا والدعوة العربية ووجدت من كتاب التغريب فى مصر تاييدا واسعا .

ومن هنا اجتمعت العناصر على انشاء هذه المؤسسة الضخمة لتحقيق عدد من الغايات الاسلامية الكبرى .

ـ مقاومة التبشير والتصدي من مخططاته ومنع الاستعمار وكشف اخطاره .

ـ الدعوة الى التربية الاسلامية ونقد كل مناهج التعلم .

ـ دراسة احوال العالم الاسلامى وخاصة فلسطين والمغرب .

ـ ابراز المفاهيم الاسلامية ، من شعر رصين وتراث مجيد .

ـ الرد على دعاة التغريب فى مصر ومواجهة الصحافة العلمانية .

ـ مواجهة الدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية .

ومن ثم فقد استطاع السيد محب الدين الخطيب جمع عدد من الشباب المسلم من الجامعات للاشتراك فى الجماعة (عبد المنعم خلاف ، عبد السلام هارون ، محمود محمد شاكر ، على الجندى) كما ضمت اليها عددا من كبار الأعلام أمثال (أحمد تيمور باشا ، عبد العزيز جاويش ، محمد الخضر حسين) وأعلنت برنامجها فى احتفال ضخم وكشفت فى الساعات الأولى لانشائها أنها تعمل على حماية الشباب المسلم من اخطار دعوة التبشير والالحاد والاباحة وسجلت الفتح فى المجلد الثانى ص ٤٠٨ هذه الأهداف :

١ ـ بث الآداب الاسلامية والأخلاق الفاضلة .

٢ ـ السعى لانارة الأفكار بالمعارف بطريقة تناسب روح العصر .

٣ ـ العمل لازالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الاسلامية .

٤ــ الأخذ من حضارتي الشرق والغرب بمجانستهما جميعا .

وسرعان ما تقدم السيد مصطفى صادق الرافعي بنشيد الشبان :

ربنــــا اياك ندعــو ربنــــا
آتنــــا النصر الذي وعدتنــــا
اننــــا نبغى رضــــاك اننــــا
ما ارتضينا غــير ما ترضى لنــــا

وقدم حافظ ابراهيم نشيدا استهله بقوله :

اعيــدوا مجــدنا دنيــا ودينــــا
وذودوا عن تراث المســـــلمين

وقدم أحمد محرم نشيده الذي استهله بقوله :

بني الاســــــلام اقــــداما
كفى دعــــــة واحجـــــاما

ولم تلبث جمعيــة الشبان المسلمين أن نافستها جمعيــة الهــداية الاسلامية وجمعية مكارم الأخلاق وكانت جمعية الاخوان المسلمين فيما بعد قليل عمل لم تلبث أن حقق نجاحا كاسحا بينما ضمرت جمعية الشــبان واقتصرت على الألعاب الرياضية .

ولكن هذه المرحلة كانت خصبة فعلا فقد استقبلت عديدا من اعلام الغرب وتحدث على منبرها الكثير من النوابغ أمثال عبد الله كوليام والشاعر محمد اقبال والسيد محمد على وأعلن المستشرق دينيه إسلامه في حفل تأسيسها (م ٢/٣٧٤) .

- ٢ -

وكانت جمعية الشبان المسيحية قد تحدت مشاعر المسلمين اذ اخذت تقــدم مفاهيم مسمومة على منبرها وكشفت الأحداث ان هدفها لم يكن تثقيفيا أو فكريا وانما كان ـــ كما أوردته الفتح ـــ هو التبشــير المستتر بجلباب المدنية ، وانما فتحت صدرها لقبول الأعضاء من مختلف الطوائف والأديان لغــاية تبشيرية وأكبر دليــل يدل على انها اجنبية لا وطنيــة

وان البريطانيين قابضون على زمام ادارتها ومصالحها وهم يجمعون لهـا التبرعات حتى من المسلمين المغفلين الذين لا يعلمون ما يراد بهم وقال : « ان الواجب يدعونا الى تجنيد وتنشيط كل جمعية اسلامية تؤسس في الشرق » .

ومن ذلك ما نشرته الفتح (١٢ يناير ١٩٢٨) من أن جمعية الشبان المسيحية جمعية تبشيرية مسيحية انشئت لاقتناص المسلمين وغير البروتستان من المسيحيين واستمالتهم بالألعاب الرياضية وبالمكتبة ليأنسوا بهذا النادى ، هـذه هى الجمعية التى كان يخطب فيهـا رئيس تحرير السياسة (محمد حسين هيكل) منذ أيام مع اصراره هو ومحررو جريدته على الا تنشر كلمة واحدة عن جمعية الشبان المسلمين فهم ليسوا دعاة الحاد فقط كما يظنهم الناس بل معضدون أيضا للمسيحية على الاسـلام وتقول جمعية الشبان المسيحية فى تقريرها أنها تسمى جهد طاقتها لاعلان (المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) ومعنى هذه الآية الانجيلية نشر المسيحية ومقاومة كل دين غيرها وهى تابعة لجمعية الشبان المسيحية الدولية فى مدينة نيويورك » .

ومن هـذا أنها استقدمت عددا من التغريبيين امثال سلامة موسى للحديث فى موضوعات خطـيرة حيث تحـدث سلامة موسى عن الأدب المكشوف حيث هتف بحرية الأدب واطلاق العنان ، وجاهر بأن الأخلاق تعتمد العادات وتقوم على التقاليد ، ويؤمن بأن الغرائز النفسية لا تخرج عن تلك التقاليد ، فهو يدعو الى ان الادب يكشف المستور ويفضح المكنون ولا يبالى بنتائج الاغراق وعاقبة الاسراف ، وأشار الى سبق امرؤ القيس وابو نواس وصاحب اليتيمة الى الأدب المكشوف .

– ٣ –

وقد عرضت الفتح فى أكثر من موضع عن مفاهيم الشبان المسلمين حيث تقول فى المجلد الثالث :

● بلاد المسلمين وطن كل المسـلمين ، وان ما نرى من مبـادىء يتشبث بها المسلمون هى مبادىء لم تظهر فى الوجود الا بعـد أن ضعف

الاسلام وضعفت عقائدنا وروحنا المحمدية ، ورأى الغرب تأييد ذلك لأنه من مصلحته عدم اتحاد المسلمين .

● تجديد مجد أجدادنا لنكون أقوياء فى ديننا وعزائمنا فلندافع عن شرفنا وديننا ولنستعد بالقوة البدنية والعلم والمال والصناعات .

● فى مواجهة جمعيات التبشير ليكشف عن أنهم مأجورون لمصلحة الاستعمار وتمكين اغلاله من أعناقنا ».

وتحدث صاحب الفتح (١٧ نوفمبر ١٩٢٧) فقال ان السعى الى تكوين الشبان المسلمين فى مصر وغير مصر هو المثل الأعلى ليبنى للمستقبل رجالا يجمعون الى العلم استقامة الخلق ، ان الناشىء الذى يخوض غمار هذه الحياة وبين يديه سراج من الهداية انما يخوضها قوى الجأش عالى الهمة، هادىء الخاطر ثابت النظر ، واشارت الفتح (مجلد ٧ — ١٩٣٣) الى أن الجمعية أنشأت بهدف العمل على صيانة النفوس والعقائد من العلل والأمراض والأخلاق الاجتماعية والدينية وأن أشد ما يخشى منها خطرا وفتكا ذلك الذى يتعرض له الشباب الناشئون وهم فى مرحلة من الحياة يسهل فيها التورط فى الخطأ والانحدار الى طريق الضلال مع الدعوة الى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة لجماعة المسلمين ».

— ٤ —

وأولت الفتح اهتماما واسعا للجماعات الاسلامية كلها ودعت الى تعاونها من أجل اضاءة الطريق أمام شبابنا وتسليحهم بالفضيلة ليكونوا رجالا عاملين أقوياء فى دينهم وأخلاقهم وأشارت الى جمعية الحضارة الاسلامية التى أنشأها الأستاذ عبد الرحمن الساعاتى (البنا) ومحمد أسعد الحكيم ، فى حارة الروم بالغورية ومهمتها التعاون على تحقيق اليقظة الاسلامية والعمل لنصرة الاسلام باظهارها ما انطوت عليه تعاليمه الراقية ودعوة المسلمين الى التمسك بدينهم والعمل به وحماية الدين من اعتداء المعتدين جهرا وعدوانا ».

كما أشارت الى جمعية الهداية الاسلامية (سكة الشابورى ١١ بالحلمية الجديدة) وجمعية مكارم الأخلاق بسراى السادات بدرب الجماميز ،

والى نشاط كل منهما ومحاضراتهم الأسبوعية ثم أشارت الى انتقال قيادة جمعيـــة الاخوان من الاسماعيلية الى القاهرة وانضمت اليهـــا جمعيـــة الحضـارة ، وقال ان عددا من العاملين مع الاستاذ حسن البنا يتحدثون فى المحاضرات : حامد شريت ، حلمى نور الدين ، عبد الرحمن الساعاتى ، احمد شريت ، محمد جميل العقاد ، محمد ابراهيم البراوى ، عبد اللطيف الشعشاعى .

وقالت ان جمعية نشر الفضائل الاسلاميه يتقدمها : على محفوظ ، احمد صقر ، على رفاعى اما جمعية مكارم الاخلاق : محمود صدقى .

واشارت الى أعلام مجلة الفتح وجمعيه الشـــبان المسلمين الذين يعملون مع محب الدين الخطيب : شكيب ارسلان ، محمد حسن النجمى ، محمد صادق عرنوس ، مصطفى أحمد الرفاعى اللبان ، عبد المنعم خلاف ، محمد تقى الدين الهلالى ، محمد الهراوى ، على الجندى .

واشـارت الفتح الى اعطاء الشبان المسلمين ارضا مساحتها الفى متر (١٥ الف جنيه) لتقيم عليها ناديا فى القاهرة بشارع الملكة نازلى وأشارت الى أن السيد محب الدين الخطيب الذى كان شرف العمل على تأسيس جمعية الشـــبان المسلمين .

— ٥ —

وسرعان ما اتسع عمل جمعية الشبان المسلمين وانتشرت فروعها فى حيفا (فلسطين) وفى بومباى بالهند ، كما ظهرت فروع الجماعة الاسلامية فى دمشق : مصطفى حسنى السباعى ، على الطنطاوى كما اشارت الى افتتاح فرع جمعية الشبان المسلمين فى تونس ، وقالت الفتح ان جمعية الشبان فى حيفا تقوم بتنظيم حالة المسلمين وتوجيههم الى فضائل الاسلام حتى يتمكنوا من ان يجعلوها اساس حياتهم وان يجعلوا كل اعمالهم وافكارهم قائمة عليهـــا .

وقالت صحف الهند ان جمعية الشبان فى بومباى قد احدثت آثارا طيبة وسرعان ما انتشرت فروع لها فى الهند وقالت صحف الهند : ان عائلتنا

منفسمة فالجامعة الاسلامية تفتت تدريجيا لأن تعدد المذاهب أضر بوحدتنا ، وجهلنا بالتعاليم الدينية الصحيحة سبب لنا دمارا أشد وطأة من فعل الزلازل والحدثان ، لابد للمسلمين فى انحاء المعموره من ان يكونوا على اتصال وأن يتبادلوا المودة والاخاء ولابد من اخماد عاطفة المحبة نحو الوطن الاقليمى واستبدالها بانماء عاطفة المحبة نحو الوطن العالمى ، وقالت ان المسيحيين يسعون للبحث عن مثل اعلى يطابق روح العصر والدين الاسلامى يحث على اتخاذ مثل اعلى لهم ولكنهم لا يسيرون روح العصر التفاتا ، وان جمعية الشبان المسلمين هى طريق يوصل الى الطريقة المثلى للحياة .

— ٦ —

وتحدثت الفتح عن الجمعيات الدينية فقالت انها مهما تنوعت فانما ترجع الى غرض واحد لا ثانى له هو احياء الدين فى النفوس واعلاء كلمة الله ، فبذلك يتحقق جميع هذه الاغراض متى التزم النـاس أوامر دينهم وتخلقوا به ظاهرا وباطنا .

وقالت الفتح : ان النجاح لا يقاس بكثرة الأعضاء بل يقاس بمقدار تأصل الروح الدينية فى نفوس الأعضاء وبمقدار تحولهم مما عليه الناس الى الحالة التى كان عليها السلف الصالح .

— ٧ —

وعاودت الفتح الحديث عن أخطار جمعية الشبان المسيحية م ٦ (١٩٣٢) بعد ظهور حوادث التبشير التى هزت المجتمع قالت ان لجمعية الشبان المسيحية عشرة آلاف فرع فى جميع أنحاء العـالم ، وقد لقيت تعضيدا من الأمم المسيحية والحكومات المسيحية وبلغ رأس مالها الى ما يزيد عن ٢٢٤ مليونا من الريالات (٤٥ مليونا من الجنيهات) .

وتحدثت الفتح عن جمعية الشبان المسيحية فى القدس وقد افتتحها اللورد اللنبى صاحب الكلمة المعروفة (ها نحن قد عدنا باصلاح الدين) وبلغت نفقات بنائها ٤٠٠ الف جنيه (١٩٣٣) فى ابان الأزمة العالميـة الطاحنة ، هـذه المظاهرة الدينية الاستعمارية على مسلمى فلسطين ،

اذن الفتح صلتين بجمعية الشبان المسيحية تدعى ذاك الفتح وحدة تلك السياسة وكلمتك (ان تلك الحملة آخر حملة صليبية) اذن فكل ذلك حق ، أرسلت كلمتك يومئذ ثم جئت اليوم فزدت تلك الكلمة حرجا وابرزت تلك النية وكرا من أوكار التبشير وقالت مجلة الجامعة فى يافا ان الاسلام دين لا يخاف التبشير بل يجعله تبشيرا به ويرده دعوة له ، وان الاسلام دين نبت من وطيس الحمر كما نبت على ضفاف النهر .

وقالت الفتح : ان جمعية الشبان المسلمين التى تأسست منذ أربع سنوات ، انما تأسست بناء على هذه الحاجات المعنوية لجديد شباب المسلمين ، وقد انتشرت فى مصر وفلسطين وشرق الأردن ووصلت فروعها الى أمريكا الشمالية والجنوبية تحت عنوان الدعوة الى تعارف المسلمين وتوثيق روح الاخاء بينهم .

وقالت الفتح : ان الاسلام هوجم من أعدائه بعقائد باطلة فى كل زمان ومكان ، ولكنه اليوم معرض لأقوى هجمات عرفها التاريخ لأننا مضطرون الى تعليم اولادنا وأكثر مصانع التعلم والتصنيف اما ان تكون مؤسسة بأيدى جماعات من وظيفتهم محاربة الهداية المحمدية أو انها مبثوث فيها من يعلمون ويثقفون ممن عاهدوا أنفسهم على محاربة هذه الهداية .

ولا نستطيع ان ننشئ جيلا جديدا نطمئن الى كفايته للنهوض بحاجة المسلمين المادية والروحية ما لم نقم بعمل مزدوج لا مناص من وقف جانب كبير من وقتنا عليه فأحد شقى هذا العمل مقاومة دعايات الالحاد فى داخل المدارس الموجودة الآن ، وفى عالم الطباعة والنشر والثانى ايجاد مدارس جديدة تكون مستوفية الشروط من وجهة نظر الاسلام ، وعلى وسائل النشر الاسلامية السير فى طريق الرقى حتى تتمكن من اظهار محاسن الاسلام للملأ وعرض حقائقه بالأساليب المحبوبة لدى الجماهير .

— ٨ —

أولت الفتح اهتماما واسعا ومتصلا بجماعة الاخوان المسلمين التى نشأت بعد عام واحد والتى اتسع نطاقها بعد انتقال الأستاذ حسن البنا من الاسماعيلية الى القاهرة حيث تم تحول جمعية الحضارة الاسلامية

واندماجها فى جماعة الاخوان وقد تم ١٩٣١ اتحاد جمعية الحضارة مع جمعيات الاخوان المسلمين بالاسماعيلية وشبرا خيت والمحمودية وترتب على ذلك أن تختار الاسم نفسه وهى جمعية الاخوان المسلمين بالقاهرة وترى الجمعية أن انضمامها هذا اشارة الى الوحدة الاسلامية التى هى الطريق العملى لاعزاز الاسلام ورفع مناره (سوق السلاح رقم ٦٢ — يوليو ١٩٣١) .

واشارت الفتح الى ان جمعية الاخوان المسلمين نقلت من حارة عمارة الشماشرجى (ابريل ١٩٣٣) الى منزل ٢٤ بعطفة نافع بحارة عبد الله بالسروجية وانها بدأت فى اصدار صحيفتها الاسبوعية بالمطبعة السلفية بباب الخلق وسيصدر اول عدد قريبا (نائب القاهرة : عبد الرحمن احمد الساعاتى) .

ولم تلبث الفتح ان بشرت بصدور الصحيفة :

أصدرت جمعية الاخوان المسلمين صحيفة اسبوعية لتكون لسان حالها ولتقوم بقسطها فى خدمة الاسلام والهيئات العاملة على رفعة الاسلام واعادة مجده (جريدة اسلامية جامعة ابرز اقسامها القسم الدينى الذى يحرره مرشد الجمعية العام الصديق المجاهد الاستاذ حسن البنا وسيتناول التفسير والعقائد والفقه والتصوف) .

وقالت الفتح : والاستاذ البنا من صفوة الداعين الى الله بحكمة وبصيرة ، وهو روح هذه المجلة وعمادها ، كما انه روح جمعية الاخوان المسلمين وعمادها ورئيس تحرير المجلة هو فضيلة الشيخ طنطاوى جوهرى وادارتها فى دار المطبعة السلفية (التى يديرها السيد محب الدين الخطيب) .

وقد صدرت المجلة صفر ١٣٥٢ (١٩٣٣) تحت عنوان (جريدة الاخوان المسلمين) ونقشت على صدرها ثلاثة اسماء (طنطاوى جوهرى — محب الدين الخطيب — حسن البنا) .

وقد صدرت بعد سبع سنوات من صدور الفتح التى صدرت عام ١٩٢٦ وكان الاستاذ حسن البنا قد بدأ كتاباته الاسلامية فى جريدة الفتح منذ اواخر السنة الأولى للفتح تحت عنوان (الدعوة الى الله)

وواصل ذلك خلال سنوات طويلة ومما نشره فى المجلد السادس ص ٧٣ من الفتح ما كتبه تحت عنوان :

(واجب العالم الاسلامى ازاء ما نزل به) .

قال : هناك وسائل نستطيعها أجدى من الاحتجاج وأبلغ اثرا :

الوسيلة الأولى : ضم الصفوف وتوحيد القوى .

الوسيلة الثانية : مقاطعة كل ما هو غير شرقى من العادات والتقاليد .

الوسيلة الثالثة : أن نجاهد أنفسنا قليلا ونحكمها ونردها الى العقل والتبصر .

الوسيلة الرابعة : ان نذكر هذه النكبات دائما وأن نتلوها على أنفسنا صباحا ومساء حتى ينشأ شبابنا وهم على بينة من أمر أعدائهم فلا يخدعون كما خدعنا ، وان علينا أن ننظر فى احدى الوسائل لتخريج ابنائنا مشبعين بالروح الدينية فان نظم التعليم عندنا للأسف لا تسمح بذلك وهى تقربنا من الأفكار الأوربية وتقتل فى نفوس الناشئة كل شعور اسلامى أو قومى شريف .

الوسيلة الخامسة : تجديد النفوس وتطهير الارواح وتقوية العقلية حتى تمتلىء النفوس بالأمل والايمان وهى تندفع الى العمل بقوة وثبات كما كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقال الأستاذ حسن البنا : من الاحكام الشرعية أن القنوت سنة فى كل الصلوات بعد الركوع الأخير اذا نزلت نازلة بالمسلمين ، ويلوح لى بجواز تطبيق هذا الحكم فى كل المساجد الاسلامية وفى كل الصلوات .

— ٩ —

وتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد السابع (١٣٥١ هـ — ١٩٣٤ م) فقال ان منشئى الفتح الذى كان له شرف العمل على تأسيس الشبان المسلمين رأى فريق من خيرة شبان المسلمين فى القاهرة أن الحاجة الى صياغة النفوس والعقائد من العلل والأمراض الاخلاقية والاجتماعية

والدينية اصبحت عامة وأن أشد ما يخشى منه خطرا وفتكا ذلك الذى يتعرض له الشبان الناشئين وهم فى مرحلة من الحياة يسهل فيها التورط فى المفاسد والانحدار الى طريق الضلال .

وقال السيد محب الدين الخطيب :

ان فكرة الشبان فكرة سامية ترمى الى مقاصد ترتبط بحياة الهداية المحمدية كما ترتبط بنهضة الشعوب الاسلامية ، ومن المقاصد التى اسست جمعية الشبان لتحقيقها أن تدرس هذه الجمعية الحركة الفكرية فى دار الاسلام وأن تبحث عن مصادر هذه الحركة الفكرية واتجاهها وتنظر فيما اذا كان ذلك موافقا لحاجة المسلمين الحقيقية أم لا ولا شك أن الحركة الفكرية الحاضرة فيها النافع وفيها الضار فكيف يمكن المسلمين أن يسيروا مع هذه الحركة الفكرية بطمأنينة وارتياح وليس فيهم من ارتاد لهم الطريق ولا من قام بتحليل هذا الدواء الذى يراد منهم أن يشربوه ، ومن أولى من جمعية الشبان المسلمين بذلك الارتياد وهذا التحليل ومن المقاصد درس أخلاق الطبقات الاسلامية والبحث عن أسباب الضعف الأولى ودرجة ابتعاد المسلمين عن هداية دينهم .

— ١٠ —

وفى المجلد التاسع من الفتح (١٣٥٣) تحدثت الفتح عن تشكيل جمعية الشبان المسلمين ومؤسسيها : محب الدين الخطيب ، أحمد تيمور ، محمد الخضر حسن ، محمود محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، محمد محمود الحضرى ، عبد الفتاح كيرشاه ، كمال اللبان ، محمد القاضى ، محمد محجوب ، مصطفى محمود القاضى ، زكى القاضى ، عبد المنعم خلاف ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، توفيق أحمد ، عبد العزيز جاويش ، محمد الهيهاوى وان الاجتماع عقد برئاسة تيمور باشا عام ١٣٤٦ .

واختير عبد الحميد سعد رئيسا ثم انضم الى الجماعة :

الشيخ أحمد ابراهيم ، محمد أحمد الغمراوى ، يحيى الدرديرى ، على مظهر ، محمود على الفضلى ، على شوقى .

وقالت انه فى هذا العام ١٣٥٣ قد وضع الحجر الاساسى لبناء الجمعية ، وكانت دار المطبعة السلفية (التى انشاها السيد محب الدين الخطيب) نبع القلوب الصادقة وفيها ايضا انشات جمعية التعارف الاسلامى (محمود سالم) .

— ١١ —

وأشارت الفتح الى المستشرق الالمانى (كمباير) الذى كتب عن جمعية الشبان المسلمين : هذا هو الصراط المستقيم والاساس الحنيفى لنهضة الأمة ، اغراض الجمعية مطابقة لحقائق جوهرية خالدة لها التاثير الحاسم فى تطور الأمة ورقيهـا واذا قيل ان الغلبة كانت ولم تزل للقوة فى كل عصر ومصر فأقول ان للقوة المادية حدا لا يتجاوزه وتعقبها قوة اخرى هي القوة الروحية التي مصدرها وحي الله عز وجل .

— ١٢ —

وتحدثت الفتح عن انشاء جمعية الشبان المسلمين فى العالم الاسلامى وركزت على جمعية الشبان المسلمين فى فلسطين وفى العراق (من بغداد الى البصرة) وفى الشام وتونس والهند وأمريكا فى ثلاث سنوات فقط .

وأشارت الفتح الى جماعة شباب محمد فى بلاد الشام (فبراير ١٩٣٩ — الحجة ١٤٥٧) وأشارت الى دار الأرقم فى حلب ، وجمعية الشبان المسلمين فى دمشق ، وجمعية مكارم الاخلاق الاسلامية فى بيروت وجمعيات عديدة فى القدس ولندن وباريس كلها تنضوى تحت رابطة شباب محمد (بعد عودته من مصر ١٩٣٩) .

وقال ان الاستاذين مصطفى السباعى وعمر بهاء الاميرى (بعد عودته من باريس) ومعهم مصطفى الزرقا ، وعبد الرءوف الاسطوانى ، وعبد الوهاب الأزرق وصلاح الدين المدرس ، وجمال العشى ، وعزت المرادى ، واسماعيل المرادى ، ووعبد الفتاح الحمصى ، وصدر حجار ، وعبد الوهاب التونجى ، وعبد القادر السيسى وقد تقرر تنظيم الشباب المسلم تنظيما ثقافيا وعسكريا وتوحيد جهود الشباب لاسعاف فلسطين والمكافحة عن دين الله وخلق الاسلام الذى شوهته حروف الزمان ليبثوا

فى الامة روح اليقظة والحمية والعزة التى شهرتها الدنيا فى رجال السلف الصالح .

— ١٣ —

وتحدثت الفتح عن النهضة الاسلامية فى الهند فى جاوة وجاكارتا .

فيقول : ان الجمعية المحمدية فى جو جاكرتا ، تأسست المحمدية قبل ثلاثين سنة (أحمد دحلان) ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ لنشر التعاليم الاسلامية والعمل على ايجاد حياة اسلامية تلائم مبادىء الاسلام وكرامة أهله (٢٥٠ الف عضو) ، ١١٧٤ مدرسة ، ٣٨٤ مسجد ، ١٤٣ مكتبة ، ١٥ مستشفى ، ٥٥١٦ مبشر ومبشرات ٢١١٤ .

ويقول الفتح (م ١٩٣٢/٦) الجمعية المحمدية مجدة كل الجد فى نشر مدارسها ولا تعلم فيها الا بالهولندية والأحرف اللاتينية ، فى مواجهة مدارس التنصر المملوءة من الجاويين والمدارس العليا الجاوية ، وأشارت الى أن دعاة القاديانية فى جحفا وغيرهم لهم تأثير فى ابدال الأحكام الشرعية للمواريث والنكاح والطلاق وأشار الى نحلة الصوفية البوذية الذين يعبدون رجلا هنديا (كرشنا مورى) بمنزلة المسيح عندهم .

وتحدث عن أن مواليد العرب يصرون على تعليم أولادهم الهولندية ، والوطنيون الذين لا دين لهم مسالمون لكل الأديان الا الاسلام فهم حرب عليه يكرهونه أشد الكره .

وقال ان جاوة فيها الآن جمعية الشبان المسلمين الى جانب شركة اسلام فى مواجهة الأحمدية القاديانية .

وتحدثت الفتح ان جمعية اسلامية اسمها انجمين حماية اسلام قامت فى شرق أفريقيا (أحمد الحداد الكوكبى) فى كينيا وأوغندا وتنجانيقا وقد أقامت مدارس اسلامية .

أما فى جنوب أفريقيا فقد قامت مساجد ومدارس فى الكاب والناتال وان هناك مائة ألف مسلم بعضهم هندى والبعض الآخر أندونيسى .

ولعل الفتح كانت توجه نظر جمعية الشبان المسلمين الى القيام بدور فى هذه المناطق .

— ١٤ —

وعادت الفتح فى عام ١٩٣٦ فقدمت ثبتا بالجمعيات الاسلامية فى مصر :

الشبان المسلمين : دكتور يحيى احمد الدرديرى .

التعارف الاسلامى : محب الدين الخطيب .

الاخوان المسلمين : حسن البنـــا .

جمعية الهداية الاسلامية : عبد الحميد السيد .

انصار الايمان الاسلامية : خضر مصطفى بدر .

المسلم الفاضل : عبد المنعم امين .

مكارم الأخلاق الاسلامية :

جمعية الجهاد الاسلامى : احمد ابراهيم السراوى .

وقد قدمت هذه الجماعات دراسة لفتت فيها الأنظار الى الانحدار المخيف فى الأخلاق ودعت بعض الصحف أن تكف عن نشر الفصول والصور مما يدخل فى باب الأدب المكشوف والفن .

ودعت الجماعات الاسلامية الى اتخاذ الرقابة على أفلام السينما فتمنع بقدر الامكان من المشاهد الغرامية التى تسوء الآباء ان تقع أنظار أبنائهم وبناتهم عليها وطالب الاذاعة اللاسلكية بتنقية برامجها من وسائل تهيج الشهوات والألفاظ المقذعة والعبارات النابية التى تلقى فى الحفلات .

وطالبت باغلاق الحمامات البحرية وغير البحرية التى يتاح فيهـــا الدخول للجنسين .

— ١٥ —

وتحدثت الفتح فى المجلد ١٢ (١٩٣٦) ص ٦٦٨ عن انشاء جمعية شباب محمد فى باريس ، شكلها محمد المبارك وعمر بهاء الأميرى (نوفمبر ١٩٣٦) وهما من دمشق وحلب قالت :

ان الاسلام قد اصبح اليوم اوسع من ان يكون دينا يتعبد به الناس يدينون به وانما هو مؤسسة مالية كبرى ، ودعامة شرقية متينة الثقة وستلتف حولها امم كثيرة على اختلاف أجناسها بل وعلى اختلاف أديانها .

وللاسلام صفحة يجمع عليها المسلم وغير المسلم ممن يمتون بسبب الى تاريخه وماضيه فى الشرق الاسلامى والعرب على الحصول مسلميهم ونصرانيهم يرون فى هذا التاريخ الحافل مجدا موثلا ومصدرا يستلهمون منه مثلا عليا تحفظ بناءهم وكيانهم الخاص .

هذا وان العالم الذى يحتفظ اليوم بنزعاته المادية المختلفة وثوراته القومية بما فيه من تصارع قوى بين الفاشية والاشتراكية وتناحر شديد بين البشرية فى جميع انحاء الأرض لفى حاجة شديدة الى نظرة انسانية عامة لم يجدها فى الشيوعية واذاعاتها ، ولا فى الاشتراكية بل الفاشية ولا فى نصوص الفلاسفة المحدثين ، فلعله يجد فى الاسلام هـــذه النظرة والعاطفة التى ينشدها وان من اطلع على الحركات العالمية فى السنوات الأخيرة فى الشرق والغرب ايقن ان المستقبل على عبوسه خصب بالآمال اكثر مما يظن الظانون .

يا شباب محمد ويا جماعة دار الأرقم ليكن املكم بالله قويا فما هو بخاذلكم ابدا .

ولنذكر ما يؤيد ان أوربا اخذت تقر بمزايا المدنية الاسلامية واحدة فواحدة بعـــد ان جحدتها قرونا طوالا ، ذلك ان المؤتمر العالمى للتشريع الذى عقد فى لاهاى قرر أن التشريع الاســـلامى صالح لأن يعـــد مصدرا من مصادر التشريع الحديث (١٩٣٧) .

— ١٦ —

وكتبت الفتح عن طه حسين ومعارضته نهضة الاسلام فى الجامعة (م ١١ — الفتح ١٩٣٧) حيث عقـــدت فصلا عن الاسلام فى الجامعـــة فقالت :

الحديث عن شباب الجامعة المسلم ظاهرة عملية بدت لنا من بعض طلبة الجامعة المصرية منذ نحو سنتين اشترك هؤلاء فى جمعية الشـــبان المسلمين ، وان عـــدد هؤلاء الآن أكثر ممن كانوا قبـــل عشر سنوات ، او رابطة الوفاء للاسلام مهما اختلفت الكلمات او الجماعات الاسلامية

المتعددة ، فرابطة الفكر يجب أن ينشأ عنهـا تعاون بين المرتبطين بهـا نظر اثارة فى استمالة اخوانهم الذين لا يزالون خالية اذهانهم من حقائق الاسلام فيسرفوهم بها ويقفون عليها ، ومن ذلك مذكرتهم بجعل التعليم الدينى من مناهج الدراسة فى جميع الكليات الجامعية ، وتوحيد زى الطلاب والطالبات . وتحديد دراسة خاصة للبنات فى كلية الآداب ، وبناء المساجد فى كليات الجامعة وحركة فصل الجنسين .

ان هناك آلاف من طلبة الجامعة يطلبون تعميم الثقافة الاسلامية وفصـل الجنسين .

وأشارت الفتح الى ظاهرات ثلاث لليقظة الاسلامية :

اولا : ظهور صحف اسلامية بعد الفتح فى مصر والشام والعراق وتونس وغيرها .

ثانيا : بدا الحديث عن الشريعة الاسلامية واتسع بما ازعج جريدة السياسة الأسبوعية مناقضة حد السرقة وحد الزنا وقد رد عليها الشيخ محمد الخضر حسين (الفتح م ١٩٣٧/١١) .

ثالثـا : اهتمام الفتح الواسع بقضايا العـالم الاسلامى اساسا وقضية فلسطين تأخـذ مكانها فى قوة خـلال اعوام (١٩٣٥ — ١٩٣٧) مع قضايا الحجاز واليمن والجزائر :

تقول الفتح : وقد ساءنا ما قاله طه حسين بجريدة المصرى وهو يعبر عن رأيه الشخصى ويعلن تمسـكنا بالحق وتضامننا مع الأزهر الشريف من أن الجامعتين المصرية والأزهرية يطالبون بتعـلم الدين الاسـلامى بالجامعة والمدارس الثانوية وفصل الطلبة عن الطالبات ويعلنون ان الدكتور طه حسين لا يمثل الجامعة المصرية فيما بدا من آراء وتهجم على اخوانهم طلبة الجامعة الأزهرية فليرح الأستاذ طه نفسه وليعلم ان قوة الشباب لا تهزها تلك الأساليب الأجنبية الدخيلة .

قال طه حسين : أنا لا أعلم فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله نصـا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن ..

واذا لم يعرف الدكتور ذلك النص فهل معناه أنه غير موجود ، وهل يلزم من عدم معرفة الدليل على شيء عدم وجوده ، ومن قال ان الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيـــه من فقهاء المسلمين حتى يقـــام لرايه وزن فى الشئون الدينية ، وبعد فنحن نتولى تعريف الدكتور طه ما جهله حتى يعلم انه تطفل وتدخل فيما لا يحسن الكلام فيه (ص ٩٩٦ م ١١) .

كما اشارت الفتح الى اعتراض توفيق الحكيم على دعوة اســـلمة الجامعة (المصرى ٣ محرم ١٣٥٦) وقد رد عليه السيد محب الدين الخطيب (٩٩٤ م ١١ الفتح) قال : الجيل القائم الآن فى مصر والأجيال التى ستخلفه حلقات من سلسلة التاريخ الاســـلامى وهى لا تكون كذلك عن جدارة واستحقاق الا اذا اعترفت الجامعة المصرية بأنها الهيكل العلمى والثقافى للاسلام والعربية وأن من واجبها للاسلام الذى هو دين المصريين والعربية التى هى لغة المصريين أن تحمل لواء محاسنها وأمجادها كما تحمل لواء العلم المجرد ، والعقل الحر والفكر المفيد ، وكما أن الاسلام لا يقف فى طريق العلم فى مصر ولا فى غير مصر فيجب على هياكل العلم فى مصر وفى غير مصر أن لا تقف فى طريق الاســـلام .

وأشارت الفتح الى أنه قد اقيمت مناظرة عن تعليم الفتاة تعليما جامعيا وكتبت السيدة لبيبة احمد فى هذا الموضوع ، وكذلك عزيزة عباس عصفور وأشرف على ذلك الدكتور عبد الحمية سعيد .

— ١٧ —

وأشارت الفتح (فى المجلد ١٢ ـــ ١٩٣٨) الى ان طلبـــة الاخوان المسلمين فى الجامعة يطالبون بأن يكون منهاج الاصلاح الذى يوجه النهضة قائما على أساس اسلامية (٤ آلاف) الجامعـــة ودار العـــلوم والأزهر ومما جاء فى مشروعهم أنهم يعارضون حصر الفكرة الاسلامية فى حـــدود الواجبات الروحية والعبادية وأن ذلك أمر يتنافى مع طبيعة الاسلام :

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) فقاعدة الاسلام أن يعتنى المسلم بكل شئون بلده .

وأن هناك هيئة موحدة لها منهاج اصلاح اسلامى يتناول كل شئون

النهضة ويتوافر على وضعه وانفاذه جميع المواقف والقوى . لما ثبت من أضرار النظام الحزبى وفشله (واعتصموا) وانه قد وضع منهاج للاصلاح الذى يوجه النهضة على أساس يؤدى الى التخلص بالتدريج من الصبغة الغربية وقيود التقليد التى تصنع الحياة المصرية ونعود بهذه الحياة الى الأصول القومية الاسلامية فى التشريع والعادات والثقافة الاجتماعية والاقتصادية .

(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم بعد ايمانكم كافرين) وليس معنى الرجوع الى المنهج الاسلامى نقض الاتفاقيات الدولية ولا العدوان على الاقليات المواطنة والأجنبية ، ولا الاخلال بنظام الحكم النيابى ولا احياء مظاهر رجعية لا تتفق مع المدنية الصحيحة فان الاسلام خير كله وقد وضع لكل ذلك أفضل النظم وأعدلها **(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)** .

والعمل على توثيق الروابط بين مصر والأقطار الاسلامية العربية تحقيقا للأخوة المنشودة تمهيدا لاسترجاع الخلافة الضائعة **(انما المؤمنون اخوة)** .

— ١٨ —

وكتب السيد محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الاسلامية بحثا ضافيا عن مهمة الجمعيات الاسلامية فقال : عقب الحرب السابقة ظهرت حركات وطنية ودعايات قومية وقد يكون فيها خير ولكنها لم تقف عند حد الاعتدال واخذت تنظر الى الرابطة الاسلامية بعين الاستخفاف بل مدت يدها الى تمزيق أوصالها ونالت منها شيئا كثيرا ووجد الملاحدة والاباحيون فى هذه الدعايات مرتعا فأخذوا ينادون بازالة الفوارق بين جماعات الشعب ويريدون بذلك أن تهمل الجماعة أمر دينها وتنكث يدها من شريعتها ، فى تلك الأيام ظهرت كتب جاهر مؤلفوها بالطعن فى الدين ووجدوا من بعض ضعفاء الايمان القابضين على طرف من زمام الأمور مناصرة ومودة ووقعت الأمة يومئذ فى دهشة وتخيل أولئك الزائغون أن المسلمين انسلخوا من ايمانهم وأن القرآن المجيد أصبح مودعا فى الخزائن ليكثر من الآثار العتيقة ..

ولما اسرف هؤلاء فى الهجوم على الدين الحق وحاربوه فى خطة مكشوفة اخذ الشعور الدينى يهتم وينمو فى نفوس الخاصة والعامة من المسلمين حتى اتقد فى نفوس شباب موفقين وقام بعض دعاة الاصلاح يفكرون فى وسائل يدافعون بها من الحق ويردون بها هؤلاء الجاحدين على اعقابهم فسعوا الى تاليف جمعيات واصدار مجلات ، وكانت فى مقدمة هذه الجمعيات والمجلات جمعية الهداية الاسلامية ومجلتها فخطة جمعيتنا ومجلتنا الجهاد فى أعلاء كلمة الحق والرد على هؤلاء المنكرين على طريقة البحث وقوانين المنطق الصحيح ، وتهذيب الأخلاق وترقية اللغة العربية .:

الفصل الثانى

دعـــاة الاســـلام

— ١ —

كان من أكبر أعمال مجلة الفتح هى تربية جيـل من دعاة الاسلام وكتابه فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وليس البلاد العربيـة وحدها ، فظهر كتاب مسلمون يتحدثون عن القضـايا الاسلامية فى الهنـد وجاوة وبلاد تركستان ونجارى .

وظهرت أسماء عبد الرشيد ابراهيم (نجارى) وعبد العليم الصديقى (الهند) وعبد الله بن نوح (أندونيسيا) ومن الغرب واصل الكتاب الأمير شكيب أرسلان والدكتور زكى على ، ومصطفى صبرى شيخ الاسـلام فى تركيا وسليمان الندوى ومسعود غانم الندوى ومحمد تقى الدين الهلالى (المغربى الأصل) من بحر الهند ومن باريس عمر الأميرى وأحمد بلافريج ومن لندن عمر الدسوقى ، أما فى البلاد العربية فظهرت أسماء مصطفى السباعى (دمشق) وعجاج نور أحمد (بيروت) دكتور زكى على (جنيف) وبهجت الأثرى (العراق) ومحمد النيفر فى تونس ، أما من مصر فقد قدمت الكثيرين فى مقدمتهم عبد العزيز جاويش وحسين والى ومحمـد سليمان ومحمد أحمد الغمراوى ومحمد الهيهاوى .

وقد احتفلت الفتح بكتابات الطلائع من الشـباب المسـلم المثقف ووجهتهم توجيها نافعا ودفعتهم الى توسيع دائرة علمهم وحاول أن يحقق عن طريق كتاباتهم رسم صورة واقعية للمجتمعات الاسلامية وللتطورات التى أحدثتها حركة اليقظة الاسلامية وبذلك قدم لها وثائق ضخمة عديدة فى جميع شئون البلاد الاسلامية .

وقد وضـع السيد محب الدين الخطيب نفسه ومجلته (الفتـح) فى موضعها الحقيقى كحلقة تابعة للمنار وللدعوة الى الاصلاح التى حمل لواءها السيد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وكان هو مؤرخها والسائر

بها الى غاياتها حتى تسلم الأمانة الاخوان المسلمون بقيادة الأستاذ حسن البنا وكان للسيد محب الدين الخطيب دور فى هذه الخطوة فان الأستاذ البنا بدا كتاباته عن (الدعوة الى الله) لأول مرة فى مجلة الفتح .

وظلت الفتح تتابع الدعوة الاسلامية عاما بعد عام تنصح وتوجه وتقدم الخبره والتجربه . وقد نوه السيد محب الدين الخطيب بحزب الاصلاح الاسلامى الذى اسسه الشيخ محمد عبده ونوه به السيد رشيد رضا صاحب المنار فى مناسبات كثيرة وقال : ان كثيرين أشاروا الى أنهم تتلمذوا على الافغانى وعبده وهم منتشرون فى البلدان الاسلامية ، وكان السيد رشيد يرغب فى أن يدعوهم الى مؤتمر عام ليجعل لصوتهم قوة تقف فى وجه المستعمرين وتابعيهم والملاحدة واعوانهم .

اولا — الشيخ محمد عبده :

وقد تحدث السيد محب الدين الخطيب عن مفهوم الاسلام عند الشيخ محمد عبده (م ٨٢/١٠) قال : كان أعظم ما يباهى به الشيخ محمد عبده من عظمة الاسلام وأن اختص الله به هذا الدين من سلطان وانه ان كانت المسيحية دينا فالاسلام دين وشرع واذا كانت المسيحية تعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله فالاسلام (قد وضع حدودا ورسم حقوقا ولا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق وصوت نظام الجماعة وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى فى عدد كثير فلابد أن يكون فى واحد وهو السلطان أو الخليفة وهو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة فاذا فارق الكتاب والسنة فى عمله وجب عليهم أن يستبدلوا به غيره ما لم يكن فى استبداله مفسدة تعوق المصلحة فيه) من كتاب الاسلام والنصرانية .

ولما ولى القضاء الأهلى كان يأبى ان ينظر فى قضية يخالف فيها حكم القانون حكم الشرع وخاصة قضايا الدعارة (وقد اشار الى ذلك ابراهيم الهلباوى فى خطابه فى دار الشبان) ووافقته وزارة الحقانية على صرف هذه القضايا من دائرته الى دوائر اخرى وكانت احكام المحاكم الشرعية تلقى فى التنفيذ عقبات من جهة الادارة حتى اذا تولى الشيخ الافتاء بذل كل ما يملك من نفوذ وحجة ليتدارك هذا النقص العيب ، فالشيخ محمد عبده كان يرى أن من عظمة الاسلام كونه دين سلطان وحكم وقد دافع عن ذلك بلسانه وقلمه ، أما ما يتظاهر به الذين لا يقولون بأن الاسلام دين حكم

من اشادة بالشيخ محمد عبده فهو اما ليسردوا به أو لأنهم يرون ما كان يدعو اليه من اصلاح جهد لما يريدون بعد ذلك من خروج عن الدائرة .

اذا ذكرت عندهم معجزة من معجزات الانبياء تراهم حريصين على تاويلها وصرفها عن ظاهرها ولو ان الشيخ محمد عبده لا يزال بين ظهرانيهم لنبذوه بالرجعية والجمود لأنه يعتقد ان المؤمن لا يكون مؤمنا الا اذا امن بأن الأنبياء مؤيدون من العناية الالهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه ويسمون هذه المحاولة (اصلاحا اسلاميا) وهو يخالف الاصلاح الاسلامى الذين يدعو اليه ويحرض عليـــه .

ويرد السيد محب الدين الخطيب على امرين :

الأول : مسألة معجزات الانبياء التى تشعر بخرق العـــادة .

الثانى : ما تسلط على عقولهم من الاقتناع بأن سبب تأخر المسلمين جميعهم بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية على حد تعبير التفتازانى . وراحوا يدعون الى اسلام جديد غير الاسلام الذى كان يعرفه النبى صلى الله عليه وســـلم واصحابه المجاهدون الأبرار وقوام هذا الاسلام الجديد انه دين عقيدة وعبادة وأنه ليس دين سيادة وحكم وليس محاولة يحاولون أن يلبسوا الاسلام غير لباسه (م ١٠ الفتح ١٩٣٥) .

ثانيـــا ــ السيد محمـــد رشـــيد رضـــا :

وقد أولى السيد محب الدين الخطيب اهتمامه وتقديره برائد الصحافة الاسلامية السيد محمد رشيد رضا فتحدث عن وفاته فى المجلد العاشر قال :

آمنا أن اعمالنا تموت بموت مؤسسها فالمؤيد مات بموت على يوسف واللواء مات بموت مصطفى كامل ومحمد فريد والأخبار ماتت بموت امين الرافعى ، والأعمال التى أسسها السيد رشيد ولاسيما اكمال التفسير الذى أصدر منه اثنتى عشر جزءا وشرع فى جزئه الثالث عشر ، وما اظن ان مسلما خدم الاسلام فى هذا العصر بمثل ما خدمه السيد رشـــيد رضا بهذا التفسير العظيم لو أن الرجل كفى ادارة اعماله كلها وانقطع للتأليف والتدوين وكان فى أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها فى حياتهم لكان اعظم

انتاجا . كان النـــاس اذا أرادوا ان يمدحوا السـيد رشيد قالوا انه تلميذ الشيخ محمد عبده وقد سـار على طريقة تفسيره وأنا أقول ان السيد رشيد ساعده الوقت على التوسع فى العلم حتى تجاوز فيه مرتبة الشيخ محمد عبده ولاسيما فى الوقوف على متون السـنه ومذاهب الصحابه والتابعين واخبار الائمة فى كل ما تعرض صاحب المنار للكتابة عنه سواء فى مجلتـه او فى تفسيره او فى سائر مؤلفاته . وقد استفاد ذلك من حيث لم يتسع وقت الشيخ محمـد عبده للاشتغال بها وفى مقدمتها كتب شيخ الاسـلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والحافظ ابن كثير وأضرابهم وقد خالف الشيخ رشيد شيخه فى مسائل رآه فيها على غير الصواب فكان تعضيده للحق أقوى من تعضيده للصحبه والمحبة . وكان يرى أن موضع العقيدة فى التثقيف والتربية واعداد الرجال للعمل والألفاظ فبهج زمنا فى الدعوة الى تأسيس مدرسة يتخرج منها الدعاة المرشدون .

وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن دعوة السيد رشـيد رضا (م ١١ ص ٩٠٧) تحت عنوان (الجامعة الاسلامية التى كان رشيد رضا من دعاتها) فقال :

وقف حياته على تحرى معرفة ما جاء به هادينا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم طالبا ذلك من ينابيعه الأولى فى صفائها وبهائها ، ومحاولا أن يفهمه بأساليب الصدر الأول من الصحابة والتابعين والأئمة الأكرمين مستقصيا ما صح عنهم بالنقل الثابت عن الصادقين الثقاة ، وقد اطمأن على طول اشتغاله بالعلم عشرات السنين الى أن الاســلام دين القوة وأن حقائقــه لا تصطدم بشىء من حقائق الكون ، فهو يتحرى الاســلام الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويحرص على فهمه كما كان يفهمه أهله الأولون ، وقد نشر بهذه الطريقة نصف كتاب الله عز وجل .

المزية الثانية : التى انفرد بها عن أكثر المشتغلين بالفقه وعلوم الدين هو أنه قام بتحصيل العلم للعلم لا لمناصب الدنيا التى يتزاحم العلماء عليها ويتقربون الى اهل الدنيا للتقدم فيها ». لم يأمل أن يكون له منصب رسمى فى القضاء أو الافتاء ». ان الموازين التى تزن بها الأمور هى موازين الدين والعلم والحق والأحكام التى يصدرها على الحوادث مجردة فى أكثر الأحيان

من التاثر بميول الذين فى ايديهم مقاليد الرياسات ، اقول هذا ولا ادعى العصمة للسيد رشيد فقد كان بشرا كسائر البشر .

ثالثا — الأمير شكيب ارسلان :

وقد اولى الامير شكيب ارسلان المهاجر فى اوربا (جنيف) مجلة الفتح بقدر وافر من الدراسات العميقة لعديد من قضايا الاسلام .

يقول فى م ٤ (فبراير ١٩٣٠ — رمضان ١٣٤٨) :

وحقيقة الامر انهم يعرفوننى عدوا للاستعمار الاوربى اقاتله بعلمى منذ امسكت القلم ، اى منذ ٤٥ سنة ، وانى كنت للانجليز عدوا فى الحرب الكبرى بالقلم والسيف وجئت ومعى مائة وعشرون مقاتلا من جماعتى الى قلعة النخل يوم حرب الترعة ويحصون على هذه وغيرها ويحقدون من اجلها ، ولم يكن لى ان اطأ بقدمى ارضا فى بلاد المشرق الا ما ظللته راية الملك ابن سعود وراية الامام يحيى ولما اردت اداء فريضة الحج فى العام الغائب ولم اقدر ان امر ببورسعيد والسويس الا تحت شروط وضمن ظروف ولولم يسمحوا لنا لذهبت بنا الباخرة الى الهند وفاتنا الحج ، ولو لم يسمحوا لنا فى الاياب لما امكننا ان نشاهد والدتنا التى هى فى الثمانين من العمر .

ما هو الذنب الذى اقترفته ، زعموا انى أعاكس مشروعات حكومة فلسطين فما هى المشروعات التى يقصدونها ، ايعنون انى اعاكس الوطن القومى الصهيونى الذى هو طرد العرب فى فلسطين وتسليمها لليهود ، ومما يزيدهم حقدا انهم قد عهدوا أناسا يدعون ان لهم زعامة بين العرب هم يسعون بين أيديهم وينفقون بضاعتهم ويرجون دعايتهم ويخدمونهم لى ظهر قومهم حتى جعلوا لهم ان الأمة العربية هى من بعض رعاياهم ، هى نقطة استبصار العرب الذين يرون عربيا ليس له أن يطأ بقدمه وطنا من اوطانه من غير ما ذنب سوى جهاره السياسى عن قومه .

٢ — وكتب الأمير شكيب عن البلقان شرارة الحرب العالمية .

ويرى الأمير شكيب ارسلان أن اوربا تلقى جزاء تحاملها على الاسلام وانها تذبح نفسها بيدها وهى تظن أنها مجهزة بها عليه ، ولابد أن تذكر

اوربا كيف انها منعت الدولة العثمانية من دخول اثينا ومن اخذ تساليا بعد ان افتتحها بالسيف ، وانها اعلنت قبل هذه الحرب الطليانية عدم استعادة احد من انتصاراته ظنا ان الطليانيين يهزمون ، فلما ظهر العكس كانت اسرع من البرق الى بعض ما عزلت وقررت وجوب اخذ الطليانيين جميع البلاد التى احتلوها بالبلاد التى عجزوا عن اقتناصها .

وقال : شرارة الطليان هى شعلة النار الحاطمة التى ستحرق بها اوربا يوما من الأيام ويكون اصل السبب فى ذلك تعصب اوربا ورضاها بتبدل الحالة التى كانت فى الطليان بما يوافق مصالح الصقالبة مجاراة للروس ، ولو انتصرت الدولة العلية فى الطليان لما اختل التوازن ولبقيت كل دولة مكانها ولما نشبت حرب أوربية طاحنة تاتى على الحرث والنسل .

٣ — ويحذر الأمير شكيب ارسلان من خداع التغريبيين حين يقولون ان (أوربا لابيك) اى علمانية فيقول : هكذا ايها المسلم الساذج البسيط الذى يجهل حقائق احوال أوربة يخدعك نفر من المضلين اعداء الاسلام فى الباطن وادعاء اصلاحه فى الظاهر بقولهم لك : ان الامم الأوربية لم ترق هذا الرقى كله مع معارج الفلاح الا بعد ان نبذت الدين ظهريا وأنها الآن قد التحفت ثوبا قشيبا لا دينيا ، ومع الأسف اقول ان كثيرا ممن يعلمون الحقائق لا يرتعون عقيرتهم بانكار لتلك الترهات فتراهم خوفا من هذه الكلمة (رجعيون) يعلمون الحقيقة ويتجاهلونها ويسكتون عن التنبيه عليها وهم لا يجهلون خطأ المواطأة على الضلال .

وفى حديث آخر يقول : الخلاصة ان الامم الاوربية لم تنبذ عقائدها وعوائدها لا فى قديم ولا فى حديث وانها تعلم أن التربية العلمية لا تنفى التربية الدينية لأن الأولى تتعلق بالمادة والثانية تتعلق بالروح ، وان الروح الانسانية هى مصدر نهضة الانسان . والمضللون الذين يبثون تلك الأباطيل حبا بنشر الالحاد بين المسلمين لمجرد الالحاد ولأجل الصبغة الأوربية التى نريد أن تطبع المسلمين بها او توطيد السيادة الأوربية فى الشرق ويقول : هل فصلت المانيا الدين عن السياسة عندما قامت وزارتها

بتقليد أول شيء تباشره وهو تأييد العقيدة المسيحية ، هل فصلت انكلترا الدين عن السياسة عندما قامت مجالسها النيابية تبحث استحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ؛ هل فصلت بلجيكا الدين عن السياسة عندما اعلنت حكومتها عن برنامجها لتنصير السود من اهالى الكونغو هل فصلت هولندا الدين عن السياسة عندما قرأ عليها ناظر معارفها فى افتتاح مؤتمر المستشرقين أمام الف عالم من علماء الأرض ان هولندا لم تنشط فى الشرق الأقصى لأجل المكاسب المادية وانما كان غرضها من ذلك التنشط نشر محاسن النصرانية وكان ممن سمعوا الخطبة مصطفى عبد الرازق وطه حسين . وقال رئيس نظار المانيا السابق : ان رجوع اوربا الى المسيحية هو الوسيلة الوحيدة لوقاية اوربا من خطر البلشفة ، وقال فون باين رئيس الوزارة الالمانية : انه قد أزفت ساعة انشاء حركة وطنية كبرى قائمة على مبدأ المحافظة على المسيحية (م ٧ الفتح) .

٤ — ويلخص الأمير شكيب ارسلان (م ٧ الفتح) اسباب تأخر المسلمين فى العناصر الآتية :

١ — ترك عزائم القرآن التى قام بها سلفهم وفقدهم بذلك أعظم قوة معنوية .

٢ — اعراض علماء المسلمين عن العلوم الطبيعية وفقدهم بذلك أعظم قوة مادية .

٣ — الاكتفاء من الدين بالرسوم الظاهرة واللهو بالقشور عن اللباب .

٤ — اليأس من رحمة الله وفقد الثقة فى النفس .

٥ — استخذاء المسلمين أمام الأوربيين وفقد اكثرهم عزة الاسلام القومية ومن رأى نفسه حقيرا صار حقيرا .

٦ — مواطأة المسلمين للأوربيين على اخوانهم وخدمتهم اياهم ولو على محو الاسلام .

٧ — فقد روح التضحية التى سادت بها الأمم الأوربية .

٨ — عدم اقتداء المسلمين بالأوربيين فى تأليف الجمعيات والشركات مع انهم مأمورون بالتعاون مع الجماعة .

٩ — فساد الأخلاق وهو من اهمال العمل بالكتاب والسنة .

١٠— فساد اخلاق الأمراء خاصة وتصريفهم الأمور بحسب أهوائهم الشخصية لا بحسب مصلحة الأمة وسكوت الأمة عن جهلها عنهم .

١١— فساد العلماء الذين هم القوة المراقبة للحكومات وتدليسهم للأمراء الظالمين واحيانا لأعداء الدين .

١٢— العداوة القديمة بين المسلمين والمسيحيين واصرار اوربا عليها .

١٣— تفوق المسيحيين فى العدد .

١٤— تفوق الشعوب المسيحية فى المواهب النظرية على الشعوب الاسلامية ما عدا العرب والترك والفرس وبعض شعوب اسلامية صغيرة .

١٥— طمع الافرنج الشهير فى محاورتهم لجميع بلاد الاسلام .

١٦— ثبات الافرنج وصبرهم العجيبان وسيرهم على خطط مرسومة ويتبعونها منذ مئات السنين دون ملل ولا فتور وسير المسلمين فى الدنيا بدون برنامج .

١٧— تخييم الجهل على الأمم الاسلامية وبتراكم الأسباب المذكورة أعلاه .

١٨— عدم تجدد برامج التعليم واستيلاء الجمود على الفقهاء وكثرة الكلام عن الآخرة مع أن الاسلام دين ودنيا وآخرة معا ولا يتم بدون جمع أسبابهما معـا .

١٩— الدعامات الاستعمارية والوساوس البشرية بين المسلمين ومساعدة الجهل على رواجها .

٢٠— اجماع قوانين الاستعمار الأوربى فى بلاد الاسلام على بغض الأوربى للمسلم بطبعه .

٥ — وتحدث الأمير شكيب ارسلان تحت عنوان الدين والدولة توأمان (م ٨/ص ٧٥١ سنة ١٩٣٤) يقول : كثيرا ما زعموا أن الأمم الراقية قد فصلت الدين عن السياسة وانها قد بنت اسس دساتيرها على اخراج الدين بالكلية من الحكومة وانه لا يوجد حكومة متمدنة تقيم للديانة

وزنا وغاية كل هذا قالوه ورددوه وكتبوه فى كتب حتى جعلوه فى نظـر المستشرقين قاعدة مسلم بها وأوهموا عامة المسلمين خاصة ان أوربا التى هى مثال المدنية لا تحفل بالدين ولا تهتم به بعد أن قام أو قعد وأن الدين فى أوربا مفصولا فصلا تاما عن السياسة ، وان هذا الأسلوب الذى كفل لأوربا السعادة التى نراها فيها . وكم حملوا على الاسلام وقالوا انه جمع بين الدين والدنيا وأتانا بقرآن يجعل المعاملات فى نسق واحد على العبادات وان هذا سبب ما عليه المسلمون من التأخر وان الاسلام لا يمكن أن يكون له حظ من الرقى ما دامت حكوماته مهتمة بالمحافظة على القواعد الدينية ، وهى دعاوى فارغة عريقة البطلان : روجها من المسلمين دعاة الاستعمار ورواد السيطرة الأجنبيـة ، والمعروف أن الحكومات الاسلامية لم تترك الدين من قديم ولا حديث ولا زالت الحكومات الأوربية بأسرها عدا الفلاشفة ، تجد من أقدس وظائفها المحافظـة على الدين المسيحى ونشره ونفرى للدعاية له والأخذ بأيدى المبشرين به وكل يوم بل وكل ساعة تجد لهـا مظاهر رسمية حكومية تؤيد هذه الحقيقة والفرق بيننا وبينهم انهم يتولون كل سنة مئات الملايين من الجنيهات لأجل الدعاية المسيحية : اذا قالت أوربا ان الديانة شىء والسياسـة شىء لا تقصـد أنهـا أهملت الدين بل تقصد انها فصلت الدين من وظائف القسوس والرهبان ، هذا الفصل الأوربى قد حدث فى الاسلام : الصـدارة العظمى كانت مشيخة اسلامية هذه الرسالة للسلطان أو الخليفة لا يصدق فى شىء عن رئاسة ملك انجلترا مثلا على الكنيسة الايكيكانية ولا عن رئاسة ملك بروسة وامبراطور المانيا على الكنيسة اللوثرية .

٦ — ويتحدث الأمير شكيب ارسلان عن التجديد (م ٨ الفتح — القعدة ١٣٥٢) تحت عنوان اصبح التجدد عبارة عن السعى فى قتل الروح الاسلامى فيقول اجتهاد الفئة الكمالية المستندة اليوم لشئون تركية الجديدة فى قتل الروح الاسلامى فى الممالك البلقانية التى لا يزال فيهـا اقليـات اسلامية مثل بلغاريا ويوغسلافيا واليونان ، راغبة فيها فى الضغط على المسلمين فى أمورهم الدينية وفى أوقافهم وفى كل ما يعدو الى شعائرهم ،

وذلك حتى تكون احوالهم مساوية لأحوال الأتراك الذين فى تركية والذين تحرمهم تركية فى بكانتها الرسمية التعلم الدينى الاسلامى وتضع اليدين على أوقافهم وتستبد بها .

فتركيا الجديدة لا تكتفى بالسعى فى قتل العاطفة الاسلامية فى وسط بلادها ، باسم التجدد الذى يمور به على المقصد الأصلى الذى هو الالحاد بل تبذل كلمتها لدى الحكومات المسيحية البلقانية حتى يقتلوا هم فى ممالكهم الروح الاسلامية الباقية من تلك الأقليات من المسلمين الكماليون وإن كانوا يحاربون الاسلام فى وسط تركية فالاسلام هناك تقدير على المقاومة وتحفظ بروحه نظرا لكونه فى مملكة قديمة عريقة فى الاسلام مؤلفة من ١٤ مليونا من المسلمين ليس فيها سواهم تقريبا وقد أتى الهدم الكمالي بعكس ما كان يتوقعه الكماليون .

الاسلام فى تركيا قد ثبت فى وجه الاضطهاد الذى أطلقوا عليه اسم التجدد بسبب كثافة عدد المسلمين وعدم وجود خصم لهم فى ديارهم ، ولكن الفرق بين تركية وبين الممالك البلقانية بعيد جدا فهناك المسلمون اقليات ضئيلة ضعيفة ، بدلا من أن تكون تركيا ملجأ لهذه الأقليات الاسلامية المستضعفة فى بلاد البلقان تأتى هى بنفسها وتجهز عليهم وتسعى لمحوهم وذلك باغراء الحكومات المسيحية التى تلى أمورهم بالقضاء على حريتهم الدينية .

٧ — ويكتب شكيب ارسلان تحت عنوان « المؤامرة الغربية على الاسلام » فيقول : اما الأوربيون فهم لا يطيقون وجود غيرهم اذا ظهروا ولم يتركوا من الملايين الكثيرة من المسيحيين الذين سكنوا الأعصر الطوال فى اسبانية وفرنسة وسويسرة وايطاليا نافخ نار يقدر أن يقول انه مسلم ، وشنوا من الغرب على الشرق احدى عشر غارة صليبية كلما أطفأ الله نار واحدة منها أوقدوا غيرها وتمالأوا على الدولة العثمانية نحوا من مائة مرة فلم يكن تمضى سنة أو سنتان الا ويناجزونها القتال من وجهة وقد احصى أحد وزراء رومانيا المسيو دجوفارا عدد المؤامرات التى ائتمرت بها أوربا على الدولة العثمانية وعلى بلاد المغرب فبلغت مائة مؤامرة .

وتاريخ البابوات الغربى قل أن جلس منهم واحد على كرسى بطرس الا اغرى المسيحيين بحرب المسلمين ، ومن اغرب ما جاء فى هذا الباب أن كثيرا من مشروعات التقسيم التى دخلت فيها بابوات وقياصرة وملوك وأمراء وعلماء وفلاسفة تضمنت اجبار المسلمين على ترك دينهم مما يدل على أن هذه الفكرة لم تكن خاصة بالأسبانيول ولا متحصرة فى الأندلس بل هى فكرة أوربيـــة عامة وبينما ظهر الاوربيون على المسلمين فكروا فى منع الدين الاسلامى . ان من اسباب تأخر الاســـلام كونه عدوا لأمم لا تعرف الهوادة ولا تمل من المجاهدة ولا تكل عن السعى وانها بأجمعها متصفة برجولة تامة .

وان اللاتين من أسرع الشعوب فهما واسلمهم عقلا ، وان الجرمان من اوسعهم فكرا وابعدهم نظرا وأشد ثباتا وأصدقهم صبرا وان السلاف من اعظمهم اخلاصا وأشدهم اندفاعا الى غاية واكثرهم عددا وكل هذه الامم على تباين مانيها تجمعها جامعة فكرية واحدة هى : ان الاســـلام لا يحسن بقاؤه على الأرض .

رابعـــا ــ حسن البنـــا :

وكان من أبرز كتاب الفتح فى الفترة الأولى الأستاذ حسن البنـــا المرشد العام للاخوان المسلمين والذى بدأ كتاباته فى الفتح فى ١٤ يونيو سنة ١٩٢٨ تحت عنوان :

« الدعـــوة الى الله » .

حيث يقول : ما احوج الامة فى دور انتقالها الى قادة حكماء مرشدين ادلاء وهداة فضلاء يسلكون بها سبيل السعادة ويجنبونها اضرار الاندفاع، لا يزالون يتحسسون طريق النجاة وسيلة ممكنة وغير ممكنة من الطرق ، احيانا باستخلاص العبرة التاريخية واخرى بالمقارنة بين الحوادث الكونية وثالثة بما هدتهم اليه التجارب الطويلة والفطرة السليمة وما أرشدهم الله اليه من طرق الاصلاح وسبل النجاح : أولئك القـــادة هم صفوة الله

من خلقه وامناؤه على عباده وهم المجددون حقا الذين اشار اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى كثير من حديثه الشريف .

ان هــذه الأمة فى حاجة الى دعوة قوية فعالة تردها الى رشدها وعقيدتها بهدى نبيها ويرشدها الى معالم دينهــا وينقذها مما هي فيسه من الانحلال الأدبى والفساد الخلقى .

ولا يغرنك قوم من الكذبة يقولون : هذا عصر مدنية وتجديد ورقى فى المدارك والأفكار وثقافة حرة وحرية شاملة شخصية وغير شخصية ، وغير ذلك من الألفاظ يخدعون بها البسطاء ويخلبون بردائها الضعفاء ، ولولا ان هؤلاء القائلين ممن لم يستولى عليهم الافتتان والاعجاب بما يرون الى حد لا يفقهون معه دليلا ولا يذعنون لحجــة (ان يتبعون الا الظــن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) لناقشناهم دليــلا بدليل وساجلناهم حجة بحجة وبينا لهم أن الحق غير ما يظنون اما الآن فأوجه هذا النداء الحار الصادق الى من يحس مثلى بداء هــذه الأمة ويشعر بين جوانحه هما مبرحا وجوى لاصقا ، وقد جاهر هؤلاء واظهروا كوامن نفوسهم الا أنهم راوا الميدان خاليا وانسوا من اهل الحق تغافلا فاندفعوا يطلبون الطعن وحدهم والنزال وما هو الا أن يقوم اهل الحق بتاييده وبيانه حتى نتحرر من هؤلاء وينحسر طغيــانهم ، ويتقهقروا الى مراكزهم اذلة وهم صاغرون . انه لم ينل من هذه الأمة أحد مانال منها باسها من نفسها وسكوت قادتها الغيورين عن اصلاحها وقد وعدنا الله بالنصر وكتب على نفسه المؤازرة للهداة والمرشدين .

ان الدعوة واجبة علينا معلقة باعناقنا فان ظفرنا منهــا بما نحب من خير هذه الأمة وهدايتها فذلك هو المامول بحول الله وعونه والا فحسبنا ان نكون قنطرة تعبر عليها فكرة الدعوة والارشاد الى من هم اقدر منــا على النقد حسبنا أن نكون حلقــة اتصال بين تقدمنا وبين من سياتون بعدنا والا فحسبنا أن نعذر الى الله ونؤدى الأمانة ونقوم بالواجب .

تلك ثلاث مراتب من أغراض ليتضح لنا كيف أن الدعوة الى الله فريضــة لا يخلصنا منها الا الآداء ولا يقبل فيها عذر ولا هوادة .

انى لأشم بوادر النجاح واستنشق عبير الفوز من تلك النهضة الارشادية التى تمشت فى نفوس الشباب فخلقت منهم دعاة صادقين ، وكان من اثارها تلك الجماعات النبيلة المقصد وفى مقدمتها جمعية الشبان المسلمين وجمعية مكارم الأخلاق وغير ذلك ، وانا لنرجو بعد ذلك مظهرا فتلك باكورة أعمال تتلوها أعمال » .

كتب الامام الشهيد هذا المقال فى ١٤ يونيو ١٩٢٨ ، فى الفتح كمنطلق لمبادرته ثم اتبعه بالمقال الثانى ٥ يوليو ١٩٢٨ تحت عنوان (على من تجب الدعوة) . وقال أنه (١) على الحكومة (٢) دار النيابة (٣) الأغنياء والثراة (٤) العلماء (٥) الطلبة — ثم جاء المقال الثالث تحت عنوان سبيل الدعوة (٣٠ اغسطس ١٩٢٨) ثم كتب عن مكتبة المنزل (ص ١٧٠ م ٣) .

٢ — ثم لم يلبث أن كتب تحت عنوان (السبيل الى الاصلاح فى الشرق) ٢٥ ابريل ١٩١٩ قال : الى هذه الأمور الثلاثة يجب أن يتوجه عناية الزعماء فى الشرق .

العلم — الاقتصاد — الحقوق السياسية

أما العادات واما العقائد والأديان واما الآداب ومظاهر الحياة الاجتماعية فلا سبيل الى نقلها من امة الى امة الا بفعل الزمن وحده ، الاوامر والمراسيم والقوانين والقهر والجبروت كل ذلك لا يفيد الا هياج الخواطر وثوران النفوس تركيا والأفغان سارتا فى طريق متهور أهوج فارهبت الحكومة الأولى شعبها فى دينها ودنياه ، يا زعماء الشرق حنانيكم فالأمر جلل ، يجب أن نفرق بين ما يؤخذ وما يترك ، فليس مظاهر الحياة الأوربية كلها صالحة ملائمة عندنا فى الشرق ، فليكن قائدكم فى الاختيار المنفعة وصالح المجتمع ، لا الهوى والشهوة ومصلحة طابعة خاصة . ويجب أن تجعل لتاريخنا وحضارتنا وماضينا نصيبا من التقدير والاجلال فلا نفنى فى غيرها من الأمم ولا ننكر فضلا سجله التاريخ لأسلافنا ولهج الزمان بذكره وعرفته لهم الأمم جمعاء وكان دعامة من دعائم المدنية الحالية .

علينا أن نجعل هذا الاسلام المتمكن فى نفوس أهله أساسا للنهضة الشرق الحديثة ،

اقصد الى عدة أمور : أن نحدد غاية أساسية توجه اليها قوى الشرق ، أن تكون تلك الغاية ملائمة للمزاج الشرقى متفقة مع روحه العامة الذاتية ، أن تستند النهضة الى الاسلام فى نظمه وروحه ومبادئه ، أن تعنى بالمهم من المظاهر كالعلم والاقتصاد ، وأن توحد جهود أبناء الأمة ثم الأمم الشرقية ، أن نحترس فى نقل ما تأخذه من الاجانب ، فلا تأخذ إلا ما ينفعنا نفعا حقيقيا » .

٣ — ويواصل الأستاذ حسن البنا مقالاته فى الفتح برسم خطوات الدعوة الى حمل لوائها فيكتب تحت عنوان الجهاد فى سبيل الله ومنزلته فى الاسلام (١٩٢٩/١/٢٤) يقول : الا فليعلم المسلمون أن أول فرائض الاسلام وأقدسها هو الجهاد فى سبيل الحق وقد علم ذلك السابقون الأول فكان كل واحد منهم على أتم الاستعداد لاجابة الداعى ويلبى النادى عن نفسه وماله لا يرى الايمان الصحيح الا أن يجود بكل ما يملك فى سبيل دينه وعقيدته فعاشوا أعزاء موفورى الكرامة . ثم أراد أمراء السوء وقادة الافساد أن يخدعوا المسلمين عن دينهم وينزعوا أصل العزة من نفوسهم ويجتثوا ذلك الشعور النبيل : شعور التضحية فى سبيل الحق الذى يتحلى به المسلم ويفخر به فحببوا اليه الخضوع والاستكانة والهوهم بأنواع من القرب ليست شيئا عند الله بجانب الجهاد فى سبيله والدعوة اليه ومع تطاول الأمر أصبح ذلك الفتور صفة من صفات المسلمين لا يعرفها الاسلام ولا يأمر بها وظن المسلمون أن الاسلام محصور فى الصلاة والصيام والزكاة والحج وما اليها غافلين عن ذروة ذلك وسنامه وسياجه المتين هو الجهاد .

أكتب هذا والاسلام يحيط به الاعداء وتدبر له المكائد وترسم لغزوه وانتزاعه من نفوس أهله الخطط ويحاصره الطامعون من جهة والمارقون من جهة أخرى والمخدوعون من جهة ثالثة وحتى اليهود وتنبه مطامعهم أمام عقلية المسلمين وهكذا يطمع فى عزة الاسلام من لا يدفع عن نفسه .

ايها المسلمون : ان ربكم عز وجل انما يريد من امة محمد صلى الله عليه وسلم وهى خير أمة اخرجت للناس ان تكونوا قادة العالم وسادة الأمم ، ولن يتم ذلك الا بالتضحية والجهاد ، وقد اعلى الله سبحانه وتعالى هذه الارادة السامية على المسلمين فى قوله « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » .

تقدموا ايها الاخوان المسلمون الى ميدان الجهاد بنفوس راضية ملؤها الغيرة على الاسلام والايمان الصادق وفكروا فى العمل الجدى فقد مللنا الكتابة والخطابة .

٤ ـ ويواصل الاستاذ حسن البنا فى الحديث عن الدعوة الاسلامية ويواجه النظر الى بعض المحاذير فيكتب تحت عنوان « احذروا من الناس بسوء الظن : نوبة الهرمزان (م ٥ الفتح ص ٦٥٥) يقول :

فى مصـــــر هرمزيون كثير
جاهروا بحرب الاسلام أمدا طويلا

وسلكوا الى ذلك كل الوسائل وكأنهم استشعروا الحقد والفشل أمام هذا البصيص من اليقظة الاسلامية وطاش سهمهم ، ولم يعودوا من الأمة بعد البراءة منهم ما دروا أن خطة المداورة تفيدها الحرمان والسفر..

وها نحن أولاء نرى الآن خطة متغيرة ورجالا يعلنون توبتهم ويبرءون مما اجترحوا معتذرين بالشباب تارة وبالجهل تارة أخرى ويحاولون خديعة الشبان المسلمين بمثل هذه الخدع لينضموا الى صفوف القيادة فيصلون تحت ستار التوبة الى ما لم يصلوا اليه باساليب العداء والتشهير ، وليس أحد منهم بمتصور فى دعوته ولن يرزقهم الله نجاحا وان استعانوا بشتى الاساليب فان فى تعبئة الشبان المسلمين ما يحول بينهم وبين ما يريدون ، وشوكة الاسلام اقوى وأشد مما يظنون .

وانما نكتب هذه الكلمة تبصرة وذكرى ، وحتى لا نؤخذ على غرة وتنطلى علينا حيل هؤلاء فاذا انكشف الأمر ندمنا حيث لا ينفع الندم .

ولا نريد أن نرد على تائب فان أكثر ما نسر له أن ترجع الناس كلهم

الى هدى الاســلام ويدافعوا عنــه ولكنا لا نريد كذلك أن نكون اغرارا يستخفنا السراب وتغرنا الظواهر فيتقبلهم العاملون لدين الله وليحترسوا مما يحتمل أن يكون وراء ذلك من مكائد هى اخفى من دبيب النمل »

وكان الأستاذ البنا يشير الى ما أذيع فى ذلك الوقت من توبة هيكل وطه حسين وعزمى وغيرهم .

٥ — وواصلت الفتح متابعة نشاط الأستاذ حسن البنا فتحدثت عن نشاط جمعية الاخوان المسلمين فى الاســماعيلية وشبراخيت والمحمودية (حسن البنا ، حامد عسكرية ، احمد السكرى) .

وعندما نشرت الفتح خطابه فى ذى القعدة ١٣٤٩ أرسل اليهم يقول:

ما كنت أود أن نتحدث عن جمعية الاخوان المسلمين الآن وهى نبت لم يتكامل نموه بعد وكنت أوثر السكوت حتى تنطق آثار الجمعية بغاياتها ويراها الناس فى جهودها ويسمعون صوتها بلسان اعمالها ولا أعتقد انى أديت عشر الواجب على واصارحك بأنى وجــدت من الاهلين هنـــا فى الاسماعيلية تشجيعا كبيرا وتقبلا حســـنا لكلمة الحق واستعدادا عظيما لمعاضــدة الدعاة الى الله وهم يحبون دينهم كل الحب ويتفانون فى الذود عنــه .

٦ — ويتحدث الأستاذ حســن البنا عن القرآن الكريم ووســـائل المحافظة عليه (م ٥/٥٤٠) يقول : منذ امتدت اليد الأجنبية الى منـــاهج التعليم اخذت العنــاية بالقرآن تضعف وتتضاءل واخــذ رجال التربيـــة والتعليم وجلهم من الأوربيين أعداء الاسلام وكتاب الاســلام الذى يرونه شبحا مخيفا يناوىء مطامعهم وآمالهم يعملون على اقصـــائه تدريجيا من المناهج بحجة أن المدارس علمانية وســـاعدهم على ذلك روح التقليــد الأوربى التى نمت ونمت فاستطاعوا أن يحذفوه رأسا من التعليم الثانوى والعالى ثم الابتدائى تقريبا بعد ذلك ؛ وحصره فى دائرة ضيقة هى مكاتب الاعانة والمكاتب الأولية فى برنامجها القديم ، ولم يقف هذا التيار ضـــــد القرآن عند هذا الحد بل اخذ يقوى ويشتد واذا بمكاتب الاعانة تطاردها

المدارس الالزامية وليس من منهاجا حفظ القرآن وصارت البقية الباقيـــة من هذه المدارس تغلق تباعا أمام عدم الاقبال وتضييق الوزارة وخطرها فتح مكاتب جديدة رغبة فى تعميم التعليم الالزامى حتى صرنا نعتقد أنه لن تمضى سنوات قلائل حتى تصبح هذه المكاتب لا عين ولا اثر .

ولما كان المطلوب هو أن يتم التحفظ فى أربع سنوات ما يمكن أن نحفظ ومعناه أنه اذا لم يكن نحفظ شىء لكثرة المواد وتزاحمها كانت هذه المدارس غير مسئولة لأنها نفذت المنهج الذى حددته الوزارة وكانت النتائج الملموسة هى استحالة حفظ كتاب الله على النشء الحديث وانقراض الحفظة بموت من يحملون القرآن من الفقهاء وضياع اللغة العربية التى ما كانت العناية بها يوما من الأيام الا نتيجة من نتائج العناية بالقرآن ، ويترتب على ذلك نسيان المسلمين لأصل دينهم وقطع الصلة الحقيقية بينهم وبين كتاب الله ولئن دام هذا فان اليوم الذى ينزع فيه القرآن من الصدور ويمحى من السطور أصبح قريبا .

ثم دعا الأستاذ البنا وزارة المعارف ان تجعل القرآن مادة أساسية فى امتحان اجازة التدريس فى الأزهر ودار العلوم ومدارس المعلمين الأولية وبذلك تضمن مائة حافظ على الاقـل كل عام يفهمون كتاب الله ويعلمون أوجه فهمه واعجازه .

٧ — وفى فتح عام ١٣٤٨ الهجرى (يونية) ١٩٢٩ وجه الأستاذ البنا خطاب الهجرة فقدم منهجا كاملا للنظام الاسلامى فقال :

مجمل ما ترمى اليه الدعوة الاسلامية لصالح الفرد والأسرة والامة والعالم ، جاء للعـــالم بتشريع حكيم قويم نظر الى الفرد فأعطا كل قوة من قواه حقها ومنع عدوانها على غيرها ، حرر الفكر من قيود الوهم ، ومنح العقل حق النظر فى كل ما يحيط به من مظاهر الكون ومساتير الوجود وحجزه عن أن يتطاول الى ما لا تدركه قوته ولا تتحمله طاقته .

فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمـــة

ونظر الى الشـهوة والعاطفة فصرفها الى الحب الصالح المعتبر : حب الفضيلة وتقديسها وحبالانسانية العامة والعمل للمجموع وعقلها منالتطلع

الى سفاسف الامور ومحقرات الذات واباح لها التمتع بما فى الطبيعــة من جمال وروعة وجعل لها من ذلك مرتعا هانئا ومرعى خصبا ونظر الى الجسوم فاعطاها ما تحتـــاج اليـــه من قوة ونمو وحرم ارهاقها بضروب العبادات والقربات ونادى مناديه (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) و (ان لبدنك عليك حقا) فأعتقها بذلك من صنوف العذاب وأنواع التكاليف المرهقة التى كان يعتقد اربابها أنهم لا يدخلون بدونها ملكوت السموات .

ونظر الى كرامة الفرد الانسانية وأعطاه قوة المجموع ينطق بكلمتهم ويجير عليهم فالمسلمون عدول بعضهم على بعض يسعى بذمتهم أدناهم ، ذلك نظر الاســـلام للفرد فى عقله وجسمه وعاطفتـــه وكرامته ، أفرايت من الفلاسفة الأقدمين أو الساسة المحدثين ، من قدر حقوق الفرد حقهـــا كما أناله الاسلام اياها ، كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا
كما اناله الاسلام اياها ، كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا
ونظر الى الأسرة فاحكم نظامها وثبت أسسها على أمتن الدعائم فى نشأتها وحياتها ونهايتها ، ونظر الى الأمة فسوى بين افرادها وعدل فى طبقاتها وجعل الشرف والسيادة فيها منوطا بالجد والتقوى وعلو الآثار وبين لكل طبقة واجبها وما لها وما عليها ففصل بكلمة الحق بين الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم وأخضع جبروت الحكومة لقوة الشعوب وجعل الأمر شورى بين المسلمين وحفظ صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم فجعل منها هداة خير وقادة بر يضربون فى الأرض يرشدون الناس بأمر دينهم ويبلغونهم دعوة دينهم .

ومما يدمى القلوب ويدعو [illegible] ان نرى كثيرا من [illegible] المسلمين المتعلمين التعـــليم الراقى ، حتى المتخصصين فى التـــاريخ منهم يجهلون حوادث التاريخ الاسلامى [illegible] الجهل ، ومنهم من يعلم عن الثورة الفرنسية اكثر مما يعرف عن المبعثـــة المحمدية ، ومن يعلم عن المذاهب الدينية فى أوربا ونشأة الجماعات المسيحية من بروتستانت وبريزبيت وغيرها أكثر مما يعلم عن خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص ، بل منهم من يجهل كل الجهل اسماء قواد المسلمين وعظمائهم فان سألتهم عن المثنى بن حارثة أو النعمـــان بن مقرن أو القعقـــاع بن عمرو لاجابك

باللا أدريه بل قد يكون منهم من بلغ من اسفاف الفكر الى ان يعد العلم بهذا التاريخ المجيد تاخرا وجمودا وقد يكون هناك بعض العذر فان برامجنا المدرسية لا تحوى من تاريخ الاسلام الا نذرا يسيرا .

٨ ــ وهاجم الاستاذ حسن ابدا مجلة الحديث الحلبية لخطتها التغريبية (م ٤) يقول : هل تسيرون أنتم على هذه الخطة حقا . وهل تقدرون جانب الاسلام والعربية فى كتاباتكم وهل تبشر (الحديث) بهذه المبادىء ، ذلك ما لا نسلم لكم به ولا نراه فى مجلتكم التى أوسعتم صدرها وجعلتموها منبرا لأولئك النفر الشعوبيين الذى عرفهم الناس جميعا فى مصر وغيرها بسماتهم وأسمائهم واستهانتهم بالأديان وتهجمهم على الاسلام وغضهم عن العرب واقتنائهم بكل ما يصدر عن الغرب من حسن ورديء ونافع للشرق وضار فحشوت مجلتك بتعسفات الدكتور طه فى العلم والدين والأدب وسموم سلامة موسى واسماعيل مظهر والشيخ الزهاوى واذنابهم وبالغت فى صوغ عبارات المدح والثناء لهم وهم الذين هاجموا الاسلام فى ارسخ عقائده وكادوا للقومية العربية فى أحسن مزاياها ورأيناك مفرط حرية الفكر (لسلامة موسى) وفيه من المغامز ما لا يتسع هذا المقال لنقله وتشيد بكتابى الشعر الجاهلى والأدب الجاهلى وتنتصر فيهما لأستاذك وقد أجمع العقلاء على ردهما وتنشر القصيدة الثانية للزهاوى وكلها انكار للبعث والروح وتنشر لكاتب المازنى مقالا بعنوان (خديجة) أساء به الى مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين رضى الله عنها الى ما فيه من خلط وشطط ولم تعلق على ذلك بكلمة غير أنك نقلت حديث الافك من البخارى وكان يجب عليك كصحفى مسلم أن تربا بصحيفتك وقرائك عن نشر مثل هذا المقال واذا رأيت عدوا من أعداء العرب والاسلام يسيء الى العرب والاسلام تنشره فكان المنتظر منك ان تعلق عليه بما يفيد تحامل مؤلفه فكيف يتفق كل ذلك مع قوميتك العربية ودعوتك الى صيانة الاسلام من عبث العابثين .

وشيء آخر ذلك هو أن الناس جميعا يعلمون ان هذا الانقلاب التركى وما كان ينويه أمان الله فى الأفغان هو عداء كامن للعربية ومحاربة صريحة

للاسلام وانسلاخ عن شريعته ، ومع هذا فأنتم تحبذونه وتنشرون فيه كلمات التشجيع والاغراء أمثال كلمة الروح المدنى فى تركيا للأستاذ عنان ولم تعلقوا عليهما .

اما ثالث ما نشرتموه للأستاذ فيليب حتى وفى آخره بعض من فضل العرب على اوربا وبعض الذين كتبوا فى ذلك حتى من المستشرقين مبالغين فيه ويرجى لنفسه ان يكون أفضل فى وفائه لقومه من المستشرقين الذين لا يمتون اليهم الا بصلة الاعتراف بالجميل ولم يستدركوا ذلك عليه وكأنهم يريدون بذلك ان يشايعوا هذه الفئة من الشعوبيين الحديثين وأين هـذا من دعوى التمسك بالقومية العربية المجيدة .

هذا بعض ما نستشهد به على مخالفة (الحديث) للخطة التى تدعون كتاب الشرق الى العمل عليها ويخيل الى ان الحديث مسوقة بآراء طائفة الشعوبية المتطرفة أكثر مما هى مسوقة برأى صاحبها ان كانت خطته هى التى ذكرها فى كلامه .

خامسا — عبد العليم الصديقى :

وتحدث الفتح عن الداعية الاسلامى عبد العليم الصديقى وجولاته فى جنوب شرق آسـيا للدعوة الى الله (م ١ الفتح — ١٩٣٢) فيقول : انه فى طليعة علماء الاسلام الذين درسوه حق درسه وعرفوه معرفة تمكنهم من الدعوة اليه والذب عنه كما درس العلوم العصرية والآداب الانجليزية دراسة تامة ، وهو يرتجل خطابه باللغات العربية أو الهندية أو الفارسية او الانجليزية بدون تلعثم ولا تريث ولا يستعين الا بذاكرته الوقادة وقد درس الأديان والملل والنحـل درس تمحيص وتحقيق ، ووقف نفسه للتبشيـر بالاسلام وبث تعاليمه السامية بالسياحة فى الأقطار الاسلامية ومكافحـة المهاجمين عليه فى الداخل والخارج ، وله مواقف محمودة مع دعاة المسيحية وبراهمة البوذيين ومبتدعة الفرق الضالة كالقاديانية والبهائية وله سياحات متعددة فى شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها وسياحات فى برما وأفريقية وجاوة وبلاد الملايو (ملقا) وسومترا وغيرها من بلاد الله . وهو يقوم بها لتأدية ما تطيب له نفسه وهو بث الاسلام والدفاع عنه فى كل بلد ينزله

فيسلم على يديه جم غفير من النصارى والبوذية والمجوس ، وفى سنغافورة يتنقل بين معاهدها ومساجدها ونواديها وقد اسلم على يديه احد رجال القانون المحامى س. ى. ديت والانجليزى ويليام هيرالد سندوتش ، وثلاثة من الصينيين ، وهو يواصل سفره الى جاوة والصين واليابان وجزيرة مدغشقر .

سادسا — الشيخ عبد الرشيد ابراهيم :

وتتحدث الفتح من الشيخ عبد الرشيد ابراهيم تلميذ جمال الدين الافغانى وداعية الاسلام فى القوقاز وتنشر له فصولا من التوجيهات الاسلامية ، حيث يدعو الى التخلص من التقاليد الجاهلية والافرنجية وايقاظ المسلمين للاستمساك بوجودهم وذاتيتهم حتى تكون لهم افكار خاصة مستقلة كل الاستقلال مع الاحتفاظ بالمبادىء الملية والمقاصد الدينية .

ويقول : اننا قلدنا الافرنج فى الخير القليل والشر الكثير حتى لو دخل الافرنج جحر ضب — كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم — لدخلناه .

ويقول : ان ولاة الأمور والزعماء اصبحوا كالآلات تتحرك لتنفذ ارادة غيرهم ، اما التعامل بالقرآن فهو مستبعد لأن الخبير الفلانى من خبراء الغرب زعم لهم أن الاسلام بطبيعته غير قابل للاصلاح وغير مستعد لايلاف روح العصر المتمدن بترقى الحضارة والعلوم . ليس فى الامكان اخراج هذا الهذيان من اذهان زعماء المسلمين فى القريب العاجل لأن هذه السموم تمكنت من أرواحهم ، ولو تخلص المسلمون من هذه الأهام الفاسدة وعبروا الى صحيح العقائد لتعارفت ارواحهم وانتقلت قلوبهم الى اعادة مجدهم . ان المسلمين لا يسمح لهم ايمانهم بالله أن يقنطوا من رحمة ربهم فى اعادة مجدهم ، ولا تسوغ لهم عقيدتهم ان يستسلموا للذل ولا يجوز لهم التقاعد عن اعلاء كلمة الله فاذا استقام المسلمون وجدوا أبواب رحمة الله تفتح لديهم ».

سابعا — عبد العزيز جاويش :

ويقول الشيخ عبد العزيز جاويش : ان الأمة اذا كان لها فى قوانينها ونظاماتها صبغة من دينها كان لهـــا أكبر وازع من العقيدة والايمان على تقييد الشرور وكبح جماح النفوس عن غوايتها دون أن تقف بحدود الرزائل والفضائل عن نظرة الشرقى وخدمة الحكومة .

ثامنـــا — عبد الباقى سرور نعيم :

ومن أبرز كتاب الفتح فى السنوات الأولى هذا العالم العلامة الذى كان يملك اسلوبا مرنا واداء طيبا فى هـــذا الوقت المبكر يقول : الحديث عن الاسلام بوصفه دين وشريعة عامة وحكومة ونظام أخلاقى فهو قد جمع بين شئون الدين وشئون الدنيا ، والمسلمون مطالبون بتطبيقه على شئونهم الدينية والدنيوية ، وفى العصور الأخيرة ظهرت آراء ونبتت أفكار ووضعت مشاريع ترمى الى التقليل من تطبيق الشريعة الاسلامية واحلال الشرائع المدنيـــة الأجنبيـــة شيئا فشيئا . والسر هو سياسة التعليم حيث كانت تلك الحكومات لا تفرق بين تعليم دينى وتعليم مدنى ولا تضع لكل منهما حدودا ولا تحيط كل منهما بحواجز تفصله عن صاحبه وتمنعه من الاتصال به ، يخرج المتعلم من المدارس المدنية وهو يعلم شئون الدنيا ويجهـــل شئون الدين لأن تعليمه قصر على تعلم المعارف التى ترتبط بشئون الدنيا وحال بينه وبين تعلم الاسلام كما هو ، كذلك فى المدارس الدينية فخريجها غير عالم بالمعارف التى ترتبط بشئون الدنيا فكل يتجه الى ما يعلمه ويحارب ما يجهله ان سياسة التعليم التى دبرت بأيد غـــير أيدينا فتولى ابنائنـــا المتخرجون تحت هـــذه العوامـــل مناصب الحكومات الاسلامية وشرعوا فى تتميم ما قضت به سياســة التعليم من الرغبة فى حصر الاسلام — من حيث هو دين وشريعة ونظام أخلاقى — فى دائرة ضيقة فى وضع نظام لهـــدم الاسلام أنكى من سياسة التعليم التى منيت بها البلاد الاسلامية أما الغرب فقد وكلوا الى أمكر رجالهم وأخبث دهاتهم أمر سياســـــة التعليم فوضعت خططه بين أمهر الرجال ممن درسوا تاريخ الاســـــلام وعرفوا تصوراته وتولى هؤلاء الرجال المراقبة على المدارس الحديثة فطاردوا تعليم الدين

فيها ويخصصوا الحواجز بين المتعلم ومن الوصـــول الى فهم دينهم فشبوا وهم يجهلونه فنشأوا وهم يحبون غيره ؛ ولا سيما اختير جماعة منهم ليكون من بينهم حماة الاسلام وتثبيت الكيان له فكونت عصابة اقل ما تقول فيها انهـــا لا ترغب فى تطبيق الشريعـــة الاسلامية على شئون الحياة وترى بأن تقوم فى البلاد الاسلامية شرائع الامم الاخرى .

تاسـعـا ـ الشيخ محمـد سليمان :

ومن نماذج ما كتب الشيخ محمد سليمان ا م ٩ ـ ١٩٣٥ / قوله :

لما كان الاسلام دينا وجنسية وقد رفع الحدود بين الامم اللاتى تدين به وكره أن يدعى فيها بدعوة الجاهلية وجعل اصحابها جميعا اخوانا يؤلف مجموعهم كتلة لا فضل فيها لعربى على اعجمى الا بالتقوى ، ولما كان ذلك كذلك لابد للمجاميع البشرية من رابطة تتعصب لهـــا وتعتصم بعروتهـــا فانه ومع دين التوحيد ودعوته للاتحاد كان لابد المسلمين من وحدة عامة وعصبية عامة ولسان عام وقد نبت الاسلام عربيـــا وبعث على لســـان رسوله العربى ونزل قرآنه بلسان عربى فصيح لهذا يجب أن يمتزج الفرع باصله وان يتحد الاسلام بالعربية وان يكون لسانها لسان شعوبه قاطبة ، وقد نجحت هذه النظرية اتم نجاح ومن اخلاص المؤمن بهـــا عمت ذلك المنشط الآسيوى الافريقى الى حدود جبال البرنات فى أوربا وعموما نعمت به علماء الاجماع الى الآن واصبح لسان العرب لسان الاسلام تتعلم به شعوبه وقد الف الاعجام بلسان العرب حتى كادوا بدعوتهم الواقعيـــة أن المسلمين الذين انتظمهم القرآن بلسانه كانوا مسلمين عربا لا فرق بينهم ولا يحس سيبويه ونفطويه والحسن البصرى وابن سيرين وابن ســـلام والزمخشرى والفارابى والفيروزبادى وغيرهم وغيرهم ، لا يحس أحد منهم ولا يقيل ولا يرضى أن يقول انه اعجمى يخدم العربية ، بل لا يدرى هذا المصطلح ولا يعجبه اذ الجميع متساوون كاسنان المشط . وانه ليكفينى فى هـــذا شـــهادة الزمخشرى بين أعلام القرن السابع حيث يفتتح كتابه المفصل فى علوم العربية فيقول : الحمد لله على أن جعلنى من علماء العربية وجبلنى على التعصب للعرب والعربية وانى لى ان انفرد عن صميم ابصارهم وامتاز وانصدى الى لفيف الشعوبية وانحاز .

على هــذا مر اثنا عشر قرنا ولم يفكر مسلم أن يترجم القــرآن ، حتى اذا جاء أمر الله ونسى المسلمون الآخرون سر تقدم المسلمين الأولين عادت تلك الحروب الاعجمية تثب وتطهر وعادت لها السنة الشعوب تتكلم بها وتتخاطب وانتشرت وتقطعت الوحدة العامة بين المسلمين وزادت الحال جرؤ من غمر قلبه على القرآن بترجمة القرآن .

عاشرا — الدكتور زكى على :

وكان من أبرز دعاة الاسلام الذين حفلت بهم الفتح : الدكتور زكى على الطبيب المسلم المهاجر الى الغرب منذ ١٩٣٠ وقد وصفه الســيد محب الدين الخطيب (م ١٣ ص ٥٤٩) فقال : عرفنــاه أبرع المصريين على الاطلاق فى معرفة أحوال العالم الاسلامى كأبرع المشرفين الذين تمدهم بلادهم بالمساعدة والعون ولكنا لم نكن نعرفه شاعرا حتى جاءتنا هــذه النفثة الملتهبة التى تشعرنا بموطن من مواطن ضعفنا فى اهمال الكفايات والتفريط فيما يجب للوطن من الانتفاع بها والشعر اذا انطوى أكذبه على جمال فان أصدقه يزدهى بالجــلال :

وداعــا منــك يا مصر وداعــا
وليس البعــد عنك هوى مطاعا

ولست بمهــــاجر وطنى ولــكن
حجــود بنيــك الهبنى التيــاعا

فــراق ثم بؤس طــول ســبع
شــداد ما وجــدت بهــا متاعا

ولم اك بائســـــا ابدا ولــكن
دوام العسف علمنى الصراعــا

(م ١٣ الفتح)

كذلك فقد قال السيد محب الدين الخطيب ان الدكتور زكى على أعلم المصريين بسير الدعوة الاسلامية (م ١١ — ١٩٣٥) .

وقد نشرت له الفتح عديدا من الدراسات الجادة :

التبشير فى السودان مجلد (١٩٣٧ م — ١٣٥٥ هـ) .

الفلبين حصن الاسلام المهجور (١٣٥٥ هـ) .

الصحافة التتارية الاسلامية مجلد (١٣٥٥) .

الاسلام فى بلاد التبت مجلد (١٣٥٦) .

كتب اوربية عن السيرة المحمدية مجلد (١٣٥٦) .

كذلك نقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا ضافيا عن كتاب الدكتور زكى على الشهير «الاسلام فى العالم» (م ١٣ ص ٢٨)، كذلك فقد اشارت الفتح الى انه انشأ رابطة الثقافة الاسلامية فى (فينا) أوائل رمضان ١٣٥١ وفى افتتاح الرابطة قام القسيس الكاثوليكى نوربرت فايسر وأبدى رغبته فى اعلان دخوله الاسلام واسلم على يد الدكتور زكى على واسمى نفسه عبد الله فايسر وتحدث عن نفسه وقال لقد سافرت الى جزيرة سيلان للتبشير بالمذهب الكاثوليكى وبعد دراسة قصيرة للدين الاسلامى وجدته هو الطريق الموصل الى الراحة الروحية والسعادة النفسية فآمنت به وقد القى ثلاث محاضرات بالالمانية عن الاسلام كان لها أحسن وقع فى نفوس من سمعوها .

وقد قامت الرابطة بالرد على الهجمات المرة والشبهات التى الصقها به بعض الكتاب الغربيين ثم تفنيد دعاويهم الباطلة .

وقد نشرت الفتح (١١ أكتوبر ١٩٣٢) أغراض الرابطة الثقافية الاسلامية فى فينا وهى :

١ — نشر الثقافة الاسلامية وبث الدعاية لها فى الغرب .

٢ — حماية الاسلام والدفاع عنه ضد المطاعن التى يوجهها اليه المتعصبون وغير المنصفين من الكتاب الغربيين وتفنيد مزاعم دعاة الاستعمار ومفتريات المغرضين ذوى المطامع السياسية .

٣ — تنوير أفكار الأوربيين عن حقيقة الاسلام وتعاليمه الحكيمة .

٤ ـ توثيق عرى الاخاء والمودة واحكام روابط المنفعة بين الجاليات الاسلامية فى مختلف الاقطار الاوربية والعمل على صون حقوقهم ومصالحهم وترقية شئونهم الدينية والاجتماعية .

وقد عمل معه فى الرابطة : الكاتب النمسوى المسلم البارون عمر رولف ازنالز واحمد الحانى ومحمد على الفنى .

وتحدث الدكتور زكى على فى احتفال المسلمين فى النمسا بتأسيس رابطة الثقافة الاسلامية فأشار كيف ان الاسلام ساد نصف العالم خلال قرن واحد من الزمان وانتشر بسرعة لم يسبق لها نظير فى تاريخ البشر ووصف نفوذ المدنية الاسلامية وسيطرتها على اوربا الى عصر النهضة مستشهدا بأقوال المنصفين من العلماء الاوربيين أنفسهم ، وتحدث البارون عمر ولف فتكلم عن اصول الاسلام وحكمة تعاليمه التى تتفق مع روح التقدم والمدنية وعبر عن امنية المسلمين فى الغرب فى اقامة صرح للاسلام فى قلب أوربا وان تكون هذه الرابطة بمثابة حجر الاساس فى بنائه .

ثم اشترك الدكتور زكى على فى عقد مؤتمر مسلمى اوربا (مايو ١٩٣٣) فى جنيف مع الأستاذ محمود سالم تحت شعار الدفاع عن الدين الاسلامى ضد خصومه المزيفين وتعريف الشعوب بالخدمات التى قدمها المسلمون فيما مضى لمدنية العالم ولمدنية اوربا بالخصوص .

وقد نشرت الفتح (م ٩ ـ ١٣٥٣ هـ) حديث ينبىء بأن الدكتور زكى على انتقل الى جنيف بعد فينا وهى مكان اقامته حتى كتابة هذه السطور (١٤٠٤ هـ) حيث ألقى محاضرة عن الثقافة العربية فى محطة راديو فينا بمناسبة اهتمام الأوربيين بالتعرف عن الأحوال الاسلامية فى جزيرة العرب فتكلم عن الحضارة العربية فى عصر ازدهارها فى القرن العاشر الميلادى ، وأفاض فى الحديث عن العصر العباسى وما امتاز به من رقى الحضارة والعمران وما وصلت اليه المدنية العربية مما كان له ابعد الاثر فى نهضة أوربا وصبغ اسبانيا بصبغة عربية لا تزال آثارها موجودة وظاهرة الى اليوم وقد لفت الدكتور زكى على اسماع سامعيه الأوربيين الى ان الاسلام لم يكن يوما عقبة فى سبيل العلوم الحديثة بل على العكس قد حث على البحث

العلمى وفرض على كل مسلم ومسلمة طلب العلم وفتح صدره لمجاراة العلوم والفنون التى تتقدم بالنوع الانسانى .

حادى عشر — الشيخ احمد ابراهيم :

كما أولت الفتح اهتمامها برثاء أعلام الفكر الاسلامى وتقدير العاملين منهم فقد كتبت فصلا مطولا عن الشيخ أحمد ابراهيم (ذى الحجة ١٣٦٤ — ديسمبر ١٩٤٥) ووصفته بأنه زميل احمد السكندرى وحسن منصور ومصطفى العنانى وعبد الوهاب النجار وعبد العزيز جاويش وطنطاوى جوهرى ومحمد بن عبد المطلب .

واشار الفتح الى انه تعمق درس العلوم الرياضية ولشدة اتقانه الجبر والهندسة والفلك وما اليها كان من أبرز اعلام الفقه الاسلامى ، حتى أن أمين سامى باشا لما اراد تأليف كتابه « تقويم النيل » اعتمد على تلميذه القديم الشيخ احمد ابراهيم فى تحقيق ما اشكل عليه وقد ندب للتدريس فى المدرسة السنية للبنات وكان حاملا العقيدة الاسلامية فى قلوب امهات المستقبل ، قبل ان يكون الملقن لمواد الدراسة المقررة فى المنهج ، ثم ندب لتدريس الشريعة الاسلامية فى مدرسة الحقوق قبل أن تكون كلية وقبل أن تؤسس الجامعة فصرف مواهبه للفقه الاسلامى ولم يقتصر على الامور التى تدرس فى الحقوق ويعمل بها فى الدولة الاسلامية بل توسع فى الفقه وفى أصوله وفى مناهج الائمة المجتهدين وتفريع أحكامه واخذ يطلع على فقه المذاهب الأخرى غير المذاهب الأربعة فوقف على فقه الشيعة الاثنا عشرية وعلى فقه الاباضية .

ومن اهم كتبه : شرح الأحوال الشخصية ، نظام النفقات ، العقود والالتزامات والوقوف والمواريث (وهى جداول صغيرة مستمدة من كتاب له عظيم يصلح أن يسمى الأم) وقد اشترك فى تاسيس جمعية الشبان المسلمين ثم اصبح وكيلا لها بعد وفاة عبدالوهاب النجار وتفرغ لتأليف معجم لقسم المعاملات فى الفقه الاسلامى كمعجمى (دللوز وكاربنتيه) للفقه الفرنسى يقارن فيه كل مادة مع احكام المذاهب الاسلامية كلها ويشار فيها الى مختلف الأقضية الصادرة من قضاة الاسلام الممتازين ، فى مختلف العصور فى مصر والشام

والعراق والحجاز ، والمغرب والأندلس ، وتذكر فيه فتاوى علماء المفتين ، وكان دقيق النظر نير البصيرة في معرفة اتجاهات الأحكام الفقهية فيما بين الأصول والأدلة المأخوذة منها والأغراض التشريعية التي يرمي اليهـــا .

ثاني عشر — حســين يوسف :

كما نشرت الفتح (ذى القعدة ١٣٥٧) صيحة حسين يوسف خريج الفنون الجميلة عن الفن والدين في مصر قال : أكتب كفنان تلقى دراساته العالية في معاهد الفنون بانجلترا وايطاليا وكمسلم راعه ما يجرى من معارضة بين الفن والدين في البلاد وأفزعة ما شاهده من الأخذ بالتقاليد الغربيـــة الداعرة فيما يتعلق بالفنون دون التفكير في التوفيق بينها وبين روح الدين ، الذى لاشك في أنه أساس كل فضيلة بما لا يتعارض مع الرغبة في النهضة والفنون كوسيلة ناجعة من وسائل التربية وقد وصلت الى النتائج الآتية :

١ — ان الفن يجب الا يتعارض مع الدين .

٢ — ان الفن يمكن أن يزدهي في حدود الدين .

٣ — ان الفن بحالته الحاضرة فيه خروج على تعاليم الدين .

ثالث عشر — حســين والى :

ونشرت الفتح صيحة الشيخ حسين والى عنـــد الاحتفال بانقضاء خمسين عاما على المحاكم الأهلية فقال : احتفلت الحكومة بانقضاء خمسين عاما على المحاكم الأهلية التى اختصت بالعمل بقانون أجنبي من الخارج ، بقانون ضغط على المحاكم الشرعية ، بقانون اشتمل على ما حرم الله وعلى ما لا تحبه الشريعة الاسلامية التي هى شريعة الدولة بنص الدســـــتور وبنص كتاب الله تعالى ، هـــذا القانون يشتمل على تحوير التعامل بالربا وهو ما يحل في تشريعنا ويشمل تعطيل حدود الله تعالى فياليت الحكومة أدت للأمة خدمة بأن تهدم المخالف للشريعة من مواد هذا القانون ، اذن لخدمت الاســـلام لا الدولة المصرية فحسب ، وانهـــا اذ لم تفعل هـــذا لم تفعل ما يعين في الحفلة الساهرة التى أنفقت فيها ألوف الجنيهـــات على شرب الخمر والرقص والفساد ووزير الحقانية اسمه احمد على اسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

رابع عشر — سليمان النــدوى :

واهتمت الفتح برسالة الشيخ سليمان النــدوى الى صاحب الفتح حيث تقول : ان ما يجود به قلمكم السيال وتجرى صحيفتكم الى الأقطار فى كل أسبوع فلا تزال شــجرته مخضرة ، وربوته مخضلة ، لا زال لواء قلمكم مرفوعا وصــدى دعوتكم عن المسلمين فى اصــقاع الأرض مسموعا واهنئكم بأنكم أحدثتم لمصر من المكانة فى قلوب المسلمين ؛ وقد كادت أن تضيع بين المؤيد واللواء ، ولكم أياد بيضاء فى تعارف الأمم الاسلامية وتعانقهــا .

وأشار الشيخ ... أن السيد سليمان الندوى هو خليفة مولانا شــبلى النعمانى القائم على دار العلوم الاسلامية ودار المصنفين على غرس الهداية فى قلوب ناشئة المسلمين .

خامس عشر — عبد العليم الصــديقى :

ومن دعاة الاسلام الذين فتحت لهم الفتح أبوابها : السيد عبد العليم الصديقى الذى يتحدث عن تجربته فى الدعوة الى الله* (م ٦ — ١٣٥٠ هـ) يقول : ليس يخاف ما يقوم به دعاة اللادين والالحاد والنحل والمبشرون من نشر دعاياتهم الضالة وأقوالهم الخفيــة وما تقوم به دول الاستعمار ومــساعدة الغــرب من تخصيصها الأموال الطائلة فى نشر تلك الدعايات والمسلمون مقصرون فيما أوجبه الله عليهم من نشر الدين الذى ارتضاه الله واختاره على الأديان كلها لســعادة البشر ، وكان على الدعاة الى الله رد افتراء المعطلة والملحدين والمبشرين واظهار فضيلة الدين الحنيف ومكارم أخلاقه ولا سيما ان فى العــالم العربى الاسلامى عددا من كبار المفكرين ومن العلماء المخلصين .

اما الاسباب الحاملة لى على الدخول الى تلك الجزائر (مدغشقر ، جاوة) فالقصد كله تعهد اخوانى المسلمين والقيــام بالواجب وارشــاد من ضل بالاحمدية واغتر بالدعوة القاديانية وأحمد الله أن وفقنى فى ذلك فقــد بينت للناس حقيقــة الميرزائين ، كما أنى شرحت لهم حالة الدعاة المسيحيين وطلبت مناظرة القسيس الشهير « تن بيزخ » المعلم بباندونج فلم يجبنى للمناظرة وذلك بعد أن نشر الطعن فى الاسلام وقابلت الكاتب

المعروف بمؤلفاته ضد الاســـلام المستشرق الدكتور كريم مبصوتو وأردت استجراره للمناظرة فتخلص بلطف وحـــذق ، ومما آلمنى حالة الأحـــزاب الاسلامية هنا فان الاختلاف بينهم مستحكم والعـــدو لهم بالمرصاد يتلقف أبناءهم ويغرى ما بينهم ليربح ويعودوا بالويل والثبور ، وما دام المتزعمون ممن لا دين لهم ولا صدق ولا خلق من طلاب الحظ العاجل لهم الحظ الأكبر فى قيادة الأمة فلاشك يسوقونها الى الدمار والعياذ بالله ، وعرف الاستعمار كيف يعملون على تفريق المسلمين والمكر بهم وخداعهم بزعمائهم على اتصال بما يريدون وحظ اخواننا العرب من الاقتران كبير والوســـائل تكاد تكون واحدة وان اختلفت الوسطاء وللأيدى الحقيرة القسط الوافر فى التحريش فيما بينهم .

ســـادس عشر :

وقدمت الفتح فى مجال الكتابة الاسلامية عـــددا كبيرا من الباحثين فى مقدمتهم :

١ — مصطفى السباعى الذى تحدث فى المجلد ١٤ من الفتح عن دور الســـيد محب الدين الخطيب فى تحريك الهمم الخامدة والعزائم الراقدة ودفعها الى العمل الصادق بما يرضى الله ورسوله وقد صـــدق اخلاص منشئها وعظيم وفائه لدينه وقومه وشدة شكيمته فى الحق ويذكر جهـــود الجبابرة لنشرها وايصال صوتها المدوى الى كل آفاق وطلك ، مع التضحية بكل ربح مادى فى ســـبيل اداء رسالتها على الوجه الذى يحقق المصلحة الاسلامية المنشودة ، وأشار الى خطة الفتح الواضحة فى خدمة الاســـلام وسلوكها فى ذلك سبيلا مستقيما فهى تخدم الاســـلام على أنه دين عبادة وسيادة ، وأشار الى ثباتها على مبدئها رغم تعرضها لضربات قوية من دول الاستعمار وحملات من ذوى الأغراض .

٢ — عمر بهاء الأميرى : الذى كان يكتب فى الفتح منذ كان يطلب العلم فى باريس عام ١٩٣٦ فى خدمة العروبة والاسلام فلما عاد الى الشام عام ١٩٤٦ أنشأ جماعة شباب محمد الاولى وافتتح مع اخوانه شباب محمد دار الأرقم فى حلب .

٣ — واشار الفتح الى وصول شيخ الاســلام فى تركيا مصطفى صبرى الى القاهرة وقالت انه كان يصدر صحيفة اسمها « يادين » ويطبعها فى بعض البلاد الاسلامية الداخلة تحت الحكم اليونانى ثم اضطر الى وقفها بعد التفاهم الذى حدث بين اليونان وأنقرة وانتقل الى القاهرة عام ١٩٣١ (١٣٥٠) .

٤ — ومن ابرز كتاب الفتح الدكتور محمد احمــد الغمراوى الذى كان له القدح المعلى فى دحض شبهات الدكتور طه حسين ومما كان يكتبــه من توجيهـــات قوله :

« اذا كان المسلمون يريدون النجاة فليلتمسوها داخل الاسلام لا خارجه وهم يخطئون طريق الرشد اذا قلدوا الغرب فى نظمه الاجتماعية متأثرا قديما شرعه لهم الاسلام الى حديث لم يشرعه لهم . وخرجوا عما ألفوا من صواب الى ما لم يألفوا من نظم ان لائمت غيرهم لأنها الى حد ما وليدة حاجاته فهى لا تلائمهم لانها ليست فيهم وليدة الحاجة ولكن وليدة الهــوى والتقليــد » .

٥ — من أبرز كتاب الفتــح (على الطنطـــاوى) وهو ابن شقيقة السيد محب الدين الخطيب وله كتابات عديده . وعجاج نويهض ومحمد تقى الهلالى الذى كان يكتب مقالا أسبوعيا تقريبا . ومصطفى الرفاعى اللبان الذى تخصص فى الرد على المبشرين . وعبد المنعم خلاف . كما استمر صاحب الفتح الى وفاة محمد الهياوى (١٩٤٤) ووجه اليه تحية وتقديرا لانه من الدعاة الى الاسلام وقال انه عرفه قبل بضع وثلاثين عاما عندما نشر كتاب « الصاحبى فى فقه الله وسنن العرب فى كلامها » للامام ابى الحسين احمد بن فارس وكان طالبا ازهريا وقد وصفه بأنه اديب ضليع . وخطيب مفوه ، وقلمه فى الصحافة يمتاز ببلاغته على عشرات ممن اشتهروا فى هذه الصناعة أكثر مما اشتهر .

٦ — وتحدث الاستاذ حسن البنا عن شاعرى الاسلام : عرنوس والنجمى فقــال :

عرفت الأخ الكريم محمد صادق عرنوس شابا ملأت الغيرة على الاسلام فؤاده وتملكت نفسه واخذت عليه كل نواحي حسه فاذا قال فللاسلام واذا بكى فعلى الاسلام واذا فرح فلخير يعين الاسلام واذا تمنى فامتن النصرة للاسلام واذا تحدث تدفق كما يتدفق السيل قوياً منهمرا فى مضاء وفى عزة وفى حماس يتجلى خلالها صدق الايمان وقوة الشعور والاحساس فاذا اصغيت اليه لم تر فى حديثه الذى اهاج كوامن نفسه الا عن الاسلام ونبى الاسلام واذا قرات شعره رأيت فيه هذه المعانى واضحة جلية فطرية غير متكلفة وعرفت الأخ الكريم محمد حسن النجمى فى قصائده العامرة ومقطوعاته المؤثرة فعرفت منه نفسا جياشة بالمعانى السامية فياضة بالشعور الشريف موهوبة فى الشعر والقصيد ، قد وقفت كل مواهبها للاسلام ونبى الاسلام وكنت أحمد الله كثيرا أن اجد فى شباب الاسلام مثل هاتين النفسين الطاهرتين الغيورتين وأجد فى ذكراهما لذة وفى الأمل فيهما سعادة وقد تضاعف هذا السرور وتكاملت هذه اللذة النفسية حين رأيت الأخ النجمى يرد للأخ صادق تحيته ، لا أدرى أبمثلها ام بخير منها .

فهما انما يغترفان من معين واحد هو الصفاء الروحى والاخلاص للاسلام ونبى الاسلام وينتزعان من قوس واحدة ، هو قوس النضال عن دين الله تبارك وتعالى وأمام هذه الوحدة النفسية يفنى التفاضل وتزول الفوارق .

لقد كانت الفتح الغراء وهى منبر الاسلام الأول وصوته المؤثر الندى واسطة عقد هنا لاتصال الذى أسر كلما ذكرته واسعد كلما تمثلت صورته .

ان المسلمين لا ينقصهم عدد ولا مال ولا ينقصهم سلم ولا قوة فهم والحمد لله فهم أكثر من غيرهم مالا وأصلح حالا ولكن ينقصهم امران هما أساس نهضات الامم : الوحدة والارتباط والاخلاص والتضحية .

الباب السادس

الصحافة الاسلامية
فى مواجهة الصحافة التغريبية

الفصل الأول

معارك الصحافة الاسلامية فى مواجهة الصحافة التغريبية

واجهت الفتح الصحافة العلمانية (السياســـة ــ الاهرام ــ دار الهلال) فى مواقفها المناهضة للاسلام وللدعوة الاســلامية ، وكانت المنار قد بدأت هذا العمل ، ولكن الفتح قطعت فيه مرحلة أوسع واستطاعت خلال (١٩٢٧ ــ ١٩٤٧) مواجهة اغلب المواقف التى ناهضت بها مفاهيم الاسلام الاجتماعية والسياسية .

أولا : موقف الصحافة التغريبية من مفاهيم الاسلام وادخال مفاهيم الغرب عن العلم والدين .

ثانيا : الهجوم على التعليم الاسلامى فى الأزهر .

ثالثا : تأييد مواقف الكماليين فى تركيا فى هدم الاسلام واللغة العربية .

رابعا : تأييد طــه حسين وعلى عبد الرازق فى دعوتهما اللادينيــة الالحادية .

خامسا : مواجهة اخطاء محمود عزمى وسلامة موسى وغيرهم .

سادسا : تأييد موقف الصهيونية .

سابعا : اشاعة روح الاباحية والتحلل والاعلان عن الخمور .

أولا — جريدة السياسة :

أولت جريدة السياسة اهتمامها بالدفاع عن الصهيونية وعن دعوة اتاتورك اللادينية ولذلك فقد حظيت هذه الجريدة (التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين) والتى تضم مجموعة من دعاة التغريب بالنصيب الأوفر من مواجهة الفتح ودحض شبهاتها والرد على سمومها فهى تكتب فى م ٤ — ١٩٢٩ م (١٣٤٨ هـ) تحت عنوان ضخم : **جريدة السياسة تخدم الصهيونية والصهيونيون يشكرونها على خدمتها** وكان وفد من الطائفة اليهودية فى مصر قد زاروا جريدة السياسة وشكروا لها اعتدال موقفها من الحوادث الفلسطينية وكتب المرحوم أحمد ابراهيم الشراوى يقول :

« هؤلاء الزعماء الاسرائيليين من أكبر العاملين على مساعدة طائفتهم بكل انواع المساعدة ، وهم لم يزوروها لكتابة كلمة حق يوجهونها لابناء ملتهم فينصحونهم بالكف من الاعتداءات والاخلاص لجيرانهم المسلمين الذين أكرموا وفادتهم من قديم الزمان بعد أن كانوا مطرودين من الرومانيين من البلاد الفلسطينية فاعادهم المسلمون اليها . وكان اليهود مطهدين فى جميع بقاع الارض وقد تالبت عليهم كافة حكومات المعمورة فهاموا على وجوههم حيارى ولم يجدوا لهم ملجا يلجأون اليه الا دولة المسلمين والبلاد التى يملكها سلاطين آل عثمان المسلمون (الجوييم) ومسلمو مصر يعلمون ان جريدة السياسة جريدة ملحدة تعمل لنشر الالحاد بكافة الوسائل التى يمدها دكاترتها القائمون بتحريرها ، فمعلوم أمرهم عند كل مسلم وهم بما نشروه فى يوميتهم وأسبوعيتهم موضع سخط المسلمين فى جميع الكرة الأرضية . ما الذى يفيد اذن جريدة السياسة من حشرها مصر وحكومتها حشرا فى سبيل ارضاء وفد اليهود . ماذا نستطيع ان نقول انهم يعملون للصهيونية سرا وعلانية . ماذا ذهب مندوبهم (عبد الله عنان) الى فلسطين فلا يذهب الا الى بيوت الصهيونية . ان للصهيونيه بين جدران السياسة ما هو أكبر ضررا بالاسلام من الصهيونية ووفود الصهيونية » ا.هـ

٢ — وتمضى جريدة السياسة فى تاييد مصطفى كمال فى حركته اللادينية التغريبية فى تركيا — تقول الفتح — وهى بذلك تفتح الطريق لدعاة الالحاد والتغريب فى مصر باتخاذ خطوات على نفس الطريق مما أسميهم (اذناب الكماليين فى مصر) وهم يحبون الحرية الفكرية للأعضاء عن دعاية الكفر فى مصر . ويقول ان مصطفى كمال قال لقد ضحكت عليهم بادعاء ان دين الجمهوريه التركيه الاسلام الى ان تمكنت من تقويض جميع معالم الاسلام فى مملكتى واجبرت الفتاة المسلمة بقوة البندقية التى يحملها الجندى التركى على ان تخالف أمر ديننا ولو انى أنكرت ان دين الدولة الرسمى التركى على ان تخالف امر ديننا ولو انى أنكرت ان دين الدولة الرسمى الاسلام فى أول الأمر ربما كان الشعب امتنع عن مساعدتى وبهذه الفكرة الشيطانية استطعت ان أضحك على المسلمين داخل تركيا وخارجها .

وقد القى القرآن ذات يوم من يده وقال . ان ارتقاء الشعوب لا يصلح أن يقيد بقواعد وقوانين وضعت فى العصور الغابرة وقد ابتهجت جريدة السياسة بهذه التصريحات كما أن جريدة السياسة تمتدح حركة التجديد التى تقوم فى افغانستان وفى نفس الوقت تهاجم مفهوم الاسلام للشريعة الاسلامية وتقول انها لا تصلح لهذا الزمن ، وانكار الفلسفة للاسلام يوم كانت متفردة فى الدنيا ، وتابعت السياسة فى ذلك مجلة (العصور) التى عرضت لكتاب فلسفة الانقلاب التركى تأليف قابيل آدم الذى بين ان العقلية الآسيويه هى عقلية الدين وان العقلية الأوربيه هى عقلية العلم .

وهى دعوة موالاة أوربا وقطع علاقات تركيا بآسيا وأفريقيا .

٦ - وقد وصفت الفتح جريدة السياسة بأنها جريدة « تسليم البضاعة » وان هذه العبارة قالها عنهم الانجليز أنفسهم أنهم سماسرة لتسليم البضاعة ، وانها جريدة صهيونية تخدم الصهيونية وتروج أغراض الصهيونية من وراء ستار بخبث ومكر ، وهذا ما يدفع جريدة السياسة الى محاربة الاسلام والطعن فى كل شىء لهذا الدين وفى رجاله وأزهره ومعاهده ونشر مقالات الملحدين المعروفين المأجورين وتأييدهم مع ما تشتغل به أيضا فى سبيل تسليم مصر للانجليز القائلين بأن حزب جريدة

السياسة سماسرة لهم ليسلموها البضاعة وها هى البضاعة ، هى وطن المصريين .

مواجهـــة طه حسين :

٤ — وقد عنيت الفتح بمواجهة السياسة بشأن موقفها من طـــه حسين وكتابه « الشعر الجاهلى » .

تقول : لما ظهر كتاب طه حسين وفيه الطعن الصريح على كتاب الله تعالى وما فيه ، لم يكن أثره السيء قاصرا على علماء الدين بل تعـــداهم الى الكثير من الكتاب والمفكرين ولا ريب أن اعلان الدكتور طه انه مؤمن لا يجدى فى هذا الموضوع نفعا ، بل هو مع كونه تناقضا غير مفهوم فيفضى الى عكس المطلوب ، لأن ذلك المؤمن هو الذى قال فى كتابه ان القرآن اشتمل على الأساطير المختلقة لأغراض سياسية فليس هو من عند الله ، واذا كان مؤمنا كما يقول وكتابه المشتمل على هدم الدين من أوله الى آخره باق كما هو موفور الكرامة فليس فى هذا الاعلان الا السخرية والاستهزاء بالأمة والله .

وتحدثت الفتح بقلم كاتبها الأول « عبد الباقى سرور نعيم » عن موضوع العلم والدين فى نظر الدكتور طه حسين ، فقد نشرت السياسة الأسبوعية (١٧ يوليو ١٩٢٦) مقالا لطه حسين عن العلم والدين أشار فيه أن بين العلم والدين خصومة ، وأن ليس بينهما ما يمكن أن يسمى اتفاقا بحال ، وقال : ان الدين حيث يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء ويأخذ الناس بالايمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم حتى الآن أن يثبتهما . فهو يؤكد أن بين العلم والدين خصومة لأن الدين يثبت شيئا لا يعترف به العلم وهو وجود الله ونبوة الأنبياء ، وقال الأستاذ سرور : ان طه حسين لم يفهم معنى العلم بمعنى ما تثبته التجربة وأن العلم بهذا الاطلاق ليس من مباحثه اثبات وجود الله ولا اثبات نبوة الأنبياء .

مواجهـــة على عبد الرازق :

٦ — كذلك أولت الفتح اهتمامها للشـــبهات والسموم التى أذاعها على عبد الرازق وخاصة حديثه عن المولد النبـــوى فى جريدة السياسة

التى اسمتها الفتح : « جريدة أعداء الدين الاسلامى » والتى تطاول فيها على المقام المحمــدى الأسمى فاستعرض بزعمه حيــاة صاحب الرسالة صلى الله عليــه وسلم ، واخذ يبحث فيهــا عن وجوه العظمة ومعانيها فلم تبصر عيناه للعظمة اثرا الا فى حكم محمد صلى الله عليه وسلم ونفاذ كلمته فى اصحابه ولا فى معانى العلم كما يفهمها هــذا الكاتب ولا باعتبار ما للاسلام من اثر على هذه الارض مما احدثه محمد صلى الله عليه وسلم بين اهلها من انقلاب اجتماعى او سياسى او تهذيبى او مدنى .

ويقول على عبد الرازق : اما ان يكون حقا تلك الكلمة التى جاء محمد واما ان تكون باطلا ، ان يكن باطلا كلمة التوحيد — هكذا يقول على عبد الرازق — فسوف تذهب من الوجود كما تتلاشى قضايا العلم الباطلة وسوف تذوب اذا اطلعت عليها انوار العلم والعقل كما تولى الظلمة ازاء وضح النهار واما أن يكن حقا كلمة التوحيد فلسوف يشق اليهــا العلم والعقل طريقا فى هذا العالم حتى تستولى عليه وتشيع بين جوانبه .

يقول السيد محب الدين : فعظمة محمد موقوفة الآن على كلمــة مشــــكوك فيها ، وتحتاج الى زمان ليتبين صدقها او كذبها ، كلمة لا اله الا الله تبقى عند علامتنا المحقق معلقة فى ملكوت التشكيك وتبقى عظمــة محمد غير مسلم بهــا عنده .

ويقول : تعود الشيخ على عبد الرازق منذ عهد أن صدر عليه الحكم المعروف من محكمة هيئة كبار العلماء ان يكتب كل عام كلمة تتعلق بحضرة صفوة الخلق ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليــه وسلم ويتحرى فى نشرها اليوم الثانى عشر من شــهر ربيع الاول بينما يكون المسلمون فى سرور وابتهاج يطلع عليهم مقال الأســتاذ فى صــدر جريدة السياسة فى الحط من شأن هذه الذكرى وتحقيرها الذى لا يجرؤ عليه احد من الد أعدائه ولا يرضاه لنفسه واحد ممن يجلهم الأستاذ ، فاللباقة كانت تقضى عليه أن يشارك العالم فى فرحــه بذكرى مولد النبى ليبرهن على أنه يحترم المؤمنين بهــذا الرسول العظيم ، او على الأقــل كان يسكت حتى لا يسجل على نفسه هذا الموقف الذى يسخر منه كل ذى ذوق سليم

ولا يفهم منه أن الأستاذ قطع الصلة بينه وبين المسلمين قطعا تاما ، وأعلن عليهم حربا شعواء فى اعتقادهم الحق وايمانهم بربهم ودينهم ورسولهم . ويأبى الأســتاذ الا أن يذكر ذلك الاسم الشريف فى كل مقاله مجــردا . ذلك التجرد المجافى للأدب والذوق ، ولا يذكر اسمه الكريم جميع المؤمنين الا معروفا بالتعظيم .

٧ — وكتب الأســتاذ محمود محمد شاكر موجهــا كلامه الى على عبد الرازق فقال : ان الذى اتيت به فى اول مقالك على العظمة لا نعــده حشوا بل نقول انه المكر السىء ولا يحيق المكر السىء الا بأهله فما كل رجل يسلم عقله لك ، وانه يعنى التغرير بالعقول للوصــول الى القول بأن رسول الله النبى العربى الأمى صلى الله عليه وســلم ليس من العظمــة فى شىء ، وليس من العظماء فى شىء ، وانما هو دخيل فيهم بينما النـــاس جميعا مسلميهم وكافرهم ، ويهوديهم ومسيحيهم ، يقولون أن محمدا صلى الله عليه وسلم عظيم ويتحدثون عن عظمة محمد .

ومما قال على عبد الرازق ان كلمــة لا اله الا الله كلمــة مشكوك فى صحتها وقد انكر وجوه العظمة على سيد الخلق .

٨ — وقالت الفتح ان على عبد الرازق نشر ثلاث مقالات فى السياسة يحاول فيها أن يحمل أربعمائة مليون مسلم على آرائه الشاذة فى الاسلام وأصول الحكم : تلك الآراء التى خالف فيها أعلام الاسلام عصرا بعد عصر من عهد سيدنا أبى بكر الصديق الى يوم الناس هذا وانكرها على العالم الاسلامى من اقصاه الى اقصاه ولم يسعه عليها الا مراسل التيمس وحملة الأقلام من غير المسلمين والمفكرون لهم من أنصاف المتعلمين هنا وهناك .

مواجهــة محمــود عزمى :

٩ — واجهت الفتح كتابات محمود عزمى فى السياسة وقالت انه ملحد حقيقة ولا ايمان له ولكنه لا يدعو الى الالحاد ، وقد عرف دائما بالذبذبة ؛ وليس هو من أصحاب المبادىء الثابتة ، أخــذ عليه طه حسين قوله : ان الدين الاسلامى سيبقى مسيطرا على الثقافة فى البلاد العربية وقال

ان العاطفــة الدينية ليست خاصة بالمسلمين العرب بل يشاركهم فيهــا غيرهم من اصحاب الأديان الأخرى ، وقالت الفتح ان الثقافة العربيــة هى عربيــة فى اصلها ولم توجد الا بالاسلام ، والمخلصون من مسيحى العرب يعلمون حق العــلم أن ثقافتهم فى أصولها على الأقل اسلامية ، وكذلك المدنية الغربية ، لذلك لا يكون المسيحى العربى وطنيا وهو يعادى الاسلام اذ عدوانه يقتضيها رفض الثقافة والحضارة العربية .

وقالت الفتح : ان محمود عزمى من أنصار اليهود كما دلت على ذلك مواقفه بل ربما كان من أنصار الصهيونية فى باطنه ، قال فريد زين الدين فى الرد عليه : اننــا ينبغى أن نحافظ على شخصياتنا وعلى روح مدنيتنا ولو اتبعنا عزمى فى طريقه لاندماجنا فى الغرب لفقدنا الوجود ولم يعــد فائدة لمقاومتنا الاستعمار وضغطه ، وليس أضر على الثقافة العربيــة من الذين يدعون الى اتخاذ مدنيــة الغرب ومحــاربة الدين الاســـلامى ، اذ تلك هى الطريقة الوحيــدة للقضاء على الشرق وهــدم كيانه وتمكين الغرب منــه .

الى الدكتور منصور فهمى :

١٠ — وفى المجلد السادس من الفتح وجه الأستاذ محمد محمود بدير الى الدكتور منصور فهمى رسالة مفتوحة قال : يعتقد كثيرون ان فى مصر جماعة تنحو فى كتاباتها وخطبها ودعاتها مناحى سيئة خطيرة ان لم يكن صورة طبق الأصل للمناحى التى تسير عليهــا جمعيات الالحاد فى الخارج فلا أقل من وجوه تشابه كبير يدعو الى الريبة والحذر فان الذى قرأ مبادىء تلك الجمعيات وعرف أساليبها فى النشر والدعاية لا يتردد كثيرا فى الاتفاق معنا فى هذا الرأى ، وهم يشعرون بأنهم قد تجاوزوا الحــد فى دعايتهم تجاوزا لا يجعلنا لا نتردد فى اظهار هذه الحقيقة بالأدلة لتفتح الأمة عينيها ولتنبه الشباب الى الخطر الذى يحيط به والتعاون مع المخلصين لصــد تيــار الالحاد » .

وقد جاء هذا ردا على رأى نشره الدكتور منصور فهمى فى جريدة المساء ونقلته الفتح (ص ٣٦٤ من السنة الخامسة عدد ٣٢٣) حيث قال :

« ولكن ما هى الآراء القيمة التى يذيعها بعض الكتاب باسم التجديد . كل ما عندهم أن يتذمروا من اللغة الفصيحة وبعدها عن اللغة العامية . وهذا يدل على جهلهم بلغات الأمم الحديثة فاللغة الانجليزية تكتب فيها الكلمة بشكل وتنطق بشكل آخر ، واللفظة الواحدة ينطقها الأستاذ فى مدرسته أو جامعته ، بلهجة خاصة ، وينطقها عامل الترام بلهجة أخرى والحال كذلك عند الفرنسيين والألمان ومع ذلك لم يحدث فى الأمم المسيحية من يقول باحلال اللغة العامية مع اللغة الفصيحة . ولكن أصحابنا المجددين فى مصر يظنون أن هذه مسألة المسائل فيتحمسون ويتهيجون ويظنون أنفسهم من رجال التضحية بمثل هذا الهذر الممقوت » .

ثم قال الدكتور : ويتكلمون عن القومية المصرية ويريدون بذلك أن تنفصل مصر عن أمم الشرق وقد كنت ولا أزال من أنصار الرابطة الشرقية لعلمى أن الأمم التى ترتبط برباط اللغة والدين تتقرب بعضها من بعض وتكون وحدة لغوية وفكرية وعقلية وروحية ، هى أسمى ما يفكر فيه الرجل الحريص على روابط الأواصر الانسانية . ومن الغريب أن سلامة موسى وحسين هيكل يتكلمون كثيرا عن الانسانية وروابطها الأدبية والعلمية ثم ينسون ذلك كله حين يجرى ذكر العرب والمسلمين ، فهل أصبح العرب والمسلمون شعبة أخرى لا يصح أن يرتبط بها المصريون ، ان أصحابنا المجددين لا يرضيهم الا أن نكون عصابات تقتتل وتتناحر ففئة تهاجم العرب وتاريخهم وفئة تهاجم الأزهر وتعاليمه وفئة تجرح الدين وتقاليده وفئة تهدم اللغة الفصيحة وهكذا دواليك حتى تصبح مصر فى عراك دائم وفتنة شاملة موصولة (هذا ما كتبه منصور فهمى أكتوبر ١٩٤٠) .

السياسة الأسبوعية :

١١ — وتحدثت الفتح عن السياسة الأسبوعية (وهى الصحيفة الأدبية لجريدة السياسة اليومية) بمناسبة دخولها سنتها الثالثة ، وتحدث عن مؤازرة أهل الثروة الضخمة فى مصر بما يمدونهم من المال بالآلاف ومعونة أصحاب الدولة وكبار الوزراء الذين يهمهم ترويج هذه الدعاية

فى وجوهها المختلفة ، واشارت الى المصلحة المشتركة الى تناولها هذا النوع من الصحف مع مثل الحكومة الكمالية التى يهمها ترويج هذه الافكار فى مصر ، وقالت الفتح : لقد تهيأت للسياسة الاسبوعية كل الاسباب الادبية والمادية لاذاعتها وجعلها فى متناول الايدى بمصر وسوريا والعراق وجزيرة العرب وبلاد المغرب فهوجمت ادمغة الشباب الطاهر بجيوش من الافكار تنقل عن اكثر كتاب الافرنج تطرفا وافراطا فى تهديم القيم .

قال علوى بن طاهر الهوارى الحداد (جاوة) ان الالحاد نشأ فى مصر وانتشر ووصل شرره الى كل جهة وتضرر به المسلمون ضررا بليغا ومصدره الاكبر مصر والكتب التى تطبع فى الهلال والى هذيان سلامة موسى وجهالات على عبد الرازق وسخافات زكى مبارك وقد اصبحت جريدة السياسة تتناقلها ايدى العامة فيا لدين ضيعه اهله » .

وتحدثت الفتح عن المساعدات الجهرية والسرية التى تصل الى هذه الصحفة وقال ان انتشار السياسة الاسبوعية ليس من اثر تلك الاموال الجهرية والسرية فقط بل هو من غفلة المسلمين ايضا .

وقد بادر الذين تنبهوا اليها والى مطاردتها فى اخطارها وردوها فى وجوه أصحابها وفى الحجاز طاردها وركلها عبد الله السليمان المزروع وفى مراكش احمد عبد الرحيم قد رفضها بسخط وازدراء .

وقالت ان جمهور المسلمين فى جميع الاقطار مدعوون على ان ينظموا صفوفهم لينقذوا هذا القطر الاسلامى من طريق الكماليين على ضفاف البسفور والخليج دون ان يحتاجوا الى المدافع التى اسكت بها الكماليون احتجاج الأكراد على الأنظمة الالحادية فى تركيا .

وكانوا يتوقعون أن تسير الأقطار العربية والاسلامية وراء صفوفهم المتكلمة فى مصر ، فساروا مؤيدة اعمالهم بمئات الألوف من الجنيهات منذ أنشئت السياسة اليومية الى الآن ولكنهم ما كادوا يخطون حتى تلقوا الصدمة بعد الصدمة فتعاد بضاعتهم مردودة اليهم بالسخط والازدراء :

وان هنالك ما يحفز المسلمين الا اقامة حركتين : احداهما سلبية

تقضى بمقاطعة بضائعهم كما فعلت مكة ومراكش ودمشق ، واخرى ايجابية باقامة حواجز فكرية تلائم روح العصر وبستطيع صوتها أن ينفذ الى اعماق قلوب شبابه الشاعر بعطشه فيكون ما نقدمه له علماؤنا من الماء الزلال معينا عن السموم الأخرى .

٢ ــ واشارت الفتح الى ما تواجهــه مجلة السياسة الأسبوعية من احتقار فى العواصم العربية وان اصحاب المكتبات يرفضون هذه المجلة لما تحمله من افكار الحادية ، وقد ارســل بركات وقصار اصحاب المكتبة الشرقية الوطنية بدمشق الى مدير السياسة الأسبوعية يقول : اصبحنا نرى فى بعض الأعداد كثيرا من المقالات الالحادية والبحوث الســفورية والكتابات المحبذة لأعمال مصطفى كمال وانصاره والاشارات الى دعوة الالحاد فى أمريكا التى لا يشك قارئها أن اصحابها ساقوها لدعوة الشبان الشرقيين الى تقليد امثال هؤلاء الشاذين فى كفرهم والحادهم ، وقد رأينا أن اصحاب المقالات بتعامون عما بنشر فى بعض الصحف المصرية ردا على مفترياتهم شــــأن من لا يريد فى كتابه احقاق الحق وابطال الباطل ولذلك نرجو عدم ارسال شىء من اعداد السياسة الأسبوعية بعد الآن .

٣ ــ واشارت الفتــح الى أن جريدة السياســة دون الصحف (الأهرام والمقطم) اغفلت نشر كل ما يتعلق بانشاء جمعيــة الشــبان المسلمين ؛ وقال ان جريدة السياسة وصفت بانها جريدة تسليم البضاعة واشار الى الفضائح والمخازى التا نشرت لجريدتهم فى جريدة الشورى ، وانها جريدة صهيونية تخدم الصهيونية وتروج أغراض الصهيونية من وراء ستار بخبث ومكر واشار الى علاقة جريدة السياسة بجماعة الصهيونية ومحاربة الدين الاسلامى والطعن فى هذا الدين وفى رجاله وأزهره ومعاهده ونشر مقالات الملحدين المعروفين المأجورين وتاييدهم مع ما يستعمل به ايضا فى ســبيل تسليم مصر للانجليز القائلين بالسنتهم قولهم المأثور ان حزب جريدة السياسة سماسرة لهم ليسلموهم البضاعة (م ٢ ص ٣٩١) .

١١ — الدكتور هيــكل :

وتحدثت الفتح فى المجلد التاسع والعاشر عن صــدى ظهور كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيــكل وما ووجه به من انتقادات من علماء المسلمين حيث كتب الشيخ محمد زهران فقال ان هيكل اعتمــد على كتاب اميل درمنجم الذى كانت حرب الريف فى المغرب هى الداعى له لتاليف كتاب حياة محمد ، ونقد موقف هيكل من (الاسراء) فقد اعتبره بالروح بناء على حديث عائشة ، والاسراء كان قبل زواج النبى بعائشة وانها كانت زمن الاسراء طفلة بعيــدة عن بيت النبى لا تعــلم متى بدت فى منزله ومتى يفارقه وتبين حينئذ ان ترجيح هذه الرواية لا توافق قواعد البحث وان تأخر هيكل حادثة الاسراء الى ما بعد زواج عائشة اخــلال فى ترتيب وقائع التاريخ ، واشار الى خطئه فى الربط بين حادث المعراج بمذهب وحدة الوجود فالاسلام لا يعرف وحدة الوجود ولا معنى لوحدة الوجود فى نظر الاسلام الا اعطاء الكون صفة القدم والبقاء ومعنى ذلك تاليه الكائنات وهو ليس فى الاسلام .

٢ — وتحدث باحث آخر (مجلد ١٠ — ١٩٣٦) فاشار الى نقدات اخرى فىكتاب حياة محمد منها قول هيكل بأن العظماء فوق القانون البشرى اى انهم لا يؤاخذون على ما يبدو منهم مخالفا لما يعهده الناس وهذا القول ان قيل فى بعض العظماء فانه لا يقبل اسناده الى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، اذ أن عظمتهم نقية من كل ما يجلب نقــدا او يسبب ذما ، وما يعملون حق وصــحيح لا غبار عليه وتصرفاتهم حكيمة لأن الله اصطفاهم برسالاتهم وصنعهم لنفسه وهم القوة الكبرى والمثل العليــا للبشرية فما كان للدكتور أن يقول ذلك وان حسنت نيته والكتابة عن الرسل والأنبياء فى حاجة الى احتياط عظيم ، والخطأ فى حق الأنبياء غير معفو عنه وفى غيرهم قد تزول به التبعة بالاعتذار وادعاء حسن النية .

٢ — لم يرض المستشرقون عن تعدد زوجات النبى مع أنهم راضون بتعــدد زوجات الأنبياء السابقين وعــدم رضاهم معلل غــير خالص ، ولم يستطع الدكتور هيكل ان يجلى هذه المسالة ويدافع عن نبيه الدفاع

الواجب ، ولو ان الرسول نزوج نسائه فى شبابه وابان قونه لكان للمستشرقين شبه عذر ومندوحة ، وكان الطريق معبدا امام الدكتور ليحسن الدفاع ولكنه لا يزال متأثرا بدراساته الأولى على ما يظهر .

٣ — وفاة ابراهيم : الصورة التى رسمها الدكتور هيكل لحزن الرسول على ابراهيم لا تتفق مع جلال النبوة وعظمة الرسالة اذ صوره واضعا ولده فى حجره وعيناه تذرفان مما يشبه أن يكون ضعفا عن احتمال صدمة الموت والحقيقة أن رسول الله أسمى قدرا من أن يصدر منه ما صورته براعة الدكتور هيكل ، ولا يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم صدرت منه الألفاظ التى نسبها اليه الدكتور هيكل منساقا مع شعوره ومرة بالخطوط الجميلة الاخرى . ان ما مرتكبه الصحف من دناءة النفس من حزنه على وفاة ولده غير .

٤ — اسلوب هيكل : حين كتب عن رسول الله لم يتناسب مع المطلوب له فجاء أشبه بما يقال عن العظماء من غير الأنبياء والمرسلين ؛ والمفهوم أن الكلام عن المرسلين يستلزم روحا خاصة وأسلوبا دقيقا وحيطة وحذرا من الانزلاق نبيا لا يجب . وهو لم يبلغ الغاية المرجوة فى تصوير حياة رجل هو رمز الانسانية وسيد الكائنات .

ثانيا — جريدة الاهرام :

وكان لجريدة الأهرام دور خطير فى حركة التغريب وقد أشارت الفتح الى اهتمامها باعلانات الخمر (م٥/٦٢٥) .

قالت : كانت الصحف الاسلامية فى مصر كالفتح واللواء قبل الحرب العظمى والأخبار فى السنوات الماضية لا تنشر اعلانا عن أى شىء من الأشياء التى نهى الاسلام عنها وفى مقدمة ذلك الخمر والميسر . وقد أتى على الصحف الاسلامية الثلاث وعلى اصحابها وقت شعروا فيه بالعسرة المالية الشديدة ، ومع ذلك فانهم كانوا يتعففون عن مال السحت كما امتنعت عن ذلك جريدة المقطم ، بينما ان جريدة الأهرام وجريدة المساء التى هى لسان حال الوفد فى مصر يتفننان فى نشر اعلانات الخمر مرة بالخط الكوفى

ومرة بالخطوط الجميلة الأخرى ، ان ما ترتكبه الصحف من دناءة النفس لهذا المورد الذى يستنكره الشرع والعقل فضلا عن أن هــذه الاعلانات تتناول الخمر المصنوعة ببلاد الانجليز الذين نريد منهم أن يجلو عن مصر .

٥ — الأهرام جريدة فرنسوية للفرنسيين (١٩٣٢) :

وكتبت الفتح تحت هذا العنوان تقول : عجيب ان يكون الأهرام اكثر غيرة من الفرنسيون أنفسهم الذين لهم فى مصر وزير مفوض وقناصل ، تتلون جريدة الأهرام باللون الذى تقتضيه الظروف زاعمة أنهــا نصيرة لنحرية ، قد بلوناها فرأيناها يوم ناداها داعى الحرية فى وطن اصحابها (الشام) وقفت مع الأجنبى على الأحرار الذين ينشدون الحرية وعملت جهدها على تثبيت أقدام الأجانب هناك ، ولم تغضب شــعرة واحــدة فى اجسام القائمين بهــا يوم دمرت دمشق بالقنابل وها قد ناداها صوت الحرية اليوم من أقصى المغرب فخذلته ودست الدسائس لخنق هذا الصوت ومنع الناس من سماعه .

كذلك فقد تجاهلت الأهرام حوادث المغرب ، أن المسلمين فى مصر مهما نسوا من شىء فانهم لا ينسون موقف الأهرام الكاثوليكية المتعصبة يوم انتصرت (لهانوتو) على المسلمين ودافعت عن اساءته الى الاسلام ونشبت بينها وبين المؤيد يومئذ تلك المناقشة التى ابانت بهــا عن ذات نفسها ، وكان بقلم الأستاذ الامام محمد عبده ، تلك الجولات الشــهيرة فى هدم الباطل ورد كيد أعداء الاسلام فى نحورهم ، منذ ذلك اليوم يعرف المصريون جريدة الأهرام أنها فرنسوية أكثر من الفرنسيين وانهــا أكثر تعصبا للكاثوليكية من الرهبان المتعصبين ، على أنها اليوم فى موقفها تجاه كارثة المغرب قد لبست الخزى كله وتسربلت بالتعصب الذميم من رأسها الى قدمها . هل يليق بجريدة كاثوليكية تعيش من قروش المسلمين أن تقف هذا الموقف المخزى فتوجه كلاما بعيدا عن الأدب نحو علية هذه الأمة وكبار الفضل فيها ، كل ذلك لأجل أن يحمل العالم الاسلامى على أن يخذل اخوانه مسلمى المغرب .

٦ — وتواصل الفتح هجومها على جريدة الأهرام تحت عنوان :

« الاهرام شر وسيط بين الاســـلام وفرنسا »

فيقول فى المجــلد الخامس (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٢ م) : كانت جريدة الاهرام تظن أنها ادخلت مصر كلها تحت نفوذها الصحفى ، فالخبر الذى لا تأتى به الأهرام يجب الا يكون معروفا فى مصر ، فلما انتشر فى مصر خبر الحملة الصليبيه التى أحكم الفرنسيون تدبيرها فى المغـــرب ، كان ذلك سبب دهشة عجيبه فى غرفة رئاسة تحرير الاهرام اذ كيف يجوز لمصر أن تذيع فيهـــا خبر لم تر جريدة الأهرام مصلحه فى ذيوعه ، ثم لما ارتفع صوت مصر بالاستنكار كان صوتا جهوريا تسمعه القدس ونابلس ودمشق وبغداد وبومباى ودلهى وطهران وسنغافورة . وسورابايا فضلا عن مكة وصنعاء ، وقع البهت فى غرفة رئاسة تحرير الأهرام حينئذ صدرت الاهرام وفيها اتهام لمن يعارض الحملة الصليبية فى المغرب بأنه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها فهزات مصر بهذا الاتهام وقالت لجريدة الاهرام الفرنســــية للفرنسيين : ان قلب المسلم يتسع لواجبه الدينى وواجبه الوطنى الذى هو من واجبات دينه ايضا ».

الســـموم فى مجال المجتمع :

٤ — وتواصل الفتح هجومها على مخططات الأهرام الاستعمارية والتغريبية فكتبت (م ٦ ص ٢٦٨) هل الأهرام تريد حقيقة ان تبرر عمــل فرنسا فى المغرب تمهيدا لمثله فى مصر ».

قالت : ان جريدة الأهرام تعمد الى قضايا المحاكم الشرعية فتضــع عنها روايات فئة محرفة مزورة تفضح بهـــا الأسرة الاسلامية وتحط من كرامتها وتشهر بها من طرف بعيـــد تنادى بانحطاط النظام الاســـلامى وبالتبعية تحفر تحت جدار المحاكم الشرعية المصرية وتحت جـــدار احكام الاسلام . وذلك لما يقال من ان فرنسا لما أوقعت بالاســـلام نكبة الظهـــير البربرى ، وكان هذا عملا بربريا لا يبرره شىء ولا يغسله ماء البحار جميعا ، تعهدت الأهرام بأن تبرر هذا العمل ، بايقاع مثله بمصر أم البلاد الاسلامية ، ومن ذلك الحين فقد أخذت تنشر الروايات التى تشوه فيها وقائع القضايا بالتحريف والزيادة والنقص . وانها تنشر تحت امضاء مزور مجهـــول

طعنات فى الأسر الاسلامية ونظامها ومحاكمها ، وما ذلك الامضاء الا قلم التحرير والحروف الموضوعة بأسفل المقال نغمة مكشوفة .

ومن دلائل سوء نية الأهرام كونها تقتصر فى هذه الفضائح على الأسر الاسلامية ولو أنها اشتقت من المجالس الملية امثال هذه الوقائع بين الازواج غير المسلمين ، لتبين لنا ان ما تنشره عن قضايا الأسر الاسلامية لا يكاد يعد فى جانب قضايا الأسر غير الاسلامية شيئا مذكورا ولكنه التعصب الممقوت والخطــة المرسومة لتشويه جمال الأحوال الشخصية الاسلامية .

٥ — هل جريدة الأهرام تحارب الأمة كلها :

وكتبت الفتح تحت هذا العنوان يقول : من زمن بعيد تذيع الأهرام حوادث شاذة بين نساء ورجال وبين بنات وأزواج وزوجات ماسة بتلك الحوادث الشرف شائنة للعرض هادمة البيوت الرفيعة مطأطئة للرؤس العالية مسودة للوجوه البيضاء وهى حوادث لو نشر الأهرام لها فى أنحاء العالم لظلت فى دائرتها الضيقة لا يشعر بها الا أفراد قليلون فنشرها ذلك وصمة للمصريين بين الأمم ، ولا يصح لجريدة تحترم جمال أمة ان تقدم بكل جرأة على فضيحة هذه الأمة التى لا حياة لها الا باحسابها وعطفها وهى من ناحية أخرى تنشر تلك الرزائل بين أمة أخص خصائصها المحافظة على مكارم الأخلاق ، هى بذلك تنشر مرضا وبائيا فتاكا للأعراض فلا يقف أمامه علاج مهما كان الأطباء من المهــــارة الحــذق وهى بذلك تزكى نار الفتن وتؤججها . ان هذه الحوادث الضئيلة التى تعد على الأصابع يستحيل ان يخلو منها أمة تعد بالملايين ، لقد تقدمت الأهرام الى ان اصبحت داعيـــة على المكشوف لأبنائنا وبناتنا الى كشف قناع الحياء وطرح رداء الفضيلة وخلع العذار والتقدم الى حيث يدعو الحب الكاذب اربابه ان تخرج البنت الشرقية على أبيها وزوجها ولا تكترث بارادتهم وتهنئها الأهرام اذا هى اجترأت على هذا المنكر المنظم ولم تدر الأهرام أنها تدعو ابنائنا وبناتنا الى ذل الأبد فان البنت اذا فعلت ما تشير به عليها الأهرام وهزت كتفيها لأنها غير مكترثه لرأيه توشـــك أن تقع فى ورطة لا تخلص منها أبدا (مصطفى أبو يوسف الجمامى) .

وأضافت الفتح : ان الاهرام لم تقف عند باب القول فاضافت باب الفعل بتلك الصور الفاضحة التى يستحيها من رؤيتها الأدب . هذا فضلا عن تحريضها على الانتحار فى عناوينها التى تعنون بها حوادث الانتحار (الموت ولا الفاقة) (الموت ولا الرسوب) ايها القارىء المسلم : احذر من هذه الجريدة كما تحذر من النار الملتهبة والسم القاتل .

٦ — الأهرام والتبشير

كذلك نشرت الفتح فصولا عن موقف الاهرام من حركة التبشير فاذا هى تدافع عن المدارس الفرنسية التى يقوم بالتعليم فيها الرهبان الفرنسيون ، وهى التى جعلت اللغة الفرنسية فى الحقيقة والواقع اللغة الرسمية فى الدواوين والمتاجر والبورصات والجمارك وكل فروع الحياة فى البلاد حتى مجلس الوزراء . وتدعى الأهرام أن هذه المدارس اللاتينية الكاثوليكية لا تدعو غير الكاثوليك الى دين الكاثوليك وتريد أن توهم قراء الأهرام بأن مدارس الكاثوليك غير دينية واستندلت على ذلك بأن الفرير لا يسمح لهم بأن يعلموا الدين لانهم يجهلونه . يقول رئيس تحرير الأهرام هذا القول بعد ان قرأ الصفحات التى شكا المسلمون عظيم الشكوى من وجودها فى كتاب (التاريخ المقدس) وفيها اقبح سفاهه وسباب فى حق افضل خلق الله صلوات الله عليه الى أن انتهى الأمر بوعد القسوس ان ينزعوا ذلك الموضوع من الكتاب . تقول الأهرام هذا وهى تعلم أن تلاميذ مدارس الكاثوليك مجبورون على أن يصلوا الصلاة الكاثوليكية صباحا ومساء لا فرق بين الكاثوليكى والمسلم ثم تمن الاهرام على قرائها بأن مدارس الكاثوليك جعلت اللغة الفرنسية : اللغة الرسمية فى الدواوين والمتاجر والبورصات والجمارك . ولو ان جريدة الأهرام مصدر فى تركيا لوجهت اليها تهمة الاهانة ولقابلها الشعب بالاعراض عنها والمقاطعة قبل ان تعاقبها الحكومة .

٧ — نقد اعمال جريدة الأهرام :

ثم وجه السيد محب الدين الخطيب الى داود بركات رئيس تحرير الأهرام خطابا قال فيه : ان تحامل الأهرام على الإسلام وأهله أصبح

ديدنا للصحف سواء عرضت لذلك مناسبة صالحة أو مناسبة غير صالحة ، ومنها كلمة (دمعة ملك) ان أمان الله خان رجل موتور قد سقط من أعلى المنارة الى اسفلها بلكمة قوية أصابته على يد علماء الأفغان الذين يسمون هنا (الملا) أى اذى نال داود بركات من علماء المسلمين حتى يضع على السنتهم ما يستحيل عليهم ان ينطقوا به ، حين حاول ان يصور علماء الأزهر فى معارضتهم للشيخ محمد عبده فى تنظيف صحن الأزهر وغيره كفرا ، ان عظام الشيخ محمد عبده تتألم الآن تحت الثرى من مقالة داود بركات التى كتبها فى معرض الدفاع عنه والتحامل على مخالفيه .

حاول فرح أنطون قبل داود بركات ان ينتصر لحرية المصلحين فى زعمه فاتخذ الحكيم الاسلامى ابن رشد ذريعة ليقول ان علماء المسلمين كانوا جامدين وانهم حرضوا على ذلك الحكيم واضطهدوه ، وقد نهض للرد على ذلك الشيخ محمد عبده نفسه فنشر آياته البينات بعنوان (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

وكلمات داود بركات التى جاءتنا تلبس ثوب الدفاع عن الاصلاح الاسلامى ولن تحدث كلماتها معاول تقوض الاسلام واصلاحه جميعا وتمثل علماء المسلمين بصورة مزرية .

٨ — وواصلت الفتح الهجوم على اخطاء جريدة الأهرام فاشارت الى انها تنشر باعجاب شديد أخبار المؤامرة الخطيرة التى يقوم بها أنا تورك ضد الاسلام وتدعو المسلمين الى مثل هذه الأعمال بزعم انها نهضة وبينما يقوم الأهرام بهذه الوظيفة نرى السياسة فى شارع المبتديان وفى دار الهلال تقومان بنصيبهما فى هذه الدعاية زد على ذلك بلايا الجامعة المصرية والرابطة الشرقية فأصبح المسلمون محاطون بشبكة مؤامرة هائلة ما زالت تعمى عليهم الحق .

واشارت الفتح الى أن جريدة الأهرام رفضت محاضرة محمد سلى فان تنيم الهولندى التى القاها فى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة بعنوان (الاسلام والمسيحية) وقد كان كاثوليكيا متعصبا للكاثوليكية ثم

التحق باحدى البواخر الهولندية فســـــاح عليها فى كثير من ثغور الوطن الاسلامى كالقسطنطينية وبيروت فحمله ما شاهده من عادات المســـلمين وتقاليدهم الى دراسة الاسلام ، وقد حولت دراسته للاسلام وجهته عن غاية والده فى الحاقه باحدى الكنائس ، والتحق بالجيش الهولندى ، وقرأ عن الاسلام بالهولندية والالمانية والجاوية واتصل بالمســـــلمين الجاويين الموجودين فى هولندا فوجد نفسه مصدقا بصحة الدين الاسلامى .

واشـــارت الفتح الى أن جريدة الأهرام تدافع عن قساوســـة الكاثوليك المبشرين فى الديار الشامية ، وتعمل على تشـــجيع التبشير اليسوعى فى جبال العلويين حيث تؤيد فرنسا التبشير الكاثوليكى فى الديار الشامية كما أيدته فى المغرب .

٩ — نشرت الأهرام محاضرة مسيو تيجدور على ثلاثة أيام متتالية ، هذه المحاضرة تتحدث عن نظام الميراث وتنتقد نظام الاســلام وتنســب اليه القطاعة فى توزيع الثروة وتمتدح البنك العقارى لأنه نزع ملكية ١٥٠ مزرعة بها ٣٠ الف فدان لعدم قيامهم بدفع قيمة رهنياتهم فبدلهم من اليسر عسرا ومن العز ذلا .

قالت الفتح : أعلن الاستاذ نزعة الراسمالية التى جاء الاســـلام يحاربها بنظام الارث الذى ينتقده الاستاذ لأنه يوزع المال بين الأفـــراد لينشر الديمقراطية فيها بينهم وهو لذلك يطلب نشر تشريع وضعى ينكل فيه ما جاء فى القرآن الشريف والذين يؤمن به ثلاثمائة مليون من النفوس وهو يشـــن الغارة على أن يكون للذكر مثل حظ الانثيين ويرى حرمان الأولاد من تركة أبيهم وحصر التوريث فى البكر وحده .

وقالت الفتح ان المسألة اكبر مما يبدو للأســـتاذ عزيز خانكى لأن نظام الميراث بحدوده المعروفه ليس فقط نظاما اجتماعيا بل عبادة لله تعالى توعد كل من يتعدى حدودها بالخلود فى النار والعذاب المهين .

ان المسألة فى هذا الموضوع لا يقوى عليها ايجـــاد التشريع الذى تطالب به حكومة مصر بوضعه لمخالفة احكام الدين الاسلامى الذى هو دين الدولة الرسمى .

ثالثا : صحف دار الهــلال :

وواجهت الفتح مؤامرة صحف دار الهلال والدعاية ضد الاســـلام، وهاجمت كتاباتها وصورها الاباحية فقالت : انها صحف تدخل الى العائق فى خدرها لتخرجها منها ، وهى مهوى الطالب والأستاذ والطفل والشيخ بما يظهر من صور تثير شهوت الشباب المتقد وتنشر فى الملأ أخــلاقا وادابا ما جاء الاسلام وهو دين الهدى ودين الحق ، الا حربا على كثير منها وقد ادخلوا فى أذهان الناس أن علماء الاســـلام جامدون رجعيون وأنهم هم المجددون المصلحون ، فكلما لاح لهم مقصد رموا الشيوخ والأزهر والمحاكم الشرعية بما تجدد به أداتهم وكانوا لا يكادون يصرحون بما تضمنته قلوبهم الا لماما ، ومن ذلك دعوتهم الى الغاء المحاكم الشرعية .

١ — وقد كتب الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى الى دار الهلال فقال :

لاحظت مرارا فى صحفكم (الهلال وكل شىء والفكاهة) كتابات تمس الدين الاسلامى وتهزأ بعلماء الاسلام . ولاحظ هذا الخزى كثير من الناس وآلمنا أشد الالم ما بصورة من جرايد مسيحية ليس لها أن تتعرض لدين الاسلام وأنتكم لم ترو جريدة اسلامية فى مصر تطاولت بكلمة تمس الدين المسيحى ، اننا لا نريد من صحف الهلال أن تكون نصيرة للاسلام ولكننــا نرجوها أن تبعد عن التعرض له فى كتاباتها .

٢ — وكتب الأستاذ حسن محمد يوسف رئيس شباب محمد صلى الله عليه وسلم (م ١٧ الفتح) ١٩٤٣ : لاحظنا فى السنوات الأخيرة من الهلال ومجلاته انحرافا خطيرا عن الغاية التى كان يجب أن يعمل لهــــا فاذا (بالاثنين والمصور والايماج) تساير التحلل الخلقى الذى غمر البلاد، بل تعمل على اذاعته والترويج له بدلا من أن تحرص على مقاومته والكفاح ضده مما دابت عليه من نشر الصـــور شـــبه العارية والمنافيــة للآداب ومناظر الحفــلات الخليعة وبما يروج له من مبادىء آثمة تنافى تقاليـــد البلاد بل وتنافى كل عرف فاضل وذوق سليم .

بل ان الانكار على دار الهلال لم يزد الامر الا سوءا ولم يقف عند هذا الحد بل نعداه الى السخرية من بعض الآداب الاسلامية العاليـة والنظم القيمة التى احكم الشـارع وضعها وكفل لنا وللمجتمع كل طهر وفضيلة ورقى كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ومهما يكن من التسامح الذي يطالبنا الاسلام به فليس فى استطاعتنا مطلقا ان نتغاضى عما نعتبره تحديا لدين البلاد وشعائرها وتحقيرا لمقدساتها ولا شك ان اسـتمرار مجلات الهلال على السير على هذا السبيل لن يؤدى الا الى اساءة الظن باصحابها والغاية التى يعملون لها ولاسيما وانها تروج لنوع واحد من الآراء التى تعتبر مضادة للاسلام وشعائره فاذا طلب منها ان تنشر ما يعتبر ردا على هذه الآراء امتنعت كما فعلت مع حافظ عامر على مقال تعمق ديابي .

رابعا : مواجهة الكتاب التغريبيين

سـلامة موسى :

وقد واجهت الفتح سموم سلامة موسى فى مقاله (اوكار الرجعية فى مصر) ..

فكتب عمر الدسوقى يقول : لم يكن عجيبا من سلامة موسى أن يعد الذادة عن بيضة الاسلام أوكارا للرجعية ، ولم يكن عجيبا أن نسـمعه بفحش القول فى الأمير الاسلامى المجاهد : شكيب ارسلان وينكره ببذاءة ليس أولى بها من قائلها ، وما كان هذا القبطى المعروف بعدائه للاسلام ليتعرض للأمير المجاهد بسوء الأدب لولا المواقف المجيدة التى يقفها الأمير فى سبيل اعلاء الدين الحق . لباس جديد يرتديه سلامة موسى فى الطعن على الاسلام وما أكثر ما يتشكل به سـلامة موسى ليخفى عن الناس اغراضه ويؤدى مهمته وهو فى مأمن من عيون النقدة . لبس سلامة موسى ثوب الغيرة على مصر ؛ مع انه سمسـار الغرب والغربيين وراح يذم السيد رشيد لانه سورى ، الذى يشغل سلامة موسى ويداب دائما صوبه هو الغض من شـأن الاسـلام وذم المدافعين عنه ؛ ولهذا حشر فى زمرة الرجعيين اثنين أشهد انهما من أكبر المجددين ؛ التجـديد المثمر الناهض للأمة : محب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعى . ولقد كان هؤلاء

سوريين اصلا فهم مصريون قلبا وعاطفة ودينا ولغة وان المصريين ليجلون هؤلاء الثلاثة ويعترفون بما لهم من قدم راسخة فى النهضة الادبية فى مصر ، ابرأ شباب مصر الناهض أن يقع فى حبائل من يزعمون أنفسهم مجددين ومصلحين فليس ما يدعون اليه الا استعمارا دائما وذلا مقيما ، وماذا تبتغى اوربا من الشرق الا ان يندمج فيها اندماجا بعاداته وأخلاقه وينسى قوميته ويترك لغته .

وقال الامير شكيب : ومن محاسن العرب ان يكون أعداؤهم مثل سلامة موسى اباحية يدعون الى اختلاط الانساب ولا يرون بأسا فى ان لا يعترف المولود بأبيه وهى الشناعة التى أراد بعضهم ان يعزوها للبوتشفيك فبرأ هؤلاء منها وأكبروا الأمر وهم البولشفيون الشيوعيون .

واشارت الفتح ان سلامة موسى يرى أن التجديد عنده هو نبذ الدين ظهريا والجمود عنه هو اتباع دين الله ، ومن كتابات سلامة موسى قوله : ان افلاطون يبحث عن شيوعية النساء وفى ذلك الوسط الحر نشأ أدب نزيه خلو من القيود ولا يزال يوحى الى الكتاب وليس فى هذا النظام ما يخالف الطبيعة البشرية فان العائلة لا تزال موجودة بوجود الأم (م ٤ الفتح) .

٢ — وواصلت الفتح مواجهتها لسموم سلامة موسى : فقال لسنا فى حاجة الى التذكير بمن هو الكاتب المعروف سلامة موسى الذى اشتهر بأنه نزاع الى الهدم والتدمير . ان مصر العزيزة التى اضاء واديها قبسات النور فى فجر نهضتها أصبحت اليوم تكاد تستجدى لعصابة من الملاحدة الابيقوريين يرمونها عن قوس الزندقة ، بالسهم تلو السهم ، ويتآمرون على اسلامها فى الجامعات والمطابع وينفقون الليالى يدبرون الأمر لكيدها فى دينها ومعتقدها وايمانها ويجرؤون باسم التجديد الكاذب المزيف على الهزء بكتابها وشريعتها وتاريخها وآدابها ويعبثون كل يوم بيد من أيديهم الشريرة تجوس خلال حرماتهم المقدسة ، فاذا قال قائل ان سلامة موسى وشيعه الذين على مذهبه الاباحى ، يجب أن لا يكونوا فى مصرينه : نهذا لا محل له عن تحرى السنة الطبيعية فى المجتمع الانرسانى لان هذا

المجتمع لابد ان يكون عالقا به من العناصر الفاسدة شىء بمقدار قل او كثر ، ولكن وجه الاعتبار للقضية يفرض على مصر نفسها أن تكون فاعلة لا منفعلة . فتنبذ هذا العنصر وتعدمه الحياة .

ماذا يريد سلامة موسى وماذا هو مذهبه ؟ يريد أن يطوى بساط الدين الاسلامى فى مصر وأن يقوض عقائد التوحيد والايمان ويبطل الشريعة الاسلامية وتسقط تكاليفها وتنهار احكامها ، ويقصد أن تنتهى مصر من أقصى الحرية الاجتماعية المفرطة سننا لها مصطنعا بدلا من سنن الاسلام وحدوده وأن يحل الاستهتار محل الآداب والفضائل ؛ وهو يسمى هذا (الأدب المكشوف) وأن يسر المصريون بقضهم وقضيضهم نحو الحضارة الأوربية يغترفون منها اغترافا مطلقا بلا قيد ولا شرط ومذهبه ظاهر . فهو يقول ان الالتحاق باوربة على هذا الوجه هو المنجاة الوحيدة لمصر من ربقة العهد الحالى — يعنى الاسلام وهو على راى زويمر راس المبشرين العاملين على اسقاط الاسلام من أن السبيل الاهون والأيسر الى ضعضعة هذا الدين تسليط الملاحدة من ابنائه عليه حتى يخرب بأيديهم ويكون المسلم الملحد حربا على المسلم المؤمن ، ومن ذلك هجومه على رشيد رضا ، وشكيب ارسلان ومحب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعي (الفتح ١٣٤٨ — ١٩٣٠) .

٣ — ونقلت الفتح (م ١٩٣٢/٦) ما كتبته جريدة الجامعة العربية التى تصدر فى القدس عن سلامة موسى فقالت : لم تبق جريدة فى الدنيا تقبل أن يستخدم سلامة موسى الكاتب القبطى المتعصب على الاسلام ولا توجد جريدة تقبل ان تنشر له مقاله او شذره او كلمة وهو القائل فى مقال له :ان العالم يجب أن يكون حرا وان خالف الأخلاق فليكن له ذلك وهو الذى كان يشى بمجلات دار الهلال أثناء وجوده محررا بها .

نعم لم يبق انسان الا احتقر سلامة موسى أو أعرض عنه بعد تلك الفضيحة وبعد تطاوله بما لا يليق على الأمير شكيب وصاحب المنار وصاحب الفتح ، ولم تعد تقبله اى جريدة غير جريدة البلاغ المصرية وربما ظن الأستاذ عبد القادر حمزة أن سلامة موسى قد تاب وأناب ولكن سلامة

موسى وجد وسيلة اوسع انتشارا لاذاعة خبائثه ومعانده تلك هما جريدة البلاغ الاسلامية الوفدية .

فهل يدرى الأستاذ عبد القادر حمزة ما ينشر سلامة موسى فى جريدته فى العدد (٢١ ابريل ١٩٣٢) فى الصفحة الأولى تحت عنوان (الجزية السنوية التى كانت تؤديها مصر للسودان) ما نصه : وهناك (فى السودان المسلم العربى) نرى اهرام كتلك التى نراها فى الجيزة بناها ملوك كانت تجرى فى عروقهم دماء الفراعنة . هذا السودان الذى بللت ارضه بدماء جنودنا الذين استخلصوه من المهديين وردوه الى حظيرة الحضارة) .

وفى بلاغ ٤ مايو ١٩٣٢ تحت عنوان (شم النسيم) يقول :

هذا العيد هو بلا شك من اعيادنا القديمة التى تتصل ببعض الهتنا المنقرضة مثل رع وازوريس وغيرهما من الهة الفراعنة) .

واريد ان اسال هل بلاد السودان فرعونية ، وهل يعتقد حقا ان اخذ السودان من الدولة المهدوية الاسلامية المستقلة المجاهده من الاستعمار ثم وضع السيطرة الانجليزية عليه كما يقول سلامة موسى هو رد الى الى حظيرة الحضارة وهل يعتقد عبد القادر حمزة ان رع واوزوريس وآمون آلهته . الم يقرا هذه المفاسد الشيطانية فى جريدته وان كان قد قراها فكيف سكت عنها ؟

٤ — وعادت الفتح الى مراجعة كتابات سلامة موسى (م ١١/ ١٩٣٧) :

قالت : الرجعية فى نظر سلامة موسى هى الاسلام وما نحاوله من رجوع المسلمين اليه ونقف دائما عند حدود الدفاع المشترك تجاه الفئوس الكثيرة التى اعدت لهدم ذلك البناء الشمخر مقالة اوكار الرجعية من شكيب ومحب و ..

كتب سلامة موسى تحت عنوان فساد يتفشى فهو يرى ما يكتب عن الاسلام فساد يتفشى ..

كنا نحب أن نعالج الضغينة التى فى قلب سلامة موسى فنستلها وننظف قلبه منها ونبدله بشىء من المحبة التى أمر بها السيد المسيح صلوات الله وسلامه عليه ولكن ما دمنا نصدر الفتح فمن المستحيل أن يرضى عنا سلامة موسى وسيزداد حقدا وضغينة .

وقالت الفتح : قال عزيز جريس عطية عن المعز لدين الله : انه فاتح أجنبى (مع أنه لم يكن فاتحا ولم يكن أجنبيا) وقال مرقص سميكه انه تنصر وقال سلامة موسى أنه سمى القاهرة بهذا الاسم : يريد قهر المصريين والتغلب عليهم ، واذا كان شىء تغير فهو اسم الاسكندر لأنه منسوب الى اسم أجنبى وأنا أكرر ذلك فانه تشويه للتاريخ .

وأشد ما قاله سلامة موسى هو أن العرب لم يشتغلوا بالطب بطريقة علمية صحيحة ، وذلك لتحريمهم التشريح وقد أجاب عبد الحميد السيد واثبت ان الاسلام لم يحرم التشريح بالمعنى الذى يفهمه سلامة موسى وأن العرب كانوا يقومون بمختلف العمليات الجراحية بكثير من الآلات الطبية المعروفة الآن من مباضع وغيرها .

٥ — وقد وجه السيد مصطفى صادق الرافعى كلمة الى سلامة موسى قال فيها :

زعمت أن ليس فى دمى قطرة من الدم المصرى ، وهذا كذب فان والدتى مصرية وأنا مولود فى مصر وزعمت أنى أقول أن الأزهر لو كان قد أنشىء فى بلاد أخرى لكان له شأن عظيم وهذا كذب دنىء فان مقالاتى وكتبى منشورة مقررة وليس فيها ذلك ولا ما يشبهه ، وقلت أنى طبعت كتابا لى مرة ثانية وخشيت أن لا يشتروه فغيرت اسمه وأنا أتحداك أن تجيئنى بكتاب فى الأدب العربى بلغ رواجه ما بلغ كتابى هذا (اعجاز القرآن) ثم قلت وأراد أن تكون كلمة حسنة فى سعد باشا فقال عن جثمانه أنه رمة من الرمم واحسن الى قرائى بنشر كلمتى التى رثيت فيها سعد باشا ...

واشار محمد محمد الصيحى الى ان سلامة موسى يطعن على ادباء اللغة العربية وينادى بنشر الادب الفرعونى (ان كان هناك ادب فرعونى) والدعاء للأدب الغربى ويرى انه اقرب الينا من الأدب العربى .

٢ — الدكتور فخـــرى :

ووجهت الفتح ردا مدحضـــا الى الدكتور فخرى فى اتهامـــاته التى وجهها للاسلام ،

ويقول عمر الدسوقى : طالما كنت اصـــارح اخوانى بالغرض الذى من اجله تأسست الجامعة الأمريكية بمصر ، اهى للثقافة والتربية خالصة لوجه الانسانية ، أم هى لمهاجمة الاسلام بأساليب جديدة ، وانما تتخــذ من العلم والتربية ستارا تعمل من ورائه لتحقيق أغراضها وأنها تستدرج شباب الاسلام الى سماع محاضراتها حتى اذا استأنس بها بعضنا أخذت تنفذ أغراضها بتشكيك المســـــلمين فى أمر دينهم وفتنتهم عن معتقدهم ؟ والآن وقف الدكتور فخرى يخطب ويعرض بالشريعة الاسلامية ويزعم أنها جائرة حيث كبلت المرأة بالأغلال ونزلت بها الى الحضيض ، فانه لم يعد هنـــاك ريب فى نية جماعة الأمريكيين وأنهم كانوا يمهدون الطريق طوال المدة السابقة لكى يصلوا الى غرضهم ، كيف تعرض للشريعة الاسلامية وهو لا يفقه فيها بحكم مهنته شيئا ولا بحكم دينه يعرف من الاسلام قليلا أو كثيرا . ان الاسلام يحتاج الى قوة تضرب على يد هؤلاء الضـــالين المضلين الذين يتعرضن له بالطعن وهم فى غواية يعمهون .

٣ — محمد عبد الله عنان :

وردت الفتح على الدعاوى التى نشرها محمد عبد الله عنـــــان فى جريدة السياســـة (م ١٩٢٩/٤) فنقلت ما : قاله الأســـتاذ عنان أن الاساطير اليهودية تقول أن البراق هو البقية الباقية من هيكل ســـليمان وترى فى التقاليد اليهودية الدينية أثرا من أجل آثار اسرائيل » .

وقالت الفتح : اذا كان الاستاذ يروى هذه العبارة حكاية الاساطير اليهودية بشأن البراق فقد كان مأمولا منه الا يمر على الأساطير دون أن

ينصاع الى جانبها فالحقيقة تختص بعلماء الآثار وبهرة المعماريين اكثر مما تختص بالأساطير وليس فى علماء الآثار من يقول بان اى قسم من الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف ، الجدار الذى عنده ربط الرسول صلى الله عليه وسلم براقه يرجع فى عهد بنائه الى زمن سليمان بل المتفق عليه قطعا ان هذا الجدار بنى فى زمن لاحق متأخر جدا فزعم اليهود أن الجدار بقية باقية من الهيكل ساقط اساسا لان علم الآثار والمعمارية ينفيانه نفيا باتا .

واشارت الفتح الى ان عنان يقول : ان اليهود اعتادوا ان يحجوا الى هذا الأثر وان يتعبدوا حوله وقالت الفتح : ان الحج والعبادة عند الحائط وحصول هذا منذ بعيد ، بعيد عن الواقع فقبل مائة سنة تقريبا لم يكن عدد اليهود فى فلسطين يزيد على عدد اقل الجاليات الأجنبية فى مصر اليوم ، يعيشون فى كنف الحكومة العثمانيه نجاة من الاضطهاد فى اوربا وفى كنف المسلمين فى القدس ما كانوا ليحجوا أو يتعبدوا عند الحائط فالمكان ليس الا عراء حيث لا معبد هناك ولا كنيسة فلما وجدوا هذا الحائط وسيلة للتقرب الى مكان الهيكل جعلوا يعظمون هذا الحائط ويتوسلون به لتقديس المكان كله وقد تساهل المسلمون معهم اشفاقا عليهم ولكن ما لبث اليهود ان جعل مسلكهم يذكر المسلمين بأن لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع وفى عهد ابراهيم باشا أصدر مرسوما حذر فيه اليهود من محاولة أى شىء سوى الزيارة البسيطة .

هذا أساس الشىء الذى منح لليهود منحه وهم اليهود بعد أن دار الفلك دورته يحاولون بقوة بريطانيا البرية والبحرية والجوية الاستيلاء على الحرم نفسه .

٢ — وفى أحاديث نشرها عنان عن منشأ الحركة الصهونية ، وأشار الى ما كان لهرتزل أحد متقدمى اليهود من أثر فى هذا السبيل وذكر الحرب العامة وعون اليهود لبريطانيا الى أن وصل الى وعد بلفور ١٩١٧ وربط كل ذلك بغشيان اليهودلفلسطين واقبالهم عليها تعميرا وتحضيرا وترقية ،

وقالت الفتح : ان من كان فى فلسطين يعلم ان الاستاذ بكلامه هذا

اكبر اعمال اليهود اكبارا فائق الحد مما دل على انه لا يخلو ذهنه من نواح قابلة التأثير بالدعاية الصهيونية ، ولكن ما هو اعجب ، ومحل مؤاخذة أن الأستاذ فى كلامه عن الحركة الصهيونية لم يضع فى مقابلها الحركة العربية والثورة العربية فى الحرب العامة وقطع الانجليز العهد تلو العهد للعرب بانهم مستقلون بعد الحرب فى ديارهم كيف وقف الأستاذ حيال الحركة الصهيونية معجبا وهى ترمى الى سلب بلاد من اهلها بمساعدة الدولة التى تاجرت بدماء اهل البلاد العربية وذكر الأستاذ أن اليهود فى القدس وهم مائة وثمانون الفا منهم فى القدس ثمانون الف فهل اطلع حضرته على احصاء الحكومة الرسمى ، احصاء الحكومة الساعية فى انشاء الوطن القومى لسكان فلسطين ، اذا كان لم يطلع فاخبره أن عدد سكان القدس جميعا من المسلمين والمسيحيين واليهود لا يزيدون عن ٩٠ الفا منها نحو ٣٥ الفا من اليهود فأين الثمانون الفا .

٣ — وكتب كاتب آخر تحت عنوان : (هل الأستاذ عبد الله عنان يهودى صهيونى) قال :

كنت أظنه مؤرخا صادقا يشرح وجهة نظر العرب من ناحية ووجهة نظر الصهيونية من ناحية أخرى ثم يقضى على ذلك بالحقوق التاريخية والمكتسبة للعرب ولكنى وجدته خص نفسه بشرح نظرية اليهود وأطرح امر العرب وزاد الظن بدفاعه المستتر مرة والمكشوف مرة أخرى على القضية اليهودية ، فجعلت اعجب لهذا الكاتب واعتقدت أنه اما معتنق مذهب الصهيونية يعطف عليها ويدافع عنها واما ذو هوى فى خدمة مصالح اليهود فراح يتهوس تحرقا على قوميتهم .

كل الصحف السيارة فى مصر فى واد وجريدته الشاذة فى واد آخر ؛

وينسى أو يتناسى أن فكرة الوطن القومى اليهودى اشتريت بأموال اليهود فى الحرب العظمى واستغلال ضعف العرب فأراد الصهيونيون أن يغتصبوا أرضهم وديارهم وأموالهم بدون مسوغ من القوانين الوضعية والحقوق الدولية ، الا تلك الدعاية التى بثها اليهود فى أنحاء العالم ، ولم

يعجزوا عن أن يجدوا فى مصر لسانا رطبا تحركه المصالح والأهواء : أعنى لسان جريدة السياسة فى مصر فبينما فلسطين بحر من الدماء واليهود يتحرشون بأهل البلاد العزل من السلاح والعالم العربى والاسلامى يضج من هول المأساة اذا بهذا الكاتب وزمرته يقولون ما لا يعلمون (ص ٢٦٨ م ٤ الفتح) .

٤ — وكتب السيد محب الدين الخطيب معلقا على مقالات محمد عبد الله عنان عن فلسطين فقال : آتى فى هذه المقالة على أشياء لا يصح السكوت عليها لسببين : الأول لأن التقرير الذى نشره مناقض للحقائق والثانى لأنه مال على الصهيونية بكثير من الاشادة بذكرهم وذكر جهودهم وثمرات جهودهم فى فلسطين وما وراءهم قوة يهودية وغير يهودية فى الحاح بحيث كاد يلقى فى فهم القارىء أن الصهيونية فى طريق الفوز والنجاح . ثالثا : أنه فعل هذا دون أن يتوجه الى أهل فلسطين العرب بانصافهم فى مالهم من حق طبيعى فى بلادهم بل من حق كامل فى دفع الصهيونية عن البلاد دفعا مشروعا جائزا .

وقد خاضت (السياسة) فى الأيام الأخيرة بعد نشوب الفتنة فى فلسطين خوضات عديدة كان لها أسوأ الأثر فى نفوس عرب فلسطين وعرب فلسطين مسلموهم ومسيحيوهم لا يريدون من (السياسة) أن تدافع عن حقهم ، وما دامت السياسة تحارب المصريين لاعرابهم عن شعورهم نحو فلسطين باعتبارهم مصريين مسلمين بل ترجو أهل فلسطين من السياسة أن لا تكون عونا للصهيونيين فى دعايتهم فالقضية من جهة عرب فلسطين قضية دفاع عن وطن وأمة وبلاد .

٤ — عباس العقاد :

وأشارت الفتح الى مقال العقاد الذى أعلن فيه دهشته من ظهور عشرين كتابا عن الاسلام فى أقل من عام (محمد كرد على وأحمد أمين وهيكل وطه حسين وفريد وجدى) ويرى أن هذه ظاهرة اجتماعية لها سر وهى تساند ضد الحركة الوطنية (م ١٠/ص ٢٥٥) .

قال السيد محب الدين الخطيب : أنا منذ بضعة عشر عاما الى الآن

أدعو شبابنا المثقف الى التخصص فى دراسة التراث الاسلامى العظيم وتنظيمه على النحو الذى فعله المستشرقون والمستغربون ولكن بنية غير نيتهم ، فهم ينظرون اليه بعين الضرة الى بنات ضرتها ونحن نريد من شبابنا ان ينظروا اليه بعين الأم الى بناتها ، والمستشرقون يدرسون ليستعينوا به على استعمار أوطاننا ونحن نريد من مثقفينا أن يدرسوه ليصلوا به آتينا بماضينا ويتخذوا من قوته حصنا يجمع شبابنا ويحمى حمانا .

أنا أنشد نهضة اسلامية لها مدارس توجه ناشئة الاسلام الى هذه الوجهة ويمثل عندهم غيره على هداية الاسلام لا تزاحمها فى قلوبهم غيرة على اى شىء آخر والغيرة على هداية الاسلام كفيلة بتجهيز الوطن بجنود يحسنون الذود عنه ويضمنون خلاصه .

أنا أشهد نهضة اسلامية مؤيدة بصحافة يومية واسبوعية وشهرية تحرص على تكوين هذه الحقائق فى الراى العام الاسلامى وتوجهه فى طريقها .

٢ — وكتب (على احمد باكثير) م ٩ من الفتح ١٩٣٤ تحت عنوان حديث مع ملحد يكتم عن قرائه الحاده قال انه التقى باحد كتاب مصر ودار بينهما حوار ، فقال الكاتب الكبير :

ان الأمة ليست بحاجة الى الدين ولكنها بحاجة الى الاخلاق ، فالأخلاق وحدها هى التى ترفع الأمة الى مستوى الامم الراقية وليس الدين ، قلت : انى لا افهم فارقا بين الدين والأخلاق فالدين الذى تتحدث عنه هو الدين الاسلامى الذى هو دين الأخلاق والأخلاق فى اسمى مظاهره وأصدق مدلولاتها وحسبك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل: انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

قلت : اننى قلت تربية اسلامية صحيحة ولم اقل دراسة دون الكتب وشروحها ، بحسب تربية الناشئة على المثل العليا فى الاسلام وتاريخه من التضحية والصبر والشجاعة والكرم والايثار والصراحة ، ونكران الذات

وتنشئتهم تنشئة عملية على الطهارة والصلاة ، قال ان أوربا العظيمة لم تنهض نهضتها الجبارة الا بالاخلاق بعد أن عاشت قرونا بدينها فى الظلام .
قلت لا قياس مع الفارق ، لا اظنك تجهل الفرق العظيم بين الدين الاسلامى والنصرانية ولا أحسبك الا ذاكرا تلك الكلمة الخالدة لجمال الدين الأفغانى ترك النصارى دينهم فتقدموا وترك المسلمون دينهم فتأخروا هذا محمد عبده اتراه يذهب الى ما ذهبت اليه فى أن تنبذ الأمة دينها وتذهب تستجدى الأخلاق أم يذهب الى طريقته المشهورة فى الاصلاح الدينى ونقرر أن الاسلام ضرورى ليس لسعادة الأمة الاسلامية فحسب بل لصالح العالم كله ».

ملحوظة : صرح الأستاذ باكثير رحمه الله أن حديثه هذا كان مع العقاد .

٥ — زكى مبارك :

أشارت الفتح الى أن الدكتور زكى مبارك كتب مقالا فى البلاغ الأسبوعى فى نقد آراء ابن فارس فى فقه اللغة ، هذا النقد عنوان اتخذه لجرح الدين الاسلامى والعبث بآيات كتابه واطالة اللسان على العلماء والمجتهدين من أخيار المسلمين ، فقد أشار الى ما أسماه تناقض آى القرآن الصريحة وأثار الشبهة حول نص ثابت هو أن الله تعالى علم آدم جميع أسماء المسميات وعلم آدم بالمسميات كلها ثابت بنص الكتاب وعليه درج جمهور العلماء وفى مقدمتهم ابن عباس ، فما قاله تلميذ طه حسين رجم بالغيب وجنوح الى التضليل . واشار الكاتب (على ابراهيم القنديلى) الى جراة زكى مبارك على سيدنا ابن عباس وكيف سوغت له نفسه أن يطعن فى هذا الامام المتفق على ورعه وشدة تفوقه فى المسائل الدينية ، لقد أمسن هؤلاء الاباحيون بزخرف المدنية الغربية فعميت ابصارهم وطمست بصائرهم ».

٦ — محمد التابعى :

واشارت الفتح (مارس ١٩٤٢) الى مهاجمة محمد التابعى فى مجلة آخر ساعة للشريعة الاسلامية قال : المجلة التى تخاف على الزناة وعلى الحرامية من احكام التشريع الاسلامى تتجاهل أن أحكام الشريعة الاسلامية

بحر لا ساحل له وأنه يتناول جميع علاقات البشر بعضهم مع بعض ، فى بيوعهم ومعاملاتهم المدنية وغيرها ، وأن الذين درســـوه من علماء أوربا اعترفوا بأنه لم يخطر على قلب بشر معنى من معانى العدل الا وله ذكر فى كتب الفقه الاسلامى وقد لاحظه أئمة فقهنا وقالوا به وأرجعوه الى أصله من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس ، اذا شاءت مصر أن ترجـــع الى تشريعها الصحيح الذى لم يكن يعرف غيره منذ بضعة عشر قرنا فانها ستبدأ منه بالتشريع المدنى ، أما التشريع الجنائى فنحن أنفسنا نرى أن تسبق العمل به اصلاحات اجتماعية تقطع دابر الفقر المدقع ، الذى هو الدافع الأول الى السرقة والى اكثر الجرائم التى يتعرض أصحابها لطائلة القانون .

وقالت الفتح : مجلة يحررها كاتب مسلم فى مصر اسمه محمد يتهكم بالتشريع الاسلامى . هذا التهكم والأستاذ فمرى من كبار علماء هنغاريا يقول :

ان فقهكم الاسلامى واسع جدا الى الدرجة التى أقضى العجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم ، مسلم فى وطن الأزهر ينشر هذا الهراء بينما العلامة ســـــانتلانا يصرف أنضر سنوات عمره فى تنظيم احكام الاسلام المدنية منذ عام ١٨٩٩ وتعمل بهـــا محاكم تونس المدنية بموافقة الاحتلال الفرنسى واستحسانه ، مســـلم فى ديار الاسلام تكون هذه ميوله من جهة الاسلام والتشريع المحمدى وأمين نحلة النصرانى اللبنانى يقول عن محمـــد صلى الله صلى عليه وســــلم ورسالته :

يا محمد : يمينا بدينى : اننا فى هذا الحى من العرب نتطلع اليك من شبابيك البيعة فعقولنا فى الأنجيل وعيوننا فى القرآن .

٧ — توفيق الحـــكيم :

فى المجلد ١٣ من الفتح (١٩٣٨) كتبت الفتح ردا على مقال توفيق الحكيم (هل يوجد اليوم شرق) قال : الذين يسألون هل يوجد اليوم شرق

يريدون أن يقولوا هل للاسلام اليوم وجود . ومدار هذا السؤال على مبدأ آخر يجب أن ينتهى من الحكم فيه وهو هل الحضارة الغربية كل لا ينجزأ : فتحث الشرق على نهضته أن يأخذ بها كاملة من البرنيطة الى الحروف اللاتينية الى العطلة فى يوم الأحد ، الى اعلان ان الاسلام ليس دين الدولة الى تقويض الأحكام الشرعية الى الغاء الأوقاف الاسلامية الى اباحة زواج المسلمات بغير المسلمين ، الى ابطال احكام الله فى المواريث وسائر الأحوال الشخصية ، الى غير ذلك من كل ما فعلته انقرة وما سوف تفعله ام ان الحضارة الغربية فيها الجانب القوى وهو جانبها المادى وفيها جانب ضعيف هو جانبها الروحى ويجب على الشرق فى نهضته ان يأخذ بالجانب القوى بتأسيس المصانع وتنظيم الحياة الاقتصادية او اقتباس الأنظمة النافعة من الغرب مع تجديد نهضتنا الاسلامية والتمسك بها والضرب على اصابع كل حامل قلم يزهد الناس فيها بالتصريح أو الكناية وجهره او دسا ونفاقا .

هل يوجد اليوم الشرق ؟

هو يسأل الا يزال الاسلام باقيا ، وهل لا يزال له انصار أقوياء يعملون على بعثه وانعاشه واحياء سلطانه ، ونحن نقول له : ان الذى يقول بأن حضارة الغرب كل لا يتجزأ ويدعو الى الانسلاخ من الاسلام والأخذ بالتفرنج بكل ما فيه من قوة وضعف وجمال وقذارة ، هو رجل يغش المسلمين ويؤخر نهضتهم ويشغلهم بالسفاسف عن الحقائق لأن فى الغرب جانبا قويا وهو علوم وصناعات وانظمة وجانبا ضعيفا ، كما أن فى الشرق جانبا قويا وهو الهداية المحمدية التى اوجدت المع نهضة فى تاريخ الانسانية ولن تصلح الانسانية الا عليها وجانبا ضعيفا وهو ابطاؤه فى الأخذ بالعلم الانسانى المشاع الذى كانت له حلقات ذهنية فى سلسلة تاريخية وسيكون لنا حلقات ذهنية مسلسلة مستقلة ، وقد أجمع الناصحون للشرق بأن نهضته ان لم يزدوج فيها علم العصر وأنظمته وصناعاته بروحانية الاسلام وهدايته ونوره فعاقبة الشرق المسخ والبوار ولا يرضى ذلك للشرق الا شانىء غبى آثم .

٨ — فريد وجـــدى :

كذلك فقد واجهت الفتح ما كتبه الأستاذ فريد وجدى عن الكماليين فى تركيا فقالت :

تمكن الكماليون منذ سنين من استهواء الأستاذ فريد وجدى وتحريك عصبيته التركية التى يظن أنه ينتسب اليهـــا فأخذ من ذلك الحين يترنم بألحانهم ويضرب على نغمتهم فنشر فى مجلة الحديث الحلبية مقالة عنوانها (الروح العصرية نعمة الهية) قال فيها بعد أن التقط من تاريخ الاســـلام ما التقط (فان العناصر الأدبية التى تتألف منها الروح العصرية ارقى بمـــا لا يقدر من كل ما سبقها من العصـــــور الخالية . وقال : كان الناس فى الأزمان السابقة يعتبرون الحق للقوة وهى فى العالم الآن من يقول بهذا المذهب . لقد انقلب مؤلف كتابه المدنية والاسلام على آرائه التى عرضها الناس فصار يقرر الآن عكسها بل صار صاحب الرد على قاسم امين فى موضوع السفور الحجاب يدافع لا عن رقص الكماليين مع غير محارمهم من نساء المسلمين فحسب بل يدافع عن زواج المسلمات منهن بغير المسلمين ولا تتحرك فى جسمه شعرة غضبا لهذه الأمة .

وظن الكماليون انهم اكتشفوا فى صفوفهم رجلا كان المســـــلمون يحسنون الظن به ، فيخدعون الأمة ويدعونها الى مذهبهم ، ولكن ما كاد يجاهر بهذا الانقلاب حتى عده الناس شـــخصا آخر غير فريد وجدى القديم .

وقالت الفتح : ان الشعب التركى يزعم أنقره لا تزال اشد الشعوب تمسكا بالاسلام لم ترده البرنيطه والحروف اللاتينية والأمر برقص النساء من الشبان والغاء الشرع الشريف الا استمساكا بكتاب الله وسنة رسوله .

وقد رد الأمير شكيب أرسلان دفاعا من الأتراك العثمانيين وتاريخهم ودورهم العظيم فى الاسلام فى الفتح م ٦ ص ٦٥٧ .

٩ — محمود عزمى :

وعلقت الفتح على محاضرة القاها محمود عزمى فى باريس (م ٥٦٦/٥) قالت : القى الدكتور محمود عزمى محاضرة فى جمعية الثقافة العربية فى باريس موضوعها (تمتين الروابط الفكرية والاجتماعية بين بلاد العرب) قال انه فى اول الامر كان فرعونيا من اهل الوطنية الضيقة ، فلما ذهب الى دمشق عندما ضربتها فرنسا بالقنابل رأى اهتمام اهل فلسطين واهل سوريا باحوال مصر واشادتهم بنهضتها ، ثم قابل فى دمشق افرادا من قبائل الجزيرة فتأثر بفكرتهم ولكن لم يوافقهم على اطلاق لفظ (البلاد العربية) على الشرق العربى ثم اقترح (بلاد العربية) وقال انه مسرور لأن الكثير من اهل الكتاب استعملوه .

ثم قال : ان هذه الوحدة ينبغى ان نبنى على اللغة فقط وان نقسم بلاد العربية الى ثلاثة أقسام : المغرب ومصر والشام والعراق ثم الجزيرة. وبما أن مدنية الغرب هى المدنية الغالبة فينبغى أن نتخذها بلا انتقاء ، بمحاسنها وقاذوراتها ، ثم صب انتقاده على الاسلام وتعاليمه وعلى كتبه ذات الورق الأصفر وقد القى احمد عبد السلام بلافريج سؤالا على المحاضر

هل دعوتكم الى اتخاذ مدنية الغرب بلا قيد ولا شرط ، أليس معناه القضاء على الثقافة العربية واضمحلال شخصيتنا واندماجنا فى هيكل الغالب ؟.

ولا يخفى أن دعوته الى اتخاذ مدنية الغرب بحذافيرها انما معناه استبدال الاسلام ومدنيته بشىء آخر ، معنى هذه المدنية التى يدعونا اليها: هذه المجتمعات كلها ظواهر تجمع بينها انتشار الخمر والكحول وانحلال العائلة فالمراة تفعل ما تشاء والرجل كذلك ثم مزاحمة المراة للرجل فى العمل الخاص به ، ثم انتشار الفحش ومخاصرة الرجل للمراة عند الرقص، فاذا كانت هذه المدنية التى يدعونا اليها فتبا لها ، وليحيى مجتمعنا متوحشا متأخرا ، ان المجتمعات الأوربية كلها فى طريق الانحلال وفلاسفتهم يشكون من هذه الحال فانتشار الجرائم والفوضى وذيوع الأمراض السرية وانحلال العائلة كل ذلك يدل على احتضار هذه المدنية وانها لا شك زائلة .

٢ ــ وقد علق السيد محب الدين الخطيب فقال :

ان الاستاذ عزمى يكره ويعادى ما أسس على فكرة اسلامية فقط ولعله لا يزال يذكر ان شبان القاهرة لما قاموا بتأسيس جمعية الشبان المسلمين وكان عزمى محررا فى السياسة اجتمع به شباب من طلبة الجامعة المصرية وانكروا عليه احجام السياسة عن نشر أخبار الشبان المسلمين مع أنها تنشر اخبار جمعية الشبان المسيحية ، قال عزمى : وأى حاجة الى تأسيس جمعية للشبان المسلمين ومع وجود جمعية الشبان المسيحية ، فقالوا له : لقد أسست لتعريف غير المسلمين ونحن لا نريد عن اسلامنا بديلا ثم أنها جمعية أجنبية أمريكية ، ويقول الاستاذ عزمى أن تلك البلاد ليست بلادا عربية بجنسيتها ولكنها بلاد تكلمت العربية فيحسن أن تنسب الى اللغة لا أن تتصف بالجنس وهى فكرة تدل على ضعف معلوماته التاريخية عن اصل سكان العراق والشام وسائر الأقطار التى تتكلم العربية .

(٢)

الصحف الاسلامية

الفتح ، الاخوان المسلمون ، المنار ، الشبان

وكتبت الفتح عن الصحف الاسلامية فى مصر فقالت : (م ١٧)

ان المسلمين والعرب فى الوثبة التى يتأهبون فى عشرات السنين يحتاجون الى قيادة مرشدة فى صحافة غير الصحافة الموجودة اليوم ، وكان الفتح أول من شعر بهذه الحاجة حتى قبل أن يصير للعرب والمسلمين هذا الكيان الميدانى فلما صار للعرب والمسلمين هذا الكيان ظهرت للميدان (الاخوان المسلمين) واليوم فى القاهرة وتليها المنار اليومية فى دمشق ومجلة الشبان المسلمين اصدرها المركز العام للشبان المسلمين بحجم واف واقلام بارعة ، وفى الاخوان المسلمين حركة لتحويل مجلته الأسبوعية الى صحيفة تنزل الى السوق)

فما هى الرسالة التى يجب على الصحف وأمثالها اداؤها وما هى الخيوط الأساسية التى يجب أن ترسمها لنفسها ملتزمة السير بها وتعالج

العقبات التى يمكن أن تعترضها فى طريقها وكيف يجب أن يتخطاها ، ومن الخطأ أن تصاب صحافة المسلمين بما أصيبت به صحافة المسلمين من مرض الارتجال .

٦ — وقالت الفتح م ١٩٤٦ :

الصحافة أداة ارشاد ولا يكون الارشاد الا بتحويل القافلة الى الطريق الذى يعرفه من يتولى الاصلاح . كانت القافلة التى نحن فيها فيما مضى سائرة على غير الطريق لأنها خرجت من عصور الضعف والغفلة الى عصر الاستعمار والصحافة تولاها قوم اتخذوا الى هوى أهل القافلة وساروا معهم على شهواتهم فتحولت الصحافة عن الارشاد الى أداة تسلية ومتعة وهوى وتغرير .

كانت الفتح أول من شعر بهذه الحاجة ، قيادة رشيدة مرشدة من صحافة غير الصحافة الموجودة اليوم حتى أصبح للمسلمين والعرب اليوم هذا الكيان البدائى فلما صار للعرب والمسلمين هذا الكيان البدائى ظهرت الى الميدان الاخوان المسلمين اليومية فى القاهرة وتلتها المنار اليومية فى دمشق ومجلة الشبان المسلمين .

وكانت الفتح قد وجهت دعوة الى الصحف الاسلامية عام (١٩٣٨) فقالت :

هذه المرحلة : مرحلة مقاومة الاستعمار فى كل أجزاء العالم الاسلامى هى القضية الأولى اساسا ومنها تنبثق القضية الأخرى : قضية المحافظة على الذاتية الاسلامية وتحريرها من التبعية والتغريب عن طريق انفاذ التشريع الاسلامى وايقاظ المشاعر الى تكوين الشخصية الاسلامية وبنائها . وأشارت الفتح الى قضايا طرابلس الغرب وقضية فلسطين التى اولت الفتح لها اهتماما ضخما واسعا لأمران : المسجد الأقصى وقيام دولة لليهود مع ما فى تونس والجزائر والمغرب من مكائد الاستعمار الفرنسى وأشارت الى طرابلس الغرب بين أنياب الذئب الايطالى، وأشارت الى تعطيل الشعائر الاسلامية فى المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين .

٤ — وتحدثت الفتح من صحافة الشهوات والفجور سنة عام ١٩٣٣ واشارت الى مجلة الراديو التى يصدرها محمود عزت المفتى واشارت الى ما تكتبه مما وصفته بانه قاذورات تلطخ صفحات المجلة باســـم الادب المكشوف والادب الوضيع قاصدة الى انجاز شنيع بوضاعة احط الشهوات واخسها فهى تعرض انواعا من الشهوات والفجور بغير ما قصد الا اهاجة الشهوات الدنيئة الراغبة فى الكسب وليس من المعقول ان ينسب هذا الى العلم او الفن .

٤ — كما اشارت الى مجلة الرابطة الشرقية التى يتولى تحـــريرها على عبـــد الرازق (الفتــــح م ٢ ص ٣٠٧) ، فاشارت الى جهــــــله بأوليات قواعد الاسلام وبالفوارق الاساسية بينه وبين النصرانية حيث تقول مجلة الرابطة الشرقية : فى رسالة البراق فوق المسيح وهل اله [illegible] قبر ، اما ان يكون جاهلا بهذه الحقيقة واما أن يكون يملى عقيدة الكنيسة فى المسيح على العقيدة التى اخذناها من القرآن .

ونشرت الفتح راى سعد زغلول فى على عبد الرازق فقالت : انه قال عنه : (لقد عرفت أنه جاهل جهلا غريبا بقواعد دينه وحتى بالبسيط من نظرياته والا فكيف يدعى أن الاسلام ليس مدنيا ولا يصلح للحكم فاية جهة مدنية لم ينص عليها الاسلام ، هل البيع أو الاجارة أو الهبة أو أى شىء من المعاملات الأخرى ، الم يدرس ذلك فى الأزهـــــر ، وهل لم يكن الواقع أن أمما كثيرة حكمت بقواعد الاسلام زمنا طويلا كان انضر العصور وهل لم يسمع أن أمما تحكم بهذه القواعد الى اليوم فكيف لا يكون الاسلام مدنيا ودين حكم ؟ واعجب من هذا ما كتبه فى الزكاة فاين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية) وعندنا أن هذا الذى يقوله سعد فى على عبد الرازق هو من باب الخلاف الحزبى والا فان سعد زغلول الذى ولى الحكم كان منكرا فى اعماله وتصرفاته لمفهوم الاسلام الحقيقى .

٥ — ونشر على الطنطاوى فصلا فى الفتح فضح فيه المؤامرة التى دبرها فؤاد افرام البستانى (خليفة لامنس) فى تعصبـــــه وغرضه ودسه والدكتور أسد رستم زميله فى تأليف كتاب تاريخ البيان الموجز وما ضمناه

هذا الكتاب الذى عهدت اليهما الحكومة بتاليفه ليكون كتاب تاريخ فجعلاه كتاب أغلاط وأكاذيب وتبشير بالنصرانية واللبنانية وطبعه جريدةالمكشوف وتقرر تدريسه رسميا فى مدارس لبنان فنهض الدكتور عمر فروخ وزميله الاستاذ النقاش فنشرا فى جريدة بيروت فصولا طويلة فيها نقد تفصيلى وبيان لما فى الكتاب من الاغلاط الشنيعة والكذب على التاريخ والتحريف والتزوير والطعن بالقرآن من وراء حجاب الدعوة صراحة الى مذهب النصارى واعتقادهم فى عيسى عليه السلام واعلن الكاتب انه اول من دعا الى مقاطعة مجلة المكشوف ونبه الى ضررها الأستاذ عبد الله المشنوق مدير مدارس المقاصد الخيرية .

ثم ما لبث صاحبها أن اصدرها ادبية وانتقل من الانحلال الأخلاقى الى الانحلال اللغوى فشرع يهجو كل اديب له شهرة أو مكانة ، وهى مجلة تدعو الى طرح البيان العربى بتوجيه هم الشباب الى العنايه بالمعنى دون اللفظ لصرفهم عن لغة القرآن ويدعو الى عصبية لبنانية ، وعصبية ملية .

وقال ان فؤاد حبيش الف كتابه الرسول العربى الذى دعا فيه الناس بلغة محطمة فكره واسلوب ساقط وعامية ظاهرة الى التعرى من الثياب والتعرى من الأخلاق والدين وأنشأ مجلة داعرة كأنها ماخور سيار موضوعها أخبار الزنا واللواط وحكايات الفحش فجريدة المكشوف تكره البلاغة لأنها سمة القرآن وتفضل عليها الركاكة الاكليركية وتدعو اليها وتبغض الفضيلة لانها من اسس الاسلام وتؤثر عليها رزيلة الغرب وترغب فيها .

٦ — وأشارت الفتح الى اساءة الصحف السياسية للأمة الاسلاميه (م ٤) فقالت :

ان هذه الصحف ما زالت تلقى فى القارئين سما زعاما جعل القارىء يتخيل أن شعائر الدين الاسلامى ما هي الا الخبالات والأوهام مما يجرى على اسنة الاقلام عنه والبراءة منه والخجل من التحلى به وذلك ما تنشره

في الحجاب واستعباد المرأة المسلمة زعم باطل وانتهاء كتابها بالاشارة بخروج تركيا من الاسلام وطرح تقاليده وتوجيههم قوارص اللوم الى أمان الله وثريا بعد فشلهما لا لأنهما أساءا الى الاسلام بل لأنهما لم يجيدا تمثيل دورهما تماما ومن ذلك غفلة بعض المسلمين حتى أن أحدهم اشترى مختبرا فنيا لمدرسة الأمريكان التبشيرية اعترافا بفضلها على ما قامت به من تسميم معتقدات فلذة أكبادنا وما حطمت من تعاليم الاسلام في بلد أعظم سكانه مسلمون .

٧ — وأشارت الى أن الرصافي ارسل قصيدة من بغداد ينجد بها اخوانه ملاحدة مصر ، ويؤيدهم فيما يكيدون به لدين الاسلام ، وقال الرصافي منتصرا لطه حسين وعلى عبد الرازق وقصيدته تضم الاستهانة بالله وكتابه والاستخفاف بالمسلمين وعقائدهم .

وقال الفتح أنه اذا كان الشاعر يبرىء نفسه بأن يتحلى بالأساور في الجنة فليعلم أن الله أعد له ولأمثاله حلية اخرى في النار وهي سلسلة ذراعها سبعون ذراعا .

وأشارت الى أن محمود عزمي في زيارته لفلسطين طلب الى المسلمين قطع صلتهم بجزيرة العرب لأنها متمسكة بالاسلام ، وقد ردوا عليه وأفحموه ، فقال أنه مسلم بينما قال لموظف التعداد انه لا دين له ووضع في مكان الدين ثلاث نقط .

٨ — وواصلت الفتح هجومها على الصحف المصورة التي تحض على الفجور وتهون أمر الاعراض وتملأ رءوس القراء والقارئات بحكايات الفسق كأنه أمر عادي وكأنه هو الأصل وجل ما عداه شيء غريب .

(٣)

المسلمون ومنهج اتاتورك

وأفسحت الفتح مجالا واسعا للكلام عن حركة التغريب التى يقودها اتاتورك فى تركيا (م ٤ — ٦٨٩) قالت ان تصريحات ادلى بها مصطفى كمال مع مؤرخ المانى كبير نشرتها عدة صحف ، خلاصة هذه التصريحات أن الترك لم يكونوا مسلمين وان مبادىء الاسلام لا تلائم طباعهم ، ولذلك أقفرت المساجد فى تركيا من المتعبدين وأن الترك يعرفون الطبيعة من سحاب ونجوم ولا يحترمون شيئا وراء ذلك .

وكتب كاتب عظيم من عظماء المسلمين (ونظن انه الأمير شكيب أرسلان) يقول أن خطر البرنامج الكمالى كان شديدا جدا على الاسلام لأن المسلمين تعودوا رئاسة تركيا ، فلو كفرت لكفروا جميعا ولا يمكن ان يتصوروا أن تركيا تخطىء واذا اعتقدوا أنها اخطأت فعندهم عقيدة من اشنع ما يوجد وهى أنه لا يوافق نشر تخطئتها والحملة عليها — ولقد كانت (أنقره) تدعو المبشرين علنا الى بث المسيحية فى الاتراك . وتقول لا يهمنا أن يكون التركى مسلما أو مسيحيا ، ما يهمنا أن يكون تركيا . ولكن لما تنصر بعض البنات فى بروسه هاج الشعب التركى وخيف من الثورة على الحكومة وصار المسلمون يقولون : اذن أنتم تريدون تنصير الأمة لا التجدد ، فسارعت أنقرة الى التحقيق برغم أنفها ونقضت غزلها الأول واضطر الكماليون الى ايقاف السياسة اللادينية ومنع التعليم المسيحى كما منعوا الاسلامى .

وأشارت الفتح الى أن مصر واجهت الكماليين وان (كوكب الشرق) ظهرت بالمظهر الذى يضعها فى الصف الرفيع من فئة الحماة للدين والعقيدة والاخلاق ، واشارت الى أن الكثير قد هبوا لنصرة الدين والفوا الكتب فى هذه المدة الأخيرة واضطهدتهم القوى ولم يبالوا ، أما الذين هبوا لنصرة الاسلام فى مصر فهم السيد رشيد رضا وامين الرافعى وعبد العزيز جاويش ومحمد الخضر حسين وأحمد تيمور وعبد الحميد سعيد والفتح ومراسلوه، والسيد مصطفى صادق الرافعى وجريدة الشورى والشيخ محمد شاكر

وعبد الباقى سرور والأمير عمر طوسون ومحمد نجاتى توفيق ، هؤلاء فى طليعة الجيش ولولاهم كان الاسلام يتضعضع أضــعاف ما تضعضع ، وبهم امتدت الحركة الى سائر الأقطار الاسلامية وفتحت قلوبا غلفا وآذانا صما وأعادت صدى أصواتهم جرائد فى المغرب وجرائد فى الهند وجرائد فى الجاوى وأثارت كوامن كانت فى النفوس تريد الاندفاع ، أما فحل الفحول الصائل الذى أرى فضله أكبر من فضل الجميع فهو مصطفى صبرى شيخ الاسلام السابق لأنه تركى ابن أتراك وتراه فى وسط المعمعة يقاوم بجريدته (نارين) مقاومة الأسد الذى يذود عن أشباله بقلم أمضى من القضــاب وبأنفة الأسد الهصور اذا تعاودت عليه الذئاب : هذا المقال كتبه شكيب ارسلان .

وأضاف محرر الفتح : ويحلو لنا أن نعيد هنا أن أول من لحظ الخطر وأول من أكبر سكوت المسلمين عنه هو الأمير شكيب أرســـــلان وهم لا يعلمون كيف يصنعون لاسكاته ومما يدعو أن حركة الذائدين عن الاسلام أثرت أيضا فى تركيا تأثيرا عظيما وكنت من غرب الالحاد فى أنقره وظهر صوت ثان لصوت مصطفى صبرى هو محمد على وزير الداخلية السابق الذى أصدر جريدة اسمها الجمهورية المقيدة تصدر بالفرنسية فى باريس

ثم قال : يقتضى الانصاف أن نذكر من فرسان هذه الحلبة :

محمد أحمد الغمراوى ، الدكتور الدرديرى ، عباس حافظ ، محمد شريف ، الدكتور أحمد فؤاد ، الدكتور محجوب ثابت ، جميل الرافعى : هؤلاء المناضلون عن الدين الاســـــلامى والثقافة العربية ، ومقال الأمير شكيب أضاف به أسماء كثيرة فى الشام والمغرب (ص ٧٦٠/م ٤) .

٢ — وكتبت الفتح م ٤ (سنة ١٩٣٠) عن حركات الالحاد فى مصر وانصراف الصحف الاسلامية عن العناية بهذا الخطر جعلت الميدان خاليا للملاحدة طوال السنوات الأخيرة وهى صحف رحبـــة تنطوى على ثمانى صفحات فسيحة الصدور ضافية الذيول تصدر فى عاصمة اسلامية ، هذه الصحف وهى أجل ما أنبتته الآلة الحديثة ، وراحت منغمسة فى لجــــة السياســـة ، فانبرى هدام الدين والمســتقتلون فى مهالك الالحاد يهيئون

الفرصة واستطاع رواد الباطل ان يكمنوا وراء كل خلاف ليقطعوا على الامة طريقها الى دينها ، ولابد من الصراع بين الحق والباطل واغفال هذه الحقيقة تفريط وعدم أخذ العدة لها خيانة .

أنترك الرأى العام الى ما شاء الله فريسة لسلاب الأديان والعابثين بشرائع الله فى حلقته يفسدون ويزيفون ويخدعون ويمكرون ، أتظل المطابع تترك الملاحدة لزعزعة الأسس التى يقوم عليها نظام الجماعة والامة .

ان الدور الذى يقوم به الهدامون الملاحدة من عدة سنوات يجب ان يقف عند هذه المرحلة الأخيرة التى ظهرت أخيرا فى مصر ، الملحدون تسلحوا بالمطبعة والنشر ، فعلى المؤمنين ان يتسلحوا بالمطبعة والنشر .

٣ — وقال الشيخ أحمد محمد شاكر : لقد صارت الأمة فى خطر شديد من هذه الخطط التى وضعت فكادت تقضى على عقائد شبابنا وأخلاقهم وتهذيبهم فهل تجد فى رجالها وكبرائها من يعينها ويحفظ عليها ما بقى من فضائل . ان عاطفة تقليد الأجانب استولت على أكثر الأفئدة ، ويظهر أن الجامعة المصرية لا تريد أن تقف عند حديث الدعوات الالحادية . ولا يكتفى بما يفعل بعض أساتذتها ، ففى أحد المحاضرات قال أحدهم ان فى أديان الهمج شرورا فوق شرور فهو يعتقد بالشياطين والعفاريت ، كيف يقال مثل هذه الكلمة فى وسط أمة دينها الاسلام ومن الأشياء المعروفة فيه والمنصوصة صريحا اذ أمرنا بتصديق القرآن وتصديق الرسول .

٤ — وتحدثت الفتح من الصحافة العربية فى مصر ، وأن مصر قد بدأت تظهر فيها ثمرات أعلام رجال نرى منهم من يفخر بماضينا ورجالها ويشيد بعبقريتهم ونبوغهم وصادق جهادهم وحسن بلائهم ونرى بينهم القائمين بمهمة الدس لجمهور القراء متعمدين أن يفسدوا عليه بغيته ومن سيئات الصحافة فى سهولة زيوع الشىء منها فالذين يكتبون عن جهل لا يخلو منهم زمان ولا مكان .

٥ — وفى مقال عن الصحافة الاسلامية يقول السيد محب الدين الخطيب :

يجب أن توجد للحق والخير صحافة قوية حكيمة تعارض عناصر الشر في هذا التيار وتكوين الرأى العـــام تكوينا جديدا يؤهله للارتقاء الخلقى والاقتصادى والعلمى وتكون لها خطة ثابتة صريحة لا يعرف الشيطان بها مدخلا .

والصحافة هى التى تتولى قيادة الرأى العام فى هذا العصر . وكل رجل منا واقع تحت تأثير الصحافة مهما يكن واسع الاطلاع ، فالصحافة هى أعظم القوى الى التيار الفكرى فى العالم وهى القوة الاولى التى يمكنها أن تقف فى وجه التيار تدفعه وتحول مجراه .

وليس من الصواب اعتماد الأمة على الحكومة فى انشـــاء المدارس لأن الحكومة تعنى بتخريج رجال صالحون لادارة الادارة الحكومية ، لذلك ترى الأمم الأخرى تقيم جماعاتها الدينية ورجالها الاخصائيون فى التهذيب مدارس غير مدارس الحكومة يكاد يكون المثل الاعلى فى الانفاق واحكام الخطة وبناء أبناء الأمة وبناتها على المثال الذى تحتاج اليه الأمة فى حفظ دينها وفضائلها .

٦ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن الصحافة الأسبوعية فقال :

الصحف الأسبوعية وقعت قبـــل الحرب بأمد طويل فى ايدى بعض المرتزقة ، الذين لم يتحلوا بالقدر الكافى من العـــــم ، ولم يرزقوا البيئة الصالحة التى تؤهلهم لوظيفة الارشاد ولم تكن الأعراض محمية بالقانون الى الدرجـــــة التى عليها الحال الآن (١٩٣٤) فكانت بعض الصـــحف الأسبوعية أسبوعية بالاسم ولكن الناس لا يرونها الا اذا أراد خصم أن يسقط خصمه من عيون الجهلة فيدفع لصاحب الجريدة ثمن الكتابة عدوانا وبهتانا ، فيما عدا ذلك كاتب الصحيفة الأسبوعية تنزل بعقول قرائها الى دركة ينكرها المنطق .

ان كثيرا من الصحف الاسبوعية تعيش مع قرائه — وهم جمهـــرة الشباب من فتيان وفتيات — فى جو خاص هو جو هوليود فى أمريكا وشارع

عماد الدين فى القاهرة وما أشبه هاتين فى كل بلد من بلاد العالم فطلبة المدارس الثانوية والعليا الذين يواصلون قراءة تلك الصحف يعرفون دقائق أخبار نجوم السينما بتفاصيلها وجزئياتها أكثر مما يعرفون المقرر عليهم فى التاريخ والجغرافيا وسائر العلوم ، وصاروا يانسون بحياة الغرام التى تحياها أهل تلك البيئات ويعتبرونها المثل الأعلى الذى ندعو الحضارة الى تقليده وتمثيله فى آنائنا الاسلامية ، ان من أعظم الأخطار على الشرق العربى وعلى ما نطمع فيه من نهوض واستقلال وتجديد ، أن ينشأ النشء جاهلا سجايا البيئات الراقية فى الأمم التى ملكت ناصيته الدنيا وأن تكون ما يعرفه ابنائنا عن اوربا وأمريكا هو هذه البيئات التمثيلية وما يقع فيها من حوادث الغرام الصادقة والكاذبة .

ان هذه الصحافة التى تستمد موضوعاتها من هوليود وشارع عماد الدين وحمامات البحر قد حرفت الشبان عن المطالعة فى الكتب النافعة .

ان الصحف التى تتقرب الى الجماهير بتقديم هذه البضاعة الفاحشة لا تتورع ايضا عن أخذ الاموال الباهظة اجرة لنشر اعلانات الخمور والملاهى ، اما الصحف التى لا تغنى الا من الاشتراكات فان العدد الأكبر من نشراتها لا تخرج قيمة الاشتراك من جنيه الا بصعوبة بالغة .

الفصل الثانى

تاريخ الاســـــلام والتــراث

اولت الفتح اهتماما كبيرا لتاريخ الاسلام والتراث الاسلامى بوصفهما مصدرين من أبرز مصادر اليقظة وعاملين من عوامل النهضة ، وقد حرص السيد محب الدين الخطيب ايراد معظـــم الكتابات التى قدمها الغربيون عن عظمـــة الحضارة الاسلامية فالدكتور بيارو دورج رئيس الجامعـــة الأمريكية يقول : (م ١٢) ليبست عظمة العرب عن طريق ترائهم المادى ولئن كانت لهم تجارة فهى غير كافية لتكوين تلك العظمة ولا ترتكز عظمتهم على معدات حربية جبارة أو جيوش جرارة ، ولكنها عظمـــة ترتكز على الروحانيات فالدين مبعثها ، فالروحانيات سر عظمة العرب واذا أرادوا النهوض لاعادة مجدهم فليمسكوا بالعروة الوثقى .

وقد عقـــد السيد محب الدين الخطيب فصـــلا مطولا تحت عنوان (أمجادنا) قال : ان من أعظم مصـــادر القوة فى الغرب ، حســـن بيانهم لمكنونات أمجادهم وبث الايمان فى قلوب أبنائهم بأنهم أمة محبـــة ، واهل بطولة واصحاب قوة ، وأيد فى المحافظـــة على الأمانات العـــامة التى يتوارثونها جيلا عن جيل من أوطان وعقائد ومفاخر ورسالات ســـامية ، ولو أنك اطلعت على أساليبهم فى بيان انكسار جيوشـهم الصليبية فى موقعة حطين أمام جيوش المسلمين الظافرة لرأيتهم فى التعبير عن انكســـارهم أقوى منا فى التعبير عن انتصارنا ومن هنا كان التاريخ ادخـــل فى باب الفنون فن فى باب العلوم .

ويقول : ان لتاريخ الأمجاد ثلاث عناصر (أولها) وقوع الأحـــداث المجيدة (والثانى) حفظ اخبارها و (الثالث) حســــن التعبير عن هذه الأحكام .

وكل من عنى بتاريخ العرب والاســـــلام عناية صحيحة ووفق الى مقارنته بتاريخ الأمم الأخرى ووقف على دخيلة أبطال الاســـــلام وأبطال

سائر الأمم يؤمن حقا بأن البطولة التى صدرت عن قادة الاسلام وحماية ما اتصف به هؤلاء من نظافة السريرة ونقاء النفس وسلامة الضمير لا يكاد يعدلهم فى ذلك رجال أمة أخرى ومن حسن الحظ ان أخبار الأمجاد الاسلامية دون أكثرها ، وقد يكون بعض دواوينها لم يطبع بعد . ولكن يمكن الوقوف عليه أما من مظانة فى دواوين التاريخ أو عن مظانة من الكتب التى تعرضت لكثير من الحوادث على سبيل الاستطراد . فالذى ينقصنا هو العنصر الثالث من عناصر تاريخ الأمجاد الاسلامية وهو حسن التعبير عنها ، ان الذين كتبوا تاريخ الاسلام أو نقلت عنهم أخباره واحد من اثنين اما أحدهما فمن أهل التقوى والعناية فى الرواية ، ولكنه اعتبر المثل الأعلى لامامة المسلمين وولاة أمورهم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فهو لا يكتب تاريخ الخلفاء والقادة والفاتحين الا على ضوء هاتين السمتين ، ولذلك كان يرى النجوم من أصحاب رسول الله كما نرى نحن نجوم السماء والشمس طالعة . فاذا استعرض حوادث خلافة معاوية رضى الله عنه استعرضها تحت أشعة تينك الشمسين عبد الملك ، هشام ، سليمان ، هارون ، المأمون ، كانت أنوار نجومهم كاشفة عنده مع أن حياة أصغر واحد منهم اذا نظرنا اليها كما ينظر الافرنج الى حياة عظمائهم ، ولو استقرأنا الظروف التى أحاطت بأكثر ما صدر عنه من المآل ينتهى بنا الى تاريخ جديد لأسلافنا فظهر فيه للوجود دخائل وأسرار لا تزال مجهولة من أكبر قراء التاريخ الاسلامى .

أما الرجل الثانى فهو الذى تقرب الى دولة جديدة بتشويه سمعة دولة سابقة ، أو الذى يقرب الى مذهبه أو الى عصبته بذم دولة قام مذهبه أو عصبيته على التعبير منها وتشويه سيرة رجالها بالحق أو الباطل .

ولكن مادة تاريخنا محفوظة على أى حال فهى أشبه بالحجارة لمن يريد أن يبنى بها صرح للتاريخ اذا فيض الله لتاريخ الاسلام رجلا قويا يستطيع أن يتجرد من الجرثنات التى انقضت وماتت وتنظر الى البشر بعين نعرف مواطن الضعف والقوة فى البشر .

٢ — أشارت الفتح م ١٤ الى ما كتبه حافظ عوض فى كتابه فتح مصر الحديث حيث قرر أن نابليون بونابرت لم يعتنق الاسلام مطلقا وأن نابليون هو ابن الثورة الفرنسية ولم يكن له اعتقاد صحيح فى دين من الاديان وأنه كان ينوى التظاهر باعتناق الدين الاسلامى اذا استحالت عليه العودة الى فرنسا وأنه كان يرى فى سهولة الدين الاسلامى وموافقته للفطرة الانسانية ما حببه اليه وأمال قلبه اليه .

٣ — عقدت الفتح فصلا مطولا عن أثر الاسلام فى التاريخ الأوربى بمناسبة صدور كتاب بعنوان (محمد وشارلمان) لهنرى بيرين (م ١٤/ ٩٠٩) اشارت اليه الهلال فبراير ١٩٤٠ .

قال : لقد قصد مؤلفه الى تبيين ان الاسلام كان القوة الهائلة التى حولت مجرى التاريخ الأوربى حتى ليمكن أن يقال أن العصر الوسيط والنهضة الحديثة هما ثمرتان من ثمرات ظهور الاسلام . وقال أن نقطة التحول فى التاريخ الأوربى هى التى أسقطت عندها الامبراطورية الرومانية ، فما هى القوة التى أدت الى ذلك ، أما اغلب المؤرخين فقد اجمعوا على أن الشعوب الجرمانية التى كانت تعيش على تخوم الامبراطورية الشمالية حتى حدود الرومان هى التى أحدثت هذا التحول وقضت على دولتهم ، أما هنرى بيرين فيرى أن هذه الشعوب كانت من هوان الشأن وضيق الحياة الى درجة يجعلها تنظر الى الرومان نظرة العبد الى السادة فما كان يخطر لها بل وما كانت ترغب أبدا فى أن تناوى روما وتقضى عليها ، أما المسلمون فكانوا يعتقدون أنهم أرقى وأسمى من الرومان فى جميع أسباب الحياة ولا سيما من الناحية الدينية التى كانت مبعث قوتهم ومصدر تشريعهم فلم يحجموا عن منازلة الرومان ليقضوا على سطوتهم وسيادتهم .

وأشار الى خطأ المؤرخين الأوربيين فى اعتبار حادثة اجتياح الشعوب الجرمانية لدولة روما الغربية حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور الوسطية عن تقسيم تاريخ الانسانية الى قديم ومتوسط وحديث ، وانسياق مدارسنا الاسلامية وراءهم فى هذا الخطأ التاريخى

وأن تعصب الأوربيين القومى هو الذى منعهم من أن يعترفوا بأن ظهـور الاسلام هو الحادث الانسانى العظيم الذى غير قوى التاريخ وكان حتى، أن يعتبر الحد الفاصل بين القرون الاولى والقرون المتوسطة .

(٢) التـــراث

واشارت الفتح (م ١٧) الى اهتمام السـيد محب الدين الخطيب بالبناء التربوى ولذلك فقد كان بورد كثيرا من النصوص الاسـلامية التى تمثل عصر الرسول بما يمكن أن يوصف بأنه تراث ضخم حافل يمتلىء به (الفتح) فلم يكن يقف عند مفهوم الاسلام السـياسى وحده ولكن كان حريصا على تربية هذا الشباب الجديد الذى دخل فى الاسلام عن طريق الجمعيات الاسلامية وخاصة جمعية الشبان المسلمين التى كان يمثلها .

ومن ذلك دعوته الشباب الى أن ينحرف سـاعة من كل يوم عن مجتمعنا ويتصور أنه معاصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أكرمه بأن جعله احد أصحابه وليتذكر فى هذه الساعة حديثا واحدا من الأحاديث النبوية فيمضى بقية الساعة فى معاهدة الله (تبارك وتعالى) على العمـل بما ورد فيه من المعانى وليجعل هذه الساعة المباركة فى كل يوم للمجلس النبوى الشريف على أن يعمل بسنة الاسلام باعداد ما فى طاقته من قـوة للأمة الاسلامية والدولة الاسلامية فينحرف بعد سـاعاته الى الاستفادة من علوم كلية .

٢ ــ وقد عقد السـيد محب الدين الخطيب حديثا شافيا عن تراث العروبة والاسـلام (م ١٧ سنة ١٣٦٣) قال أنه تراث ضخم فخم اذا شرعت من اليوم جميع الأمم العربية الاسـلامية بتوزيع أعماله فيما بين علمائها وجامعاتها ومحافلها ولجانها فانها لا تنتهى من الاحاطة واحيـاء مواته واعادة الخضرة والنضرة الى ما أقفر من فردوس جماله الا بمئات السنين لأنه تراث أجيال لا يأتى عليها الحصر كان ذوو المذاهب العالية من بلغائها وعلمائها وحكمائها وفقهائها وسادتها وقادتها تواصلون الليـل والنهار فى تشييد صروح مفاخره واقامة معالم معارفه ، الى أن اسـتعجم الاسلام ، ولما نمنا عن تركة السـلف انبرى لها أهل الجلد والصبر من

ألأغيار أمثال دى ســـــاسى ونولدكه وبروكلمان وجولد زيهر ونلينو من الفريات ومن يهمهم أن يقفوا على دخائله ليعرفوا طرق الاحاطة به وبأهله أكثر مما يهمهم بعثــه فى نفوس بنيه وأحفــادهم بعــد اصــابتهم به . أيها الشباب المسلم لأجل ان تكون مسلما لا يكفى أن يكون ذلك مكتوبا فى شهادة ميلادك ولا أن يكون لك مظاهر المســلمين ، بل يجب ان تعرف (السنة) التى اختطها محمد صلى الله عليه وسلم لنفسه ولصحبه ولأمته وأن تدرك هدفها وأن تؤمن بأنهــا هى ســبيل ربك ، لا يكفى أن تكون ولدت متكلما بلسان القرآن ولا أن تنتسبالى وطن من أوطان العــرب أو الى سلالة من سلالاتهم بل يجب أن تعرف الأخلاق التى امتازت بهــا العروبة وأن تستمد منها الرى والحيــاة لعقلك ولغتك ونفسك وبذلك توطأ سنة الاسلام لسالكها .

وتحدث عن استكشافات العرب وما نشره جوســـتاف لوبون فى (كتابه حضارة العرب) وما فيها من بدائع العمران فى اسبانيا تحت حكم المسلمين سيدير فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) وما نشره بروكلان فى كتابه تحت عنوان (مآثر العرب فى العلوم المدنية) واشار الى فصــول من كتاب مسلمى العرب الى استيلاء المرابطين للدكتور رينهارت دوزى الهولندى عن حرية العرب ونظام حكومتهم وما نشرته روزينــا موريس الرحالة الانجليزية التى تحدثت عن شــهامة الرجل العربى ، وما نشره قــدرى حافظ طــوقان عن أبى على بن ســينا مكتشـــف طفيــلة الانكلستوما ، وبيت الابرة اختراع عربى .

٣ — واشارت الفتــح الى ما ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة (ج ١٩٧٣/٢) :

فى سنة ٥٦٥ حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما بحيث ضــيقوا على أهلها وقتلوا منهم فأرسل نور الدين الشهير محمود حســنا عليهم صلاح الدين يوسف بن أيوب فأجلوهم عنها وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك حتى أنه قرأ عليــه بعض طلاب الحديث جزءا من حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه أن يبتسم ليتصل التسلسل ، فامتنع عن ذلك

وقال : انى لأستحى من الله أن يرانى مبتسما والمسلمون يحاصرهم الافرنج بثغر دمياط .

٤ — وكشف الباحثون مؤامرة الاستشراق على التراث الاسلامى ، فقد تقدم أحد الجامعيين برسالة واعتمد فى رسالته على مصادر مرجليوث والأب لامنسى الشيوعى وقال له الدكتور حسن ابراهيم حسن : ان لهما رأيا فى البحث ولكن روح التعصب ضد الاسلام ونبيه أعمتهما عن الحق والانصاف . ووصف السيد محب الدين الخطيب هذه المصادر بأنها (الموارد الآسنة) .

٥ — وأشارت الفتح الى أن محمد محمود الخضرى اشار الى ان ابن رشد سبق باكون فى التوسع فى منهج الاستقراء ؛ وأن الغزالى سبق باسكال فى تحديد اختصاص العقل الانسانى ، وأن المسلمين سبقوا ديكارت فى تشككه الذى يبدأ به للوصول الى اليقين .

٦ — وأشارت الفتح الى أن (يوسف العش) عنى بدراسة الخطيب البغدادى ومؤلفاته (٧٩ مؤلفا) وحدد أجزاءها فبلغت ٤٣٦ ؛ منها تاريخ بغداد الذى طبع بمصر فى (١٤ جزءا) ترجم منه لسبعة آلاف وثمانمائة من عظماء عصر العباسيين وعلمائها رجالا ونساء من أهل القرن الخامس الهجرى ، وكتاب يوسف العش يقع فى ٢٧٦ صفحة .

٧ — وحقق السيد محب الدين الخطيب الكلمة المتداولة عن الامام أبى حنيفة من أنه لم يطمئن الى ثلاثة عشر حديثا من صحيح البخارى فقال : ان الامام الأعظم أبا حنيفة ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٥٠ هـ ، أما الامام محمد بن اسماعيل البخارى فقد ولد سنة ١٩٤ (أى بعد وفاة أبى حنيفة بنحو نصف قرن) ووفاته سنة ٢٥٦ فكيف لنا ان نطلب أن أبا حنيفة لم يطمئن الا الى ثلاثة عشر حديثا من صحيح البخارى ، أن الامام أبا حنيفة كان على علم بصحيح البخارى من قبل أن يولد البخارى بخمسين سنة .

٨ — واشارت الفتح فى باب تحقيق التراث الى عـــدد من الكتب الهـــامة :

خزانة الأدب (مراجعة الشـــنقيطى وتيمور وعبد الغنى الميمنى) (م ٤) .

كتاب الخراج للقاضى ابو يوسف (م ٣)

من هارون الرشيد الى قسطنطين ملك الروم (م ٣) .

العرب وعلم الأمة عند ابن خلدون (م ٣) .

عمرو بن العاص لصاحب الفتـــح (م ٣) .

كتاب الجماهر فى الجواهر للبيرونى (م ١٤) .

٩ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد ١٤ ص ٧٩٨ عن التراث الاسلامى فى الأندلس قال : لما دخل الأسبانيون قرطبة بعـــد تغلبهم على العرب احرقوا ما وجدوه فى عواصم الحضارة الأندلسية من كتب فى شتى أنواع العلوم والأدب والتاريخ ، يقول قويدى فى تاريخه : انهم أتلفوا سبعين الف مكتبة كانت تزين قصور أعيان الأندلس العـــرب ومنازل علمائهم وأدبائهم وشعرائهم وكبار رجال دولتهم فى جميع انحـــاء الأندلس ويقـــدر) ريلس (عدد الكتب العربية التى احرقها الأسبانيون بألف الف مجلد ، وخمسمائة الف مجلد ، ولو بقيت هذه التركة العلميـــة الى الآن لاستفادت منها الانسانيـــة علما جما وحقائق تاريخيـــة ضاعت وتراجم لعظماء سلف هذه الأمة التى لم يبق منها فى أيدى الناس الا القليل وان ما وصل الينا من أسماء الكتب الضائعة على قلته يملا القلب حسرة على ما فعلته يد الجهل والتعصب بتلك الكنوز الأدبية والذخائر الفكرية التى كانت من نفـــائس تراث الفكر الانسانى وحلقة ذهبيـــة فى تاريخ الحضارة والعـــلوم ، وفى الواقع أن العقـــل العربى لم يترك مجالا من مجالات الفكر الا كان له فيه القـــدح المعلى . قال الدكتور رضا توفيق لتلاميذه فى جامعة القسطنطينية يوم انتقـــدوا اعتماده على الاصطلاحات العربيـــة فى كتابه (قاموس الفلسفة) ليس فينـــا أقدر منك على وضـــع

اصطلاحات تركية للفلسفة والعلوم وانت تجيد الكتابة والتاليف فى نحـو سـبع لغات فباهمالك ذلك لحق لغتنـا خسران عظيم . فأجابهم : ان الاصطلاحات العلمية لا ترتجل كلها فى جيـل واحد كما يرتجل الشاعر ديوانا من الشـعر ولكنها ثمرة جهاد علمى فى اجيـال متعاقبة . لما كان سلفنا من الاتراك والتتار لا يفكرون الا فى تجارة على بلاد المعمورة : كان عشرات الالف من علماء العرب يسهرون الليالى لتنقيح العلوم وتصنيف المعارف وتوسيع دائرتها ووضع مصطلحاتها والتعريف بحدودها ولا تبلغ لغتنا مبلغ لغتهم فى استيفاء الاصطلاحات العلميـة ما لم ينقطع عشرات الالوف منا للعلم يخدمونه للعلم لا للتجارة ، فاذا انقضى علينا بضعـة اجيال على هذه الحال امكن أن يكون لنا قاموس للفلسفة والعلوم نهضمه العقول وتأنس به النفوس .

وفى(م ٨١٤/١٤) تحدث كيف عاش النصارى تحت حكم المسلمين فى اسبانيا(حسين لبيب) نقـلا عن كتاب اسبانيا العربية للعـلامتين برنارد واليه هوانشو .

— ٣ —

اللغة العربيـة والأدب العربى

واولت الفتح اهتماما خاصا باللغة العربية وهاجمت مؤامرة الحروف اللاتينية التى تقدم بها عبد العزيز فهمى مجلد ١٩٤٤ (ربيع الآخر ١٩٦٣) وقدمت فى ذلك عددا من الأبحاث (١) القرآن معجـزة بين معجزتين ، (٢) تفوق اللغة العربية على جميع لغـات الدين للمطران يوسف داود (٣) بدعة كتابة العربية بحروف منفصلة ، كما نشر احمد محمد شاكر مقالين حول (عبد العزيز فهمى واللغة العربية) .

وقالت الفتح تحت عنوان : اللغة العربية وما ينتظر ان يكون لهـا من تاثير فى نهضتنا الفكرية والعمرانية وحياتنا القومية ، قال : كان من سياسـة المسلمين الأول الذين حملوا رسالة الاسلام أن ينقلوا الأمم الى الاسـلام ولم يكن من سياستهم أن ينقلوا الاسـلام الى الأمم ، وكان من نتائج ذلك ن انصرفوا عن ترجمة الاسلام بلغات الأمم التى اتصلوا بهـا

وحببوا الى هذه الأمم التحول من لغاتها الى لغة الاسلام . ان الاسلام قام على اساس سجايا العرب وأحلامهم .

وقال : اللغـة العربية ، التى هى اللغـة القومية لمائة مليون من العرب ، وهى اللغة الدينية والشرعية والعلمية لأكثر من ثلثمائة مليون آخرين من المسلمين غير العرب أراد الله لها أن تكون لسان آخر الديانات وكملها ، وحكمة اختيار الله لغة العرب لتكون لغة الاسلام كونها بجوهرها الأول ومعدنها الاصيل من أكمل اللغات وأكثرها استعدادا للمحافظة على هذه المنزلة من التفوق والكمال .

وقالت الفتح : أن اللغات الراقية التى تقع أبصارنا على قدراتهـا الآن فى معـاجم الفرنسيين والانجليز والألمـان والروس والهولنـديين والايطاليين والأسبانيين اذا وضعناها فى غربال وأخرجت منها الألفـاظ الدخيلة من اليونانية واللاتينية وغيرها وجردناها بعد ذلك من مصطلحات العلم والصناعة والاقتصاد والفلسفة وغيرها من المواد التى لم يكن لها بها عهد قبل حضارة هذه الأمم واشتغالها بالعلوم يوشك أن لا يبقى منها فى كل صفحة من صفحات معاجمها الا بضعة أسطر لا تدل على سـمو فكرى ولا على ثروة خلقية ولا أهداف انسانية كريمة .

٢ — وأشارت الفتح الى قول الأب أنستاس الكرملى ان تبسـيط النحو دسيسة أجنبية لمنع العرب من تفهم آدابهم التقليدية فهى أيضـا تمنعنا من أن نفهم القرآن والأحاديث النبوية والشـعر الجاهلى وكلام الأقـدمين .

٣ — وأشارت الفتح الى الدور التى قامت به دار العلوم فى تعزيز اللغة العربية (م ١٤) فقالت : لقد كانت دار العلوم خيرا على العربية فقد تأسست الى يوم الناس هذا ، فأبناؤها هم حاملوا لواء الفصحى فى وادى النيل ولكن اثرها يبدو دائما فى أسلات أقلامهم نثرا ونظما فيها له عبرة عاجلة فى الحياة كالتدريس ، أما التحقيق العلمى والانقطاع لاحياء تركة السلف على نحو ما يقوم به المستشرقون مما يحتاج الى تضـحية فى الوقت والجهد ، وقال : أعرف من أشد هؤلاء صديقى الفاضل المغفور

على حب التحدى والتحقيق عبد السلام محمد هارون ، فقد كانت عنايته بتحقيق خزانة الادب للبغدادى (أربعة أجزاء) ، كتاب الحيوان الجاحظ .

٤ — وأشارت الفتح الى المستشرق الفرنسى ماسنيون فى خطبة القاها فى افتتاح المجمع اللغوى فقال : ان المادة اللغوية العربية لكتابة الكلمات منتظمة كل الانتظام ومطابقة للفظ وان ترتيب المعاجم مطابق للاشتقاق وراجع بكل كلمة الى أصلها الثلاثى . وقال : ان عدد الأصول الثلاثية (٣٢٧٦) ويجىء هذا بضرب ٣ × ٣ ثمانيا وعشرين مرة ، وهذا العدد هو عدد النجوم الثوابت فى السماء اللغوية الخالدة . كما قال أحد زملائنا وهو الشيخ السكندرى فكيف تموت كلمة عربية ما دامت الأصول الثلاثية باقية والصيغ العربية للألفاظ محكمة الوضع .

٤ — الأدب

واهتمت الفتح بالأدب الاسلامى والشعر الاسلامى وفتحت الباب واسعا أمام شعراء الاسلام أمثال محمد صادق عانوس ، ومحمود رمزى رمزى نظيم ، وأحمد محرم ، ومحمد حسن النجمى . ودارت محاورات بين الأمير شكيب أرسلان وبين عانوس ورد عليه النجمى م ٤ (٦٠١/٥٦١)

وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن الشعر الاسلامى (م ٩) فأشار الى الخطوة الهامة التى قام بها أحمد محرم بانشاء الياذة اسلامية وذلك بتدوين أمجاد الاسلام ومفاخر رجاله فى ديوان شعرى عظيم ، وقد عكف على السيرة النبوية الشريفة يتبعها ويقف وقفة الخشوع والاجلال أمام حوادثها مستلهما بدائع القول يصور بها معجزات البطولة وعظائم العزائم ، وقال : ان الشاهنامة التى نظمها الفردوسى للسلطان محمود الغزنوى قبل ألف سنة ليس فيها من مظاهر المجد الصادق عشر معشار ما أخذ أحمد محرم على نفسه يدونه من أمجاد الاسلام التى قام عليها التاريخ وما زال يواريها عن عيون البشر فى زوايا قليلة النور ضنا بها على غير أهلها أن يتمتعوا بحملها تحت أشعة النور الساطع وهم من عالم غير العالم الذى كان فيه أصحاب تلك المحاق ولكن الشرق الاسلامى وهو على نيسة أن ينهض صار فى حاجة الى أن يتعلم من تاريخه كيف يكون النهوض .

٢ — وعقد الأستاذ حسن البنا فصلا عن شاعرى الاسلام (عرنوس والنجمى) فقال : شعر صادق عرنوس الذى يجود به على الفتح ويجيد دائما فانه متين رقيق ، لا يعرف التكلف وما قرأته مرة الا شعرت أن هناك شاعرا مطبوعا ، ومن محاسنه انه يطرق المواضيع الاجتماعية التى نحن فى أشد الحاجة الى تفهمها ويضعها فى هذه القوالب الانيقة فيشف صفاء الاناء عن الشراب حتى تخالهما واحدا .

ولقد ظفرنا أخيرا بدرة مدفونة لم أكن أظن فى زواياالانقباض وتحت أستار التواضع درة مثلها (قصيدة للأستاذ محمد حسن النجمى) قرأت شعرا جمع بين الجزالة والانسجام ، وبين اللفظ والمعنى ساده علو نفسى جدير بالبارودى ومن فى حزبه ، قرأت شعرا يعتنقه الطبع ويشربه الخاطر ويعرف القارىء اعجازه من صدوره ويتمثل قافية فى أول كلمة من بيته يدل على ملكة غير معنادة وطبع متناه فى الصفاء ومكانه فى اللغة رقيقة وتصرف فى القول سلس القياد يجول صاحبه به كما أراد فقلت والله انه لعبقرى ومن يفرى هذا الفرى ، واقسمت لو وضعنا من هذه القصيدة أبياتا يذكر فيها عهود المعالى على المعانى لما أمكن للناقد أن يميز شعر الطائى عليها والقصيدة التى قرأتها فى صدر الفتح هى من هذا النسيج الفريد الذى أبو تمام صاحب اسلوبه البديع ومنواله الرفيع وقرأت التوقيع الذى تحت القصيدة فاذا بى لم اسمع به فى حياتى فقلت يا رب فى أى عكم اختبأ هذا الرمح وتحت اى غمام اختفى هذا النجم وقال صاحب الفتح انه عندما قرأ القصيدة وكان عدد الفتح فى المطبعة رفع افتتاحيته وقدم هذه القصيدة عليها .

الفصل الثالث

الاســـــلام فى الغــرب

اهتمت الفتح اهتماما كبيرا بانتشار الاسلام فى الغرب واشارت الى الذين ناقشوا الاسلام من كتاب الغرب ومن دخلوا فيه وعرض للمستشرقين وكتاباتهم فأشارت الى الشيخ محمد أسد النمســــاوى (ليوبولد فايس) م ١٢ الفتح ٩٧٦ وناصر الدين دينيه (م ٤) وتحدث عن دخول الدكتور عبد الكريم جرمانوس فى الاسلام (م ١٤٩/٧) ونشرت له فصلا فى المجلد (١٤ ص ٢٤٧) لماذا أسلمت ونشرت له خطابه فى دهلى (م ٥٨٤/٦) كما أشارت الى اسلام اللورد هدلى فى بريطانيا وتصريحات برنارد شــو وتحدثت عن اسلام خالد شلدريك .

٢ ــ كتب أحمد عبد السلام بلافريج (باريس) ترجمة لناصر الدين دبيته بمناسبة وفاته (يناير ١٩٣٠ م ١٣٤٨ هـ) فى مجلة الزهراء (ج ٤ سنة ٥) نقله الفتح قال :

درس الاسلام مع أصدقائه المسلمين فبهره وملأ نفسه فقام ينادى أيها الغربيون انكم تجهلون الاسلام ومحاسنه على اثر ذلك وضع كتابه (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) .

قال : عرفت الاسلام من زمان بعيد فأحسست بانجذاب نحوه وميل اليه فدرسته فى كتاب الله فوجدته هداية لعموم البشر ، ووجدت فيـــه ما يكفل خير الانسان روحيا وماديا فاعتقدت أنه أقوم الأديان لعبادة الله واتخذته دينا وأعلنت ذلك رسميا على رءوس الملأ ، وقال : لا خوف على الاسلام من المبشرين وانما الخوف كل الخوف من شباب المسلمين فانهم جاهلون بأمر دينهم ، جاهلون بتاريخهم وتاريخ انتشاره وتاريخ المدنيـــة الزاهرة التى أنبتتها فى صحراء قاحلة ، واقصى ما يعلمو به ما يقرأونه فى كتب أعدائه فلو تم اصلاح التعليم الاسلامى على حقيقته وانتشرت الكتب الاسلامية القيمة لما خفنا على الاسلام .

كما نشرت الفتح ترجمة فصل من كتاب السيرة النبوية لايتان دينيه وسليمان ابراهيم الجزائرى .

٣ — كما عقدت الفتح فصلا عن (الاسلام بعد مائة عام) بناء على تصريح جورج برنارد شو (م ٦٧١/٦) الذى قال ان فى المستقبل العاجل عندما يريد الرجال المفكرون أن يلجأوا الى دين يحمى الفضيلة ويقى المجتمع ويكون سببا للحياة السعيدة فى البشر سيجدون الاسلام هو الدين الوحيد الذى يضمن لهم ذلك التقدم والنجاح واول براهين برنارد شو على ذلك ان الاسلام لا يمنع اى تقدم سواء كان فى النهضة الفلسفية أو الكيماوية بخلاف غيره من الأديان كدين الهنادك مثلا فانك تجد مجموعة خرافات .

ان الاسلام هو الدين الذى تجد فيه حسنات الأديان كلها ولا تجد فى الأديان حسناته فمن الممكن أن الرجل يصل الى آخر درجة فى الفلسفة والعلوم ويكون مع ذلك مسلما تقيا والاسلام دين حرية لا دين استعباد وقد قرر اخوة الاسلام منذ الف وثلاثمائة وخمسين سنة ، وهو المبدأ الذى لم يعرف عند الروم السابقين ولا عند الأوربيين والأمريكيين المعاصرين .

والاسلام لا فرق عنده بين العبد الحبشى والسيد العربى والرجـــل الرومى كلهم فى عين الاسلام أبناء آدم وانما يتعاونون بما يصدر عنهم من خير . اذا سألت العربى أو الهندى أو الفارسى أو الأفغانى من أنت : يجيبك أنا مسلم أما الغربى فاذا سألته من أنت قال : أنا انكليزى أو طليانى أو فرنساوى .. الغربى ترك الدين وتمسك بالجنسية أو الوطنية ، يقول المسلم أنا مسلم بصرف النظر عن جنسه أو وطنه ، هو اكبر دليل على أن الاسلام يوحد بين أهل العقيدة المشـــــتركة دون أن يجعل أى فرق بينهم بسبب أوطانهم أو ألوانهم أو جنسياتهم .

وقد نصب النبى شابا أسود البشرة اميرا على جيوش المســـلمين وفيها كبراؤهم فالحكومة الديمقراطية الصحيحة لم تعرف الا فى الاســـلام فكان فى زمن الصحابة من الممكن أن الرجل الفقير يطالب الخليفة بحقه ، وينتصف منه ان كان له حق . وتقسيم الميراث الذى فرضه الاسلام من ١٣٥٠ عاما ، كان أكبر فائدة للاجتماع ، ولكن الغرب بقى بجهله الى هذه

الساعة ، والأسلام حرم الربا وجعل من المستحيل انحصار الثروة عند نفر قليل أكبر قضية يعانيها عالم اليوم ، هذه الحقائق تجبرنا على الاعتقاد بأن الدنيا بأكملها وانجلترا على الأخص ستقبل الاسلام وان هم لم يقبلوه باسمه الصريح فسيقبلوه باسم مستعار .

٤ — وأوسعت الفتح صفحاتها لتجربة اسلام الدكتور خالد شلدريك: الذى القى محاضرة تحدث فيها عن (كيف هدانى الله للاسلام) قال :

ان تكن انجلترا مسيحية فى الظاهر فان تسعين فى المائة من سكانها لا يعرفون حقيقة الديانة المسيحية وانا نفسى لا اعرف من نفسى أنى اعتقدت يوما فى العقائد المسيحية التى يقررونها وان تعلمون أن الديانة المسيحية مؤسسة على اعتقاد أن الله مكون من ثلاث شخصيات وهى عقيدة لا يسيغها عقل ، اذ كيف يمكن أن يكون الأب والابن موجودين دائما فى وقت واحد ، وكيف يمكن أن يكون الابنموجودا فى جميع الأوقات التى كان الأب موجودا فيها ؟ هذا غير معقول ولا يستطيع مفكر أن يعتقده ، ومع ذلك فان عقيدة التثليث لا تزال موجودة عند المسيحيين وهم مصرون عليها وان كانوا لا يفقهونها .

تاريخ المسيح ليس له سند معاصر وانما صوره أحد البابوات من غير اعتماد على أصل تاريخى وانما هو يوم مقدس من أيام الوثنيين الأقدمين عندما كانوا يؤلهون الشمس ، ثم حول المسحيون عقيدة ميلاد الشمس الى ميلاد المسيح واتخذوا لها يوم ٢٥ ديسمبر جريا على آثار الوثنيين دون اى أصل تاريخى أو سند علمى . وعقيدة الأب والابن نفسها من عقائد الوثنيين القدماء فان البوذيين يتصورون بوذا فى طفولته مع أمه فى نفس الصورة التى نراها منقوشة فى كلكنيسة للمسيح فى طفولته مع أمه مريم .

وفى الحقيقة ان الشخصية التى يدعيها المسيحيون للمسيح عليه السلام ليست تاريخية قطعا والباحث عن ذلك بالأساليب العلمية ليرى مبلغ ذلك من الواقع يخرج من بحثه صفر اليدين .

والاختلاف بين المسيحية شديد جدا فى أصول المسيحية فى تكوين العقيدة عند المسيح ، وقد حملنى هذا البحث والتأمل على درس الديانات الأخرى فعكفت على مطالعــة ما ألف عنها . وجــدت كتبا عن البوذية والبرهمية وسائر الأديان فيما عدا الاسلام فان الكتب التى الفت عنــه مملوءة بالتحامل والمطاعن والغرض الظاهر وزعموا أن الاسلام ليس دينا مستقلا ولكنه أقوال محرفة عن كتب المسيحيين .

وقال : ان عبد الله كوليام أهدى الى الاســلام على يديه أكثر من خمسمائة شــخص فى انجلترا ، وقال : ليس عنــدى ريب فى أن الدين الاسلامى سيكون يوما ما الدين الذى يسود العالم أجمع ، وهذا يتوقف على سبب جوهرى هو أن يكون المسلمون مثلا حسنا يعلن عن الاسلام ويعرف الأمم به عمليا .

والاسلام هو الذى انفرد بتحريم الخمور ، وهى مزية لا تجدها فى كتب الديانات الأخرى بل ربما يجد من بعضها تشــجيعا على الخمر كما يقول القديس بولس لتلميذ له .

ولا شك أن معرفة الكثيرين من المسحيين بأن الانجيل الذى فى أيديهم أحدث عهدا من المسيح ووقوفهم على الاختلاف الواقع بين كتبهم الدينية ، له تأثير كبير فى اعراضهم من بعض ما فيها من نصوص بينما المســلمون لا يرتابون قط بأن القرآن الذى فى أيديهم هو الكتاب المنزل على نبيهــم صلى الله عليه وسلم لا ريب فيــه ولا يأتيه البــاطل من بين يديه ولا من خلفــــــه .

وقال : ولو انتشر الاســلام بالسيف لمــا بقيت هــذه الكنائس والبطــركيات .

٥ — المؤتمر الاسلامى الأوربى

وتحدثت الفتــح عن هذا المؤتمر الذى عقــد فى جنيف بدعوة من محمود سالم وقد شكلت اللجنة التحضيرية (٢١ غسطس ١٩٣٣) من حقى وزكى اكرام وعلى الغاياتى والدكتور زكى على ، وقد قصد المؤتمر

الى : (١) اجراء تعارف واسع بين رجالات المسلمين فى أوربا لتثبيت دعائم المحبة وتوطيد روابط الاخاء فيما بينهم (٢) والبحث فيما يتعلق بالأمور الاسلامية العامة واتخاذ ما يجب من التدابير الفعالة لاتحادهم ورقيهم ، من حيث الأمور العلمية والاجتماعية والتجارية والاقتصادية (٣) والسعى لترقية مستوى المسلم الأوربى ترقيا مضطردا بادخال ما يجب من الاصلاحات على برامج تعليمه من العلوم الحديثة والتوفيق بينها وبين الأصول الاسلامية .

وتحدثت الفتح (م ٨٧٠/٧) عن أن المؤتمر الاسلامى الأوربى سيبحث موضوع يقظة المسلمين ، الذى سيكون موضوعا هاما لأبحاث الفلاسفه فى المستقبل ليتقبلوا أسبابها ودواعيها .

والسبب واضح هو أن الحرب العالمية وتدفق ملايين المسلمين الى أوربا واطلاعهم على مدهشاتها ومخترعاتها العجيبة ، قد سبقوا الى معترك لا ناقة لهم فيه ولا جمل انتهوا الى تبين ما هم فيه من ذلة وعبودية لسلالة الرومان الذين تسلحوا بألوان من السلاح يعجز الفكر .

وقالت : ان من آثار الحرب العالمية سقوط عائلتين حاكمتين لهما خطر الأثر على حياة المسلمين هم عائلة القياصرةالتى أوقفت حياتها على حروب دينية ضد المسلمين وعائلة العثمانيين .

وهناك فكرة يؤمن بها كل مثقف هو أن الحرب العالمية قد أنشأت حركة تعمل للاسلام العام ، وقد عزم مسلمو أوربا أن يرتبطوا فيما بينهم كى يزيدوا التعارف الموجود ويوثقوا أمانهم من العلاقات التى تجمعهم بفضل دينهم فضلا عن الاقتصاديات وهى فكرة جليلة .

— ٦ —

ونشرت الفتح بحثا عن كتاب الشباب الاسلامى للمستر باسيل الأمريكى جاء فيه :

أولئك جميعا — يعنى المسلمون — يقصدون مكة يقفون خشعا عند الكعبة ذلك المكان الذى يتجه اليه المسلمون جميعا فى كل يوم خمس

مرات ، هـذه كلها بلاد ينتشر فيها الاسلام وهى مترامية الأطراف كلهم يدينون بالاسلام ويعبدون الها واحدا ويعتزون بالنبى محمد الذى حمل رسالة ربهم اليهم ، ترى ما هذا الذى تسيطر عليه هذه الجموع الحاشدة ويخضعها لعبادة الله وحده ويجعلهم يقصدون ذلك المكان لتأدية واجب مقدس ، ما هذه الرابطة القومية التى تربط هذه الجموع جميعا وتجعلها اخوانا سواء ، واى شىء جمع بين الأسود والأبيض والسيد والمسود ، بكل حرية واخاء ومساواة وصداقة ، وليس هناك من سلطان عليهم الا الاسلام الذى جمعهم كلهم اخوانا وربط على قلوبهم .

قال جيبون المؤرخ البريطانى : ان الاسلام لمدة مائة عام بعد وفاة النبى ملك أكثر من ست وثلاثين الف مدينـة وقرية وقلعـة ، وأقام الفا وأربعمائة مسجد ، وبعد قرون امتدت يد الاسلام الى جبـال طوروس والقسطنطينية ، وامتد بقوة الى الشمال والى أواسط آسيا ، ووصـل الى سور الصين العظيم ، وبعث بروحه الى الهند وشيد عرشا عظيما فى دهلى فساد الاسلام فى جميع هذه البلاد ، فقرىء فيها القرآن وكان قانونا لها ، وهو القرآن ــ القانون الجنائى والمدنى ، وحكم خلفاء بغداد امبراطورية واسعة جدا لم ير مثلها العالم ، وبنوا القصور ، وامتلكوا الأوطان ، ونشروا العلوم التى كانت معروفة فى ذلك الوقت ، ومنها ترجمت الى اللغة اللاتينية ، وانما وصل علم أرسطو الى أوربا فى القرون الوسطى ، وقصارى القول ان الاسلام أخضع العالم جميعه ثم دخلت المطامع فى قلوب المسلمين ولم يزل الاسلام يهبط حتى وصل الى الحضيض أو كاد ، وطمعت فيه الدول الاستعمارية فامتدت يد بريطانيا فى القـرن التاسع عشر الى امبراطور المغول فى الهند ووقع شمال أمريقية فى المحيط الاطلنطى الى البحر الأحمر فى قبضة الأوربيين وتحررت ممالك البلقـان ونشبت الحرب الكبرى فانسلخ العراق وسوريا وفلسطين وبلاد العرب من تركيا ، ونرى اليوم أن ثمانين فى المائة من مسلمى العـالم ويبلغون تقريبا (٢٣٥ مليونا) فى حماية جامعة الأمم ونرى أن كل ثمانية من المسلمين واحدا محـكوم بحاكم مسـلم والسـبعة الآخرون محكومون بحكومات أجنبيا (كتب هذا عام ١٩٣٥) .

٧ — ويتحدث الفتح (م ١٩٣٥/٩) عن هندوكى أسلم هو خالد لطيف جابا الذى قال :

نحن لا نجد فى الاسلام نظام الطبقات ولا تلك الحواجز التى يتحتم على بعض الناس عدم تخطيها ونحن لا نجد فى الاسلام معابد خاصة بالأغنياء وأخرى خاصة بالفقراء كما هو الحال فى انجلترا ولا معابد لذوى اللون الاسود وأخرى لذوى اللون الابيض كما هو الحال فى أمريكا وانما يقرر الاسلام المساواة بين جميع الخلق ، ويجعل ثواب الله غير متوقف على لون أو مولد أو جنس معين ورحمة الله لا نهاية لها ولا يخص بها مخلوق دون مخلوق .

ولن نجد فى الاسلام مبادىء تقلل من شأن الذكاء فالموهبة من الله للانسان وللمرأة حقوق وكذلك فرض الله حقوقا للأطفال والوالدين اما الزواج والطلاق والوراثة (وهما ثلاثة من اهم اسباب اضمحلال بعض الأديان القائمة اليوم) فانهما مبنية فى الاسلام على عدالة الحقوق والالتزامات . لقد دهش الهندوكيون وصمتهم دهشة عظيمة عندما علموا ان السنة الكريمة التى جرى عليها نبينا محمد صلوات الله عليه وتسليمه من أكثر من ثلاثة عشر قرنا ما تزال نافذة بين اتباعه فى كل مكان وقد تمثلت فى شخصى هذه السنة الحميدة بأن عهد الى مسلمو الهند وأنا حديث العهد بالاسلام بمسئوليات سياسية واجتماعية خطيرة .

لو رجعت الى التاريخ لوجدت أن كثيرا من العبيد الأفريقيين (السود الوجوه) قد حكموا ممالك الاسلام ولم يحل دون حكمهم اياهم لون بشرتهم ولا اختلاف طبعهم عن طبيعة العرب الاقحاح .

٨ — وأولت الفتح اهتمامها الى المستشرقين الذين يعملون فى البلاد الاسلامية كخبراء سياسيين لخدمة الاستعمار ومن هؤلاء الدكتور سنوك هرتجرونجه المستشرق الهولندى الذى أعلن اسلامه ليتمكن من تعميق خدماته للاستعمار الهولندى (م ١) .

فأشارت الى انه درس الاسلام فى السنوات التى اقامها بالحرم

المكى منتحلا اسم (عبد الغفار) وقائلا لكل مسلم يتصل به (انا أخوك فى الاسلام) وعرف جوهر الاسلام وعرف انه دين العظمة والقوة والنشاط التى تمتع بها المسلمون فيما مضى انما تمتعوا بها بفضل تمسكهم بدينهم وأن دور الضعف موافق لزمن جهل المسلمين دينهم وتمسكوا بخرافات وزيادات ليست منه .

وقالت الفتح : للرجل صفتين : صفة العالم والثانية صفة السياسى ، بل ان اكثر المستشرقين لم يشتغلوا بالعلم الاسلامى الا لأجل السياسة ولمساعدة استعمارهم القومى على تثبيت نفوذه فى أعماق الأمم الاسلامية من أجل اخضاع الشعوب الكثيرة العدد لرفاهية شعب قليل .

اما بالنسبة للحركة القومية التى يقول الدكتور هرنجرونجه انها حلت محل الجامعة الاسلامية فانه :

الأول : ان الجامعة الاسلامية التى يعنيها هو ويتكلم عنها لم تكن موجودة قط وانما هى وليدة أوهام الأوربيين وخبالاتهم فلما ازدادوا علما بأحوال العالم الاسلامى وتبين لهم الآن عدم وجودها ظنوا أنها كانت ثم زالت ، فمن الخفة تسرع الدكتور هرنجرونج بالشماتة ، ولعل فى ضمير المستقبل من الحقائق عن الاسلام ما لا تكفى أدوات الاستعمار الحاضرة لاكتشاف أسراره ، اذن فالجامعة الاسلامية التى يقول مستشار الحكومة الهولندية فى الشئون الاسلامية انها اضمحلت وحلت الحركة القومية محلها، انما هى جامعة وهمية لا كانت ولا زالت ، أما الجامعة الحقيقية فانها ازدادت وستزداد قوة مع الزمان .

الثانى : ان هذه الحركة القومية التى يذكرها الدكتور موهما أن المسلمين هم الذين ضموا اليها من عند أنفسهم استغناء بها عن الجامعة الاسلامية انما وجدت فى الحقيقة واتسعت بسعى عظيم وتمهيد جسيم لتنهر الأوربيون عليه دعموا له فى وزارات المعارف وفى الوسائل العلمية والأدبية المختلفة ، وقد اخطأوا فى تفصيل الثوب الذى أرادوا المسلمين أن يلبسوه بدلا من جامعتهم ، ونحن الذين لم يكن لنا راى فى وضع البرامج التى تولد منها القوميات صرنا الآن نعتقد أن الحركة القومية ستعين أهلها على انقاذ حقوقهم من أيدي غاصبيها .

الوجه الثالث : ان هذه الحركة القومية اذا كان فى برنامجها تنظيم روابط أدبية بين الشعوب الاسلامية فاننا نتوقع منها نتائج عملية لا باس بها ، أما تداعى البنيان الاسلامى فلا يقول به الا احد رجلين : داعية يرى من وظيفته التخذيل والتثبيط وأماتة الهمم وقطع نياط الرجاء او رجـل لم يعود نفسه بعد النظر ولم يشتغل بدرس تطور الأمم .

ان التيار الموجود الى جفاء الاسلام لابد أن يكون له مدى يقطعه ثم يكون له بعد ذلك رد فعل يفتتح به عهد جديد للاسلام لم يسبق له مثيل :

ان لهذا التيار سببين رئيسيين :

الأول تشويه عقول ناشئينا ببرامج التدريس التى أحكم وضعها او أغرى بها أو ساعد عليها أناس لا يهمهم بقاء الاسلام كالمستر دنلوب وغيره من أهل الأقطار الاسلامية الأخرى .

الثانى : تقصير علمائنا فى افراغ المعارف الاسلامية فى اسـاليب تلذ القراء العصريين فتجعل ناشئينا عارفة بمحاسن الاسلام ومحامده كمعرفة محببة .

فاذا تبين عقلاء المسلمين : اصلاح المعاهد الدينية واصلاح التدريس وتكوين علماء يحسنون مخاطبة أبناء العصر محاسن الاسلام اليهم ومحاولة تدريس التاريخ الاسلامى فى مدارسنا المدنية فان لهذه المساعى نتائج محققة. ان تحويل المعارف الاسلامية الى الشكل الذى سيكون سببا فى تكثر سواد العارفين بمحاسن الاسلام من شبابنا المتعلمين .

هناك أمر آخر هو ان فى أوربا فريقا كبيرا من أهل التفكير يشعرون بكثير من مساوىء الحضارة الأوربية الحاضرة ويفكرون فى حاجـة ذلك المجتمع الى مخرج من مساوئه وأرى أنا ان ذلك المخرج موجود فى الاسلام والأوربيون اهل بحث ودرس ولابد أن تتبين لهم محاسن الاسلام فى يوم من الأيام .

وأشارت الفتح الى أن الدكتور هيجو ماركاس الفيلسـوف الألمانى قرر ان الاسلام هو الدين القديم الجامع لكل الفضائل ومن أجل ذلك فقـد اعتنقه .

ـ ٧ ـ

ترجمــة معــانى القــرآن الكريم

وأولت (الفتح) اهتمامها بقضية ترجمة معانى القرآن الكريم التى أثيرت عام ١٩٣٢ تقريبا ففى مجلد الفتح (٦/٦٣٩) ناقشـــت هــذه القضية على أثر كتابات التفتازانى وفريد وجدى فقالت : ان العلوم تترجم أما الآداب البليغة سواء كانت نثرا أو شعرا فان الترجمة تشـــوه جمالها وتسقط مرتبتها وتضلل قارئها ، والذين يدعون الى ترجمة القرآن يريدون الاساءة الى القرآن وابراز صورة له كاذبة بشعة تبعد الناس عن الدين الاسلامى .

وكتب مصطفى الرفاعى اللبان فقال :

يتفق الباحثون جميعا على عدم استطاعة نقل القران الكريم الى لغة أخرى بلغت ما بلغت من العظمة والجلال والاتساع فان اللغة العربيـــة امتازت ببسطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنايات وقد يحمل اللفظ فيهـــا معنى عبارات كاملة برمتها وقد اكتسبت بنزول القرآن صبغة القـداسة وارتدت لباس الخلود وصارت آيات القرآن الهية لا يستطيع بشر مهمـــا أوتى من العلم والبيان ان يعبر عنها بلغة انجليزية او فرنسية . وفى هذا لا يجوز قياس القرآن على الانجيل فان الانجيل كتبه بشر بلغـــة ساذجة قريبة من العامية كما عرفت من نجوى مع رجال الدين المسيحى وترجماته من يكون خيرا من الأصل مرات عدة ، والعارف بتطور اللغات الأجنبيـــة على اختلاف العصور يحكم مثلا بأن الانجيل الانجليزى منذ قرن بينه وبين انجيل القرن العشرين تفاوتا كبيرا فى الألفاظ والأسلوب ، ولكنا لن نرى ترجمة للقرآن تســـاوى قيد عشر من أســـلوبه المعجز البليغ الذى حوى أوسع المعانى مدى وأغلى الجواهر قيمة .

وكتب السيد محب الدين الخطيب فقال :

تحت عنوان (شماتة الداعين الى ترجمة القران) : ان نقل معانى القرآن بتوسع تفسيرى وبدون تقيد بالترجمة الحرفية مفيـــد فى مساعدة الدعاة الى الاسلام على أداء مهمتهم ويكون ذلك فى آيات مخصوصة عنـــد الكلام على أمور مخصوصة من حقائق الكون ودخائل الحياة وأسرار النفس

وهذا لم يمنعه الذين يمنعون الترجمة الحرفية للقرآن لأنهم مخلصون فيما يمنعون وما يبيحون ، أما الداعون الى الترجمة فلا يزالون مصرين على تجاهل هذه الحقيقة لأنهم اما سيئوا النية واما ضعيفوا المدارك .

ان الترجمة الحرفية من طبيعتها ان تظهر فى اللغة المترجم اليها تعبير الأساليب المحمودة فيها ، هذا اذا كان ما يترجم حرفيا ليس له صفة الاعجاز فى لغته الأصلية كما هى الحال فى القرآن الذى تحدى الله به اهل الأرض جميعا ورماهم بالعجز أن يأتوا بمثله باللغة التى نزل بها فكيف ننقله الى لغات طبيعتها غير طبيعة اللغة العربية .

٢ — وفى المجلد ٧ (١٩٣٣) من الفتح واصل السيد محبالدين الخطيب الحديث عن ترجمة القرآن الذى يتصدى لتأييده فريد وجدى وما زعم المراغى من أن ترجمة القرآن جائزة ويمكن انيعتمد عليها من يدخلالاسلام منالأوربيين لاستنباط الاحكام والاجتهاد فيها وقد انبرى لتزييف ذلك كله ونقضه الشيخ مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية فألف كتابا عنوانه (مسألة ترجمة القرآن) عرض فيها لشبهات المراغى وأتبعه بنظرة خصصها للكلام على اقوال صاحب البدائع فى موضوع الترجمة ، وناقش فريد وجدى فى كل ذلاته العلمية والدينية والاجتماعية التى تدور حول ترجمة القرآن .

٣ — وواصلت الفتح مراجعة قضية ترجمة القرآن ففى (المجلد ١٠ ص ١٠٣١ (أشار الى أن الشيخ المراغى شيخ الأزهر رد على مقال مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية وان هذا المقال تضمن أمورا جوهرية وحقائق عظيمة .

كما كتب الشيخ محمد سليمان كتابه (حدث الأحداث فى الاسلام) وتوقفت هيئة كبار العلماء عن الفتوى فى الموضوع وتحدثوا عن مواقع الترجمة من جهات احتمالات الاعراب التى تمنع الاقدام على ترجمة قطعه ومن جهة الوقف والابتداء ومن جهة الألفاظ المشتركة التى تدل على معانى ذات طرق متعددة لا يقابلها لفظ ولا الفاظ فى اللغة التى يراد الترجمة اليها ومن المعلوم ان القرآن منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه والمتشابه لا يستطيع أحد على وجه الأرض كائنا من كان أن يدعى العلم العطفى به

او المراد منه فالصورة التى تعطيها الترجمة لا تمثل لأذهان الأجانب ما يجب أن يمثل القرآن لهم لأن مجموع القرآن لا يمكن ترجمة معانيه لا ترجمة حسنة ولاترجمة غير حسنة، ولما كان الغرض من الترجمة اعطاء معانى قطعية للشيء الذى يراد ترجمته فان القطع والجزم فى كل معانى القرآن لم يدع معرفته مسلم فى عصر الصحابة الى الآن) وقد فتحت الفتح صدرها لمقالات عديدة من العلماء فى هذا الاتجاه .

وكتب الأستاذ حسن السنا مقالا فى هذا الصدد (م ١٠/١٠٨٠) .

٤ — وأشار الفتح م ١٦ الى أن ترجمة القرآن باءت بالفشل بعد أن بين عقلاء المسلمين فسادها منذ عشرات السنين وقد أشار الى مقال للدكتور يعقوب صروف فى مجلة المقتطف (سبتمبر ١٩٠٠) وعندنا انه لو همت الجمعيات الدينية المسيحية نشر الانجيل باللغة الانجليزية وعلمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غير أن يترجموه ، لكان نجاحهم أتم (أيد هذا الراى فى عدد نوفمبر ١٩٠٠) .

(٨)

المؤلفات

وقد اهتمت الفتح بمراجعة عدد من المؤلفات التى صدرت فى هذه الفترة وأشارت الى وجوه القصور والنقص فيها أو أشادت بما فيها من جيد البيان :

١ — ومن ذلك ما أشار اليه عمر الدسوقى فى كتابه عن اخوان الصفا وهو اعتراف الاسماعيلية المعاصرين بهذه الرسائل ومن ذلك قول اغاخان فى كتابه (نور مبين حبل متين) ان مؤلف اخوان الصفا من ائمة الاسماعيلية وهو (أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) وقول الدكتور حسين الهمزانى أحد دعاة الاسماعيلية البهرة ان الاسماعيلية يرون القرآن كتاب العامة ورسائل اخوان الصفا كتاب الأئمة .

٢ — وأشارت م (١٧) الى ان الأب انستاس الكرملى قال فى معنى تنشيط دراسة النحو الذى يقال أن المجمع اللغوى معنى به فقال أن تيسير النحو يمنعنا من أن نفهم القرآن والاحاديث النبوية والشعر الجاهلى وكلام

الأقدمين وعندى أن هذا المشروع دسيسة أجنبية لمنع العرب من تفهم آدابهم التقليدية (ربيع الأول ١٣٦٥) .

٣ — وأشارت الى ما ذكره الدكتور زكى مبارك (م ١٧) تحت عنوان عندما يواتينى الموت :

قال ستبقى أفكارى لتعين الشيطان على اضلال الناس فأبث فيهم معنى الشرور والاثم والطغيان ففى رسائلى وأشعارى ومؤلفاتى أقباس من الضلال وهى وحدها خليقة بأن تغمس هذا العالم فى أوحال الرجس وتلفه فوق أشواك الارتياب .

٤ — وفى عرض كتاب (عائشة والسياسة) لسعيد الأفغانى ذكر أنه قال لهيكل والمؤلفين العصريين من الاعتماد على كتاب (الامامة والسياسة) وهو لقيط تبرأ منه علم ابن قتيبة ولا يعرف له اب ؛ وقال : لا يكفى للثقة بكل ما فى تاريخ الطبرى اجماعنا كلنا على الثقة بالطبرى نفسه فان الطبرى أورد أخبارا متفاوتة الدرجة فى الثقة ولعله أوردها ليستفاد من بعض نواحيها وقد خرج الطبرى من عهده هذه الأخبار بتسمية رواتها لتكون على بينة منها .

٥ — وأشارت الفتح الى ما أورده الياس الايوبى فى كتابه (فى تاريخ مصر) فقد قدر الجيوش بعددها واستعدادها ولم يحسب للايمان حساب ، مع أن القوة المعنوية لها الشأن الأول فى الدفاع عن الزمار والشرف وتخليد الصحائف الذهبية فى تاريخ الأمم .

وقال ان المؤلف يستبعد صدوق ما ذكرته كتبنا العربية فى التاريخ من عدد المجاهدين الذين فتح بهم عمرو بن العاص رضى الله عنه وادى النيل وأخذ يتمحل أسبابا أخرى للفتح يبدى فيها ويعلن (م ١٤) .

٥ — وأشار الى أن طه حسين ألقى محاضرة فى مؤتمر المستشرقين وما حاوله فيها من العدوان على القرآن وعلماء المسلمين فى أربعة عشر قرنا ولذلك حاول طه حسين منع المحاضرة من الترجمة حتى لا يطلع عليها المسلمون .

٦ — واشار الى النقد العلمى الذى كتبه محمد الطاهر بن عاشـــور لكتاب الاسلام واصول الحكم فقال السيد محب الدين الخطيب : ان الاسلام لا يحتضر واذا كان من يتقصى سيرتنا فى ديننا أن يحتضر بين أيدينا فان الله سينصره برجال غيرنا بعد أن يذهب بنا لأن فى الاسلام من القوة الذاتية والمناعة الخالدة ما لو تخلى عنه الناس جميعـــا لكفى لاعادة مجده ونشر لوائه عشرة رجال فقط .

أنا لا أنكر أن تيار الاباحة والالحاد تيار شديد ولكن شدته هذه لن يكون خطرا على الاسلام الا اذا امتلأت نفوسنا يأسا واستقبلنا هجومات خصومنا بسلاح الجهل والعجــز وبالنفوس الصــغيرة ، أما اذا كانت فى الاسلام رجال يتخذون من ماضيه سراجا لمستقبله ومن أبطاله أئمة يقتــدى بسيرتهم فان التيار الحاضر يكون أحقر من أن نرى معه الاسلام محتضرا ، ألا يستطيع أن يقنع الفتى المسلم الذى يتعلم فى المدرسة الثانوية أو العالية بأن ما خلفه لنا التاريخ الاسلامى فى اربعة عشر قرنا هو أثمن تركة حصل عليها وارثها وأن الذى يتخلى عن هذه التركة جاهل او مجنون .

وأشار الى اليقظة ازاء كل حادث فما ان ظهر كتاب (فى الشـــعر الجاهلى) حتى مزقته الأقلام تمزيقا وكشفت عن مقدرة صاحبه فاذا هو جاهل ومدلس وسارق وســـفيه وملحد ، مخاز لو نسبت الى ارسطو أو الصـــقت بأفلاطون لكانت كافية فى اسقاطهما ومحو اسم كل منهمـــا من تاريخ العلم والفلسفة . وهكذا ما تكاد تظهر حركة من جانب المهاجمين على الاسلام حتى تقابل بأشد منها .

وقال الشيخ عبد الباقى سرور نعيم : ان السر فى خيبة الطاعنين فى الاسلام مركوز فى طبيعة العقل البشرى لأن محاربة الاســـلام محاربة للعقل البشرى .

الفصل الرابع

مقـــــارنات الأديان

أولت الفتح اهتماما كبيرا الى ما يسمى الآن (مقارنات الاديان) ، فعرض لما أشارت اليه الكتب المقدسة من بشائر بمجيء النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو بحث لمولانا عبد الحق نشره فى مجلة مسلم رفايقل يونيه ١٩٣٣ وترجمه محمد تقى الهلالى ونقلته الفتـــح (م ٢٥٣/٨) قال الـــكاتب :

البشـارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المقدس عند الفرس فى دساتير ساسان الأول اخبارا بمجيء النبى محمد صلى الله عليه وسلم فقد شاعت هذه البشارة وتداولت كثيرا واهتم بها الناس أيما الاهتمام آلافا من السنين حتى ان فارس لم تزل من عهد ساسان تنتظر بشـــوق عظيم حادثة وفاء ذلك العهـــد . وقد اغتنم هـــذه الفرصة (متى) كاتب الانجيل لما علم أن الفرس ينتظرون انجاز هذه البشارة العالمية فاجتهـــد أن يرى الناس ان الموعود به فى كتاب الفرس هو عيسى بن مريم المسيح وقد حرف (متى) رواية ساسان .

٢ ـــ كذلك فقد كتب الشـــيخ الرفاعى اللبان عن بشــــائر محمد فى الكتب اليهودية والمسيحية فقال :

البشارة الأولى فى سفر التكوين (ظهـــر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض)

البشـارة الثانية فى سفر التكوين (لهاجر تلدين اسماعيل) .

البشـارة الثالثة : سفر التكوين (أعطى لك ولنسلك من بعدك كل أرض كنعان) .

البشـارة الرابعة : سفر التكوين (من ذرية اسماعيل اثنى عشر رئيس بلد واجعله أمة وحده) .

البشارة الخامسة : سفر التثنيـــة (أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) .

٣ — كذلك اشارت الفتـــح الى كتاب (ينابيع المســـيحية)لخوجه كمال الدين ، قال :

هناك ثلاثة آراء فى المسيح والمسيحية : رأى قائم على التفريط فى حق المسيح عليه السلام ، ذهب أصحابه الى أنه شخص غير تاريخى ، وأن صورة المسيح التى تريد الكنيسة أن تنقلها فى عقول الناس وقلوبهم انما هى صورة مزورة ورثها الناس عن الوثنيات القديمة ، وأن كل ما فى المسيحية له أصـــل فى ديانات الوثنيين التى جاءت قبـــل المسيح بألوف السنين ، القائلين بهذا (روبر لستون ، جان هايكتون ، فريزر ، بارسو ادورد كاربنتر) .

الرأى الثانى : قائم على الافراط فى حق المســيح عليه الســـلام ورفعه الى منزلة الالوهية .

والرأى الثالث قائم على أساس الاعتدال فيعترف المسيح بالوجود التاريخى وبتنزيهه وأمه عليهما السلام من الصفات الغريبة وتحفظ له المكانة التى وضعه فيهـــا الله عز وجل مع اخوانه من الأنبيـــاء والمرسلين فهو عبد الله ورسوله جاء الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وهذا هو الحق الذى قرره الاسلام وكان به ادنى للحقيقه ، وبالعبد المسيح عن كلا جانبى الافراط والتفريط .

هذا الكتاب ألفه بالأوردية (خوجه كمال الدين) ترجمة اسماعيل حلمى البارودى الذى ترجم كتاب (ايقاظ الغرب للاسـلام) للورد هدلى . وجمع فيه الحقائق عن الآراء والنزعات الوثنية الطارئة على المســـيحية بقصد تمحيصها وردها الى ما كانت عليه مثل هذه الزيادات وكان عبد الكريم التيز قد وضع كتابا ترجم الى العربية اسمه (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانيـــة).

٤ — تسويب نشيد الرعاه (وعلى الأرض الاسلام وللناس أحمد).

وفى اغسطس ١٩٣٣ كشف عبد الاحد داود فى كتاب الفه بالتركية عنوانه (الانجيل والصليب عن أغلاط الترجمة فى التوراة والانجيل) تلك الأغلاط التى حرف بها المترجمون الكلم عن مواضعه ، وفى مقـدمة ذلك النشيد الذى ذكر لوقا (٢ : ١٤) أن جنـود السماء ظهـروا ليلة ولادة المسيح للرعاة الذين كانوا فى البرية يترنمون بهذا النشيد :

(الحمد لله فى الاعالى وعلى الارض اسلام وللناس احمد)

فحرفه المترجمون وقالوا : (وعلى الارض السلام وللناس المسرة) .

والمؤلف يبرهن على أن هذه الترجمة خطأ ، وأن صواب نشيد الرعاة (وعلى الأرض الاسلام وللناس أحمد) وقد عثر عليه أفاضل مسلمى العراق وترجمه بالعربية وطبعه المنار .

٥ — واشارت الفتح الى المؤتمر الذى عقد فى كلية جيرتون بكامبرج تحت رئاسة الاستاذ جاردز القى فيه هذا السؤال

هل المسيح هو المؤسس للدين المسيحى

وشرح ملقيه (الدن انج) بأن يسوع ظهر لمعاصريه بصفة نبى تابع لكنيس اليهود لا مضاد لها وأيده بعض القسوس وخالفه رئيس الشمامسة وقد رد عليه مستر رنجل بخطاب طويل عزا فيـه هذا الدين الى بولس الرسول وقال ان مسيح الانجيـل ومسيح بولس الرسـول شخصـان لا يتفقان .

ثم اجمع هؤلاء الاساقفة مع غيرهم فى مؤتمر نبالى باكسفورد ١٩٢١ ليقرروا هل كان المسيح الها أم نبيا ، وقال فى هذا المؤتمر الدكتور راشد الشماس كارليل الذى وفى الموضوع حقه بشرح دهش له العالم المسيحى كله ، اذ صرح بأن قراءته للكتاب المقدس اثبتت له أن المسيح ليس الها ولم يدع الألوهية وفصل ذلك فى خمس قضايا أو مسائل ثم أجمع رؤساء كنيسة انجلترا فى اكسفورد ١٩٢٢ فقرروا أنه اذا نقى الدين الذى جاء به يسوع من الحشو والاضافات البشرية أصبح دين محبة وأن دين بوذا كذلك .

وفى مؤتمر كانتربرى (مقام الرئاســـة العليا للكنيسة الانجليزية) ١٩٢٣ الذى عقد لمعالجتها طرأ على الدين من الهزال وبوادر الانحــــلال فكل ذلك دليل على أن التعليم العصرى الأوربى خطر على الدين .

٦ — ونشرت الفتح فصلا مطولا تحت عنوان أخطـــاء فى الكتاب المقدس (م ١٤/٣٧٣) كما نشرت ابحاثا متصـــلة تحت عنوان ضـــياع التوراة والانجيل (م ٣ صفحات ٢٣٣/٢٧٧) لطه صديق العادى .

وكتبت الفتح (م ١٠) تحت عنوان (وقالت اليهود عزير ابن الله) وهذه الآية معجزة قرآنية ترد على حقائق علمية ووقائع تاريخية لم يكن على وجه الأرض فى عصر النبوة أحد من البشر يعلمها فهى يومئذ لم تكن وانما كانت من العلم الالهى بأن عزرا هو أوزيرس قالت اسم عزير لم يكن معروفا عند بنى اسرائيل الا بعد دخولهم مصر واختلاطهم بأهلها واتصالهم بعقائدها واسم عزير هو (أوزيرس) كما ينطق به الافرنج، أو (عوزر) كما ينطق به قدماء المصريين ، وقدماء المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد وانتحلوا عبادة الشمس كانوا يعتقدون بعوزر أو أوزيرس انه ابن الله ، وبنو اسرائيل فى دور من أدوار حلولهم فى مصر القديمة استحسنوا هذه العقيدة (عقيـــدة أوزيرس ابن الله) وصار اســــم أوزيرس أو عوزر (عزير) من الأسماء المقدسة التى طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين وصاروا يســـمون أولادهم بهذا الاسم الذى قدســـوه كفرا وضلالا . ان اليهود لا يستطيعون أن يدعوا فى وقت من الأوقات أن عزير كان معروفا عندهم قبل اختلاطهم بقدماء المصريين وهو فى لغتهم (عوزرا) وهى تدل على الألوهية ومعناها الاله المعين وكانت بالمعنى نفسه عند قدماء المصريين فهذا سر من أسرار القرآن ما كان على قدماء المصريين وما كان شىء من ذلك معروفا فى الدنيا قبل نزول القرآن .

وأشارت الفتح فى (م ٨) الى ان الانجيل اليونانى وردت فيه كلمة (بارقليط) معناها بالعربية احمد أو محمد ، فاليهود كانوا يعلمون بظهور ثلاثة رجال ايليا ومســـيا والنبى . أما ايليا فهو يوحنا المعمدان كما ذكر

المسيح فى الانجيل ، ومسيا هو المسيح كما هو ظاهر الانجيل ايضا ، اما النبى فمن هو ؟ هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ان التاريخ والحس والواقع يحدثنا ان هذا النبى هو سيدنامحمد وهو الذى ظهر بعد المسيح وانتشر دينه فى مشارق الأرض ومغاربها .

وأشارت الفتح فى مجلد ٩ أن بعض المغالطين نقل بيت شوقى محرفا

عيسى سبيلك رحمة ومحبة فى العالمين وعصمة وسلام .

فنقلها (عيسى صليبك) !

٧ — وأشارت الفتح الى أنه فى الانجيل اليونانى وردت كلمة (بارقليط) ومعناها بالعربية احمد أو محمد وهو بشارة تنطبق على ما جاء فى انجيل يوحنا من ورود ذكر النبى بالتعريف اذ (ال) فى النبى للعهد .

وما ورد فى انجيل يوحنا عن النبى الذى كان يتبطره اليهود مع ايليا ومسيا قال البعض ان النبى هو المسيح نفسه وقال آخرون ان نبيا من الذين ماتوا كان مزمعا أن يقوم من قبره والمعروف أن اليهود قالوا ليحيى (يوحنا المعمدان) أايليا أنت ؟ قال : لا . النبى أنت ؟ قال : لا . أمسيا أنت ؟ قال : لا . فالسؤال عن ثلاثة أشخاص مستقل وكل واحد منهم غير الآخر ولا علاقة لأحد منهم بالآخر . فالقول أن النبى هو المسيح لا يستريح اليه العقل ، أما أن هذا النبى من الأنبياء السابقين وسيقوم من نومه فقول مردود ، لأنه غير معقول .

(انتهى البحث)

رقم الإيداع ٨٦/٣٠

دار عطـــــوه للطبـــاعة

(٢)

موسوعة
تاريخ الصحافة الاسلامية

مجلة الفتح

السيد محب الدين الخطيب.

هذا هو المجلد الثانى من موسوعة تاريخ الصحافة الاسلامية صدر المجلد الاول عن مجلة المنار ـ السيد رشيد رضا وهذا المجلد عن مجلة الفتح التى استمرت اكثر من عشرين عاما حاملة لواء الدعوة الاسلامية بجوار اخواتها ـ المنار والنذير والشبان المسلمين ومجلة الازهر.

وقد حفلت مجلة الفتح بدراسات واسعة فى مختلف ميادين الدعوة الاسلامية فتناولت:

(١) قضايا الدعوة والشريعة وبناء المجتمع الاسلامى.

(٢) قضايا المسلمين فى صراعهم مع الاستعمار فى مختلف اجزاء العالم الاسلامى وخاصة = لبيا وتونس والجزائر والمغرب.

(٣) قضايا الغزو الفكرى حيث تناولت بالكشف شبهات الاستشراق والتبشير.

(٤) كشف زيف دعاوى القاديانية والماسونية والبهائية ومختلف هذه النحل فى توسع وافاضة على النحو الذى يراه القارىء الكريم فى هذه الدراسة المستوعبة التى قدمها انور الجندى فى سلسلة عن تاريخ الصحافة.

الحلقة الثالثة القادمة عن صحافة الاخوان المسلمين

دار الأنصار